

كتاب

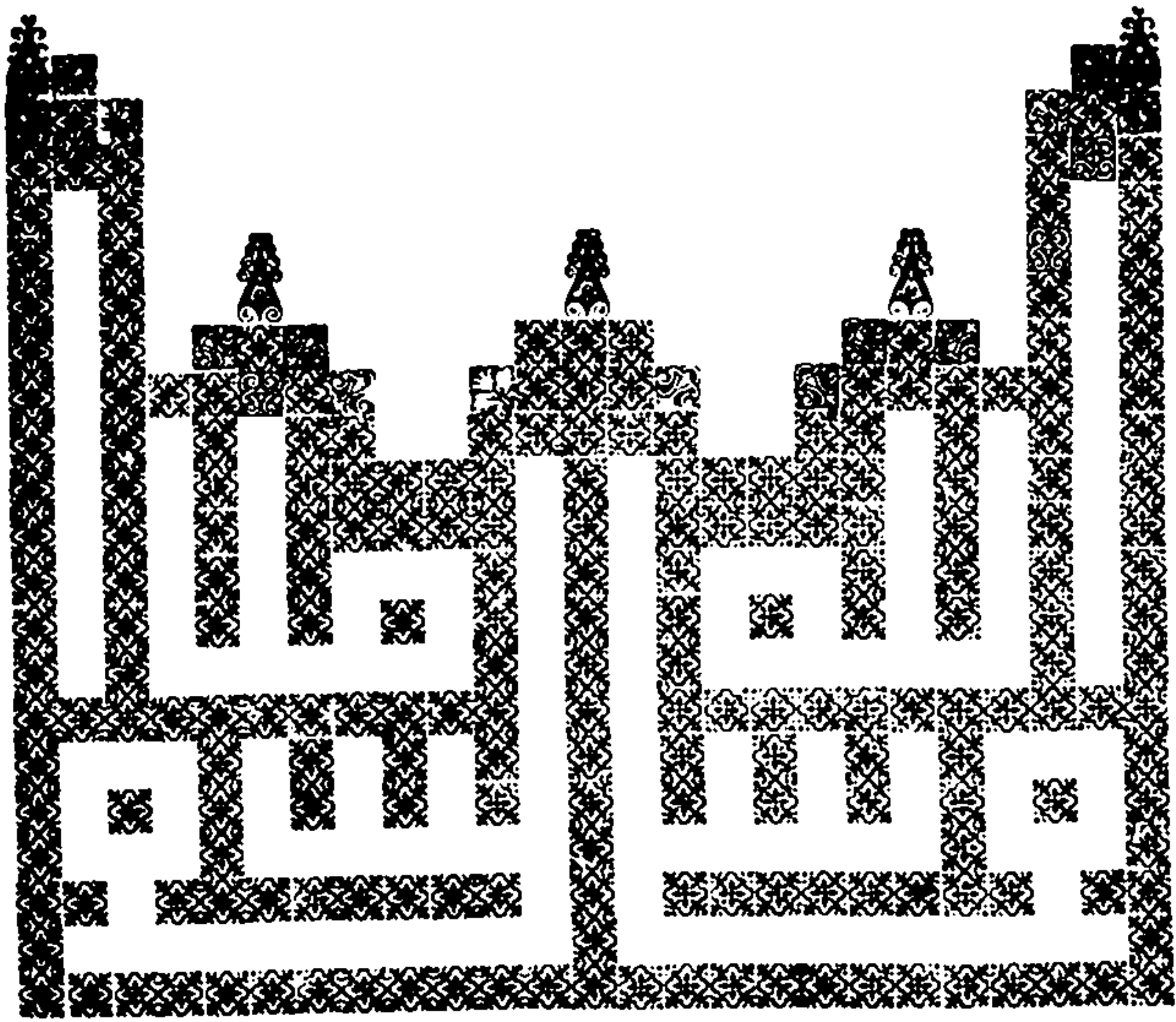
الشيخ الامام

شرح الامام

المعاني

المعاني

المعاني



رَوَائِعُ التَّرَاثِ الْعَرَبِيِّ

تَارِيخُ الطَّبِيرِ

تَارِيخُ الْأُمَمِ وَالْمُلُوكِ

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

٢٢٤ - ٥٢١٠

الجزء الثاني

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم



دار السويديان

بيروت - لبنان

131586

بِسْمِ آيَةِ الرِّقْمِ الرَّقِيمِ

ذكر الخبر عن أصحاب الكهف

وكان أصحاب الكهف فتية آمنوا بربهم ؛ كما وصفهم الله عز وجل به من صفتهم في القرآن المجيد ؛ فقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم :

٧٧٦/١

﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾ (١)

والرقيم هو الكتاب الذي كان القوم الذين منهم كان الفتية ، كتبوه في لوحٍ بذكر خبرهم وقصصهم ، ثم جعلوه على باب الكهف الذي أووا إليه ، أو نقروه في الجبل الذي أووا إليه ، أو كتبوه (٢) في لوح وجعلوه في صندوق خلفوه (٣) عندهم ، « إذ أوى الفتية إلى الكهف » .

وكان عدد الفتية - فيما ذكر ابن عباس - سبعة ، وثامنهم كلبهم .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا عبد الرحمن ، قال : حدثنا إسرائيل ، عن سيماء ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ (٤) ، قال : أنا من القليل ، كانوا سبعة .

حدثنا بشر ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أن ابن عباس كان يقول : أنا من أولئك القليل الذين استثنى الله تعالى ؛ كانوا سبعة وثامنهم كلبهم (٥) .

(١) سورة الكهف ٩ .

(٢) في الأصول : « وكتبوه » .

(٣) ت : « ولفوه » .

(٤) سورة الكهف ٢٠ ، نفساً ١٥ .

(٥) خبر في التفسير ١٥٠ - ١٥٠ (بولاق) .

قال : وكان اسمُ أحدهم - وهو الذي كان يلبى شيراً الطعام لهم ، الذي ذكره الله عنهم أنهم قالوا إذ هبوا من رقبتهم : ﴿ فَأَبْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ ﴾ (١) .
 حدثني عبد الله بن محمد الزهري ، قال : حدثنا سفيان ، عن مقاتل :
 ﴿ فَأَبْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ ﴾ - اسمه بمليخ (٢) .

وأما ابنُ إسحاق فإنه قال - فيما حدثنا به ابن حميد - قال : حدثنا سلمة ، عنه : اسمه بمليخا .

وكان ابن إسحاق يقول : كان عدد الفتية ثمانية ؛ فعلى قوله كان كلبهم تاسعهم . وكان - فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق - يسميهم فيقول : كان أحدهم - وهو أكبرهم والذي كلم الملك عن سائرهم - مكسملينا ، والآخر محسملينا ، والثالث بمليخا ، والرابع مرطوس (٣) ، والخامس كسوطونس (٤) ، والسادس بيرونس (٥) ، والسابع ريمونس (٦) ، والثامن بطونس (٧) ، والتاسع قالوس (٨) . وكانوا أحدثاً .

وقد حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي نجيع ، عن مجاهد ، قال : لقد حدثت أنه كان على بعضهم من حداثة أسنانهم وضعح الورق . وكانوا من قوم يعبدون الأوثان من الروم . فهداهم الله للإسلام ، وكانت شريعتهم شريعة عيسى في قول جماعة من سلف علمائنا .

(١) سورة الكهف ١٩ ، والخبر في التفسير ١٥ : ١٤٨ (بولاق) .

(٢) ت ، ح : « نميخ » ، التفسير : « بمليخ » .

(٣) التفسير : « مرطونس » .

(٤) التفسير : « كسوطونس » ، ل : « كسر طويس » .

(٥) التفسير : « بيورس » .

(٦) التفسير : « يكرذوس » .

(٧) التفسير : « بطابونس » ، ل : « بطويس » ح : « بطوس » .

(٨) التفسير : « قالوش » .

حدثنا ابن حميد، قال : حدثنا الحكم بن بشير ، قال : حدثنا عمرو -
 يعني ابن قيس الملائي - في قوله : ﴿ أن أصحاب الكهف والرقيم ﴾ ، كانت
 الفتية على دين عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم على الإسلام ، وكان ملكهم
 كافراً . وكان بعضهم يزعم أن أمرهم ومصيرهم إلى الكهف كان قبل المسيح ،
 وأن المسيح أخبر قومه خبرهم ، فإن الله عز وجل ابتعثهم من رقبتهم بعد
 ما رفع المسيح ، في الفترة بينه وبين محمد صلى الله عليه وسلم ؛ والله أعلم أي
 ذلك كان .

فأمّا الذي عليه علماء أهل الإسلام فعلى أن أمرهم كان بعد المسيح .
 فأمّا أنه كان في أيام ملوك الطوائف ؛ فإن ذلك مما لا يدفعه دافع من أهل
 العلم بأخبار الناس القديمة .

وكان لهم في ذلك الزمان ملكٌ يقال له : دقينوس ، يعبد الأصنام - فيما
 ذكر عنه - فبلغه عن الفتية خلافهم إياه في دينه ، فطلبهم فهربوا منه بدينهم ،
 حتى صاروا إلى جبل لهم يقال له - فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا
 سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي نجيع ، عن مجاهد ، عن ابن
 عباس - نحلوس .

وكان سبب إيمانهم وخلافهم به قومهم - فيما حدثنا الحسن بن يحيى ،
 قال : حدثنا عبد الرزاق ، قال : حدثنا معمر ، قال : أخبرني إسماعيل بن
 سديس^(١) ، - أنه سمع وهب بن منبه يقول : جاء حوارى عيسى بن مريم إلى
 مدينة أصحاب الكهف ، فأراد أن يدخلها ، فقبل له : إن على بابها صنماً
 لا يدخلها أحد إلا سجد له ، ففكره أن يدخلها ، فأتى حماماً ، وكان فيه
 قريباً من تلك المدينة ، فكان يعمل فيه ، يؤاجر^(٢) نفسه من صاحب الحمام .
 ورأى صاحب الحمام في حمامه البركة ، ودر^(٣) عليه الرزق ، فجعل يعرض عليه
 [الإسلام]^(٤) وجعل يترسل إليه . وعلقه فتية من أهل المدينة وجعل يُخبرهم

(١) ل : « شروس » ، ح : « سروس » ، ت : « سدوش » .

(٢) ح ، ل : « يأجر » . (٣) في ط : « رد » وما أثبت من التفسير وانظر التصويبات .

(٤) من التفسير .

خبر السماء والأرض وخبر الآخرة ، حتى آمنوا به وصدقوه ، وكانوا على مثل حاله في حسن الهيئة ، وكان بشرط^(١) على صاحب الحمام أن الليل لي ، لا تحول بيني وبين الصلاة إذا حضرت . فكان على ذلك حتى جاء ابن الملك بامرأة ، فدخل بها الحمام ، فعيّره الحواري ، فقال : أنت ابن الملك وتدخلُ ومعك^(٢) هذه الكذا^(٣) ! فاستحيا ، فذهب . فرجع مرة أخرى ، فقال له مثل ذلك ، وسبّه وانتهره ، ولم يلتفت حتى دخل ، ودخلت معه المرأة فأتتا في الحمام جميعاً ، فأتى الملك فقيل له : قتل صاحب الحمام ابنك . فالتُمِسَ ، فلم يُقدر عليه فهرب . قال من كان يصحبه : فسموا الفتية ، فالتُمِسوا فخرجوا من المدينة ، فرأوا بصاحب لهم في زرع له ، وهو على مثل أمرهم فذكروا أنهم التُمِسوا ، وانطلق معهم ومعهم الكلب ؛ حتى آواهم الليل إلى الكهف ، فدخلوه فقالوا : نبيت هاهنا الليلة ثم نصبح إن شاء الله ، فترونا رأيكم . فضرب على آذانهم ، فخرج الملك في أصحابه يتبعونهم ، حتى وجدوهم قد دخلوا الكهف ؛ فكلّما أراد رجل أن يدخل أُعِيبَ ، فلم يطق أحد أن يدخل ، فقال قائل : أليس لو كنت قدرت عليهم قتلتهم ؟ قال : بلى ، قال : فابن عليهم باب الكهف ، فدعهم فيه يموتوا عطشاً وجوعاً . ففعل^(٤) . فغبروا - بعد ما بنى عليهم باب الكهف - زماناً بعد زمان .

٧٨٠/١

ثم إن راعياً أدركه المطر عند الكهف ، فقال : لو فتحت هذا الكهف فأدخلته غنمي من المطر ! فلم يزل يعالجه حتى فتح ما أدخل فيه ، وردّ الله إليهم أرواحهم في أجسادهم من الغد حين أصبحوا ، فبعثوا أحدهم بورق يشترى لهم طعاماً ، فكلّما أتى باب مدينتهم رأى شيئاً ينكره ، حتى دخل على رجل ، فقال : معنى هذه الدراهم طعاماً . قال : ومن أين لك هذه الدراهم ! قال : خرجت وأصحاب لي أمس ، فأوانا الليل حتى أصبحوا ، فأرسلوني ، فقال :

(١) ت والتفسير : « يشترط » .

(٢) ح ، ل : « معك » .

(٣) التفسير : « الكذا » .

(٤) إلى هنا ، الخبر في التفسير ١٥ : ١٣٦ (بولاق) .

هذه الدراهم كانت على عهد الملك فلان فأنتى لك بها ! فرفعه إلى الملك -
 وكان ملكاً صالحاً - فقال : من أين لك هذه الورق ؟ قال : خرجت أنا
 وأصحاب لي أمس حتى أدركنا الليل في كهف كذا وكذا ، ثم أمروني أن
 أشتري لهم طعاماً . قال : وأين أصحابك ؟ قال : في الكهف ، قال :
 فانطلقوا معه حتى أتوا باب الكهف ، فقال : دعوني أدخل إلى أصحابي
 قبلكم ، فلما رأوه ودنا منهم ضُرب على أذنه وآذانهم ، فجعلوا كلما دخل
 رجل أَرعِب ، فلم يقدرُوا على أن يدخلوا إليهم ، فبنوا عندهم كنيسة ،
 واتخذوها مسجداً يصلُّون فيه .

٧٨١/١

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : حدثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ،
 عن قتادة ، عن عكرمة ، قال : كان أصحاب الكهف أبناء ملوك الروم ،
 رزقهم الله الإسلام ، فتفردوا^(١) بدينهم ، واعتزلوا قومهم ، حتى انتهوا إلى
 الكهف ، فضرب الله على سُمُخَانِيهِمْ . فلبثوا دهرًا طويلًا ، حتى هلكت
 أمَّتُهُمْ ، وجاءت أُمَّةٌ مسلمة ، وكان ملكهم مسلمًا ، واختلفوا في الروح
 والجسد ، فقال قائل : تبعث الروح والجسد جميعًا ، وقال قائل : تبعث
 الروح ، وأما الجسد فتأكله الأرض ، فلا يكون شيئًا . فشق على ملكهم
 اختلافهم ، فانطلق فلبس المُسوح ، وجلس على الرماد ، ثم دعا الله عزَّ وجلَّ ،
 فقال : يا رب ، قد ترى اختلاف هؤلاء ، فابعث لهم ما يبين لهم ، فبعث الله
 أصحاب الكهف ، فبعثوا أحدهم يشتري لهم طعامًا ، فدخل السوق ، فجعل
 يُنكِر الوجوه ويعرف الطرق^(٢) ، ويرى الإيمان بالمدينة ظاهرًا ، فانطلق وهو
 مستخف ، حتى أتى رجلاً يشتري منه طعامًا ، فلما نظر الرجل إلى الورق
 أنكرها - قال : حسبت أنه قال : كأنها أخفاف الرُّبْع - يعني الإبل
 الصغار - قال له الفتى : أليس مَلِكِكُمْ فلان ؟ قال : بل ملكنا فلان ، فلم
 يزل ذلك بينهما حتى رفعه إلى الملك . فسأله فأخبره الفتى خبر أصحابه ،
 فبعث الملك في الناس ، فجمعهم فقال : إنَّكم قد اختلفتم في الروح والجسد ،

(١) ت والتفسير : « فتفردوا » .

(٢) ت : « الطريق » .

وإن الله عز وجل قد بعث لكم آية ، فهذا رجل من قوم فلان - يعنى ملكهم الذى مضى - فقال الفتى : انطلقوا بى إلى أصحابى ، فركب الملك ، وركب معه الناس ، حتى انتهى إلى الكهف ، فقال الفتى : دعونى أدخل إلى أصحابى ، فلما أبصرهم ضرب الله على أذنه وعلى آذانهم ، فلمّا استبطنوه دخل الملك ودخل الناس معه ، فإذا أجساد لا ينكرون منها شيئاً غير أنها لا أرواح فيها . فقال الملك : هذه آية بعثها الله لكم^(١) .

• • •

قال قتادة : وغزا ابن عباس مع حبيب بن مسلمة ، فرأوا بالكهف : فإذا فيه عظام ، فقال رجل : هذه عظام أصحاب الكهف ، فقال ابن عباس : لقد ذهبت عظامهم منذ أكثر من ثلثمائة سنة .

• • •

قال أبو جعفر : فكان منهم^(٢) :

•

(١) الخبر فى التفسير ١٥ : ١٤٣ (بولاق) .

(٢) أى من كان فى أيام ملوك الطوائف . انظر ابن الأثير ١ : ٢٠٨ .

يونس بن متى

-- فكان فيما ذُكِرَ -- من أهل قرية من قرى الموصل يقال لها : نينوى ، وكان قومه يعبدون الأصنام ، فبعث الله إليهم يونس بالنهي عن عبادتها ، والأمر بالتوبة إلى الله من كفرهم ، والأمر بالتوحيد . فكان من أمره وأمر الذين بعث إليهم ما قصه الله في كتابه . فقال عز وجل : ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ۝ (١) ۝ وَقَالَ : ﴿ وَذَا النُّونِ إِذ ذُهِبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ۝ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ۝ (٢) ۝

• • •

وقد اختلف السلف من علماء أمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في ذهابه لربه مغاضباً وظنه أن لن يُقدَّرَ (٣) عليه . وفي (٤) حين ذلك .

فقال بعضهم : كان ذلك منه قبل دعائه القوم الذين أرسل إليهم ، وقبل إبلاغه إياهم رسالة ربه ، وذلك أن القوم الذين أرسل إليهم لما حضرهم عذاب الله أمر بالمصير إليهم : ليعلمهم ما قد أظلمهم من ذلك ، لينبؤوا مما هم عليه مقيمون مما يسخطه الله . فاستنظر ربه المصير إليهم ، فلم يُنظره . فغضب لاستعجال الله إياه للنفوذ لأمره وترك إنظاره .

(١) سورة يونس ٩٨ .

(٢) سورة الأنبياء ٨٧ ، ٨٨ .

(٣) كذا في ت : وفي ط : «نقدر» .

(٤) ح ، ل . «في» بدون واو .

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ :

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحَسَنُ الْأَشْيَبِيُّ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا هِلَالٍ مُحَمَّدَ بْنَ سُلَيْمٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا شَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ ، قَالَ : أَتَاهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ - يَعْنِي يُونُسَ - وَقَالَ : انْطَلِقْ إِلَى أَهْلِ نَيْنَوَى ، فَأَنْذِرْهُمْ أَنَّ الْعَذَابَ قَدْ حَضَرَهُمْ . قَالَ : أَلْتَمَسُ دَابَّةً ، قَالَ : الْأَمْرُ أَعْجَلُ مِنْ ذَلِكَ ، قَالَ : أَلْتَمَسُ حِذَاءً ، قَالَ : الْأَمْرُ أَعْجَلُ مِنْ ذَلِكَ ، قَالَ : فَغَضِبَ ، فَانْطَلَقَ إِلَى السَّمِينَةِ فَرَكِبَ ، فَلَمَّا رَكِبَ احْتَبَسَتِ السَّمِينَةُ لَا تَقْدَمُ وَلَا تَأْخُرُ . قَالَ : فَسَاهَسُوا . قَالَ : فَسَاهَسَهُمْ^(١) ، فَجَاءَ الْحَوْتُ يَبْصَبُ بِذَنْبِهِ ، فَنَوْدَى الْحَوْتُ : يَا حَوْتُ ؛ إِنَّا لَمْ نَجْعَلْ يُونُسَ لَكَ رِزْقًا ، إِنَّمَا جَعَلْنَاكَ لَهُ حِرْزًا وَمَسْجِدًا ، فَالْتَقَمَهُ الْحَوْتُ ، فَانْطَلَقَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ حَتَّى مَرَّ بِهِ عَلَى الْأَيْلَةِ^(٢) ، ثُمَّ انْطَلَقَ حَتَّى مَرَّ بِهِ عَلَى دِجْلَةَ^(٣) ، ثُمَّ انْطَلَقَ بِهِ حَتَّى أَلْقَاهُ فِي نَيْنَوَى^(٤) .

٧٨٤/١

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحَسَنُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو هِلَالٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا شَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : إِنَّمَا كَانَتْ رِسَالَةُ يُونُسَ بَعْدَ مَا نَبَدَهُ الْحَوْتُ .

وقال آخرون: كان ذلك منه بعد دعائه ممن أرسل إليهم إلى ما أمره الله بدعائهم إليه، وتبليغه إياهم رسالة ربه، ولكنّه وعدهم نزول ما كان حدّهم من بأس الله في وقت وقتّه لهم، ففارقهم إذ لم يتوبوا ولم يراجعوا طاعة الله والإيمان، فلما أظلم القوم عذاب الله، فغشيتهم - كما وصف الله في تنزيله - تابوا إلى الله، فرفع الله عنهم العذاب، وبلغ يونس سلامتهم وارتفاع العذاب الذي كان وعدهموه، فغضب من ذلك. وقال: وعدهم وعداً، فكذب وعدي! فذهب مغاضباً ربه، وكره الرجوع إليهم وقد جرّبوا عليه الكذب.

(١) ساهسهم: بالياء المشهور أي غلب.

(٢) ط: «الأيلة» و«الأيلة» التفسير.

(٣) الخبر في التفسير ٢٢: «دجلة».

• ذكر بعض من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد، قال : حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن يزيد بن زياد، عن عبد الله بن أبي سلمة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال : بعثه الله تعالى - يعني يونس - إلى أهل قريته، فردوا عليه ما جاءهم به، وامتنعوا منه، فلما فعلوا ذلك أوحى الله إليه : إنني مرسل عليهم العذاب في يوم كذا وكذا، فاخرج من بين أظهرهم . فأعلم قومهم الذي وعدهم الله من عذابه إياهم، فقالوا : ارمقوه، فإن هو خرج من بين أظهركم فهو والله كائن ما وعدكم . فلما كانت الليلة التي وعيدوا العذاب في صبيحتها أدلج وراءه القوم، فحيدروا . فخرجوا من القرية إلى بزاز^(١) من أرضهم . وفرقوا بين كل دابة وولدها، ثم عجتوا إلى الله واستقالوه فأقالهم . وتنظر يونس الخبر عن القرية وأهلها حتى مر به بزاز، فقال : ما فعل أهل القرية ؟ فقال : فعلوا أن نبئهم لما خرج من بين أظهرهم عرفوا أنه صدقهم ما وعدهم من العذاب، فخرجوا من قريتهم إلى بزاز من الأرض، وفرقوا^(٢) بين كل ذات ولد وولدها، ثم عجتوا إلى الله وتابوا إليه، فقبل منهم، وأخر عنهم العذاب . قال : فقال يونس عند ذلك وغضب : والله لا أرجع إليهم كذاباً أبداً، وعدتهم العذاب في يوم، ثم رد عنهم ! ومضى على وجهه مغاضباً لربه فاستزله الشيطان^(٣) .

حدثني المثنى بن إبراهيم، قال : حدثنا إسحاق بن الحجاج . قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع [بن أنس]^(٤)، قال : حدثنا رجل قد قرأ القرآن في صدره في إمارة عمر بن الخطاب، فحدث عن قوم يونس حيث أنذر قومهم فكذبوه، فأخبرهم أنه مصيبتهم العذاب وفارقهم . فلما رأوا ذلك وغشيتهم العذاب ؛ لكنهم^(٥) خرجوا من مساكنهم . وصعدوا

(١) البراز : الفضاء الواسع الخالي من الشجر .

(٢) ت : « ثم فرقوا » .

(٣) الخبر في التفسير ١٧ : ٦١ (بولاق)

(٤) من التفسير .

(٥) كذا ورد الاستدراك هنا بلفظ « لكنهم » ، وورد بعد بلفظ « لكنه » ، في التاريخ

والتفسير ؛ وهو غير واضح .

في مكان رفيع . وأنهم جأروا إلى ربهم ، ودعوه مخلصين له الدين أن يكشف عنهم العذاب . وأن يرجع إليهم رسولهم ، قال : ففى ذلك أنزل الله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾^(١) . فلم يكن قرية غشيتها العذاب ثم أمسك عنها إلا قوم يونس خاصة ، فلما رأى ذلك يونس . لكنه ذهب عاتبا على ربه ، وانطلق مغاضبا ، وظن أن لن يُقَدَّرَ عليه ، حتى ركب سفينة ، فأصاب أهلها عاصف من الريح^(٢) . فقالوا : هذه بخطيئة أحدكم . وقال يونس - وقد عرف أنه هو صاحب الذنب : هذه بخطيئتي ، فألقوني في البحر . وإنتهم أبوا عليه حتى أفاضوا بسهامهم ، ﴿ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾^(٣) . فقال لهم : قد أخبرتكم أن هذا الأمر بذنبي . وإنتهم أبوا عليه أن يلقوه في البحر ، حتى أفاضوا بسهامهم الثانية ، ﴿ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾ . فقال لهم : قد أخبرتكم أن هذا الأمر بذنبي ، وإنتهم أبوا عليه أن يلقوه في البحر حتى أفاضوا بسهامهم الثالثة . ﴿ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾ . فلما رأى ذلك ألقى نفسه في البحر ، وذلك تحت الليل ، فابتلعه الحوت ﴿ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ ﴾^(٤) - وعرف الخطيئة - ﴿ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾^(٥) . وكان قد سبق له من العمل الصالح : فأنزل الله فيه فقال : ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ . لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴾ ؛ وذلك أن العمل الصالح يرفع صاحبه إذا عثر ، ﴿ فَزَبَدْنَاَهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾^(٦) . وألقى على ساحل البحر . وأثبت الله عليه شجرة من يقطين - وهي فيما ذكر - شجرة القرع يتقطر عليه

٧٨٦/١

(١) سورة يونس ٩٨ . (٢) الخبر إلى هنا في التفسير ١٥ : ٢٠٨ . ٢٠٩

(٣) سورة الصافات ١٤١ ؛ وفي التفسير : « فسام : فقارع . ومن المسهبين : من المفلوجين ، يقال منه : أدهض الله حبة فلان فدحضت ، أى أبطلها فبعثت » .

(٤) سورة الأنبياء ٨٧ . (٥) سورة الصافات ١٤٣ - ١٤٥ .

من اللبن ؛ حتى رجعت إليه قُوته . ثم رجع ذات يوم إلى الشجرة ٧٨٧/١ فوجدها قد يبست ، فحزن وبكى عليها ، فعوتب فقبل له : أحزنت على شجرة ، وبكيت عليها ولم تحزن على مائة ألف أو زيادة أردت هلاكهم جميعاً !

ثم إن الله اجتباه من الضلالة ، فجعله من الصالحين ، ثم أمر أن يأتي قومه ويخبرهم أن الله قد تاب عليهم . فعمد إليهم ، حتى لقي راعياً ، فسأله عن قوم يونس وعن حالهم ، وكيف هم ؟ فأخبره أنهم بخير ، وأنهم على رجاء أن يرجع إليهم رسولهم ، فقال له : فأخبرهم أنتى قد لقيت يونس . فقال : لا أستطيع إلا بشاهد ، فسمي له عنراً من غنمه ، فقال : هذه تشهد لك أنك قد لقيت يونس ، قال : وماذا ؟ قال : وهذه البقعة التي أنت فيها تشهد لك أنك قد لقيت يونس . قال : وماذا ؟ قال : وهذه الشجرة تشهد لك أنك قد لقيت يونس . وإنه رجع الراعى إلى قومه فأخبرهم أنه لقي يونس فكذبوه وهموا به شراً ، فقال : لاتعجلوا على حتى أصبح ، فلما أصبح غدآ بهم إلى البقعة التي لقي فيها يونس فاستنطقها ، فأخبرته أنه لقي يونس . وسأل العتر ، فأخبرتهم أنه لقي يونس ، واستنطقوا الشجرة ، فأخبرتهم أنه قد لقي يونس . ثم إن يونس أتاهم بعد ذلك . قال :

﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ • فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾^(١)

حدثني الحسين بن عمرو بن محمد العنقري^(٢) ، قال : حدثنا أبي ، عن

٧٨٨/١ إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون الأودي ، قال : حدثنا ابن مسعود في بيت المال ، قال : إن يونس كان وعد قومه العذاب ، وأخبرهم أنه يأتيهم إلى ثلاثة أيام ، ففرقوا بين كل والدة وولدها ، ثم خرجوا فجأروا إلى الله ، واستغفروه ، فكف الله عنهم العذاب ، وغدا يونس ينتظر العذاب ، فلم ير شيئاً ، وكان من كذب ولم يكن^(٣) له بيّنة قتل

(١) سورة الصافات ١٤٧ ، ١٤٨ .

(٢) ط : « البقري » ، والصواب ما في الباب لابن الأثير وانظر التصويبات .

(٣) ت : « تكن » .

فانطلق مغاضباً ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ﴾ ، قال : ظلّمة بطن الحوت ، وظلمة الليل ، وظلمة البحر .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عمّن حدثه عن عبد الله بن رافع ، مولى أم سلمة زوج ^(١) النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما أراد الله حبس يونس في بطن الحوت أوحى الله إلى الحوت أن خذّه ولا تخذش له لحمًا ، ولا تكسر عظمًا ، فأخذه ، ثم هوى به إلى مسكنه من البحر . فلما انتهى به إلى أسفل البحر ، سمع يونس حسًا ، فقال في نفسه : ما هذا ؟ فأوحى الله إليه وهو في بطن الحوت : إنّ هذا تسبيح دوابّ البحر . قال : فسبح وهو في بطن الحوت ، قال : فسمعت الملائكة تسبيحه ، فقالوا : يا ربنا ، إنا لنسمع صوتًا ضعيفًا بأرض غريبة . قال : ذلك عبدى يونس ، عصاني فحبسته في بطن الحوت في البحر ، قالوا : العبد الصالح الذي كان يصعد إليك منه في كلّ يوم وليلة عمل صالح ! قال : نعم ، قال : فشفعوا له عند ذلك . فأمير الحوت ، فقفه في الساحل كما قال الله : ﴿ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾ ، وكان سقمه الذي وصفه الله به ، أنه ألقاه الحوت على الساحل كالصبي المنفوس ^(٢) ، قد بشير ^(٣) اللحم والعظم ^(٤) .

٧٨٩/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق . عن يزيد ابن زياد ، عن عبد الله بن أبي سلمة ، عن سعيد بن جبّير ، عن ابن عباس ، قال : خرج به - يعني الحوت - حتى لفظه في ساحل البحر ، فطرحة مثل الصبي المنفوس ، لم ينقص من خلقه شيء .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب . قال : حدثني أبو صخر .

(١) كذا في ت ، وفي ط : « زوجة » . (٢) المنفوس : حديث العهد بالولادة .
(٣) ت : « نشر » ، والتفسير « نشر » . (٤) الخبر في التفسير ٢٣ : ٦٧ (بولاق) .
وفي ط : « تشر » .

قال : أخبرني ابن قُسيَط أنه سمع أبا هريرة يقول : طُرح بالعراء ، فأُنبت الله عليه يقطينةً ، فقلنا : يا أبا هريرة ، وما اليقطينة ؟ قال : شجرة الدُّباء ، هيأ الله له أرويةً^(١) وحشيةً ، تأكل من حشاش^(٢) الأرض - أو هشاش الأرض - فتفشع^(٣) عليه ، فتُرويه من لبنها كلَّ عشيةً وبُكرةً ، حتى نبت^(٤) .

• • •

ومما كان أيضاً في أيام ملوك الطوائف :

-
- (١) الأروية ، بالضم والكسر : أنثى الوعول .
 (٢) حشاش الأرض وهشاشها : يابس النبات .
 (٣) يقال : فشحت الدابة ، إذا فرجت ما بين رجليها .
 (٤) الخبر في التفسير ٢٣ : ٦٦ (بولاق) .

إرسال الله رسله الثلاثة

الذين ذكرهم في تنزيهه ، فقال : ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ ۚ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ۚ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ ﴾ ،^(١) الآيات التي ذكرت على ذكره في خبرهم .

• • •

واختلف السلف في أمرهم ، فقال بعضهم : كان هؤلاء الثلاثة - الذين ذكرهم الله في هذه الآيات ، وقص فيها خبرهم - أنبياء ورسلا أرسلهم إلى بعض ملوك الروم ، وهو أنطيوخس ، والقريه التي كان فيها هذا الملك الذي أرسل الله إليه فيها هؤلاء الرسل أنطاكية .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : كان من حديث صاحب «يس» - فيما حدثنا محمد بن إسحاق - قال : مما بلغه عن كعب الأحبار ، وعن وهب بن منبه اليماني ، أنه كان رجلاً من أهل أنطاكية ، وكان اسمه حبيباً وكان يعمل الحرير ، وكان رجلاً سقيماً قد أسرع فيه الجذام ، وكان منزله عند باب من أبواب المدينة قاصياً ، وكان مؤمناً ذا صدقة ، يجمع كسبه إذا أمسى - فيما يذكر - فيقسمه نصفين ، فيطعم نصفاً عياله ، ويتصدق بنصف ، فلم يهتئ سقماً ولا عمله ولا ضعفه حين طهر قلبه ، واستقامت فطرته ، وكان بالمدينة التي هو بها ، مدينة أنطاكية ، فرعون من الفراعنة يقال له أنطيوخس بن أنطيوخس^(٢) ، يعبد الأصنام ، صاحب شرك

(١) سورة يس ١٣ وما بعدها .

(٢) التفسير : « أبليخس » .

فبعث الله المرسلين ، وهم ثلاثة : صادق وصدوق وشلوم^(١) ، فقدم الله إليه ٧٩١/١
وإلى أهل مدينته^(٢) منهم اثنين ، فكذبوهما ، ثم عزز الله بثالث .

وقال آخرون : بل كانوا من حواريتي عيسى بن مريم ، ولم يكونوا رسلاً
لله ، وإنما كانوا رسل عيسى بن مريم ، ولكن إرسال عيسى بن مريم إليهم .
لما كان عن أمر الله تعالى ذكره إياه بذلك ، أضيف إرساله إليهم إلى الله ، فقيل :
﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ ﴾ .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا بيشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، قال : حدثنا سعيد ،
عن قتادة ، قوله : ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا
الْمُرْسَلُونَ ، إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا
إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴾ . قال : ذكر لنا أن عيسى بن مريم بعث رجلين
من الحواريتين إلى أنطاكية ، مدينة بالروم : فكذبوهما ، فأعزهما بثالث ،
﴿ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ . . . ﴾ ، الآية .

• • •

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق ، فلما دعت الرسل ، ونادته بأمر
الله ، وصدعت بالذي أمرت به ، وعابت دينهم وما هم عليه ، قال [أصحاب
القرية] ^(٣) لهم : ﴿ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ^(٤) . قالت لهم الرسل : ﴿ طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ ﴾ ، أي أعمالكم ،
﴿ أَئِن زُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ . فلما أجمع هو وقومه على قتل
الرسل بلغ ذلك حبيباً^(٥) ، وهو على باب المدينة الأقصى ، فجاء بسعي إليهم ٧٩٢/١

(١) التفسير : « سلوم » .

(٢) ح ، ل : « المدينة » .

(٣) زيادة يقتضها السياق . (٤) الخبر إلى هنا في التفسير ٢٢ : ١٠١ (بولاق)

(٥) قال في التفسير : « اسمه - فيما ذكر - حبيب بن مري » .

يذكركم الله ، ويدعوهم إلى اتباع المرسلين ، فقال : ﴿ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ .
 اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ . أى لا يسألونكم أموالكم على
 ما جاءوكم به من الهدى ، وهم لكم ناصحون فاتبعوهم تهتدوا بهداهم .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد : قال : حدثنا سعيد ، عن
 قتادة ، قال : لما انتهى - يعنى حبيباً - إلى الرسل ، قال : هل تسألون على هذا
 من أجر ؟ قالوا : لا ، فقال عند ذلك : ﴿ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ .
 اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ .

• • •

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق : ثم ناداهم بخلاف ما هم عليه
 من عبادة الأصنام ، وأظهر لهم دينه وعبادة ربه ، وأخبرهم أنه لا يملك نفعه
 ولا ضره غيره ، فقال : ﴿ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ .
 أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونَ ﴾ .

أى آمنت بربكم ، الذى كفرتم به ، فاسمعوا قولى . فلما قال لهم ذلك وثبوا عليه
 وثبة رجل واحد فقتلوه ، واستضعفوه لضعفه وسقمه ، ولم يكن أحد يدفع عنه .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني ابن إسحاق ، عن
 بعض أصحابه ، أن عبد الله بن مسعود كان يقول : وطئوه بأرجلهم ، حتى
 خرج قُصْبُهُ من دُبُرِهِ (١) .

وقال الله له : ادْخُلِ الْجَنَّةَ ، فدخلها حياً يرزق فيها ، قد
 أذهب الله عنه سَقَمَ الدُّنْيَا وحزنها ونصبها ، فلما أفضى إلى رحمة الله وجنته
 وكرامته ، قال : ﴿ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ
 الْمُكْرَمِينَ ﴾ . وغضب الله له لاستضعافهم إياه غضبة لم يسبق [معها] من القوم
 شيئاً فعجل لهم النعمة بما استحلوا منه وقال : ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ
 مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴾ ، يقول : ما كابدناهم بالجموع ،

٧٩٣/١

(١) القصب : المي . والخبر فى التفسير ٢٢ : ١٠٤ (بولاق)

أى الأمر أيسر علينا من ذلك ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴾ . فأهلك الله ذلك الملك وأهل أنطاكيّة ، فبادوا عن وجه الأرض ، فلم يبق منهم باقية .

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الحسن ابن عُمارة ، عن الحكم بن عتيبة ، عن مِقْسَمِ أَبِي الْقَاسِمِ ، مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عباس ، أنه كان يقول : كان اسم صاحب «يس» حبيباً ، وكان الجندام قد أسرع فيه .

حدّثنا ابن بشر ، قال : حدّثنا مُؤَمَّلٌ ، قال : حدّثنا سفيان ، عن عاصم الأحول ، عن أبي مخنف ، قال : كان اسم صاحب «يس» حبيب بن مرى .

• • •

وكان فيهم (١) :

(١) أى فيمن كان في زمان ملوك الطوائف .

شمسون

وكان من أهل قرية من قرى الروم ؛ قد هداه الله لرشده ، وكان قومه
 أهل أوثان يعبدونها فكان^(١) من خبره وخبرهم - فيما ذكر - ما حدثنا ابن
 حميد ، قال : حدثنا سلسمة ، عن ابن إسحاق ، عن المغيرة بن أبي لبيد ،
 عن وهب بن منبه اليماني : أن شمسون كان فيهم رجلاً مسلماً ، وكانت
 أمه قد جعلته نذيرة^(٢) ، وكان من أهل قرية من قراهم ، كانوا كفاراً يعبدون
 الأصنام ، وكان منزله منها على أميال غير كثيرة ، وكان يغزوهم وحده
 ويجاهدهم في الله ، فيصيب منهم وفيهم حاجته ، فيقتل ويَسْبِي . ويصيب
 المال ، وكان إذا لقيتهم لقيهم بلحني بعير لا يلقاهم بغيره ، فإذا قاتلوه
 وقتلهم ، وتعب وعطش انفجر له من الحجر الذي مع^(٣) الآحني ماء عذب
 فيشرب منه حتى يروى ، وكان قد أعطي قوة في البطش ، وكان لا يوثقه
 حديد ولا غيره ، وكان على ذلك يجاهدهم في الله ويغزوهم ، ويصيب منهم
 حاجته ، لا يقدرون منه على شيء ؛ حتى قالوا : لن تأتوه إلا من قبل امرأته ،
 فدخلوا على امرأته ، فجعلوا لها جُعللاً ، فقالت : نعم أنا أوثيقه لكم ، فأعطوها
 حبلاً وثيقاً ، وقالوا : إذا نام فأوثقي يده إلى عنقه حتى نأتيه فنأخذنه . فلما
 نام أوثقت يده إلى عنقه بذلك الحبل ، فلما هبَّ جلدبه بيده ، فوقع من عنقه ،
 فقال لنا : لم فعلت ؟ فقالت : أجرب به قوتك ، ما رأيتُ مثلك قط !
 فأرسلت إليهم أني قد ربطته بالحبل فلم أغن عنه شيئاً ، فأرسلوا إليها بجامعة
 من حديد ، فقالوا : إذا نام فاجعليها في عنقه ، فلما نام جعلتها في عنقه ،
 ثم أحكمتها ، فلما هبَّ جلدبها ، ف وقعت من يده ومن عنقه ، فقال لها : لم
 فعلت هذا ؟ قالت : أجرب به قوتك ؛ ما رأيتُ مثلك في الدنيا يا شمسون !

٧٩٤/١

٧٩٥/١

(١) ل : « وإنما كان » .

(٢) النذيرة : الابن يجعله أبواه قيماً أو خادماً للكنيسة أو المعبد .

(٣) ط : « في » وما أثبتته من ل .

أما في الأرض شيء يغلبك ! قال : لا ، إلا شيء واحد ، قالت : وما هو ؟
قال : ما أنا بمخبيرك به ، فلم تزل به تسأله عن ذلك - وكان ذا شعر كثير -
فقال لها : ويحك ! إن أمي جعلتني نذيرة^(١) ، فلا يغلبني شيء أبداً ، ولا يضبطني
إلا شعري فلما نام أوثقت يده إلى عنقه بشعر رأسه ، فأوثقه ذلك ، وبعثت
إلى القوم ، فجاءوا فأخذوه ، فجدعوا أنفه وأذنيه ، وفتقوا عينيه ، ووقفوه للناس
بين ظهراي المئذنة - وكانت مئذنة ذات أساطين ، وكان ملكهم قد أشرف
عليها بالناس لينظروا إلى شمسون ، وما يصنع به - فدعا الله شمسون حين مثلوا
به ووقفوه أن يسلطه عليهم ، فأمر أن يأخذ بعمودين^(٢) من عمُد المئذنة التي
عليها الملك والناس الذين معه فيجذبهما ، فجذبهما فردّ الله عليه بصره
وما أصابوا من جسده ، ووقعت المئذنة بالملك ومنّ عليها من الناس ؛ فهلكوا
فيها هدمًا .

(١) ط : « نذيراً » وانظر الحاشية رقم ٢ في الصفحة السابقة .

(٢) ل : « العمودين » . ابن الأثير : « عمودين » .

ذكر خبر جرجيس

وكان جرجيس - فيما ذكر - عبداً لله صالحاً من أهل فلسطين ، ممن أدرك بقايا من حواريتي عيسى بن مريم ، وكان تاجراً يكسب بتجارته ما يستغني به عن الناس ، ويعود بالفضل على أهل المسكنة . وإنته تجهز مرة إلى ملك الموصل ، كما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن وهب بن منبه وغيره من أهل العلم : أنه كان بالموصل داذانه^(١) ، وكان قد ملك الشام^(٢) كله ، وكان جبّاراً عاتياً لا يطيقه إلا الله تعالى . وكان جرجيس رجلاً صالحاً من أهل فلسطين ، وكان مؤمناً بكم إيمانه في عصبه معه صالحين ، يستخفون بإيمانهم ، وكانوا قد أدركوا بقايا من الحواريتين فسمعوا منهم ، وأخذوا عنهم . وكان جرجيس كثير المال . عظيم التجارة ، عظيم الصدقة ، فكان يأتي عليه الزمان يتلّف ماله في الصدقة حتى لا يبتى منه شيء ؛ حتى يصير فقيراً ، ثم يضرب الضربة فيصيب مثل ماله أضعافاً مضاعفة ؛ فكانت هذه حاله في المال . وكان إنما يرغب في المال ، ويعمره ويكسبه من أجل الصدقة ؛ لولا ذلك كان الفقراً مأحباً إليه من الغنى .

وكان لا يأمن ولاية المشركين عليه مخافة أن يؤذوه في دينه ، أو يفتنوه عنه ؛ فخرج يؤم ملك الموصل ، ومعه مال يريد أن يهديه له ؛ لئلا يجعل لأحد من تلك الملوك عليه سلطاناً دونه ؛ فجاءه^(٣) حين جاءه ، وقد برز في مجلس له ، وعنده^(٤) عظماء قومه وملوكهم ؛ وقد أوقد ناراً ، وقرب أصنافاً من أصناف العذاب الذي كان يعذب به ممن خالفه ، وقد أمر بصنم يقال له : « أفلاتون » فنُصب ؛ فالناس يعرضون عليه ، فمن لم يسجد له ألقى في تلك النار ، وعذب بأصناف ذلك العذاب . فلما رأى جرجيس ما يصنع فطّيع به

(١) ل : « داذايه » .

(٢) ل : « دان له » .

(٣) ل : « فجاء » ، وكذلك في ابن الأثير .

(٤) ل : « عنده » ، بدون واو .

وأعظمه، وحدثت نفسه بجهاده ، وألقى الله في نفسه بُغْضَه ومُحَارَبَتَه ، فعمد إلى المال الذي أراد أن يهديه له فقسّمه في أهل ميلته حتى لم يبق منه شيئاً ؛ وكره أن يجاهده بالمال ، وأحبّ أن يلقى ذلك بنفسه ؛ فأقبل عليه عند ما كان أشدّ غضباً وأسفاً ، فقال له : اعلم أنك عبد مملوك لا تملك لنفسك شيئاً ولا لغيرك ، وأنّ فوقك ربّاً هو الذي يملكك وغيرك ، وهو^(١) الذي خلّقك ورزقك ، وهو الذي يُحييك ويميتك ، ويضرك وينفعك ، وأنت^(٢) قد عمدت إلى خلق من خلقه - قال له : كن فكان - أصمّ أبكم ، لا ينطق ولا يبصر ولا يسمع ، ولا يضرب ولا ينفع ، ولا يغني عنك من الله شيئاً ، فزيتته بالذهب والفضة لتجعله فتنة للناس ، ثم عبّدته دون الله ، وأجبرت عليه عباد الله ، ودعوته ربّاً .

فكلم الملك جرجيسُ بنحو هذا ، من تعظيم الله وتمجيده ، وتعريفه أمر الصنم ، وأنه لا تصلح عبادته . فكان من جواب الملك إياه مسألته إياه عنه ، ومنّ هو ؟ ومن أين هو ؟ فأجابه جرجيس أن قال : أنا عبد الله وابن عبده وابن أمته ، أذلُّ عباده وأفقرهم إليه ، من التراب خلّقت ، وفيه أصير . وأخبره ما الذي جاء به وحاله . وإنه دعا ذلك الملك جرجيسُ إلى عبادة الله ورفض عبادة الأوثان . وإنّ الملك دعا جرجيسَ إلى عبادة الصنم الذي يعبده ، وقال : لو كان ربك الذي تزعم أنه ملك الملوك كما تقول ، لرأيت عليك أثره كما ترى أثري على من حولي من ملوك قومي .

فأجابه جرجيس بتمجيد الله وتعظيم أمره . وقال له - فيما قال : أين تجعل طرقلينا^(٣) ، وما نال^(٤) بولايتك ؛ فإنه عظيم قومك ، من إلياس ، وما نال إلياس بولاية الله ! فإنّ إلياس كان بدؤه آدمياً يأكل الطعام ، ويمشي في الأسواق ، فلم تتناه به كرامة الله حتى أنبت له الريش ، وألبسه النور ،

(١) ل : « هو » من غير واو .

(٢) ت : « وإنك » .

(٣) ت : « طرقلينا » .

(٤) ل : « ما نال » .

فصار إنسياً ملكياً ، سمانياً أرضياً ، يطير مع الملائكة . وحدّثني : أين تجعل مجليطيس ، وما نال بولايتك : فإنه عظيم قومك ، من المسيح بن مريم وما نال بولاية الله ! فإن الله فضله على رجال العالمين ، وجعله وأمه آية للمعتبرين . ثم ذكر من أمر المسيح ما كان الله خصه به من الكرامة . وقال أيضاً : وحدّثني : أين تجعل أمّ هذا الروح الطيب التي اختارها الله لكلمته ، وطهر جوفها لروحه ، وسودها على إمانه ؟ فأين تجعلها وما نالت بولاية الله ، من أزييل وما نالت بولايتك ؟ فإنها إذ^(١) كانت من شيعتك وملتك أسلمها الله عند عظيم ملكها إلى نفسها ، حتى اقتحمت عليها الكلاب في بيتها ، فانتهست لحمها وولغت دمها ، وجرت الثعالب^(٢) والضباع أوصالها ! فأين تجعلها وما نالت بولايتك من مريم ابنة عمران وما نالت بولاية الله !

٧٩٩/١

فقال له الملك : إنك لتحدّثنا عن أشياء ليس لنا بها علم ، فأثنى بالرجلين اللذين ذكرت أمرهما ، حتى أنظر إليهما ، وأعتبر بهما ؛ فأني أنكر أن يكون هذا في البشّر .

فقال له جرجيس : إنما جاءك الإنكار من قبل الغيرة^(٣) بالله ، وأما الرجلان فلن تراهما ولن يرياك ؛ إلا أن تعمل بعملهما ، فتنزل منازلهما . فقال له الملك : أمّا نحن فقد أعذرنا إليك ، وقد تبين لنا كذبك ، لأنك فخرت بأمور عجزت عنها ، ولم تأت بتصديقها . ثم خيّر الملك جرجيس بين العذاب وبين السجود لأفلتون ، فيشيبه !

فقال له جرجيس : إن كان أفلتون هو الذي رفع السماء - وعدّد عليه أشياء من قدرة الله - فقد أصبت ونصحت [لى]^(٤) ، وإلا فاخسأ أيتها النجس الملعون !

فلما سمعه الملك يسبه ويسب آلهته غضب من قوله غضباً شديداً ، وأمر بخشبة فنصبت له للعذاب ، وجعلت عليه أمشاط الحديد ، فخدش بها

(١) في الأصول : « إذا » .

(٢) زاد في ل : « إليه » .

(٣) الغرة ، بالكسر : الجهل .

(٤) تكلّة من ل .

جسده حتى تقطع لحمه وجلدُهُ وعروقه ، ينضح خلال ذلك بالخلّ والخردل .
 فلما رأى ذلك لم يقتله ، أمر بستة مسامير من حديد فأحميت حتى إذا جعلت
 ٨٠٠/١ ناراً ، أمر بها فسمّر بها رأسه حتى سال منه دماغه . فلما رأى ذلك لم يقتله ،
 أمر بمحوض من نحاس ، فأوقد عليه حتى إذا جعله ناراً أمر به فأدخل في
 جوفه ، وأطبق عليه ، فلم يزل فيه حتى برّد حرّه .

فلما رأى ذلك لم يقتله ، دعا به فقال : ألم تجد ألم هذا العذاب الذي تعذب به !
 فقال له جرجيس : أمّا أخبرتك أنّ لك ربّاً هو أولّى بك من نفسك !
 قال : بلى قد أخبرتنى ، قال : فهو الذي حمّل عنّي عذابك ، وصبرني
 ليحتجّ عليك . فلما قال له ذلك أيقن بالشرّ ، وخافه على نفسه ومملكته .
 وأجمع رأيه على أن يخلّده في السجن ، فقال الملائكة من قومه : إنك إن تركته
 طليقاً يكلّم الناس أو شك أن يميل بهم عليك ، ولكن مرّ له بعذاب في السجن
 يشغله عن كلام الناس . فأمر فبسطح في السجن على وجهه ، ثم أوّدت في يديه
 ورجليه أربعة أوتاد من حديد ، في كل ركن منها وتيد ، ثم أمر بأسطوان^(١)
 من رخام ، فوضع على ظهره . حمّل ذلك الأسطوان سبعة رجال فلم يقدّوه ، ثم
 أربعة عشر رجلاً فلم يقدّوه ، ثم ثمانية عشر رجلاً فأقدّوه ؛ فظلّ يومه ذلك
 موتداً تحت الحجر .

فلما أدركه الليل أرسل الله إليه ملكاً - وذلك أوّل ما أبدّ بالملائكة ،
 وأوّل ما جاءه الوحي - فقلع^(٢) عنه الحجر ، ونزع الأوتاد من يديه ورجليه ،
 وأطعمه وسقاه ، وبشّره وعزّاه ، فلما أصبح أخرجه من السجن ، وقال له :
 الحقّ بعدوك فجاهده في الله حقّ جهاده ؛ فإنّ الله يقول لك : أبشّر واصبر ؛
 فإنّي ابتليك بعدوى هذا سبع سنين ، يعذبك ويقتلك فيهنّ أربع مِرار ، في
 ٨٠١/١ كل ذلك أردت إليك روحك ؛ فإذا كانت القنلة الرابعة تقبلت روحك وأوفيتك
 أجرك . فلم يشعر الآخرون إلاّ وقد وقف جرجيس على رؤسهم يدعّونهم إلى الله .
 فقال له الملك : أجزجيس ! قال : نعم ، قال : منّ أخرجك من السجن ؟

(١) ل : « أسطوانة » .

(٢) كذا في ابن الأثير ؛ وفي الأصول « فقطع » .

قال : أخرجني الذي سلطانه فوق سلطانك . فلما قال له ذلك ملء غيظاً ، فدعا بأصناف العذاب حتى لم يخلف منها شيئاً ، فلما رآها جرجيس تُصنّف له ، أوجس في نفسه خيفة وجزعاً ، ثم أقبل على نفسه يعاتبها بأعلى صوته ، وهم يسمعون . فلما فرغ من عتابه نفسه مدّوه بين خشبتين ، ووضعوا عليه سيفاً على مفرق رأسه ، فوشروه^(١) حتى سقط بين رجليه ، وصار جزلتين^(٢) ، ثم عمدوا إلى جزلتيه ، فقطعوها قطعاً . وله سبعة أسدضارية في جُب ، وكانت صنفاً من أصناف عذابه ، ثم رموا بجسده إليها ، فلما هوى نحوها أمر الله الأسد فخفضت برؤوسها وأعناقها ، وقامت على براثنها ، لا تألو أن تقيه الأذى ؛ فظلّ يومه ذلك ميتاً ، فكانت أول ميتة ذاقها . فلما أدركه الليل جمع الله له جسده الذي قطعوه بعضه على بعض ، حتى سواه . ثم ردّ فيه روحه وأرسل ملكاً فأخرجه من قعر الجُب ، وأطعمه وسقاه ، وبشّره وعزّاه . فلما أصبحوا قال له الملك : يا جرجيس ، قال : لبّيك ! قال : اعلم أن القدرة التي خلّق آدم بها من تراب هي التي أخرجتك من قعر الجُب . فالحق بعدوك ثم جاهده في الله حقّ جهاده ، وموت الصابرين .

٨٠٢/١

فلم يشعر الآخرون إلاّ وقد أقبل جرجيس ، وهم عكوف على عيد لم قد صنعوه فرحاً - زعموا بموت جرجيس - فلما نظروا إلى جرجيس مقبلاً ، قالوا : ما أشبه هذا بجرجيس ! قالوا : كأنه هو ؟ قال الملك : ما بجرجيس من خفاء ، إنه هو ! ألا ترون إلى سكون ريمه ، وقلة هيئته . قال جرجيس : بلى ، أنا هوحناً ! بشس القوم أنتم ! قتلتم ومثلتم ، فكان الله سوحقاً له - خيراً وأرحم منكم . أحياني وردّ على روعي . هلمّ إلى هذا الربّ العظيم الذي أراكم ما أراكم . فلما قال لهم ذلك ، أقبل بعضهم على بعض ، فقالوا : ساحر سحر أيديكم وأعينكم عنه . فجمعوا له منّ كان ببلادهم من السحرة ، فلما جاء السحرة ، قال الملك لكبيرهم : اعرض على من كبير سحرك ما تُسرّي به عنّي ، قال له : ادع لي بثور من البقر ، فلما أتى به نفث في إحدى أذنيه فانشقت باثنتين ، ثم نفث في الأخرى ؛ فإذا هو ثوران ، ثم أمر ببذر فحرث وبذر ، ونبت

(١) ت : فشره ، وها بمعنى .

(٢) يقال : قطعه جزلتين ، أي نصفين .

الزروع ، وأينع وحصد ، ثم داس وذرى ، وطحن وعجن ، وخبزَ وأكل ذلك في ساعة واحدة كما ترون ! قال له الملك : هل تقدر على أن تمسخه لي^(١) دابة ؟ قال الساحر : أى دابة أمسخه لك ؟ قال : كلباً ، قال : ادعُ لي بقَدح من ماء ، فلما أتى بالقدح نفث فيه الساحر ، ثم قال للملك : اعزم عليه أن يشربه ، فشربه جرجيس حتى أتى على آخره ، فلما فرغ منه قال له الساحر : ماذا تجد ؟ قال : ما أجدر إلا خيراً ، قد كنت عطشت فلطفت الله لي بهذا الشراب ، فقواتى به عليكم . فلما قال له ذلك أقبل الساحر على الملك فقال : اعلم أيها الملك ، أنك لو كنت تقاسى رجلاً مثلك إذا كنت غلبته ، ولكنك تقاسى جبار السموات . وهو الملك الذى لا يُرام !

وقد كانت امرأة مسكينة ، سمعت بجرجيس وما يصنع من الأعاجيب ، فأتته وهو فى أشد ما هو فيه من البلاء ، فقالت له : يا جرجيس ، إننى امرأة مسكينة ، لم يكن لي مال ولا عيش إلا ثور كنت أحرت عليه فمات ، وجئتك لترحمتى وتدعوا الله أن يُحىي لي ثورى . فذرفت عيناه . ثم دعا^(٢) الله أن يحيى لها ثورها ، وأعطاها عصا ، فقال : اذهبي إلى ثورك ، فاقرعيه بهذه العصا وقولى له : احى باذن الله . فقالت : يا جرجيس مات ثورى منذ أيام ، وتفرقت السباع ، وبينى وبينك أيام ، فقال : لو لم تجدى منه إلا سنّاً واحدة ثم قرعتها بالعصا لقام باذن الله . فانطلقت حتى أتت مصرع ثورها . فكان أول شيء بدا لها من ثورها أحد روقيه^(٣) وشعر ذنبه ، فجمعت أحدهما إلى الآخر ، ثم قرعتها بالعصا التى أعطاهما ، وقالت كما أمرها ، فعاش ثورها ، وعمدت عليه حتى جاءهم الخبر بذلك .

فلما قال الساحر للملك ما قال ، قال رجل من أصحاب الملك - وكان أعظمهم بعد الملك : اسمعوا منى أيها القوم أحدثكم ، قالوا : نعم ، فتكلم ، قال : إنكم قد وضعتم أمر هذا الرجل على السحر ، وزعمتم أنه سحر أيديكم عنه وأعينكم . فأراكم أنكم تعذبونه ، ولم يصل إليه عذابكم ! وأراكم أنكم

(١) ت : « تمسخ لي هذا » .

(٢) ل : « ودعا » .

(٣) الروق : القرن من كل ذى قرن .

قد قتلتموه فلم يمّت ، فهل رأيتم ساحراً قطّ قدّر أن يدرأ عن نفسه الموت ، أو أحياً ميتاً قطّ ! ثم قصّ عليهم فعل جرجيس ، وفعلهم به ، وفعله بالثور وصاحبته ، واحتجّ عليهم بذلك كله ، فقالوا له : إنّ كلامك لكلام رجل قد أصغى إليه ، قال : ما زال أمره لي معجباً منذ رأيت منه ما رأيت ، قالوا له : فلعله استهواك ! قال : بل آمنت وأشهدُ الله أنّي برىء مما تعبدون . فقام إليه الملك وصحابته بالحناجر ، فقطعوا لسانه ، فلم يلبث أن مات ، وقالوا : أصابه الطاعون ، فأعجله الله قبل أن يتكلّم .

فلما سمع الناس بموته أفرغهم ، وكنتموا شأنه ، فلما رآهم جرجيس يكتمونونه برز للناس ، فكشف لهم أمره ، وقصّ عليهم كلامه ، فاتبعه على كلامه أربعة آلاف وهو ميت ، فقالوا : صدق ، ونعم ما قال ! يرحمه الله ! فعمد إليهم الملك فأوثقهم ، ثم لم يزل يلوّن لهم العذاب ويقتلهم بالمشلات^(١) . حتى أفناهم .

فلما فرغ منهم أقبل على جرجيس ، فقال له : هلاّ دعوت ربك . فأحيا لك أصحابك ، هؤلاء الذين قتلوا بجريرتك ! فقال له جرجيس : ما خلّني بينك وبينهم حتى خار لهم^(٢) . فقال رجل من عظمائهم يقال له مجيطيس : إنك زعمت يا جرجيس أنّ إهلك هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده ، وإنّني سأثلك أمراً إن فعله إهلك آمنت بك وصدقتك . وكفيتك قومي هؤلاء ؛ هذه تحتنا أربعة عشر منبراً حيث ترى ، ومائدة^١ بيننا عليها أقداح وصحاف ، وكلّ صنع من الخشب اليابس ، ثم هو من أشجار شتى ؛ فادع ربك ينشئ هذه الآنية وهذه المنابر ، وهذه المائدة ، كما بدأها أوّل مرّة ؛ حتى تعود خضراً نعرف كلّ عود منها بلونه وورقه وزهره وثمره .

فقال له جرجيس : قد سألت أمراً عزيزاً علىّ وعليك ؛ وإنه على الله لهيّن . فدعا ربه ، فما برحوا مكانهم حتى اخضرت تلك المنابر ، وتلك الآنية كلّها ، فساخت عروقها ، وألبست اللحاء ، وتشعبت ، ونبت ورقها وزهرها وثمرها ؛ حتى عرفوا كلّ عود منها باسمه ولونه وزهره وثمره .

فلما نظروا إلى ذلك انتدب له مجيطيس ، الذي تمنى عليه ما تمنى ،

(١) المثلات : العقوبات .

(٢) ت : و جازاهم .

فقال : أنا أعذب لكم هذا الساحر عذاباً يضلّ عنه كيده . فعمد إلى نحاس فصنع منه صورة ثور جوفاء واسعة ، ثم حشاها نيفطاً ورضاصاً وكبريتاً وزرنيخاً ، ثم أدخل جرجيس مع الحشو في جوفها ، ثم أوقد تحت الصورة ، فلم يزل يُوقد حتى التهبت الصورة ، وذاب كل شيء فيها واختلط ، ومات جرجيس في جوفها . فلما مات أرسل الله ريحاً عاصفاً ، فلأت السماء سحباً أسوداً مظلماً ، فيه رعدٌ لا يفر ، وبرقٌ وصواعقٌ متداركات ، وأرسل الله إعصاراً فلأت بلادهم عجاجاً وقتاماً ، حتى اسود ما بين السماء والأرض وأظلم ، ومكثوا أياماً متحيرين في تلك الظلمة ، لا يفصلون بين الليل والنهار . وأرسل الله ميكائيل فاحتمل الصورة التي فيها جرجيس ، حتى إذا أقلتها ضرب بها الأرض ضرباً ، فزع من روعته أهل الشام أجمعون ، وكلّهم يسمعه في ساعة واحدة ؛ فخرّوا لوجوههم صعّقين من شدة الهول ، وانكسرت الصورة ، فخرج منها جرجيس حيّاً ، فلما وقف يكلّمهم انكشفت الظلمة ، وأسفر ما بين السماء والأرض ، ورجعت إليهم أنفسهم . فقال له رجل منهم يقال له طرقلينا : لا ندرى يا جرجيس أنت تصنع هذه العجائب أم ربك ؟ فإن كان هو الذي يصنعها ، فادعه يُخَي لنا موتانا ، فإن في هذه القبور التي ترى أمواتنا من أمواتنا ، منهم من نعرف ومنهم من مات قبل زماننا ، فادعه يُخَيهم حتى يعودوا كما كانوا ونكلّمهم ، ونعرف من عرفنا منهم ، ومن لا نعرف أخبرنا خبره . فقال له جرجيس : لقد علمت ما يصفح الله عنكم هذا الصفع ، ويُرِيكم هذه العجائب^(١) إلا ليمّ عليكم حججه ، فتستوجبوا بذلك غضبه . ثم أمر بالقبور فنبشت وهي عظام ورُفات ورميم . ثم أقبل على الدعاء فما برحوا مكانهم ؛ حتى نظروا إلى سبعة عشر إنساناً : تسعة رهط وخمس نسوة وثلاثة صبية ؛ فإذا شيخ منهم كبير ، فقال له جرجيس : أيها الشيخ ، ما اسمك ؟ فقال : اسمي يوبيل^(٢) ، فقال : متى ميت ؟ قال : في زمان كذا وكذا ، فحسبوا فإذا هو قد مات منذ أربعمائة عام^(٣) .

(١) ت : « الأعاجيب » .

(٢) ل : « يوسك » .

(٣) ل : « سنة » .

فلما نظر إلى ذلك الملك وصحابته ، قالوا : لم يبق من أصناف عذابكم شيء إلا قد عذبتموه ، إلا الجوع والعطش ، فعذبوه بهما . فعملوا إلى بيت عجوز كبيرة فقيرة ، كان حريزاً ، وكان لها ابنٌ أعمى أبكم مقعد ، فحصره في بيتها فلا يصلُ إليه من عند أحدٍ طعام ولا شراب . فلما بلغه الجوع ، قال ٨٠٧/١ للعجوز : هل عندك طعام أو شراب ؟ قالت : لا والذي يُحلفُ^(١) به ، ما عهدنا بالطعام^(٢) منذ كذا وكذا . . . وسأخرج وأتمس لك شيئاً . قال لها جرجيس : هل تعزفين الله ؟ قالت له : نعم ، قال : فإياه تعبدين ؟ قالت : لا ، قال : فدعها إلى الله فصدقته . وانطلقت تطلب له شيئاً ، وفي بيتها دِعامَة من خشبة يابسة تحمل خشب البيت ، فأقبل على الدعاء ، فما كان كشيء حتى اخضرت تلك الدعامَة ، فأنبئت كلَّ فاكهة تؤكل أو تعرف . أو تسمى حتى كان فيما أنبت اللبَاءُ^(٣) واللوبياء .

قال أبو جعفر : اللبَاءُ نبت بالشام له حبٌ يؤكل . وظهر للدعامَة فرع من فوق البيت أظله وما حوله وأقبلت العجوز ، وهو فيما شاء يأكل رَغداً ؛ فلما رأت الذي حدث في بيتها من بعدها ، قالت : آمنت بالذي أطعمك في بيت الجوع ، فادعُ هذا الربَّ العظيم ليشفيَ ابني ، قاله : أدنيه مني ، فأدنته منه . فبصق في عينيه فأبصر ، فنفت في أذنيه فسمع ، قالت له : أطلق لسانه ورجليه ، رحمتك الله ! قال : أخرجه ؛ فإن له يوماً عظيماً . وخرج الملك يسير في مدينته ، فلما نظر إلى الشجرة ، قال لأصحابه : إني أرى شجرةً بمكان ما كنت أعرفها به ، قالوا له : تلك الشجرة نبتت لذلك الساحر الذي أردت أن تعذبه بالجوع ؛ فهو فيما شاء قد شبع منها ، وشبعت^(٤) الفقيرة وشني لها ابنها . فأمر بالبيت فهدم ، وبالشجرة ليقطع ، فلما هموا بقطعها ٨٠٨/١ أيسها الله تعالى كما كانت أول مرة ، فتركوها ، وأمر بجرجيس فبسط على

(١) ل : تحلف به .

(٢) ت : ما عهدنا من طعام .

(٣) قال في اللسان : الباء : حب أبيض كالحمص شديد البياض يؤكل ، وفي ط : الباء .

(٤) كذا في ل ، وفي ط : أشبعت .

وجهه وأوتد^(١) له أربعة أوتاد ، وأمر بعجل فأوقر أسطواناً ما حمل ، وجعل في أسفل العجل خناجر وشفاراً^(٢) ، ثم دعا بأربعين ثوراً ، فنهضت بالعجل نهضة واحدة ، وجرجيس تحتها ، فتقطع^(٣) ثلاث قطع ، ثم أمر بقطعة فأحرقت بالنار ؛ حتى إذا عادت رماداً بعث بذلك الرماد رجلاً فذروه في البحر ، فلم يبرحوا مكانهم حتى سمعوا صوتاً من السماء يقول : يا بحر ؛ إن الله يأمرك أن تحفظ ما فيك من هذا الجسد الطيب ، فإنني أريد أن أعيده كما كان . ثم أرسل الله الرياح فأخرجته من البحر ، ثم جمعته حتى عاد الرماد صبورة كهيئته قبل أن يذروه ، والذين ذروه قيام لم يبرحوا . ثم نظروا إلى الرماد يثور كما كان ، حتى خرج منه جرجيس مغبراً ينفض رأسه ، فرجعوا ، ورجع جرجيس معهم ، فلما انتهوا إلى الملك أخبروه خبر الصوت الذي أحياه ، والريح التي جمعته . فقال له الملك : هل لك يا جرجيس فيما هو خير لي ولك ! فلولاً أن يقول الناس إنك قهرتني وغلبتني لاتبعتك وآمنت بك ؛ ولكن اسجد لأفلتون سجدة واحدة ، أو اذبح له شاة واحدة ، ثم أنا أفعل ما يسرك .

فلما سمع جرجيس هذا من قوله طمع أن يسهل الصنم حين يدخله عليه ، رجاء أن يؤمن له الملك حين يهلك صنمه ، ويئس منه ، فخدعه جرجيس ، فقال : نعم ؛ إذا شئت فأدخلتني على صنمك أسجد له ، وأذبح له ، وفرح الملك بقوله ، فقام إليه فقبتل يديه ورجليه ورأسه ، وقال : إني أعزم عليك ألا تظل هذا اليوم ، ولا تبيت هذه الليلة إلا في بيتي وعلى فراشي ، ومع أهلي حتى تستريح ويذهب عنك وصب العذاب ، فيرى الناس كرامتك علي . فأخلى له بيته ، وأخرج منه من كان فيه . فظل فيه جرجيس ؛ حتى إذا أدركه الليل ، قام بصلتي ، ويقراً الزبور - وكان أحسن الناس صوتاً - فلما سمعته امرأة الملك استجابت له ، ولم يشعر إلا وهي خلفه تبكي معه ، فدعاها

(١) ت : « ووتد » .

(٢) في الأصول : « وأشفاراً » ؛ والصواب ما أثبتته من ابن الأثير .

(٣) ل : « فانقطع » .

جرجيس إلى الإيمان فأمنت ، وأمرها فكنمت إيمانها . فلما أصبح غدا به إلى بيت الأصنام ليسجد لها . وقيل للعجوز التي كان سجن في بيتها^(١) : هل علمت أن جرجيس قد فنن بعدك ، وأصغى إلى الدنيا ، وأطمعه الملك في ملكه ، وقد خرج به إلى بيت أصنامه ليسجد لها ! فخرجت العجوز في أعراضهم . تحمل ابنتها على عاتقها . وتوبخ جرجيس . والناس مشتغلون عنها .

فلما دخل جرجيس بيت الأصنام . ودخل الناس معه ، نظر فإذا العجوز وابنها على عاتقها أقرب الناس منه مقاماً ، فدعا ابن العجوز باسمه ، فنطق بإجابته ، وما تكلم قبل ذلك قط ، ثم اقتحم عن عاتق أمته يمشي على رجله سويتين ، وما وطئ الأرض قبل ذلك قط بقدميه ، فلما وقف بين يدي جرجيس قال : اذهب ، فادع لي هذه الأصنام ، وهي حينئذ على منابر من ذهب ، واحد وسبعون صنماً . وهم يعبدون الشمس والقمر معها ، فقال له الغلام : كيف أقول للأصنام ؟ قال : تقول لها : إن جرجيس يسألك ويعزم عليك بالذي خلدت لك إلا ما جنته^(٢) . فلما قال لها الغلام ذلك ، أقبلت تدحرج إلى جرجيس ، فلما انتهت إليه ركض الأرض برجله ، فحسف بها وبمنابرها ، وخرج إبليس من جوف صنم منها هارباً فرقاً من الحصف . فلما مر بجرجيس ، أخذ بناصيته ، فخضع له برأسه وعنقه ، وكلمه جرجيس فقال له : أخبرني أيتها الروح النجسة ، والخلق الملعون ، ما الذي يملكك على أن تهلك نفسك ، وتهلك الناس معك ، وأنت تعلم أنك وجندك تصيرون إلى جهنم ! فقال له إبليس : لو خيَّرت بين ما أشرقت عليه الشمس ، وأظلم عليه الليل ، وبين هلكة بني آدم وضلالتهم أو واحد منهم طرفة عين ، لاخترت طرفة العين على ذلك كله ؛ وإنه ليقع^(٣) لي من الشهوة في ذلك واللذة مثل جميع ما يتلذذ به جميع الخلق . ألم تعلم يا جرجيس أن الله أسجد لأبيك آدم جميع الملائكة ، فسجد^(٤) له : جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ؛ وجميع الملائكة

(١) ل : « سكن في بيتها » .

(٢) ت : « إلا ما أجته » .

(٣) ل : « يقع » .

(٤) كذا في ل ، وفي ط : « فسجدوا » .

المقربين ، وأهلُ السموات كلَّهم ، وامتنعت من السجود ، فقلت : لا أسجد لهذا الخلق وأنا خير منه ! فلما قال هذا خلاه جرجيس ؛ فما دخل إبليس ٨١١/١ منذ يومئذ جوف صنم ، مخافة الحسف ، ولا يدخله بعدها - فيما يذكرون - أبداً . وقال الملك : يا جرجيس خدعتني وغررتني ، وأهلكت آلهتي ، فقال له جرجيس : إنما فعلت ذلك عمداً لتعتبر ولتعلم أنها لو كانت آلهة كما تقول إذا لامتنعت مني ، فكيف ثققت ويملك بآلهة لم تمنع أنفسها مني ! وإنما أنا مخلوق ضعيف لا أملك إلا ما ملكني ربِّي . قال : فلما قال هذا جرجيس ، كلمتهم امرأة الملك ، وذلك حين كشفت لهم إيمانها ، وباينتهم بدينها ، وعددت عليهم أفعال جرجيس ، والعبير التي أراهم . وقالت لهم : ما تنتظرون من هذا الرجل إلا دعوة فتخسف بكم الأرض فتهلكوا ، كما هلكت أصنامكم . الله الله آيتها القوم في أنفسكم ! فقال لها الملك : ويحك إسكندرة ! ما أسرع ما أضلكت هذا الساحر في ليلة واحدة ! وأنا أقاسيه منذ سبع سنين ؛ فلم يُطق مني شيئاً . قالت له : أمّا رأيت الله كيف يظفره بك . ويسلطه عليك ، فيكون له الفلج والحجة عليك في كل موطن ! فأمر بها عند ذلك فحملت على خشبة جرجيس التي كان علق عليها . فعلقت بها ، وجعلت^(١) عليها الأمشاط التي جعلت على جرجيس . فلما أليمت من وجع العذاب قالت : ادع ربك يا جرجيس يخفف عني ، فإنني قد ألت [من] العذاب فقال : انظري فوقك . فلما نظرت ضحكت . فقال لها : ما الذي يضحكك ؟ قالت : أرى ملكين فوق ، ٨١٢/١ معهما تاج من حنئ الجنة ينتظران به روي أن تخرج ، فإذا خرجت زيناها بذلك التاج ، ثم صعدا بها إلى الجنة ، فلما قبض الله روحها أقبل جرجيس على الدعاء ؛ فقال : اللهم أنت الذي أكرمتني بهذا البلاء ، لتعطيني به فضائل الشهداء ! اللهم فهذا آخر أيامي الذي وعدتني فيه الراحة من بلاء الدنيا ، اللهم فإنني أسألك ألا تقبض روي . ولا أزول من مكاني هذا حتى تنزل بهذا القوم المتكبرين من سطواتك ونقمتك ما لا قبل لهم به ، وما تشفي به صدري ، وتقر به عيني ؛ فإنهم ظلموني وعذبوني . اللهم وأسألك ألا يدعو

(١) ل : « فعلت » .

بعدي داعٍ في بلاء ولا كرب فيذكرني ، ويسألك باسمي إلا فرجت عنه
ورحمته وأجبتة ، وشفعتني فيه .

فلما فرغ من هذا الدعاء ، أمطر الله عليهم النار ، فلما احترقوا عمدوا
إليه فضربوه بالسيوف غيظاً من شدة الحريق ، ليعطيه الله تعالى بالقتلة الرابعة
ما وعده . فلما احترقت المدينة بجميع ما فيها ، وصارت رماداً ، حملها الله من
وجه الأرض حتى أقلتها ، ثم جعل عاليها سافلها ، فلبثت زماناً من الدهر
يخرج من تحتها دخان منتن ، لا يشمه أحد إلا سقم سقماً شديداً. إلا أنها أسقام
مختلفة ، لا يشبه بعضها بعضاً ، فكان جميع من آمن بمرجيس ، وقتل معه
أربعة وثلاثين ألفاً ، وامرأة الملك . رحمها الله !

• • •

ونرجع الآن إلى : ٨١٣/١

ذكر الخبر عن ملوك الفرس وسنى ملكهم

لسياق تمام التاريخ ؛ إذ كنا قد ذكرنا الجلائل من الأمور التي كانت في أيام ملوك الطوائف في الفرس ، وبنى إسرائيل ، والروم ، والعرب ، إلى عهد أردشير .

• • •

[ذكر ملك أردشير بن بابك]

ولما مضى من لدن مملتك الإسكندر أرض بابل في قول النصارى وأهل الكتب الأول خمسمائة سنة وثلاث وعشرون سنة ، وفي قول المجوس مائتان وست وستون سنة ؛ وثب أردشير بن بابك شاه ملك خير بن ساسان الأصغر بن بابك ، بن ساسان بن بابك بن مهرمس بن ساسان بن بهمن الملك بن إسفنديار بن بشتاسب بن كهراسب بن كيوجي بن كيمنش - وقيل في نسبه : أردشير بن بابك بن ساسان بن بابك بن زرار بن بهافرید بن ساسان الأكبر ، بن بهمن بن إسفنديار بن بشتاسب بن كهراسب - بفارس طالباً - بزعمه - بدم ابن عمه دارا بن دارا بن بهمن بن إسفنديار ، الذي حارب الإسكندر ، فقتله حاجباه ، مريدًا - فيما يقول^(١) - رد الملك إلى أهله ، وإلى^(٢) ما لم يزل عليه أيام سلفه وآبائه الذين مضوا قبل ملوك الطوائف ، وجمعه لرئيس واحد وملك واحد .

وذكر أن مولده كان بقريه من قري إصطخر يقال لها طيروده ، من رستاق خير من كورة إصطخر . وكان جدّه ساسان شجاعاً شديداً البطش ، وإنه بلغ من شجاعته وشدة بطشه ، أنه حارب وحده ثمانين رجلاً من أهل إصطخر ، ذوى بأس ونجدة ، فهزمهم . وكانت امرأته من نسل قوم من الملوك ، كانوا بفارس ، يعرفون بالبازرنجين ، يقال لها : رامبهشت ، ذات جمال وكمال ، وكان ساسان قبيحاً على بيت نار إصطخر ، يقال له بيت

(١) ت : « زعمه » . (٢) ت : « على » .

نار آنا هيد، (۱) وكان مغرمًا بالصيد والفرسية، فولدت راميهشت لساسان بابك، وطول شعره حين ولدته أطول من شبر. فلما احتنتك قام بأمر الناس بعد أبيه، ثم ولد له ابنه أردشير.

وكان ملك إصطخر يومئذ رجل من البازرجين، يقال له - فيما حدثت عن هشام بن محمد - جوزهر. وقال غيره: كان يسمى جزهر، وكان له خصي يقال له تيرى، قد صيره أرجبنا (۲) بدارا بتجيرد. فلما أتى لأردشير سبع سنين، سار به أبوه إلى جزهر، وهو بالبيضاء، فوقه بين يديه، وسأله أن يضمه إلى تيرى؛ ليكون ربيبًا له، وأرجبنا من بعده في موضعه. فأجابه إلى ذلك، وكتب بما سأله من ذلك سيجلاً، وصار به إلى تيرى، فقبله أحسن قبول، وتبناه. فلما هلك تيرى تقلد أردشير الأمر، وحسن قيامه به وأعلمه قوم من المنجمين والعرفان صلاح مولده؛ وأنه يملك البلاد. فذكر أن أردشير تواضع واستكان لذلك، ولم يزل يزداد في الخير كل يوم، وأنه رأى في نومه ملكًا جلس إلى رأسه، فقال له: إن الله يملكك البلاد؛ فليأخذ لذلك أهبتة. فلما استيقظ سر بذلك، وأحس من نفسه قوة وشدة بطش، لم يكن يعهد مثله.

وكان أول ما فعل أنه سار إلى موضع من دارا بتجيرد، يقال له جوبانان، فقتل ملكًا كان بها يقال له فاسين (۳). ثم سار إلى موضع يقال له كونس، فقتل ملكًا كان بها يقال له مينوشهر، ثم إلى موضع يقال له لروير (۴)، فقتل ملكًا كان بها يقال له دارا، وملك هذه المواضع قومًا من قبله، ثم كتب إلى أبيه بما كان منه، وأمره بالوثوب بجزهر وهو بالبيضاء، ففعل ذلك، وقتل جزهر وأخذ تاجه، وكتب إلى أردوان البهلوي ملك الجبال وما يتصل بها، يتضرع له ويسأله الإذن في تتويج سابور ابنه بتاج جزهر. فكتب إليه أردوان كتابًا عنيفًا، وأعلمه أنه وابنه أردشير على الخلاف بما كان من

(۱) ت: «نار أهيد»؛ س: «نارهيد».

(۲) وهي أيضاً: «هرجبنا»، وانظر ص ۴۴، س ۱۶.

(۳) ت: «قاسين»، س: «قاسير».

(۴) ت: «لروير»، س: «لزوون».

قتلها من قتلها - فلم يحفل بابك بذلك ، وهلك في تلك الأيام ، فتتوج سابور ابن بابك بالتاج ، وملك مكان أبيه ، وكتب إلى أردشير أن يشخص إليه . فامتنع أردشير من ذلك ، فغضب سابور من امتناعه ، وجمع جموعاً ، وسار بهم نحوه ليحاربه ، وخرج من إصطخر ، فألقى بها عدة من إخوته ، كان بعضهم أكبر سنّاً منه ، فاجتمعوا وأحضروا التاج وسرير الملك ، فسلم الجميع لأردشير ، فتتوج بالتاج ، وجلس على السرير ، وافتتح أمره بقوة وجيد ، ورتب قوماً مراتب ، وصير رجلاً يقال له أبرسام بن رحفر^(١) وزيراً ، وأطلق يده وفوض إليه ، وصير رجلاً يقال له فاهر^(٢) موبدان موبد ، وأحس من إخوته وقوم كانوا معه بالفتك به ، فقتل جماعة منهم كثيرة . ثم أتاه أن أهل دارا بتجيرد قد فسدوا عليه ، فعاد إليها حتى افتتحها بعد أن قتل جماعة من أهلها . ثم سار إلى كرمان ، وبها ملك يقال له : بلاش ، فاقتل وهو قتلاً شديداً ، وقاتل أردشير بنفسه حتى أسر بلاش ، واستولى على المدينة ، فملك أردشير على كرمان ابناً له يقال له أردشير أيضاً .

٨١٧/١

وكان في سواحل بحر فارس ملك يقال له أبتنود ، كان يعظم ويعبد ، فسار إليه أردشير فقتله وقطعه بسيفه نصفين ، وقتل من كان حوله ، واستخرج من مطامير كانت لهم كنوزاً مجموعة فيها ، وكتب إلى ميهرك ، وكان ملك إبراهسان من أردشير خيرة ، وإلى جماعة من أمثاله في طاعته ، فلم يفعلوا ، فسار إليهم ، فقتل ميهرك ، ثم سار إلى جور ، فأستسها ، وأخذ في بناء الجوسق المعروف بالطربال ، وبيت نار هناك .

فبينما هو كذلك إذ ورد عليه رسول الأردوان بكتاب منه ، فجمع أردشير الناس لذلك ، وقرأ الكتاب بحضرتهم ، فإذا فيه : إنك قد عدوت طورك ، واجتلبت حتفك ، أيها الكردي المربى في خيام الأكراد! من أذن لك في التاج الذي لبسته ، والبلاد التي احتويت عليها وغلبت ملوكها وأهلها! ومن أمرك ببناء المدينة التي أسستها في صحراء - يريد جور - مع أنا إن خلتيناك

(١) ت : « زحفر » .

(٢) ت : « قاهر » ، ل : « هاهر » .

وبناءها فابتن في صحراء طولها عشرة فراسخ مدينة ، وسمها رام أردشير
وأعلمه أنه قد وجه إليه ملك الأهواز ليأتيه به في وثاق .

٨١٨/١

فكتب إليه أردشير : إن الله جاني بالتاج الذي لبسته ، وملكتي التي
التي افتتحتها ، وأعانتني على من قتل من الجبابرة والملوك ، وأما المدينة التي
أبنيها وأسميها رام أردشير ، فأنا أرجو أن أمكن منك ، فأبعث برأسك وكنوزك
إلى بيت النار الذي أسسته في أردشير خرة .

ثم شخص أردشير نحو إصطخر ، وخلف أبرسام بأردشير خرة ، فلم
يلبث أردشير إلا قليلا حتى ورد عليه كتاب أبرسام بموافاة ملك الأهواز ، وانصرافه
منكوبا . ثم سار^(١) إلى إصبهان فأمر شاذ سابور ملكها ، وقتله ، ثم عاد إلى
فارس ، وتوجه لمحاربة نيروفر صاحب الأهواز ، وسار إلى الرجان وإلى بنيان^(٢)
وطاشان من رامهرمز ، ثم إلى سرق . فلما سار إلى ما هنالك ، ركب في
رہط من أصحابه ، حتى وقف على شاطئ دجئيل ، فظفر بالمدينة ، وابتنى
مدينة سوق الأهواز ، وانصرف إلى فارس بالغنائم ، ثم ارتحل من فارس راجعا
إلى الأهواز على طريق جيره وكازرون ، ثم صار من الأهواز إلى ميسان ،
فقتل ملكا كان بها يقال له بندو^(٣) ، وبني هنالك كرخ ميسان ، ثم
انصرف إلى فارس ، وأرسل إلى أردوان يرتاد موضعاً يقتلان فيه ، فأرسل إليه
أردوان : إنني أوافيك في صحراء تدعى هرمزجان ، لانسلاخ مهرمه . فوافاه
أردشير قبل الوقت ، وتبوا من الصحراء موضعاً ، وخذق على نفسه وجنده ،
واحتوى على عيين كانت هناك ، ووافاه أردوان . فاصطف القوم للقتال ،
وقد تقدم سابور بن أردشير دافعا عنه ، ونشب القتال بينهم ، فقتل سابور
دارا بنداد ، كاتب أردوان بيده ، فانقض أردشير من موضعه إلى أردوان حتى
قتله ، وكثر القتل في أصحابه ، وهرب من بقي على وجهه . ويقال : إن
أردشير نزل حتى توطأ رأس أردوان بقدمه . وفي ذلك اليوم سمى أردشير
شاهنشاه .

٨١٩/١

(١) ل : « سار » .

(٢) ط : « سار » ، وما أثبتته من التصريبات .

(٣) س : « بندوا » .

ثم سار من موضعه إلى هَمَدَان فافتتحها ، وإلى الجبل وأذْرَبِيجان وإرمينية والموصل عَنوة ، ثم سار من الموصل إلى سُورِسْتَان ، وهي السَّوَاد فاحتازها ، وبني على شاطئ دِجْلَة قبالة مدينة طهيسون^(١) - وهي المدينة التي في شرق المدائن - مدينة^(٢) غربية سماها به أردشير ، وكورها وضم إليها بهرسيير ، والرُّومقان ، ونهر درقيط ، وكوثي ونهر جوبتر ، واستعمل عليها عمالا ، ثم توجه من السَّوَاد إلى إصطخر ، وسار منها إلى سجستان ، ثم جرجان ، ثم إلى أبرشهر ، ومرّو ، وبلخ ، وخواارزم ، إلى تخوم بلاد خراسان . ثم رجع إلى مرّو ، وقتل جماعة وبعث رؤسهم إلى بيت نار أناهيد ، ثم انصرف من مرّو إلى فارس . ونزل جور ، فأنته رسل ملك كوشان ، وملك طوران ، وملك مكران بالطاعة . ثم توجه أردشير من ٨٢٠/١ جور إلى البحرين ، فحاصر سنطرق^(٣) ملكها ، واضطره الجهد إلى أن يري بنفسه من سور الحصن ، فهلك . ثم انصرف إلى المدائن ، فأقام بها وتوج سابور ابنه بتاجه في حياته .

ويقال : إنه كانت بقرية يقال لها الأرا^(٤) ، من رُستاق كوججران^(٥) من رساتيق سيف أردشير خيرة ملكة تعظم وتعبد ، فاجتمعت لها أموال وكنوز ومقاتلة . فحارب أردشير سدنتها وقتلها ، وغنم أموالا وكنوزا عظاما كانت لها : وإنه كان بنى ثمانى مدن ؛ منها بفارس مدينة أردشير خيرة ؛ وهي جور ، ومدينة رام أردشير ، ومدينة ريو أردشير ، وبالاهواز هرْمُز أردشير ؛ وهي سوق الاهواز ، وبالسَّوَاد به أردشير ؛ وهي غربي المدائن ، وإستاباذ أردشير ؛ وهي كَرخ ميسان ، وبالبحرين فنياذ أردشير^(٦) ؛ وهي مدينة الحط ، وبالموصل بوذ أردشير ؛ وهي حزة .

• • •

(١) ت : « طهيسون » ، س : « طهيسون » .

(٢) في الأصول : « مدينة » .

(٣) ت : « سيطرق » .

(٤) ت : « الاز » ، أس ، ل : « ألان » .

(٥) ت : « جوجران » . (٦) ط : « فسا أردشير » ، وما أثبت من التصويبات .

وذكر أن أردشير عند ظهوره كتب إلى ملوك الطوائف كتباً بليغة ،
احتج عليهم فيها ، ودعاهم إلى طاعته ، فلما كان في آخر أمره رسم لمن بعده
عهده ، ولم يزل محموداً مظفراً منصوراً ، لا يفلى له جمع ، ولا ترد له راية ؛
وقهر الملوك حول مملكته وأذلهم ، وأثخن في الأرض ، وكور الكبور ، ومدن
المدن ، ورتب المراتب ، واستكثر من العمارة . وكان ملكه من وقت قتله
أردوان إلى أن هلك أربع عشرة سنة . وقال بعضهم : كان ملكه أربع عشرة
سنة وعشرة أشهر .

٨٢١/١

وحدثت عن هشام بن محمد ، قال : قدم أردشير في أهل فارس يريد
الغلبة على الملك بالعراق ، فوافق بابا ملكاً [كان] ^(١) على الأرمنيين ، ووافق
أردوان ملكاً على الأردوانيين .

قال هشام : الأرمنيون أنباط السواد ، والأردوانيون أنباط الشام .

قال : وكل واحد منهما يقاتل صاحبه على الملك ، فاجتمعا على قتال
أردشير . فقاتلاه متساندين ، يقاتله هذا يوماً ، وهذا يوماً ؛ فإذا كان يوم
بابا لم يقم له أردشير ، وإذا كان يوم أردوان لم يقم لأردشير ؛ فلما رأى ذلك
أردشير صالح بابا على أن يكف عنه ويدعه عوارادون ، وبخلى أردشير بين
بابا وبين بلاده وما فيها ، وتفرغ أردشير لحرب أردوان ، فلم يلبث أن قتله
واستولى على ما كان له ، وسمع له ، وأطاع بابا ^(٢) ، فضبط أردشير ملك العراق
ودانت له ملوكها ، وقهر من كان يناوئه من أهلها ؛ حتى حملهم على ما أراد
مما خالفهم ووافقهم .

• • •

ولما استولى أردشير على الملك بالعراق كره كثير من تنوخ أن يقيموا في
مملكته ، وأن يدينوا له ، فخرج من كان منهم من قبائل قضاة الذين كانوا
أقبلوا مع مالك وعمرو ابني فهتم ، ومالك بن زهير وغيرهم ، فلحقوا بالشام
إلى من هنالك من قضاة .

وكان ناس من العرب يُحدثون في قومهم الأحداث ، أو تضيق بهم

٨٢٢/١

(٢) ت : • بابا وأطاع • .

(١) تكملة من ت .

المعيشة ، فيخرجون إلى ريف العراق ، ويتزلون الحيرة على ثلاثة أثلاث :
 ثلث تنوخ ، وهو من كان يسكن المظال وبيوت الشعير والوبر في غربي
 الفرات ، فيما بين الحيرة والأنبار وما فوقها . والثلث الثاني العباد . وهم الذين
 كانوا سكنوا الحيرة وابتنوا بها . والثلث الثالث الأحلاف . وهم الذين لحقوا
 بأهل الحيرة ، ونزلوا فيهم ، ممن لم يكن من تنوخ الوبر . ولا من العباد الذين
 دانوا لأردشير .

وكانت الحيرة والأنبار بنيتا جميعاً في زمن بختنصر . فخربت
 الحيرة لتحوّل أهلها عنها عند هلاك بختنصر إلى الأنبار . وعمرت الأنبار
 خمسمائة سنة وخمسين سنة ، إلى أن عمرت الحيرة في زمن عمرو بن عدى ،
 باتخاذها إياها منزلاً . فعمرت الحيرة خمسمائة سنة وبضعاً وثلاثين سنة إلى أن
 وضعت الكوفة ، ونزلها الإسلام ؛ فكان جميع ملوك عمرو بن عدى مائة
 سنة وثمانى عشرة سنة ، من ذلك في زمن أردوان وملوك الطوائف خمس وتسعون
 سنة ، وفي زمن ملوك فارس ثلاث وعشرون سنة ؛ من ذلك في زمن أردشير بن
 بابك أربع عشرة سنة وعشرة أشهر ، وفي زمن سابور بن أردشير ثمانى سنين
 وشهران .

ذكر الخبر

عن القوائم كان بملك فارس بعد أردشير بن بابك

ولما هلك أردشير بن بابك ، قام بملك فارس من بعده ابنه سابور .
 وكان أردشير بن بابك لما أفضى إليه الملك أسرف في قتل الأشكانيين ،
 الذين منهم كان ملوك الطوائف ، حتى أفنهم بسبب البيعة كان ساسان بن
 أردشير بن بهمن بن إسفنديار الأكبر ، جد أردشير بن بابك ، كان آلاها ،
 أنه إن ملك يوماً من الدهر لم يستبق^(١) من نسل أشك بن خرّه أحداً ، وأوجب ذلك
 على عقبه ، وأوصاهم بالأبى بقوا منهم أحداً إن هم ملكوا ، أو ملك منهم
 أحد يوماً . فكان أول من ملك من ولد ولده ونسله أردشير بن بابك ، فقتلهم
 جميعاً ؛ نساءهم ورجالهم ، فلم يستبق منهم أحداً لعزمة جدّه ساسان .
 فذكر أنه لم يبق منهم أحد ، غير أن جارية كان وجدها أردشير^(٢) في
 دار الملكة ، فأعجبه جمالها وحسنها . فسألها - وكانت ابنة الملك المقتول -
 عن نسبها . فذكرت أنها كانت خادماً لبعض نساء الملك . فسألها : أبكر أنت
 أم ثيب ؟ فأخبرته أنها بكر ، فواقعها واتخذها لنفسه ، فعلقته منه ، فلما أمته
 على نفسها لاستمكانها منه بالحبل ، أخبرته أنها من نسل أشك ، فنفر منها^(٣)
 ودعا هرجبدا أبرسام - وكان شيخاً مسنّاً - فأخبره أنها أقرت أنها من نسل
 أشك . وقال : نحن أولى باستتمام الوفاء بنذر أبينا ساسان ، وإن كان موقعها
 من قلبي على ما قد علمت ، فانطلق بها فاقتلها . فضى الشيخ ليقتلها ، فأخبرته
 أنها حبلى ؛ فأتى بها القوابل ، فشهدن بحبلها ، فأودعها سرباً في الأرض ، ثم
 قطع مذاكيره فوضعها في حرق ، ثم ختم عليه ، ورجع إلى الملك ، فقال له
 الملك : ما فعلت ؟ قال : قد استودعتها بطن الأرض ، ودفع الحق إليه ،
 وسأله أن يختم عليه بخاتمه ، ويودعه بعض خزائنه ففعل ، فأقامت الحارية
 عند الشيخ ، حتى وضعت غلاماً ، فكره الشيخ أن يسمي ابن الملك دونه ،

٨٢٣/١

٨٢٤/١

(١) ل : « لا يستبق » . س : « لا يستبق » .

(٢) ل : « كان أردشير وجدها » .

(٣) ت : « نفر عنها » .

وكره أن يعلمه به صبيًا حتى يدرك ، ويستكمل الأدب . وقد كان الشيخ أخذ قياس الصبي ساعة وُلد ، وأقام له الطالع ، فعلم عند ذلك أن سيملك ، فسماه اسمًا جامعًا يكون صفة واسمًا ويكون فيه بالخيار إذا علم به ، فسماه « شاه بور » ، وترجمتها بالعربية : ابن الملك ، وهو أول من سُمي هذا الاسم ، وهو سابور الجنود بالعربية ، بن أردشير . وقال بعضهم : بل سماه « أشه بور » ، ترجمتها بالعربية : ولد أشك ، الذي كانت أم الغلام من نسله .

• • •

فغبر (١) أردشير دهرًا لا يُؤاد له ، فدخل عليه الشيخ الأمين ، الذي عنده الصبي ، فوجده محزونًا ، فقال : ما يُحزنك أيها الملك ؟ فقال له أردشير : وكيف لا أحزن ، وقد ضربت بسيفي ما بين المشرق والمغرب حتى ظفرت بحاجتي ، وصفا لي الملك ملك آبائي ، ثم أهلك لا يعقبي فيه عقيب . ولا يكون لي فيه بقية ! فقال له الشيخ : سرّك الله أيها الملك وعمرك ! لك عندي ولد طيب نفيس ، فادع بالحق الذي استودعتك ، وختمته بخاتمك أرك برهان ذلك .

فدعا أردشير بالحق ، فنظر إلى نقش خاتمه ، ثم فضّه ، وفتح الحق ، ٨٢٥/١ فوجد فيه مذاكير الشيخ ، وكتابًا فيه : إننا لما اخترنا ابنة أشك التي علقت من ملك الملوك أردشير حين أميرنا بقتلها حين حملها ، لم نستحل إتواء (٢) زرع الملك الطيب ، فأودعناها بطن الأرض كما أمرنا ملكنا ، وتبرأنا إليه من أنفسنا لكلا يجد عاضه إلى عَضْهِهَا سبيلًا . وقسنا بتقوية الحق المزروع (٣) حتى لحق بأهله ، وذلك في ساعة كذا من عام كذا . فأمره أردشير عند ذلك أن يهيئه في مائة غلام . وقال بعضهم : في ألف غلام من أترابه وأشباهه في الهيئة والقامة ، ثم يُدْخِلُهُمْ عَلَيْهِ جَمِيعًا لا يفرق بينهم في زي ولا قامة ولا أدب . ففعل ذلك الشيخ ، فلما نظر إليهم أردشير قبلت نفسه ابنته من بينهم ، واستحلاه من غير أن يكون أشير له إليه أو لُحِنَ به . ثم أمر بهم جميعًا

(١) ط : « عبر » . (٢) إتواء : إهلاك .

(٣) ط : « المزروع » . ت : « المزروع » .

فأخْرِجُوا إِلَى حِجْرَةِ الْإِيوَانِ ، فَأَعْطُوا صَوَابِحَهُ ، فَلَعَبُوا بِالْكُرَةِ وَهُوَ فِي الْإِيوَانِ عَلَى سَرِيرِهِ ، فَدَخَلَتِ الْكُرَةُ فِي الْإِيوَانِ الَّذِي هُوَ فِيهِ ^(١) ، فَكَاعَ الْغِلْمَانُ ^(٢) جَمِيعًا أَنْ يَدْخُلُوا الْإِيوَانَ ، وَأَقْدَمَ سَابُورُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَدَخَلَ فَاسْتَدَلَّ أَرْدَشِيرَ بِدُخُولِهِ عَلَيْهِ ، وَإِقْدَامَهُ وَجُرْأَتَهُ مَعَ مَا كَانَ مِنْ قَبُولِ نَفْسِهِ لَهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ حِينَ رَأَاهُ ، وَرَقَّتْهُ عَلَيْهِ دُونَ أَصْحَابِهِ أَنَّهُ ابْنُهُ . فَقَالَ لَهُ أَرْدَشِيرُ بِالْفَارْسِيَّةِ : مَا اسْمُكَ ؟ فَقَالَ الْغَلَامُ : شَاهُ بُورُ ، فَقَالَ : أَرْدَشِيرُ : شَاهُ بُورُ ! فَلَمَّا ثَبَتَ عِنْدَهُ أَنَّهُ ابْنُهُ شَهَرَ أَمْرَهُ ، وَعَقَدَ لَهُ التَّاجَ مِنْ بَعْدِهِ .

وَكَانَ سَابُورُ قَدْ ابْتَلَى مِنْهُ أَهْلُ فَارَسَ - قَبْلَ أَنْ يُفَضِّلَ إِلَيْهِ الْمُلُوكَ فِي حَيَاةِ أَبِيهِ - عَقْلًا وَفَضْلًا وَعِلْمًا ، مَعَ شِدَّةِ بَطْشٍ ، وَبِلَاغَةِ مَنْطِقٍ ، وَرَافِقَةٍ بِالرَّعِيَّةِ وَرَقَّةٍ . فَلَمَّا عَقِدَ التَّاجَ عَلَى رَأْسِهِ ، اجْتَمَعَ إِلَيْهِ الْعِظْمَاءُ ، فَدَعَا لَهُ بِطُولِ الْبَقَاءِ ، وَأَطْنَبُوا فِي ذِكْرِ وَالِدِهِ وَذِكْرِ فَضَائِلِهِ ، فَأَعْلَمَهُمْ أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَسْتَدْعُونَ إِحْسَانَهُ بِشَيْءٍ يَعْدِلُ عِنْدَهُ ذِكْرَهُمْ وَالدَّهْ ، وَوَعَدَهُمْ خَيْرًا .

ثُمَّ أَمَرَ بِمَا كَانَ فِي الْخِزَانَةِ مِنَ الْأَمْوَالِ ، فَوَسَّعَ بِهَا عَلَى النَّاسِ ، وَقَسَمَهَا فِيمَنْ رَأَاهُ لَهَا مَوْضِعًا ؛ مِنْ الْوُجُوهِ وَالْخُنُودِ وَأَهْلِ الْحَاجَةِ ، وَكَتَبَ إِلَى عَمَّالِهِ بِالْكَوْرِ وَالنَّوَاحِي أَنْ يَفْعَلُوا مِثْلَ ذَلِكَ فِي الْأَمْوَالِ الَّتِي فِي أَيْدِيهِمْ ، فَوْصَلَ مِنْ فَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ إِلَى الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ ، وَالشَّرِيفِ وَالْوَضِيعِ ، وَالْحَاصِ وَالْعَامِّ مَا عَمَّتْهُمْ وَرُفِعَتْ ^(٣) أَعْيَاشُهُمْ . ثُمَّ نَخَّيَّرَ لِمِ الْعَمَّالِ : وَأَشْرَفَ عَلَيْهِمْ وَعَلَى الرَّعِيَّةِ إِشْرَافًا شَدِيدًا . فَبَانَ فَضْلُ سِيرَتِهِ . وَبَعُدَ صَوْتُهُ ، وَفَاقَ جَمِيعَ الْمُلُوكِ .

وَقِيلَ : إِنَّهُ سَارَ إِلَى مَدِينَةِ نَصِيبِينَ ، لِأَحَدِي عَشْرَةَ سَنَةً مَضَتْ مِنْ مُلْكِهِ ، وَفِيهَا جُنُودٌ مِنَ جُنُودِ الرُّومِ ، فَحَاصَرَهُمْ حِينًا . ثُمَّ أَتَاهُ عَنْ نَاحِيَةِ مِنْ خُرَّاسَانَ مَا أَحْتَاجَ إِلَى مَشَاهِدَتِهِ ، فَشَخَّصَ إِلَيْهَا حَتَّى أَحْكَمَ أَمْرَهَا . ثُمَّ رَجَعَ إِلَى نَصِيبِينَ . وَزَعَمُوا ^(٤) أَنَّ سَوْرَ الْمَدِينَةِ تَصَدَّعَ وَانْفَرَجَتْ لَهُ فُرْجَةٌ دَخَلَ ^(٥) مِنْهَا ،

(١) ل : « فِيهِ الْمَلِكُ » .
 (٢) كَاعَ الْغِلْمَانُ : جَبَنُوا . وَفِي الْحَدِيثِ : « مَا زَالَتْ قَرِيشُ كَاعَةَ حَتَّى مَاتَ أَبُو طَالِبٍ » ؛
 الْكَاعَةُ : جَمْعُ كَاعٍ ؛ وَهُوَ الْجَبَانُ .
 (٣) ط : « رَفَعَتْ » تَصْحِيفٌ ، وَالرَّفْعُ : السَّعَةُ فِي الرِّزْقِ .
 (٤) ت : « فَرَعَمُوا » .
 (٥) ت : « فَدَخَلَ » ، ل : « وَدَخَلَ » .

فقتل المقاتلة وسبى وأخذ أموالا عظيمة كانت لقيصر هنالك ، ثم تجاوزها إلى الشام وبلاد الروم ، فافتتح من مدائنها مدنا كثيرة .
 وقيل : إن فيما افتتح قالوقية وقنوقية ، وإنه حاصر ملكا كان بالروم ،
 يقال له الريانوس بمدينة أنطاكية ، فأسره وحمله وجماعة كثيرة معه ، وأسكنهم ٨٢٧/١
 جندي سابور .

وذكر أنه أخذ الريانوس ببناء شاذرون تُستتر ، على أن يجعل عرضة
 ألف ذراع ، فبناه الرومي بقوم أشخصهم إليه من الروم ، وحكم سابور في
 فكاكه بعد فراغه من الشاذرون ، فقيل إنه أخذ منه أموالا عظيمة ، وأطلقه
 بعد أن جدد أعفه . وقيل إنه قتله .

• • •

وكان بجبال تكريت بين دجلة والفرات مدينة يقال لها الحضر ،
 وكان بها رجل من الجرامقة يقال له الساطرون ، وهو الذي يقول فيه أبو دواد
 الأيادي :

وَأَرَى الْمَوْتَ قَدْ تَدَلَّى مِنَ الْحِظِّ سِرِّ عَلَى رَبِّ أَهْلِ السَّاطِرُونَ^(١)

والعرب تسميه الضييزن . وقيل : إن الضييزن من أهل بتاجرمتي .
 وزعم هشام بن الكلبي^(٢) أنه من العرب من قضاة وأنه الضييزن بن معاوية
 ابن العبيد بن الأجرام بن عمرو بن النخع بن سليح بن حلوان بن عمران
 ابن الحاف بن قضاة ، وأن أمه من تزويد بن حلوان اسمها جيهلة^(٣) ،
 وأنه إنما كان يعرف بأمه . وزعم أنه كان ملك أرض الجزيرة ، وكان معه
 من بني عبيد بن الأجرام وقبائل قضاة ما لا يحصى ، وأن ملكه كان قد
 بلغ الشام ، وأنه تطرف من بعض السواد في غيبة كان غابها إلى ناحية خراسان ٨٢٨/١
 سابور بن أردشير ، فلما قدم من غيبته أخبر بما كان منه ، فقال في ذلك
 من فعل الضييزن ، عمرو بن إله^(٤) بن الحدي بن الدهاء بن جشم بن حلوان

(١) كذا في اللسان ٦ : ٢٩ ، وغرر أخبار ملوك الفرس ٤٠٢ ، وفي معجم البلدان ٣ :
 ٢٩٠ نسبة إلى عدى بن زيد . (٢) الخبر في الأغاني ٢ : ١٤٠ (طبعة دار الكتب) بسنده عن
 جماعة ، منهم هشام الكلبي . (٣) في الأغاني : « جيهلة » .
 (٤) في الأغاني : « عمرو بن السليح بن حدي بن الدهاء بن غم بن حلوان » ، وفي معجم البلدان
 ٢٩٠ : « الحدي بن الدهاء » ، وفي ت ، ل : « الحدي » .

ابن عمران بن الحاف بن قضاة :

لَقِينَاهُمْ بِمَجْمَعٍ مِنْ عِلَافٍ وَبِالْحَيْلِ الصَّلَادِمَةَ الذُّكُورِ (١)
فَلَاقَتْ فَارِسٌ مِنَّا نَكَالًا وَقَتَّلْنَا هَرَّابِدَ شَهْرَ زُورِ (٢)
دَلَفْنَا لِلْأَعَاجِمِ مِنْ بَعِيدٍ بِمَجْمَعٍ كَالْجَزِيرَةِ فِي السَّعِيرِ
فلما أخبر سابور بما كان منه شخص إليه حتى أناخ على حصنه ، ونحصن
الضبيزن في الحصن ، فزعم ابن الكلبى أنه أقام سابور على حصنه أربع سنين ،
لا يقدر على هدمه ولا على الوصول إلى الضبيزن .

وأما الأعشى ميمون بن قيس فإنه ذكر في شعره أنه إنما أقام عليه
حولين ، فقال (٣) :

أَلَمْ تَرَ لِلْحَضْرِ إِذْ أَهَلَهُ بِنُعْمَى وَهَلْ خَالِدٌ مَنْ نَعِمَ! (٤)
أَقَامَ بِهِ شَاهِبُورُ الْجَنُودِ دَحْوَلِينَ تَضْرِبُ فِيهِ الْقُدُمُ (٥)
فَمَا زَادَهُ رَبُّهُ قُوَّةً وَمِثْلُ مَجَاوِرِهِ لَمْ يُقِمِ (٦)
فَلَمَّا رَأَى رَبُّهُ فِئْلَهُ أَتَاهُ طُرُوقًا فَلَمْ يَنْتَقِمِ
وَكَانَ دَعَا قَوْمَهُ دَعْوَةً هَلُمُّوا عَلَيَّ أَمْرِكُمْ قَدْ صُرِمَ
فَمُوتُوا كِرَامًا بِأَسْيَافِكُمْ أَرَى الْمَوْتَ يَجْشَمُهُ مَنْ جَشِمَ

٨٢٩/١

ثم إن ابنة للضبيزن يقال لها النضيرة عركت (٧) فأخرجت إلى ربض (٨)

(١) هو علاف بن حلوان بن الحاف بن قضاة ؛ وإليه تنسب الحيل العلافية . والحيل
الصلادمة : القوية الشديدة .

(٢) شهر زور : كورة واسعة بين إربل وهذان ؛ قال ياقوت : وأهل هذه النواحي كلهم
أكراد ؛ ولأهلها بطش وشدة . (٣) ديوانه ٣٥ ؛ من قصيدته التي أولها :

أَتَهَجَّرُ غَانِيَةً أُمَّ تَلِيمَ أُمَّ الْحَيْلِ وَاهٍ بِهَا مُنْجَدِمٌ

(٤) الديوان : « ألم ترى الحضرة » .

(٥) الديوان : « أقام به سابور » . والقدم : جمع قنوم .

(٦) في ط : « ومثل مجاوره لم يقم » وما أثبتته عن الديوان .

(٧) في الأغاني : « عركت ، أى حاضت » . (٨) الربض : ما حول المدينة من الخارج .

المدينة ، وكانت من أجمل نساء زمانها - وكذلك كان يفعل بالنساء إذا هنَّ
عَرَكَنَ - وكان سابور من أجمل أهل زمانه - فيما قيل - فرأى كل واحد
منهما صاحبه ، فعشيقته وعشيقها ، فأرسلت إليه : ما تجعل لي إن دللتك
على ما تهديم به سور هذه المدينة وتقتل أبي ؟ قال : حكمتك (١) وأرفعك
على نسائي ، وأخصك بنفسى دونهن . قالت : عليك بحمامة ورقاء مطبوقة ،
فاكتب في رجلها ببيض جارية بيكر زرقاء ، ثم أرسلتها ، فإنها تقع على
حائط المدينة ، فتداعى (٢) المدينة . وكان ذلك طليسم (٣) المدينة لا يهدمها
إلا هذا ، ففعل وتأهب لهم ، وقالت : أنا أسقى الحرس الحمر ، فإذا صرعوا
فاقتلهم ، وادخل المدينة . ففعل وتداعت المدينة ، ففتحها عنوة ، وقتل
الضيزن يومئذ ، وأبيدت أفاء قضاة الذين كانوا مع الضيزن ، فلم
يبق منهم باق يُعرف إلى اليوم ، وأصيبت قبائل من بني حُلوان ، فانقرضوا
وَدَرَجوا ، فقال عمرو (٤) بن إلهة - وكان مع الضيزن :

ألم يحزنك والأنباء تنمى (٥) بما لاقت سراً بني عبيد!
ومصرع ضيزن وبني أبيه وأخلاس الكتائب من تزيد! (٦)
أناهم بالقبول مجلات وبالأبطال سابور الجنود
فهدم من أواسي الحصن صخر (٧) كأن إغاله زبر الحديد

وأخرب سابور المدينة ، واحتمل النضيرة ابنة الضيزن : فأعرس بها
بعين التمر ، فذكر أنها لم تزل ليلتها تنصو (٨) من خشونة فرشها ، وهى من

(١) فى الأغاني : « أحكمك » .

(٢) ط : « فتداعى » ، وما أثبتته عن الأغاني .

(٣) الطلمم : السر المكتوم .

(٤) نسب ياقوت هذه الأبيات ٣ : ٢٩١ إلى الجدى بن الدهاث .

(٥) تنمى ، أى تشيع .

(٦) أخلاس الكتائب : الشجمان الملازمون لها .

(٧) الأغاني : « من أواسي الحضرم » . والأواسى : جمع آسية ؛ وهو ما أسس من بنيان فأحكم

أصله ، من سارية أو غيرها .

(٨) الأغاني : « تنصور » .

٨٣٠/١ حرير محشوة بالقز فالتمس ما كان يؤذيها ، فإذا ورقة آس ملتزقة بـعكنة من عكنتها قد أثرت فيها . قال : وكان يُنظر إلى عُكنتها من ابن بشرتها - فقال لها سابور : ويحك بأى شيء كان يغذوك أبوك ؟ قالت : بالزُّبْد والمخ وشهد الأبيكار من النحل وصفوا الحمر . قال : وأبيك لأنا أحدث عهداً بك ، وآثر^(١) لك من أبيك الذي غذاك بما تذكرين . فأمر^(٢) رجلاً فركب فرساً جموحاً ، ثم عصب غدائرها بذنبيه ، ثم استركضها فقطعها قطعاً ، فذلك قول الشاعر :

أَقْفَرَ الْحِضْنَ مِنْ نَضِيرَةِ فَالِمِرِّ بَاعُ مِنْهَا فَجَانِبُ الثَّرثارِ^(٣)

وقد أكثر الشعراء ذكر ضيِّزن هذا في أشعارهم ، وإياه عنى عدى بن زيد بقوله :

وَأَخُو الْحَضْرَ إِذْ بَنَاهُ وَإِذْ دَجَّ لَمَّةٌ تُحَيِّي إِلَيْهِ وَالْحَابُورُ^(٤)

شَادَهُ مَرْمَرًا وَجَلَّلَهُ كَيْدًا فَلِلطَّيْرِ فِي ذُرَاهُ وَكُورُ^(٥)

لَمْ يَهَبَهُ رَبِيبُ الْمَنُونِ فَبَادَ الْـ مُلْكُ عَنْهُ فَبَابُهُ مَهْجُورُ^(٦)

ويقال إن سابور بنى بميسان شاذ سابور ، التي تسمى بالنبَطية «ريما» .

• • •

وفي أيام سابور ظهر ماني الزنديق ، ويقال : إن سابور لما سار إلى موضع جُنْدَى سابور ليؤسسها صادف عندها شيخاً يقال له بيل ، فسأله : هل يجوز أن يتخذ في ذلك الموضع مدينة ؟ فقال له بيل : إن ألهمت الكتابة مع ما قد بلغت من السن جاز أن يبني في هذا الموضع مدينة . فقال له سابور : بل ليكن الأمران اللذان أنكرت كونهما . فرسم المدينة وأسلم بيل إلى معلم ، وفرض عليه تعليمه الكتاب والحساب في سنة ، فخلا به المعلم وبدأ بخلق رأسه

٨٣١/١

(١) ط : « وأثر » ، وما أثبتته عن الأغاني . (٢) الأغاني : « ثم أمر » .

(٣) الثرثار : واد بين سنجار وتكريت ؛ كان في القديم منازل لبكر بن وائل ؛ ويمر

بمدينة الحضرة ؛ ثم يصب في دجلة أسفل تكريت .

(٤) الخابور : اسم لنهر كبير بين رأس عين والفرات من أرض الجزيرة .

(٥) الكلث : الصاروج ؛ وهي النورة وأخلطها التي تصرح بها النزل وغيرها . فارسي معرب .

(٦) ط : « ديما » .

ولحيته لثلا يتشاغل بهما ، وجادته التعليم . ثم أتى به سابور وقد نفذ ومهّر ، فقلّده إحصاء النفقة على المدينة وإثبات حسابها ، وكور الناحية وسمّاها بهأزندیوسابور ، وتأويل ذلك : « خير من أنطاكية » ، ومدينة سابور - وهي التي تسمى جُنْدَى سابور ، وأهل الأهواز يسمونها « بيل » باسم القَيْم كان على بناتها . ولما حضر سابور الموت ملك ابنه هرمز وعهد إليه عهداً أمره بالعمل به .

واختلف في سني ملكه ، فقال : بعضهم كان ذلك ثلاثين سنة وخمسة عشر يوماً . وقال آخرون : كان ملكه إحدى وثلاثين سنة وستة أشهر وتسعة عشر يوماً .

• • •

[ذكر ملك هرمز بن سابور]

ثم قام بالملك بعد سابور بن أردشير بن بابك ابنه هرمز . وكان يلقب بالجرىء ، وكان يُشَبَّه في جسمه وخلقه وصورته بأردشير ؛ غير لاحق به في رأيه وتدبيره ، إلا أنه كان من البطش والجرأة وعِظَم الخلق على أمر عظيم . وكانت أمه - فيما قيل - من بنات مِهْرَك ، الملك الذي قتله أردشير بأردشير خُرّة . وذلك أن المنجمين كانوا أخبروا أردشير أنه يكون من نسله من يملك . فتتبع أردشير نسله فقتلهم . وأفلتت أم هرمز . وكانت ذات عقل وجمال وكمال وشدة خلق ، فوَقعت إلى البادية ، وأوت إلى بعض الرعاء . وإن سابور خرج يوماً متصيداً ، فأمعن في طلب الصيّد ، واشتد به العطش ، فارتفعت له الأخبية التي كانت أم هرمز أوت إليها ، فقصدتها فوجد الرعاء غيباً ، فطلب الماء ، فناولته المرأة ، فعابن منها جمالا فائقاً ، وقواماً عجيباً ، ووجهها عتيقاً . ثم لم يلبث أن حضر الرعاء ، فسألم سابور عنها ، فنسبها بعضهم إليه ، فسأله أن يزوجه منها ، فساعفه ، فصار بها إلى منزله ، وأمر بها فنظفت وكُسييت وحلّيت ، وأرادها على نفسها ؛ فكان إذا خلا بها والتمس منها ما يلتمس الرجل من المرأة امتنعت وقهرته عند المجاذبة قهراً ينكره . وتعجب من قوتها ، فلما تطاول ذلك من أمرها أنكره ؛ ففحص عن أمرها

فأخبرته أنها ابنة ميهرك ، وأنها إنما فعلت ما فعلت لإبقاء عليه من أردشير ،
 فعامدها على سترٍ أمرها ، ووطنها فولدت هُرمز ، فستر أمره حتى أتت له سنون .
 وإن أردشير ركب يوماً ، ثم انكفاً إلى منزل سابور لشيء أراد ذكره
 له ، فدخل منزله مفاجأة ، فلما استقرّ به القرار خرج هُرمز ، وقد ترعرع
 وبيده صولجان يلعب به وهو يصيح في أثر الكرة ، فلما وقعت عين أردشير
 عليه أنكره ، ووقف على المشابه التي فيه منهم ؛ لأن الكبيّة التي في آل أردشير
 كانت لا تخفى ، ولا يذهب أمرهم على أحد ، لعلامات^(١) كانت فيهم ؛
 من حُسن الوجوه ، وعِبالة^(٢) الخلق ، وأمور كانوا بها مخصوصين في
 أجسامهم . فاستدناه أردشير ، وسأل سابور عنه ، فخرّ مكفراً على سبيل الإقرار
 بالخطأ مما كان منه ، وأخبر أباه حقيقة الخبر . فُسِرَّ به . وأعلمه أنه قد
 تحقق الذي ذكر المنجمون في ولد ميهرك . ومن يملك منهم ، وأنهم إنما ذهبوا
 فيه إلى هُرمز ؛ إذ كان من نسل ميهرك ، وأن ذلك قد سلّى ما كان في
 نفسه وأذنبه .

٨٣٣/١

فلما هلك أردشير وأفضى الأمر إلى سابور ولي هُرمز خراسان ، وسيّره
 إليها . فاستقلّ بالعمل ، وقمّع من كان يليه من مملوك الأمم ، وأظهر تجبراً
 شديداً ، فوشى به الوشاة إلى سابور ، ووهّموه أنه إن دعاه لم يُجيب ، وأنه
 على أن يبتزّه الملك ؛ ونمت الأخبار بذلك إلى هُرمز ، فقيل : إنه خلا بنفسه ،
 فمقطع يده وحسّمها ، وألقى عليها ما يحفظها ، وأدرجها في نفيس من الثياب ،
 وصيّرهما في سَفَط^(٣) . وبعث بها إلى سابور ، وكتب إليه بما بلغه ، وأنه إنما
 فعل ما فعل ؛ إزالةً للثمة عنه ؛ ولأن في رسمهم ألا يملكوا ذا عاهة . فلما وصل
 الكتاب بما معه إلى سابور ، تقطع أسفاً ، وكتب إليه بما ناله من الغم بما فعل ،
 واعتذر ، وأعلمه أنه لو قطع بدنه عضواً عضواً ، لم يُؤثر عليه أحداً بالملك .
 فلتكه .

• • •

(١) ت ، س : « بعلامات » . (٢) العبالة هنا : ضخامة الجسم ؛ وأصله في الترايعين .

(٣) السَفَط : الجوالق .

وقيل : إنه لما وضع التاج على رأسه ، دخل عليه العظماء ، فدعوا له فأحسن لهم الجواب ، وعرفوا منه صدق الحديث . وأحسن فيهم السيرة ، وعدل في رعيته ، وسلك سبيل آبائه ، وكوّر كورة رام هرمز وكان ملكه سنة وعشرة أيام .

• • •

[ذكر ملك بهرام بن هرمز]

ثم قام بالملك بعده ابنه بهرام . وهو بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير ابن بابك .

وكان من عمّال سابور بن أردشير ، وهرمز بن سابور ، وبهرام بن هرمز بن سابور — ٨٣٤/١ بعد سنهليك عمرو بن عدى بن نصر بن ربيعة على فرج^(١) العرب من ربيعة ومُخَسَّر وسائر من ببادية العراق والحجاز والجزيرة يومئذ — ابن لعسرو بن عدى ، يقال له امرؤ القيس البدء^(٢) . وهو أول من تنصّر من ملوك آل نصر بن ربيعة وعمّال ملوك الفرس ، وعاش — فيما ذكر هشام بن محمد — مملوكاً في عمله مائة سنة وأربع عشرة سنة ؛ من ذلك في زمن سابور بن أردشير ثلاثاً وعشرين سنة وشهراً . وفي زمن^(٣) هرمز بن سابور سنة وعشرة أيام . وفي زمن بهرام بن هرمز ابن سابور ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام ، وفي زمن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير ثمانى عشرة سنة .

وكان بهرام بن هرمز — فيما ذكر — رجلاً ذا حلم وتؤدة ، فاستبشّر الناس بولايته . وأحسن السيرة فيهم ، واتّبع في ملكه في سياسة الناس آثار آبائه ؛ وكان ماني الزنديق — فيما ذكر — يدعو إلى دينه . فاستبرى ما عنده ، فوجده داعية للشيطان ، فأمر بقتله وسلخ جلده وحشوه تبناً وتعليقه على باب من أبواب مدينة جندى سابور ، يدعى باب الماني ، وقتل أصحابه ومن دخل في ملته . وكان ملكه — فيما قيل — ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام .

• • •

(١) الفرّج هنا : موضع المخافة من العدو المجاور . (٢) ت ، س : « البدى » .

(٣) ت ، س : « زمان » .

[ذكر ملك بهرام بن بهرام بن هرمز]

ثم قام بالملك بعده ابنه بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير .
 وكان ذا علم - فيما قيل - بالأمور ، فلما عقد التاج على رأسه دعا له العظماء
 بمثل ما كانوا يدعون لأبائه . فردّ عليهم مردّاً حسناً . وأحسن فيهم السيرة .
 وقال : إن ساعدنا الدهر نقبل ذلك بالشكر . وإن يكن غير ذلك نرضى بالقسم .
 واختلّف في سني ملكه ، فقال بعضهم : كان ملكه ثمانى عشرة سنة .
 وقال بعضهم : كان سبع عشرة سنة .

٨٣٥/١

[ذكر ملك شاهنشاه بن بهرام]

ثم ملك بهرام الملقب بشاهنشاه بن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن
 أردشير : فلما عُقد التاج على رأسه اجتمع إليه العظماء . فدعوا له ببركة
 الولاية وطول العمر ، فردّ عليهم أحسن الرد . وكان قبل أن يُفضى إليه الملك
 مملّكا على سجستان .
 وكان ملكه أربع سنين .

[ذكر ملك نرسی بن بهرام]

ثم قام بالملك بعده نرسی بن بهرام . وهو أخو بهرام الثالث . فلما
 عقد التاج على رأسه دخلت عليه الأشراف والعظماء ، فدعوا له فوعدهم
 خيراً . وأمرهم بمكانفته على أمره . وسار فيهم بأعدل السيرة . وقال يوم ملك :
 إنا لن نضيق شكر الله على ما أنعم به علينا .
 وكان ملكه تسع سنين .

[ذكر ملك هرمز بن نرسی]

ثم ملك هرمز بن نرسی بن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير .
 وكان الناس قد وحلوا منه ، وأحسوا بالفظاظة والشدّة ، فأعلمهم أنه قد

عليهم ما كانوا يخافونه من شدة ولايته، وأعلمهم أنه قد أبدل ما كان في خلقه من الغلظة والفظاظة رقة ورأفة، وساسهم بأرفق السياسة، وسار فيهم بأعدل السيرة، وكان حريصاً على انتعاش الضعفاء وعمارة البلاد والعدل على الرعية. ٨٣٦/١
ثم هلك ولا ولد له، فشق ذلك على الناس، فسألوا بميلهم إليه عن نسائه، فذكر لهم أن بعضهن حبلى. وقد قال بعضهم: إن هرمز كان أوصى بالملك لذلك الحمل في بطن أمه، وأن تلك المرأة ولدت سابور ذا الأكتاف.

وكان ملكُ هرمز في قول بعضهم ست سنين وخمسة أشهر، وفي قول آخرين سبع سنين وخمسة أشهر.

•••

[ذكر ملك سابور ذي الأكتاف]

ثم ولد سابور ذو الأكتاف بن هرمز بن ترسي بن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير، مملكا بوصية أبيه هرمز له بالملك، فاستبشر الناس بولادته، وبشوا خبره في الآفاق، وكتبوا الكتب، ووجهوا به البرد إلى الآفاق والأطراف، وتقلد الوزراء والكتّاب الأعمال التي كانوا يعملونها في ملك أبيه، ولم يزالوا على ذلك، حتى فشا خبرهم. وشاع في أطراف مملكة الفرس أنه كان لا ملك لهم، وأن أهلها إنما يتلومون^(١) صبيها في المهدي، لا يدرون ما هو كائن من أمره، فطمعت في مملكتهم الترك والروم.

وكانت بلاد العرب أدنى البلاد إلى فارس. وكانوا من أحوج الأمم إلى تناول شيء من معاشهم وبلادهم. لسوء حالهم وشظف عيشتهم، فسار جمع عظيم منهم في البحر من ناحية بلاد عبد القيس والبحرين وكازمة، حتى أناخوا على أبرشهر وسواحل أردشير خرة وأسياف فارس، وغلبوا أهلها على مواشيهم وحرروهم ومعاشهم. وأكثروا الفساد في تلك البلاد، فمكثوا على ذلك من أمرهم حيناً. لا يغزوهم أحد من الفرس. لعقدتهم تاج المملك على طفل من الأطفال. وقلّة هيبته الناس له، حتى تحرك سابور وترعرع، فلما ترعرع ذكر أن أول ما عُرِف من تدييره وحسن فهمه، أنه استيقظ ذات

(١) التلوم : الانتظار والتلبث.

ليلة وهو في قصر المملكة بطيِّسبون ، من ضوضاء الناس بسحر ، فسأل عن ذلك ، فأخبر أن ذلك ضجةُ الناس عند ازدحامهم على جسر دجلة مقبلين ومدبرين ؛ فأمر باتخاذ جسر آخر ؛ حتى يكون أحدهما معبراً للمقبلين ؛ والآخر معبراً للمدبرين ، فلا يزدحم الناس في المرور عليهما . فاستبشر الناس بما رأوا من فطته لما فطن من ذلك على صغر سنه . وتقدم فيما أمر به من ذلك ، فذكر أن الشمس لم تغرب من يومهم ذلك حتى عُقد جسر بالقرب من الجسر الذي كان فاستراح الناس من المخاطرة بأنفسهم في الجواز على الجسر ، وجعل الغلام يتزيتد في اليوم ما يتزيتده غيره في الجين الطويل .

وجعل الكتاب والوزراء يتعريضون عليه الأمر بعد الأمر ، فكان فيما عرض عليه أمر الجنود التي في الثغور ، ومن كان منهم بإزاء الأعداء . وإن الأخبار وردت بأن أكثرهم قد أخل ، وعظّموا عليه الأمر في ذلك ، فقال لهم سابور : لا يكبرن هذا عندكم ؛ فإن الحيلة فيه يسيرة ، وأمر بالكتاب إلى أولئك الجنود جميعاً ؛ بأنه انتهى إليه طول مكثهم في النواحي التي هم بها^(١) ، وعظمت غنائهم عن أوليائهم وإخوانهم ؛ فمن أحب أن ينصرف إلى أهله فلينصرف مأذوناً له في ذلك . ومن أحب أن يستكمل الفتح بالصبر في موضعه عرف ذلك له . وتقدم إلى من اختار الانصراف في لزوم أهله وبلاده إلى وقت الحاجة إليه .

٨٣٨/١

فلما سمع الوزراء ذلك من قوله استحسونه ، وقالوا : لو كان هذا قد أطال تجربة الأمور ، وسياسة الجنود ما زاد رأيه وصحة منطقته على ما سمعنا به . ثم تتابعت أخباره إلى البلدان والثغور ، بما قوّم أصحابه ، وقمع أعداءه . حتى إذا تمت له ست عشرة سنة وأطاق حمل السلاح وركوب الخيل ، واشتد عظمه ، جمع إليه رؤساء أصحابه وأجناده ، ثم قام فيهم خطيباً ، ثم ذكر ما أنعم الله به عليه وعاليهم بآبائه ، وما أقاموا من أدبهم ونشوا من أعدائهم ، وما اختل من أمورهم ، في الأيام التي مضت من أيام صباه ، وأعلمهم أنه

(١) ت « فيها » .

يبتدئ العمل في الذَّبَّ عن البيضة ، وأنه يقدر الشخص إلى بعض الأعداء لمحاربتة ، وأنَّ عدَّة من يشخص معه من المقاتلة ألف رجل . فنهض إليه القوم داعين متشكرين ، وسألوه أن يُقيم بموضعه ، ويوجه القواد والجنود ليكشفوه ما قدر من الشخص فيه ، فأبى أن يجيبهم إلى المقام ، فسألوه الازدياد على العدَّة التي ذكرها فأبى . ثم انتخب ألف فارس من صناديد جنده وأبطالهم ، وتقدَّم إليهم في المضي لأمره ، ونهاهم عن الإبقاء على من لقوا من العرب ، والعرجة على إصابة مال . ثم سار بهم فأوقع بمن انتجع بلاد فارس من العرب وهم غارون ، وقتل منهم أبرح القتل ، وأسر أعنف الأسر ، وهرب بقيتهم . ثم قطع البحر في أصحابه ، فورد الخنط ، واستقرى بلاد البحرين ، ٨٣٩/١ يقتل أهلها ولا يقبل فداء ، ولا يعرج على غنيمة . ثم مضى على وجهه ، فورد هجر ، وبها ناس من أعراب تميم وبكر بن وائل وعبد القيس ، فأفشتي فيهم القتل ، وسفك فيهم من الدماء ستمكاً سالت كسيل المطر ؛ حتى كان الحارب منهم يرى أنه لن يُشجيه منه غار في جبل ، ولا جزيرة في بحر ؛ ثم عطف إلى بلاد عبد القيس . فأباد أهلها إلا من هرب منهم ، فليحق بالرمال ، ثم أتى اليمامة ، فقتل بها مثل تلك المقتلة ، ولم يمر بقاء من مياه العرب إلا عوره^(١) ، ولا جيب من جيبهم إلا طمه . ثم أتى قرب المدينة ، فقتل من وجد هنالك من العرب وأسر . ثم عطف نحو بلاد بكر وتغلب فيما بين مملكة فارس ومناظر الروم بأرض الشام . فقتل من وجد بها من العرب ، وسبى وطم مياههم . وإنه أسكن من من بني تغلب من البحرين دارين واسمهما هيج - والخنط ، ومن كان من عبد القيس وطوائف من بني تميم هجر . ومن كان من بكر بن وائل كرمان . وهم الذين يدعون بكر أبان ، ومن كان منهم من بني حنظلة بالرملية من بلاد الأهواز . وإنه أمر فبُنيت بأرض السواد مدينة وسماها ، بزرج سابور - وهي الأنبار - وبأرض الأهواز مدينتان : إحداهما إيران خره سابور ، وتأويلها « سابور وبلاده » . وتسمى بالسريانية الكرخ ، والأخرى السوس ؛ وهي مدينة بناها إلى جانب الحصن الذي في جوفه تابوت فيه جثة دانيال النبي عليه السلام . وإنه غزا أرض الروم فسبى منها سببياً كثيراً ،

(١) عوره ، أي طمه وكبسه بالتراب

فأسكن مدينة إيران خرّه سابور ، وسمتها العرب السوس بعد تخفيفها في التسمية . وأمر فبنييت بياجرمى مدينة سماها خنبي سابور وكور كورة ، وبأرض خراسان مدينة ، وسمها نيسابور وكور كورة .

وإن سابور كان هادن قسطنطين ملك الروم ، وهو الذي بنى مدينة قسطنطينية ، وكان أول من تنصر من ملوك الروم ، وهلك قسطنطين ، وفرق ملكه بين ثلاثة بنين ، كانوا له ، فهلك بنوه الثلاثة ، فلدت الروم عليهم رجلاً من أهل بيت قسطنطين يقال له لئيانوس ، وكان يدين بملّة الروم التي كانت قبل النصرانية ، ويسير ذلك ويظهر النصرانية قبل أن يملك ، حتى إذا ملك أظهر ملّة الروم ، وأعادها كهيتها ، وأمرهم بإحيائها ، وأمر بهدم البيع وقتل الأساقفة وأخبار النصارى . وإنه جمع جمعاً من الروم والخزر ، ومن كان في مملكته من العرب ، ليقاتل بهم سابور وجنود فارس .

وانتهزت^(١) العرب بذلك السبب الفرسية من الانتقام من سابور ، وما كان من قتله العرب . واجتمع في عسكر لئيانوس من العرب مائة ألف وسبعون ألف مقاتل ، فوجههم مع رجل من بطارقة الروم ، بعثه على مقدمته يسمى يوسانوس . وإن لليانوس سار حتى وقع ببلاد فارس ، وانتهى إلى سابور كثيرة من معه من جنود الروم والعرب والخزر ، فهاله ذلك ، ووجهه عيوناً تأتيه بخبرهم ومبلغ عددهم وحالهم في شجاعتهم وعيشهم^(٢) فاختلفت أقاويل أولئك العيون فيما أتوه به من الأخبار عن لليانوس وجنده ، فتكّر سابور ، وسار في أناس من ثقاته ليعاين عسكرهم ، فلما اقترب من عسكر يوسانوس صاحب مقدمة لليانوس ، وجهه رهطاً ممن كان معه إلى عسكر يوسانوس ليتحسسوا الأخبار ، ويأتوه بها على حقائقها ، فنذرت الروم بهم ، فأخذوهم ودفعوهم إلى يوسانوس ، فلم يقّر أحدٌ منهم بالأمر الذي توجهوا له إلى عسكره ، ما خلا رجلاً منهم أخبره بالقصة على وجهها ، وبمكان سابور حيث كان ، وسأله أن يوجهه معه جنداً ، فيدفع إليهم سابور . فأرسل يوسانوس حيث سمع هذه المقالة إلى سابور رجلاً من بطانته ، يعلمه ما لقي من أمره ، وينذره ، فارتحل

(١) ت : « فانتهزت » . (٢) ت : « وعدتهم » .

سابور من الموضع الذى كان فيه إلى عسكره . وإنّ من كان فى عسكر لليانوس من العرب سألوه أن يأذن لهم فى محاربة سابور ، فأجابهم إلى ما سألوه ، فزحفوا إلى سابور ، فقاتلوه ففَضُّوا جمعه ، وقتلوا منهم مقتلةً عظيمةً ، وهرب سابور فيمن بقي من جنده ، واحتوى لليانوس على مدينة طيسبون محلّة سابور ، وظفّر بيوت أموال سابور وخزائنه فيها ، فكتب سابور إلى مَنْ فى الآفاق من جنوده يُعلمهم الذى لقي من لليانوس ومَنْ معه من العرب ، ويأمر مَنْ كان فيهم من القوَاد أن يقدّموا عليه فيمن قبّلهم من جنوده ، فلم يلبث أن اجتمعت إليه الجيوش من كلّ أفرق ، فانصرف فحارب لليانوس واستنقذ منه مدينة طيسبون ، ونزل لىانوس مدينة بهاردشير وماوالاها بعسكره ، وكانت الرُّسلُ تختلف فيما بينه وبين سابور . وإنّ لليانوس كان جالساً ذات يوم فى حُجْرته . فأصابه سهم غرَبٌ (١) فى فؤاده فقتله ، فأسقط فى رُوع جنده ، وهالم الذى نزل به ، وينسوا من التنصى من بلاد فارس ، وصاروا شورى لا ملك عليهم ولا سانس لهم ، فطلبوا إلى يوسانوس أن يتولّى المُلْك لهم فيملكوه عليهم ، فأبى ذلك ، وألحوا عليه فيه ، فأعلمهم أنه على مائة النصرانية ، وأنه لا يلى ناساً له مخالفين فى المِلّة . فأخبرته الروم أنهم على مِلّته . وأنهم إنما كانوا يكتُمونها مخافة لليانوس ، فأجابهم إلى ما طلبوا ، وملكوه عليهم ، وأظهروا النصرانية .

وإنّ سابور علم بهلاك لليانوس ، فأرسل إلى قوَاد جنود الروم ، يقول : إنّ الله قد أمكننا منكم ، وأدالنا عليكم ، بظلمكم إيانا ، وتخطيكم إلى بلادنا ، وإنا نرجو أن تهلكوا بها جوعاً من غير أن نهيتى لقتالكم سيفاً ، ونشرع له رحماً ؛ فسرّحوا إلينا رئيساً إن كنتم راضين عليكم . فعزم يوسانوس على إتيان سابور ، فلم يتابعه على رأيه أحدٌ من قوَاد جنده ، فاستبدّ برأيه . وجاء إلى سابور فى ثمانين رجلاً من أشرف مَنْ كان فى عسكره وحنده ، وعليه تاجه ، فبلغ سابور مجيئه إليه . فتلقاه وتساجدا . فعانقه سابور شكراً لما كان منه فى أمره ، وطعم عند يومئذ ونعم .

وإنّ سابور أرسل إلى قوَاد جنود الروم وذوى الرياسة منهم (٢) يُعلمهم أنهم

(١) سهم غرب : لا يدري راميه . (٢) س ، ل : « فيهم » .

لو ملكوا غير يوسانوس لجرى هلاكهم في بلاد فارس ، وأن تملكهم إياه
يُنَجِّبِهِمْ مِنْ سَطْوَتِهِ . وَقَوِيَّ أَمْرَ يوسانوس بجهدِهِ ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّ الرُّومَ قَدْ
سَنُوا الْغَارَةَ عَلَى بِلَادِنَا ، وَقَتَلُوا بَشَرًا كَثِيرًا ، وَقَطَعُوا مَا كَانَ بِأَرْضِ السَّوَادِ
مِنْ نَخْلٍ وَشَجَرٍ ، وَخَرَّبُوا^(١) عِمَارَتَهَا ؛ فِيمَا أَنْ يَدْفَعُوا إِلَيْنَا قِيمَةَ مَا أَفْسَدُوا
وَخَرَّبُوا ، وَإِنَّمَا أَنْ يَعْوِضُونَا مِنْ ذَلِكَ نَصِيبِينَ وَحَيْتَزَهَا ، عَوْضًا مِنْهُ ، وَكَانَتْ
مِنْ بِلَادِ فَارِسَ ، فَغَلَبَتْ عَلَيْهَا الرُّومُ .

فَأَجَابَ يوسانوس وَأَشْرَافَ جُنْدِهِ سَابُورَ إِلَى مَا سَأَلَ مِنَ الْعِوَضِ ، وَدَفَعُوا
إِلَيْهِ نَصِيبِينَ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ أَهْلَهَا ، فَجَلَّتُوا مِنْهَا إِلَى مَدَنٍ فِي مَمْلَكَةِ الرُّومِ ، مَخَافَةَ
عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنْ مَلِكِ الْمَلِكِ الْمُخَالَفِ مَدَّتَهُمْ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ سَابُورَ ، فَنَقَلَ اثْنَيْ
عَشَرَ أَلْفَ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ أَهْلِ إِصْطَخَرٍ وَإِصْبَهَانَ وَكُورُ أَخْرَ مِنْ بِلَادِهِ
وَحَيْتَزَهُ إِلَى نَصِيبِينَ . وَأَسْكَنَهُمْ إِيَّاهَا ، وَانصَرَفَ يوسانوس وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْجُنُودِ
إِلَى الرُّومِ . وَمَلَكَهَا زَمَنًا^(٢) يَسِيرًا ثُمَّ هَلَكَ .

وَإِنَّ سَابُورَ ضَرَبَ بِقَتْلِ الْعَرَبِ ، وَنَزَعَ أَكْتافَ رُؤْسِهِمْ إِلَى أَنْ هَلَكَ .
وَكَانَ ذَلِكَ سَبَبَ تَسْمِيَتِهِمْ إِيَّاهُ ذَا الْأَكْتافِ

٨٤٤/١

. . .

وَذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ^(٣) الْأَخْبَارِ أَنَّ سَابُورَ بَعْدَ أَنْ أَخَذَ فِي الْعَرَبِ وَأَجْلَاهُمْ
عَنِ النَّوَاحِي الَّتِي كَانُوا صَارُوا إِلَيْهَا مِمَّا قَرِبَ مِنْ نَوَاحِي فَارِسَ وَالْبَحْرَيْنِ وَالْبِيْمَامَةِ ،
ثُمَّ هَبَّطَ إِلَى الشَّامِ ، وَسَارَ إِلَى حَدِّ الرُّومِ ، أَعْلَمَ أَصْحَابَهُ أَنَّهُ عَلَى دُخُولِ الرُّومِ
حَتَّى يَبْحَثَ عَنْ أَسْرَارِهِمْ ، وَيَعْرِفَ أَخْبَارَ مَدَنِهِمْ وَعَدَدَ جُنُودِهِمْ ، فَدَخَلَ إِلَى
الرُّومِ ، فَجَالَ فِيهَا حِينًا ، وَبَلَغَهُ أَنَّ قَبْصَرَ أَوْلَمَ ، وَأَمْرَ بِجَمْعِ النَّاسِ لِيَحْضُرُوا
طَعَامَهُ ، فَانْطَلَقَ سَابُورَ بِهَيْئَةِ السُّؤَالِ حَتَّى شَهِدَ^(٤) ذَلِكَ الْجَمْعَ . لِيَنْظُرَ إِلَى
قَبْصَرَ ، وَيَعْرِفَ هَيْئَتَهُ وَحَالَهُ فِي طَعَامِهِ ، فَفَطَّنَ لَهُ فَأَخَذَ ، وَأَمْرَ بِهِ قَبْصَرَ
فَأَدْرَجَ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ ، ثُمَّ سَارَ بِجُنُودِهِ إِلَى أَرْضِ فَارِسَ ، وَمَعَهُ سَابُورَ عَلَى تِلْكَ

(١) ت : « وأخربوا » .

(٢) ل : « زماناً » .

(٣) ت : « بعضهم » .

(٤) ت : « يشهد » .

الحالة ، فأكثر من القتل وخراب المذائن والقرى وقطع النخل والأشجار ، حتى انتهى إلى مدينة جُنْدَى سابور ، وقد تحصن أهلها . فنصب المجانيق . وهدم بعضها . فبينما هم كذلك ذات ليلة إذ غفل الروم الموكلون بحراسة سابور ، وكان يقربه قوم من سبى الأهواز ، فأمرهم أن يلقوا على القيد الذى كان عليه زيتاً من زقاق كانت يقربهم ، ففعلوا ذلك . ولان الجلد وانسل منه ، فلم يزل يدب حتى دنا من باب المدينة ، وأخبر حُرَّاسهم باسمه . فلما دخل على أهلها ، اشتدَّ سرورهم به . وارتفعت أصواتهم بالحمد والتسبيح ، فانتبه أصحابُ قيصر بأصواتهم ، وجمع سابور مَنْ كان في المدينة وعبائهم . وخرج إلى الروم في تلك الليلة سَحَرًا . فقتل الروم وأخذ قيصر أسيراً . وغنم أمواله ونساءه ، ثم أثقل قيصر بالحديد وأخذه بعمارة ما أخرب ؛ ويقال : إنه أخذ قيصر بنقل التراب من أرض الروم إلى المذائن وجُنْدَى سابور ، حتى يرم به ما هدم منها . وبأن^(١) يفرس الزيتون مكان النخل والشجر الذى عقره . ثم قطع عقبه ورتقه . وبعث به إلى الروم على حمار . وقال : هذا جزاؤك ببغيك علينا ؛ فلذلك تركت الروم اتِّخَاذَ الأعقاب . ورتق الذُّؤَاب^(٢) .

ثم أقام سابور في مملكته حينئذ . ثم غزا الروم فقتل مِنْ أهلها : وسبى سبيًا كثيرًا . وأسكن مَنْ سبى مدينةً بناها بناحية السُّوس . وسمَّاهَا إِبْرَانِشَهْرَ سابور ، ثم استصلح العرب . وأسكن بعض قبائل تغلب وعبد القيس وبكر بن وائل كَرَمَانَ وتَوَجَّجَ والأهواز . وبني مدينة نيسابور ومدائن أخرَ بالسند وسجستان . ونقل طبيبًا من الهند فأسكنه الكَرَّخَ من السُّوس ؛ فلما مات ورث طبيبه أهلُ السُّوس ؛ ولذلك صار أهلُ تلك الناحية أطبَّ العجم . وأوصى بالملك لأخيه أردشير .

وكان ملك سابور اثنتين وسبعين سنة .

• • •

وهلك في عهد سابور عامله على ضاحية مُضَر وربيعة ، امرؤ القيس البدء^(٣) بن عمرو بن عدى بن ربيعة بن نصر ، فاستعمل سابور على عمله

(١) س : « وأن » . (٢) كذا وردت العبارة في ط ، وانظر المسعودى ١ : ٢٥٨ .

(٣) ت : « البدى » ؛ س : « البدنى » .

ابنه عمرو بن امرئ القيس - فيما ذُكِرَ - فبقِيَ في عمله بقيَّةَ ملك سابور ،
 وجميع أيام أخيه أردشير بن هرمز بن نرسی ، وبعض أيام سابور بن سابور .
 وكان جميع عمله - على ما ذكرت - من العرب ، وولايته عليهم - فيما
 ذكر ابن الكلبي - ثلاثين سنة .

[ذكر ملك أردشير بن هرمز]

ثم قام بالملك بعد سابور ذى الأكتاف أخوه أردشير بن هرمز بن نرسی
 ابن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير بن بابك . فلما عقِدَ التاج
 على رأسه جلس للعظماء ، فلما دخلوا عليه دعوا له بالنصر ، وشكروا عنده
 أخاه سابور ، فأحسن جوابهم ، وأعلمهم موقع ما كان من شكرهم لأخيه
 عنده ، فلما استقرَّ به الملك قراره عطف على العظماء وذوى الرياسة ، فقتل منهم
 خلقاً كثيراً ، فخلعه الناس بعد أربع سنين من ملكه .

[ذكر ملك سابور بن سابور]

ثم ملك سابور بن سابور ذى الأكتاف بن هرمز بن نرسی . فاستبشرت
 الرعيَّة بذلك وبرجوع مُلْك أبيه إليه ، فلقيتهم أحسن اللقاء ، وكتب الكتب إلى
 العمَّال في حُسْنِ السيرة والرفق بالرعيَّة ، وأمر بمثل ذلك وزراءه وكتابه وخاشيته .
 وخطبهم خطبة بليغة ، ولم يزل عادلاً على رعيته ، متحنناً عليهم لما كان تبيِّن
 من مودتهم ومحبتهم وطاعتهم ، وخضع له عمه أردشير الخلوع ، ومنحه الطاعة .
 وإنَّ العظماء وأهل البيوتات قطعوا أطناب فسطاط كان ضُرب عليه في حجرة
 من حُجْرِهِ ، فسقط عليه انفسطاط .
 وكان ملكه خمس سنين .

[ذكر ملك بهرام بن سابور]

ثم ملك بعده أخوه بهرام بن سابور ذى الأكتاف . وكان يلقب كَرَمَان
 شاه ؛ وذلك أنَّ أباه سابور كان ولاه في حياته كَرَمَان ، فكتب إلى قواده
 كتاباً يحثهم فيه على الطاعة ، ويأمرهم بتقوى الله والنصيحة للملك ، وبنى
 بكرَمَان مدينة ، وكان حَسَنَ السياسة لرعيته ، محموداً في أمره .

وكان ملكه إحدى عشرة سنة . وإن ناساً من الفتاك ثاروا إليه فقتله رجل منهم برميه رماها إياه بنشابة^(١) .

• • •

[ذكر ملك يزدجرد الأثيم]

ثم قام بالملك بعده يَزْدَجِرْدُ الملقب بالأثيم ، بن بهرام الملقب بكرمان شاه بن سابور ذى الأكتاف .

ومن أهل العلم بأنساب الفرس من يقول : إن يَزْدَجِرْدُ الأثيم هذا ، هو أخو بهرام الملقب بكرمان شاه وليس بابنه ، ويقول : هو يَزْدَجِرْدُ بن سابور ذى الأكتاف . ومن نسبة هذا النسب وقال هذا القول ، هشام بن محمد .

وكان - فيما ذكر - فظاً غليظاً ذا عيوب كثيرة ، وكان من أشد عيوبه وأعظمها - فيما قيل - وضعه ذكاء ذهن وحسن أدب كان له وصنوفاً من العلم قد مهرها وعلمها ، غير موضعه ، وكثرة رؤيته في الضار من الأمور ، واستعمال كل ما عنده من ذلك ، في المواربة والدهاء والمكايدة والمخاتلة ، مع فطنة كانت بجهات الشر ، وشدة عجبته بما عنده من ذلك ، واستخفافه بكل ما كان في أيدي الناس من علم وأدب ، واحتقاره له ، وقلة اعتداده به ، واستطالته على الناس بما عنده منه . وكان مع ذلك غليظاً سيئ الخلق ، ردىء الطعمة^(٢) حتى بلغ من شدة غلقه وحدته أن الصغير من الزلات كان عنده كبيراً ، واليسير من السقطات عظيماً . ثم لم يقدر أحد - وإن كان لطيف المنزلة منه - أن يكون لمن ابتلى عنده بشيء من ذلك شفيعاً ، وكان دهره كله للناس متهمياً ، ولم يكن ياتمن أحداً على شيء من الأشياء ، ولم يكن يكافئ على حسن البلاء . وإن هو أولى الحسيس من العرف استجزل ذلك ، وإن جسّر على كلامه في أمر كلمه فيه رجل لغيره قال له : ما قدر جعلتك^(٣) في هذا الأمر الذى كلمتنا فيه ؟ وما أخذت عليه ؟ فلم يكن يكلمه في ذلك وما أشبهه إلا الوفود القادمون عليه من قبيل ملوك الأمم . وإن رعيته إنما سلبوا من سطوته وبليته ، وما كان جمع من الخلال السيئة بتمسكهم

(٢) ردىء الطعمة ، أى سيء السيرة .

(١) ت ، س : « بنشاب » .

(٢) الجمالة : الرشوة .

بمن كان قبل مملكته بالسُّنن الصالحة وبأدبهم . وكانوا لسوء أدبه ، ومخافة سطوته ، متواصلين متعاونين ، وكان من رأيه أن يعاقب كلَّ من زلَّ عنده وأذنب إليه من شدة العقوبة بما لا يستطاع ^(١) أن يُبلِّغ منه مثلها في مدة ثلاثمائة . وكان لذلك لا يقرعه بسوط انتظاراً منه للمعاقبة له بما ليس وراءه أفضح منه . وكان إذا بلغه أن أحداً من بطانته صافى رجلاً من أهل صناعته أو طبقتة نحاه عن خدمته .

وكان استوزر عند ولايته نرسي حكيم دهره . وكان نرسي كاملاً في أدبه ، فاضلاً في جميع مذاهبه ، متقدماً لأهل زمانه . وكانوا يسمونه مِهْر نرسي ومِهْر نرسيه ، ويلقب بالهزّار بننده ، فأملت الرعيّة بما كان منه أن ينزع عن أخلاقه ، وأن يُصلح نرسي منه ، فلما استوى له الملك ، اشتدّت ^(٢) إهانته الأشراف والعظماء ، وحسّل على الضعفاء ، وأكثر من سفك الدماء ، وتسلط تسلطاً لم يُبتل الرعيّة بمثله في أيامه . فلما رأى الوجوه والأشراف أنه لا يزداد إلا تتابعاً في الجور ، اجتمعوا فشكوا ما ينزل بهم من ظلّمه ، وتضرّعوا إلى ربهم . وابتهلوا إليه بتعجيل إنقاذهم منه . فزعموا أنه كان يجرجان ، فرأى ذات يوم في قصره فرساً عائراً ^(٣) - لم ير مثله في الخيل ، في حسن صورة ، وتمام خلقت - أقبل حتى وقف على بابه ، فتعجب الناس منه ، لأنه كان متجاوز الحال ، فأخبر يزدجرد خبره ، فأمر به أن يسرج ويلتجم ، ويدخل عليه ، فحاول ساسته وصاحب مراكبه إلحامه وإسراجه ، فلم يمكن أحداً منهم من ذلك ، فأنهى إليه امتناع الفرس عليهم ، فخرج بيده ^(٤) إلى الموضع الذي كان فيه ذلك الفرس فألجمه بيده ، وأتى لبداً على ظهره ، ووضع فوقه سرجاً ، وشدّ حزامه ولتبيته فلم يتحرك الفرس بشيء من ذلك ، حتى إذا رفع ذنبه ليُسْفِره ^(٥) استدبره الفرس فرمحه على فؤاده رحمة هلك منها مكانه ، ثم لم يعاين ذلك الفرس . ويقال : إن الفرس ملاً فُروجه جريماً فلم يدرك ولم

٨٤٩/١

٨٥٠/١

(١) ت : « ما استطاع » .

(٢) في الأصول : « واشتدت » ، والأجود حذف الواو .

(٣) يقال : عار الفرس ، إذا ذهب كآزّه منفلت من صاحبه .

(٤) البدن هنا : شبه الدرع ؛ إلا أنه قصير قدر ما يكون على البدن فقط .

(٥) أنفر الدابة ، أي عمل لها ثفراً ، والثفر : السير الذي في مؤخر السرج .

ثم لم تبته ! فأمر به فطرح من رأس الخورنق^(١)؛ ففي ذلك يقول أبو الطمّحان
القيّسيّ :

جَزَاءَ سِنِمَارٍ جَزَاهَا ، وَرَبَّهَا وَبِاللَّاتِ وَالْعُزَّى جَزَاءَ الْمَكْفَرِ^(٢)

وقال سليط بن سعد :

جَزَى بَنُوهُ أَبَا الْغَيْلَانَ عَنْ كِبَرٍ وَحَسَنٍ فِعْلٍ كَمَا يُجَزَى سِنِمَارُ

وقال يزيد بن إياس النهشليّ :

جَزَى اللَّهُ كَمَالًا بِأَسْوَأِ فِعْلِهِ جَزَاءَ سِنِمَارٍ جَزَاءَ مُوَفَّرَا

وقال عبد العزيز بن امرئ القيس الكلبيّ - وكان أهدى أفراسًا إلى
الحارث بن مارية الغسانيّ ، ووفد إليه فأعجبته وأعجب به بعد العزّيّ وحديثه ،
وكان للملك ابن مسترضع في بني الحميم^(٣) بن عوف من بني عبد ودّ ، من كلب ،
فنهشته حيّة ، فظنّ الملك أنهم اغتالوه ، فقال لعبد العزّيّ : جئني بهؤلاء
القوم ، فقال : هم قوم أحرار ، وليس لي عليهم فضل في نسب ولا فعال ،
فقال : لتأتيني بهم أو لأفعلنّ ولأفعلنّ ! فقال : رجونا من حباتك أمراً حال
دونه عقابك . ودعا ابنه : شرّاحيل وعبد الحارث ، فكتب معهما إلى قومه :

جَزَانِي جَزَاهُ اللَّهُ شَرًّا جَزَاهُ جَزَاءَ سِنِمَارٍ وَمَا كَانَ ذَا ذَنْبٍ^(٤)

سِوَى رَصِّهِ الْبُنْيَانِ عِشْرِينَ حِجَّةً يُعَلِّي عَلَيْهِ بِالْقَرَامِيدِ وَالسَّكْبِ^(٥)

فَلَمَّا رَأَى الْبُنْيَانَ تَمَّ سَمُوقَهُ وَأَخَصَّ كَمِثْلِ الْعُلُودِ ذِي الْبَاذِخِ الصَّمْبِ^(٦)

(١) في الأغاني : « من أعلى الخورنق » .

(٢) في الأغاني ؛ وعنه في خزنة الأدب ١ : ١٤٢ : « جزوها » ، والمكفر : المحسن
المحمود إحصانه .

(٣) كذا في الطبري وفي الأغاني : « ابن مسترضع في بني عبدود » .

(٤) وردت الأبيات في الحيوان ١ : ٢٣ ، وثمار القلوب ١٠٩ ، والروض الأنف ١ : ٦٧ ،
والمعنى ٢ : ٤٩٦ ، ومعجم البلدان (الخورنق) ، بروايات مختلفة .

(٥) القراميد ، مفردة قرمد ؛ وهو الأجر . والسكب : النحاس أو الرصاص ، وفي الحيوان :

« سبمن حجة » ، وفي معجم البلدان : « ستين حجة » .

(٦) في معجم البلدان : « كمثل العلود والشامخ الصمب » .

فَأْتَمَّهُ مِنْ بَعْدِ حَرَمِ وَحِقْبَةٍ وَقَدْ هَرَّهْ أَهْلُ الْمَشَارِقِ وَالغَرْبِ
 وَظَنَّ سِنِمَارٌ بِهِ كُلَّ حَبْرَةٍ (١) وَفَازَ لَدَيْهِ بِالْمَوَادَّةِ وَالقُرْبِ
 فَقَالَ أَقْدِفُوا بِالْمَلِجِ مِنْ فَوْقِ بُرْجِهِ فَهَذَا الْعَمْرُ اللَّهُ مِنْ أَعْجَبِ الْخَطْبِ (٢)
 وَمَا كَانَ لِي عِنْدَ ابْنِ جَفْنَةَ فاعلموا مِنْ الذَّنْبِ مَا آلَى يَمِينًا عَلَى كَذِبِ
 لَيْلَتَمِسْنَ بِالْخَيْلِ عُقْرَ بِلَادِهِمْ تَحْمَلُ أَبَيْتَ اللَّعْنِ مِنْ قَوْلِكَ الْمُزْبِي (٣)
 وَدُونَ الَّذِي مَنَى ابْنُ جَفْنَةَ نَفْسُهُ رِجَالٌ يَرُدُّونَ الظُّلُومَ عَنِ الشُّعْبِ
 وَقَدْ رَامْنَا مِنْ قَبْلِكَ الْمَرْءَ حَارِثُ فَغُودِرَ مَسْلُولاَ لَدَى الْأَكَمِ الصُّهْبِ ٨٥٣/١

قال هشام : وكان النعمان هذا قد غزا الشام مراراً ، وأكثر المصائب في أهلها ، وسبى وغنم ، وكان من أشد الملوك نيكابة في عدوه ، وأبعدهم مغاراً فيهم ، وكان ملك فارس جعل معه كتيبتين : يقال لإحدهما : دوسر ، وهي لتسوخ ، وللأخرى : الشهباء ، وهي لفارس ، وهما اللتان يقال لهما : القبيلتان ، فكان يغزو بهما بلاد الشام ومن لم يدن له من العرب .

قال : فذُكِرْنَا - والله أعلم - أنه جلس يوماً في مجلسه من الخورنوق ، فأشرف منه على النَّجَفِ وما يليه من البساتين والنخل والجنان والأنهار مما يلي المغرب ، وعلى الفُراتِ مما يلي المشرق ، وهو على متن النَّجَفِ . في يوم من أيام الربيع ، فأعجبه ما رأى من الحُضْرَةِ والنَّوْرِ والأنهار ، فقال لوزيره وصاحبه : هل رأيتَ مثل هذا المنظر قط ؟ فقال : لا ، لو كان يدوم ! قال : فما الذي يدوم ؟ قال : ما عند الله في الآخرة ، قال : فبم يُنال ذلك ؟ قال : بترك الدنيا وعبادة الله والتماس ما عنده ؛ فترك مُلْكَهُ من ليلته وتبسَّ المسوح ، وخرج مستخفياً هارباً لا يُعْلَمُ به ، وأصبح الناس لا يعلمون بحاله ، فحضروا بابه ؛ فلم يُؤذَنَ لهم عليه كما كان يفعل ، فلما أبطأ الإذنُ عليهم ، سألوا عنه فلم يجده ، وفي ذلك يقول عدى بن زيد العبادي :

(١) الحبرة : السرور ، وفي الحيوان ومعجم البلدان : « حبرة » .
 (٢) ت : « أعظم الخطب » .
 (٣) المزبي : الملقق المزجج .

وَتَفَكَّرَ رَبُّ الْخَوَرَنَقِ إِذْ أَشْرَفَ يَوْمًا وَلِلْهَدَى تَبْصِيرًا^(١)
 سَرَّهُ حَالُهُ وَكَثْرَةُ مَا يَدُّ لَمَلِكُ وَالْبَحْرُ مُرْمِضٌ وَالسَّيْرُ^(٢)
 فَارْعَوَى قَلْبُهُ قِصَالَ وَمَا غَبَّ طَلْعُ حَيٍّ إِلَى التَّمَاتِ يَصِيرُ^(٣)
 مُمْ بَعْدَ الْفَلَاحِ وَالْمُلْكِ وَالْإِمَّةِ وَارْتَهُمُ هُنَاكَ الْقُبُورُ^(٤)
 ثُمَّ أَضْحَوْا كَأَنَّهُمْ وَرَقٌ جَفَّ ، فَأَلْوَتْ بِهِ الْعَبَا وَالذَّبُورُ^(٥)

٨٥٤/١

فكان مُلْكُ النعمان إلى أن ترك مُلْكَهُ وساح في الأرض تسعًا وعشرين سنة وأربعة أشهر .

قال ابن الكلبي : من ذلك في زمن يَزْدَجِيرْدَ خمس عشرة سنة ، وفي زمن بَهْرَامِ جُورِ بن يَزْدَجِيرْدَ أربع عشرة سنة .

وأما العلماء من الفُرسِ بأخبارهم وأمورهم فإنهم يقولون في ذلك ما أنا ذاكره .

• • •

[ذكر ملك بهرام جور]

ثم ملك بعد يَزْدَجِيرْدِ الأئيم ابنه بَهْرَامِ جُورِ بن يَزْدَجِيرْدِ الْحَاشِيَنِ ابن بَهْرَامِ كَرْمَانَ شاه بن سابور ذى الأكتاف . وذكر أن مولده كان هُرْمُزْدَرُوزَ فَرَوْرْدِيْنَ ماه^(٥) ، لسبع ساعات مضين من النهار . فإن أباه يَزْدَجِيرْدَ دعا ساعة ولدَ بَهْرَامِ مَمَّنْ كان بيباه من المنجمين ، فأمرهم بإقامة كتاب مولده وتبينته بيانًا يدل على الذى يثول إليه كل أمره ، ففاسوا الشمس ونظروا في مطالع النجوم ، ثم أخبروا يَزْدَجِيرْدَ أَنَّ اللَّهَ مَوْرَثٌ بِبَهْرَامِ مَلِكِ أَبِيهِ ، وَأَنَّ رِضَاعَهُ بغير أرض يسكنها الفرس ، وَأَنَّ مِنَ الرَّأْيِ أَنْ يَرْتَقِيَ بغير بلاده ، فأجال يَزْدَجِيرْدُ الرَّأْيَ فِي دفعه فِي الرِضَاعِ وَالتَّربِيَةِ إِلَى بعض مَنْ بيباه من الروم أو العرب أو غيرهم ممن لم يكن من الفرس ، فبدأ له في اختيار العرب لتربيته وحضانته ، فدعا بالمنذر

٨٥٥/١

(١) في الأغاني ٢ : ١٣٩ : • وتذكره • . (٢) الأغاني : • سره ماله • .

(٣) الإمة : النعمة . (٤) ألوت به ، أى ذهبت به .

(٥) يريد أنه ولد في غرة شهر الربيع ، وهو أول شهر في السنة الشمسية عند الفرس .

ابن النعمان، واستحضنه بتهرام، وشرفه وأكرمه، وملكه على العرب، وحباه بمرتين سنيتين، تدعى إحداهما: رام أبزوذ يزديرد، وتأويله « زاد سرور يزديرد»، والأخرى تدعى بمهشت، وتأويلها « أعظم الخوَل»، وأمر له بصلة وكسوة بقدر استحقاقه لذلك في منزلته، وأمره أن يسير بتهرام إلى بلاد العرب.

فسار به المنذر إلى محلته منها، واختار لرضاعه ثلاث نسوة ذوات أجسام صحيحة، وأذهان ذكية، وآداب رضية، من بنات الأشراف؛ منهن امرأتان من بنات العرب. وامرأة من بنات العجم. وأمر لهن بما أصلحهن من الكسوة والفرش والمنظف والمشرب وسائر ما احتجن إليه. فتداولن رضاعه ثلاث سنين. وفتطم في السنة الرابعة. حتى إذا أتت له^(١) خمس سنين. قال للمنذر: أحضرنى مؤدبين ذوي علم. مدرّبين بالتعليم؛ ليعلموني الكتابة والرماية والفقه. فقال له المنذر: إنك بعد صغير السن، ولم يأن لك أن تأخذ في التعليم؛ فالزم ما يلزم الصبيان الأحداث. حتى تبلغ من السن ما يطيق التعلم والتأديب، وأحضِر^(٢) من يعلمك كل ما سألت تعلمه. فقال بهرام للمنذر: أنا لعمرى صغير، ولكن عقلي عقل مُحْتَسِنِك، وأنت كبير السن وعقلك عقل ضَرَع^(٣). أما تعلم أيها الرجل؛ أن كل ما يتقدم في طلبه ينال في وقته، وما يطلب ٨٥٦/١ في وقته ينال في غير وقته، وما يفترط في طلبه يفوت فلا ينال! وإنسى من ولد الملوك، والمُلُك صائر إلى بإذن الله. وأولى ما كُلف به الملوك وطلبوه صالح العلم؛ لأنه لهم زين، وللملكهم ركن به يقوون. فعجّل على بمن سألتك من المؤدبين.

فوجه المنذر ساعة سمع مقالة بتهرام هذه إلى باب الملك من أنه برهط من فقهاء الفرس. ومعلمي الرمي والفروسية ومعلمي الكتابة وخاصة^(٤) ذوي الأدب، وجمع له حكماء من حكماء فارس والروم، ومحدثين من العرب، فالزمهم بهرام، ووقت لأصحاب كل مذهب من تلك الميهن وقتاً يأتونه فيه؛ وقدر

(١) ل: « عليه ». (٢) ت: « وأحضرك ».

(٣) الضرع، بالتحريك: الصغير السن الضعيف.

(٤) ط: « وحصة ».

لهم قدراً يفيدونه ما عندهم ، فتفرغ بهرام لتعلم كل ما سأل أن يتعلم : وللاستماع^(١) من أهل الحكمة وأصحاب الحديث ، ووعى كل ما استمع . وثقيف كل ما علم بأيسر تعليم . وألقى بعد أن بلغ اثنتي عشرة سنة ، وقد استفاد كل ما أفيد وحفظه ، وفاق معلميه ومن حضره من أهل الأدب : حتى اعترفوا له بفضلهم عليهم .

وأثاب بهرام المنذر ومعلميه : وأمرهم بالانصراف عنه . وأمر معالي الرمي والفروسية بالإقامة عنده : ليأخذ عنهم كل ما ينبغي له التدرّب به . والإحكام له : ثم دعا بهرام بالنعمان بن المنذر ، وأمره أن يؤذن العرب بإحضار خيلهم من الذكور والإناث على أنسابها ، فأذن النعمان للعرب بذلك . وبلغ المنذر الذي كان من رأى بهرام في اختيار الخيل لمركبه . فقال لبهرام : لا تجشمن العرب إجراء خيلهم ؛ ولكن سر من يعرض الخيل عليك ، واختر منها رضاك ، وارتبطه لنفسك . فقال له بهرام : قد أحسنت القول ؛ ولكني أفضل الرجال سؤدداً وشرفاً . وليس ينبغي أن يكون مركبي إلا أفضل الخيل . وإنما يعرف فضل بعضها على بعض بالتجربة^(٢) ؛ ولا تجربة بلا إجراء .

٨٥٧/١

فرضى المنذر مقالته . وأمر النعمان العرب فأحضروا خيولهم ، وركب بهرام والمنذر لحضور الحلبة ، وسرحت الخيل من فرسخين ، فبدر فرس أشقر للمنذر تلك الخيل جميعاً سابقاً ، ثم أقبل بعده بقيتها بداد بداد^(٣) من بين فرسين تاليين ، أو ثلاثة موزعة ، أو سكتيتاً^(٤) . فقرب المنذر بيده ذلك الأشقر إلى بهرام ، وقال : يبارك الله لك فيه ، فأمر بهرام بقبضه وعظم سروره به ، وتشكر للمنذر .

وإن بهرام ركب ذات يوم الفرس الأشقر الذي حمله عليه المنذر إلى الصيد ، فبصر بعانة^(٥) ، فرمى عليها وقصد نحوها ؛ فإذا هو بأسد قد شد على

(١) س ، ل : « والاستماع » .

(٢) ت : « في التجربة » .

(٣) بداد بداد ؛ أي مرتين . وفي الأصول : « بدار بدار » .

(٤) السكيت : من يجي . آخر الحلبة .

(٥) العانة : القطيع من حمر الوحش .

عَيْرَ كان فيها ، فتناول ظهره بفيه ليقصمه ويفترسه ، فرماه بهرام رمية في ظهره ، فنفدت النشابة من بطنه وظهر العير وسرته حتى أفضت إلى الأرض . فساخت فيها إلى قريب من ثلثيها ، فتحرك طويلاً ، وكان ذلك بمشهد ناس من العرب وحرس بهرام وغيرهم . فأمر بهرام فصور ما كان منه في أمر الأسد والعير في بعض مجالسه .

ثم إن بهرام أعلم المنذر أنه على الإلمام بأبيه ، فشخص إلى أبيه ، وكان أبوه يزدجرد لسوء خلقه لا يحفل بولد له ، فاتخذ بهرام للخدمة ، فلقى بهرام من ذلك عناء .

ثم إن يزدجرد وفد عليه أخ لقيصر ، يقال له : ثيادوس ، في طلب الصلح والهدنة لقيصر والروم ، فسأله بهرام أن يكلم يزدجرد في الإذن له في الانصراف إلى المنذر ، فانصرف إلى بلاد العرب ، فأقبل على التمتع والتلذذ . وهلك أبوه يزدجرد وبهرام غائب ، فتعاقد ناس من العظماء وأهل البيوتات ألا يملكوا أحداً من ذرية يزدجرد لسوء سيرته ، وقالوا : إن يزدجرد لم يخلّف ولداً يحتمل الملك غير بهرام ، ولم يلب بهرام ولاية قط يبلى^(١) بها خبره ، ويعرف بها حاله ، ولم يتأدب بأدب العجم ؛ وإنما أدبه أدب العرب ، وخلقهم كخلقهم ، لنشئه بين أظهرهم . واجتمعت كلمتهم وكلمة العامة على صرف الملك عن بهرام إلى رجل من عيرة أردشير بن بابك ، يقال له كسرى ، ولم يقيموا أن ملكوه . فأنهى هلاك يزدجرد والذي كان من تملكهم كسرى إلى بهرام وهو ببادية العرب ، فدعا بالمنذر والنعمان ابنه ، وناس من علية العرب ، وقال لهم : إنني لا أحسبكم تجحدون خصيصي والدي ؛ كان أتاكم معشر العرب بإحسانه وإنعامه كان عليكم ، مع فظاظته وشدته كانت على الفرس ؛ وأخبرهم بالذي أتاه من نعي أبيه ، وتمليك الفرس من ملكوا عن تشاور منهم في ذلك .

فقال المنذر : لا يهولنك ذلك حتى الطيف الحيلة^(٢) فيه . وإن المنذر

(١) ت : « يبلى » .

(٢) ط : « الحيلة ، وما أثبتته من ت » .

جهز عشرة آلاف رجل من فرسان العرب ، ووجههم مع ابنه إلى طيبون^(١) وبهتار دشير مدينتي الملك ، وأمره أن يعسكر قريباً منهما ، ويدمن إرسال طلائعه إليهما ، فإن تحرك أحد لقتاله قاتله وأغار على ماوالاهما ، وأمر وسبتي ؛ وبهاه عن ستفك الدماء . فسار النعمان حتى نزل قريباً من المدينتين ، ووجه طلائعه إليهما ، واستعظم قتال الفرس . وإن من الباب من العظماء وأهل البيوتات أوفدوا جواني صاحب رسائل يزيد جيرد إلى المنذر ، وكتبوا إليه يعلمونه أمر النعمان ، فلما ورد جواني على المنذر وقرأ الكتاب الذي كتب إليه ، قال له : الق الملك بهتار ، ووجه معه من يوصله إليه . فدخل جواني على بهتار فراع ما رأى من سامته وبهائه ، وأغفل السجود دهشاً ، فعرف بهتار أنه إنما ترك السجود لما راعه من روائه ، فكلمه بهتار ، ووعدده من نفسه أحسن الوعد ، وردّه إلى المنذر ، وأرسل إليه أن يجيب في الذي كتب ، فقال المنذر لجواني : قد تدبرت الكتاب الذي أتيتني به ؛ وإنما وجه النعمان إلى ناحيتكم الملك بهتار حيث ملكه الله بعد أبيه ، وحوّله إيناكم .

فلما سمع جواني مقالة المنذر ، وتذكر ما عابن من رواء بهتار وهيبته عند نفسه ، وأن^(٢) جميع من شاور^(٣) في صرف الملك عن بهتار مخصوم محجوج ، قال^(٤) للمنذر : إني لست محيراً جواباً ، ولكن سير إن رأيت إلى محلة الملوك فيجتمع^(٥) إليك من بها من العظماء وأهل البيوتات ، وتشاوروا في ذلك . وأت فيه ما يجمل ؛ فإنهم لن يخالفوك في شيء مما تشير به .

فرد المنذر جواني إلى من أرسله إليه ، واستعدت سار بعد فصول جواني من عنده بيوم بهتار في ثلاثين ألف رجل من فرسان العرب وذوي^(٦) البأس والتجدة منهم إلى مدينتي الملك ؛ حتى إذا وردهما ، أمر فجمع الناس ، وجلس بهتار على منبر^(٧) من ذهب مكلل بجوهر ، وجلس المنذر عن يمينه ،

(١) ت : طيبون . س : طيبون . (٢) ل : علم بأن .

(٣) ت ، س : تشاور . (٤) ل : فقال .

(٥) ت : فجمع . (٦) ت : وأولى . (٧) ت : سرير .

وتكلم عظماء الفرس وأهل البيوتات، وفرشوا للمنذر بكلامهم فظاظة ينزُد جرد أبي بهرام كانت ، وسوء سيرته ، وأنه أخرب بسوء رأيه الأرض ، وأكثر القتل ظلماً ، حتى قد قتل الناس في البلاد التي كان يملكها ، وأموراً غير ذلك فظيعة . وذكروا أنهم إنما تعاقدوا وتوثقوا على صرف الملك عن ولد ينزُد جرد لذلك ، وسألوا المنذر ألا يجبرهم في أمر الملك على ما يكرهونه .

فوعى المنذر ما بثوا من ذلك ، وقال لبهرام : أنت أولى بإجابة القوم مني . فقال بهرام : إني لست أكذبكم معشر المتكلمين في شيء مما نسبم إليه ينزُد جرد لِمَا استقرّ عندي من ذلك ، ولقد كنت زارياً عليه لسوء هديّيه ، ومتنكباً لطريقه^(١) ودينه ، ولم أزل أسأل الله أن يمنّ عليّ بالملك ، فأصلح كلّ ما أفسد ، وأرأب ما صدع ؛ فإن أنت للملكي سنة ولم أف لكم بهذه الأمور التي عدت لكم تبرّات من الملك طائعاً ، وقد أشهدت بذلك على الله وملائكته وموبدّان موبد . وليكنّ هو فيها حكماً بيني وبينكم . وأنا مع الذي بينت على ما أعلمكم من رضاي بتمليككم من تناول التاج والزينة ؛ من بين أسدين ضاريين مُشْبِلين ، فهو الملك .

• • •

فلما سمع القومُ مقالة بهرام هذه ، وما وعد من نفسه ، استبشروا بذلك ، وانبسطت آمالهم ، وقالوا فيما بينهم : إننا لسنا نقدر على ردّ قول بهرام ؛ مع ٨٦١/١
أنا إن تممنا على صرف الملك عنه نتخوف أن يكون في ذلك هلاكنا لكثرة من استمدّ واستجاش من العرب ؛ ولكننا نمتحنه بما عرّض علينا مما لم يدعه إليه إلا ثقة بقوته وبطشه وجرأته ، فإن يكنّ على ما وصف به نفسه . فليس لنا رأى إلا تسليم الملك إليه ، والسمع والطاعة له ، وإن يهلك ضعفاً ومعجزةً ، فنحن من هلكته^(٢) براء ، ولشره وغائلته آمنون .

وتفرّقوا على هذا الرأي ، فعاد بهرام بعد أن تكلم بهذا الكلام ، وجلس كمجلسه الذي كان فيه بالأمس ، وحضره من كان بحادّه . فقال لهم : إنا

(١) ل : « لطريقته » . (٢) س : « مهلكته » .

أن تجيبوني فيما تكلمت أمس ، وإما أن تسكتوا باخيعين^(١) لي بالطاعة .
فقال القوم : أمّا نحن ، فقد اخترنا لتدبير الملك كسرى ، ولم نر منه إلا
ما نحب ، ولكننا قد رضينا مع ذلك أن يُوضع التاج والزينة كما ذكرت بين
أسدين ، وتتنازعانها أنت وكسرى ، فأبكما تناولها من بينهما ، سلمنا له الملك .
فرضى بهرام بمقاتلتهم ، فأثى بالتاج والزينة موبذان موبد ، الموكل كان
بعقد التاج على رأس كل ملك يملك ، فوضعهما في ناحية ، وجاء بسطام
إصبهببذ ، بأسدين ضاريين بجوعين مُشبّلين ، فوقف أحدهما عن جانب الموضع
الذي وُضع فيه التاج والزينة ، والآخر بجذائه ، وأرخى وثاقهما ، ثم قال بهرام
لكسرى : دونك التاج والزينة . فقال كسرى : أنت أولى بالبدء وبتناولهما
منى ؛ لأنك تطلب الملك بوراة ، وأنا فيه مغتصب . فلم يكره بهرام قوله ،
لثقتة كانت ببطشه^(٢) وقوته ، وحمل جرزا^(٣) ، وتوجه نحو التاج والزينة ، فقال
له موبذان موبد : اسمائك في هذا الأمر الذي أقدمت عليه ؛ إنما هو تطوع
منك ، لا عن رأى أحد من الفرس ، ونحن برآء إلى الله من إتلافك نفسك .
فقال بهرام : أنتم من ذلك برآء ، ولا وزر عليكم فيه . ثم أسرع نحو الأسدين ،
فلما رأى موبذان موبد جده في لقاها ، هتف به وقال : ببح بذنوبك ،
وتب منها ، ثم أقدم إن كنت لا محالة مُقدمي ، فباح بهرام بما سلف من
ذنوبه ، ثم مشى نحو الأسدين ، فبدر إليه أحدهما ، فلما دنا من بهرام
وثب وثبة ، فعلا ظهره ، وعصر جنبى الأسد بفخذه عصراً أثخنه ، وجعل
يضرب على رأسه بالجرز الذي كان حمل ، ثم شدّ الأسد الآخر عليه ،
فقبض على أذنيه ، وعركهما بيكلتا يديه ، فلم يزل يضرب رأسه برأس
الأسد الذي كان راكبه حتى دمغهما ثم قتلها كليهما على رأسهما بالجرز
الذي كان حملة : وكان ذلك من صنيعه^(٤) بمراى من كسرى ومن حضر
ذلك المحفل .

٨٦٢/١

(١) ل : « خاضعين » .

(٢) ل : « كانت في بطشه » .

(٣) الجرز : عمود من الحديد .

(٤) ت : « صنعه » .

فتناول بهرام بعد ذلك التاج والزينة ، فكان كسرى أول من هتف به ،
وقال : عمرك الله بهرام ! الذي منّ حوله سامعون ، وله مطيعون ، ورزقه مُلك
أقاليم الأرض السبعة . ثم هتف به جميع^(١) الحضر ، وقالوا : قد أذعنا للملك
بهرام ، وخضعنا له ورضينا به مَلِكًا . وأكثروا الدُّعاء له . وإنّ العظماء وأهل
البيوتات وأصحاب الولايات والوزراء لقوا المنذر بعد ذلك اليوم ، وسألوه^(٢)
أن يكلم بهرام في التعمد لإساءتهم في أمره ، والصفح والتجاوز عنهم ، فكلّم
المنذر بهرام فيما سأله من ذلك ، واستوهبه ما كان احتمال عليهم في نفسه ،
فأسعفه بهرام فيما سأل ، وبسط آمالهم .
وإنّ بهرام ملك وهو ابن عشرين سنة ، وأمر من يومه ذلك أن يلزم رعيته راحة
ودّعة ، وجلس للناس بعد ذلك سبعة أيام متوالية ، يعدّهم الخير من نفسه ،
ويأمرهم بتقوى الله وطاعته .

ثم لم يزل بهرام حيث ملك مؤثراً للهو^(٣) على ما سواد ، حتى كثرت ملامة
رعيته إياه على ذلك . وطمع منّ حوله من الملوك في استباحة بلاده . والغلبة
على ملكه ، وكان أول من سبق إلى المكابرة^(٤) له عليه خاقان ملك الترك ،
فإنه غزاه في مائتين وخمسين ألف رجل من الترك ، فبلغ الفرس إقبال خاقان
في جمّع عظيم إلى بلادهم ، فتعاضمهم ذلك وهالم ، ودخل عليه من عظمائهم
أناس لهم رأى أصيل ، وعندهم نظر للعامة ، فقالوا له : إنه قد أزمك أيها
الملك من بائقة هذا العدو وما قد شغلك عما أنت عليه من اللهو والتلذذ ، فتأهب
له كيلا يلحقنا منه أمرٌ يلزمك فيه مسبة وعار . فقال لهم بهرام : إن الله ربنا^(٥)
قوى ونحن أولياؤه . ولم يزد إلا مثابرة على اللهو والتلذذ والصيد .

وإنه تجهز فسار إلى أذر بيجان لينسك^(٦) في بيت نارها ، ويتوجه منها إلى

(١) ت : « الجمع » .
(٢) ل : « فسألوه » .
(٣) س ، ل : « اللهو » .
(٤) ت ، س : « المكابرة » .
(٥) ت : « تعال » .
(٦) ينسك : يتعبد .

أرمينية ، ويطلب الصيد في آجامها ، ويلهو في مسيره في سبعة رهط من العظماء وأهل البيوتات ؛ وثلاثمائة رجل من رابطة ذوى بأس ونجدة ، واستخلف أخا له يسمى نرسى على ما كان يدبّر من ملكه . فلم يشكّ الناس حين بلغهم مسير بهرام فيمن سار واستخلافه أخاه على ما استخلف في أن ذلك هرب من عدوه ، وإسلام لملكه ؛ وتأمروا في إنفاذ وفد إلى خاقان ، والإقرار له بالخراج ، مخافةً منه لاستباحة بلادهم . واصطلامه مقاتلتهم إن هم لم يُدعِنوا له بذلك . فبلغ خاقان الذى أجمع عليه الفرس من الانقياد والخضوع له ، فأمن ناحيتهم ، وأمر جنده بالتورّع ، فأتى بهرام عين كان وجهه ليأتيه بخبر خاقان ، فأخبره بأمر خاقان وعزمه ، فسار إليه بهرام في العدة الذين كانوا معه فيبته ، وقتل خاقان بيده . وأفشى القتل في جنده ، وانهم من سلك من القتل منهم ، ومنحوه أكتافهم . وخالفوا عسكرهم وذراريهم وأثقالهم ، وأمن بهرام في طلبهم يقتلهم ويحوى ما غنم منهم . ويتسبى ذراريهم . وانصرف وجنده سالمين ، وظفر^(١) بهرام بتاج خاقان وإكليله ، وغلب على بلاده من بلاد الترك ، واستعمل^(٢) على ما غلب^(٣) عليه منها مَرزباناً حباه سريراً من فضة ، وأتاه أناس من أهل البلاد المتاخمة لما غلب عليه من بلاد الترك خاضعين باخعين له بالطاعة ، وسألوه أن يُعلمهم حد ما بينه وبينهم فلا يتعدوه . فحدّ لهم حدّاً ، وأمر فبنيت منارة ، وهى المنارة التى أمر بها فيروز الملك ابن يزدجرد ، فقدّمت إلى بلاد الترك ، ووجه بهرام قائداً من قواده إلى ما وراء النهر منهم ، وأمره بقتالهم فقاتلهم وأثخنهم ، حتى أقرّوا لبهرام بالعبودية وأداء الجزية .

• • •

وإن بهرام انصرف^(٤) إلى أذربيجان ، راجعاً إلى محلته من السواد ، وأمر بما كان في إكليل خاقان من ياقوت أحمر وسائر الجواهر ، فعلق على بيت نار أذربيجان ، ثم سار وورد مدينة طيسبون ، فنزل^(٥) دار المملكة بها ، ثم

(١) ت : « فظفر » ، ل : « وظهر » . (٢) ت : « واستخلف » .

(٣) ت : « ما قد غلب عليه » . س ، ل : « على ما غلب عليه » .

(٤) ت : « ونزل » .

(٥) ت : « سار » .

كتب إلى جُنْدِه وعماله بقتله خاقان ، وما كان من أمره وأمر جنده . ثم ولّى أخاه نَرْمِي خُرَّاسَانَ ، وأمره أن يسير إليها وينزل بلخ ، وتقدّم إليه بما أراد .

ثم إن بَهْرَام سار في آخر مُسَلِكِه إلى ماه للصيد بها ، فركب ذات يوم للصيد ، فشدّ على عَيْرٍ ، وأمعن في طلبه ، فارتطم في جُوبٍ ، فغرق ، فبلغ والدته فسارت إلى ذلك الجُوبِ بأموال عظيمة ، وأقامت قريبة منه ، وأمرت بإنفاق تلك الأموال على مَنْ يخرج منه ، فنقلوا من الجُوبِ طيناً كثيراً وحمأةً ، حتى جمَعوا من ذلك آكاماً عظيمةً ، ولم يقدرُوا على جُشْتِه بَهْرَامِ .

وذُكِرَ أن بَهْرَامَ لما انصرف إلى مملكته من غزوه^(١) الترك ، خطب أهل مملكته أياماً متوالية ، حشّمهم في خطبته على لزوم الطاعة ، وأعلمهم أن نيّته التوسعة عليهم . وإيصالُ الخير إليهم ، وأنّهم إن زالوا عن الاستقامة نالهم من غلظته أكثر مما كان نالهم من أبيه . وأنّ أباه كان افتتح أمرهم باللين والمعدلة ، فجحّدوا ذلك أو مَنْ جحّده منهم . ولم يخضعوا له خضوع الحوّل والعبيد للملوك . فأصاره ذلك إلى الغليظة وضرب الأبخار وسفك الدماء . وإنّ انصراف بَهْرَامِ من غزوه ذلك كان على طريق أذَرَ بيجان ، وإنه نَحَلَ بيت نار

٨٦٦/١

الشيخ ما كان في إكليل خاقان من البواقيت والجوهر^(٢) وسيفاً كان لخاقان منقّصاً بدرّ وجوهر وحليّة كثيرة . وأخذه خاتون امرأة خاقان . ورفع عن الناس الخراج لثلاث سنين شكراً على ما لقِيَ من النَّصْر في وجهه ، وقسم في الفقراء والساكين مالا عظيماً . وفي البيوتات وذوي الأحساب عشرين ألف ألف درهم . وكتب بخبر خاقان إلى الآفاق كتباً ، يذكر فيها أن الخبر ورد عليه ورود خاقان بلاه . وأنته محمد الله وعبيدكم وتبركوا عليه . وسأ نحمه في سبعة رهط من أهل البيوتات . وشهادة فارس من نُسخة رابطته على طريق أذَرَ بيجان وجبل القبقق : حتى نعدّ إلى براري خوارزم ومناوزها . فأبلاه

(١) ت : « غزو » .

(٢) ت : « والجواهر » .

الله أحسن بلاء ، وذكر لهم ما وضع عنهم من الحراج ، وكان كتابه في ذلك كتاباً بليغاً .

وقد كان بهرام حين أفضى إليه الملك أمر أن يرفع عن أهل الحراج البقايا التي بقيت عليهم من الحراج ، فأعلم أن ذلك سبعون ألف ألف درهم ، فأمر بتركها وبترك ثلث خراج السنة التي ولى فيها .

وقيل إن بهرام جور لما انصرف إلى طيسبون من مغزاه خاقان التركي ، ولى نرسی أخاه خراسان ، وأنزله بلخ ، واستوزر ميهرن نرسی بن براهة ، وخصه وجعله بزرجفرمذار ، وأعلمه أنه ماضٍ إلى بلاد الهند ، ليعرف أخبارها ، والتطف لحيازة بعض مملكة أهلها إلى مملكته ، ليخفف بذلك بعض مؤونة عن أهل مملكته ، وتقدم إليه بما أراد التقدم إليه فيما خلفه عليه إلى أوان انصرافه ، وأنه شخص من مملكته حتى دخل أرض الهند متكرراً ، فكث بها حيناً لا يسأله أحدٌ من أهلها عن شيء من أمره غير ما يرون من فروسيته^(١) وقتله السباع . وجماله وكمال خلقه ما يعجبون منه . فلم يزل كذلك حتى بلغه أن في ناحية من أرضهم فيلا قد قطع السبيل ، وقتل ناساً كثيراً ، فسأل بعضهم أن يدلّه عليه ليقتله . وانتهى أمره إلى الملك فدعا به ، وأرسل معه رسولاً ينصرف إليه بخبره . فلما انتهى بهرام والرسول إلى الأجمة التي فيها الفيل ، رقى الرسول إلى شجرة لينظر إلى صنيع^(٢) بهرام . ومضى بهرام ليستخرج الفيل ، فصاح به ، فخرج إليه مزبداً وله صوت شديد ، ومنظر هائل . فلما قرب من بهرام رماه رمية وقعت بين عينيه حتى كادت تغيب . ووقدّه بالنشاب ، حتى بلغ منه ، ووثب عليه فأخذه بمشفره ، فاجتذبه جذبة جثا لها الفيل على ركبتيه ، فلم يزل يطعنه حتى أمكن من نفسه ، فاحتر رأسه وحمله على ظهره حتى أخرجه إلى الطريق ، ورسول الملك ينظر إليه . فلما انصرف الرسول اقتصر خبره على الملك ، فعجب من شدته وجراته . وجباه حياءً عظيماً ، واستفهمه أمره . فقال له بهرام : أنا رجل من عظماء الفرس ، وكان

٨٦٧/١

(١) ت : « فروسته » .

(٢) ت : « إلى صنيع » ، س : « ما يصنع » .

ملك فارس سَخَطَ على في شيء فهربت منه إلى جوارك ، وكان لذلك الملك
عدو قد نازعه مَلِكَهُ ، وسار إليه بجنود عظيمة ، فاشتدَّ وَجَلُّ الملك صاحب
بهرام منه لما كان يعرف من قُوته ، وأراده على الخضوع له وحمل الخراج
إليه ، وهمَّ صاحب بهرام بإجابته إلى ذلك ، فنهاه بهرام عن ذلك ، وضمين له
كفاية أمره ، فسكن إلى قوله ، وخرج بهرام مستعداً له ، فلما التَقُوا قال لأساورة
الهند : احرسوا ظهري . ثم حمل عليهم فجعل يضرب الرجل على رأسه فنتهى
ضربته إلى فمه ، ويضرب وسط الرجل فيقطعه باثنين ، ويأتي الفيل فيقد مشفره
بالسيف ، ويحمل الفارس عن سرجه - والهند قوم لا يحسنون الرمي ، وأكثرهم
رَجَالٌ لا دواب لهم - وكان بهرام إذا رمى أحدهم أنفذ السهم فيه ، فلما عاينوا
منه ما عاينوا ، ولتوا منهزمين لا يلوون على شيء ، وغنم صاحب بهرام ما كان
في عسكر عدوه ، وانصرف محبوراً مسروراً ، ومعه بهرام ، فكان في مكافأته
إياه أن أنكحه ابنته ، ونحله الدبيل ومكبران وما يليها من أرض السند ،
وكتب له بذلك كتاباً ، وأشهد له على نفسه شهوداً ، وأمر بتلك البلاد حتى
ضُمَّت إلى أرض العجم ، وحمل خراجها إلى بهرام ، وانصرف بهرام مسروراً .

ثم إنه أغزى مِهْرَنَرَسِي بن بُرَازَةَ بلاد الروم في أربعين ألف مقاتل ،
وأمره أن يقصد عظيمها ، ويناظره في أمر الإتاوة وغيرها ؛ مما لم يكن يقوم
بمثلها إلا مثل مِهْرَنَرَسِي ، فتوجّه^(١) في تلك العدة ، ودخل القسطنطينية ،
وقام مقاماً مشهوراً ، وهادنه عظيم الروم ، وانصرف بكل الذي أراد بهرام ،
ولم يزل لِمِهْرَنَرَسِي مُكْرِمًا ، وربما خفف اسمه فقيل «نرسي» وربما قيل
«مِهْرَنَرَسِي» ، وهو مِهْرَنَرَسِي بن بُرَازَةَ بن فرخزاد بن خورهباز بن سيفاذ
ابن سيسنابروه بن كتي أشك بن دارا بن دارا بن بهمن بن إسفنديار بن
بيشتاسب .

وكان مِهْرَنَرَسِي معظمًا عند جميع ملوك فارس بحسن أدبه ، وجودة
آرائه ، وسكون العامة إليه ، وكان له أولاد مع ذلك قد قاربوه في القدر ، وعملوا
للملوك من الأعمال ما كادوا يلحقون بمرتبه ؛ وإن منهم ثلاثة قد كانوا برزوا :

(١) ل : « فوجهه » .

أحدهم زَرَوَانْدَاذ : كان مِهْر نرسي قصد به للدين والفقہ ، فأدرك مِن ذلك
 امرأ عظيمًا ، حتى صيرته بهرام جور هِرَبْدَان هِرَبْدَان ، مرتبة شبيهة بمرتبة مَوْبَدَان
 مَوْبَدَان . وكان يقال للآخر : ما جُشْنَس ، ولم يزل متوليًا ديوان الخراج أيام
 بهرام جور . وكان اسم مرتبته بالفارسية «راستراي وشانسلان» . وكان الثالث اسمه
 كارد صاحب الجيش الأعظم ، واسم مرتبته بالفارسية «أسطران سلار» : وهذه
 مرتبة فوق مرتبة الإصبهبد تقارب مرتبة الأرجببد ، وكان اسم مِهْر نرسي
 بمرتبه بالفارسية «بُزُرُ جفر ماندار» ، وتفسيره بالعربية «وزير الوزراء»
 أو رئيس الرؤساء . وقيل إنه كان من قرية يقال لها إبروان من رستاق
 دشتبارين من كورة أردشير خُرة ، فابتنى فيه وفي جيره من كورة سابور
 لاتصال ذلك ودشتبارين أبنية رفيعة ، واتخذ فيها بيت نار - هو باق فيما
 ذكر إلى اليوم . وناره توقد إلى هذه الغاية - يقال لها مِهْر نرسيان ، واتخذ
 بالقرب من إبروان أربع قرى ، وجعل في كل واحدة منها بيت نار ، فجعل
 واحدًا منها لنفسه ، وسماه فراز مرا آوَرُ خُدايان ، وتفسير ذلك : «أقبل إلى
 سيدي» . على وجه التعظيم للنار ، وجعل الآخر لَزَرَوَانْدَاذ ، وسماه زراونداذان ،
 والآخر لكارد وسماه كارداذان ، والآخر لما جُشْنَس ، وسماه ما جُشْنَسْتَان ؛
 واتخذ في هذه الناحية ثلاث باغات^(١) ، جعل في كل باغ منها اثنتي عشرة
 ألف نخلة ، وفي باغ اثني عشر ألف أصل زيتون ، وفي باغ اثني عشرة ألف
 سرورة^(٢) ، ولم تزل هذه القرى والباغات وبيوت النيران في يد قوم من ولده معروفين
 إلى اليوم ؛ وإن ذلك - فيما ذكر - إلى اليوم باق على أحسن حالاته .

٨٧٠/١

٨٧١/١

وذكر أن بهرام بعد فراغه من أمر خاقان وأمر ملك الروم ، مضى إلى
 بلاد السودان من ناحية^(٣) اليمن ، فأوقع بهم ؛ فقتل منهم مقتلة عظيمة . وسبى
 منهم خلقًا ، ثم انصرف إلى مملكته . ثم كان من أمر هلاكه ما قد وصفت .
 واختلفوا في مدة ملكه ، فقال بعضهم : كان ملكه ثمانين سنة وعشرة

(١) الباغ : البستان ، وانظر المعجم في اللغة الفارسية ٢٢ .

(٢) السرو : شجر حسن الهيئة قويم الساق ؛ فسره صاحب القاموس بالمرعر ، واحده سرورة .

(٣) ت : «ممايل» .

أشهر وعشرين يوماً . وقال آخرون كان ملكه ثلاثاً وعشرين سنة وعشرة أشهر وعشرين يوماً .

• • •

[ذكر ملك يزدجرد بن بهرام جور]

ثم قام بالملك من بعده يزدجرد بن بهرام جور . فلما عقد التاج على رأسه دخل عليه العظماء والأشراف ، فدعوا له وهنئوه بالملك . فردّ عليهم ردّاً حسناً ، وذكر أباه ومناقبه ، وما كان منه إلى الرعيّة . وطول جلوسه كان لها ، وأعلمهم أنّهم إن فقدوا منه مثل الذي كانوا يعهدونه من أبيه . فلا ينبغي لهم أن يستنكروه ؛ فإنّ خلواته إنما تكون في مصلحة للمملكة وكيد للأعداء ، وأنه قد استوزر مهتر نرسی بن برآزة صاحب أبيه ، وأنّه سائر فيهم بأحسن^(١) السيرة . ومستنّ لهم أفضل السنن ، ولم يزل قامعاً لعدوّه ، رءوفاً برعيّته وجنوده ، محسناً إليهم .

وكان له ابنان : يقال لأحدهما هرّمز . وكان ملكاً على سجستان ، والآخر يقال له فيروز ؛ فغلب هرّمز على الملك من بعد هلاك أبيه يزدجرد ، ٨٧٢/١ فهرب فيروز منه ولحق ببلاد الهياطلة ، وأخبر ملكها بتمصّته وقصّة هرّمز أخيه ، وأنه أوّل بالملك منه ، وسأله أن يمدّه بجيش يقاتل بهم هرّمز ، ويحتوى على ملك أبيه ، فأبى ملك الهياطلة أن يجيبه إلى ما سأل من ذلك ؛ حتى أخبر أنّ هرّمز ملك ظلوم جائر فقال ملك الهياطلة : إن الجور لا يرضاه الله^(٢) ، ولا يصلح عمل أهله ، ولا يُستطاع أن يُستصف ويحترف في ملك الملك الجائر إلاّ بالجور والظلم . فأمدّ فيروز بعد أن دفع إليه الطالقان بجيش ، فأقبل بهم^(٣) وقاتل هرّمز أخاه فقتله ، وشتت جمعه ، وغلب على الملك .

وكان الروم الثناوا على يزدجرد بن بهرام في الحراج الذي كانوا يحملونه إلى أبيه ، فوجّه إليهم مهتر نرسی بن برآزة ، في مثل العدة التي كان بهرام وجهه إليهم عليها ، فبلغ له إرادته .

(٢) ل : « ما لا يرضاه » .

(١) ت : « أحسن » .

(٣) ت : « فيهم » .

وكان مُلْكُ يَزْدَجِرْدِ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ .
وَفِي قَوْلِ آخَرِينَ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً .

• • •

[ذَكَرَ مَلِكُ فَيْرُوزِ بْنِ يَزْدَجِرْدِ]

ثُمَّ مَلِكُ فَيْرُوزِ بْنِ يَزْدَجِرْدِ بْنِ بَهْرَامِ جُورِ ، بَعْدَ أَنْ قَتَلَ أَخَاهُ . وَثَلَاثَةَ نَفَرٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ .

وَحُدُثَتْ عَنْ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، قَالَ : اسْتَعَدَّ فَيْرُوزُ مِنْ خُرَّاسَانَ ، وَاسْتَنْجَدَ بِأَهْلِ طَخَرِيسْتَانَ وَمَا بَلِيهَا ، وَسَارَ إِلَى أَخِيهِ هُرْمَزِ بْنِ يَزْدَجِرْدِ ، وَهُوَ بِالرِّيِّ - وَكَانَتْ أُمُّهُمَا وَاحِدَةً ، وَاسْمُهَا دِينُكَ ، وَكَانَتْ بِالْمَدَائِنِ تَدْبِرُ مَا بَلِيهَا مِنَ الْمَلِكِ - فَظَفَرَ فَيْرُوزُ بِأَخِيهِ فَحَبَسَهُ ، وَأَظْهَرَ الْعَدْلَ وَحَسَنَ السِّيْرَةَ ، وَكَانَ يَتَدَبَّرُ ، وَقَحَطَ النَّاسَ فِي زَمَانِهِ سَبْعَ سِنِينَ ، فَأَحْسَنَ تَدْبِيرَ [ذَلِكَ] (١) الْأَمْرِ حَتَّى قَسَمَ مَا فِي بَيْوتِ الْأَمْوَالِ ، وَكَفَّ عَنِ الْجَبَايَةِ ، وَسَاسَهُمْ أَحْسَنَ السِّيَاسَةِ ، فَلَمْ يَهْلِكْ فِي تِلْكَ السِّنِينَ أَحَدٌ ضَيَاعًا إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ .

٨٧٣/١

وَسَارَ إِلَى قَوْمٍ كَانُوا قَدْ غَلَبُوا عَلَى طَخَرِيسْتَانَ يُقَالُ لَهُمُ الْهِيَاطَلَةُ ، وَقَدْ كَانُوا قَوَادِمَ فِي أَوَّلِ مُلْكِهِ لِمَعُونَتِهِمْ إِيَّاهُ عَلَى أَخِيهِ ، وَكَانُوا - فِيمَا زَعَمُوا - يَعْمَلُونَ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ ، فَلَمْ يَسْتَحِلَّ تَرْكَ الْبِلَادِ فِي أَيْدِيهِمْ ، فَقَاتَلَهُمْ فَقَتَلُوهُ فِي الْمَعْرَكَةِ ، وَأَرْبَعَةَ بَنِينَ لَهُ ، وَأَرْبَعَةَ إِخْوَةٍ ، كُلُّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَ بِالْمَلِكِ ، وَغَلَبُوا عَلَى عَامَةِ خُرَّاسَانَ حَتَّى سَارَ إِلَيْهِمْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ فَارِسَ يُقَالُ لَهُ سُوخْرَا مِنْ أَهْلِ شِيرَازِ ، وَكَانَ فِيهِمْ عَظِيمًا ، فَخَرَجَ فِيمَنْ تَبِعَهُ شَبِيهُ الْمُحْتَسِبِ الْمَتَطَوِّعِ حَتَّى لَقِيَ (٢) صَاحِبَ الْهِيَاطَلَةِ ، فَأَخْرَجَهُ مِنْ بِلَادِ خُرَّاسَانَ ، فَافْتَرَقَا عَلَى الصَّلْحِ ؛ وَرُدَّ مَا لَمْ يَبْضِعْ مِمَّا فِي عَسْكَرِ فَيْرُوزِ مِنَ الْأَسْرَاءِ وَالسَّبْيِ . وَمَلَكَ سَبْعًا وَعِشْرِينَ سَنَةً .

وَقَالَ غَيْرُ هِشَامِ مِنْ أَهْلِ الْأَخْبَارِ : كَانَ فَيْرُوزُ مَلِكًا مَحْدُودًا مَحَارَفًا (٣) مَشْتُومًا عَلَى رَعِيَّتِهِ ، وَكَانَ جَلَّ قَوْلُهُ وَفَعَلَهُ فِيمَا هُوَ ضَرَرٌ وَأَافَةٌ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ . وَإِنَّ الْبِلَادَ قَحَطَتْ فِي مُلْكِهِ سَبْعَ سِنِينَ مُتَوَالِيَةً ، فَغَارَتِ الْأَنْهَارُ وَالْقُسْنِيُّ وَالْعَيُونُ ، وَقَحَلَّتْ (٤) الْأَشْجَارُ وَالغِيَاضُ ، وَهَاجَتِ عَامَّةُ الزَّرْعِ

(١) تَكَلَّمَ مِنْ لَ ، س . (٢) ت : « أَيْ » . (٣) الْمَحَارِفُ : الْمَحْرُومُ الَّذِي

إِذَا طَلَبَ شَيْئًا لَا يَرِزُقُ ، وَهُوَ خِلَافُ الْمُبَارَكِ . (٤) ل : « وَحَلَّتْ » .

والآجام في السهل والجبل من بلاده ، وموتت فيها الطيور والوحوش ، وجاعت الأنعام والدواب ، حتى كانت لا تقدر أن تحمل حمولة ، وقل ماء دجلة ، وعم أهل بلاده اللزبات^(١) والمجاعة والجهد والشدائد .

فكتب إلى جميع رعيته يعلمهم أنه لا خراج عليهم ولا جزية ، ولا نائبة^{٨٧٤/١} ولا سُخْرَة ، وأن قد ملكهم أنفسهم ، ويأمرهم بالسعي فيما يقوتهم ويقيمهم ، ثم أعاد الكتاب إليهم في إخراج كل من كان له منهم مطمورة أو هُرْمِي^(٢) أو طعام أو غيره^(٣) ، مما يقوت الناس ، والتأسي فيه ، وترك الاستئثار فيه ، وأن يكون حال أهل الغنى والفقير وأهل الشرف والضعفة في التأسي واحداً . وأخبرهم^(٤) أنه إن بلغه أن إنسياً مات جوعاً عاقب أهل المدينة ، أو أهل القرية ، أو الموضع الذي يموت فيه ذلك الإنسي جوعاً ، ونكّل بهم أشدّ النكال .

فساس فيروز رعيته في تلك اللزبة والمجاعة سياسة لم يعطب أحد منهم جوعاً ؛ ما خلا رجلاً واحداً من رُستاق كورة أردشير خُرة ، يدعى بديه^(٥) فتعظّم^(٦) ذلك عظماءُ الفرس . وجميع أهل أردشير خُرة وفيروز ، وأنه ابتهل إلى ربه في نشر رحمته له ولرعيته ، وإنزال غيثة عليهم ؛ فأغاثه الله ، وعادت بلاده في كثرة المياه على ما كانت تكون عليه ، وصلحت الأشجار . وإن فيروز أمر فبنيت بالرّمي مدينة ، وسماها رام فيروز ، وفيما بين جُرجان وباب صول مدينة ، وسماها رُوشن فيروز ، وبناحية أذربيجان مدينة وسماها شهرام^(٧) فيروز .

(١) اللزبات : الشدائد .

(٢) المطمورة : حفيرة تحت الأرض يوسع أسفلها تخبأ فيها الجيوب ، والهري ، بالضم : بيت كبير يجمع فيه طعام السلطان .

(٣) ت : « غير ذلك » .

(٤) ت : « وأعلمهم » ، ل : « فأخبرهم » .

(٥) ت ، س : « بديه » .

(٦) ت : « فيعظم » ، ل : « فعظم » .

(٧) ت ، ل : « شهرام » .

ولما حَبِيَّتْ بلاد فيروز ، واستوثق له المُلْكُ ، وأثخن في أعدائه وقهرهم ، وفرغ من بناء هذه المدن الثلاث ، سار بجنوده نحو خراسان مریداً حرب إخشنوار ملك الهَيَاظِلَّةِ ؛ فلما بلغ إخشنوار خبره اشتدَّ منه رعبه . فذُكِرَ ٨٧٥/١ أن رجلاً من أصحاب إخشنوار بذلَّ له نفسه ، وقال له : اقطع يديَّ ورجليَّ ، وألقني على طريق فيروز ، وأحسِنْ إلى ولدي وعيالي - يريد بذلك فيما ذكر الاحتيال لفيروز - ففعل ذلك إخشنوار بذلك الرجل ، وألقاه على طريق فيروز . فلما مرَّ به أنكر حاله وسأله عن أمره ، فأخبره أن إخشنوار فعل ذلك به لأنه قال له : لا قوام لك بفيروز وجنود الفرس^(١) . فرق له فيروز ورَحِيمَه . وأمر بحمله معه ، فأعلمه على وجه النصح منه له - فيما زعم - أنه بدلُّه وأصحابه على طريق مختصر لم يدخل إلى ملك الهياظلة منه أحد ، فاغترَّ فيروز بذلك منه ، وأخذ بالقوم في الطريق الذي ذكره^(٢) له الأقطع ، فلم يزل يقطع بهم مفازة بعد مفازة ، فكلَّمَا شكوا عطشاً أعلمهم أنهم قد قسروا من الماء ومن قطع المفازة ؛ حتى إذا بلغ بهم موضعاً علم أنهم لا يقدرُون فيه على تقدّم ولا تأخّر ، بيّن لهم أمره ، فقال أصحاب فيروز لفيروز: قد كُنَّا حذرناك هذا أيها الملك فلم تحذّر ؛ فأما الآن فلا بدَّ مني المضيَّ قدُماً حتى نوافي القوم على الحالات كلَّها . فمضوا لوجوههم ، وقتل العطشُ أكثرهم ، وصار فيروز بمن نجا معه إلى عدوهم ؛ فلما أشرفوا عليهم على الحال التي هم فيها دعوا إخشنوار إلى الصلح ، على أن يخلّي سبيلهم ؛ حتى ينصرفوا إلى بلادهم ؛ على أن يجعل فيروز له عهد الله وميثاقه ألا يغزوهم ولا يروم أرضهم ، ولا يبعث إليهم جنداً يقاتلونهم ، ويجعل بين مملكتها حدّاً لا يجوزُه . فرضيَّ إخشنوار بذلك . وكتب له به فيروز كتاباً مختوماً ، وأشهد له على نفسه شهوداً ، ثم خلّي سبيله وانصرف .

فلما صار إلى مملكته حمّله الأنف والحمية على معاودة إخشنوار ، فغزاه بعد أن ناه وزراءؤه وخاصته عن ذلك ؛ لما فيه من نقض العهد ، فلم يقبل منهم

(١) سر : « فارس » .

(٢) ت : « ذكره » .

وأبى إلا ركوب رأيه . وكان فيمن نهاه عن ذلك رجل كان يخصه ويجتبي رأيه ، يقال له مَزْدَبُوذ^(١) . فلما رأى مَزْدَبُوذَ لِحاجته . كتب ما دار بينهما في صحيفة ، وسأله الختم عليها . ومضى فيروز لوجهه نحو بلاد إخشنوار . وقد كان إخشنوار حفر خندقاً بينه وبين بلاد فيروز عظيماً . فلما انتهى إليه فيروز عقَد عليه القناطر . ونصب عليها رايات جعلها أعلاماً له ولأصحابه في انصرافهم . وجاز إلى القوم . فلما التقى بعسكرهم احتج عليه إخشنوار بالكتاب الذي كتبه له ، ووعظه بمعده وميثاقه . فأبى فيروز إلا بالحاجاً ومحكاً وتواقفاً . فكلتم كل واحد منهما صاحبه كلاماً طويلاً . ونشبت^(٢) بينهما بعد ذلك الحرب . وأصحاب فيروز على فتور من أمرهم ؛ للعهد الذي كان بينهم وبين الهياطلة . وأخرج إخشنوار الصحيفة التي كتبها له فيروز . فرفعها على رُمح وقال : اللهم خذ بما في هذا الكتاب . فانهزم فيروز وسها عن ٨٧٧ / ١ موضع الرايات . وسقط في الخندق . فهلك . وأخذ إخشنوار أثقال فيروز ونساءه وأمواله ودواوينه . وأصاب جند فارس شيء لم يصبهم مثله قط .

وكان بسجستان رجل من أهل كورة أردشير خيرة من الأعاجم . ذو علم وبأس وبطش . يقال له : سوخرا . ومعها جماعة من الأساورة . فلما بلغه خبر فيروز ركب من ليلته . فأغذت السير حتى انتهى إلى إخشنوار . فأرسل إليه وآذنه بالحرب . وتوعده بالجائحة والبيوار . فبعث إليه إخشنوار جيشاً عظيماً . فلما التقوا ركب إليهم سوخرا فوجدهم مدلتين . فيقال : إنه رمى بعض من ورد عليه منهم رمية فوقعت بين عيني فرسه حتى كادت النشابة تغيب في رأسه . فسقط الفرس . وتمكن سوخرا من راحته . فاستبقاه وقال له : انصرف إلى صاحبك فأخبره بما رأيت . فانصرفوا إلى إخشنوار . وحملوا الفرس معهم . فلما رأى أثر الرمية بهت وأرسل إلى سوخرا : أن سل حاجتك . فقال له : حاجتي أن ترد علي الديوان ، وتطلق الأسرى . ففعل ذلك . فلما صار الديوان في يده ، واستنفذ الأسرى . استخرج من الديوان بيوت الأموال التي كانت

(١) ت : « مردنوذ » .

(٢) ت : « ونشب » . س : « ونشبت » .

مع فيروز، فكتب إلى إخشنوار أنه غير منصور إلا بها . فلما تبين الجِدْ ؛
افتدى نفسه وانصرف سوخرا بعد استنقاذ الأسارى وأخذ الديوان وارتجاع
الأموال ، وجميع ما كان مع فيروز من خزائنه إلى أرض فارس ، فلما صار
إلى الأعاجم شرفوه وعظّموا أمره ، وبلغوا به من المنزلة ما لم يكن بعده إلا الملك .

وهو سوخرا بن ويسابور^(١) بن زهان^(٢) بن نرسي بن ويسابور بن قارين
ابن كروان بن أبيد بن أوبيد بن تيرويه^(٣) بن كردنك^(٤) بن ناور بن طوس .
ابن نودكا بن منشو^(٥) بن نوذر بن مینوشيهر .

٨٧٨/١

وذكر بعض أهل العلم بأخبار الفرس من خبر فيروز وخبر إخشنوار
نحو ما ذكرت ؛ غير أنه^(٦) ذكر أن فيروز لما خرج متوجّهاً إلى إخشنوار ،
استخلف على مدينة طيسون^(٧) ومدينة بهر سير^(٨) - وكانتا محلة الملوك - سوخرا
هذا ، قال : وكان يقال لمرتبته قارن ، وكان يلبى معهما سجستان . وأن فيروز
لما بلغ منارة كان بهرام جور ابنتها فيما بين تخوم بلاد خراسان وبلاد الترك ؛
لئلا يجوزها الترك إلى خراسان لميثاق كان بين الترك والفرس على ترك الفريقين
التعدى لها ؛ وكان فيروز عاهد إخشنوار ألاّ يجاوزها إلى بلاد الهياطلة ، أمر فيروز
فصفد^(٩) فيها خمسون فيلاً وثلاثمائة رجل ، فجرت أمامه جرّاً ، واتّبعها ؛ أراد
بذلك زعم الوفاء لإخشنوار بما عاهده عليه ؛ فبلغ إخشنوار ما كان من فيروز
في أمر تلك المنارة ، فأرسل إليه يقول : انت يا فيروز عما انتهى عنه أسلافك ،
ولا تُقدّم على ما لم يقدموا عليه . فلم بحفيل فيروز بقوله ، ولم تكره رسالته ؛
وجعل يستطعم محاربة إخشنوار ، ويدعوه إليها ، وجعل إخشنوار يمتنع من محاربتة

٨٧٩/١

(١) ل : « سابور » .

(٢) س : « زهان » .

(٣) س : « يرويه » .

(٤) س : « كرديد » .

(٥) س : « منشوا » .

(٦) ل : « من ذلك إلا أنه » . س : « مما قد ذكرت غير أنه » .

(٧) س : « طيسون » ل : « طيسون » .

(٨) ت : « بهرشير » ، ل : « نهرشير » .

(٩) ط : « فصفد » .

ويستكرهها^(١) ؛ لأنَّ جُلَّ محاربة الترك إنما هو بالخداع والمكر والمكابدة ، وأنَّ إخشنوار أمر فحفير خلف عسكره خندق عَرْضُهُ عشرة أذرع ، وعمقه عشرون ذراعاً ، وغمى بخشب ضعاف ، وألقى عليه تراباً ، ثم ارتحل في جنده ، فمضى غير بعيد ، فبلغ فيروز رحلة إخشنوار بجنده من عسكره^(٢) ، فلم يشك في أنَّ ذلك منهم انكشاف وهرب ، فأمر بضرب الطبول ، وركب في جنده في طلب إخشنوار وأصحابه ، فأغذوا السير ، وكان مسلكهم على ذلك الخندق . فلما بلغوه أقحموا على عَمَابَةِ^(٣) ، فردى فيه فيروز وعامة جنده ، وهلكوا من عند آخرهم .

وإنَّ إخشنوار عطف على عسكر فيروز . فاحتوى على كلِّ شيء فيه ، وأسر مؤبذان موبذ ، وصارت فيروز دُخت ابنة فيروز فيمن صار في يده من نساء فيروز . وأمر إخشنوار فاستخرجت جُثَّة فيروز وجثَّة كلِّ مَنْ سَقَطَ معه في ذلك الخندق ، فوضعت في النواويس ، ودعا إخشنوار فيروز دخت إلى أن يبأشرها . فأبت عليه .

وإنَّ خبر هلاك فيروز سقط إلى بلاد فارس^(٤) . فارتجوا له وفرعوا ؛ حتى إذا استقرت حقيقة خبره عند سوخرا تأهب^(٥) وسار في عظم مَنْ كان قبله من الجند إلى بلاد اهياطلة . فلما بلغ جرجان بلغ إخشنوار خبر مسيره لمحاربه . فاستعد وأقبل متلقياً له . وأرسل إليه يستخبره عن خبره . ويسأله عن اسمه ومرتبته ، فأرسل أنه رجل يقال له سوخرا ، ومرتبته قاز . وأنه إنما سار إليه لينتقم منه لفيروز . فأرسل إليه إخشنوار يقول : إنَّ سبيلك في الأمر الذي قدِّمت له كسبيل فيروز . إذ لم يعقبه في كثرة جنوده من محاربه إيشاي إلا الهلكة والبوار . فلم ينهه سوخرا قول إخشنوار ، ولم يعبأ به . وأمر جنوده فاستعدوا وتسلحوا . وزحف إلى إخشنوار لشدة إقدامه وحدة قلبه . فطلب موادعته وصلححه .

(١) ت : « يتكرهها » .

(٢) ت : « معسكره » .

(٣) ط : « غمائه » .

(٤) س : « الفرس » .

(٥) ت : « فاهم » .

فلم یقبل منه سوخرا صلحاً دون أن یصیر فی یدہ کلّ شیء صار عنده من
عسکر فیروز . فسلّم إخنوار إلیه ما أصاب من أموال فیروز ونخزائنه ومرابطه
ونسائه ، وفیهنّ فیروز دخت ، ودفع إلیه موبدان موبذ وکلّ أحد کان عنده
من عظماء الفرس : فانصرف سوخرا بذلك کلّه إلی بلاد الفرس .

واختلف فی مدة^(۱) ملک فبیروز ؛ فقال بعضهم : كانت ستاً وعشرین سنة .
وقال آخرون : كانت إحدى عشرین سنة .

ذكر ما كان من الأحداث في أيام يزيد جرد بن بهرام

وفيروز بين عمالهما على العرب وأهل اليمن

حدثت عن هشام بن محمد ، قال : كان يخدمُ الملوك من حمير في زمان ملكهم أبناءُ الأشراف من حمير وغيرهم من القبائل ؛ فكان ممن يخدمُ حسان بن تبيع عمرو بن حُجْر الكِنْدِي ، وكان سيّدَ كِنْدَةَ في زمانه . فلما ٨٨١/١ سار حسان بن تبيع إلى جدبس خلفه على بعض أموره ، فلما قتل عمرو بن تبيع أخاه حسان بن تبيع ، وملك مكانه . اصطنع عمرو بن حُجْر الكِنْدِي . وكان ذا رأي ونبل ؛ وكان مما أراد عمرو إكرامه به وتصغير بني أخيه حسان أن زوجته ابنة حسان بن تبيع ، فتكلمت في ذلك حمير . وكان عندهم من الأحداث التي ابتلوا بها ؛ لأنه لم يكن يطمع في التزويج إلى أهل ذلك البيت أحد من العرب . وولدت ابنة حسان بن تبيع لعمرو بن حُجْر الحارث بن عمرو . وملك بعد عمرو بن تبيع عبد كلال بن مثنوب ؛ وذلك أن ولد حسان كانوا صغاراً . إلا ما كان من تبيع بن حسان ؛ فإن الجن استهامته . فأخذ الملك عبد كلال بن مثنوب مخافة أن يطمع في الملك غير أهل بيت المملكة ، فوليه بسن وتجربة وسياسة حسنة . وكان - فيما ذكروا - على دين النصرانية الأولى ؛ وكان يسير ذلك من قومه ، وكان الذي دعاه إليه رجل من غسان ، قدم عليه من الشام ، فوثبت حمير بالفساني فقتلته . فرجع تبيع بن حسان من استهامة الجن إياه صحيحاً ، وهو أعلم الناس بنجيم . وأعقل من تعلم في زمانه . وأكثره حديثاً عما كان قبله . وما يكون في الزمان بعده . فللك تبيع ابن حسان بن تبيع بن مَلِكِيَن كَرِيب بن تبيع الأقرن ، فهابته حمير والعرب هيبة شديدة ، فبعث بابن أخته الحارث بن عمرو بن حُجْر الكِنْدِي في جيش عظيم إلى بلاد معد والحيرة وما والاها . فسار إلى النعمان بن امرئ القيس ٨٨٢/١ ابن الشقيقة فقاتله ، فقتل النعمان وعدة من أهل بيته . وهزم أصحابه وأفلته المنذر بن النعمان الأكبر وأمه ماء السماء . امرأة من النَمِير ، فذهب ملك

آل النعمان ، وملك الحارثُ بن عمرو الكندي ما كانوا يملكون .

وقال هشام^(١) : ملك بعد النعمان ابنه المنذر بن النعمان وأمه هند ابنة زيد مناة بن زيد الله بن عمرو الغسانی أربعاً وأربعين سنة ؛ من ذلك في زمن بهرام جور بن یزْدَجِرْد ثمانی سنين وتسعة أشهر ، وفي زمن یزْدَجِرْد بن بهرام ثمانی عشرة سنة . وفي زمن فيروز بن یزْدَجِرْد سبع عشرة سنة . ثم ملك بعده ابنه الأسود بن المنذر ، وأمه هرّ ابنة النعمان من بنی الهيجمانه ، ابنة عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان ، وهو الذي أسرته فارس عشرين سنة ؛ من ذلك في زمن فيروز بن یزْدَجِرْد عشر سنين ، وفي زمن بلاش بن یزْدَجِرْد أربع سنين ؛ وفي زمن قباد بن فيروز ، ست سنين .

• • •

[ذكر ملك بلاش بن فيروز]

ثم قام بالملك بعد فيروز بن یزْدَجِرْد ابنه بلاش بن فيروز بن یزْدَجِرْد ابن بهرام جور ، وكان قباد أخوه قد نازعه الملك . فغلب^(٢) بلاش ، وهرب قباد إلى خاقان ملك التُّرك يسأله المعونة والمدد ، فلما عُقِدَ التاج لبلاش على رأسه اجتمع إليه العظماء والأشراف فهنئوه ودعوا له . وسألوه أن يكافئ سوخرا بما كان منه ، فخصه وأكرمه وحباه ، ولم يزل بلاش حسن السيرة ، حريصاً على العِمارة . وكان بلغ من حسن نظره أنه كان لا يبلغه أن بيتاً خرب وجلاً أهله عنه إلا عاقب صاحب القرية التي فيها ذلك البيت على تركه انتعاشهم وسد فاقنتهم حتى لا يضطروا إلى الجلاء عن أوطانهم . وبني بالسواد مدينة سماها بلا شاواذ . وهي مدينة ساباط التي بقرب المدائن . وكان ملكه أربع سنين .

• • •

[ذكر ملك قباد بن فيروز]

ثم ملك قباد بن فيروز بن یزْدَجِرْد بن بهرام جور . وكان قباد قبل أن يصير الملك إليه قد سار إلى خاقان مستنصراً به على أخيه بلاش ، فرّ في طريقه بحدود

(٢) س : « فغلبه » .

(١) س : « غير هشام » .

نيسابور، ومعه جماعة يسيرة ممن شايعه على الشخصوس متنكّرين : وفيهم زرميهتر بن سوخرا، فتاقت نفس قباذ إلى الجماع، فشكا ذلك إلى زرميهتر. وسأله أن يلتمس له امرأة ذات حسب، ففعل ذلك، وصار إلى امرأة صاحب منزله، وكان رجلا من الأساورة، وكانت له ابنة بيكر فائقة في الجمال. فتنصّح لها في ابنتها، وأشار^(١) عليها أن تبعث بها إلى قباذ، فأعلمت ذلك زوجها؛ ولم يزل زرميهتر يبرغب المرأة وزوجها؛ ويشير عليهما بما يرغبهما فيه حتى فعلا، وصارت الابنة إلى قباذ، واسمها نيوندخت^(٢). فغشيتها ١١٤/١ قباذ في تلك الليلة، فحملت بأنو شروان، فأمر لها بجائزة حسنة، وحباها حياءً جزيلاً.

وقيل إن أم تلك البخارية سألتها عن هيئة قباذ وحاله. فأعلمتها أنها لاتعرف من ذلك غير أنها رأت سراويله منسوجاً بالذهب. فعلمت أمها أنه من أبناء الملوك وسرها ذلك. ومضى قباذ إلى خاقان. فلما وصل إليه أعلمه أنه ابن ملك فارس. وأن أخاه ضاده في الملك وغلبه. وأنه أتاه يستنصره فوعده أحسن العدة. ومكث قباذ عند خاقان أربع سنين يدافعه بما وعده. فلما طال الأمر على قباذ أرسل إلى امرأة خاقان يسألها أن تتخذه ولداً، وأن تكلّم فيه زوجها، وتسأله إنجاز عديته ففعلت، ولم تزل تحمّل على خاقان حتى وجّهه مع قباذ جيشاً. فلما انصرف قباذ بذلك الجيش، وصار في ناحية نيسابور سأل الرجل الذي كان أتاه بالبخارية عن أمرها. فاستخبر ذلك من أمها، فأخبرته أنها قد ولدت غلاماً. فأمر قباذ أن يؤتى بها، فأنته ومعهما أنو شروان تقوده بيدها. فلما دخلت عليه سأفا عن قصة الغلام، فأخبرته أنه ابنه. وإذا هو قد نزع إليه في صورته وجماله.

ويقال: إن الخبر ورد عليه في ذلك الموضع بهلاك بئلاش. فتيمن بالمولود، وأمر بحمله وحمل أمه على مراكب نساء الملوك. فلما صار إلى المدائن^(٣)،

(١) ت : « يسأفا » .

(٢) ت : « بيوبدخت » ، س : « بيوندخت » .

(٣) س : « بيندائن » .

٨٨٥/١ واستوثق له أمرُ المُلكِ خصَّ سوخرا، وفوض إليه أمره، وشكر له ما كان من خدمة ابنه إيتاه، ووجه الجنود إلى الأطراف، ففتكوا في الأعداء، وسبوا سبايا كثيرة، وبني بين الأهواز وفارس مدينة الرّجان. وبني أيضاً مدينة حلوان، وبني بكورة أردشير خيرة في ناحية كارزين^(١) مدينة يقال لها قباذ خرة، وذلك سوى مدائن وقرى أنشأها، وسوى أنهار احتفرها، وجسور عقدها. فلما مضت أكثر أيامه، وتولى سوخرا تدبير مُلكه وسياسة أموره مال الناس عليه، وعاملوه واستخفوا بقباذ. وهاونوا بأمره، فلما احتنك لم يَحتمل ذلك، ولم يرض به، وكتب إلى سابور الرازي - الذي يقال للبيت الذي هو منه مهران، وكان إصْبَهَيْتَد البلاد - في القدم عليه فيمن قبله من الجند، فقدم سابور بهم عليه. فواصفه قباذ حالة سوخرا، وأمره بأمره فيه. فغدا سابور على قباذ فوجد عنده سوخرا جالساً. فشى نحو قباذ متجاوزاً له متغافلاً^(٢) لسوخرا، فلم يَأبه سوخرا لذلك من أرب سابور، حتى ألقى وهماً^(٣) كان معه في عنقه. ثم اجتذبه فأخرجه فأوثقه واستودعه السجن. فحينئذ قيل: «نقصت ریح سوخرا وهبت لمهران ریح^(٤)»، وذهب ذلك مثلاً. وإن قباذ أمر بعد ذلك بقتل سوخرا فقتل. وإنه لما مضى لمُلك قباذ عشر سنين اجتمعت كلمة موبدان موبد والعظماء على إزالته عن ملكه، فأزالوه عنه وحبسوه. لتابعته^(٥) لرجل يقال له مزْدَك مع أصحاب له قالوا: إن الله إنما جعل الأرزاق في الأرض ليقسمها العباد بينهم بالتأسي، ولكن الناس تظالموا فيها، وزعموا أنهم يأخذون للفقراء من الأغنياء، ويردون من المُكثِرِينَ على المُقلِّين. وأنه من كان عنده فضل من الأموال والنساء والأمتعة فليس هو بأولى به من غيره. فافتراض السفلة ذلك واغتصبوه. وكانفوا^(٦) أمزدك وأصحابه وشابعوهم، فابتلى الناس بهم. وقوى أمرهم حتى كانوا يدخلون على الرّحل في داره فيغلبونه على منزله

٨٨٦/١

(١) س : « كازرون » . ت : « كارون » .

(٢) س : « متغفلا » .

(٣) الوهق : الحبل في طرفيه أنشطة يطرح في عنق الدابة أو الإنسان حتى يؤخذ .

(٤) ت : « وهبت ریح بهرام » . (٥) ت : « لمبايعته » .

(٦) المكائفة : المعاونة .

ونسائه وأمواله . لا يستطيع الامتناع منهم . وحملوا قبّاذ على تزيين ذلك وتوعده بخلعه ، فلم يلبثوا إلا قليلا حتى صاروا لا يعرف الرجل منهم ولداه . ولا المولود أباه ، ولا يملك الرجل شيئا مما يتسع به . وصيروا قبّاذ في مكان لا يصل إليه أحد سواهم . وجعلوا أخا له يُقال له جاماسب . مكانه . وقالوا لقبّاذ : إنك قد أثمت فيما عملت به فيما مضى . وليس يطهرك من ذلك إلا إباحة نسائك . وأرادوه على أن يدفع إليهم نفسه فيذبحوه ويجعلوه قربانا للنار ، فلما رأى ذلك زرّميهز بن سوخرا خرج بمن شايعه من الأشراف باذلا نفسه ، فقتل من المزدكية ناسا كثيرا . وأعاد قبّاذ إلى مسلكه . وطرح أخاه جاماسب . ثم لم يزل المزدكية بعد ذلك إنما يُحرقون قبّاذ على زرّميهز حتى قتله . ولم يزل قبّاذ من خيار ملوكهم حتى حملة مزدك على ما حملة عليه . فانتشرت (١) الأطراف وفسدت الثغور .

• • •

وذكر بعض أهل العلم بأخبار الفرس أن العظماء من الفرس هم حبسوا قبّاذ حين اتبع مزدك وشايعه على ما دعاه اليه من أمره . وماكوا مكانه أخاه جاماسب بن فيروز . وأن أختا لقبّاذ أتت الحبس الذي كان فيه قبّاذ محبوسا . فحاولت الدخول عليه (٢) . فمنعها إياه الرجل الموكّل كان بالحبس . ومن فيه . وطمع الرجل أن يفضحها بذلك السب . وأتى إليها طمعه فيها . وخبرته أنها غير محتشمة في شيء ، مما يهوى منها . فأذن لها فدخلت السجن فأقامت عند قبّاذ يوما . وأمرت فلذف قبّاذ في بساط من البساط التي كانت معه في الحبس . وحمس على غلام من غلمانه قوى ضابط . وأخرج من الحبس . فلما مر الغلام بوان الحبس سأله عما كان حاملته فأفحيم . واتبعته أخت قبّاذ فأخبرته أنه فراش كانت افترشته في عراكها . وأنها إنما خرجت لتتطهر وتنصرف . فصدّقها الرجل ولم يمس البساط . ولم يدن منه استفذارا له . وخلص عن الغلام الحامل لقبّاذ . فمضى بقبّاذ ومضت على أثره . وهرب قبّاذ فلاحق بأرض الهياطيلة ليستمد ملكتها ويستجيشه فيحارب

(١) . شرت الأطراف ، أي تفرق أمر الناس فيها .

(٢) س : « إليه » .

من خالفه وخلعه . وأنه نزل في مبدئه^(١) إليها بأبر شهر رجل من عظماء أهلها ،
 له ابنة "مُعَصِر"^(٢) . وأن نِكَاحَه أمّ كسرى أنوشروان كان في سفره^(٣)
 هذا . وأن قباد رجع من سفره ذلك معه ابنه أنوشروان وأمّه . فغلب أخاه
 جاماسب على مُلْكِهِ بعد أن ملك أخوه جاماسب ست سنين . وأن قباد
 غزا بعد ذلك بلاد الروم . وافتتح منها مدينة من مدن الجزيرة تدعى
 آمد ، وسبى أهلها . وأمر فبُنِيَتْ في حد ما بين فارس وأرض الأهواز
 مدينة ، سَمَّاهَا رامقباد^(٤) . وهي التي تسمى بومقباد^(٥) . وتدعى أيضاً أرجان
 وكور كورة . وجعل لها رساتيق من كورة سرق ، كورة رام هرمرز ، وملك
 قباد ابنه كسرى ، وكتب له بذلك كتاباً وختمه بخاتمه .

٨٨٨/١

فلما هلك قبادُ - وكان مُلْكُهُ بسني^(٦) ملك أخيه جاماسب :
 ثلاثاً وأربعين سنة - فنفذ كسرى ما أمر به قباد من ذلك .

ع

(١) الأصول : « مداه » .

(٢) المعصر . البيت التي بلغت شباها . وفي س : « محسن » .

(٣) ت : « سيره » .

(٤) ط : « رام قباد » ، وما أثبت من تصحيحات ط ص ٥٩١ .

(٥) ط : « برمقباد » ، وانظر تصويبات ط .

(٦) ت : « كنى » .

ذكر ما كان من الحوادث التي كانت بين العرب في أيام قباذ في مملكته وبين عماله

وحدَّثتُ عن هشام بن محمد، قال: لما لقي الحارث بن عمرو بن حُجْر ابن عدى الكندي النعمان بن المنذر بن امرئ القيس بن الشقيقة قتله، وأفلته المنذر بن النعمان الأكبر، وملك الحارث بن عمرو الكندي ما كان يملك، بعث قباذ بن فيروز ملك فارس إلى الحارث بن عمرو الكندي: إنّه قد كان بيننا وبين الملك الذي قد كان قبلك عهداً، وإني أحب أن ألقاك. وكان قباذ زنديقاً يظهِرُ الخيرَ ويكره الدماء. ويدارى أعداءه فيما يكره من سفك الدماء، وكثرت الأهواءُ في زمانه، واستضعفه الناسُ، فخرج إليه الحارث بن عمرو الكندي في عددٍ وعُدّةٍ حتى التقوا بقنطرة القسيوم، فأمر قباذ بطبق من تمر فنزع نواه، وأمر بطبق فجعل فيه تمر فيه نواه، ثم وضع بين أيديهما، فجعل الذي فيه النوى يلي الحارث بن عمرو، والذي لا نوى فيه يلي قباذ. فجعل الحارث يأكل التمر ويلقى النوى، وجعل قباذ يأكل ما يليه، وقال للحارث: مالك لا تأكل مثل^(٣) ما آكل! فقال: [له الحارث]^(٤) إنما يأكل النوى إيلنا وغنمنا. وعلم أن قباذ يهزأ به، ثم اصطالحا على أن يُوردَ الحارث بن عمرو ومن أحب من أصحابه خيولهم الفرات إلى ألبابها^(٥)، ولا يجاوزوا أكثر من ذلك. فلما رأى الحارث ما عليه قباذ من الضعف طمّع في السواد، فأمر أصحاب مسالحه أن يقطعوا الفرات فيغيروا في السواد، فأتى قباذ الصريخ وهو بالمدائن فقال: هذا من تحت كنف ملكيهم. ثم أرسل إلى الحارث بن عمرو أن لصوصاً من لصوص

(١) ط: «ما ذكر»، وما أثبتته عن ت.

(٢) ت: «من».

(٣) ت: «كما آكل».

(٤) تكلة من ت.

(٥) الألباب: جمع لبيب، وهو المنحر.

العرب قد أغاروا ، وأنه يحب لقاءه . فلقبته . فقال له قباذ : لقد صنعت صنيعاً ما صنعه أحد قبلك ، فقال له الحارث : ما فعلت ولا شعرت ، واكنها لصوص من لصوص العرب . ولا أستطيع ضبط العرب إلا بالمال والجنود . قال له قباذ : فما الذي تريد ؟ قال : أريد أن تظن عيمتي من السواد ما أنتخذ به سلاحاً ، فأمر له بما يلي جانب العرب من أسفل الفرات . وهي سنة طساسيج^(١) . فأرسل الحارث بن عمرو الكندي إلى تبسج وهو باليمن : إنني قد طمعت في ملك الأعاجم ، وقد أخذت منه سنة طساسيج . فاجتمع الجنود وأقبل فإنه ليس دون ملكهم شيء ، لأن الملك [عليهم] لا يأكل اللحم . ولا يستحل هراقة الدماء ، لأنه زنديق . فجمع تبسج الجنود ، وسار حتى نزل الخيرة وقرب من الفرات . فأذاه البق . فأمر الحارث بن عمرو أن يشق له نهراً إلى النجف ففعل ، وهو نهر الخيرة . فنزل عليه ووجه ابن أخيه شميراً ذا الجناح إلى قباذ ، فقاتله فهزمه شمر حتى لحق بالرى . ثم أدركه بها فقتله ، وأمضى تبسج شميراً ذا الجناح إلى خراسان ، ووجه تبسج ابنه حسان إلى الصغد . وقال : أيكما سبق إلى الصين فهو عليها . وكان كل واحد منهما في جيش عظيم ، يقال : كانا في ستمائة ألف وأربعين ألفاً . وبعث ابن أخيه يعفر إلى الروم . وهو الذي يقول :

أياصاح عجبك للداهية لحمير إذ نزلوا الجابية !
ثمانون ألفاً رواياهمو لكل ثمانية راوية

فسار يعفر حتى أتى القسطنطينية ، فأعطوه الطاعة والإتاوة ، ثم مضى إلى رومية^(٢) وبينهما مسيره أربعة أشهر ، فحاصرها وأصاب من معه جوع ، ووقع فيهم طاعون فرقوا ، فأبصرهم الروم وما لاقوا ، فوثبوا عليهم فقتلوه ، فلم يبق منهم أحد . وسار شمير ذو الجناح حتى أتى سمرقند ، فحاصرها

(١) طاسيج : جمع طوج ، وهو الناحية .

(٢) تكلة من ت .

(٣) ت = الرية .

فلم يَظْفَرَ بشيءٍ منها . فلما رأى ذلك أطاف بالحرس ، حتى أخذ رجلاً من أهلها ، فسأله عن المدينة ومليكتها ، فقال له : أمّا مليكتها فأحرق الناس ، ليس له همّ إلا الشرابُ والأكلُ ، وله ابنة وهي التي تقضي أمرَ الناس . فبعث معه بهديّة إليها ، فقال له : أخبرها أنّي إنّما جئتُ من أرض العربِ للذي بلغني من عقولها لتُنكِحني نفسها ، فأصيبَ منها غلاماً يملكُ العجمَ والعربَ ، وأنّي لم أجدُ أتمسّ المالَ ، وأنّ معي أربعةَ آلافِ تابوتٍ من ذهبٍ وفضةٍ ما هنا ، فأنا أدفعُها إليها ، وأمضي إلى الصينِ ، فإن كانت الأرضُ لي كانت امرأتِي ، وإن هلكتُ كان ذلك المالُ لها . فلما أمّيت (١) إليها رسالته قالت : قد أجبته فليبعثُ بما ذكر ، فأرسل إليها أربعةَ آلافِ تابوتٍ ، في كلِّ تابوتٍ رجلانِ ، فكان لسمرقندٍ أربعةُ أبوابٍ على كلِّ بابٍ منها أربعةُ آلافِ رجلٍ ، وجعل العلامةَ بينه وبينهم أن يَضْرِبَ لهم بالجلجلِ . وتقدّمَ في ذلك إلى رُسُلِهِ الذين وَجَّهَهُ معهم . فلما صاروا في المدينة ضربَ لهم بالجلجلِ فخرجوا ، فأخذوا بالأبوابِ ، ونهّد شميرَ في الناسِ ، فدخل المدينة فقتلَ أهلها وحوى ما فيها . ثم سار إلى الصينِ ، فلقى زحفوفَ التركِ فهزَمَهم ، ومضى إلى الصينِ فوجدَ حسانَ بنَ تَبَّعٍ قد كان سبقه إليها بثلاثِ سنينِ ، فأقاما بها - فيما ذكر بعضُ الناسِ - حتى ماتا . وكان مَقَامُهُما إحدى وعشرين سنة .

قال : وقال من زعم أنّهما أقاما بالصينِ حتى هلكا : إن تَبَّعاً جعل النارَ فيما بينه وبينهم ، فكان إذا حدثَ حدثٌ أوقدوا النارَ بالليلِ ، فأتى الخبرُ في ليلةٍ ، وجعل آيةَ ما بينه وبينهم أن إذا أوقدتُ نارينِ من عندِي فهو هلاكٌ يعفُرُ ، وإن أوقدتُ ثلاثاً فهو هلاكٌ تَبَّعٍ ، وإن كانت من عندِهِم نارٌ فهو هلاكٌ حسانَ ، وإن كانت نارينِ فهو هلاكُهُما . فكثروا بذلك .

ثم إنه أوقد نارينِ فكان هلاكٌ يعفُرُ ، ثم أوقد ثلاثاً فكان هلاكٌ تَبَّعٍ قال : وأما الحديثُ المجمعُ عليه فإن شَمِيرًا وحسانَ أنصرفا في الطريقِ الذي كانا أخذا فيه حيث بدأ ، حتى قدما على تَبَّعٍ بما حازا من الأموال بالصينِ ، وصنوف

(١) ت « انتهت » .

الجوهر^(١) والطَّيِّب والسَّبِي ، ثم انصرفوا جميعاً إلى بلادهم ، وسار^(٢) تَبَع حتى قدم مكة ، فنزل بالشَّعب من المطابخ^(٣) ، وكانت وفاة تَبَع باليمن ، فلم يخرج أحدٌ من ملوك اليمن بعده عنها غازياً إلى شيء من البلاد ، وكان ملكه مائة وإحدى وعشرين سنة .

قال : ويُقال إنه كان دخل في دين اليهود للأخبار الذين كانوا خرجوا من يثرب مع تَبَع إلى مكة عدة كثيرة .

قال : ويقولون : إن عليم كعب الأخبار كان من بقية ما أورثت تلك الأخبار ، وكان كعب الأخبار رجلاً من حمير .

وأما ابن إسحاق فإنه ذكر أن الذي سار إلى المشرق من التبابعة تَبَع الآخر ، وأنه تبع تَبَان أسعد أبو كرب بن ملكي كرب بن زيد بن عمرو ذي الأذعار ، وهو أبو حسان ، حدثنا بذلك ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عنه .

• • •

[ذكر ملك كسرى أنوشيروان]

ثم ملك كِسْرَى أنوشيروان بن قُبَاد بن فيروز بن يَزْدَجِرْد بن بهرام جور . فلما ملك كتب إلى أربعة فاذوسبانيين - كان كل واحد منهم على ناحية من نواحي بلاد فارس ومن قبيلهم - كتباً نسخة كتابه منها إلى فاذوسبان أذربيجان : بسم الله الرحمن الرحيم . من الملك كسرى بن قباد إلى واري ابن النخیرجان فاذوسبان أذربيجان وأرمينية وحيزها ، ودُباوند وطبرستان وحيزها ، ومن قبله : سلام ، فإن أحرى ما استوحش له الناس فقُد من تخوفوا في فقديهم إياه زوال النعم ووقوع الفتن ، وحلول المكاره بالفضل فالأفضل منهم ، في نفسه أو حشمه أو ماله أو كريمه ، وإننا لا نعلم

٨٩٣/١

(١) س : الجوهر .

(٢) ت : ثم سار .

(٣) المطابخ ؛ موضع بمكة ، ذكره ياقوت ؛ وقال : « مذكور في قصة تبع » .

وحشة ولا فقد شيء أجل رزينة عند العامة ، ولا أخرى أن نعم به البليّة من فقد ملك صالح .

وإن كسرى لما استحكم له الملك أبطل مئة رجل منافق من أهل فسا يقال له : « زرادشت ^(١) » بن خردكان « ابتدعها في المجوسية ، فتابعه الناس على بدعته تلك ، وفاق أمره فيها ، وكان ممن دعا العامة إليها رجل من أهل مصرية ^(٢) يقال له : « مزدق بن بامداد ^(٣) » ، وكان مما أمر به الناس وزينته لهم وحشهم عليه ، التآسى في أموالهم وأهليهم ، وذكر أن ذلك من البير الذي يرضاه الله ويثيب عليه أحسن الثواب ، وأنه لو لم يكن الذي أمرهم به ، وحشهم عليه من الدين كان مكرمة في الفعال ، ورضاً في التفاوض . فحض بذلك السفلة على العلية ، واختلط له أجناس اللؤماء بعناصر الكرماء ، وسهل السبيل ^(٤) للغصبة إلى الغصب ، وللظلمة إلى الظلم ، وللعنهارة إلى قضاء نهمتهم ، والوصول إلى الكرائم الثلاثى لم يكونوا بطمعون فيهن ، وشمل الناس بلاء عظيم لم يكن لهم عهد بمثله . فنهى الناس كسرى عن السيرة بشيء مما ابتدع زرادشت ^(٥) خردكان ، ومزدق بن بامداد ^(٦) ، وأبطل بدعتهما . وقتل بشراً كثيراً ثبتوا عليها ، ولم ينتهوا عما نهاهم عنه منها . وقوماً من المناوية ^(٧) وثبتت لهم جوس ملتهم التي لم يزالوا عليها .

وكان يلي الإصبيهندة - وهي الرياسة على الجنود - قبيل ملكيه رجل ، وكان إليه إصبيهندة البلاد . ففرق كسرى هذه الولاية والمرتبة بين أربعة إصبيهدين ، منهم أصبهاند المشرق وهو خراسان وما والاها ، وأصبهاند المغرب . وأصبهاند نيمروز : وهي بلاد اليمن ، وأصبهاند أذربيجان وما والاها . وهي

(١) س : « زردشت » .

(٢) ت : « مصرية » .

(٣) ت : « بامارد » .

(٤) س : « السبل » .

(٥) س : « زردشت » .

(٦) ت : « بامازد » .

(٧) تجارب الأمم ١ : ١٧٧ : « المازوية » .

بلاد الخزر ، [وما والاها] ^(١) ؛ لما رأى في ذلك من النظام المملكي ، وقوى
المقاومة بالأسلحة والكرام ، وارتجع بلاداً كانت من مملكة فارس ، خرج
بعضها من يد الملك قباد إلى ملوك الأمم لعل شتى وأسباب ، منها السند ،
وبُست ، والرُخج ، وزابُلستان ، وطخارستان ، ودرستان ، وكابلستان ،
وأعظم القتل في أمة يقال لها البارز ، ^(٢) وأجلى بقيتهم عن بلادهم ،
وأسكنهم مواضع من بلاد مملكته ، وأذعنوا له بالعبودية ، واستعان بهم في
حروبه ، وأمر فأسيرت أمة أخرى ، يقال لها صول ، وقدم بهم عليه ،
وأمر بهم فقُتلوا ، ما خلا ثمانين رجلاً من كُمايتهم استحياهم ، وأمر بإنزالهم
شهرام فيروز ، يستعين بهم في حروبه .

٨٩٥/١

وإن أمة يقال لها أبخيز ، وأمة يقال لها بنجر ، وأمة يقال لها بلنجر ،
وأمة يقال لها الآن ، تمالثوا على غزو بلادهم ، وأقبلوا إلى أرمينية ليغيروا على
أهلها ، وكان مسلكهم إليها يومئذ سهلاً ممكناً ، فأغضى كسرى على
ما كان منهم ، حتى إذا تمكّنوا في بلادهم وجّه إليهم جنوداً ، فقاتلهم واصطلموهم
ما خلا عشرة آلاف رجل منهم أسروا ، فأسكنوا أذربيجان وما والاها ،
وكان الملك فيروز بنى في ناحية صول والآف بناء بصخر أراد ^(٣) أن
يحصن بلاده عن تناول تلك الأمم إيتاها . وأحدث الملك قباد بن فيروز
من بعد أبيه في تلك المواضع بناء كثيراً ، حتى إذا ملك كسرى أمر فبنيت
في ناحية صول بصخر منحوت في ناحية جرجان مدن وحصون وآكام
وبنيان كثيرة ، ليكون حيرزاً لأهل بلاده يلجئون إليها من عدو إن دهمهم .

وإن سنجيروا خاقان كان أمنع الترك وأشجعهم ، وأعزهم وأكثرهم
جنوداً ، وهو الذي قاتل وزير ^(٤) ملك الهياطلة غير خائف كثرة الهياطلة
ومنعتهم . فقتل وزير ملكها وعامة جنوده ، وغنم أموالهم ، واحتوى على

(١) نكلة من ت .

(٢) الأصول : « البارز » .

(٣) ت : « أراد » .

(٤) ت : « دوز » .

بلادهم إلا ما كان كسرى غلب عليه منها ، وإنه استمال أبخز ، وبنجر ، وبلنجر ، فنحوه طاعتهم وأعلموه أن ملوك فارس لم يزالوا يتفقونهم بفداء يكفونهم^(١) به عن غزو بلادهم ، وإنه أقبل في مائة ألف وعشرة آلاف مقاتل حتى شارف ما ولى بلاد صول^(٢) ، وأرسل إلى كسرى في توعد منه إياه واستطالة عليه ، أن يبعث إليه بأموال ، وإلى أبخز وبنجر وبلنجر بالفداء الذي كانوا يعطونه إياه قبيل ملك كسرى ، وأنه إن لم يعجل بالبعثة إليه بما سأل وطبي بلاد وناجزه . فلم يحفل كسرى بوعيده ، ولم يجيبه إلى شيء مما سألته لتحصينه كان ناحية باب^(٣) صول ، ومناعة السبل والفيجاج التي كان سينجبوا خاقان سالكتها إياه ، ولمعرفته كانت بمقدرته على ضبط نغري أرمينية بخمسة آلاف مقاتل من الفرسان والرجالة .

فبلغ سنجبوا خاقان تحصين كسرى نغري صول ، فانصرف بمن كان معه إلى بلاده خائباً ، ولم يقدر من كان بإزاء جرجان من العدو وللحصون التي كان أمر كسرى فبنيت حواليتها - أن يشنوها بغارة ، ويغلبوا عليها ، وكان كسرى أنوشروان قد عرف الناس منه فضلاً في رأيه وعلمه وعقله ، وبأسه وحزمه ، مع رأفته ورحمته بهم ، فلما عتقد التاج على رأسه دخل إليه العظماء والأشراف فاجتهدوا في الدعاء له ، فلما قضوا مقالتهم ، قام خطيباً ، فبدأ بذكر نعمة الله على خلقه عند خلقه إياهم ، وتوكله بتدبير أمورهم ، وتقدير الأوقات والمعاش لهم ، ولم يدع شيئاً إلا ذكره في خطبته ، ثم أعلم الناس ما ابتلوا به من ضياع أمورهم ، وانحطاب دينهم ، وفساد حالهم في أولادهم ومعاشهم ، وأعلمتهم أنه ناظر فيما يصلح ذلك ويتخسّمه ، وحث الناس على معاونته .

ثم أمر برعوس المزدكية فضربت أعناقهم ، وقُسمت أموالهم في أهل الحاجة ، وقتل جماعة كثيرة ممن كان دخل على الناس في أموالهم ، ورد الأموال إلى أهلها ، وأمر بكل مولود اختلّف فيه عنده أن يُلحق بمن هو منهم ؛ إذا لم

(١) س : « يكفونهم » .

(٢) س : « بلاد » .

يُعرفُ أبوه ، وأن يُعطى نصيباً من مال الرجل الذي يُسندُ إليه إذا قبله الرجلُ ، وبكلِّ امرأة غلبت على نفسها أن يُؤخذَ الغالبُ لها حتى يفرمَ لها مهرَها ، وبرضى أهلها . ثم تُخيَّرُ المرأة بين الإقامة عنده . وبين تزويج من غيره ؛ إلا أن يكونَ كان لها زوج أول . فتُردُّ إليه . وأمر بكل من كان أضرب رجل في ماله أو ركب أحداً بمظلمة أن يُؤخذ منه الحقُّ ثم يعاقب النظام بعد ذلك بقدر جرِّمه . وأمر بعيال ذوى الأحساب الذين مات قبيتهم فكاتبوا له ، فأنكح بناتهم الأكفاء . وجعل جهازهم من بيت المال . وأنكح شبانهم من بيوتات الأشراف وساق عنهم . وأغناهم ، وأمرهم بملازمة بابهم ليستعان بهم في أعمالهم . وخيَّر نساء والده بين أن يُقيمُن مع نسائه فيواستعين ويتصرُن في الأجر إلى أمثالهن ، أو يبتغي لهن أكفاءهن من البعولة . وأمر بكبرى الأنهار . وحفر القُنَى وإسلاف^(١) أصحاب العمارات وتقويتهم ؛ وأمر بإعادة كلِّ جسر قطع أو قنطرة كسرت ، أو قرية خربت أن يردَّ ذلك إلى أحسن ما كان عليه من الصلاح ، وتفقد الأساورة ؛ فمن لم يكن له منهم يسار قواه بالدواب والعدَّة ، وأجرى لهم ما يُقَوِّمهم ووكل بيوت النيران . وسهل سبل الناس . وبنى في الطرق القصور والحصون . وتخيَّر الحكام والعمال والولاة . وتقدَّم إلى من ولى منهم أبلغ التقدَّم ، وعمد إلى سير أرسير وكتبه وقضاياه . فاقتدى بها وحمل الناس عليها ؛ فلما استوثق له المُلْك . ودانت له البلاد سار نحو أنطاكية بعد سنين من مُلكه ، وكان فيها عظماء جنود قبيصر ، فافتتحها . ثم أمر أن تُصوَّر له مدينة أنطاكية على ذرعها وعدد منازلها وطرقها ؛ وجميع ما فيها ، وأن يبنى له على صورتها مدينة إلى جنب المدائن ، فبنيت المدينة المعروفة بالرومية على صورة أنطاكية ، ثم حمل أهل أنطاكية حتى أسكنهم إياها .

٨٩٨/١

فلما دخلوا باب المدينة مضى أهل كل بيت منهم إلى ما يشبه منازلهم التي كانوا فيها بأنطاكية ؛ كأنهم لم يخرجوا عنها . ثم قصد لمدينة هرقل فافتتحها ، ثم الإسكندرية ومادونها ، وخلف طائفة من

(١) إسلافهم : إقراضهم .

جنوده بأرض الروم ، بعد أن أذعن له ^(١) قَيْصَر وحمل إليه الفدية ، ثم انصرف من الروم ، فأخذ نحو الحَزْر فأدرك فيهم تَبْلَه ، وما كانوا وتروه به في رعيته . ثم انصرف نحو عَدَن ، فسكّر ناحية من البحر هناك بين جبلين مما يلي أرض الحبشة بالسفن العظام والصخور وعمد الحديد والسلاسل . وقتل عظماء تلك البلاد .

ثم انصرف إلى المدائن ؛ وقد استقام له مادون هرقله من بلاد الروم وأرمينية ، وما بينه وبين البحرين من ناحية عَدَن .

٨٩٩/١

وملك المنذر بن النعمان على العرب وأكرمه ، ثم أقام في ملكه بالمدائن ، وتعاهد ما كان يحتاج إلى تعاهده . ثم سار بعد ذلك إلى الهياطة مطالباً بوتر فيروز جدّه - وقد كان أنوشروان صاهر خاقان قبل ذلك - فكتب إليه قبل شخوصه يُعلمه ما عزم عليه ، ويأمره بالمسير إلى الهياطة . فأتاهم ، فقتل ملكهم ، واستأصل أهل بيته وتجاوز بلخ وما وراءها ، وأنزل جنوده فرغانة . ثم انصرف من خراسان ، فلما صار بالمدائن وافاه قوم يستنصرونه على الحبشة ، فبعث معهم قائداً من قواده في جند من أهل الديلم وما يليها ، فقتلوا مسروقاً الحبشي باليمن ، وأقاموا بها .

ولم يزل مظفراً منصوراً تهابه جميع الأمم ، ويحضر بابه من وفودهم عدد كثير من الترك والصين والحزر ونظرأهم ، وكان مكرماً للعلماء .

. . .

وملك ثمانيا وأربعين سنة ، وكان مولد النبي صلى الله عليه وسلم في آخر ملك أنوشروان .

قال هشام : وكان ملك أنوشروان سبعاً وأربعين سنة . قال : وفي زمانه ولد عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في سنة اثنتين وأربعين من سلطانه .

(١) ت : « إليه » .

قال هشام: لما قوى شأن أنوشيروان بعث إلى المنذر بن النعمان الأكبر - وأمه ماء السماء امرأة من النَّمِير^(١) - فلتكه الحيرة وما كان يلي آل الحارث بن عمرو ، آكل المُرَار . فلم يزل على ذلك حتى هلك .

قال : وأنوشروان غزا بُزْجَان ، ثم رجع فبنى الباب والأبواب .

وقال هشام : ملك العرب من قبيل ملوك الفرس بعد الأسود بن المنذر أخوه المنذر بن المنذر بن النعمان - وأمه هير ابنة النعمان - سبع سنين . ثم ملك بعده النعمان بن الأسود بن المنذر - وأمه أم الملك ابنة عمرو بن حُجْر أَخْت الحارث بن عمرو الكِنْدِي - أربع سنين .

ثم استخلف أبو يعفر بن علقمة بن مالك بن عدى بن الذميل بن ثور ابن أسس بن ربي^(٢) بن نمارة بن لخم ، ثلاث سنين .

ثم ملك المنذر بن امرئ القيس البدء - وهو ذو القرنين ، قال : وإنما سمي بذلك لضفيرتين^(٣) كانتا له من شعره ، وأمه ماء السماء ، وهي مارية ابنة عَوْف ابن جُشْم بن هلال بن ربيعة بن زيد مائة بن عامر الضيحيان ابن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن النَّمِير بن قاسط ؛ فكان جميع مملكه تسعاً وأربعين سنة . ثم ملك ابنه عمرو بن المنذر - وأمه هند ابنة الحارث بن عمرو بن حُجْر آكل المُرَار - ست عشرة سنة .

قال : ولثمانى سنين وثمانية أشهر^(٤) من مملك عمرو بن هند ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وذلك في زمن أنوشيروان وعام الفيل الذي غزا فيه الأشرم أبو بكسوم البيت .

(١) س : ر : « النَّمِير » .

(٢) س : « أربي » .

(٣) ط : « لضفيرين كافاً » ؛ وما أثبتته من س : ل .

(٤) س : « ستة أشهر » .

ذكر بقية خبر تبّع أيام قبّاذ وزمن أنوشروان وتوجيه الفرس الجيش إلى اليمن لقتال الحبشة وسبب توجيهه إياهم إليها

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، قال: كان تبّع الآخر وهو ثبّان أسعد أبو كثر ب حين أقبل من المشرق، جعل طريقه على المدينة، وقد كان حين مرّ بها في بدئه لم يهيج أهلها، وخلف بين أظهرهم ابنًا له، فقتل غيلة، فقدمها وهو مُجمّع لإخراها، واستئصال أهلها وقطع نخلاها؛ فجمع له هذا الحى من الأنصار حين سمعوا بذلك من أمره ليمتنعوا منه، ورئيسهم يومئذ عمرو بن الطلّة، أحد بنى النجّار، ثم أحد بنى عمرو بن مبدول؛ فخرجوا لقتاله. وكان تبّع حين نزل بهم، قد قتل رجل منهم — من بنى عدى بن النجار يقال له أحمر — رجلا من أصحاب تبّع، وجده في عذق^(١) له يحدّه، فضربه بمنجله فقتله، وقال: إنما الثمر لمن أتره، ثم ألقاه حين قتله في بئر من آبارهم معروفة يقال لها: ذات تومان. فزاد ذلك تبّعًا عليهم حسنًا.

فبينما تبّع على ذلك من حربه وحربهم يقاتلهم ويقاثلونه — قال: فتزعّم الأنصار أنهم كانوا يقاتلونه بالنهار، ويقترّونه بالليل فيعجبه ذلك منهم؛ ويقول: والله إن قومنا هؤلاء لكرام — إذ جاءه حبران من أحبار يهود من بنى قريظة، عالمان راسخان حين سمعا منه ما يريد من إهلاك المدينة وأهلها، فقالا له: أيها الملك لا تفعل؛ فإنك إن أبيت إلا ما تريد حيل بينك وبينها، ولم تأمن عليك عاجل العقوبة، فقال لهما: ولم ذاك؟ فقالا: هي مهاجر نبي يخرج من هذا الحى من قريش في آخر الزمان، تكون داره وقراره. فتناهى عند ذلك من قولهما عما كان يريد بالمدينة، ورأى أن لهما علمًا، وأعجبه ما سمع منهما. فانصرف عن المدينة، وخرج بهما معه إلى اليمن واتبعهما على دينهما. وكان اسم الحبرين كعباً وأسداً، وكانا من بنى قريظة، وكانا

(١) العذق بالفتح: النخلة بما عليها من التمر، والجد هنا: القطع. (٢) أبره: أصله.

ابن عم، وكانا أعلم أهل زمانهما كما ذكر لي ابن حميد، عن سلمة، عن ابن إسحاق؛ عن يزيد بن عمرو؛ عن أبان بن أبي عيثاش، عن أنس بن مالك، عن أشياخ من قومه ممن أدرك الجاهلية؛ فقال شاعر من الأنصار وهو خال ابن عبد العزى بن غزيرة بن عمرو بن عبس بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار، في حربهم وحرب تبس، يفتخر بعمر بن طلة ويذكر فضله وامتناعه:

أَصْحَا أُمِّ انْتَهَى ذُكْرَهُ أُمُّ قَضَى مِنْ لَذَّةٍ وَطَرَهُ^(١)
 أُمُّ تَذَكَّرْتَ الشَّبَابَ وَمَا ذِكْرُكَ الشَّبَابَ أَوْ عُصْرَهُ!
 إِنَّهَا حَرْبٌ رِبَاعِيَّةٌ^(٢) مِثْلَهَا آتَى الْفَتَى عِبْرَهُ^(٣)
 فَسَلَا عِمْرَانَ أَوْ فَسَلَا أَسْدًا أَذِيغْدُو مَعَ الزُّهْرَةِ^(٤)
 فَيَلْقَى فِيهَا أَبُو كَرِبٍ مَابِغًا أَبْدَانَهَا ذَفِرَهُ^(٥)
 ثُمَّ قَالُوا مَنْ يَوْمٌ بِهَا أَبْنَى عَوْفٍ أُمِّ النَّجْرَةِ^(٦)
 يَا بَنِي النَّجَّارِ إِنْ لَنَا فِيهِمْ قَبْلَ الْأَوَانِ تِرَهُ^(٧)
 فَتَلَقْتَهُمْ عَشْنَقَةً^(٧) مَدَّهَا كَالْغَبِيَّةِ النَّيْرَهُ^(٧)

٩٠٣/١

- (١) الخبر والشعر في ابن هشام ١ : ٢٥ - على هامش الروض الأنف . والذكر : جمع ذكرة بمعنى الذكرى ؛ كما تقول : بكرة وبكر .
 (٢) قال السهيلي : « حرب رباعية مثل ؛ أي ليست بصغيرة ولا جذعة ؛ بل هي فوق ذلك » .
 (٣) قوله : « يغدو مع الزهرة » يريد صبحهم بغلس قبل مغيب الزهرة .
 (٤) أبدانها ذفرة ، يعني الدروع ؛ والذفرة ، من الذفر ؛ وهو سطوع الرائحة طيبة كانت أو كريهة وأما الذفر ، بالذال المهملة ؛ فإنما هو فيما كره من الروائح . (السهيلي) .
 (٥) النجرة : جمع ناجر ؛ والناجر والنجار بمعنى واحد .
 (٦) رواية ابن هشام :

• فِيهِمْ قَتَلِي وَإِنْ تِرَهُ •

- قال السهيلي : « أظهر إن بعد الواو ؛ أراد أن لنا قتل وتره ؛ . والوتره ؛ الوتر » .
 (٧) في ابن هشام :

• فَتَلَقْتَهُمْ مَسَايِفَةً •

- وقال السهيلي في شرحه : « أي كتيبة مسايفة » . والغبية : الدفعة من المطر . والنثرة : المنتثرة ؛ وهي التي لا تمسك ماء والمشنقة : الطويلة من الإبل .

سَيِّدُ سَامَى الْمُلُوكِ وَمَنْ يَفْزُ عَمْرًا لَا يَجِدُ قَدْرَهُ (١)

وقال رجل من الأنصار ، يذكر امتناعهم من تبّع :

تُكَلِّفُنِي مِنْ تَكَالِيفِهَا نَخِيلَ الْأَسَاوِيفِ وَالْمَنْصَعَةَ
نَخِيلاً حَمَمَهَا بَنُو مَالِكِ خُبُولَ أَبِي كَرَبِ الْمُفْطَمَةَ

قال : وكان تبّع وقومه أصحاب أوثان يعبدونها ، فوجه إلى مكة - وهي طريقه إلى اليمن - حتى إذا كان بالدُّفِّ من جُمُدَانَ بين عُسْفَانَ وَأَمَجِ ، في طريقه بين مكة والمدينة . أتاه نفر من هُدَيْلِ ، فقالوا له : أيُّها الملك ، ألا ندلك على بيت مال دائر ، قد أغفلته الملوك قبلك . فيه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والذهب والفضة ؟ قال : بلى . قالوا : بيت بمكة يعبده أهله ، ويصلون عنده . وإنما يُريد الهُدَيْلِيُّونَ بذلك هلاكه لما قد عرفوا من هلاك مَنْ أَرَادَهُ من الملوك وَبَغَى عنده .

فلما أجمع لما قالوا ، أرسل إلى الحَبْرِينَ ، فسألها عن ذلك ، فقالا له : ما أراد القومُ إِلَّا هلاكك وهلاك جُنْدِكَ ؛ ولئن فعلت مَادَعُوكَ إِلَيْهِ لِتَهْلِكَ وَلِيَهْلِكَ مَنْ مَعَكَ جَمِيعًا ، قال : فإذا تأمراني أن أصنع إذا قدمت عليه ؟ قالوا : تصنع عنده ما يصنع أهله ، تطوف به وتعظمه وتكرمه ، وتحلق عنده رأسك وتتذلل له حتى تخرج من عنده . قال : فما يمنعكما أنما من ذلك ؟ قالوا : أمّا والله إنه لبيت أبينا إبراهيم ، وإنه لكما أخبرناك ؛ ولكن أهله حالوا بيننا وبينه بالأوثان التي نصبوا حوله ، وبالدماء التي يُهريقون عنده ، وهم نجس أهل شِرْكٍ . أو كما قالوا له .

فعرف نصحتها وصدق حديثها ، فقرب النفسر من هُدَيْلِ ، فقطع أيديهم وأرجلهم . ثم مضى حتى قدم مكة ، وأرى في المنام أن يكسو البيت ،

(١) رواية ابن هشام :

سَيِّدُ سَامِ الْمُلُوكِ وَمَنْ رَامَ عَمْرًا لَا يَكُنْ قَدْرَهُ

قال السهيلي : قوله : « لا يكن قدره » دعاء عليه ؛ والهاء عائدة على عمرو ، أراد لا يكن قدر عليه .

فكساه الخَصْف^(١) ثم أرى أن يكسوه أحسن من ذلك ، فكساه المَعْفَر^(٢) ،
 ثم أرى أن يكسوه أحسن من ذلك ، فكساه المُلَاءِ والوصائل^(٣) ، فكان تُبَعِّعُ
 -- فيما يزعمون -- أولَ مَنْ كساه وأوصى به ولاتَه من جرهم ، وأمرهم بتطهيره ،
 وألا يقربوه دمًا ولا ميتة ولا مِثْلًا^(٤) وهي المحائض^(٥) ، وجعل له بابًا ومفتاحًا ،
 ثم خرج متوجهًا إلى اليمن بمن معه من جنوده ، وبالحبْرين ، حتى إذا
 دخل اليمن دعا قومه إلى الدخول فيما دخل فيه ، فأبوا عليه حتى يحاكموه إلى
 النار التي كانت باليمن .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن أبي
 مالك بن ثعلبة بن أبي مالك القُرَظِيّ ، قال : سمعتُ إبراهيم بن محمد بن طلحة
 ابن عبيد الله يحدث أن تُبَعِّعَا لما دنا من اليمن ليدخلها ، حالت حِمَيْر
 بينه وبين ذلك ، وقالوا : لا تدخلها علينا وقد فارقت ديننا ، فدعاهم إلى دينه ،
 وقال : إنه دينٌ خير من دينكم ، قالوا : فإنا كُننا إلى النار ، قال : نعم - قال :
 وكانت باليمن فيما يزعم أهل اليمن نارٌ تحكّم بينهم فيما يختلفون فيه ،
 تأكل الظالم ولا تضر المظلوم - فلما قالوا ذلك لتُبَعِّعُ قال : أنصفتم ، فخرج
 قومه بأوثانهم وما يتقربون به في دينهم ، وخرج الحبْران بمصاحفهما في أعناقهما
 متقلديها حتى قعدوا للنار عند مخرجها الذي تخرج النار منه ، فخرجت النار
 إليهم ، فلما أقبلت نحوهم حادوا عنها وهابوها ، فدمرهم مَنْ حضرهم من
 الناس ، وأمرهم بالصبر فصبروا ، حتى غشيتهم وأكلت الأوثان وما قربوا
 معها ، ومَنْ حمل ذلك من رجال حِمَيْر ، وخرج الحبْران بمصاحفهما في

٩٠٥/١

(١) الخصف : جمع خصفة ؛ وهي شئ ينسج من الخوص والليف .

(٢) المعافر : برود يمانية منسوبة إلى معافر ؛ قبيلة باليمن ؛ قال في اللسان عن الأزهري :

« برد معافرى : منسوب إلى معافر اليمن ؛ ثم صار اسمًا لها من غير نسبة . »

(٣) الوصائل : ثياب موصلة من ثياب اليمن ؛ واحدها وصيلة .

(٤) في ط : « الحائض . » ، وصوابه من ابن هشام . قال السهيلي : وقوله : « ولا تقربوه

بمثلات ؛ وهي المحائض ؛ ولم يرد الحَيْض ؛ لأن حائضًا لا يجمع على محائض ؛ وإنما هي جمع محيضة .

وهي خرقه المحيض . قال : « ويقال للخرقه مثلات . . . » ويروي : « مثلات . »

أعناقهما تعرق جباههما، لم تضرهما، فأصفت حمير عند ذلك على دينه ،
فن هناك وعن ذلك كان أصل اليهودية باليمن^(١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سامة ، عن ابن إسحاق . عن بعض
أصحابه أن الخبرين ومن خرج معهما من حمير؛ إنما اتبعوا النار ليردوها ،
وقالوا : من ردّها فهو أولى بالحق ، فدنا منها رجال من حمير بأوثانهم ليردوها ،
فدنت منهم لتأكلتهم ، فحادوا عنها فلم يستطيعوا ردّها ، ودنا منها الخبران
بعد ذلك ، وجعلا يتلوآن التوراة وتكص ، حتى ردّاهما إلى مخرجها الذي خرجت
منه ، فأصفت عند ذلك حمير على دينهما ، وكان رثام بيتاً لهم يعظمونه وينحرون
عنده ويكلمون منه إذ كانوا على شيركهم ، فقال الخبران لتبع : إنما هو
شيطان يتفتنهم ويلعب بهم ، فخل بيننا وبينه ، قال : فشأنكما به ،
فاستخرجا منه - فيما يزعم أهل اليمن - كلباً أسود ، فذبحاه وهدما ذلك
البيت - فيما ياد اليوم باليمن - كما ذكر لي - وهو رثام به آثار الدماء التي كانت
تُهراق عليه^(٢) .

فقال تبع في مسيره ذلك وما كان همّ به من أمر المدينة وشأن البيت وما صنع
برجال دين الذين قالوا له ما قالوا ، وما صنع بالبيت حين قدم مكة من كسوته
وتضييره . وما ذكر له الخبران من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ما بال نوميك مثل نوم الأرمدة
أرقاً كأنك لا تزال تسهد
حنقاً على سبطين حلاً يثرباً
أولى لهم بعقاب يوم مفيد
واقدرت من المدينة منزلاً
طاب المبيت به وطاب المرقد
وجعلت عرصة منزل برباوة
واقدرت كنا لآبها وقرارها
بين العميق إلى بقيع المرقد
ولقد هبطنا يثرباً وصدورنا
وسباخها فرشت بقاع أجرد
تغلي بلابلها بقتل محصد

(١) الخبر في ابن هشام ١: ٢٧٧ ، والشيخان ٢٩٦ . (٢) الخبر في ابن هشام ١: ٢٨٠ .

(٢) بيت رثام . زعموا أن شيطاناً كان فيه ، وكانوا يملكون له حياضاً من دماء القربان ،

فيخرج فيصيب منها .

ولقد حلفتُ يمينَ صبرِ نوليا
 إن جئتُ يثربَ لا أغادرَ وسطَها
 حتى أتاني من قريظةَ عالمٍ
 قال ازدجِرْ عن قريبةٍ محفوظةٍ
 ففوتُ عنهم عفوَ غيرِ مثربِ
 وتركتهم لله أرجو عفوهُ
 ولقد تركتُ بهالهُ من قومنا
 نغراً يكونُ النصرُ في أعقابهم
 ما كنتُ أحسبُ أن بيتاً طاهراً
 حتى أتاني من هديلٍ أعبدُ
 قالوا بمكةَ بيتُ مالِ دابرِ
 فأردتُ أمراً حالَ ربِّي دونه
 فرددتُ ما أملتُ فيه وفيهم
 قد كان ذوالقرنينِ قبلي مسلماً
 ملكَ المشارِقِ والمغربِ يمتغي
 فرأى مغيبَ الشمسِ عندَ غروبها
 من قبله بلقيسُ كانت عمي

قَسَمًا لَعَمْرُكَ لَيْسَ بِالْمُتَرَدِّدِ
 عِدْقًا وَلَا بُسْرًا بِيَثْرِبَ يَخْلُدُ
 حَبْرَ لَعَمْرُكَ فِي الْيَهُودِ مُسَوِّدُ
 لَنَبِيِّ مَكَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ مُهْتَدِ
 وَتَرَكْتَهُمْ لِعِقَابِ يَوْمِ سَرْمَدِ
 يَوْمَ الْحِسَابِ مِنَ الْجَجِيمِ الْمُوقَدِ
 نَفَرًا أُولَى حَسَبٍ وَبَأْسٍ يُحْمَدُ
 أَرْجُو بِذَلِكَ ثَوَابَ رَبِّ مُحَمَّدِ
 لِلَّهِ فِي بَطْحَاءِ مَكَّةَ يُعْبَدُ
 بِالذَّفِّ مِنْ جُمْدَانَ فَوْقَ الْمَسْنَدِ
 وَكَنُوزُهُ مِنْ لُؤْلُؤِ وَزَبَرْجَدِ
 وَاللَّهُ يَدْفَعُ عَنْ خَرَابِ الْمَسْجِدِ
 وَتَرَكْتَهُمْ مَثَلًا لِأَهْلِ الْمَشْرِقِ
 مَا كَانُوا تَدِينُ لَهُ الْمَوْتُ وَتُحْشَدُ
 أَسْبَابِ عَالِمٍ مِنْ حَكِيمِ مُرْشِدِ
 فِي عَيْنِ ذِي خُلْبٍ وَثَأَطِ حَرَمِدِ^(۱)
 مَا كَتَبْتُمْ حَتَّى أَنَا، الْهَدَاهِدِ^(۲)

۹۰۸/۱

حدثنا ابن حميد . قال : حدثنا سلمة . قال : حدثني ابن إسحاق .
 قال : هذا الحى من الأنصار يزعمون أنه إنما كان حنقاً تتبع على هذا الحى
 من يهود الذين كانوا بين أظهرهم . وأنه أراد هلاكهم حين قدم عليهم المدينة .

(۱) الخلب : العليز ، والشأط الحرمد . الحمأ الأسود .

(۲) الشعر أوردته ابن هشام في النيجان ۱۱۲ - ۱۱۴ . ولم يورد في السيرة ، وذكر أنه مصنوع .

فمنعوه منهم ، حتى انصرف عنهم ولذلك قال في شعره :

حنقاً على سبطين حلاً يرباً
أولى لهم بعقاب يوم مُفسدٍ

٩٠٩/١

حدثنا ابن حُمَيد، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : وقد كان قديم على تبّع قبل ذلك شافع بن كُليب الصدّقي ، وكان كاهناً ، فأقام عنده ، فلما أراد توديعه قال تبّع : ما بتّي من علمك ؟ قال : بقيّ خبر ناطق ، وعلم صادق ، قال : فهل تجيدُ لقوم مُلُكاً يوازي ملكي ؟ قال : لا إلا لملك غسان نجّل ، قال : فهل تجد ملكاً يزيد عليه ؟ قال : نعم ، قال : ولمن ؟ قال أجده لبار مبرور ، أيّد بالقهور ، ووُصِف في الزبور ، وفُضِّلَت أُمّته في السّفور ، يفرّج الظلم بالنور ، أحمد النبي ، طوبى لأُمته حين يجي ، أحد بني لؤي ، ثم أحد بني قصي . فبعث تبّع إلى الزبور فنظر فيها ، فإذا هو يجد صفة النبي صلّى الله عليه وسلّم .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن حدثه ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس وغيره من علماء أهل اليمن ، ممن يروى الأحاديث ، فحدث بعضهم بعض الحديث ، وكلّ ذلك قد اجتمع في هذا الحديث : أن ملكاً من لَحْم ، كان باليمن فيما بين التباينة من حمير ، يقال له : ربيعة بن نصر ، وقد كان قبيل ملكه باليمن ملك تبّع الأول ، وهو زيد بن عمرو ذى الأذعار بن أبرهة ذى المنار بن الرائش بن قيس بن صيفي ابن سبأ الأصغر بن كهف الظلم بن زيد بن سهّل بن عمرو بن قيس بن معاوية ابن جُشم بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن هَمَيْسَع ابن العرنجج حمير بن سبأ الأكبر بن يعرب بن يشجب بن قحطان . وكان اسم سبأ عبند شمس ؛ وإنما سُمّي سبأ - فيما يزعمون - لأنه كان أول من سبى في العرب .

٩١٠/١

فهذا بيت مملكة حمير الذي فيه كانت التباينة ، ثم كان بعد تبّع الأول زيد بن عمرو ، وشَمير يُرْعَش بن ياسر يُنعم بن عمرو ذى الأذعار ، ابن عمه . وشَمير يُرْعَش الذي غزا الصين وبني سَمَرَقَنْدُو حَيَّر الحيرة ، وهو الذي يقول :

أناشمر أبو كرب اليماني جلبت الخيل من يمن وشام
لآتي أعبداً مردوا علينا وراء الصين في عثم ويام
ففتحكم في بلادهم بحكم سواء لا يجاوزد غلام

القصيدة كلها .

قال : ثم كان بعد شمير رعيش بن ياسر بن نعيم تبوع الأصغر، وهو تبيان أسعد أبو كرب بن ملكي كرب بن زيد بن تبوع الأول بن عمرو ذي الأذعار، وهو الذي قدم المدينة، وساق الخبرين من يهود إلى اليمن، وعمر البيت الحرام وكساه، وقال ما قال من الشعر فكل هؤلاء ملكه قبل ملك ربيعة بن نصر اللخمي، فلما هلك ربيعة بن نصر، رجع ملك اليمن كاه إلى حسان بن تبيان أسعد أبي كرب بن ملكي كرب بن زيد بن عمرو ذي الأذعار .

حدثنا ابن حميد، قال : حدثنا سلمة، قال : حدثني ابن إسحاق عن بعض أهل العلم أن ربيعة بن نصر رأى رؤيا هائلة، وفتطع بها، فلما رآها بعث في أهل مملكته، فلم يدع كاهنًا ولا ساحرًا ولا عائفًا ولا منجمًا إلا جتمع إليه، ثم قال لهم : إنني قد رأيت رؤيا هائلة وفتطعت بها، فأخبروني بتأويلها، قالوا له : اقصصها علينا لنخبرك بتأويلها، قال : إني إن أخبرتكم بها لم أطمئن إلى خبركم عن تأويلها، إنّه لا يعرف تأويلها إلا من يعرفها قبل أن أخبره بها . فلما قال لهم ذلك قال رجل من القوم الذين جمعوا لذلك : فإن كان الملك يريد هذا فابيعت إلى سطيح وشيق، فإنه ليس أحد أعلم منهما، فهما بخبرائك بما سألت - واسم سطيح ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدى بن مازن بن غسان، وكان يقال لسطيح : الذئبي، لنسبته إلى ذئب بن عدى . وشيق بن صعب بن يشكر بن رهم بن أفرك بن نذير بن قيس بن عبقر بن أثمار . فلما قالوا له ذلك بعث إليهما، فقدم عليه قبل شيق سطيح، ولم يكن في زمانهما مثلهما من الكهتان، فلما قدم عليه سطيح دعاه

فقال له: يا سطيح، إني قد رأيت رؤيا هالتي وفظعت بها، فأخبرني بها فإنك إن أصبتّها أصبت تأويلها، قال -أفعل- رأيت جُمُجُمَةً - قال أبو جعفر: وقد وجدته في مواضع آخر، رأيت حُمَمَةً^(١) - خرجت من ظُلُمَةٍ، فوقعت بأرض نُهْمَةٍ، فأكلت منها كل ذات جُمُجُمَةٍ. فقال له الملك: ما أخطأت منها شيئاً يا سطيح، فما عندك في تأويلها؟ فقال: أحلف بما بين الحرتين من حنّش، ليهيطنن أرضكم الحنّش، فليملكن ما بين أبيين إلى جرّش. قال له الملك: وأبيك يا سطيح؛ إن هذا لغائظ متوجّع، فمتى هو كائن يا سطيح؟ أفي زمانى أم بعده؟ قال: لا بل بعده بحين، أكثر من ستين أو سبعين، يمضين من السنين. قال: فهل يدوم ذلك من ملكهم أو ينقطع؟ قال: بل ينقطع لبضع وسبعين، يمضين من السنين، ثم يقتلون بها أجمعون، ويخرجون منها هارين. قال الملك: ومن ذا الذي يلي ذلك من قتلهم وإخراجهم؟ قال: يليه إرم ذى يترن، يخرج عليهم من عدّان، فلا يترك منهم أحداً باليمن. قال أفيدوم ذلك من سلطانه أو ينقطع؟ قال: بل ينقطع. قال: ومن يقطعه؟ قال: نبي زكي، يأتيه الوحي من العلى. قال: ومن هذا النبي؟ قال: رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر، يكون الملك في قومه إلى آخر الدهر، قال: وهل للدّهر ياسطيح من آخر؟ قال: نعم. يوم يجمع فيه الأولون والآخرون، ويسعد فيه المحسنون، ويشقى فيه المسيئون. قال: أحقّ ما تخبرنا ياسطيح؟ قال: نعم، والشفق والغسق، والفلق^(٢) إذا اتسق، إن ما أنباتك به لحق. فلما فرغ قدم عليه شيق، فدعاه، فقال له: يا شيق، إني قد رأيت رؤيا هالتي وفظعت بها، فأخبرني عنها، فإنك إن أصبتّها أصبت تأويلها - كما قال لسطيح؛ وقد كتبه ما قال سطيح لينظر أيتفقان أم يختلفان - قال: نعم، رأيت جُمُجُمَةً، خرجت من ظلمة، فوقعت بين روضة وأكمة، فأكلت منها كل ذات نَسَمَةٍ. فلما رأى ذلك الملك من قولها شيئاً واحداً، قال له: ما أخطأت يا شيق منها شيئاً، فما عندك في تأويلها؟ قال: أحلف بما بين الحرتين من إنسان، ليتزلن أرضكم السودان، فليغلبن على كل طفلة

٩١٢/١

/

٩١٣/١

(١) هي رواية ابن هشام في السيرة.

(٢) ط: «والفلق».

البنان ، وليَسْمَلِكُنْ مابين أبينَ إلى نجران . فقال له الملك : وأبيك يا شيقَ إن هذا لنا لغائظٌ مُوجع ، فمتى هو كائن ؟ أفي زمانى أم بعده ؟ قال : بل بعدك بزمان ، ثم يَسْتَنِقِدُكُمْ منه عظيم ذو شان ، ويذيقهم أشدَّ الهوان . قال : ومنَ هذا العظيم الشان ؟ قال : غلام ليس بدنى ولا مُدَنَّ^(١) ، يخرج من بيت ذى يَزَن ، قال : فهل يدوم سلطانه أو ينقطع ؟ قال : بل ينقطع برسول مرسل ، يأتى بالحق والعدل ، بين أهل الدين والفضل ؛ يكون المُلْكُ فى قومه إلى يوم الفصل ، قال : وما يوم الفصل ؟ قال : يوم يجزى فيه الولاية ، يُدْعَى من السماء بدعوات ، يَسْمَع منها الأحياء والأموات ، ويُجْمَع فيه الناس للميقات ، يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات . قال : أحق ما تقول يا شيقَ ؟ قال : إى ورب السماء والأرض ، وما بينهما من رفع وخفض ؛ إن ما نبأتك لحق ما فيه أمض^(٢) . فلما فرغ من مسألتها ، وقع فى نفسه أن الذى قال له كائن من أمر الحبشة ، فجهز بنيه وأهل بيته إلى العراق بما يصلحهم ، وكتب لهم إلى ملك من ملوك فارس يقال له سابور بن خرزاذ ، فأسكنهم الحيرة ، فمن بقية ربيعة بن نصر كان النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، وهو النعمان بن المنذر بن النعمان ابن المنذر بن عمرو بن عدى بن ربيعة بن نضر . ذلك الملك فى نسب أهل اليمن وعلمهم^(٣) .

٩١٤/١

. . .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ولما قال سَطِيحٌ وشيقٌ لربيعة بن نصر ذلك ، وصنع ربيعة بولده وأهل بيته ما صنع ، ذهب ذكر ذلك فى العرب ، وتحديثوا حتى فشا ذكره وعلمه فيهم ، فلما نزلت الحبشة اليمن ، ووقع الأمر الذى كانوا يتحدثون به من أمر الكاهنين ، قال الأعشى ، أعشى بنى قيس بن ثعلبة البكرى ، فى بعض ما يقول ، وهو يذكر ما وقع من أمر ذينك الكاهنين : سَطِيحٌ وشيقٌ :

ما نظرت ذاتُ أشفارٍ كَنظَرِهَا . حَقًّا كما نطقَ الذئبُ إذ سَجَمًا^(٤)

(١) المدنى : المقصر فى الأمر .

(٢) قال ابن هشام وأمض ، يعنى شكاً ، هذا بلفظة حبير . وقال أبو عمرو : « أمض ، أى باطل » .

(٣) الخبر فى ابن هشام ١ : ١٨ - ٢٢ .

(٤) ديوانه ١٠٣ .

وكان سَطِيحٍ إنما يدعو العرب الذئبي، لأنه من ولد ذئب بن عدى. فلما هلك ربيعة بن نصر، واجتمع ملك اليمن إلى حسان بن تَبَّان أسعد أبي كرب ابن مَلِكِيكَرِب بن زيد بن عمرو ذى الأذعار، كان مما هاج أمر الحبشة وتحول الملك عن حَمِير وانقطاع مدّة سلطانهم - ولكل أمر سبب - أن حسان ابن تَبَّان أسعد أبي كرب، سار بأهل اليمن يريد أن يطأ بهم أرض العرب وأرض العجم، كما كانت التبابعة قبله تفعل؛ حتى إذا كان ببعض أرض العراق، كرهت حَمِير وقبائل اليمن السير معه، وأرادوا الرجعة إلى بلادهم وأهلهم؛ فكلّموا أخا له كان معه في جيشه، يقال له عمرو، فقالوا له: اقتل أخاك حسان نملكك علينا مكانه، وترجع بنا إلى بلادنا. فتابعهم على ذلك، فأجمع أخوه ومن معه من حَمِير وقبائل اليمن على قتل حسان، إلا ما كان من ذى رُعيّين الحميرى، فإنه نهاه عن ذلك، وقال له: إنكم أهل بيت مملكتنا، لا تقتل أخاك ولا تشتت أمر أهل بيتك - أو كما قال له - فلما لم يقبل منه قوله - وكان ذورُعيّين شريفاً من حمير - عمّد إلى صحيفة فكتب فيها:

أَلَا مَنْ يَشْتَرِي سَهْرًا بِنَوْمٍ سَعِيدٌ مَنْ يَبِيْتُ قَرِيرَ عَيْنٍ
فَأَمَّا حَمِيرٌ غَدَرْتُ وَخَانَتْ فَمُعْذِرَةٌ إِلَهُ لَذِي رُعيّين

ثم ختم عليها. ثم أتى بها عمراً، فقال له: ضع لى عندك هذا الكتاب؛ فإن لى فيه بغيةٌ وحاجة، ففعل. فنما بلغ حسان ما أجمع عليه أخوه عمرو وحَمِير وقبائل اليمن من قتله، قال لعمرو:

يَا عَمْرُو لَا تُعْجِلْ عَلَى مَنِيَّتِي فَالْمَلِكُ تَأْخُذُهُ بِغَيْرِ حُشودٍ

فأبى إلا قتله، فقتله ثم رجع بمن معه من جنده إلى اليمن. فقال قائل من حمير:

إِنَّ اللَّهَ مَنْ رَأَى مِثْلَ حَسَّانَ نَ قَتِيلًا فِي سَالِفِ الْأَحْقَابِ (١)

(١) رواية ابن هشام في السيرة: «لاه عينا» قال السهيلي في شرحه: «أراد» الله «وحذف لام الجر واللام الأخرى مع ألف الوصل؛ وهذا الحذف كثير، ولكنه جاز في هذا الرسم خاصة لكثرة دوراته على الألسنة».

قَتَلْتَهُ الْأَقْيَالُ مِنْ خَشْيَةِ الْجَيْشِ وَقَالُوا لَهُ لَبَابِ لَبَابِ (١)
 مَيْتِكُمْ خَيْرٌ نَا وَحْيِكُمْ رَبُّ عَلَيْنَا وَكُلُّكُمْ أَرْبَابِي
 فلما نزل عمرو بن تَبَّانُ أسعدَ أبي كرب اليمَنَ مُنِعَ مِنْهُ النَّوْمُ ، وَسَلَطَ
 عَلَيْهِ السَّهْرَ - فِيمَا يَزْعُمُونَ - فَجَعَلَ لَا يَنَامُ ، فَلَمَّا جَهَدَهُ ذَلِكَ جَعَلَ يَسْأَلُ
 الْأَطْبَاءَ وَالْحَزَاةَ مِنَ الْكُهَّانِ وَالْعَرِافِينَ عَمَّا بِهِ ، وَيَقُولُ : مَنَعَ مِنِّي النَّوْمَ فَلَا
 أَقْدِرُ عَلَيْهِ ، وَقَدْ جَهَدَنِي السَّهْرُ ، فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ مِنْهُمْ : وَاللَّهِ مَا قَتَلَ رَجُلٌ أَخَاهُ
 قَطًّا أَوْ ذَا رَحِيمٍ بَغِيًّا عَلَى مِثْلِ مَا قَتَلْتَ عَلَيْهِ أَخَاكَ إِلَّا ذَهَبَ نَوْمُهُ ، وَسَلَطَ عَلَيْهِ
 السَّهْرَ ، فَلَمَّا قِيلَ لَهُ ذَلِكَ ، جَعَلَ يَقْتُلُ كُلَّ مَنْ كَانَ أَمْرَهُ بِقَتْلِ أَخِيهِ حَسَنًا
 مِنْ أَشْرَافِ حَمِيرٍ وَتَبَائِلِ الْيَمَنِ ، حَتَّى خَلَصَ إِلَى ذِي رُعَيْنِ ، فَلَمَّا أَرَادَ قَتْلَهُ
 قَالَ : إِنْ لِي عِنْدَكَ بَرَاءَةٌ مِمَّا تَرِيدُ أَنْ تَصْنَعَ بِي ، قَالَ لَهُ : وَمَا بَرَاءَتُكَ عِنْدِي ؟
 قَالَ : أَخْرَجَ الْكِتَابَ الَّذِي كُنْتُ اسْتَوْدَعْتُكَهُ وَوَضَعْتَهُ عِنْدَكَ ، فَأَخْرَجَ لَهُ
 الْكِتَابَ ، فَإِذَا فِيهِ ذَانِكَ الْبَيْتَانِ مِنَ الشَّعْرِ :

٩١٦/١

أَلَا مَنْ يَشْتَرِي سَهْرًا بِنَوْمٍ سَعِيدٌ مَنْ يَبِيتُ قَرِيرًا عَيْنِ
 فَإِذَا حَمِيرٌ غَدَرْتُ وَخَانَتْ فَمَعْدَرَةُ الْإِلَهِ لَذِي رُعَيْنِ

فَلَمَّا فَرَّاهُمَا عَمْرُو قَالَ لَهُ ذُو رُعَيْنِ : قَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكَ عَنْ قَتْلِ أَخِيكَ
 فَمَعْصِيَتِي ، فَلَمَّا أَبَيْتَ عَلَيَّ وَوَضَعْتَ هَذَا الْكِتَابَ عِنْدَكَ حِجَّةً نِي عَلَيْكَ ، وَعَنْرَأَى
 نِي عِنْدَكَ . وَتَخَوَّفْتُ أَنْ يَصِيبَكَ إِنْ أَنْتَ قَتَلْتَهُ الَّذِي أَصَابَكَ ، فَإِنْ أَرَدْتَ بِي
 مَا أَرَاكَ تَصْنَعُ بِي مَنْ كَانَ أَمْرُكَ بِقَتْلِ أَخِيكَ ، كَانَ هَذَا الْكِتَابَ نَجَاةً لِي عِنْدَكَ ،
 فَفَرَّكَهُ عَمْرُو بْنُ تَبَّانٍ أَسْعَدَ فَلَمْ يَقْتُلْهُ مِنْ بَيْنِ أَشْرَافِ حَمِيرٍ ، وَرَأَى أَنْ قَدْ
 نَصَحَهُ لَوْ قَبِلَ مِنْهُ نَصِيحَتَهُ . وَقَالَ عَمْرُو بْنُ تَبَّانٍ أَسْعَدَ حِينَ قَتَلَ مَنْ قَتَلَ مِنْ
 حَمِيرٍ وَأَهْلِ الْيَمَنِ مَنْ كَانَ أَمْرُهُ بِقَتْلِ أَخِيهِ حَسَنًا ، فَقَالَ :

شَرَيْنَا النَّوْمَ إِذْ عُصِبَتْ عَلَابِ بِتَسْهِيدٍ وَعَقْدٍ غَيْرِ مَيْنِ (٢)
 تَنَادَوْا عِنْدَ غَدْرِهِمْ : لَبَابِ وَقَدْ بَرَزَتْ مَعَاذِرُ ذِي رُعَيْنِ
 قَتَلْنَا مَنْ تَوَلَّى الْمَكْرَ مِنْهُمْ بَوَاءَ بَابِنِ رُفْمٍ غَيْرِ دَيْنِ

٩١٧/١

(١) قال ابن اسحاق: قوله: «لَبَابِ، لَبَابِ»، لا بأس، لا بأس بلفظة حمير. (٢) ط: «بينه».

قَتَلْنَاهُمْ بِحَسَانِ بْنِ رُحْمٍ وَحَسَانَ قَتِيلِ الثَّائِرِينَ
 قَتَلْنَاهُمْ فَلَا بَقِيَا عَلَيْهِمْ وَقَرَّتْ عِنْدَ ذَاكُمْ كُلُّ عَيْنٍ
 عِيُونَ نَوَادِبِ يَبْكِينَ شَجْوًا حَرَاثَرَ مِنْ نِسَاءِ الْفَيْلَقِينَ
 أَوَانِسَ بِالْمِشَاءِ وَهَنَّ حُورٌ إِذَا طَلَعَتْ فُرُوعُ الشُّعْرِيِّينَ
 فَتُعْرَفُ بِالْوَفَاءِ إِذَا انْتَمَيْنَا وَمَنْ يَغْدِرُ نُبَايِنَهُ بَيْنَ
 فَضَلْنَا النَّاسَ كُلَّهُمْ جَمِيعًا كَفَضْلِ الْإِبْرِزِيِّ عَلَى اللَّجِينِ
 مَلَكْنَا النَّاسَ كُلَّهُمْ جَمِيعًا لَنَا الْأَسْبَابُ بَعْدَ التُّبَعِينَ
 مَلَكْنَا بَعْدَ دَاوُدَ زَمَانًا وَعَبَدْنَا مَلُوكَ الْمَشْرِقِينَ
 زَبْرْنَا فِي ظَفَارِ زَبُورَ مَجْدٍ لِيَقْرَأَهُ قُرُومُ الْقَرِيبَتَيْنِ
 فَحَنَ الطَّالِبُونَ لِكُلِّ وَتَرٍ إِذَا قَالَ الْمَقَاوِلُ أَيْنَ أَيْنَ !
 سَأَشْفِي مِنْ وُلَاةِ الْمَكْرِ نَفْسِي وَكَانَ الْمَكْرُ حَيْنَهُمْ وَحَيْنِي
 أَطْعَمْتُهُمْ فَلَمْ أُرْشُدْ وَكَانُوا غَوَاةً أَهْلَكُوا حَسْبِي وَزَيْنِي

قال : ثم لم يلبث عمرو بن ثُبَّان أسعد أن هلك .

قال هشام بن محمد : عمرو بن تبع هذا يدعى موثبان ؛ لأنه وثب على أخيه حسان بفرضة نعم فقتله . قال : وفرضة نعم رَحْبَةُ طَوْقِ بْنِ مَالِكٍ ، وكانت نعم سرية تبع حسان بن أسعد .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحق . قال : فخرج أمر حمير عند ذلك ، وتفرقوا ، فوثب عليهم رجل من حمير لم يكن من بيوت المملكة منهم ، يقال له لخبعة بنوف ذوشناتر^(١) ، فملكهم فقتل خيارهم ، وعبث ببيوت أهل المملكة منهم ، فقال قائل من حمير ، يذكر ما ضيعت^(٢) حمير من أمرها ، وفرقت جماعتها ، ونفت من خيارها :

٩١٨/١

(٢) ح : « فرطت » .

(١) الشناتر : الأصابع بلفظ حمير .

تَقْتَلُ أَبْنَاهَا وَتَنْفِي سَرَائِهَا وَتَبْنِي بِأَيْدِيهِمْ لَهَا أَلْدَلَّ حَمِيرُ
تُدْمِرُ دُنْيَاهَا بِطَيْشِ حُلُومِهَا وَمَا ضَيَّعْتَ مِنْ دِينِهَا فَهِيَ أَكْثَرُ
كَذَاكَ الْقُرُونُ قَبْلَ ذَلِكَ بِظَلْمِهَا وَإِسْرَافِهَا تَأْتِي الشُّرُورَ فَتَخْسِرُ

وكان الخنزية بنوف ذوشناتر يصنع ذلك بهم - وكان امرأ فاسقاً يزعمون أنه كان يعمل عمل قوم لوط : ثم كان - مع الذي بلغ منهم من القتل والبغى - إذا سمع بالغلام من أبناء الملوك قد بلغ أرسل إليه فوقع عليه في مشربة له قد صنعها لذلك ، لئلا يملك بعد ذلك أبداً ، ثم يطلع من مشربته تلك إلى حرسه ومن حضر من جنده ، وهم أسفل منه ، قد أخذ سواكماً ، فجعله في فيه - أي ليعلمهم أنه قد فرغ منه ثم يخلتى سبيله ، فيخرج على حرسه وعلى الناس وقد فضحه : حتى إذا كان آخر أبناء تلك الملوك زرعة ذو نواس بن تبتان أسعد أبي كرب بن ملكيئير ب بن زيد بن عمرو ذي الأذعار أخو حسان - وزرعة كان صبيئاً صغيراً حين أصيب أخوه ، فشب غلاماً جميلاً وسيماً ذا هيئة وعقل - فبعث إليه الخنزية بنوف ذوشناتر ، ليفعل به كما كان يفعل بأبناء الملوك قبلاه ، فلما أتاه رسوله عرف الذي يريد به ، فأخذ سيكينا حديداً لطيفاً . فجعله بين نعله وقدمه ، ثم انطلق إليه مع رسوله ، فلما خلا به في مشربته تلك أغلقها عليه وعليه ، ثم وثب عليه وواثبه ذو نواس بالسكين فطعنه به حتى قتله ، ثم احتز رأسه ، فجعله في كؤوة مشربته تلك التي يطلع منها إلى حرسه وجنده . ثم أخذ سواكه ذلك ، فجعله في فيه ثم خرج على الناس ، فقالوا له : ذو نواس . أرطب أم يباس (١) ؟ فقال : سل نخماس (٢) استرطبان (٣) ذو نواس . استرطبان ذو نواس : لا يباس . فذهبوا ينظرون حين قال لهم ما قال ، فإذا رأس الخنزية بنوف ذي شناتر في الكؤوة منقطع في فيه سواكه ، قد وضعه ذو نواس فيها . فخرجت حمير والأحراس في أثر ذي نواس حتى أدركوه ،

(١) اليباس واليبس : مثل الكبار والكبير . (٢) النخماس في لغة اليمن : الرأس .

(٣) قال السهيلي : قوله : «استرطبان» إلى آخر الكلام مشكل؛ وفي الأغاني : «ستلم الأحراس ،

است ذو نواس ، رطب أم يباس» .

فقالوا له : ما ينبغي لنا أن يملكنا إلا أنت ؛ إذ أرحمتنا من هذا الخبيث .
فلتكوه واستجمعت عليه حمير وقبائل اليمن ، فكان آخر ملوك حمير . وتهود
وتهودت معه حمير ، وتسمى «يوسف» ، فأقام في ملكه زماناً . وبنجران بقايا
من أهل دين عيسى على الإنجيل ؛ أهل فضل واستقامة ، لم من أهل دينهم
رأس يقال له عبد الله بن الثامر ؛ وكان موقع أصل ذلك الدين بنجران ، وهي
بأوسط أرض العرب في ذلك الزمان ، وأهلها وسائر العرب كلتها أهل أوثان
يعبدونها . ثم إن رجلاً من بقايا أهل ذلك الدين وقع بين أظهرهم يقال له فيميون ،
فحملهم عليه فدانوا به (١) .

قال هشام : زرعة ذو نواس ؛ فلما تهود سمي يوسف ، وهو الذي خد
الأخلود بنجران وقتل النصارى .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ،
عن المغيرة بن أبي ليبيد مولى الأحنس ، عن وهب بن منبه البجلي (١) ، أنه حدثهم
أن موقع ذلك الدين بنجران كان أن رجلاً من بقايا أهل دين عيسى بن مريم
يقال له فيميون ، وكان رجلاً صالحاً مجتهداً زاهداً في الدنيا ، مجاب الدعوة ،
وكان سائحاً ينزل القرى ، لا يعرف بقرية إلا أخرج منها إلى قرية لا يعرف فيها
وكان لا يأكل إلا من كسب يده ، وكان بناء يعمل الطين ، وكان يعظم
الأحد ؛ فإذا كان الأحد لم يعمل فيه شيئاً ، وخرج إلى فلاة من الأرض
فصلّى بها حتى يمسي ، وكان في قرية من قرى الشام يعمل عمله ذلك مستخفياً ؛
إذ فطن لشأنه رجل من أهلها ، يقال له صالح ، فأحبه صالح حباً لم يحبه
شيئاً كان قبله ، فكان يتبعه حيث ذهب ، ولا يفطن له فيميون حتى خرج
مرة في يوم الأحد إلى فلاة من الأرض كما كان يصنع ، وقد اتبعه صالح ،
وفيميون لا يدري ، فجلس صالح منه منظر العين ، مستخفياً منه لا يجب
أن يعلم مكانه ، وقام فيميون يصلّى ، فبينما هو يصلّى إذ أقبل نحوه التنين -
الحية ذات الرؤوس السبعة - فلما رآها فيميون دعا عليها فانت ، ورآها صالح ،

(١) الخبر في السيرة لابن هشام : ٣٠ . ٢٨ . ٢٩ ، والأغاني ٢٠ : ٧ - ٩ (سأى) .

ولم يدري ما أصابها . فخافها عليه فعيل عَوَّلَهُ^(١) ، فصرخ : يا فيميون ، التنين قد أقبل نحوك ! فلم يلتفت إليه ، وأقبل على صلواته حتى فرغ وأهسى . وانصرف وعرف أنه قد عرف ، وعرف صالح أنه قد رأى مكانه ، فكأنه . فقال : يا فيميون ، يعلم الله ما أحببت شيئاً حبك قط . وقد أردت صحبتك والكيونة معك حينما كنت . قال : ما شئت ، أمرى كما ترى . فإن ظننت أنك تقوى عليه فنعم . فلزمه صالح ، وقد كاد أهل القرية أن يفظنوا لشأنه ، وكان إذا فاجأه العبدُ به ضرراً . دعا له فشفي ، وإذا دُعِيَ إلى أحد به الضر لم يأت . وكان لرجل من أهل القرية ابنٌ ضريب ، فسأل عن شأن فيميون ، فقيل له : إنه لا يأتي أحداً إذا دعاه . ولكنه رجل يعمل للناس البنيان بالأجر . فعمد الرجل إلى ابنه ذلك فوضعه في حجرته . وألقى عليه ثوباً . ثم جاءه فقال له : يا فيميون . إننى قد أردت أن أعمل في بيتي عملاً . فانطلق معى حتى تنظر إليه فأشارتك عليه ، فانطلق معه حتى دخل حجرته ، ثم قال : ما تريد أن تعمل في بيتك ؟ قال : كذا وكذا . ثم انتشط^(٢) الرجل الثوب عن الصبي ، ثم قال : يا فيميون . عبد من عباد الله أصابه ما ترى . فادع الله له . فقال فيميون حين رأى الصبي : اللهم عبد من عبادك دخل عليه عدوك في نعمتك لينسدها عليه فاشفيه وعافه ، وامنعه منه . فقام الصبي ليس به بأس .

وعرف فيميون أنه قد عرف . فخرج من القرية . واتبعه صالح . فبينما هو يمشى في بعض الشام مرّ بشجرة عظيمة . فناداه منها رجل . فقال : أفيميون ! قال : نعم . قال : ما زلت أنتظرك وأقول : متى هو جاء . حتى سمعت صوتك . فعرفت أنك هو . لا ترح حتى تقوم على . فإن ميث الآن . قال : فأت . وقام عليه حتى وراه ثم انصرف ومعه صالح . حتى ونذا بعض أرض العرب . فعادى عليهما فاختلفتهما سياراً من بعض العرب . فخرجوا بهما حتى باعوهما بنجران - وأهل نجران يؤمنون على دين العرب . تعبد نخلة طويلة بين أظهرهم ، لم عيد كل سنة . إذا كان ذلك العبد علقوا عليها

(١) عيل عوله ، أى غلب على صبره ، وفى ط . « فعول عليه عولة » . وما أتته عن ابن هشام .

(٢) انتشط الثوب : جذبته ورفعته إليه .

كلّ ثوب حسن وجدوه، وحلّى النساء . ثم خرجوا، فعكفوا عليها يوماً - فابتاع رجل من أشرافهم فيميون ، وابتاع رجل آخر صالحاً ، فكان فيميون إذا قام من الليل - في بيت له أسكنه إياه سيّده الذي ابتاعه - يصلّي، استسرج له البيت نوراً ، حتى يصبح من غير مصباح؛ فرأى ذلك سيّده فأعجبه ما رأى ، فسأله عن دينه فأخبره به ، فقال له فيميون : إنّما أنتم في باطل ، وإنّ هذه النخلة لا تضرّ ولا تنفع ؛ لو دعوت عليها الذي أعبد أهلها، وهو الله وحده لا شريك له . قال : فقال له سيّده : فافعل ؛ فإنك إن فعلت دخلنا في دينك ، وتركنا ما كنا عليه ، قال : فقام فيميون ، فتطهّر ثم صلّى ركعتين ، ثم دعا الله عليهما ، فأرسل الله ريحاً فجعفتها^(١) من أصلها فألقتها، فاتبعه عند ذلك أهل نجران على دينه ، فحملهم على الشريعة من دين عيسى بن مريم . ثم دخل عليهم بعد ذلك الأحداث التي دخلت على أهل دينهم بكلّ أرض . فمن هنالك كانت النصرانية بنجران في أرض العرب^(٢) .

فهذا حديث وهب بن منبه في خبر أهل نجران .

حدثنا ابن حميد، قال : حدثنا سلمة، قال : حدثني محمد بن إسحاق عن يزيد بن زياد، مولى لبي هاشم، عن محمد بن كعب القرظي . قال : وحدثني محمد بن إسحاق أيضاً عن بعض أهل نجران أنّ أهل نجران كانوا أهل شرك يعبدون الأوثان ، وكان في قرية من قرأها قريباً من نجران - ونجران القرية العظمى التي إليها جماع أهل تلك البلاد - ساحر يعلم غلمان أهل نجران السحر ، فلما أن نزلها فيميون - قال : ولم يسموه باسمه الذي سمّاه به وهب بن منبه، قالوا : رجل نزلها - ابنتي خيمة بين نجران وبين تلك القرية التي بها الساحر ، فجعل أهل نجران يرسلون غلمانهم إلى ذلك الساحر يعلمهم السحر ، فبعث الثامر ابنه عبد الله بن الثامر، مع غلمان أهل نجران، فكان إذا مرّ بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى من صلواته وعبادته ، فجعل يجلس إليه ويسمع منه حتى

(١) جففتها . أي قلمتها وأسقطتها .

(٢) الخبر في السيرة لابن هشام ١ : ٢٩ : ٣٠ .

أسلم، فوحد الله وعبّده وجعل يسأله عن الاسم الأعظم - وكان يعلمه - فكنمه إيتاه وقال : يا بن أخي ، إنك لن تحتمله ؛ أخشى ضعفك عنه . فلما أبي عليه - والثامر أبو عبد الله لا يظن إلا أن ابنه عبد الله يختلف إلى الساحر كما يختلف الغلمان - فلما رأى عبد الله أن صاحبه قد ضنّ به عنه ، وتخوف ضعفه فيه عمّد إلى قيدّاح فجمعها ، ثم لم يسبق لله اسماً يعلمه إلا كتبه في قيدّاح^(١) ، لكل اسم قيدّاح^(١) ؛ حتى إذا أحصاها أوقد لها ناراً ، ثم جعل يقذفها فيها قيدّاحاً ؛ حتى إذا مرّ بالاسم الأعظم قذف فيها بقيدّاحه ، فوثب القيدّاح حتى خرج منها ، لم يضره شيء ؛ فقام إليه فأخذه ، ثم أتى صاحبه ، فأخبره أنه^(٢) قد علم الاسم الذي كنمه ، فقال له : ما هو ؟ قال ؛ كذا وكذا ، قال : وكيف علمته ؟ فأخبره كيف صنع ، قال : فقال : يا بن أخي ، قد أصبته فأمسك على نفسك ، وما أظن أن تفعل . فجعل عبد الله بن الثامر إذا أتى نجران لم يلق أحداً به ضرّاً إلا قال له : يا عبد الله ، أتوحد الله وتدخل في ديني فأدعو الله فيعافيك مما أنت فيه من البلاء ؟ فيقول : نعم ، فيوحد الله ويسلم ، ويدعو له فيشفي ، حتى لم يبق أحدٌ بنجران به ضرّاً إلا أتاه فاتبعه على أمره ، ودعا له فعوفي ، حتى رُفِع شأنه إلى ملك نجران . فدعاه فقال له : أفسدت على أهل قريتي ، وخالفت ديني ودين آبائي ، لأمثكن بك ! قال : لا تقدر على ذلك ؛ فجعل يرسل به إلى الجبل الطويل فيطرح عن رأسه فيقع على الأرض ، ليس به بأس ، وجعل يبعث به إلى مياه بنجران ، ببحور لا يقع فيها شيء إلا هلك ، فبيلقي فيها فيخرج ليس به بأس ، فلما غلبه ، قال عبد الله بن الثامر : إنك والله لا تقدر على قتلتي حتى توحد الله فتؤمن بما آمنت به ؛ فإنك إن فعلت ذلك ساءت على قتلتي ، فوحد الله ذلك الملك ، وشهد بشهادة عبد الله ابن الثامر ، ثم ضربه بعضاً في يده فشجّه شجّة غير كبيرة فقتله ، فهلك الملك مكانه ، واستجمع أهل نجران على دين عبد الله بن الثامر ، وكان على ما جاء به عيسى بن مريم من الإنجيل وحكمه ، ثم أصابهم ما أصاب أهل دينهم من الأحداث ، فمن هنالك كان أصل النصرانية بنجران^(٣) .

(١) القيدّاح : السهم . (٢) ح ، ل « بانه » .

(٣) الخبر في سيرة ابن هشام ١ : ٣١ ، ٣٢ .

فهذا حديث محمد بن كعب القرظي وبعض أهل نجران عن ذلك. والله أعلم.
 قال : فسار إليهم ذو نواس بجنوده من حمير وقبائل اليمن ،
 فجمعهم ثم دعاهم إلى دين اليهودية ، فخيبرهم بين القتل والدخول فيها ، فاختاروا
 القتل ، فخذت لهم الأخدود ، فحرق بالنار ، وقتل بالسيف : ومثل بهم كل مثله ،
 حتى قتل منهم قريباً من عشرين ألفاً ، وأفلت منهم رجل يقال له دؤس
 بن ثعلبان ، على فرس له ، فسلك الرمل فأعجزهم .
 قال : وقد سمعت بعض أهل اليمن يقول : إن الذي أفلت منهم رجل
 من أهل نجران يقال له جبار^(١) بن فيض^(٢) .

قال : وأثبت الحديثين عندي الذي حدثني أنه دؤس ذو ثعلبان .
 ثم رجع ذو نواس بمن معه من جنوده إلى صنعاء من أرض اليمن .
 ففي ذي نواس وجنوده تلك حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن
 الفضل ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : أنزل الله على رسوله : ﴿ قُتِلَ
 أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴾ إلى قوله : ﴿ بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾^(٣) .
 يقال : كان فيمن قتل ذو نواس عبد الله بن الثامر رئيسهم وإمامهم .
 ويقال : عبد الله بن الثامر قُتِلَ قبل ذلك ، قتله ملك كان قبيله ، هو
 كان أصل ذلك الدين ؛ وإنما قتل ذونواس من كان بعده من أهل دينه^(٤) .

وأما هشام بن محمد فإنه قال : لم يزل ملك اليمن متصلاً لا يطمع فيه
 طامع ، حتى ظهرت الحبشة على بلادهم في زمن أنوشيروان . قال : وكان
 سبب ظهورهم أن ذا نواس الحميري ملك اليمن في ذلك الزمان ، وكان
 يهودياً ، فقدم عليه يهودي ، يقال له دؤس من أهل نجران ، فأخبره
 أن أهل نجران قتلوا ابنين له ظلماً ، واستنصره عليهم — وأهل نجران نصارى —
 فحيمى ذونواس لليهودية ، فغزا أهل نجران ، فأكثرتهم القتل ، فخرج رجل

(١) ر ، ل : « حيار » ، ح : « حيان » . (٢) ر ، ل : « فيض » .

(٣) سورة البروج ٤ - ٨ . قال ابن هشام : « الأخدود : الحفر المستطيل في الأرض كالخندق

والجدول ونحوه » .

(٤) الخبر في سيرة ابن هشام ١ : ٣١ - ٣٥ .

من أهل نَجْرَان ، حتى قدم على ملك الحبشة ، فأعلمه ما ركبوا به ، وأتاه
بالإنجيل قد أحرقت النارُ بعضه . فقال له : الرجال عندي كثير ، وليست
عندي سفن ، وأنا كاتب إلى قيصر في البعثة إلى بسفن أحمل فيها الرجال .
فكتب إلى قيصر في ذلك . وبعث إليه بالإنجيل المحرق . فبعث إليه قيصر
بسفن كثيرة .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا
سائمة . قال : حدثني محمد بن إسحاق . عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن
عمرو بن حزم . أنه حدث أن رجلاً من أهل نَجْرَان في زمن عمر بن الخطاب
حضر خربة من خرب نَجْرَان لبعض حاجاته . فوجد عبد الله بن التامر
تحت دفين^(١) منها قاعداً واضعاً يده على ضربة في رأسه ممسكاً عليها بيده ؛
فإذا أحررت يده عنها انثعبت^(٢) دمياً . وإذا أرسلت يده ردها عليها ،
فأمسك دمها . وفي يده خاتم مكتوب فيه : « ربّي الله » . فكتب فيه إلى عمر
يخبره بأمره . فكتب إليهم عمر : أن أقرّوه على حاله ، وردّوا عليه الدفن الذي
كان عليه . ففعلوا .

وخرج دؤس ذو ثعلبان^(٣) . حين^(٤) أعجز القوم على وجهه ذلك ؛ حتى
قدم^(٥) على قيصر صاحب الروم ، فاستنصره على ذي نواس وجنوده ، وأخبره
بما بلغ منهم ، فقال له قيصر : بعدت بلادك من بلادنا ، ونأت عنا ، فلا
نقدر على أن نتناولها بالجنود ؛ ولكنني سأكتب لك إلى ملك الحبشة ؛ فإنه على
هذا الدين ، وهو أقرب إلى بلادك منا فينصرك ويمنعك ويطلب لك بثأرك
ممن ظلمك ، واستحل منك ومن أهل دينك ما استحل . فكتب معه قيصر إلى
ملك الحبشة يذكر له حقه وما بلغ منه ومن أهل دينه ، ويأمره بنصره . وطلب

(١) الدفن : بئر أو حوض أو منهل سفلى الريح فيه التراب حتى دفن .

(٢) انثعبت : تفجرت ؛ وفي ر . ت : « انبعثت » ، ح . ل : « انبعث » .

(٣) في ابن هشام : « هو رجل من سبأ » .

(٤) ت ، ح : « حتى » .

(٥) كذا في ت ، وفي ط : « تقدم » ؛ وفي ابن هشام : « أتى » .

ثأره ممن بغى عليه وعلى أهل دينه . فلما قدم دؤس ذو ثعلبان بكتاب قيصر على النجاشي صاحب الحبشة بعث معه سبعين ألفاً من الحبشة وأمر عليهم رجلاً منهم من أهل الحبشة ، يقال له أزيال ؛ وعهد إليه : إن أنت ظهرت عليهم فاقتل ثلث رجالهم ، وأخرب ثلث بلادهم ، واسب ثلث نسايتهم وأبنائهم . فخرج أرباط ومعه جنوده ، وفي جنوده أبرهة الأشرم ، فركب البحر ومعه دؤس ذو ثعلبان ، حتى نزلوا بساحل اليمن ، وسمع بهم ذو نواس فجمع إليه حمير ومن أطاعه من قبائل اليمن ، فاجتمعوا إليه على اختلاف وتفرق ، لانقطاع المدّة وحلول البلاء والنقمة ، فلم يكن له حرب غير أنه ناوش ذو نواس شيئاً من قتال ، ثم انهزموا ، ودخلها أرباط بجموعه ، فلما رأى ذو نواس ما رأى مما نزل به وبقومه وجه فرسه إلى البحر ، ثم ضرب به فدخل فيه فخاض به ضحوضاح^(١) البحر ، حتى أفضى به إلى غمرة ، فأقحمه فيه ، فكان آخر العهد به . ووطئ أرباط اليمن بالحبشة ، فقتل ثلث رجالها ، وأخرب ثلث بلادها ، وبعث إلى النجاشي بثلاث سباياها ثم أقام بها ، قد ضبطها وأذلها ، فقال قائل من أهل اليمن ، وهو يذكر ما ساق إليهم دؤس ذو ثعلبان من أمر الحبشة ؛ فقال :

« لا كدؤس ولا كأعلاق رحله » . يعني ما ساق إليهم من الحبشة ، فهي مثل اليمن إلى اليوم .

٩٢٨/١

وقال ذو جَدَنِ الحميري وهو يذكر حمير ، وما دخل عليها من الذل بعد الغز الذي كانوا فيه ، وما هُدم من حصون اليمن ، وكان أرباط قد أخرب مع ما أخرب من أرض اليمن سلحين وبيسون وغمندان ؛ حصوناً لم يكن في الناس مثلها ، فقال :

هَوْنُكَ لَيْسَ يَرُدُّ الدَّمْعُ مَا فَاتَا لَا تَهْلِكِي أَسْفَا فِي ذِكْرِ مَنْ مَاتَا
أَبْعَدَ بَيْنُونَ لَا عَيْنٌ وَلَا أَثَرٌ وَبَعْدَ سِلْحِينَ يَبْنِي النَّاسُ أُبْيَاتَا !

وقال ذو جَدَنِ الحميري في ذلك :

دَعِينِي لَا أَبَالِكِ لَنْ تَطْبِقِي لِحَاكِ اللَّهُ قَدْ أَنْزَفَتْ رِيْقِي^(٢)

(١) الضحوضاح من الماء : الذي يظهر منه القمر .

(٢) أنزفت ريق ، أي أكثرت على من العذل ؛ حتى أبيضت ريق في في ، وقلة الريق من

الحصر . قاله السهيلي .

لَدَى عَزْفِ الْقِيَانِ إِذِ انْتَشِينَا وَإِذْ نَسَقَى مِنَ الْخَمْرِ الرَّحِيقِ
وَشُرْبِ الْخَمْرِ لَيْسَ عَلَى عَارًا إِذَا لَمْ يَشْكُنِي فِيهَا رَفِيقِي
فَإِنَّ الْمَوْتَ لَا يَنْهَاهُ نَاهٍ وَلَوْ شَرِبَ الشِّفَاءَ مَعَ النَّشُوقِ (١)
وَلَا مَتْرَهَبٌ فِي أُسْطُوَانٍ يُنَاطِحُ جُدْرَهُ بَيْضَ الْأُنُوقِ (٢)
وَعُمْدَانِ الَّذِي حَدَّثَتْ عَنْهُ بَنَوُهُ مُسِيكًا فِي رَأْسِ نَيْقِ (٣)
يَمْنَهَمَةَ وَأَسْفَلَهُ جُرُوبٌ وَحَرُّ الْمَوْحَلِ اللَّثِقِ الزَّلِيقِ (٤)
مَصَابِيحُ السَّلِيطِ تَلُوحُ فِيهِ إِذَا يُنْسِي كَتُومَاضِي الْبُرُوقِ
وَنَخْلَتَهُ الَّتِي غُرِسَتْ إِلَيْهِ يَكَادُ الْبَسْرُ يَهْضِرُ بِالْعُدُوقِ (٥)
فَأَصْبَحَ بَعْدَ جِدَّتِهِ رَمَادًا وَغَيْرَ حُسْنِهِ لَهَبُ الْحَرِيقِ
وَأَسْلَمَ ذُو نُوَاسٍ مُسْتَمِيئًا وَحَذَرَ قَوْمَهُ ضَنْكُ الْمَضِيقِ (٦)

٩٢٩/١

وقال ابن الذئبة (٧) الثَّقَفِيُّ ، وهو يذكُر حميرَ حين نزل بها السودان وما أصابوا

منهم :

أَعْمَرُكَ مَا لِلْفَتَى مِنْ مَفَرٍّ مَعَ الْمَوْتِ يَلْحَقُهُ وَالْكَبِيرُ
لَعْمَرُكَ مَا لِلْفَتَى صُحْرَةٌ لَعْمَرُكَ مَا إِنْ لَهُ مِنْ وَزَرٍ (٨)

(١) الشفاء هنا : ما يتداوى به ، تسمية للسبب باسم المسبب ، ونشوق : كل دواء يشفى من الأنف لينشق .

(٢) الأنوق : الرخم ، ويقال في المثل : إذا أريد ما لا يوجد : أعز من بيض الأنوق .

(٣) رواية ابن هشام : « مسكا » ، وهو المرتفع ، والنبيق : أعلى الخيل .

(٤) المنهمة : موضع الرهبان ، والجروب : الحجارة السوداء ، ورواية ابن هشام : جروب . جمع جرن ، وهو النقيز ، وحر الموحل : خالص كل شيء ، والثثق : من الثق ، وهو اختلاط الماء بالتراب فيكثر منه الزلق . (من شرح السهيلي) .

(٥) ط : « يهزر » ، وما أثبتته من ابن هشام ، فإن السهيلي : أي يهيزر . ونشوق : جمع

عذق ، بالكسر ، وهي الكباشة . (٦) في ابن هشام : « مستكبا » . (٧) في ابن

هشام « عبد الله بن الذئبة » ، والذئبة أمه ، واسمها ربيعة بن عبد ياليل بن سنان .

(٨) الصحرة : المتسع ، أخذ من لفظ الصحراء ، والوزر : الملجأ .

أَبْعَدَ قَبَائِلَ مِنْ حَمِيرٍ أْتُوا ذَا صَبَاحٍ بِذَاتِ الْعَبْرِ (١)
بِأَلْبِ أَلْبِ وَأَلْبِ أَلْبِ كَمِثْلِ السَّمَاءِ قُبَيْلَ الْمَطَرِ (٢)
بِصِمِّ صِيَّاحِهِمُ الْمُقْرَبَاتِ وَيَنْفُونَ مَنْ قَاتَلُوا بِالزُّمْرِ (٣)
سَعَالَى كَمِثْلِ عَدِيدِ الثَّرَا بِبَيْبَسٍ مِنْهُمْ رَطَابُ الشَّجَرِ (٤)

۔ ۔ ۔

وأما هشام بن محمد ، فإنه زعم أن السفن لما قدمت على النجاشي من عند قيصر حمل جيشه فيها ، فخرجوا في ساحل المنذب . قال : فلما سمع بهم ذو نواس كتب إلى المقاول يدعوهم إلى مظاهرتة ، وأن يكون أمرهم في محاربة الحبشة ودفعهم عن بلادهم واحداً ، فأبوا وقالوا : يقاتل كل رجل عن مقولته وناحيته . فلما رأى ذلك صنع مفاتيح كثيرة ، ثم حملها على عِدَّة من الإبل ، وخرج حتى لقي جمعهم ، فقال : هذه مفاتيح خزائن اليمن قد جئتكم بها ، فلكم المال والأرض ، واستبقوا الرجال والذرية . فقال عظيمهم : اكتب بذلك إلى الملك ، فكتب إلى النجاشي ، فكتب إليه يأمره بقبول ذلك منهم ، فسار بهم ذو نواس حتى إذا دخل بهم صنعاء ، قال لعظيمهم : وجه ثقات أصحابك في قبض هذه الخزائن . ففرق أصحابه في قبضها ودفع إليهم المفاتيح ، وسبقت كتب ذى نواس إلى كل ناحية : أن اذبحوا كل ثور أسود في بلدكم ؛ فقتلت الحبشة ، فلم يبق منهم إلا الشريد . وبلغ النجاشي ما كان من ذى نواس ، فجهز إليه سبعين ألفاً ، عليهم قائدان : أحدهما أبرهة الأشرم ؛ فلما صاروا إلى صنعاء ورأى ذو نواس ألا طاقة له بهم ركب فرسه ، واعرَض البحر فاقتحمه ، فكان آخر العهد به .

وأقام أبرهة ملكاً على صنعاء ومخاليفها ، ولم يبعث إلى النجاشي بشيء ،

(١) ذات العبر : ذات الحزن ؛ يقال : عبر الرجل ؛ إذا حزن .
(٢) ط : « ألف ألوف » ، وألب ألوب ، أى مجتمع كثير . الحراية : أصحاب الحراب ، وانظر اللسان .
(٣) المقربات من الخيل : العتاق التي لا نروح ؛ ولكن تحبس قرب البيوت للعدو . وفى ابن هشام : « الذفر » ، وهو شدة الريح .
(٤) شبههم بالسعال من الجن ؛ جمع سعاة .

فقيل للنجاشي : إنه قد خلع طاعتك ، ورأى أنه قد استغنى بنفسه ، فوجه إليه جيشاً عليه رجل من أصحابه ، يقال له أرباط ، فلما حل بساحته ، بعث إليه أبرهة أنه يجمعني وإياك البلاد والدين . والتواجبُ علىّ وعليك أن ننظر لأهل بلادنا وديننا ممن معي ومعك ، فإن شئت فبارزني : فأبينا ظفر بصاحبه كان المملك له ، ولم يقتل الحبشة فيما بيننا . فرضي بذلك أرباط ، وأجمع أبرهة على المكر به ، فاتعدا موضعاً يلتقيان فيه . وأكمن أبرهة لإرباط عبداً له يقال له أرنجده ، في وهدنة قريب من الموضع الذي التقيا فيه . فاما النخيا سبق أرباط فزرق^(١) أبرهة بحربته . فزال الحربة عن رأسه وشمرت أنفه فسمى الأشرم ، ونهض أرنجده من الحفرة ، فزرق أرباط فأنفذه ، فقتله ، فقال أبرهة لأرنجده : احتكم فقال : لا تدخل امرأة اليمن على زوجها حتى يبدأ بي . قال : لك ذلك . فغير بذلك زماناً . ثم إن أهل اليمن عدواً عليه فقتلوه ، فقال أبرهة : قد أنى لكم أن تكونوا أحراراً ، وبلغ النجاشي قتل أرباط ، فألى ألا يكون له ناهية دون أن يهريق دم أبرهة . ويطأ بلادَه ، وبلغ أبرهة أليته . فكتب إليه : أيها الملك : إنتما كان أرباط عبدك . وأنا عبدك ، قدم علىّ يريد توهين ملكك ، وقتل جنديك ، فسألته أن يكف عن قتالي إلى أن أوجه إليك رسولاً ، فإن أمرته بالكف عني . وإلا سلمت إليه جميع ما أنا فيه ، فأبى إلا محاربتني ، فحاربته فظهرت عليه ، وإنتما سلطاني لك ، وقد بلغني أنك حلفت ألا تنتهي حتى تهريق دمي . ونظاً بلادي . وقد بعثت إليك بقارورة من دمي ، وجراب من تراب أرضي ؛ وفي ذلك خروجك من يمينك ، فاستم أيها الملك يدك عندي ؛ فإنما أنا عبدك وعزى عزك . فرضي عنه النجاشي وأقره على عمله .

• • •

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . قال : فأقام أرباط باليمن ٩٢٢/١ سنين^(٢) في سلطانه ذلك ، ثم نازعه في أمر الحبشة باليمن أبرهة الحبشي ،

(١) زرقه : طعنه بالمزراق ؛ وهي الحربة .

(٢) ح : « ستين » .

وكان في جنده حتى تفرقت الحبشة عليهما ، فانحاز إلى كل واحد منهما طائفة منهم ؛ ثم سار أحدهما إلى الآخر ، فلما تقارب الناس ، ودنا بعضهم من بعض أرسل أبرهة إلى أرباط : إنك لن تصنع بأن تلقى الحبشة بعضها ببعض حتى تُفنيها شيئاً ؛ فابرز لي وأبرز لك ، فأبنا ما أصاب صاحبه انصرف إليه جنده .

فأرسل إليه أرباط : أن قد أنصفتني فاخرج . فخرج إليه أبرهة . وكان رجلاً قصيراً لحيمًا حادراً^(١) ، وكان ذا دين في النصرانية ، وخرج إليه أرباط وكان رجلاً عظيماً طويلاً وسيماً وفي يده حربة وخلف أبرهة ربوة تمنع ظهره وفيها غلام له يقال له عتودة ، فلما دنا أحدهما من صاحبه رفع أرباط الحربة فضرب بها على رأس أبرهة — يريد يافوخه^(٢) — فوقعت الحربة على جبهة أبرهة ، فشرمت حاجبه وعينه وأنفه وشفته ؛ فبذلك سمى أبرهة الأشرم . وحمل غلام أبرهة عتودة على أرباط من خلف أبرهة فقتله ، وانصرف جند أرباط إلى أبرهة ، فاجتمعت عليه الحبشة باليمن ، فقال عتودة في قتله أرباط : « أنا عتودة ، من فرقة أردته ، لا أب ولا أم نجده » . أي يقول : قتلك عبده . قال : فقال الأشرم عند ذلك^(٣) لعتودة : حكمتك يا عتودة . .^(٤) وإن كنت قتلته ، ولا ينبغي لنا ذلك إلا ديتة . فقال عتودة : حكمتي ألا تدخل عروس من أهل اليمن ٩٣٣/١ على زوجها منهم حتى أصيبها قبله . فقال : ذلك لك ، ثم أخرج دية أرباط ، وكان كل ما صنع أبرهة بغير علم النجاشي ملك الحبشة ، فلما بلغه ذلك غضب غضباً شديداً ، وقال : عدا على أميري ، فقتله بغير أمرى . ثم حلف ألا يدع أبرهة حتى يبطأ بلادته . ويجز ناصيته ؛ فلما بلغ ذلك أبرهة حلق رأسه ، ثم ملأ جراباً من تراب اليمن ، ثم بعث به إلى النجاشي ، وكتب إليه : أيها الملك ؛ إنما كان أرباط عبدك ، وأنا عبدك ، فاختلفنا في أمرك ، وكل طاعته لك ، إلا أني كنت أقوى منه على أمر الحبشة ، وأضبط فئا

(١) الحادر : الغليظ المجتمع ؛ كذا فسره صاحب اللسان ؛ وأورد نص ابن إسحاق .

(٢) اليافوخ : وسط الرأس .

(٣) ح : « بعد ذلك » .

(٤) كذا في ط ، وفي الكلام نقص .

وأسوس لها ، وقد حلقت رأسي كله حين بلغني قسَم الملك ، وبعثت إليه بجراب من تراب أرض اليمن ، ليضعه تحت قدميه فيبرَ قسمه .

فلما انتهى ذلك إلى النجاشي رضى عنه ، وكتب إليه : أن اثبت على عمك بأرض اليمن ، حتى يأتيتك أمرى . فلما رأى أبرهة أن النجاشي قد رضى عنه ،

وملكه على الحبشة وأرض اليمن بعث إلى أبي مرة بن ذى يزن ، فترع منه امرأته ربحانة ابنة علقمة بن مالك بن زيد بن كهلان - وأبو ربحانة^(١) ذو جدان ،

وقد كانت ولدت لأبي مرة معد يكرب بن أبي مرة ، وولدت لأبرهة بعد أبي مرة مسروق بن أبرهة ، وبسباسة ابنة أبرهة ، وهرب منه أبو مرة فأقام أبرهة

باليمن وغلّامه عتودة يصنع باليمن ما كان أعطاه من حكمه حيناً ، ثم عدا على عتودة رجل من حمير - أو من خثعم - فقتله ، فلما بلغ أبرهة قتله -

وكان رجلاً حليماً سيداً شريفاً ورعاً في دينه من النصرانية - قال : قد أنى لكم يا أهل اليمن أن يكون فيكم رجل حازم ، يأنف مما يأنف منه الرجال ؛ إنى والله لو علمت حين حكمته أنه يسأل الذي سأل ما حكمته ، ولا أنعمته

عيناً ، وإيم الله لا يؤخذ منكم فيه عتقل ، ولا يتبعكم منى في قتله شيء تكرهونه .

قال : ثم إن أبرهة بنى القليس^(٢) بصنعاء . فبنى كنيسة لم ير مثلها في زمانها بشيء من الأرض ، ثم كتب إلى النجاشي ملك الحبشة : إنى قد بنيت لك أيها

الملك كنيسة لم يبن مثلها لملك كان قبلك ، ولست بمنته حتى أصرف إليها حاج العرب .

فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة ذلك إلى النجاشي غضب رجل من النساء^(٣) أحد بنى فقيم ، ثم أحد بنى مالك ، فخرج حتى أتى القليس فقعد^(٤)

فيها ، ثم خرج فلحق بأرضه ؛ فأخبر بذلك أبرهة ، فقال : من صنع هذا ؟ فقيل : صنعه رجل من أهل هذا البيت الذي تحج العرب إليه بمكة ، لما سمع

(١) ط : مرة ؛ والصواب ما أثبتته ، وانظر ص ١٤٣ ، والتصويبات .

(٢) القليس : الكنيسة التي أراد أبرهة أن يصرف إليها حاج العرب ؛ قال السهيلي : « وسميت هذه الكنيسة القليس ؛ لارتفاع بنائها وعلوها » .

(٣) ط : النساء ؛ وما أثبت عن ابن هشام ، والنساء : هم الذين كانوا يؤخرون شهر المحرم إلى صفر ، لحاجتهم إلى شن الغارات ، وطلب الثارات .

(٤) قعد فيها ، قال ابن هشام : « يعنى أحدث فيها » .

من قولك : أصرف إليه حاج العرب ، فغضب فجاء فقعد فيها ؛ أي أنها ليست لذلك بأهل . فغضب عند ذلك أبرهة ، وحلف ليسيرن إلى البيت فيهدمه ، وعند أبرهة رجال من العرب ، قد قدموا عليه يلتمسون فضله ، منهم محمد بن خُزاعي بن حزابة الذكواني ، ثم السلمي ، في نفر من قومه ، معه أخ له ، يقال له قيس بن خُزاعي ؛ فبينما هم عنده غشيتهم عيد لأبرهة ، فبعث إليهم ٩٣٥/١ فيه بغدائه ، وكان يأكل الخصى ؛ فلما أتى القوم بغدائه قالوا : والله لن أكلنا هذا لا تزال تعيننا به العرب ما بقينا ، فقام محمد بن خُزاعي ، فجاء أبرهة فقال : أيها الملك ، هذا يوم عيد لنا ، لا نأكل فيه إلا الجنوب والأيدى ، فقال له أبرهة : فسنبعث إليكم ما أحببتم ؛ فإنما أكرمتكم بغدائي لمنزلتكم مني . ثم إن أبرهة توج محمد بن خُزاعي ، وأمره على مضر ، وأمره أن يسير في الناس يدعوهم إلى حج القلبيس ؛ كنيسته التي بناها . فسار محمد بن خُزاعي ، حتى إذا نزل ببعض أرض بني كنانة - وقد بلغ أهل تهامة أمره ، وما جاء له - بعثوا إليه رجلاً من هذيل ، يقال له عروة بن حياض الملاصي ، فرماه بسهم فقتله . وكان مع محمد بن خُزاعي أخوه قيس ، فهرب حين قُتل أخوه ، فلحق بأبرهة ، فأخبره بقتله ، فزاد ذلك أبرهة غضباً وحنقاً ، وحلف ليغزون بني كنانة وليهدمن البيت .

• • •

وأما هشام بن محمد ، فإنه قال : بنى أبرهة بعد أن رضى عنه النجاشي وأقره على عمله كنيسة صنعاء ، فبناها بناءً معجيباً لم ير مثله ، بالذهب والأصباغ المعجبة ، وكتب إلى قيصر يعلمه أنه يريد بناء كنيسة بصنعاء ، يبنى أثرها وذكرها ، وسأله المعونة له على ذلك فأعانه بالصناعات والفُسيفساء والرخام ، وكتب أبرهة إلى النجاشي حين استتم بناؤها : إني أريد أن أصرف إليها حاج العرب . فلما سمعت بذلك العرب أعظمتها ، وكبر عليها ، فخرج رجل من ٩٣٦/١ بي مالك بن كنانة حتى قدم اليمن ، فدخل الهيكل ، فأحدث فيه ، فغضب أبرهة ، وأجمع على غزو مكة وهدم البيت ، فخرج سائراً بالحبشة ومعه القيل ؛ فلقبه ذو نفر الحميري ، فقاتله فأسره ، فقال : أيها الملك ؛ إنما أنا عبدك فاستبقني ، فإن حياتي خير لك من قتلي ، فاستبقاه ، ثم سار فلقبه نقيب

ابن حبيب الخثعمي ، فقاتله فهزم أصحابه ، وأسرّه ، فسأله أن يستبقيه ،
ففعل وجعله دليلاً في أرض العرب .

، ، ،

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . قال : ثم إن أبرهة حين أجمع
السير إلى البيت أمر الحبشان فتهيأت وتجهزت ، وخرج معه بالفيل - قال :
وسمعت العرب بذلك فأعظموه ، وفضِّعوا به ، ورأوا جهاده حقاً عليهم حين
سمعوا أنه يريد هدم الكعبة بيت الله الحرام - فخرج له رجل كان من أشرف
أهل اليمن وملوكهم ، يقال له : ذو نَفر ، فدعا قومه ومن أجابه منهم من
سائر العرب إلى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله ، وما يريد من هدمه وإخراجه ،
فأجابه من أجابه إلى ذلك ، وعرض له فقاتله . فهزِم ذو نَفر وأصحابه ،
وأخذ له ذو نَفر أسيراً ، فأتي به ، فلما أراد قتله قال له ذو نَفر : أيها الملك ،
لا تقتلني . فإنه عسى أن يكون كوني معك خيراً لك من قتلي . فركه من
القتل وحبسه عنده في وثاق . وكان أبرهة رجلاً حليماً - ثم مضى أبرهة على
وجهه ذلك . يريد ما خرج له . حتى إذا كان بأرض خثعم ، عرض له نَفييل
ابن حبيب الخثعمي في قبيلي خثعم : شهران وناهس ومن تبعه من قبائل العرب ،
فقاتله فهزمه أبرهة . وأخذ له نَفييل أسيراً ، فأتى به ، فلما هم بقتله قال له
نَفييل : أيها الملك . لا تقتلني فإنني دليلاك بأرض العرب ، وهاتان يداي لك
على قبيلتي خثعم ، شهران وناهس بالسدم والطاعة ، فأعفاه وخلي سبيله ، وخرج
به معه يداً على الطريق ، حتى إذا مر بالطائف خرج إليه مسعود بن معتب في
رجال ثقيف ، فقال له : أيها الملك ، إنما نحن عبيدك ، سامعون لك مطيعون
ليس لك عندنا خلاف ، وليس بيتنا هذا بالبيت الذي تريد - يعنون اللات -
إنما تريد البيت الذي بمكة - يعنون الكعبة - ونحن نبعث معك من يدلك .
فتجاوز عنهم ، وبعثوا معه أبا رِغال ، فخرج أبرهة ومعه أبو رِغال ، حتى
أنزله المغس ، فلما أنزله به مات أبو رِغال هنالك ، فرجمت العرب قبره ،
فهو القبر الذي يرمون الناس بالمغس .

ولما نزل أبرهة المغس بعث رجلاً من الحبشة ، يقال له الأسود بن مقصود

على خيل له حتى انتهى إلى مكة ، فساق إليه أموال أهل مكة من قريش وغيرهم ، وأصاب منها مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم ؛ وهو يومئذ كبير قريش وسيدها ، فهزمت قريش وكنانة وهذيل ومن كان بالحرم من سائر الناس بقتاله ، ثم عرفوا أنه لا طاقة لهم به ؛ فتركوا ذلك ، وبعث أبرهة حنَاطة الحميري إلى مكة ، وقال له : سل عن سيد هذا البلد وشريفهم ؛ ثم قل له : ٩٣٨/١ إن الملك يقول لكم : إني لم آت لحربكم ؛ إنما جئت لهدم البيت ؛ فإن لم تعرضوا دونه بحرب ، فلا حاجة لي بدمائكم ؛ فإن لم يرد حربي فأتني به .

فلما دخل حنَاطة مكتسأل عن سيد قريش وشريفها ، فقيل له : عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي ، فجاءه فقال له ما أمره به أبرهة . فقال له عبد المطلب : والله ما نريد حربته ، وما لنا بذلك من طاقة ؛ هذا بيت الله الحرام . وبيت خليله إبراهيم - أو كما قال - فإن يمنعني فهو بيته وحرمة ، وإن يخل بينه وبينه ، فوالله ما عندنا من دفع عنه - أو كما قال له - فقال له حنَاطة : فانطلق إلى الملك ، فإنه قد أمرني أن آتيه بك - فانطلق معه عبد المطلب ، ومعه بعض بنيه ، حتى أتى العسكر فسأل عن ذي نقر - وكان له صديقاً - حتى دل عليه ، وهو في محبسه ، فقال له : يا ذا نقر ، هل عندك غناء فيما نزل بنا ؟ فقال له ذو نقر : وما غناء رجل أسير بيدي ملك ينتظر أن يقتله غدواً أو عشياً ! ما عندي غناء في شيء مما نزل بك إلا أن أنيساً سائس الضيل لي صديق ، فسأرسل إليه فأوصيه بك ، وأعظم عليه حقلك ، وأسأله أن يستأذن لك على الملك فتكلمه بما تريد . ويشفع لك عنده بخير ، إن قدر على ذلك . قال : حسبي .

فبعث ذو نقر إلى أنيس ، فجاء به ، فقال : يا أنيس ؛ إن عبد المطلب سيد قريش وصاحب غير مكة يطعم الناس بالسهل ، والوحوش في رءوس الجبال ، وقد أصاب له الملك مائتي بعير فاستأذن له عليه ، وانفعه عنده بما استطعت . قال : أفعل ، فكلتم أنيس أبرهة فقال : أيها الملك ؛ هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك ، وهو صاحب غير مكة يطعم الناس بالسهل ، والوحوش في رءوس الجبال ، فأذن له عليك ، فيكلمك بحاجته وأحسن إليه . قال : فأذن له

أبرهة - وكان عبد المطلب رجلاً عظيماً وسيماً جسيماً - فلما رآه أبرهة أجله وأكرمه أن يجلس تحته ، وكره أن تراه الحبشة يُجلسه معه على سرير مُلكه ، فنزل أبرهة عن سريره ، فجلس على بساطه وأجلسه معه عليه إلى جنبه ، ثم قال لترجمانه : قل له حاجتك إلى الملك ، فقال له ذلك الترجمان ، فقال عبد المطلب : حاجتي إلى الملك أن يردّ عليّ مائتي بعير أصابها لي . فلما قال له ذلك ، قال أبرهة لترجمانه : قل له قد كنت أعجبتي حين رأيتك ، ثم زهدت فيك حين كلمتني ؛ أتكلمني في مائتي بعير قد أصبتها لك وتركت بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئتُ لخدمه لا تكلمني فيه ! قال له عبد المطلب : إنني أنا ربّ الإبل ، وإن للبيت ربّاً سيمنعه ، قال : ما كان ليمنع مني ، قال : أنت وذاك ، اردد إلى إيلي .

وكان - فيما زعم بعض أهل العلم - قد ذهب عبد المطلب إلى أبرهة حين بعث إليه حنّاطة بعمر بن نفّاثة بن عدى بن الدُّثيل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة - وهو يومئذ سيّد بني كنانة - وخويلد بن وائلة الهذليّ - وهو يومئذ سيّد هذيل - فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تِهامة على أن يرجع عنهم ، ولا يهدم البيت ، فأبى عليهم . والله أعلم .

وكان أبرهة قد ردّ على عبد المطلب الإبل التي أصاب له ، فلما انصرفوا عنه انصرف عبد المطلب إلى قريش فأخبرهم الخبر ، وأمرهم بالخروج من مكة والتحرّز في شتّى الجبال والشعاب تخوفاً عليهم معرفة الجيش ، ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة الباب باب الكعبة ، وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده ، فقال عبد المطلب ، وهو آخذ بحلقة باب الكعبة :

يَا رَبِّ لَا أَرْجُو لَهُمْ سِوَاكَ يَا رَبِّ فَاثْنَعْ مِنْهُمْ حِمَاكَ
إِنَّ عَدُوَّ الْبَيْتِ مَنْ عَادَاكَ ائْتَنَّهُمْ أَنْ يُخْرِبُوا قُرَاكَ

ثم قال أيضاً :

لَا هُمْ إِنْ الْعَبْدَ يَمُّ نَعْرُ رَحْلَهُ فَاثْنَعُ حِلَالِكَ (١)
 لَا يَنْبَغُ صَلِيْبُهُمْ وَمِحَالُهُمْ غَدَوْاً مِحَالِكَ (٢)
 فَلَنْ فَعَلْتِ فَرَبَّمَا أَوْلَى فَأَمْرٌ مَا بَدَالِكَ (٣)
 وَلَنْ فَعَلْتِ فَايَهْ أَمْرٌ نَتَمُّ بِهِ فِعَالِكَ
 جَرُّوا جُمُوعَ بِلَادِهِمْ وَالْقَيْلَ كَيْ يَسْبُوا عِيَالِكَ
 عَمَدُوا حِمَاكَ بِكَيْدِهِمْ جَهْلًا وَمَا رَقِبُوا جَلَالِكَ

[وقال أيضاً] (٤) :

وَكَنتَ إِذَا أَتَى بَاغٍ بِسِلْمٍ نُرَجِّي أَنْ تَكُونَ لَنَا كَذَلِكَ
 فَوَلَّوْا لَمْ يَنَالُوا غَيْرَ خِزْيٍ وَكَانَ الْحَيْنُ يُهْلِكُهُمْ هُنَالِكَ
 وَلَمْ أَسْمَعْ بَارِجَسَ مِنْ رِجَالٍ أَرَادُوا الْعِزَّ فَانْتَهَكُوا أَحْرَامَكَ

٩٤١/١

ثم أرسل عبد المطلب حلقة الباب ، باب الكعبة ، وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شعف الجبال ، فتحرّزوا فيها ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها . فلما أصبح أبرهة تهباً لدخول مكة ، وهياً فيلته ، وعبى جيشه - وكان اسم الفيل محموداً - وأبرهة مجمع لهدم البيت ثم الانصراف إلى اليمن ؛ فلما وجهوا الفيل أقبل نضيل بن حبيب الحشعمي حتى قام إلى جنبه ، ثم أخذ بأذنه ، فقال : ابرك محمود ، وارجع راشداً من حيث جئت ؛ فإنك في بلد الله الحرام . ثم أرسل أذنه ، فبرك الفيل وخرج نضيل بن حبيب يشدد حتى صعد

(١) الحلال في البيت : القوم الحلول في المكان .

(٢) غدواً ، أى غدا ولم يستعمل تاماً إلا في الشعر ، وانظر الفائق ١ : ٢٦٠ .

(٣) ولم يذكر ابن هشام سوى هذه الأبيات الثلاثة ؛ وقال : هذا ما صح له منها .

(٤) زيادة يقتضيا اختلاف بحر الأبيات التالية عما قبلها .

في الجبل ، وضربوا الفيل ليقوم فأبى ، وضربوا في رأسه بالطبرزين^(١) ليقوم فأبى ، فأدخلوا محاجنَ لحم في مرقاه فبزغوه^(٢) ليقوم فأبى ، فوجهوه راجعاً إلى اليمن ، فقام يهرول ، ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك ، ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك ، ووجهوه إلى مكة فبرك ، وأرسل الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف ، مع كل طير منها ثلاثة أحجار يحملها ، حجر في منقاره ، وحجران في رجله مثل الحمص والعدس لا تصيب منهم أحداً إلا هلك ، وليس كلهم أصابت ، وخرجوا هاربين يتدرون الطريق الذي منه جاءوا ، ويسألون عن نضيل بن حبيب ليدلّهم على الطريق إلى اليمن ، فقال نضيل بن حبيب حين رأى ما أنزل الله بهم من نعمته :

أَيْنَ الْمَفْرَ وَالْإِلَهُ الطَّالِبِ وَالْأَشْرَمُ الْمَغْلُوبُ غَيْرُ الْغَالِبِ!

وقال نضيل أيضاً :

أَلَا حُيِّتِ عَنَّا يَا رُدْبِنَا نَعْمَنَا كَمْ مَعَ الْإِضْبَاحِ عَيْنَا
أَتَانَا قَابِسٌ مِّنْكُمْ عِشَاءَ فَلَمْ يُقَدِّرْ لِقَابِسِكُمْ لَدَيْنَا
رُدْبِنَةُ ذُو رَأْيَتٍ وَلَمْ تَرَيْهِ لَدَى جَنْبِ الْمُحَصَّبِ مَا رَأَيْنَا
إِذَا لَعَذَرْتِنِي وَحَمِدْتَ رَأْيِي وَلَمْ تَأْسَى عَلَيَّ مَا فَاتَ بَيْنَا^(٣)
حَمِدْتُ اللَّهَ إِذْ عَايَنْتُ طَيْرًا وَخِفْتُ حِجَارَةً تُتَلَقَى عَلَيْنَا
فَكَلُّ الْقَوْمِ يَسْأَلُ عَنِ نَضِيلِ كَأَنَّ عَلِيَّ لِلْحُبَّانِ دَيْنًا!

فخرجوا يتساقطون بكل طريق ، ويهلكون على كل منهمل ، وأصيب أبرهة في جسده . وخرجوا به معهم تسقط أنامله أنملة أنملة ، كلما سقطت منه

(١) الطبرزين : فأس السرج : فارسي معرب ؛ قال الجواليقي : « لأن فرسان العجم كانت تحمله معها يقاتلون به » . المراب ٢٢٨ .
(٢) بزغوه : أدموه .

(٣) قال السهيلي : نصب « بينا » نصب المصدر المؤكد لما قبله ؛ إذ كان في معناه ولم يكن عن نفعه ؛ لأن « فات » معناه « فارق » ؛ و « بان » .

أنملة اتبعتها منه مِدَّة تَمَّتْ^(١) قِيحاً ودمماً حتى قَدِمُوا به صنعاء ؛ وهو مثل فرخ الطير ، فامات حتى انصدع صدره عن قلبه - فيما يزعمون^(٢) .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : حدثنا محمد بن عمر ، قال : حدثنا عبد الله بن عثمان بن أبي سليمان ، عن أبيه . قال : حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن السلماني ، عن أبيه . قال : حدثنا عبد الله ابن عمرو بن زهير الكعبي ، عن أبي مالك الحميري عن عطاء بن يسار . ٩٤٣/١ . قال : حدثنا محمد بن أبي سعيد الشقفي عن يعلى بن عطاء ، عن وكيع بن عدس ، عن عمه أبي رزين العقيلي . قال : حدثنا سعيد بن مسلم ، عن عبد الله ابن كثير ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ؛ دخل حديث بعضهم في حديث بعض ؛ قالوا : كان النجاشي قد وجه أرباط أبا صحم^(٣) في أربعة آلاف إلى اليمن ، فأداخها^(٤) وغلب عليها ، فأعطى الملوك ، واستذل الفقراء ، فقام رجل من الحبشة يقال له أبرهة الأشرم أبو بكسوم ، فدعا إلى طاعته ، فأجابوه ، فقتل أرباط ، وغلب على اليمن ، ورأى الناس يتجهزون أيام الموسم للحج إلى البيت الحرام ، فسأل : أين يذهب الناس ؟ فقالوا : يحجّون إلى بيت الله بمكة ، قال : مم هو ؟ قالوا : من حجارة ، قال : فما كسوته ؟ قالوا : ما يأتيها هنا من الوصائل ، قال : والمسيح لأبنيين لكم خيراً منه ! فبني لهم بيتاً ، عمله بالرخام الأبيض والأحمر والأصفر والأسود ، وحلّاه بالذهب والفضة ، وحفّاه بالجوهر ، وجعل له أبواباً عليها صفائح الذهب ومسامير الذهب ، وفصل بينها بالجوهر ، وجعل فيها ياقوتة حمراء عظيمة ، وجعل لها حجاباً ، وكان يوقد بالمسندال ، ويلطخ جذره بالمسك ، فيسوده حتى يغيب الجوهر . وأمر الناس فحجّوه ، فحجّه كثير من قبائل العرب سنين ، ومكث فيه رجال يتعبدون ويتألّهون ، ونسكوا له ، وكان نُفيل الخثعمي يورّض^(٥) له ما يكره ، فلما كان ليلة من

(١) قال السهيلي : تمت ، بالضم والكسر ؛ فعل رواية الضم يكون الفعل متعدياً ، ونصب « قيحاً » على المفعول ، وعلى رواية الكسر يكون غير متعد ، ونصب « قيحاً » على التمييز .

(٢) الخبر في سيرة ابن هشام ١ : ٤٢ - ٤٦ . (٣) ر : « ضخم » .

(٤) أداخها : أذلها . (٥) أرض الشيء : سواه وزينه .

٩٤٤/١ الليالى لم ير أحداً يتحرك ، فقام فجاء بعتدرة فلطخ بها قبلته ، وجمع جيباً فألقاها فيه . فأخبر أبرهة بذلك ، فغضب غضباً شديداً ، وقال : إنما فعلت هذا العرب غضباً لبيتهم ، لأنقضته حجراً حجراً . وكتب إلى النجاشي يخبره بذلك ، ويسأله أن يبعث إليه بقبيله ومحموده - وكان فيلاً لم يُر مثله في الأرض عظيمًا وجسمًا وقوة - فبعث به إليه ، فلما قدم عليه القيل سار أبرهة بالناس ومعه مئلك حيمير ، ونُفَيْل بن حبيب الخثعمي ، فلما دنا من الحرم أمر أصحابه بالغارة على نعم الناس فأصابوا إبلا لعبد المطلب ، وكان نُفَيْل صديقًا لعبد المطلب ، فكلّمه في إبله ، فكلّمه نُفَيْل أبرهة ، فقال : أيها الملك ، قد أتاك سيد العرب وأفضلهم قدرًا ، وأقدمهم شرفًا ، يحمل على الجياد ، ويُعطى الأموال ، ويطيح ما هبت الرياح . فأدخله على أبرهة ، فقال : حاجتك ! قال : تردّ على إيلي ، فقال : ما أرى ما بلغني عنك إلا الغرور ، وقد ظننت أنك تكلمني في بيتكم الذي هو شرفكم ، فقال عبد المطلب : ارددّ على إيلي ، ودونك البيت ، فإن له ربًا سيمنعه . فأمر بردّ إبله عليه ، فلما قبضها قلدها النعال ، وأشعرها ، وجعلها هديًا ، وبثها في الحرم لكي يصاب منها شيء فيغضب ربّ الحرم ، وأوفى عبد المطلب على حراء ومعه عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ومُطِيع بن عدى وأبو مسعود الثقفي ، فقال عبد المطلب :

لَأُمُّمٌ إِنَّ الْمَرْءَ يَمُنُّ نَعُ رَحْلَهُ فَاثْنَعُ حِلَالَكَ
لَا يَغْلِبَنَّ صَلِيْبُهُمْ وَمِحَالُهُمْ غَدَوًا مِحَالِكَ
إِنْ كُنْتَ تَارَكَهُمْ وَرَقِبْ لَمَتْنَا فَأَمْرٌ مَا بَدَا لَكَ

٩٤٥/١ قال : فأقبلت الطير من البحر أبا بيل ، مع كلّ طير [منها] ^(١) ثلاثة أحجار : حجران في رجله وحجر في منقاره ، فقتلت الحجارة عليهم ، لا تصيب شيئًا إلا هشمته ، وإلا نقتل ذلك الموضع ، فكان ذلك أول ما كان الجندري والحصبه والأشجار المرّة ، فأهدتهم الحجارة ، وبعث الله سيلاً أتياً ، فذهب بهم فألقاهم في البحر .

(١) تكلة مزح ، ر .

قال: وولّى أبرهة ومَنَ بَقِيَّ مَعَهُ هُرَّابًا، فجعل أبرهة يستنط عضواً عضواً. وأما محمود، فيل النجاشي فربض ولم يشجع على الحرم. وأما الفيل الآخر فشجع فحُصِب. ويقال: كانت ثلاثة عشر فيز، نزل عبد المطّاب من حراء، فأقبل رجلان من الحبشة فقبلا رأسه وقالوا: أنت كنت أعلم.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن اسحاق، عن معتور ابن عتبة بن المغيرة بن الأخنس، أنه حدث أن أول ما رُئيت الحصاة والخدعة بأرض العرب ذلك العام، وأنه أول ما رُئى بها مُرار الشجر: الحرم والحفظ والعُشْر، ذلك العام.

• • •

قال ابن إسحاق: ولما هلك أبرهة ملك اليمن ابنه في الحبشة يكسوم بن أبرهة - وبه كان يكنى - فذلت حمير وقبائل اليمن ووطنهم الحبشة؛ فنكحوا نساءهم، وقتلوا رجالهم، واتخذوا أبناءهم تراجمة بينهم وبين العرب. قال: ولما ردت الله الحبشة عن مكة، فأصابهم ما أصابهم من النقمة، عظمت العرب قريشاً، وقالوا: أهل الله، قاتل الله عنهم، فكفاهم مؤونة عدوهم.

قال: ولما هلك يكسوم بن أبرهة ملك اليمن في الحبشة أخوه مسروق ابن أبرهة، فلما طال البلاء على أهل اليمن - وكان ملك الحبشة باليمن فيما بين أن دخلها أرباط إلى أن قتلت الفرس مسروقاً، وأخرجوا الحبشة من اليمن ٩٤٦/١ ثنتين وسبعين سنة، توارث ذلك منهم أربعة ملوك: أرباط، ثم أبرهة، ثم يكسوم بن أبرهة، ثم مسروق بن أبرهة - خرج سيف بن ذى يزن الحميري، وكان يكنى بأبي مرة، حتى قدم على قيصر ملك الروم، فشكا ما هم فيه، وطلب إليه أن يخرجهم عنه، ويليهم هو، ويبعث إليهم من شاء من الروم، فيكون له ملك اليمن، فلم يشكّه ولم يجد عنده شيئاً مما يريد، فخرج حتى قدم الحيرة على النعمان بن المنذر - وهو عامل كسرى على الحيرة وما يليها من أرض العرب من العراق - فشكا إليه ما هم فيه من البلاء والذل، فقال له النعمان: إن لي على كسرى وفادة في كل عام، فأقيم عندي حتى يكون ذلك، فأخرج بك معي. قال: فأقام عنده حتى خرج النعمان إلى كسرى، فخرج معه إلى

كيسرى ، فلما قدِم النعمان على كسرى وفرغ من حاجته ، ذكر له سيف بن ذى يزن وما قدم له ، وسأل أن يأذن له عليه ، ففعل . وكان كسرى إنما يجلس فى إيوان مجلسه الذى فيه تاجه ، وكان تاجه مثل القنقل^(١) العظيم ، مضروباً فيه الياقوت والزبرجد واللؤلؤ والذهب والفضة ، معلقاً بسلسلة من ذهب فى رأس طاق مجلسه ذلك ، كانت عنقه لا تحمل تاجه ، إنما يُستر بالثياب حتى يجلس فى مجلسه ذلك ، ثم يدخل رأسه فى تاجه ، فإذا استوى فى مجلسه كشف الثياب عنه فلا يراه رجل لم يره قبل ذلك إلا برك هيبة له . فلما دخل عليه سيف بن ذى يزن برك ، ثم قال : أيها الملك غلبتنا على بلادنا الأخرية ، فقال كسرى : أى الأخرية ؟ الحبشة أم السند ؟ قال : بل الحبشة ، فجئتك لتنصرنى عليهم ، وتخرجهم عنى ، ويكون مُلك بلادى لك ، فأنت أحب إلينا منهم . قال : بعدت أرضك من أرضنا ، وهى أرض قليلة الخير ، إنما بها الشاء والبعير ، وذلك مما لا حاجة لنا به ، فلم أكن لأورط جيشاً من فارس بأرض العرب . لا حاجة لى بذلك ! ثم أمر فأجيز بعشرة آلاف درهم واف ، وكساه كسوة حسنة .

فلما قبض ذلك سيف بن ذى يزن ، خرج فجعل يثر الورق للناس يُنهبها الصبيان والعبيد والإماء ، فلم يلبث ذلك أن دخل على كسرى ، فقيل له : العربى الذى أعطيته ما أعطيته يثر دراهمه للناس يُنهبها العبيد والصبيان والإماء . فقال كسرى : إن لهذا الرجل لشأنا ، اتونى به ، فلما دخل عليه قال : عمدت إلى حياء الملك الذى حباك به تنره للناس ! قال : وما أصنع بالذى أعطانى الملك ! ما جبال أرضى التى جئت منها إلا ذهب وفضة - يرغبه فيها لما رأى من زهادته فيها - إنما جئت الملك ليمنعنى من الظلم ، ويدفع عنى الذل ، فقال له كسرى : أقم عندى حتى أنظر فى أمرك . فأقام عنده .

وجمع كسرى مرآزبته وأهل الرأى ممن كان يستشيريه فى أمره ، فقال : ما ترون فى أمر هذا الرجل ، وما جاء له ؟ فقال قائل منهم : أيها الملك ، إن فى سجونك رجالاً قد حبستهم للقتل ، فلو أنك بعثتهم معه ، فإن هلكوا كان الذى أردت بهم ، وإن ظهروا على بلاده كان مُلكاً ازددته إلى ملكك . فقال : إن هذا الرأى ! أحصوا لى كم فى سجونى من الرجال ؟ فحسبوا له ،

(١) القنقل : مكيال يسع ثلاثين منا ، والمنا : وزان رطلين .

فوجدوا في سجونهم ثمانمائة رجل ، فقال : انظروا إلى أفضل رجل منهم حسباً وبيتاً ، اجعلوه عليهم . فوجدوا أفضلهم حسباً وبيتاً وهريز - وكان ذا سن - فبعثه مع سيف ، وأمره على أصحابه ، ثم حملهم في ثمانين سفائن ، في كل سفينة مائة رجل . وما يصلحهم في البحر .

فخرجوا حتى إذا لججوا في البحر . غرقت من السفن سفينتان بما فيهما ، فخلص إلى ساحل اليمن من أرض عدن ست سفائن . فيهن ست مائة رجل ، فيهم وهريز ، وسيف بن ذي يزن ، فلما اطمانا بأرض اليمن ، قال وهريز لسيف : ما عندك ؟ قال : ما شئت من رجل عربي . وفرس عربي ، ثم اجعل رجلي مع رجلك حتى نموت جميعاً أو نظهر جميعاً . قال وهريز : أنصفت وأحسن ! فجمع إليه سيف من استطاع من قومه . وسمع بهم مسروق بن أبرهة فجمع إليه جنده من الحبشة . ثم سار إليهم حتى إذا تقارب العسكران ، ونزل الناس بعضهم إلى بعض بعث وهريز ابناً له كان معه - يقال له نوزاد - على جريدة خييل ، فقال له : فاوشهم القتال . حتى ننظر كيف قتالهم . فخرج إليهم ففاوشهم شيئاً من قتال ، ثم تورط في مكان لم يستطع الخروج منه فقتلوه ، فزاد ذلك وهريز حنماً عليهم ، وجيداً على قتالهم .

فلما تواقف الناس على مصافقتهم قال وهريز : أروني ملكهم ، فقالوا : ترى رجلاً على النبل عاقداً تاجه على رأسه ، بين عينيه ياقوتة حمراء ، قال : نعم ، قالوا : ذلك^(١) ملكهم ، قال : اتركوه . فوقفوا طويلاً . ثم قال : علام هو ؟ قالوا : قد تحول على الفرس . فقال : اتركوه . فوقفوا طويلاً . ثم قال : علام هو ؟ قالوا : قد تحول على البغلة . قال : ابنة الحدار ! ذلّ وذلّ ملكه ، هل تسمعون أني سأريه . فإن رأيتم أصحابه وقوفاً لم يتحركوا فائتوا حتى أؤذنكم ، فإنني قد أخطأت الرجل . وإن رأيتم القوم قد استداروا ولاثوا به : فقد أصبت الرجل . فاحملوا عليهم .

ثم أوتر قوسه - وكانت فيما زعموا لا يوترها غيره من شدتها - ثم أمر بحاجبيه

(١) ر : « ذلك » .

فَعُصِبَا لَهُ ، ثُمَّ وَضِعَ فِي قَوْسِهِ نَشَابَةَ فَمَغَطَ ^(١) فِيهَا حَتَّى إِذَا مَلَأَهَا أَرْسَلَهَا فَصَلَّتْ بِهَا الْيَاقُوتَةَ الَّتِي بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، فَتَغَالَغَلَتْ النَّشَابَةُ فِي رَأْسِهِ ، حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ قَفَاهُ ، وَتَنَكَّسَتْ عَنِ دَابَّتِهِ . وَاسْتَدَارَتِ الْحَبِشَةُ ، وَوَلَّاتَتْ بِهِ . وَحَمَلَتْ عَلَيْهِمُ الْفُرْسُ ، وَانْهَزَمَتِ الْحَبِشَةُ ، فَتَمَلَّكُوا وَهَرَبَ شَرِيدُهُمْ فِي كُلِّ وَجْهٍ . فَأَقْبَلَ وَهْرِيزُ بِرِيدِ صَنْعَاءَ يَدْخُلُهَا ؛ حَتَّى إِذَا أَتَى بَابَهَا قَالَ : لَا تَدْخُلْ رَايَتِي مِنْكَسَّةً أَبَدًا : أَهْدَمُوا الْبَابَ . فَهَدَمَ بَابَ صَنْعَاءَ ، ثُمَّ دَخَلَهَا نَاصِبًا رَايَتَهُ يُسَارِبُهَا بَيْنَ يَدَيْهِ .

فَلَمَّا مَلَكَ الْيَمَنَ وَنَبِيَّ عَنْهَا الْحَبِشَةَ كَتَبَ إِلَى كَسْرَى : إِنِّي قَدْ ضَبَطْتُ لَكَ الْيَمَنَ ، وَأَخْرَجْتُ مَنْ كَانَ بِهَا مِنَ الْحَبِشَةِ ؛ وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِالْأَمْوَالِ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ كَسْرَى بِأَمْرِهِ أَنْ يَمْلِكُ سَيْفُ بْنُ ذِي يَزْنَ عَلَى الْيَمَنِ وَأَرْضِهَا ، وَفَرَضَ كَسْرَى عَلَى سَيْفِ بْنِ ذِي يَزْنَ جِزْيَةً وَخَرَجًا يُؤَدِّيهِ إِلَيْهِ فِي كُلِّ عَامٍ مَعْلُومٍ ، يُبْعَثُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ عَامٍ . وَكَتَبَ إِلَى وَهْرِيزٍ أَنْ يَنْصَرِفَ إِلَيْهِ . فَانْصَرَفَ إِلَيْهِ وَهْرِيزُ ، وَمَلَكَ سَيْفُ بْنُ ذِي يَزْنَ عَلَى الْيَمَنِ . وَكَانَ أَبُوهُ ذُو يَزْنَ مِنْ مَلُوكِ الْيَمَنِ .

فَهَذَا مَا حَدَّثَنَا بِهِ ابْنُ حَمِيدٍ ، عَنْ سَلْمَةَ عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ . مِنْ أَمْرِ حَمِيرٍ وَالْحَبِشَةَ ، وَمَلَكَهُمْ وَتَوَجَّهَ كَسْرَى مِنْ وَجْهِهِ لِحَرْبِ الْحَبِشَةَ بِالْيَمَنِ ^(٢) .

وَأَمَّا هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ . فَإِنَّهُ قَالَ : مَلَكَ بَعْدَ أُبْرَهَةَ بِكُسُومٍ ، ثُمَّ مَسْرُوقٍ . قَالَ : وَهُوَ الَّذِي قَتَلَهُ وَهْرِيزُ فِي مَلِكِ كَسْرَى بْنِ قُبَادِ ، وَنَبِيَّ الْحَبِشَةَ عَنِ الْيَمَنِ . قَالَ : وَكَانَ مِنْ حَدِيثِهِ أَنْ أَبَا مُرَّةَ الْفَيْتَّاصِ ذَا يَزْنَ ، كَانَ مِنْ أَشْرَافِ الْيَمَنِ . وَكَانَتْ تَحْتَهُ رِيحَانَةُ ابْنَةِ ذِي جَدْنِ ، فَوَالِدَتْ لَهُ غَلَامًا سَمَّاهُ مَعْدِي يَكْرُبُ . وَكَانَتْ ذَاتَ جَمَالٍ ، فَانْتَزَعَهَا الْأَشْرَمُ مِنْ أَبِي مُرَّةَ : فَاسْتَنَكَحَهَا ، فَخَرَجَ أَبُو مُرَّةَ مِنَ الْيَمَنِ ، فَلَحِقَ بِبَعْضِ مَلُوكِ بَنِي الْمَنْذَرِ - أَظُنُّهُ عَمْرُو بْنُ هِنْدٍ - فَسَأَلَهُ أَنْ يَكْتُبَ لَهُ إِلَى كَسْرَى كِتَابًا ، يَعْلَمُهُ فِيهِ قَدْرَهُ وَشَرَفَهُ وَنَزْوَعَهُ إِلَيْهِ فِيمَا نَزَعَ إِلَيْهِ فِيهِ . فَقَالَ : لَا تَعْجَلْ ، فَإِنِّي لِي عَلَيْهِ فِي كُلِّ سَنَةٍ وَفَادَةٌ ؛ وَهَذَا وَقْتُهَا ، فَأَقَامَ قَبْلَهُ حَتَّى وَفَدَ عَلَيْهِ مَعَهُ ، فَدَخَلَ عَمْرُو بْنُ هِنْدٍ عَلَى كَسْرَى ،

(١) منط الرجل القوس منطاً ؛ إذا مدعا بالوتر . (٢) سيرة ابن هشام ١ : ٥٠ - ٥٢ .

فذكر له شرف ذى يزن وحاله ، واستأذن له ، فدخل فأوسع له عمرو ، فلما رأى ذلك كسرى علم أن عمراً لم يصنع به ذلك بين يديه إلا لشرفه ، فأقبل عليه ، فألفظه وأحسن مسأله ، وقال له : ما الأمر الذى نزع بك ؟ قال : أيها الملك ، إن السودان قد غلبونا^(١) على بلادنا ، وركبوا منّا أموراً شنيعة^(٢) ، أجلّ الملك ٩٥١/١ عن ذكرها ، فلو أن الملك تناولنا بنصره من غير أن نستنصره ، لكان حقيقاً بذلك لفضله وكرمه وتقدمه لسائر الملوك . فكيف وقد نزعنا إليه ، مؤتملين له . راجين أن يقصم الله عدوتنا وينصرنا عليهم ، وينتقم لنا به منهم ! فإن رأى الملك أن يصدق ظننا ، ويحقق رجاءنا ، ويوجهه معي جيشاً ينفون هذا العدو عن بلادنا فيزدادها إلى ملكه - فإتيا من أخصب البلدان وأكثرها خيراً ، وليست كما يلى الملك من بلاد العرب - فعل .

قال : قد علمت أن بلادكم كما وصفت . فأى السودان غلبوا عليها ؟ الحبشة أم السند ؟ قال : بل الحبشة . قال أنوشير وان : إنى لأحب أن أصدق ظنك ، وأن تنصرف بحاجتك ؛ ولكن المسلك للجيش إلى بلادك صعب ، وأكره أن أغرره بجندى ، ولى فيما سألت نظراً ، وأنت على ما تحب . وأمر بإنزاله وإكرامه ؛ فلم يزل مقيماً عنده حتى هلك . وقد كان أبو مرة قال قصيدة بالحميرية يمتدح فيها كسرى ، فلما ترجمت له ، أعجب بها .

وولدت ریحانة ابنة ذى جَدَن لأبرهة الأشرم غلاماً ، فسماه مسروقاً ، ونشأ معديكرب بن ذى يزن مع أمه ریحانة في حِجْر أبرهة فسبته ابن لأبرهة ، فقال له : لعنك الله ، ولعن أباك ! وكان معد يكرب لا يحسب إلا أن الأشرم أبوه ، فأتى أمه فقال لها : من أبى ؟ قالت : الأشرم ، قال : لا والله ، ما هو أبى ، ولو كان أبى ما سببني فلان ، فأخبرته أن أباه أبو مرة الفيّاض ، واقتصت عليه خبره ، فوقع ذلك في نفس الغلام ، وليث بعد ذلك لبثاً . ٩٥٢/١

(٢) كذافي ح ، وفي ط : « شنه » .

(١) ح : « غلبوا » .

ثم إن الأشرم مات ، ومات ابنه يكسوم ، فخرج ابن ذى يزن قاصداً إلى ملك الروم ، وتجنب كسرى لإبطائه عن نصر أبيه ، فلم يجد عند ملك الروم ما يحب ، ووجده يحامى عن الحبشة لموافقتهم إياه على الدين ، فانكفاً راجعاً إلى كسرى ، فاعترضه يوماً وقد ركب ، فصاح به : أيتها الملك ، إن لي عندك ميراثاً . فدعا به كسرى لما نزل ، وقال : من أنت ؟ وما ميراثك ؟ قال : أنا ابن الشيخ اليماني ذى يزن ، الذى وعدته أن تنصره ، فمات ببابك وحضرتك ، فتلك العدة حق لي وميراث يجب عليك الخروج لي منه . فرق له كسرى ، وأمر له بجمال . فخرج الغلام ، فجعل ينثر الدراهم ، فانتبهها الناس . فأرسل إليه كسرى : ما الذى حملك على ما صنعت ؟ قال : إننى لم آت لك للمال ، إنما جئتك للرجال ، ولتمنعى من الذل . فأعجب ذلك كسرى ، فبعث إليه : أن أقم حتى أنظر فى أمرك . ثم إن كسرى استشار وزراءه فى توجيه الجند معه ، فقال له المؤيدان : إن لهذا الغلام حقاً بتروعه وموت أبيه بباب الملك وحضرته ، وما تقدم من عِدته إياه ، وفى سجون الملك رجال ذوون جدة وبأس ، فلو أن الملك وجههم معه ، فإن أصابوا ظفراً كان له ، وإن هلكوا كان قد استراح وأراح أهل مملكته منهم ، ولم يكن ذلك بعيد من الصواب .

قال كسرى : هذا الرأى ، وأمر بمن كان فى السجون من هذا الضرب ، فأحصوا فبلغوا ثمانمائة نفر ، فتوّد عليهم قائداً من أساورته ، يقال له وهريز ، كان^(١) كسرى يعد له بألف أسوار^(٢) ، وقواهم وجهتهم وأمر بحملهم فى ثمانى سفائن ، فى كل سفينة مائة رجل ، فركبوا البحر ، ففرقت من الثمانى السفن سفينتان ، وسلمت ست ، فخرجوا بساحل حضرموت ، وسار إليهم مسروق فى مائة ألف من الحبشة وحمير والأعراب ، ولحق بابن ذى يزن بشراً كثير ، ونزل وهريز على سيف البحر ، وجعل البحر وراء ظهره ، فلما نظر مسروق إلى قانتهم طمع فيهم ، فأرسل إلى وهريز : ما جاء بك ، وليس معك إلا من

(١) ح : « وكان » .

(٢) الأسوار بالضم والكسر : القائد فى الفرس .

أرى ، ومعى مَنْ ترى ! لقد غررت بنفسك وأصحابك ، فإن أحببت أذنت لك ؛ فرجعت إلى بلادك ولم أمجك ؛ ولم ينلك ولا أحداً من أصحابك منى ولا من أحد من أصحابي مكروه ، وإن أحببت ناجزتك الساعة ، وإن أحببت أجلتك حتى تنظر في أمرك ، وتشاور أصحابك .

فأعظم وهـرز أمرهم . ورأى أنه لا طاقة له بهم ، فأرسل إلى مسروق : بل تضرب بينى وبينك أجلاً ، وتعطينى موثقاً وعهداً ، وتأخذ مثله منى ؛ ألا يقاتل بعضنا بعضاً حتى ينقضى الأجل ، ونرى رأينا .

ففعل ذلك مسروق ، ثم أقام كل واحد منهما في عسكره ، حتى إذا مضى من الأجل عشرة أيام ، خرج^(١) ابن وهـرز يسير على فرس له ، حتى دنا من عسكرهم ، وحماه فرسه ، فتوسط به عسكرهم ، فقتلوه - ووهـرز لا يشعر به - فلما بلغه قتل ابنه أرسل إلى مسروق : قد كان بينى وبينكم ما قد علمتم ، فلم يقاتلتم ابني ؟ فأرسل إليه مسروق : إن ابنك حمل علينا ، وتوسط عسكرنا ، فثار إليه سفهاء من سفهائنا ، فقتلوه ، وقد كنت لقتله كارهاً . قال وهـرز للرسول : قل له : إنه لم يكن ابني ، إنما كان ابن زانية ، ولو كان ابني لصبر ولم يغدر حتى ينقضى الأجل الذى بيننا . ثم أمر فرمى به فى الصعيد حيث ينظر إلى جثمانه ، وحلف ألا يشرب خمرأ ، ولا يدهن رأسه حتى ينقضى الأجل بينه وبينهم .

فلما انقضى الأجل إلا يوماً واحداً ، أمر بالسفن التى كانوا فيها فأحرقت بالنار ، وأمر بما كان معهم من فضل كسوة فأحرق ، ولم يدع منه إلا ما كان على أجسادهم ، ثم دعا بكل زاد معهم . فقال لأصحابه : كلوا هذا الزاد ، فأكلوه ، فلما انتهوا أمر بفضله فألقى فى البحر ، ثم قام فيهم خطيباً ، فقال : أما ما حرقت من سفنكم ، فإنى أردت أن تعلموا أنه لا سبيل إلى بلادكم أبداً ، وأما ما حرقت من ثيابكم ، فإنه كان يغيظنى إن ظفرت بكم الحبش أن يصير

(١) ر ، ل : « وخرج » .

ذلك إليهم ، وأما ما ألقيت من زادكم في البحر ، فإنني كرهت أن يطمع أحد منكم أن يكون معه زاد يعيش به يوماً واحداً ، فإن كنتم قومًا تقاتلون معي وتصبرون أعلمتموني ذلك . وإن كنتم لا تفعلون اعتمدت على سببي هذا حتى يخرج من ظهري ؛ فإنني لم أكن لأمكنهم من نفسي أبداً . فأنظروا ما تكون حالكم ، إذا كنت رئيسكم وفعلت هذا بنفسى ! فقالوا : لا بل نقاتل معك حتى نموت عن آخرنا ، أو نظفر .

فلما كان صبح اليوم الذي انقضى فيه الأجل عني أصحابه ، وجعل البحر خلفه ، وأقبل عليهم بحضهم على الصبر ، ويعلمهم أنهم منه بين خلتين ،^١ إمامًا ظفروا بعدوهم ، وإمامًا ماتوا كرامًا ، وأمرهم أن تكون قسيهم موترة ، وقال : إذا أمرتكم أن ترموا فارهم رشقًا بالبسجكان - ولم يكن أهل اليمن رأوا النشاب قبل ذلك - وأقبل^٢ مسروق في جميع لا يرى طرفاه على فيل على رأسه تاج ، بين عينيه باقوتة حمراء مثل البيضة ، لا يرى أن دون الظفر شيئًا . وكان وهريز قد كل بصره فقال : أروني عظيمهم ، فقالوا : هو صاحب الفيل ؛ ثم لم يلبث مسروق أن نزل فركب فرسًا ، فقالوا : قد ركب فرسًا ، فقال : ارفعوا لي حاجبتي ، وقد كانا سقطا على عينيه من الكبير ، فرفعوهما بعصابة ، ثم أخرج نشابة ، فوضعها في كبد قوسه ، وقال : أشيروا لي إلى مسروق ، فاشاروا له إليه حتى أثبتته^٣ ، ثم قال لهم : ارموا ، فرموا ، ونزع في قوسه حتى إذا ملأها^٤ سرح النشابة ، فأقبلت كأنها رشاء ، حتى صكت جبهة مسروق ، فسقط عن دابته ، وقتل في ذلك الرشق منهم جماعة كثيرة ، وانفض صفتهم لما رأوا صاحبهم صريعًا ، فلم يكن دون الهزيمة شيء ، وأمر وهريز بجثة ابنه من ساعته فووريت ، وأمر بجثة مسروق ، فألقيت مكاتها ، وغنم من عسكرهم ما لا يحصى ولا يعد كثيرًا ، وجعل الأسوار يأخذ من الحبشة ومن حيمير والأعراب الحمسين والستين فيسوقهم مكتفين ، لا يمتنعون منه .

(٢) أنه : عرفه حق المعرفة .

(١) ح : « فأقبل » .

(٣) ح : « ملأ بها » .

فقال وهريز : أمّا حمير والأعراب فكفّوا عنهم ، واقصدوا قصد السودان فلا
تُبقوا منهم أحداً . فقتلت الحبشة يومئذ حتى لم يبق منهم كثير أحد ، وهرب
رجل من الأعراب على جمّل له ، فركضه يوماً وليلة ، ثم التفت ، فإذا في
الحقبة نُشابة ، فقال : لأملك الويل ! أبُعدُ أم طول مسير - حسب أن
النشابة لحفته . وأقبل وهريز حتى دخل صنعاء ، وغلب على بلاد اليمن ، وفرّق
عمّاله في المخاليف .

وفي ابن ذى يزن وما كان منه ومن وهريز والفرس ، يقول أبو الصلت
أبو أمية بن أبي الصلت الثقي :

لِيَطْلُبِ الْوَيْلَ أَمْثَالُ ابْنِ ذِي يَزْنَ رَيْمٌ فِي الْبَحْرِ لِلْأَعْدَاءِ أَحْوَالُ^(١)
أَتَى هِرْقَلَ وَقَدْ شَالَتْ نَعَامُهُمْ فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُ بَعْضَ الَّذِي قَالَا^(٢)
نَمْ انْتَحَى نَحْوَ كِسْرَى بَعْدَ سَابِعَةٍ مِنْ السَّنِينَ لَقَدْ أَبْمَدْتَ إِيغَالَا
حَتَّى أَتَى بِنِي الْأَحْرَارِ بِحَمْلِهِمْ إِنَّكَ لَعَمْرِي لَقَدْ أَطَوَّلْتَ قَلْقَالَا^(٣)
مَنْ مِثْلُ كِسْرَى شَهْنَشَاهِ الْمَلُوكِ لَهُ أَوْ مِثْلُ وَهْرِيزَ يَوْمَ الْجَيْشِ إِذْ صَالَا!
لَهُ دَرُّهُمْ مِنْ عُصْبَةٍ خَرَجُوا مَا إِنْ تَرَى لَهُمْ فِي النَّاسِ أَمْثَالَا
غُرٌّ جَعَّاجَةٌ ، بِيضٌ مَرَّازِبَةٌ ، أَسْدٌ تُرَبَّبُ فِي الْغَيْضَاتِ أَشْبَالَا
يَرْمُونَ عَنِ شَدْفٍ كَأَنَّهَا غُبُطٌ فِي زَمَخَرٍ يُفْعِلُ الْمَرِيَّ إِعْجَالَا^(٤)
أُرْسَلَتْ أَسْدًا عَلَى سُودِ الْكِلَابِ فَقَدْ أَضْحَى شَرِيدُهُمْ فِي الْأَرْضِ فُلَالَا
فَأَشْرَبَ هَنِيئًا عَلَيْكَ التَّاجُ مُتَكِنًا فِي رَأْسِ غُمْدَانَ دَارًا مِنْكَ مَحَلَالَا

(١) القصيدة في ابن هشام ١ : ٥٢ ، وقال : « وتروى لأمية بن أبي الصلت » . ريم في البحر :
أقام فيه .

(٢) شالت نعمانهم ، أي هلكوا ، والنعام في الأصل : باطن القدم .

(٣) بنو الأحرار : الفرس ، والقلقال : شدة الحركة .

(٤) يراد بالشدف هنا القسي . والنبط : الموادج . والزمخر : القصب الفارسي .

وَأَطْلِرُ بِالْمِيكَ إِذْ شَالَتُ نَعَامَتَهُمْ وَأَسْبِلُ الْيَوْمَ فِي بُرْدِيكَ إِسْبَالًا
تلك المكارم لا قعبان من لبن شيباً بماء فعاداً بعد أبو الـ (١)

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق. قال: فلما انصرف وهرز إلى كسرى، وملك سيفاً على اليمن، عدا على الحبشة فجعل يقتلها ويبقر النساء عما في بطونها، حتى إذا أفناها إلا بقايا ذليلة قليلة، فاتخذهم خوفاً، واتخذ منهم جمّازين يسهون بين يديه بحرابهم، فكث بذلك حينئذٍ كثير. ثم إنه خرج يوماً والحبشة تسعى بين يديه بحرابهم؛ حتى إذا كان في وسط منهم وجنوه بالحراب حتى قتلوه، ووثب بهم رجل من الحبشة، فقتل باليمن وأوعث، فأفسد، فلما بلغ ذلك كسرى بعث إليهم وهرز في أربعة آلاف من الفرس، وأمره ألا يترك باليمن أسود ولا ولد عربيّة من أسود إلا قتله؛ صغيراً أو كبيراً، ولا يدع رجلاً جعداً قَطَطاً (٢) قد شرك فيه السودان إلا قتله.

فأقبل وهرز، حتى دخل اليمن، ففعل ذلك؛ ولم يترك بها حبشياً إلا قتله، ثم كتب إلى كسرى بذلك، فأمره كسرى عليها. فكان عليها، وكان يجنبها إلى كسرى حتى هلك، وأمر كسرى بعده ابنه المرزبان بن وهرز، فكان عليها حتى هلك، فأمر كسرى بعده البينجان بن المرزبان بن وهرز حتى هلك، ثم أمر كسرى بعده خسرّ بن البينجان بن المرزبان بن وهرز، فكان عليها.

ثم إن كسرى غضب عليه، فحلف ليأتينته به أهل اليمن يحملونه على أعناقهم ففعلوا، فلما قدم على كسرى تلقاه رجل من عظماء فارس، فألقى عليه سيفاً لأبي كسرى، فأجاره كسرى بذلك من القتل ونزعه، وبعث بأذان إلى اليمن، فلم يزل عليها حتى بعث الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم. وكان - فيما ذكر - بين كسرى أنوشير وان وبين يخطبانوس ملك

(١) قال ابن هشام بعد أن أورد الأبيات: هذا ما صح له مما روى ابن إسحاق منها، إلا آخرها بيتاً، قوله: تلك المكارم لا قعبان من لبن. (٢) الحمد: القصير الشعر، وكذلك القلط.

الروم ، موادعة وهدنة ، فوقع بين رجل من العرب كان ملكه بخطيانوس على عرب الشام ، يقال له خالد بن جبلة ، وبين رجل من لخم ، كان ملكه كسرى على ما بين عُمان والبيحترين واليَمامة إلى الطائف وسائر الحجاز ومن فيها من العرب ؛ يقال له المنذر بن النعمان - نائراً^(١) ، فأغار خالد بن جبلة على حيز المنذر ، فقتل من أصحابه مقتلة عظيمة ، وغنم أموالاً من أمواله . فشكا ذلك المنذر إلى كسرى ، وسأله الكتاب إلى ملك الروم في إنصافه من خالد . فكتب كسرى إلى بخطيانوس ، يذكر ما بينهما من العهد على الهدنة ٩٥٩/١ والصلح ، ويعلمه ما لقي المنذر عامله على العرب من خالد بن جبلة الذي ملكه على من في بلاده من العرب ، ويسأله أن يأمر خالداً أن يرد على المنذر ما غنم من حيزه وبلاده ، ويدفع إليه دية من قتل من عربها . وينصف المنذر من خالد ، وألاً يستخف بما كتب به من ذلك ، فيكون انتقاض ما بينهما من العهد والهدنة بسببه .

وواتر الكتب إلى بخطيانوس في إنصاف المنذر ، فلم يحفل بها ، فاستعد كسرى ، فغزا بلاد بخطيانوس في بضعة وتسعين ألف مقاتل ، فأخذ مدينة دارا ، ومدينة الرها ، ومدينة منبج ، ومدينة قنسرين ، ومدينة حلب ، ومدينة أنطاكية - وكانت أفضل مدينة بالشام - ومدينة فامية ، ومدينة حمص ؛ ومدناً كثيرة متاخمة لهذه المدائن ؛ عنوة ، واحتوى على ما كان فيها من الأموال والعروض ، وسبى أهل مدينة أنطاكية ، ونقلهم إلى أرض السواد ، وأمر فبني لهم مدينة إلى جنب مدينة طيسبون على بناء مدينة أنطاكية - على ما قد ذكرت قبل - وأسكنهم إياها ؛ وهي التي تسمى الرومية ، وكور^(٢) لها كورة ، وجعل لها خمسة طساسيج : طسوج نهر وان الأعلى ، وطسوج نهر وان الأوسط ، وطسوج نهر وان الأسفل ، وطسوج بادرايا . وطسوج باكسايا ، وأجرى على السبى الذين نقلهم من أنطاكية إلى الرومية الأرزاق . وولّى القيام بأمورهم رجلاً من نصارى أهل الأهواز ، كان ولاه الرياسة على أصحاب

(١) النائرة : العداوة . (٢) ر ، ن : « وكور بها » .

صناعاته^(١) ، يقال له : بَرَّاز ، رِقَّة منه لذلك السَّبِي ، إرادة أن يستأنسوا ببراز
لحال ملته ، ويسكنوا إليه . وأمَّا سائر مدن الشام ومصر فإنَّ يخطبانوس ابتاعها
من كسرى بأموال عظيمة حملها إليه ، وضمين له فدية يحملها إليه في كل
سنة على ألاَّ يغزو بلاده ، وكتب لكسرى بذلك كتابًا ، وختم هو وعظماء
الروم عليه ، فكانوا يحملونها إليه في كل عام .

وكان ملوك فارس يأخذون من كُور من كُورهم قبل ملك كسرى أنوشيروان
في خراجها الثلث ، ومن كُور الربع ، ومن كُور الخمس ، ومن كُور
السدس ؛ على قدر شربها وعمارتها ، ومن جزيرة الحماجم شيئًا معلومًا ، فأمر
الملك قباد بن فيروز في آخر ملكه بمسح الأرض ؛ سهلها وجبلها ليصح
الخراج عليها ، فُسِّحت ؛ غير أن قباد هلك قبل أن يستحكم له أمر تلك
المساحة ؛ حتى إذا ملك ابنه كسرى أمر باستمامها وإحصاء النخل والزيتون
والحماجم ، ثم أمر كتابه فاستخرجوا جُمْل ذلك ، وأذن للناس إذنا عامًا ،
وأمر كاتب خراجه أن يقرأ عليهم الحمل التي استخرجت من أصناف غلات
الأرض ، وعدد النخل والزيتون والحماجم ، فقرأ ذلك عليهم ، ثم قال لهم كسرى :
إنا قد رأينا أن نضع على ما أحصى من جِربان^(٢) هذه المساحة من النخل والزيتون
والحماجم وضائع^(٣) ، ونأمر بإنجامها في السنة في ثلاثة أنجُم ، ونجمع في بيوت
أموالنا من الأموال ما لو أتانا عن ثغر من ثغورنا ، أو طرف من أطرافنا
فَتَّق أوشيء نكرهه . واحتجنا إلى تداركه أو حَسْمه ببذلنا فيه مالا ، كانت
الأموال عندنا معدة موجودة ، ولم نُرد استئناف اجتبائها على تلك الحال .
فا ترون فيما رأينا من ذلك وأجمعنا عليه ؟

فلم يُشير عليه أحد منهم فيه بمشورة ، ولم ينبس بكلمة ، فكرر كسرى
هذا القول عليهم ثلاث مرات . فقام رجل من عرَضهم وقال لكسرى : أتضع
أيها الملك - عمرك الله - الخالد من هذا الخراج على الفاني من كترم يموت ، وزرع
يتهبج^(٤) ، ونهر يغور ، وعيمن أو قناة ينقطع ماؤها ! فقال له كسرى : ياذا الكلفة

(١) ح : « صناعاته » . (٢) الجربان : جمع جريب ؛ وهو مقدار معلوم من

الأرض ؛ نقل عن قدامة الكاتب أنه ثلاثة آلاف وستائة ذراع .

(٣) الوضيعة : ما يأخذه السلطان من الخراج والمشور . (٤) يهبج : يبس .

المشوم ، من أي طبقات الناس أنت ؟ قال : أنا رجل من الكتاب ، فقال كسرى : اضربوه بالدوى^(١) حتى يموت ، فضربه بها الكتاب خاصة تبرؤاً منهم إلى كسرى من رأيه وما جاء منه ، حتى قتلوه . وقال الناس : نحن راضون أيها الملك بما أنت ملزمنا من خراج .

وإن كسرى اختار رجالا من أهل الرأي والنصيحة ، فأمرهم بالنظر في أصناف ما ارتفع إليه من المساحة وعدة النخل والزيتون ورءوس أهل الجزية . ووضع الوضائع على ذلك بقدر ما يرون أن فيه صلاح رعيته ، ورفاعة^(٢) معاشهم ، ورفعوا إليه . فتكلم كل امرئ منهم بمبلغ رأيه في ذلك من تلك الوضائع ، وأداروا الأمر بينهم ، فاجتمعت كلمتهم على وضع الخراج على ما يعصم الناس والبهائم ، وهو الحنطة والشعير والأرز والكرم والرطاب والنخل والزيتون ؛ وكان الذي وضعوا على كل جريب أرض من مزارع الحنطة والشعير درهماً ، وعلى كل جريب أرض كرم ثمانية دراهم ؛ وعلى كل جريب أرض رطاب سبعة دراهم ، وعلى كل أربع نخلات فارسية درهماً ، وعلى كل ست نخلات دقل^(٣) مثل ذلك ؛ وعلى كل ستة أصول زيتون مثل ذلك ؛ ولم يضعوا إلا على كل نخل [في] ^(٤) حديقه ، أو مجتمع غير شاذ ، وتركوا ما سوى ذلك من الغلات السبع . فقيى الناس في معاشهم ، وألزموا الناس الجزية ما خلا أهل البيوتات والعظماء والمقاتلة والمرايضة والكتاب ؛ ومن كان في خدمة الملك ، وصبروها على طبقات : اثني عشر درهماً وثمانية وستة وأربعة ، كقدر إكثار الرجل وإقلاله ، ولم يبازموا الجزية من كان أتى له من السن دون العشرين أو فوق الخمسين ، ورفعوا وضائعهم إلى كسرى فرضيها وأمر بإمضاها والاجتباء عليها في السنة في ثلاثة أنجيم ، كل نجم أربعة أشهر وسماها أبراسيار ، وتأويله «الأمر المتراضى» ؛ وهي الوضائع التي اقتدى بها عمر بن الخطاب حين افتتح بلاد الفرس ، وأمر باجتباء أهل الذمة عليها ، إلا أنه وضع على كل جريب أرض غامر على قدر احتماله ؛ مثل الذي وضع على الأرض المزروعة ، وزاد على كل

(١) الدوى : جمع دواة ؛ وهي أداة يوضع فيها الحجر .

(٢) ح : «رفاهية» وهذا بمعنى .

(٣) الدقل : أردأ التمر .

(٤) من س

لجريب أرض مزارع حنطة أو شعير قفيزاً من حنطه إلى القفيزين ، ورزق منه الجند . ولم يخالف عمر بالعراق خاصة وضائع كسرى على جربان الأرض وعلى النخل والزيتون والجماجم ، وألغى ما كان كسرى ألغاه من معاش الناس . وأمر كسرى فدوتت وضائعه نسخاً ، فاتخذت نسخة منها في ديوانه قبله ، ودفعت نسخة إلى عمال الحراج ، ليجتباوا خراجهم عليها ، ونسخة إلى قضاة الكور ، وأمر القضاة أن يحولوا بين عمال الكور والزيادة على أهل الحراج فوق ما في الديوان الذي دفعت إليه نسخته ، وأن يرفعوا الحراج عن كل من أصاب زرعه أو شيئاً من غلاته آفة بقدر مبلغ تلك الآفة ، وعمّن هلك من أهل الحزبية أو جاوز خمسين سنة ، ويكتبوا إليه بما يرفعون من ذلك ، ليأمر بحسبه للعمال ، وألا يخلوا بين العمال وبين اجتباء من أتى له دون عشرين سنة .

• • •

وكان كسرى ولّى رجلاً من الكتاب - ناهياً بالنبل والمروءة والغناء والكفاية ، يقال له بابك بن البيروان - ديوان المقاتلة ، فقال لكسرى : إن أمرى لا يتم إلا بإزاحة علتى فى كل ما بى إليه الحاجة من صلاح أمر الملك فى جنده . فأعطاه ذلك ، فأمر بابك فبنيت له فى الموضع الذى كان يعرض فيه الجند مصطبة وفرش له عليها بساط سوسنجرد وتمط صوف فوقه ، ووضعت له وسائل لتكأته ، ثم جلس على ما فرش له ، ثم نادى مناديه فى شاهد عسكر كسرى من الأندلس أن يحضره الفرسان على كراعهم وأسلحتهم والرجالة على ما يلزمهم من السلاح ، فاجتمع إليه الجند على ما أمرهم أن يحضروه عليه ، ولم يعاين كسرى فيهم ، فأمرهم بالانصراف ، ونادى مناديه فى اليوم الثانى بمثل ذلك ، فاجتمع إليه^(١) الجند . فلما لم ير كسرى فيهم أمرهم أن ينصرفوا ، ويغدوا^(٢) إليه ، وأمر مناديه أن ينادى فى اليوم الثالث : ألا يتخلف عنه من شاهد العسكر أجد ، ولا من أكرم بتاج وسرير ، فإنه عزم لا رخصة فيه ولا محاباة . فبلغ ذلك كسرى ، فوضع تاجه على رأسه وتسلح بسلاح المقاتلة ، ثم أتى بابك

(١) ر : « عليه » .

(٢) ر : « ويمودوا » .

ليعرض عليه ، وكان الذي يؤخذ به الفارس من الجند تجافيف^(١) ودرعا ، وجوشنا^(٢) ، وساقين ، وسيفاً ، ورمحاً ، وترساً ، وجُرُزاً تلزمه منطقة ، وطبرزينا أو عموداً ، وجعبة فيها قوسان بوتريهما ، وثلاثين شابة ووترين مضمورين يعلقهما الفارس في مِغْفَر له ظهرياً .

فاعترض كسرى على بابك بسلاح تام ما خلا الوترين اللذين كان يستظهر بهما . فلم يجز بابك عن اسمه ، وقال له : إنك أيها الملك واقف في موضع المعندلة التي لا محاباة تكون مني معها ولا هوادة ، فهلم كل ما يلزمك من صنوف الأسلحة . فذكر كسرى قصة الوترين فتعلقهما ، ثم غرد داعي بابك بصوته ، وقال : للكمي سيد الكماة أربعة آلاف درهم ، وأجاز بابك عن اسمه ، ثم الصرف . وكان يفضل الملك في العطاء على أكثر المقاتلة عطاء بدرهم .

١٦٥/١

فلما قام بابك من مجلسه ذلك أتى كسرى ، فقال : إن غلظتي في الأمر الذي أغلظت فيه عليك اليوم أيها الملك ، إنما هي لأن ينفذ لي عليه الأمر الذي وضعتني بسبيله ، وسبب من أوثق الأسباب لما يريد الملك إحكامه لمكاني^(٣) . فقال كسرى : ما غلظ علينا أمرٌ أريد به صلاح رعييتنا ، وأقيم عليه أود ذى الأود منهم .

ثم إن كسرى وجهه مع رجل من أهل اليمن يقال له سيفان بن معند يكرب - ومن الناس من يقول إنه كان يسمى سيف بن ذى يزن - جيشاً إلى اليمن ؛ فقتلوا من بها من السودان ، واستولوا عليها . فلما دانت لكسرى بلاد اليمن وجهه إلى سرتنديب من بلاد الهند - وهي أرض الجوهر - قائداً من قواده في جند كثيف ، فقاتل ملكها فقتله ، واستولى عليها ، وحمل إلى كسرى منها أموالاً عظيمة ، وجوهرًا كثيرًا .

ولم يكن ببلاد الفرس بنات آوى ، فتساقطت إليها من بلاد الترك في ملك كسرى أنوشيروان ؛ فبلغ ذلك كسرى ؛ فبلغ ذلك منه مشقة ، فدعا

(١) التجافيف : جمع تجفاف ، بالكسر ؛ وهو من آلات الحرب .

(٢) الجوشن : نوع من الدروع .

(٣) ر ، ل : « بمكاني » .

مؤبذان مؤبذ ، فقال : إنه بلغنا تساقط هذه السباع إلى بلادنا ، وقد تعاضم الناس ذلك ، فتعجبنا من استعظامهم أمرها لهوانها ، فأخبرنا برأيك في ذلك .

فقال له مؤبذان مؤبذ : فإنني سمعت أيها الملك - عمرك الله - فقهاءنا يقولون : متى لا يغمر في بلدة العدل الجور ، ويمحق : بُلبي أهلها بغزو أعدائهم لهم ، وتساقط إليهم ما يكرهون ، وقد تخوفت أن يكون تساقط هذه السباع إلى بلادك لما أعلمتك من هذا الخطب . فلم يلبث كسرى أن تنهى إليه أن فتياناً من الترك قد غزوا أقصى بلاده ، فأمر وزراءه وأصحاب أعماله ألا يتعدوا فيما هم بسبيله العدل ، ولا يعملوا في شيء منه إلا به ، فصرف الله لما جرى من العدل ذلك العدو عن بلاده من غير أن يكون حاربهم ، أو كلف مؤونة في أمرهم .

وكان لكسرى أولاد متأدبون ، فجعل الملك من بعده لهرمز ابنه الذي كانت أمه ابنة خاتون وخاقان لمعرفة كسرى إياه بالاقتصاد والأخذ بالوثيقة وما رجا بذلك من ضبط هرمز الملك وقدرته على تدبير الملك^(١) ورعيته^(٢) ومعاملتهم .

وكان مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم في عهد كسرى أنوشروان ، عام قدّم أبرهة الأشرم أبو يكسوم مع الحبشة إلى مكة ، وساق فيه إليها الفيل ، يريد هدم بيت الله الحرام ، وذلك لمضي اثنتين وأربعين سنة من ملك كسرى أنوشروان . وفي هذا العام كان يوم جبلة ، وهو يوم من أيام العرب المذكور .

(١) ح ، ن : « ملكه » .

(٢) ح ، ن : « ورعيته » .

ذکر مولد رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم

حدَّثنا ابن المثنى : قال : حدَّثنا وهب بن جرير ، قال : حدَّثنا أبي ، قال : سمعت محمد بن إسحاق يحدث عن المطلب بن عبد الله بن قيس بن ٩٦٧/١ محرمه ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : ولدت أنا ورسول الله صلی اللہ علیہ وسلم عام الفيل .

قال : وسأل عثمان بن عفان قباث بن أشيم ، أخا بني عمرو بن لبيث : أنت أكبر أم رسول الله صلی اللہ علیہ وسلم ؟ قال : رسول الله صلی اللہ علیہ وسلم أكبر مني ، وأنا أقدم منه في الميلاد ، ورأيت خذق^(١) الفيل أخضر محيلاً بعنده بعام . ورأيت أمية بن عبد شمس شيخاً كبيراً يقوده عبده . فقال ابنه : يا قباث ، أنت أعلم وما تقول .

حدَّثنا ابن حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق . عن المطلب ابن عبد الله بن قيس بن محرمه ، عن أبيه ، عن جدّه قيس بن محرمه ، قال : ولدت أنا ورسول الله صلی اللہ علیہ وسلم عام الفيل ، فنحن ليدان^(٢) .

وحدثت عن هشام بن محمد ، قال : وُلِدَ عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله صلی اللہ علیہ وسلم لأربع وعشرين مئضت من سلطان كسرى أنوشروان ، وولد رسول الله صلی اللہ علیہ وسلم في سنة اثنتين وأربعين من سلطانه .

وحدثت عن يحيى بن معين ، قال : حدَّثنا حجاج بن محمد ، قال : حدَّثنا يونس بن أبي إسحاق ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : وُلِدَ رسول الله صلی اللہ علیہ وسلم عام الفيل .

حدثت عن إبراهيم بن المنذر ، قال : حدَّثنا عبد العزيز بن أبي ثابت ،

(١) خذق الفيل : رومه .

(٢) الخبر في ابن هشام ١ : ١٠٧ ؛ لدان : مثنى لدة ؛ وهو الترب .

قال : حدثنا الزبير بن موسى ، عن أبي الحويرث ، قال : سمعت عبد الملك ابن مروان يقول لقباث بن أشيم الكِنَانِي اللَّيْثِي : يا قباث ، أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر مني وأنا أسن منه ، ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل ، ووقفت بي أمي على روث الفيل محيلا أعقله .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني ابن إسحاق ، قال : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين عام الفيل . لائنتي عشرة مضت من شهر ربيع الأول : وقيل إنه ولد صلى الله عليه وسلم في الدار التي تعرف بدار ابن يوسف ؛ وقيل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وهبها لعقيل بن أبي طالب ، فلم تنزل في يد عقيل حتى توفى ، فباعها ولده من محمد بن يوسف ، أخي الحججاج بن يوسف ، فبني داره التي يقال لها دار ابن يوسف ، وأدخل ذلك البيت في الدار ، حتى أخرجه الحيزران فجعلته مسجداً يصلى فيه .

٩٦٨/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : يزعمون فيما يتحدث الناس - والله أعلم - أن آمنة بنت وهب أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كانت تحدث أنها أتيت لما حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقيل لها : إنك قد حملت بسيّد هذه الأمة . فإذا وقع بالأرض فقولى : أعيدّه بالواحد ، من شر كل حاسد . ثم سمّيه محمداً . ورأت حين حملت به أنه خرج منها نور رأت منه قصور بصرى من أرض الشام ، فلما وضعته أرسلت إلى جدّه عبد المطلب ، أنه قد ولد لك غلام فأنظر إليه . فأتاه فنظر إليه ، وحدثته بما رأت حين حملت به ، وما قيل لها فيه . وما أمرت أن تسمّيه .

حدثني محمد بن سنان القرّاز ، قال : حدثنا يعقوب بن محمد الزُّهْرِي ، قال : حدثنا عبد العزيز بن عمران ، قال : حدثني عبد الله بن عثمان بن أبي سليمان بن جبير بن مطعم ، عن أبيه ، عن ابن أبي سويد الثقفي . عن

ثمان بن أبي العاص ، قال : حدثتني أمي أنها شهدت ولادة آمنة بنت وهب ٩٦٩/١
 أم رسول الله صلى الله عليه وسلم - وكان ذلك ليل ولادته - قالت : فاشيء
 أنظر إليه من البيت إلا نور ، وإني لأنظر إلى النجوم تَدنو ، حتى إني لأقول :
 لتقن عليّ .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال :
 فيزعمون أن عبد المطلب أخذه فدخل به على هبل في جوف الكعبة ،
 فقام عنده يدعو الله ويشكر ما أعطاه ، ثم خرج به إلى أمه فدفعه إليها ،
 والتمس له الرضعا ، فاسترضع له امرأة من بني سعد بن بكر ، يقال لها
 حليلة ابنة أبي ذؤيب ، وأبو ذؤيب عبد الله ، بن الحارث ، بن شجينة ، بن
 جابر ، بن رزام ، بن ناصرة ، بن فصيحة ، بن سعد ، بن بكر ، بن هوازن ، بن
 منصور ، بن عكرمة ، بن خصفة ، بن قيس ، بن عيلان ، بن مضر .
 واسم الذي أرضعه : الحارث بن عبد العزى ، بن رفاعه ، بن ميلان ، بن
 ناصرة ، بن فصيحة ، بن سعد ، بن بكر ، بن هوازن ، بن منصور ، بن
 عكرمة ، بن خصفة ، بن قيس ، بن عيلان ، بن مضر . واسم إخوته من
 الرضاة : عبد الله بن الحارث ، وأنيسة ابنة الحارث ، وخدامة^(١) ابنة الحارث
 وهي الشيماء ، غلب ذلك على اسمها فلا تعرف في قومها إلا به .

وهي حليلة ابنة عبد الله بن الحارث ، أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛
 ويزعمون أن الشيماء كانت تحضنه مع أمها إذ كان عندهم صلى الله عليه
 وسلم^(٢) .

وأما غير ابن إسحاق ، فإنه قال في ذلك ما حدثني به الحارث ، قال :
 حدثنا ابن سعد ، قال : حدثنا محمد بن عمر ، قال : حدثني موسى بن
 شيبان ، عن عميرة ابنة عبيد الله بن كعب بن مالك ، عن برة ابنة

(١) قال السبيل : « خدامة ، بكر الحاء المنقوطة » ، ونقل أيضاً أنه يقال : خذافة ،
 بالحاء المضمومة ، وبالفاء مكان الميم .

(٢) الخبر في ابن هشام ١ : ١٠٨ .

أبي تُجَزَّاة، قالت : أولُ من أرضعَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ثُوَيْبَةَ ، بلبنِ ابنِ لها - يُقال له مَسْرُوح - أياماً قبل أن تقدمَ حلِمة ؛ وكانت قد أرضعت قبله حمزة بن عبد المطلب ، وأرضعت بعده أبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي .

حدثنا ابن حميد، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني ابن إسحاق - وحدثنا هناد بن السري ، قال : حدثنا يونس بن بكير ، قال : حدثنا ابن إسحاق . وحدثني هارون بن إدريس الأصم ، قال : حدثنا المُحَارِبِيُّ ، عن ابن إسحاق . وحدثنا سعيد بن يحيى الأموي ، قال : حدثني عمي محمد ابن سعيد ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق - عن الجهم بن أبي الجهم مولى عبد الله بن جعفر ، عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، قال : كانت حلِمة ابنة أبي ذُوَيْبِ السَّعْدِيَّةِ أمَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم التي أرضعته . تحدثت أنها خرَّجت من بلدها معها زوجها وابن لها ترضعه في نسوة من بني سعد بن بكر ، تلتمسُ الرُّضْعَاءَ^(١) ، قالت : وذلك في سنة شهباء لم تبق شيئاً ، فخرَّجتُ على أتان لي قمرآء ، معنا شارف^(٢) لنا ؛ والله ما تبض بقطرة ، وما ننام ليلتنا أجمع من صبيتنا الذي معي من بكائه من الجوع ، وما في ثدي ما يغنيه ، وما في شارفنا ما يغذوه^(٣) ، ولكننا نرجو الغيث والفرج ؛ فخرَّجتُ على أتانى تلك ، فلقد أذمت^(٤) بالركب حتى شق ذلك عليهم ضعفاً وعجفاً ، حتى قدمنا مكة نلتمسُ الرُّضْعَاءَ ، فما منا امرأة إلا وقد عرضَ عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأبأه إذا قيل لها إنه يتيم ، وذلك أنا إنما نرجو المعروف من أبي الصبي ، فكنا نقول : يتيم

(١) الرضعا ، يريد بها المراضع ؛ وأما الرضعا ، فهو جمع رضيع ؛ وأول السبيل رواية ابن إسحاق من وجهين : أحدهما حذف المضاف ؛ كأنه قال : ذوات الرضعا ، والثاني أن يكون أراد بالرضعا الأطفال على حقيقة اللفظ ؛ لأنهم إذا وجدوا له مرضعة ترضعه . فقد وجدوا له رضيعاً يرضع منه . (٢) الشارف من الإبل : المسنة الهرمة .

(٣) في ابن هشام : « ما يغديه » .

(٤) قال السبيل : أذمت ، أى جامت بما يذم عليه .

ما عسى أن تصنع أمتهُ وجدتهُ ! فكنا نكرهه لذلك ، فما بتقيبت امرأةٌ قدِمتْ
معي إلا أخذت رضيعاً ، غيري . فلما أجمعتنا الانطلاق قلت لصاحبي :
إني لأكرهه أن أرجع من بين صواحباتي ولم آخذ رضيعاً ، والله لأذهبن
إلى ذلك اليتيم فلا خذنه ، قال : لا عليك أن تفعل ، فعسى الله أن يجعل
لنا فيه بركة ! قالت : فذهبتُ إليه فأخذتهُ وما حملني على ذلك إلا أني لم
أجد غيره . قالت : فلما أخذتهُ رجعت به إلى رحلي ، فلما وضعته في
حجرتي أقبل عليه ثديي بما شاء من لبن ، فشرب حتى روي ، وشرب
معه أخوه حتى روي ، ثم ناما - وما كان ينام قبل ذلك - وقام زوجي إلى
شارفنا تلك ، فنظر إليها فإذا إنثها لحافل ، فحلب منها حتى شرب وشربت ،
حتى انتهينا ريثاً وشبعاً ، فبتنا بخير ليلة . قالت : يقول لي صاحبي حين
أصبحتُ : أتعلمين والله يا حليلة ، لقد أخذت نسمةً مباركة ، قلت : والله
إني لأرجو ذلك . قالت : ثم خرجنا وركبتُ أتاني تلك ، وحملتهُ عليها
معي ، فوالله لقطعت بنا الركب ما يقدم عابها شيء ، من حميرهم ،
حتى إن صواحي ليقلن لي : يا بنته أبي ذؤيب ، اربعي علينا .
أليس هذه أتانك التي كنت خرجت عليها ؟ فأقول هن : بلى والله ، إنها هي
هي ، فيقلن : والله إن لها لشأناً . قالت : ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد ،
وما أعلم أرضاً من أرض الله أجذب منها ، فكانت غنمي تروح على حين
قدمنا به معنا شباعاً لبناً ، فنحلب ونشرب ، وما يحلب إنسان قطرة ولا
يحدثها في ضرع ، حتى إن كان الحاضر من قومنا يقولون لرعيانهم : وبناتكم ،
اسرحوا حيث يسرح راعي ابنة أبي ذؤيب ! فتسروح أغنامهم جباعاً ماتبيض^(١)
بقطرة لبن ، وتروح غنمي شباعاً لبناً . فلم نزل نتعرف من الله زيادة الخير
به ، حتى مضت سنتان وفصلته . وكان يشب شباباً لا يشبه الغلمان ، فلم
يبلغ سنتيه حتى كان غلاماً جفراً^(٢) ، فقد منا به على أمه ونحن أحرص
شيء على مكته فينا ، لما كنا نرى من بركته . فكلّمنا أمه وقلنا لها : يا ظيئر ،
لو تركت بني عندي حتى يغلظ ، فإني أخشى عليه وباء مكة ! قالت :

(١) اربعي : أقيس وانتظري ؛ ربيع فلان على فلان ؛ إذا أقام عليه وانتظره .

(٢) ما تبض : ما ترشح . (٣) الجفر : الشديد .

فلم نزل بها حتى ردّ دناها معنا . قالت : فرجعنا به ، فوالله إنّه بعد مقدمنا به بأشهر مع أخيه في بهيم^(١) لنا خلف بيوتنا ، إذ أتانا أخوه يشتدّ ، فقال لي ولأبيه : ذاك أخي القرشيّ قد جاءه رجلان عليهما ثياب بياض ، فأضجعاه وشقّا بطنه وهما يسوطانه^(٢) . قالت : فخرجتُ أنا وأبوه نشتدّ ، فوجدناه قائماً منتقعاً وجهه ، قالت : فالتزمته والتزمه أبوه ، وقلنا له : مالك يا بنيّ ؟ قال : جاءني رجلان عليهما ثياب بياض ، فأضجعاني فشقّا بطني فالتمسا فيه شيئاً لا أدري ما هو ! قالت : فرجعنا إلى خيائنا . قالت : وقال لي أبوه : والله يا حليلة لقد خشيتُ أن يكون هذا الغلام قد أصيب ، فألحقه بأدله قبل أن يظهر به ذلك ، قالت : فاحتملناه ، فقدمنا به على أمه ، فقالت : ما أقدمتُك به يا ظيئر ، وقد كنت حريصةً عليه وعلى مكثه عندك ؟ قالت : قلتُ : قد بلغ الله بابني وقضيتُ الذي عليّ وتخوفتُ الأحداث عليه ، فأدبته إليك كما تحبين . قالت : ما هذا بشأنك ، فاصدقني خبرك ، قالت : فلم تدعني حتى أخبرتها الخبر ، قالت : فتخوفتُ عليه الشيطان ؟ قالت : فقلت : نعم ، قالت : كلاً والله ما للشيطان عليه سبيل ، وإنّ لبنيّ أشاناً ، أفلا أخبرك خبره ؟ قالت : قلت : بلى ، قالت : رأيتُ حين حملتُ به أنّه خرج مني نورٌ أضاء لي قصور بصريّ من أرض الشام ، ثم حملتُ به ، فوالله ما رأيتُ من حمل قطّ كان أخفّ منه ولا أيسرّ منه ، ثم وقع حين ولدته وإنّه لو وضع يديه بالأرض ، رافع رأسه إلى السماء ؛ دعيه عنك وانطلق راشدة^(٣) .

حدثنا نصر بن عبد الرحمن الأزديّ ، قال : حدثنا محمد بن يعقوب ، عن عمر بن صبيّح ، عن ثور بن يزيد الشاميّ ، عن مكحول الشاميّ ، عن شدّاد بن أوس ، قال : بينا نحن جلوسٌ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ أقبل شيخ من بني عامر ، وهو ميذرة قوميه وسيدهم ؛ من شيخ كبير يتوكأ على عصا ، فمَثَلَ بين يدي النبيّ صلى الله عليه وسلم قائماً ، ونسبه

(١) البهم : الصغار من الغنم .

(٢) قال السهيليّ : « يقال : سَطَت اللبَنُ أو الدَمُ أسوطه إذا ضربت بعضه ببعض ، والسوط :

عود يضرب به . » (٣) الخبر في ابن هشام ١ : ١٠٨ - ١١٢ .

إلى جدّه، فقال: يا بن عبد المطلب، إني أنبئْتُ أنك تزعم أنك رسول الله إلى الناس، أرسلك بما أرسل به إبراهيم، وموسى، وعيسى، وغيرهم من الأنبياء، ألا وإنك فوّتت بعظيم، وإنّما كانت الأنبياء والخلفاء في بيئتين من بني إسرائيل، وأنت ممن يعبد هذه الحجارة والأوثان، فما لك وللنبوة! ولكن لكل قول حقيقة، فأنبئني بحقيقة قولك، وبدء شأنك، قال: فأعجيب النبي صلى الله عليه وسلم بمسألتيه، ثم قال: يا أخا بني عامر، إن لهذا الحديث الذي تسألني عنه نبأً ومجلساً، فاجلس، فشئني رجلينه ثم برك كما يبرك البعير، فاستقبله النبي صلى الله عليه وسلم بالحديث فقال: يا أخا بني عامر، إن حقيقة قولي وبدء شأنى، أنتى دعوة أبى إبراهيم، وبشري أخى عيسى بن مريم. وإنتى كنتى بيكر أمتى، وإنّها حملت بى كأثقل ماتحميل، وجعلت تشتكى إلى صواحبها ثقل ما تجيد. ثم إن أمى رأت فى المنام أن الذى فى بطنها نور، قالت: فجعلت أتبع بصرى النور، والنور يسبق بصرى، حتى أضاءت لى مشارق الأرض ومغاربها. ثم إنّه ولدتنى فنشأت، فلما أن نشأت بغضت إلى أوثان قريش، وبغضت إلى الشعير، وكنت مسترضعاً فى بنى ليث بن بكر، فبينما أنا ذات يوم منتبذ من أهلى فى بطن واد مع أتراب لى من الصبيان نتقاذف بيننا بالحلّة، إذ أتانا رهط ثلاثة معهم طست من ذهب ملىء ثلجاً، فأخذونى من بين أصحابى، فخرج أصحابى هراًبا حتى انتهوا إلى شفير الوادى، ثم أقبلوا على الرهط فقالوا: ما أربكم إلى هذا الغلام، فإنه ليس منا، هذا ابن سيد قريش، وهو مسترضع فىنا؛ من غلام يتيم ليس له أب، فإذا برد عليكم قتله، وماذا تصيبون من ذلك! ولكن إن كنتم لا بد^(١) قاتليه، فاختروا منّا أبنا شتم، فليأتكم مكانه فاقتلوه، ودعوا هذا الغلام فإنه يتيم. فلما رأى الصبيان القوم لا يُجرون^(٢) إليهم جواباً، انطلقوا هراًبا مسرعين إلى الحى، يؤذنونهم ويستصرخونهم^(٣) على القوم؛ فعمد أحدهم فأضجنى على الأرض

(٢) ط: «لا يخبرون»

(١) ح: «ولا»

(٣) ح: «مستصرخين»

إضجاعاً لطيفاً، ثم شقّ ما بين مفرق صدرى إلى منتهى عاتى . وأنا أنظرُ إليه، فلم^(١) أجد لذلك مساً . ثم أخرج أحشاء بطنى ثم غسلها بذلك الثلج فأنعم غسلتها، ثم أعادها مكانها . ثم قام الثانى منهم فقال لصاحبه: تنح . فنحاه عنى . ثم أدخل يده فى جوفى فأخرج قلبى وأنا أنظر إليه فصدّعه ، ثم أخرج منه مضغعة سوداء ، فرمى بها ثم قال بيده يمنة منه : كأنه يتناول شيئاً . فإذا أنا بخاتم فى يده من نور يحار الناظرون دونه ، فختم به قلبى فامتلاً نوراً ، وذلك نور النبوة والحكمة . ثم أعاده مكانه فوجدت برد ذلك الخاتم فى قلبى دهرأ . ثم قال الثالث لصاحبه : تنح عنى ، فأمر يده ما بين مفرق صدرى إلى منتهى عاتى . فالتأم ذلك الشق بإذن الله . ثم أخذ بيدي فأهضت من مكاني إنهماضاً لطيفاً . ثم قال للأول الذى شقّ بطنى : زنه بعشرة من أمته ، فوزنوني بهم فرجعحتهم . ثم قال : زنه بمائة من أمته ، فوزنوني بهم فرجعحتهم ، ثم قال : زنه بألف من أمته . فوزنوني بهم فرجعحتهم . فقال : دعوه . فلو وزنتموه بأمته كلها أرجحهم . قال : ثم ضمتوني إلى صدورهم وقبلوا رأسى وما بين عيني . ثم^(٢) قالوا : يا حبيب ، لم ترع : إنك لو تدري ما يراد بك من الخير لقررت عينك . قال : فبينما نحن كذلك ، إذ أنا بالحى قد جاءوا بخنأفيرهم . وإذا أمى - وهى ظئرى - أمام الحى تهتف بأعلى صوتها وتقول : يا ضعيفاه ! قال : فانكبوا علىّ وقبلوا رأسى وما بين عيني ، فقالوا : حبذا أنت من ضعيف ! ثم قالت ظئرى : يا وحيداه ! فانكبوا علىّ فضمتوني إلى صدورهم وقبلوا رأسى وما بين عيني ، ثم قالوا : حبذا أنت من وحيد وما أنت بوحيد ! إن الله معك وملائكته والمؤمنين من أهل الأرض . ثم قالت ظئرى : يا يتيماه . استضعفت من بين أصحابك فقئت لضعفك ، فانكبوا علىّ فضمتوني^(٣) إلى صدورهم وقبلوا رأسى وما بين عيني . وقالوا : حبذا أنت من يتيم ، ما أكرمك على الله ! لو تعلم ماذا يراد بك من الخير ! قال : فوصلوا بي إلى شفير الوادى ، فلما بصرت بي

٩٧٦/١

(١) كذات ، ح ، ر ، ط : « لم » . (٢) ح : « وقالوا » .

(٣) ت ، ر : « وضمتوني » .

أمّتي - وهي ظئري - قالت : يا بُنَيَّ ألا أراك حيًّا بعدُ ! فجاءت حتّى انكبّت علىّ وضممتني إلى صدرِها : فوالذي نفسي بيده ، إنّي لفي حجّـرِها وقد ضممتني إليها ، وإنّ يدي في يد بعضهم . فجعلتُ ألتفتُ إليّهم وطلّنتُ أنّ القوم يبصرونهم : فإذا هم لا يبصرونهم ، يقول بعض (١) القوم : إنّ هذا الغلام قد أصابه لَمَمٌ أو طائفٌ من الجنّ . فانطلقوا به إلى كاهنينا حتّى بنظر إليه ويُدأويّته . فقلت : يا هذا ، ما بي شيءٌ مما تذكر . إن آرائي سايمة وفؤادي صحيح ، ليس بي قلبية (٢) . فقال أبى - وهو زوج ظئري - ألا ترون كلامه كلامَ صحيح ! إني لأرجو ألا يكون بابني بأس (٣) . فاتنصتوا على أن يذهبوا بي إلى الكاهن ، فاحتملوني حتّى ذهبوا بي إليه ، فلمّا قصّوا عليه قصّتي قال : اسكّتوا حتّى أسمع من الغلام . فإنّه أعلمُ بأمره منكم ، فسألني . فاقتصصت (٤) عليه أمرى ما بين أوّله وآخره ، فلمّا سمع قولي وثبّ إلىّ فضمّني (٥) إلى صدره ثم نادى بأعلى صوته : يا لئاعرب ، يا لئاعرب ! اقتلوا هذا الغلام واقتلوني معه ، فواللآت والعزى لئن ترّكتموه وأدرّك ، لئيبذلنّ دينكم وليستمنهنّ عتوانكم وعقول آبائكم . وليخالفنّ أمركم ، وليأتيننّكم بدين لم تسمعوا بمثله قطّ ! فعمدت ظئري فانزعجتني من حجّـرِها وقالت : لأنّ أعتته وأجنّ من ابني هذا ! فلو عدت أنّ هذا يكون من قولك ما أتيتك به . فاطلب لنفسك من يقتلك . فإننا غير قاتلي هذا الغلام . ثم احتملوني فأدّوني إلى أهلي فاصبحت مُنزعماً مما فعل بي . وأصبح أثر الشقّ ما بين صدري إلى منتهى عاني كأنه الشراك : فذلك حقيّة قولي وبدءُ شأنِي يا أبا بني عامر . فقال العامري : أشهدُ بالله الذي لا إله غيره (٦) أنّ أمرَك حقّ (٧) . فأنبئتني

(١) ر ، ح : « بعضهم » .

(٢) ليس بي قلبية : أي ليس به شيء ، وأصله من التلاّب : وهو داء يأخذ الإبل في رؤوسها ، فيقلبها إلى فوق : قال في اللسان : « ولا يستعمل إلا في النوى » .

(٣) ت ، ح : « شيء من البأس » .

(٤) ل : « فقصصت » .

(٥) ت ، ح : « وضمّني » .

(٦) ت ، ح : « إلا هو » .

(٧) ت ، ح : « لحق » .

بأشياء أسألك عنها ! قال : سل عنك - وكان النبي صلى الله عليه وسلم قبل ذلك يقول للسائل : سل عما شئت ، وعما بدا لك ، فقال للعامري يومئذ : «سل عنك» . لأنها لغة بني عامر ، فكلمه بما عليم - فقال له العامري : أخبرني يا ابن عبد المطلب ما يزيد في العليم ؟ قال : التعلّم ، قال : فأخبرني ما يدلّ على العلم ؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم : السؤال ، قال : فأخبرني ماذا يزيد في الشر ؟ قال : الهامد ، قال : فأخبرني هل ينفع البير بعد الفجور ؟ قال : نعم ، التوبة تغسل الخوثة . والحسنات يذُهن السيئات ، وإذا ذكر العبدُ ربّه عند الرّخاء ، أغاثه^(١) عند البلاء . قال العامري : وكيف^(٢) ذلك يا ابن عبد المطلب ؟ قال : ذلك بأنّ الله يقول : لا وعزّتي وجلالي ، لا أجمع لعبدي أمّنين . ولا أجمع له أبداً خوفين . إن هو خافني في الدنيا أمّنيني يوم أجمع فيه عبادي عندي في حظيرة الفردوس^(٣) ، فيدوم له أمنه . ولا أمّحمّته^(٤) فيمن أحق ، وإن هو أمّنيني في الدنيا خافني يوم أجمع فيه عبادي لميقات يوم معلوم ، فيدوم له خوفه . قال : يا ابن عبد المطلب ، أخبرني إلام تدعو ؟ قال : أدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، وأن نخضع الأنداد . وتكفّر عبالات والعزّي ، ونقرّ بما جاء من الله من كتاب أو رسول ، وتصلّي الصلوات الخمس بحمائمهن ، وتصوم شهراً من السنّة ، وتؤدى زكاة ممالك ، يطهرك الله بها ويطيّب لك مالك ، وتحج البيت إذا جدت إليه سبيلاً ، وتغتسل من الجنابة ، وتؤمن بالموت ، وبالبعث بعد الموت . وبالجنّة ، والنار . قال : يا ابن عبد المطلب ، فإذا فعلت ذلك فما لي ؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم : «جنّات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدون فيها وذلك جزاء من تزكّى»^(٥) . قال : يا ابن عبد المطلب ، هل مع هذا من الدنيا شيء ؟ فإنه يُعجبني الوطاءة من العيش ! قال النبي

(١) ت . ل : « أغاثه » .

(٢) ت ، ح : « كيف » .

(٣) ط : « الفردوس » ، وما أنبت من ر

(٤) ل : « أمّحمّته » .

(٥) سورة طه ٧٦

صلى الله عليه وسلم : نعم ، النَّصْرُ وَالتَّمَكُّنُ فِي الْبِلَادِ . قال : فأجاب وأجاب .
حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن
ثور بن يزيد ، عن خالد بن معدان الكلابي ، أن نَفراً من أصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم قالوا : يا رسول الله ، أخبرنا عن نفسك ، قال : نعم ،
أنا دعوةُ أبي إبراهيم ، وبُشْرَى عيسى ، ورأتُ أمي حين حملت بي أنه
خرج منها نورٌ أضاء لها قصورَ بصرى من أرضِ الشام ، واسترُضِعَتْ
في بني سعد بن بكر ، فبَيَّننا أنا مع أخ لي خلفَ بيوتنا نرعى بهنما لنا ،
أتاني رجلان عليهما ثياب بيض بطستٍ من ذهب مملوءة ثلجاً ، فأخذاني ،
فشقَّا بطني ، ثم استخرجا منه قلبي ، فشقَّاه فاستخرجا منه علقمة سوداء ،
فطرحاهما ، ثم غسلا بطني وقلبي بذلك الثلج حتى أنقياها ، ثم قال أحدهما
لصاحبه : زنه بعشرة من أمته ، فوزنتني بهم فوزنتهم ، ثم قال : زنه بمائة
من أمته ، فوزنتني بهم فوزنتهم ، ثم قال : زنه بألف من أمته ، فوزنتني
بهم فوزنتهم ، ثم قال : دعه عنك ، فلو وزنته بأمته لوزنتها (١) .

قال ابن إسحاق : هلك عبدُ الله بن عبد المطلب أبو رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، وأمُّ رسولِ الله آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة حاملٌ به .
وأما هشام فإنه قال : توفِّيَ عبدُ الله أبو رسول الله ، بعد ما أتى على رسولِ
الله صلى الله عليه وسلم ثمانية وعشرون شهراً .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : قال محمد بن عمر
الواقدي : الثَّبَتُ عِنْدَنَا مِمَّا لَيْسَ بَيْنَ أَصْحَابِنَا فِيهِ اخْتِلَافٌ ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ
عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَقْبَلَ مِنَ الشَّامِ فِي عَيْرٍ لِقَرِيشٍ : فنزل بالمدينة -- وهو مريض --
فأقام بها حتى توفِّي ، ودفن في دار النابغة ، في الدَّارِ الصَّغْرَى إِذَا دَخَلْتَ
الدَّارَ عَلَى يَسَارِكَ فِي الْبَيْتِ .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : عن عبد الله
ابن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري ، أن أمَّ رسول الله صلى
الله عليه وسلم آمنة ، توفِّيَتْ - ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم ابنُ ستِّ
سنين - بالأبواءِ بين مكة والمدينة ، كانت قدمت به المدينة على أخواله من

بنی عدی بن النجّار تزییرہ ایّام ، فاتت وہی راجعةً بہ إلى مکة (١) .
 وقد حدّثنی الحارث ، قال : حدّثنا محمد بن سعد . قال : أخبرنا محمد
 ابن عمر ، قال : حدّثنی ابن جریج ، عن عثمان بن صفوان ، أن قبر آمنہ
 بنت وهب فی شعبِ أبی ذرٍّ بمکة .

حدّثنا ابن حمید ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن العباس
 ابن عبد اللہ بن معبّد بن العباس ، عن بعض أهله ، أن عبد المطلب تُوفّيَ
 ورسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم ابن ثمانی سنین ؛ وكان بعضهم یقول : تُوفّيَ
 عبد المطلب ورسول اللہ ابنُ عشرِ سنین (١) .

حدّثنا ابن حمید ، قال : حدّثنا سلّمة ، قال : حدّثنا طلحة بن
 عمرو الحضرمی ، عن عطاء بن أبی رباح ، عن ابن عباس قال : كان النبی
 صلی اللہ علیہ وسلم فی حجرِ أبی طالب بعد جدّه عبد المطلب ، فیصبحُ ٩٨١/١
 ولد عبد المطلب غُمنصاً رُمنصاً ، و مصبح صلی اللہ علیہ وسلم صقیلاً دھیناً (٢) .

۔ ۔ ۔

رجع الحديث إلى تمام أمرِ كسرى بن قباد أنو شروان

حدّثنا علی بن حرب الموصليّ ، قال : حدّثنا أبو أيّوب بعلی بن عمران
 البجليّ ؛ قال : حدّثنی مخزوم بن هانيّ المخزوميّ عن أبيه - وأتت له
 خمسون ومائة سنة - قال : لما كانت ليلة وُلِدَ فيها رسول اللہ صلی اللہ علیہ
 وسلم ، ارتجسَ إيوانُ كِسْرَى وسقطتْ منه أربع عشرة شرفة ، وخمدتْ
 نار فارس ، ولم تخمدْ قبل ذلك بألف عام (٣) ، وغاضتْ بِسُحَيْرَة ساوَة ، ورأى
 الموبدّ أن إبلاً صعاباً ، تقود خيلاً عرابياً . وقد قطعَتْ دِجْلَة وانتشرتْ في بلادها .
 فلمّا أصبح كِسْرَى أفزعه ما رأى ، فصبرَ تشجّعاً ، ثم رأى ألاّ يكتم
 ذلك عن وزرائه ومرآزبته ، فلبسَ تاجه وقعد على سريره وجمعهم إليه .

(١) الخبر في ابن هشام : ١ : ١١٣ .

(٢) النهاية لابن الأثير ٢ : ١٠٣ . والنمص والرمص : البياض الذي يجتمع في زوايا الأجنان .

(٣) الفائق : « ألف عام » .

فلما اجتمعوا إليه أخبرهم بالذي بعث إليهم فيه ودعاهم . فبيناهم كذلك إذ ورد عليه كتاب بخمود النار فازداد غمًا إلى غمه ، فقال الموبدان : وأنا أصلح الله الملك ! قد رأيت في هذه الليلة ... وقص عليه الرؤيا في الإبل . فقال : أى شيء يكون هذا يا موبدان ؟ - وكان أعلمهم عند نفسه بذلك - فقال : حادث يكون من عند العرب ، فكتب عند ذلك :

من كسرى ملك الملوك إلى النعمان بن المنذر ، أما بعد ؛ فوجه إلى رجلاً عالمًا بما أريد أن أسأله عنه .

فوجه إليه عبد المسيح بن عمرو بن حبان بن بَقَيْلَةَ الغسانی ، فلما قدم عليه ، قال له : أعندك علم بما أريد أن أسألك عنه ؟ قال : ليخبرني الملك ، فإن كان عندي منه علم ، وإلا أخبرته بمن يعلمه له ، فأخبره ٩٨٢/١ بما رأى ؛ فقال : علم ذلك عند خال لي يسكن مشارف الشام ، يقال له سَطِيح ، قال : فأتته فأسأله عما سألتك ، وأتني بجوابه . فركب عبد المسيح راحلته حتى قدم على سَطِيح - وقد أشق على الموت - فسلم عليه وحياته ، فلم يحير سَطِيح جوابًا . فأنشأ عبد المسيح يقول :

أصمَّ أم يسمعُ غَطْرِيفُ اليمَنُ ! يا فاصِلَ الخُطَّةِ أَعَيْتَ مَنْ وَمَنْ
 أم فازَ فازلَمَ بِهِ شَأْوُ العَنَنِ^(١) أَتَاكَ شَيْخُ الحَيِّ مِنْ آلِ سَنَنِ
 وأُمَّهُ مِنْ آلِ ذَنْبِ بنِ حَجَنُ أزرَقُ مُمَهَّمِ النَّابِ صرَّارُ الأذُنِ^(٢)
 أبيضُ فضفاضُ الرِّدَاءِ وَالبدَنُ رَسولُ قَبِيلِ العَجْمِ يسرى لِلوَسَنِ
 يَجُوبُ بِي الأَرْضِ علنداءُ شَزَنِ^(٣) ترفهني وِجَنٌ وَتهوى بِي وِجَنُ^(٤)
 لا يَرَهَبُ الرَّعْدَ وَلَا رَبِيبَ الزَّمَنِ حَتَّى أَتَى عَارِي الجَاجِي وَالقَطَنُ

(١) الفائق : « فاد » ، وهما بمعنى مات ، وازلم : ولى . (٢) مهى : محدد .

(٣) العلندي : الشديد ، والفاء المبالغة . والشزن : النشيط .

(٤) الوجين : تغليط من الأرض ، جمعه وجن .

تَلَفَهُ فِي الرَّيِّحِ بَوَّغَاهُ الدَّمَنُ كَأَنَّمَا حُنِحَتْ مِنْ حِضْنِي تُكَنَّ (١)

فلما سمع سطیح شعتره ، رفع رأسه وقال : عبدُ المسيح ، على جمل
يسیح (٢) ، إلى سطیح ، وقد أوفى على الضَّرِيح . بَعَثَكَ مَلِكُ بَنِي سَامَانَ ،
لارتجاس الإيوان : وخمود النيران ، ورؤيا الموبدان . رأى إبلاً صعباً ،
تفود خيلاً عرابياً : قد قَضَعَتْ دَجَلَةً وانتشرت في بلادها ؛ يا عبد المسيح :
إذا كثرت التلاوة ، وبُعِثَ صَاحِبُ الهراوة ، وفاض وادي السماء ، وغاضت
بحيرة ساوة ، وخمدت نار فارس ، فليست الشَّامُ لِسَطِيحِ شَأْمَا ؛ بملك
منهم ملوك ومليكات . على عدد الشرفات . وكل ما هو آت آت .
ثم قضى سطیح مكانه ، فقام عبد المسيح إلى رحله وهو يقول :

شَرُّ فَإِنَّكَ مَاضِي الهمَّ شَمِيرُ لَا يُفْرِغَنَّكَ تَفْرِيقُ وَتَغْيِيرُ
إِنَّ يَكُ مَلِكُ بَنِي سَامَانَ أَفْرَطَهُمْ فَإِنَّ ذَا الدَّهْرِ أَطْوَارُ دَهَارِيرُ
فَرُبَّمَا رُبَّمَا أَضْحَوْا بِمَنْزِلَةٍ تَهَابُ صَوْلَهُمُ الْأَسْدُ الْمَهَاصِيرُ
مِنْهُمْ أَخْوَالِ الصَّرِيحِ مِهْرَانَ وَإِخْوَانَهُ وَاهْرُ مَزَانَ وَسَابُورُ وَسَابُورُ
وَالنَّاسُ أَوْلَادُ عَالَاتٍ فَمَنْ عَلِمُوا أَنْ قَدْ أَقْلَّ ، فَمَهْجُورٌ وَمَحْقُورُ
وَهُمْ بَنُو الْأُمِّ لَمَّا أَنْ رَأَوْا نَشَبًا فَذَاكَ بِالْغَيْبِ مُحْفُوظٌ وَمَنْصُورُ
وَإِخِيرُ وَالشَّرُّ مَقْرُونَانِ فِي قَرْنٍ فَإِخِيرُ مُتَّبِعُ وَالشَّرُّ مَحْدُورُ

٩٨٤/١

فلما قدم عبدُ المسيح على كِسْرَى ، أخبره بقول سطیح ، فقال : إني
أن بملك منّا أربعة عشر ملكاً قد كانت أمور .
فملك منهم عشرة أربع سنين ، وملك الباقيون إني ملك عثمان بن
عفان (٣) .

(١) البوغاء : دقاق التراب ، وحنحت : حن وأسرع . وتكن : اسم جبل .

(٢) ر : مشيح .

(٣) الخبر في اندلس ١ : ٤٦٠ ، ٤٦١ .

وحدثت عن هشام بن محمد ، قال : بعث وهريز بأموال وطرف من طرف اليمن إلى كسرى ، فلما صارت ببلاد بنى تميم ، دعا صنعصعة ابن ناجية بن عقال المجاشعي بنى تميم إلى الوثوب عليه ، فأبوا ذلك . فلما صارت في بلاد بنى ربوع دعاهم إلى ذلك ، فهابوه ، فقال : يا بني يربوع ، كأنتي بهذه العير قد مرت ببلاد بكر بن وائل ، فوثبوا عليها فاستعانوا بها على حربكم ! فلما سمعوا ذلك انتهبوا ، وأخذ رجل من بنى سليط يقان له النظيف خرجاً فيه جوهر ، فكان يقال : « أصاب كثر النظيف » ؛ وصار مثلاً ؛ وأخذ صنعصعة خصفته^(١) . فيها سبائك فضة ، وصار أصحاب العير إلى هوزة بن علي الحنفي باليمامة ، فكساهم ، وزودهم وحماتهم ، وسار معهم حتى دخل على كسرى . وكان لهوزة جمال وبيبان . فأعجب به كسرى وحفظ له ما كان منه ، ودعا بعقد من دُرّ فعقد على رأسه ، وكساه قباء ديباج ، مع كسوة كثيرة ، فمن ثم سُمي هوزة ذا التاج . وقال ٩٨٥/١ كسرى لهوزة : أرأيت هؤلاء القوم الذين صنعوا ما صنعوا من قوميتهم ؟ قال : لا ، قال : أصلحهم لك ؟ قال : بينما الموت ، قال : قد أدركت بعض حاجتك [ونلت ثارك]^(٢) . وعزم على توجيه الخيل إلى بنى تميم ، فقبل له : إن بلادهم بلاد سوء ، إنما هي مغاور وصحارى لا يهتدى مسالكها . وماؤهم من الآبار ، ولا يؤمن أن يعوروها فيهلك جنك . وأشير إليه أن يكتب إلى عامله بالبحرين وهو آزاد فروز بن جشنس الذي سمته العرب المكعبير - وإن سُمي المكعبير ، لأنه كان يقطع الأيدي والأرجل وإلى ألا يدع من بنى تميم عيناً تطرف - فتمعل . ووجه له رسولا ودعا بهوزة فجدد له كرامة وصلية وقال : سير مع رسولي هذا فاشفني واشتف ، فأقبل هوزة والرسول معه حتى صار إلى المكعبير . وذلك قريب من أيام اللقطة^(٣) . وكان بنو تميم يصيرون في ذلك الوقت إلى هجر ، للميرة واللقطة . فنادى منادى المكعبير : من كان هاهنا من بنى تميم فليتحضر

(١) الخصف : وناه من خوص . (٢) من ح .

(٣) اللقطة ، بالضم : جمع اللقطة : وهو ما النقط من كرب النخل بعد الصرام .

فإن الملك قد أمر لهم بميرة وطعام يُقسم فيهم ؛ فحضروا ، فأدخلهم
المُشَقَّرَ - وهو حصنٌ حِيَالَه حصنٌ يقال له الصفا ، وبينهما نهرٌ يقال له
محلّم - وكان الذي بنى المشقّر رجلاً من أساورَةَ كسرى يقال له : «بَسَكُ بن
ماهوذ» ، كان كسرى وجهه لبنائه ، فلما ابتدأه قيل له : إن هؤلاء الفعلة
لا يقيمون بهذا الموضع إلا أن تكون معهم نساء ، فإن فعلت ذلك بهم تم
بناؤك ، وأقاموا عاينهُ حتى يَفْرُغُوا منه ؛ فنقل إليهم الفواجيرَ من ناحية
السَّوَادِ والأهواز ، وحُمِلَت إليهم رَوَايا الحمرِ من أرضِ فايس في البحر ،
فَتَنَا كَحُوا وتَوَالِدُوا ، فكانوا^(١) جُلَّ أَهْلِ مَدِينَةِ هَجَرَ ، وتكلم القومُ بالعربيَّة ،
وكانت دعوتُهم إلى عبد القيس ، فلما جاء الإسلامُ قالوا لعبد القيس :
قد علمتم عَدَدَنَا وَعُدَّتَنَا وَعَظِيمَ غَنَائِنَا ، فأدْخِلُونَا فيكم وزوجونا ؛
قَالُوا : لا ، ولكن أقيموا على حالِكُمْ . فَأَنْتُمْ إِخْوَانُنَا وَمَوَالِينَا ،
فقال رجلٌ من عبد القيس : يا معاشر عبد القيس ، أطيعوني
وَأَلْحِقُوهُمْ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ عَن مِثْلِ هَؤُلَاءِ مَرْغَبٌ . فقال رجل من القوم : أما
تَسْتَحْيِ ! أتاَمَرْنَا أَنْ نُدْخِلَ فِيْنَا مِنْ قَدِ عَرَفْتِ أَوْلَاهُ وَأَصْلَهُ ! قال : إنَّكُمْ
إِنْ لَمْ تَفْعَلُوا أَلْحَقَهُمْ غَيْرَكُمْ مِنَ الْعَرَبِ . قال : إِذَا لَا نَسْتَحْشِ لَكُمْ ؛ فَتَفْرَقِ
الْقَوْمُ فِي الْعَرَبِ ، وَبَقِيَتْ فِي عَبْدِ الْقَيْسِ مِنْهُمْ بَقِيَّةٌ فَأَنْتَدَوْا إِلَيْهِمْ ، فلم
يَرُدُّوهُمْ عَن ذَلِكَ . فلما أَدْخَلَ الْمَكْعَبِرُ بَنِي تَمِيمِ الْمَشَقَّرَ قَتَلَ رِجَالَهُمْ وَاسْتَبَى
الغلمان ، وَقَتَلَ يَوْمَئِذٍ قَعْنَبَ الرِّيَاحِي - وكان فارسُ بَنِي يَرْبُوعَ - قَتَلَهُ رِجَالَانِ
مِنَ شَنْ^(٢) كَانَا يَنْوَبَانِ الْمُلُوكَ ؛ وَجَعَلَ الْغُلَامَانِ فِي السُّنَنِ ، فَعَبَّرَ بِهِمْ إِلَى فَارِسَ ،
فَخَصَّصُوا مِنْهُمْ بَشَرًا . قال هبيرة بن حدير العدوي : رجع إلينا بعد ما فتحت
إصطخر عداة منهم ، أحدهم خصيُّ والآخر خيَّاطٌ . وشدَّ رجلٌ من بني
تميم ، يقال له عبيد بن وهبٍ على سلسلة الباب فتمطعتنَّها وخرج . فقال :
تَذَكَّرْتُ هُنْدًا لَاتَ حِينَ تَذَكَّرِ . تَذَكَّرْتُهَا وَدُونَهَا سَيْرُ أَشْهُرِ
حِجَازِيَّةٍ عُلُوبِيَّةٍ حَسَلِ أَهْلِهَا مُصَابِ الْحَرِيفِ بَيْنَ زُورٍ وَمِنُورٍ^(٣)

٩٨٦/١

٩٨٧/١

(١) ح : « وكانوا » .

(٢) بنو شن ، من عبد القيس ، وانظر الاشتقاق ٣٢٥

(٣) ر . ل : « هضاب الحريف » .

أَلَا هَلْ أُنِي قَوْمِي عَلَى النَّأْيِ أُنِي حَايَتْ ذِمَارِي يَوْمَ بَابِ الْمُشَقَّرِ
ضَرَبْتُ رِتَاجَ الْبَابِ بِالسَّيْفِ ضَرْبَةً تَفَرَّجَ مِنْهَا كُلُّ بَابٍ مُضَبَّرِ

وَكَلَّمَ هُوذَةَ بْنَ عَلِيٍّ الْمُدَكَّعِيَّ يَوْمَئِذٍ فِي مِائَةٍ مِنْ أَسْرَى بَنِي تَمِيمٍ .
فَوَهَبَهُمْ لَهُ يَوْمَ الْفَيْصَحِ . فَأَعْتَقَهُمْ . فَبِذَلِكَ يَقُولُ الْأَعَشِيُّ :

سَائِلٌ تَمِيمًا بِهِ أَيَّامَ صَفَقَتِهِمْ لَمَّا أَتَوْهُ أُسَارَى كُلَّهُمْ ضَرَعًا^(١)
وَسَطَ الْمُشَقَّرِ فِي غَبْرَاءِ مُظْلِمَةٍ لَا يَسْتَطِيعُونَ بَعْدَ الضَّرِّ مُنْتَفِعًا
فَقَالَ لِلْمَلِكِ أَطْلِقْ مِنْهُمْ مِائَةً^(٢) رِسْلًا مِنَ الْقَوْلِ كَحُمُوشًا وَمَا رَفَعَا
فَكَفَّ عَنْ مِائَةٍ مِنْهُمْ إِسَارَهُمْ^(٣) وَأَصْبَحُوا كُلَّهُمْ مِنْ غَلِّهِ خَالِعَا
بِهِمْ تَقَرَّبَ يَوْمَ الْفَيْصَحِ ضَاحِيَةً^(٤) يَرْجُو الْإِلَهَ بِمَا أَسَدَى وَمَا صَنَعَا^(٥)

فَلَا يَرَوْنَ بِذَاكُمْ نِعْمَةً سَبَقَتْ إِنْ قَالَ قَائِلُهَا حَقًّا بِهَا وَسِمَا^(٦)
يُصِفُ بَنِي تَمِيمٍ بِالْكَفْرِ لِنِعْمَتِهِ .

قال : فلما حضرت وهزير الوفاة - وذلك في آخر ملك أنوشيروان -
دعا بقوسه ونشابته ، ثم قال : أجلسوني . فأجلسوه . فرمى وقال : انظروا حيث
وقعت نشابتي فاجعلوا ناؤوسي هناك . ف وقعت نشابته من وراء الدائر .
وهي الكنيسة التي عند ناعم . وهي تسمى اليوم مقبرة وهزير . فلما بلغ
كيسرى موت وهزير . بعث إلى اليمن أسواراً يقال له وين^(٦) . وكان جباراً
مُسْرِفًا . فعزله هُرْمُزُ بْنُ كَيْسَرِي . واستعمل مكانه المَرُوزَانَ ، فأقام

(١) من قصيدة في ديوانه ٧٢ - ٨٧ ، والضرع ، بفتحين : الدليل الضعيف .

(٢) الديوان : « سرح منهم مائة » .

(٣) الديوان : « وثاقهم » .

(٤) الديوان : « يوم الفتح » .

(٥) الديوان : « سدى » .

(٦) ط : « زين » ، وأثبت ما في التصريبات .

باليسن حتى وُلِدَ له بها ، وبتلغ ولدُه . ثم هلك كِسْرَى أنوشِروان ،
وكان مُلْكُه ثمانِيًّا وأربعين سنة .

•••

[ذكر ملك هرمز بن كسرى أنوشروان]

ثم ملك هرمز بن كِسْرَى أنوشِروان ، وكانت أمه ابنة خاقان
الأكبر . فحدثت عن هشام بن محمد ، قال : كان هرمز بن كِسْرَى
هذا كثير الأدب ، ذا نيّة في الإحسان إلى الضعفاء والمساكين ، والحمل على
الأشراف . فعاد وود وأبغضوه ، وكان في نفسه عليهم مثل ذلك ، ولما عمِدَ
الناج على رأسه ، اجتمع إليه أشراف أهل مملكته . واجتهدوا في إنداء
له والشك لولده . فوعدهم خيراً . وكان متحريماً للسيرة في رعيتيه بالعدل ،
شديداً على النساء لاستطالتهن كانت على الوضعاء ، وبلغ من عدله أنه
كان يسير إلى ماه ليصيف ، فأمر فنودي في مسيره ذلك في جنده وسائر من
كان في عسكره أن يتحاموا مواضع الخروث ولا يضرّوا بأحد من الداهقين
فيها . ويضبطوا دوابهم عن التساد فيها ، ووكل بتعاهد ما يكون في عسكره
من ذلك ومعاقبة من تعدّى أمره .

وكان ابنه كِسْرَى في عسكره . فعاز مركب^(١) من مراكبه ووقع
في متحريثة من الخارث التي كانت على طريقه فرجع فيها وأفسد منها ،
فأخذت ذلك المركب ، ودفع إلى الرجل الذي وكتل هرمز بمعاقبة من أفسد
بنيته شيئاً من الخارث وتغريمه . فلم يقدر الرجل على إنفاذ أمر هرمز
في كسرى ، ولا في أحد ميمّن كان معه في حشميه . فرفع ما رأى من إفساد
ذلك مركب إلى هرمز . فأمر أن يجندع أذنيه . ويقتل ذنبه . ويغرم
كسرى . فخرج الرجل من عند هرمز لينفذ أمره في كِسْرَى ومركبه
ذلك . فدنس له كِسْرَى رهنماً من العبيلاء ليسألوه التغييب في أمره .
فلقوه وكثروه في ذلك فلم يجب إليه . فسألوه أن يؤخّر ما أمر به هرمز في
المرتب حتى يكلموه فيأمر بالكف عنه . ففعل . فلقى أولئك الرهنط هرمز

(١) عر . ص . والركب هنا الدابة

وأعلموه أن بالمركب الذي أفسد ما أفسد زعارة^(١)، وأنه عار فوقع في مَحْرَثَةٍ ، فأخذ من ساعة وقع فيها ، وسأله أن يأمر بالكف عن جدِّه وتبتيبه لما فيها من سوء الطيرة على كِسْرَى . فلم يُجيبهمُ إلى ما سألوا من ذلك . وأمر بالمركب فجُدِّعَ أذناه ، وبُتِّرَ ذنبه ، وغرم كِسْرَى مثل ما كان يغرم غيره في هذا الحدِّ ، ثم ارتحل من معسكره . وكان هُرْمُزُ ركب ذات يوم في أوان إيناع الكرم إلى ساباط المدائن ، وكان ممرُّه على بساتين وكروم . وإنَّ رجلاً ممَّن ركب معه من أساورته اطلع في كرمٍ فرأى فيه حِصْرِمًا ، فأصاب منه عنقيداً ودفعها إلى غلامٍ كان معه ، وقال له : اذهب بها إلى المنزل واطبخها بِلَحْمٍ واتَّخِذْ منها مَرَقَةً فإنها نافعة في هذا الإبان^(٢) . فأتاه حافظُ ذلك الكرم فلزِمَه وصرخ ، فبلغ [من]^(٣) إشفاق الرجل من عقوبة هرمز على تناوله من ذلك الكرم أن دفع إلى حافظ الكرم مِن سَطَقَةٍ محلاة بذهب كانت عليه ، عوضاً له من الحِصْرِم الذي رزأ من كرمه ، وافتدى نفسه بها ، ورأى أن قبضَ الحافظ إياها منه وتخلَّيته عنه ، مِنَّةً منَّ بها عليه ، ومعروف أسداه إبيه . وقيل إنَّ هرمز كان مظفراً منصوراً لا يسدُّ يده إلى شيء إلا ناله ، وكان مع ذلك أديباً أريباً داهياً رديء النية . قد نزع أخوانه الأتراك ، وكان مُقْصِيباً^(٤) للأشراف ، وإنه قتل من العلماء وأهل البيوتات والشرف ثلاثة عشر ألف رجل وسبائة رجل ، وإنه لم يكن له رأى إلا في تألُّف السفلة واستيصالهم ، وإنه حبس ناساً كثيراً من العظماء وأسقطهم وحطَّ مراتبهم ودرجاتهم ، وجهزَ الجنودَ وقصرَ بالأساورة ففسد عليه كثيرٌ ممَّن كان حوله لِمَا أراد الله من تغيير أمرهم وتحويل ملكهم . ولكلِّ شيء سبب . وإنَّ المرابذة رفعوا إليه قصةً يبغون فيها على النَّصْرِ فوقع فيها : إنَّه كما لا قيوامَ لسريرِ مُلْكنا بقائتبه المقدَّمتين دون قائمتبه

(١) الزعارة ، بتخفيف الراء أو تشديدها : شراسة الطبع .

(٢) ل : « الأوان » .

(٣) من ح .

(٤) ل : « منغيباً » .

المؤخرتين ، فكذلك لاقبوام لملكنا ولاثبات له ، مع استفسادنا من في بلادنا من النصارى وأهل سائر الميامل المخالفة لنا ، فأقصروا عن البغى على النصارى ، وواظبوا على أعمال البر ليرى ذلك النصارى وغيرهم من أهل الملل [والأديان] .^(١) فيحتمدوكم عليه . وتتوق أنفسهم إلى ملتكم .

وحدثت عن هشام بن محمد ، قال : خرج على هرمز التُّرك - وقال غيره : أقبل عليه^(٢) شابة ملك التُّرك الأعظم - في ثلثمائة ألف مقاتل ، في سنة إحدى عشرة من ملكه . حتى صار إلى بادغيس وهرارة . وإن ملك الروم صار إلى الضواحي في ثمانين ألف مقاتل قاصداً له ، وإن ملك الخزر صار في جمع عظيم إلى الباب والأبواب ، فعات وأخرب . وإن رجلين من العرب يقال لأحدهما : عباسُ الأحول ، والآخر : عمرو الأزرق . نزلا في جمع عظيم من العرب بشاطئ الثرات . وشنوا الغارة على أهل السواد ، واجتراً أعداؤه عليه وغزوا بلاده . وبلغ من اكتنافتهم إياها أنها سُميت منغلا كثير السهام . وقيل : قد اكتنف بلاد الفرس الأعداء من كل وجه كما كتنف الترسيتي القوس . وأرسل شابة ملك التُّرك إلى هرمز وعظماء الفرس يؤذنتهم بإقباله في جنوده ، ويقول : رُموا قناطر أنهارٍ وأودية اجتاز عليها إلى بلادكم . واعتقدوا التناظر على كل نهرٍ من تلك الأنهار لاقنطرة له ، وافعلوا ذلك في الأنهار والأودية التي عليها مسلكي من بلادكم إلى بلاد الروم . لإجماعى بالسير إليها من بلادكم . فاستفطع هرمز ما ورد عليه من ذلك . وشاور فيه . فأجمع له على القصد لملك التُّرك ، فوجه إليه رجلاً من أهل الري يقال له : بهرام بن بهرام جُشنس - ويعرف بجوبين - في اثني عشر ألف رجل ، اختاره بهرام على عينيه من الكهول دون الشباب . وينال : إن هرمز عرض ذلك الوقت من كان بخضرته من الديوانية . فكانت عديتهم سبعين ألف مقاتل ، فمضى بهرام بمن ضم إليه مُغذاً حتى جاز هرة وبادغيس . ولم يشعر شابة بهرام حتى نزل بالقرب منه مُعسكراً ، فجرت

(١) من ح .

(٢) ر : « إليه » .

بَيِّنَهُمَا رَسَائِلُ وَحُرُوبٌ ، وَقَتَلَ بِهَرَامٍ شَابَةَ بِرَمِيَّةٍ رَمَاهُ إِيَّاهَا . وَقِيلَ : إِنَّ الرَّحْمَى فِي مَلِكِ الْعَجَمِ كَانَ لثَلَاثَةَ نَفَرٍ ، مِنْهَا رَمِيَّةُ أَرَشِيَّاطِينَ بَيْنَ مِينُوشَهْرٍ ، وَأَفْرَاسِيَابٍ^(١) ، وَمِنْهَا رَمِيَّةُ سُوخْرَا فِي التُّرْكِ ، وَمِنْهَا رَمِيَّةُ بِهَرَامٍ هَذِهِ . وَاسْتَبَاحَ ٩٩٣/١ عَسْكَرَهُ وَأَقَامَ بِمَوْضِعِهِ ، فَوَافَاهُ بِرَمُودَةَ بْنِ شَابَةَ ، وَكَانَ يَعْدِلُ بِأَبِيهِ ، فَحَارَبَتْهُ فَهَزَمَهُ ، وَحَصَرَهُ فِي بَعْضِ الْحِصُونِ ، ثُمَّ أَلْحَ عَلَيْهِ حَتَّى اسْتَسْلَمَ لَهُ ، فَوَجَّهَهُ إِلَى هَرَمَزٍ أُسِيرًا ، وَغَنِمَ مِمَّا^(٢) كَانَ فِي الْحِصْنِ [وَكَانَتْ]^(٣) كَنْوَزًا عَظِيمَةً^(٤) .

وَيُقَالُ إِنَّهُ حَمَلَ إِلَى هَرَمَزٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْجَوْهَرِ وَالْأَنْبِيَةِ وَالسَّلَاحِ وَسَائِرِ الْأَمْتَعَةِ مِمَّا غَنِمَهُ وَقَرَّرَ مَائَتِي أَلْفٍ وَخَمْسِينَ أَلْفَ بَعِيرٍ ، فَشَكَرَ هَرَمَزٌ لِبَهْرَامٍ مَا كَانَ مِنْهُ بِسَبَبِ الْغَنَائِمِ الَّتِي صَارَتْ إِلَيْهِ ، وَخَافَ بِهَرَامٍ سَطْوَةَ هَرَمَزٍ ، وَخَافَ مِثْلَ ذَلِكَ مِنْ^٥ كَانَ مَعَهُ مِنَ الْجُنُودِ ، فَخَلَعُوا هَرَمَزًا وَأَقْبَلُوا نَحْوَ الْمَدَائِنِ ، وَأَظْهَرُوا الْإِمْتِعَاضَ مِمَّا كَانَ مِنْ هَرَمَزٍ ، وَأَنَّ ابْنَ أَبِي رُوَيْزٍ أَصْلَحَ لِلْمُلْكِ مِنْهُ . وَسَاعَدَتْهُمْ عَلَى ذَلِكَ بَعْضٌ مِنْ كَانَ بِحَضْرَةِ هَرَمَزٍ ، فَهَرَبَ أَبُو رُوَيْزٍ بِهَذَا السَّبَبِ إِلَى آذَرْبَيْجَانٍ خَوْفًا^(٥) مِنْ هَرَمَزٍ ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ هُنَاكَ عِدَّةٌ مِنَ الْمَرَازِبَةِ وَالْإِصْبَهَيْدِينَ . فَأَعْطَوْهُ بِبَيْعَتِهِمْ ، وَوَثَبَ الْعِظْمَاءُ وَالْأَشْرَافُ بِالْمَدَائِنِ ، وَفِيهِمْ بِنْدِيُّ وَبِسْطَامُ خَالَا أَبُو رُوَيْزٍ ، فَخَلَعُوا هَرَمَزًا وَسَمَلُوا^(٦) عَيْنِيهِ وَتَرَكَوهُ تَحَرُّجًا مِنْ قَتْلِهِ .

وَبَلَغَ الْخَبْرُ أَبُو رُوَيْزٍ ، فَأَقْبَلَ بِمَنْ شَايَعَهُ^(٧) مِنْ آذَرْبَيْجَانٍ إِلَى دَارِ الْمَلِكِ مُسَابِقًا لِبَهْرَامٍ ، فَلَمَّا صَارَ إِلَيْهَا اسْتَوْلَى عَلَى الْمُلْكِ وَتَحَرَّزَ مِنْ بِهَرَامٍ ، وَالتقى هُوَ وَهُوَ عَلَى شَاطِئِ النَّهْرِ وَأَنْ ، فَجَرَتْ بَيْنَهُمَا مَنَاظَرَةٌ وَمَوَاقِفَةٌ ، وَدَعَا أَبُو رُوَيْزٌ بِهَرَامٍ إِلَى أَنْ يُؤْمِنَهُ وَيَرْفَعَ مَرْتَبَتَهُ وَيُسْنِي لَوْلَايَتِهِ ، فَلَمْ يَقْبَلْ ذَلِكَ ، وَجَرَتْ ٩٩٤/١ بَيْنَهُمَا حُرُوبٌ اضْطَرَّتْ أَبُو رُوَيْزٍ إِلَى الْهَرَبِ إِلَى الرُّومِ مُسْتَعِيثًا بِمَلِكِهَا بَعْدَ حَرْبٍ

(١) ط : فراسيات ، وأثبت ماني الشاهنامه .

(٢) ح : « ما كان » .

(٣) من ح .

(٤) ح : « عظاما » .

(٥) ح : « تخوفا » .

(٦) سمل عينيه : فقأهما بحديدة محمأة . (٧) ر : « بايحه » .

شديدة وبيارة. كان من بعضهم لبعض . وقيل إنه كان مع بهرام جماعة من الأنداء . وكان فيهم ثلاثة نفر من وجوه الأتراك لا يعدل بهم في فروسياتهم (١) وشدتهم من الأتراك أحد ، قد جعلوا لبهرام قتل أبرويز . فلما كان الغد من ليلة البيات وقف أبرويز ودعا الناس إلى حرب بهرام فتأقلموا عليه ، فصده نفر ثلاثة من الأتراك ، فخرج إليهم أبرويز فقتلهم بيده واحداً واحداً . ثم انصرف من المعركة وقد أحس من أصحابه بالفتور والتغير ، فصار إلى أبيه بطيئسبوز حتى دخل عليه ، وأعلمه ما قد تبينه من أصحابه وشاوره . فأشار عليه بالنصير إلى موزيق ملك الروم ليستنجده ، فأحرز حرمة في موضع أمين عليهم بهرام . وهضى في عدة يسيرة ؛ منهم بندي وبسطنام وكردى نحو بهرام جوبين حتى صار إلى أنطاكية ، وكانت موزيق فقبلته ، وزوجه ابنة له كانت عزيزة عليه (٢) ، يقال لها : مريم . وكان جميع مدة ملك هرمز بن كسرى في قول بعضهم ، إحدى عشرة سنة وتسعة أشهر وعشرة أيام . وأما هشام بن محمد فإنه قال : كان ملكه اثني عشرة سنة .

• • •

[ذكر ملك كسرى أبرويز بن هرمز]

ثم ملك كسرى أبرويز بن هرمز بن كسرى أنوشروان ؛ وكان من أشد ماوكهم بطشاً ، وأنفذهم رأياً ، وأبعدهم غوراً ، وبلغ - فيما ذكر - من البأس والتجدة والنصر والظفر وجمع الأموال والكنوز ومساعدة القدر ومساعدة (٣) الدهر إياه ما لم يتهيأ لملك أكثر منه ، ولذلك سُمي أبرويز ، وتفسيره بالعربية : « المظفر » . وذكر أنه لما استوحش من أبيه هرمز - لما كان من احتيال بهرام جوبين في ذلك ، حتى أوثم هرمز أنه على أن يقوم بالملك لنفسه دونه - سار إلى آذربيجان مكتئباً ، ثم أظهر أمره بعد ذلك ، فلما صار في الناحية اجتمعت إليه جماعة ممن كان هناك من الإصبيانيين وغيرهم ، فأعطوه بيعتهم على نصرته ؛ فلم يحدث في الأمر شيئاً . وقيل إنه لما قتل آذيشجشنس الموجه لمحاربة بهرام جوبين ، انفض

٩٩٥/١

(١) ط : « فروسياتهم » وما أثبتته من ت ، ل . (٢) ح : « عنه » . (٣) كذا في ل ، ح .

الجمع الذي كان معه حتى وافوا المدائن ، واتَّبعهم جوبين ، فاضطرب أمر
هرمز ، وكتبت أخت أذينة جُشُنَس إلى أبرويز - وكانت تيربه - نخبره
بضعف هرمز للحادث في أذينة جُشُنَس ، وأنَّ العظماء قد اجتمعوا على
خلعه ، وأعلمته أنَّ جوبين إن سبَّقه إلى المدائن قبل موافاته احتوى
عليها .

فلما ورد الكتاب على أبرويز ، جمع من أمكنه من أرمينية وآذربيجان ،
وصار^(١) بهم إلى المدائن ، واجتمع إليه الوجوه والأشراف مسرورين بموافاته ،
فتتوج بتاج الملك ، وجلس على سريرته ، وقال : إنَّ من ملتنا إيثار البر ،
ومن رأينا العمل بالخير ، وإنَّ جدنا كِسرى بن قباد كان لكم بمنزلة الوالد ،
وإنَّ هرمز أبانا كان لكم قاضياً عادلاً ، فعليكم بلزوم السمع والطاعة . ٩٩٦/١
فلما كان في اليوم الثالث ، أتى أباه فسجد له ، وقال : عمرك الله أيها الملك
إنك تعلم أنني بريء مما أتى إليك المنافقون ، وأني إنما تواريت ولحقت بأذربيجان
خوفاً من إقدامك على القتل . فصدقه هرمز وقال له : إنَّ لي إليك يا بُنى
حاجتين ، فأسمعني بهما ؛ إحداهما : أن تستقم لي ممن عاون على خلعي
والسَّمَل لعيتي ، ولا تأخذك فيهم^(٢) رافة ؛ والأخرى : أن تؤنسي كلَّ
يوم بثلاثة نفر لم أصالة رأي ، وتأذن لهم في الدخول عليّ . فتواضع له أبرويز
وقال : عمرك الله أيها الملك ، إنَّ المارق بهرام قد أظلمنا ومعه الشجاعة والنجدة ،
ولسنا نقدر أن نمدَّ يداً إلى من أتى إليك ما أتى ، فإن أدالني الله على
المنافق ، فأنا خليفتك وطوعُ يدك .

وبلغ بهرام قدوم كِسرى وتمليك الناس إياه ، فأقبل بجنده حيثما نحو
المدائن ، وأذكى أبرويزُ العيون عليه ، فلما قرب منه رأى أبرويز أنَّ
الترفُّق به أصلح ، فتسلَّح وأمر بِنْدُويه وبِسْطام وناساً كان يثقُ بهم
من العظماء وألفَ رجلٌ من جنده ، فتربَّسوا وتسلَّحوا ، وخرج بهم أبرويز
من قصره نحو بهرام ، والناس يدعون له ، وقد احتوشه بِنْدُويه وبِسْطام

(١) ت ، ح : « نصار » .

(٢) ت ، ح : « بهم » .

على القتال فتبين فشلاً ، فأجمع ^(١) أبرويز على إتيان بعض الملوك للاستنجاشة به ، فصار إلى أبيه وشاوره ، فرأى له المصير إلى ملك الروم ، فأحرز نساءه وشخص في عدة يسيرة ، فيهم بيندويه وبسطام وكردى أخو بهرام ، فلما خرجوا من المدائن خاف القوم من بهرام أن يردت هرمز إلى الملك ويكتب إلى ملك الروم عنه في ردهم فيستلّفوا ، فأعلموا أبرويز ذلك ، واستأذنه في إتلاف هرمز فلم يحرج جواباً ، فانصرف بيندويه وبسطام وبعض من كان معهم إلى هرمز حتى أتلفوه خنقاً ، ثم رجعوا إلى كيسرى وقالوا : سير على خير طائر ، فحشوا دوابهم وصاروا إلى الفرات فقطعوه ، وأخذوا طريق المفازة بدلالة رجل يقال له خرشيدان ، وصاروا إلى بعض الديارات التي في أطراف العمارة ، فلما أوطنوا إلى الراحة غشيبتهم خيل بهرام ، برأسها رجل يقال له بهرام بن سياوش ، فلما نذروا بهم أنه بيندويه أبرويز من نومه وقال له : احتل لنفسك ، فإن القوم قد أطلوك ؛ قال كيسرى : ما عندي حيلة ، فأعلمه بيندويه أنه يبذل نفسه دونه ، وسأله أن يدفع إليه بيزته ويخرج ومن معه من الدّير ، ففعلوا ذلك ، وبادروا القوم حتى تواروا بالجبل ، فلما وافى بهرام بن سياوش ، اطلع عليه من فوق الدّير بيندويه وعليه بيزة أبرويز ، فوهمته بذلك أنه أبرويز ، وسأله أن ينظره إلى غده ليصير في يده سلماً ، فأمسك عنه ، ثم ظهر بعد ذلك على حيلته ، فانصرف به إلى جوبين ، فحبسه في يدي بهرام بن سياوش .

٩٩٩/١

ويقال إن بهرام دخل دور الملك بالمدائن ، وقعد على سريرته ، واجتمع إليه الوجوه والعظماء فخطبهم ووقع في أبرويز ، وذمه ، ودار بينه وبين الوجوه مناظرات [وكلام] ^(٢) كان كلهم منصرفاً عنه ، إلا أن بهرام جلس على سرير الملك وتتوج وانقاد له الناس خوفاً - ويقال إن بهرام بن سياوش واطأ بيندويه على الفتك بجوبين ، وإن جوبين ظهر على ذلك فقتله ، وأفلت بيندويه فلحق بأذربيجان ، وسار أبرويز حتى أتى أنطاكية ، وكاتب متوريق ملك الروم

(١) ت ، ح . : « فأجمع رأيه »

(٢) من ح .

منها ، وأرسل إليه بجماعة ممن كان معه وسأله نصرته ، فأجابته إلى ذلك ، وقادته الأمور إلى أن زوجه مريم ابنته وحملها إليه ، وبعث إليه بشيادوس أخيه ومعه ستون ألف مقاتل ، عليهم رجل يقال له سرجيس ، يتولى تدبير أمرهم ، ورجل آخر كانت قوته تعدل بقوة ألف رجل ، واشترط عليه حياضته ، وألا يسأله الإتاوة التي كان آباؤه يسألونها ملوك الروم . فلما ورد القوم على أبرويز اغتبط ، وأراحهم بعد موافاتهم خمسة أيام ، ثم عرضهم وعرف عليهم العرفاء ، وفي القوم ثيادوس وسرجيس والكيمي الذي يعدل بألف رجل ؛ وسار بهم حتى صار إلى آذربيجان ، ونزل صحراء تدعى الدنق ، فوافاه هناك بيندويه ورجل من أصفهندي الناحية يقال له موسيل في أربعين ألف مقاتل ، وانقضت الناس من فارس وأصفهان وخراسان إلى أبرويز ، وانتهى إلى بهرام مكانه بصحراء الدنق ، فشخص نحوه من المدائن ، فجرت بينهما حرب شديدة قُتِل فيها الكمي الرومي . ويقال إن أبرويز حارب بهرام منفرداً من العسكر بأربعة عشر رجلاً - منهم كُردي أخو بهرام ، وبيندويه وبسطام ، وسابور^(١) بن أفريان بن فرخزاد^(٢) ، وفرخهرمز - حرباً شديداً وصل فيها بعضهم إلى بعض . والمجوس تزعم أن أبرويز صار إلى مضيق واتبعه بهرام ، فلما ظن أنه قد تمكن منه ، رفعه إلى الجبل شيء لا يوقف عليه .

١٠٠٠/١

وذكر أن المنجمين أجمعت أن أبرويز يملك ثمانيناً وأربعين سنة . وقد كان أبرويز بتارز بهرام فاختلف رُمحه من يده وضرب به رأسه حتى تقصّف ، فاضطرب على بهرام أمره ووجيل ، وعلم أنه لا حيلة له في أبرويز فانحاز نحو خراسان ، ثم صار إلى الترك ، وصار أبرويز إلى المدائن بعد أن فرّق في جنود الروم عشرين ألف ألف وصرّهم إلى موريق . ويقال إن أبرويز كتب للنصاري كتاباً أطلق لهم فيه عمارة بيبيهم وأن يدخل في ملتهم من أحبّ الدخول فيها من غير المجوس ، واحتجّ في ذلك أن أنوشيروان كان

(١-١) ط : « سابور أنديان وأبادر وفرخزاد » ، وما أثبت من الصوريات .

١٠٠١/١ هَادَنَ قَيْصَرَ فِي الْإِثَاوَةِ الَّتِي أَخَذَهَا مِنْهُ عَلَى اسْتِصْلَاحٍ مِنْ فِي بَلَدِهِ مِنْ أَهْلِ بَلَدِهِ ، وَاتَّخَذَ بَيْوتَ النَّيْرَانِ هُنَاكَ . وَإِنَّ قَيْصَرَ اشْتَرَطَ مِثْلَ ذَلِكَ فِي النَّصَارِيِّ ؛ وَلَيْثَ بَهْرَامِ فِي التَّرْكِ مَكْرَمًا عِنْدَ الْمَلِكِ ، حَتَّى احْتَالَ لَهُ أَبَرْوَيْزُ بِتَوْجِيهِ رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ هُرْمَزُ ، وَجَّهَهُ إِلَى التَّرْكِ بِجَوْهَرِ نَفِيسٍ وَغَيْرِهِ حَتَّى احْتَالَ لِحَاتُونِ أَمْرَأَةَ الْمَلِكِ وَلَا طَفَهَا بِذَلِكَ الْجَوْهَرِ وَغَيْرِهِ ، حَتَّى دَسَّتْ لِبَهْرَامِ مَنَ قَتْلِهِ . فَيُقَالُ إِنَّ خَاقَانَ اغْتَمَّ لِقَتْلِهِ وَأَرْسَلَ إِلَى كَرْدِيَّةِ أُخْتِهِ وَأَمْرَأَتِهِ^(١) يُعَلِّمُهَا بَلُوغَ الْحَادِثِ بِبَهْرَامِ مِنْهُ ، وَيَسْأَلُهَا أَنْ تُزَوِّجَ نَفْسَهَا نَظْرًا أَخَاهُ ، وَطَلَّقَ خَاتُونَ بِهَذَا السَّبَبِ ، فَيُقَالُ إِنَّ كَرْدِيَّةَ أَجَابَتْ خَاقَانَ جَوَابًا لَيْسْنَا وَصَرَفَتْ نَظْرًا ، وَإِنَّهَا ضَمَّتْ إِلَيْهَا مَنْ كَانَ مَعَ أُخْيَاهَا مِنَ الْمُقَاتِلَةِ وَخَرَجَتْ بِهِمْ مِنْ بِلَادِ التَّرْكِ إِلَى حُدُودِ مَمْلَكَةِ فَارِسَ ، وَإِنَّ نَظْرًا التَّرْكِي اتَّبَعَهَا فِي اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ مَقَاتِلٍ ، وَإِنَّ كَرْدِيَّةَ قَتَلَتْ نَظْرًا بِيَدِهَا وَمَضَتْ لَوَجْهِهَا ، وَكَتَبَتْ إِلَى أُخْيَاهَا كَرْدِي فَأَخَذَهَا أَمَانًا مِنْ أَبَرْوَيْزِ . فَلَمَّا قَدِمَتْ عَلَيْهِ تَزَوَّجَهَا أَبَرْوَيْزُ وَاغْتَبَطَ بِهَا وَشَكَرَهَا مَا كَانَ مِنْ عِتَابِهَا لِبَهْرَامِ ، وَأَقْبَلَ أَبَرْوَيْزُ عَلَى بِيْرْمُورِيْقِ وَإِلْطَافِهِ . وَإِنَّ الرُّومَ خَلَعُوا - بَعْدَ أَنْ مَلَكَ كَسْرِي أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً - مَورِيْقَ وَقَتَلُوهُ وَأَبَادُوا وَرَثَتَهُ - خَلَا ابْنُ لَهُ هَرَبَ إِلَى كَسْرِي - وَمَلَكَوا عَلَيْهِمْ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ قُوفَا .

١٠٠٢/١ فَلَمَّا بَلَغَ كِيسْرِي نَكْثُ الرُّومِ عَهْدَ مَورِيْقِ وَقَتَلُوهُمْ إِيَّاهُ ، اِمْتَعَضَ مِنْ ذَلِكَ وَأَنْفَ مِنْهُ ، وَأَخَذَتْهُ الْحَفِيظَةُ ، فَأَوَى ابْنُ مَورِيْقِ اللَّاجِئُ إِلَيْهِ ، وَتَوَجَّهَ وَمَلَكَهُ عَلَى الرُّومِ ، وَوَجَّهَ مَعَهُ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ مِنْ قُوَّادِهِ فِي جُنُودِ كَثِيفَةٍ . أَمَّا أَحَدُهُمْ فَكَانَ يُقَالُ لَهُ رُمِيوزَانُ^(٢) ، وَجَّهَهُ إِلَى بِلَادِ الشَّامِ فَدَوَّخَهَا حَتَّى انْتَهَى إِلَى أَرْضِ فِلِسْطِينِ ، وَوَرَدَ مَدِينَةَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَأَخَذَ أَسْقُفَتَهَا وَمِنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْقِسْيِيِّينَ وَسَائِرِ النَّصَارِيِّ بِخَشْبَةِ الصَّلِيبِ ، وَكَانَتْ وَضِعَتْ فِي تَابُوتٍ مِنْ ذَهَبٍ ، وَطُمِرَ فِي بُسْتَانِ وَزُرِعَ فَوْقَهُ مَبْقَلَةٌ ، وَأُلْحَ عَلَيْهِمْ حَتَّى دَلُّوهُ عَلَى مَوْضِعِهَا ، فَاحْتَفَرُوا عَنْهَا بِيَدِهِ وَاسْتَخْرَجُوهَا ، وَبَعَثَ بِهَا إِلَى كِيسْرِي فِي أَرْبَعِ وَعِشْرِينَ مِنْ مَلِكِهِ .

(١) ط : « مرته » ، وما أثبتته من ت ، ح .

(٢) ت ، ح : « دبيران » .

وأما القائدُ الآخر— وكان يقال له شاهين ، وكان فاذوسبان المغرب— فإنه سار حتى احتوى على مصر والإسكندرية وبلادِ نُوبة ، وبعث إلى كيسرى بمفاتيح مدينة إسكندرية في سنة ثمان وعشرين من ملكه . وأما القائد الثالث فكان يقال له قرثان ، وتدعى مرتبته شهربراز . وإنه قصد القسطنطينية حتى أتاه على ضفة الخليج القريب منها ، وخيم هنالك ، فأمره كيسرى فخرَّب بلاد الروم غضباً مما انتهكوا من موريق ، وانتقاماً له منهم . ولم يخضع لابن موريق من الروم أحد ولم يمنحه الطاعة ، غير أنهم قتلوا قوماً الملك الذي كانوا ملكوه عليهم لِمَا ظهَرَ لهم من فجوره وجرأته على الله وسوء تدبيره ، وملكوا عليهم رجلاً يقال له هيرقل . ١٠٠٢/١

فلما رأى هرقل عظيم ما فيه بلاد الروم من تخريب جنود فارس إياها وقتلها مقتاتيلتهم وسبيهم ذراريهم واستباحثتهم أموالهم وانتهابهم ما بحضرتهم ، بكى إلى الله وتضرع إليه وسأله أن يُنقِذَه وأهل مملكته من جنود فارس ، فرأى في منامه رجلاً ضلخم الجثة رفيع المجلس ، عليه بزة ، قائماً في ناحية عنه ، فدخل عليهما داخل ، فألقى ذلك الرجل عن مجلسه ، وقال لهرقل (١) : إني قد أسلمته (٢) في يدك . فلم يقصص رؤياه تلك في يقظته على أحد ، ورأى الليلة الثانية في منامه أن الرجل الذي رآه في حلمه جالس في مجلس رفيع ، وأن الرجل الداخِلَ عليهما أتاهُ وبِيَدِهِ سُلْسِلَةٌ طويلة ، فألقاها في عنق صاحب المجلس وأمكنه منه ، وقال له : هاأنذا قد دفعتُ إليك كيسرى بمرمته ، فاغزُهُ فإنَّ الظفر لك ، وإنك مدالٌ عليه ونائلٌ أمينتك في غزاتك . فلما تابعت عليه هذه الأحلام ، قصتها على عظماء الروم وذوى الرأي منهم .

فأخبروه أنه مدالٌ عليه ، وأشاروا عليه أن يغزوه ، فاستعد هيرقل واستخلف ابناً له على مدينة قسطنطينية ، وأخذ غير الطريق الذي فيه شهربراز ، وسار حتى أوغل في بلاد أرمينية ، ونزل نصيبين بعد سنة ، وكان

(١) ح : «لم» .

(٢) ت : ح : «سلمته» .

شاهين - فاذوسبانُ المغرب - بباب كِسْرَى حين ورد هِرَقْلُ نَصِيْبِيْنَ
 لمَوْجِدَةَ كانت من كِسْرَى عليه ، وعزله إِيَّاهُ عن ذلك الثَغْرِ ، وكان شهر براز ١٠٠٤/١
 مُرَابِطًا للموضع الذي كان فيه لتقدّم كِسْرَى كان إليه في الجثوم فيه ، وترك
 البراح منه ، فبلغ كِسْرَى خبرُ تساقط هِرَقْلُ في جنوده إلى نَصِيْبِيْنَ ، فوجّه
 لمحاربة هِرَقْلُ رجلاً من قُوَّاده يقال له : راهزار ، في اثني عشر ألف مقاتل ،
 وأمره أن يقيم بنينَوَى من مدينة الموصِلِ على شاطئ دجلة ، ويمنع الروم أن
 يجوزوها - وكان كِسْرَى حين بلغه خبرُ هِرَقْلُ مقيماً بدَسَكْرَةَ الملك -
 فنفد راهزار لأمر كِسْرَى ، وعسكر حيث أمره ، فقطع هِرَقْلُ دِجْلَةَ في
 موضع آخر إلى الناحية التي كان فيها جندُ فارس ، فأذكى راهزار العيونَ
 عليه ، فانصرفتوا إليه وأخبروه^(١) أنه في سبعين ألف مقاتل ، وأيقن راهزار
 أنه ومن معه من الجنود عاجزون عن مناهضة سبعين ألف مقاتل ، فكتب
 إلى كِسْرَى غير مرة دَهَمَ هِرَقْلُ إِيَّاهُ بمن لا طاقة له ولن معه بهم ، لكثرتهم
 وحسن عدتهم ، كل ذلك يجيبه كِسْرَى في كتابه ؛ أنه إن عجز عن أولئك الروم
 فلن يعجز عن استيفتالهم وبذل دماهم في طاعته . فلما تابعت على راهزار
 جوابات كتبه إلى كِسْرَى بذلك ، عبي جنده وناهض الروم ، فقتلت
 الروم راهزار وستة آلاف رجل ، وانهمزم ببقيتهم وهربوا على وجوههم ،
 وبلغ كِسْرَى قتل الروم راهزار وما نال هِرَقْلُ من الظفر ، فهداه ذلك وانحاز
 من دَسَكْرَةَ الملك إلى المدائن ، وتحصن فيها لعجزه كان عن محاربة هِرَقْلُ .
 وسار هِرَقْلُ حتى كان قريباً من المدائن ، فلما تساقط إلى كِسْرَى ١٠٠٥/١
 خبره واستعد لقتاله ، انصرفت إلى أرض الروم وكتب كِسْرَى إلى قُوَّاد
 الجند الذين انهزموا يأمرهم أن يدلتوه على كل رجل منهم ومن أصحابهم ، ممن
 فشل في تلك الحرب ولم يربط مركزه فيها ، فيأمر أن يعاقب بقدر ما استوجب ،
 فأخرجهم بهذا الكتاب إلى الخلاف عليه ، وطلب الحيل لنجاة أنفسهم
 منه ، وكتب إلى شهر براز يأمره بالقدوم عليه ويستعجله في ذلك ، ويصف
 ما كان من أمر الروم في عمله .

(١) ت ، ح : « فأخبروه » .

وقد قيل: إن قول الله: ﴿الْمَغْلِبَتِ الرُّومُ﴾ في أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ . في بضع سنين لله الأثر من قبل ومن بعد وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ . بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ . وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾ ، إنما نزل في أمر أبرويز ملك فارس وملك الروم هيرقل ، وما كان بينهما مما قد ذكرت من هذه الأخبار .

ذكر من قال ذلك :

حدثني القاسم بن الحسن ، قال : حدثني الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن أبي بكر بن عبد الله ، عن عكرمة : أن الروم وفارس اقتتلوا في أدنى الأرض . قال : وأدنى الأرض يومئذ (٢) أذربيجات ، بها التقوا فهزمت الروم ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهم بمكة ، فشق ذلك عليهم - وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكره أن يظهر الأمميون من الجوس على أهل الكتاب من الروم - وفرح الكفار بمكة وشميتوا ، فلقوا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : إنكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ونحن أمميون ، وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من أهل الكتاب ، وإنكم إن قاتلتمونا لنظهرن عليكم ؛ فأنزل الله : ﴿الْمَغْلِبَتِ الرُّومُ﴾ - إلى - ﴿وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ ، فخرج أبو بكر الصديق إلى الكفار فقال : أفرحتم بظهور إخوانكم على إخواننا ! فلا تفرحوا ولا يقرن الله أعينكم ، فوالله ليظهرن الروم على فارس ، أخبرنا بذلك نبينا . فقام إليه أبي بن خلف الجدي ، فقال : كذبت يا أبا فصيل ! فقال له أبو بكر : أنت أكذب يا عدو الله ! فقال : أناحك (٣) ! عشر قلائص (٤) مني ، وعشر قلائص منك ،

(١) سورة الروم ١ - ٨ .

(٢) ط : « يوم » ، والصواب ما أثبتته من التفسير .

(٣) المناحية : المخاطرة والمراهنه .

(٤) القلائص : جمع قلوص ؛ وهي من الإبل الشابة أو الباقية على السير .

فإن ظهرت الروم على فارس غرمتُ ، وإن ظهرت فارس غرمتَ إلى ثلاث سنين ، ثم جاء أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخبره ، فقال : ما هكذا ذكرتُ ، إنما البضع ما بين الثلاث إلى التسع ، فزأيدُهُ في الخطر^(١) ومادَهُ في الأجل . فخرج أبو بكر فلقى أبا سفيان فقال : لعلك ندمتَ ، قال : لا ، تعال أزايدك في الخطر وأمادك في الأجل ، فاجتمعنا مائة قلوص إلى تسع سنين ، قال : قد فعلت^(٢) .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا حجاج ، عن أبي بكر ، عن عكرمة ، قال : كانت في فارس امرأة لا تلدُ إلاً الملوك الأبطال ، فدعاها كسرى ، فقال : إنني أريدُ أن أبعثَ إلى الروم جيشاً وأستعملَ عليهم رجلاً من بنيك ، فأشيري على أيهم أستعمل ، قالت : ١٠٠٧/١ هذا فلان وهو أروغ من ثعلب ، وأحذر من صقر ، وهذا فرخان وهو أنفذ من سينان ، وهذا شهزبراز وهو أحلم من كذا ، فاستعملَ أيهم شئت ، قال : فإني قد استعملت الحليم ، فاستعمل شهزبراز ، فسار إلى الروم بأهل فارس وظهر عليهم ، فقتلهم وخرَّب مدائنهم ، وقطع زيتونهم . قال أبو بكر : فحدثت هذا الحديث عطاء الخراساني فقال : أما رأيت بلاد الشام ؟ قلت : لا ، قال : أما إنك لو أتيتها لرأيت المدائن التي خربت والزيتون الذي قطع ، فأتيت الشام بعد ذلك فرأيت^(٢) .

قال عطاء الخراساني : حدثني يحيى بن يعمر ، أن قينصر بعث رجلاً يدعى قطمة بجيش من الروم ، وبعث كسرى بشهزبراز ، فالتقيا بأذرعَات وبُصرى - وهي أدنى الشام إليكم - فلقيت فارس الروم فغلبتهم فارس ، ففرح بذلك كنفار قريش وكرهه المسلمون ، فأنزل الله : ﴿الْمَغْلِبَتِ الرُّومُ...﴾ الآيات . ثم ذكر مثل حديث عكرمة ، وزاد : فلم يبرح شهزبراز بطونهم ويخرَّب مدائنهم حتى بلغ الخليج ، ثم مات كسرى فبلغهم موته ، فانهزم

(١) الخطر ، بالتحريك : ما يتخاطر عليه ويتراهن به .

(٢) الخبر في التفسير ٢٠ : ١٣ (بولاقي) .

شَهْرَبَرَّازُ وَأَصْحَابُهُ ، وَأَدِيلُ يَهُمُ الرُّومَ عِنْدَ ذَلِكَ فَاتَّبَعُوهُمْ يُقْتَلُونَهُمْ .

قال : وقال عِكْرَمَةُ فِي حَدِيثِهِ : لَمَّا ظَهَرَتْ فَارِسُ عَلَى الرُّومِ ، جَلَسَ

فَرُّخَانَ يَشْرِبُ ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : لَقَدْ رَأَيْتُ كَأَنِّي جَالِسٌ عَلَى سَرِيرِ كِسْرَى ؛

فَبَلَغَتْ كِسْرَى ، فَكَتَبَ إِلَى شَهْرَبَرَّازٍ : إِذَا أَتَاكَ كِتَابِي فَابْعَثْ إِلَى بَرَأْسِ

فَرُّخَانَ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ مِثْلَ فَرُّخَانَ ؛ إِنَّ لَهُ

نَكَايَةً وَصَوْتًا فِي الْعَدُوِّ فَلَا تَفْعَلْ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ : إِنَّ فِي رِجَالِ فَارِسٍ خَلْفًا

١٠٠٨/١

مِنْهُ ، فَعَجَّلَ عَلَى بَرَأْسِهِ . فَرَاجَعَهُ ، فَغَضِبَ كِسْرَى فَلَمْ يَجِيبْهُ ، وَبَعَثَ بِرِيدٍ

إِلَى أَهْلِ فَارِسٍ : إِنِّي قَدْ نَزَعْتُ عَنْكُمْ شَهْرَبَرَّازًا ، وَاسْتَعْمَلْتُ عَلَيْكُمْ فَرُّخَانَ .

ثُمَّ دَفَعَ إِلَى الْبَرِيدِ صَحِيفَةً صَغِيرَةً ، وَقَالَ : إِذَا وَلى فَرُّخَانَ الْمَلِكُ وَانْقَادَ لَهُ

أَخُوهُ ، فَأَعْطِهِ هَذِهِ الصَّحِيفَةَ . فَلَمَّا قَرَأَ شَهْرَبَرَّازُ الْكِتَابَ ، قَالَ : سَمِعًا

وَطَاعَةً ، وَنَزَلَ عَنْ سَرِيرِهِ وَجَلَسَ فَرُّخَانَ ، وَدَفَعَ الصَّحِيفَةَ إِلَيْهِ فَقَالَ : ائْتُونِي

بِشَهْرَبَرَّازٍ ، فَقَدَّمَهُ لِيضْرِبَ عُنُقَهُ ، فَقَالَ : لَا تَعْجَلْ حَتَّى أَكْتُبَ وَصِيَّتِي ،

قَالَ : نَعَمْ ، فَدَعَا بِالسَّفَطِ فَأَعْطَاهُ ثَلَاثَ صَحَائِفَ ، وَقَالَ : كُلُّ هَذَا رَاجِعَةٌ

فِيكَ كِسْرَى ، وَأَنْتِ أَرَدْتِ أَنْ تَقْتُلِي بِكِتَابٍ وَاحِدٍ ! فَرَدَّ الْمَلِكُ إِلَى أَخِيهِ ،

وَكَتَبَ شَهْرَبَرَّازٌ إِلَى قَيْصَرَ مَلِكِ الرُّومِ : إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً لَا تَحْمِلُهَا

الْبُرْدُ وَلَا تَبْلُغُهَا الصُّحُفُ ، فَالْقَنِي ، وَلَا تَلْقِنِي إِلَّا فِي خَمْسِينَ رُومِيًّا ، فَلَمَّا

أَلْقَاكَ فِي خَمْسِينَ فَارِسِيًّا ، فَأَقْبِلْ قَيْصَرَ فِي خَمْسِمِائَةِ أَلْفِ رُومِيٍّ ، وَجَعَلَ

يَضَعُ الْعُيُونُ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي الطَّرِيقِ ، وَخَافَ أَنْ يَكُونَ قَدْ مَكَرَ بِهِ ، حَتَّى أَتَاهُ

عُيُونُهُ ؛ أَنَّهُ لَيْسَ مَعَهُ إِلَّا خَمْسُونَ رَجُلًا ، ثُمَّ بَسَطَ لهُمَا وَالتَّقِيَا فِي قُبَّةٍ دِيْبَاجٍ

ضُرِبَتْ لهُمَا ، مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا سَكِّينٌ ، فَدَعَا تَرْجَمَانًا بَيْنَهُمَا ، فَقَالَ

شَهْرَبَرَّازٌ : إِنَّ الَّذِينَ خَرَّبُوا مَدَائِنَكَ أَنَا وَأَخِي بِكَيْدِنَا وَشَجَاعَتِنَا ، وَإِنَّ كِسْرَى

حَسَدْنَا فَأَرَادَ أَنْ أَقْتَلَ أَخِي ، فَابْيَيْتْ ، ثُمَّ أَمَرَ أَخِي أَنْ يَقْتُلَنِي ؛ فَقَدْ

خَلَعْنَاهُ جَمِيعًا فَنَحْنُ نَقَاتِلُهُ مَعَكَ . قَالَ : قَدْ أَصَبْتُمَا ، ثُمَّ أَشَارَ أَحَدُهُمَا

١٠٠٩/١

إِلَى صَاحِبِهِ أَنْ السَّرَّ بَيْنَ اثْنَيْنِ ، فَإِذَا جَاوَزَ اثْنَيْنِ فَشَا ، قَالَ : أَجَلٌ ،

فَقَتَلَا التَّرْجَمَانَ جَمِيعًا بِسِكِّينَيْهِمَا ؛ فَأَهْلَكَ اللَّهُ كِسْرَى ، وَجَاءَ الْخَبْرُ

إلى رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِوَمِ الْخُدَيْبِيَّةِ ، ففَرِحَ وَمِنْ مَعَهُ (١) .
 وَحُدِّثَتْ عَنْ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، أَنَّهُ قَالَ : فِي سَنَةِ عِشْرِينَ مِنْ مُلْكِكَ
 كَيْسَرِي أَبَرْوَيْزٍ ، بَعَثَ اللهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَقَامَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ
 عَشْرَةَ سَنَةً ، وَهَاجَرَ فِي سَنَةِ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ مِنْ مُلْكِكَ إِلَى الْمَدِينَةِ .

(١) الخبر في التفسير ٢٠ : ١٣ - ١٤ (ببلاق) .

ذكر الخبر عن الأسباب التي حدثت عند إرادة الله إزالة ملك فارس عن أهل فارس

ووطأتها العرب بما أكرمهم به نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم
من النبوة والخلافة والملك والسلطان في أيام كيسرى أبرويز.

فمن ذلك ما روى عن وهب بن منبه ، وهو ما حدثنا به ابن حميد ،
قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : كان من حديث كيسرى
كما حدثني بعض أصحابي ، عن وهب بن منبه ، أنه كان سكر دجلة
العوراء^(١) ، وأنفق عليها من الأموال ما لا يُدرى ما هو ، وكان طاق مجلسه
قد بُني بنياناً لم ير مثله ، وكان يعلّق تاجه ؛ فيجلس فيه إذا جلس للناس ،
وكان عنده ستون وثلاثمائة رجل من الحزاة - والحزاة العلماء - من بين كاهين
وساحرٍ ومنجمٍ ؛ قال : وكان فيهم رجل من العرب يقال له السائب ، يعتاف
اعتفاف العرب قلماً بخطي - بعث به إليه باذان من اليمن - فكان
كيسرى إذا حزبه أمر جمع كهّانه وسحّاره ومنجميه ، فقال : انظروا في
هذا الأمر ما هو !

١٠١٠/١

فلما أن بعث الله نبيّه محمداً صلى الله عليه وسلم ، أصبح كيسرى ذات
غدأة وقد انقصمت طاق ملكه من وسطها من غير ثقل ، وانخرقت عليه
دجلة العوراء ، فلما رأى ذلك حزنه ، وقال : انقصمت طاق ملكي من
وسطها من غير ثقل ، وانخرقت على دجلة العوراء ، « شاه بيشكست » :
يقول : الملك انكسر . ثم دعا كهّانه وسحّاره ومنجميه ، ودعا السائب معهم ،
فقال لهم : انقصمت طاق ملكي من غير ثقل ، وانخرقت على دجلة العوراء ،
« شاه بيشكست » انظروا في هذا الأمر ما هو ؟ فخرجوا من عنده فنظروا في أمره ،
فأخذ عليهم بأقطار السماء ، وأظلمت عليهم الأرض ، وتسكتوا في علمهم ، فلا

(١) دجلة العوراء : اسم لدجلة البصرة ؛ ويقال : سكر النهر ، إذا سد فاه .

يمضي لساحر سحره ، ولا لكاهن كهانته ، ولا يستقيم لمنجم علم نجومه .
وبات السائب في ليلة ظلماء على ربوة من الأرض يرمق برقاً نشأ من قبل
الحجاز ، ثم استطار حتى بلغ المشرق ، فلما أصبح ذهب ينظر إلى ما تحت
قدميه ؛ فإذا روضة خضراء ، فقال فيما يعتاف : لئن صدق ما أرى ، ليخرجن
من الحجاز سلطان يبلغ المشرق ؛ تُخصب عنه الأرض كأفضل ما أخصبت
عن ملك^(١) كان قبله .

فلما خلتص الكهتان والمنجمون بعضهم إلى بعض ، ورأوا ما قد أصابهم ،
ورأى السائب ما رأى ، قال بعضهم لبعض : تعلمون والله ما حيل بينكم وبين
علمكم إلا لأمر^(٢) جاء من السماء ، وإنه لنبي قد بعث - أو هو مبعوث - يسلب
هذا الملك ويكسره . ولئن نعيتم لكسرى ملكه ليقتلنكم ، فأقيموا بينكم
أمراً تقولونه له تؤخرونه عنكم إلى أمر ما ساعة .

فجاءوا كسرى ، فقالوا له : إنا قد نظرنا في هذا الأمر فوجدنا حسابك
الذين وضعت على حسابهم طاق ملكك ، وسكرت دجلة العوراء وضعوه
على النحوس ، فلما اختلف عليهما الليل والنهار وقعت النحوس على مواقعها ،
فزال كل ما وضع عليهما ؛ وإنا سنحسب لك حساباً تضع عليه بنيانك
فلا يزول . قال : فاحسبوا ، فحسبوا له ، ثم قالوا له : ابنه ، فبنى . فعمل في دجلة
ثمانية أشهر وأنفق فيها من الأموال ما لا يدري ما هو ، حتى إذا فرغ [منها]^(٣)
قال لهم : اجلس على سورها ؟ قالوا : نعم ، فأمر بالبسط والفرش والرياحين
فوضعت عليها ، وأمر بالمرازبة فجمعوا^(٤) له ، واجتمع إليه اللعابون ، ثم خرج حتى
جلس عليها ، فبينا هو هنالك^(٥) انتسفت دجلة البنيان من تحته ، فلم يستخرج^(٦)
إلا بأخر رمق .

(١) ابن الأثير ١ : ٢٨٣ : « على ملك » .

(٢) ابن الأثير : « أمر » .

(٣) تكلة من ر .

(٤) ت ، ح : « فاجتمعوا » .

(٥) ل : « كذلك » ، ح : « هناك » .

(٦) ح : « يخرج » .

فلما أخرجوه ، جَمَعَ كُهَنَانَهُ وَسُحُتَارَهُ وَمَنْجَمِيهٖ ، فقتل منهم قريبا من مائة ، وقال سمئتمكم^(١) وأدنيتمكم دون الناس ، وأجريت عليكم أرزاقى ، ثم تلعبون بى ! فقالوا^(٢) : أيها الملك ، أخطأنا كما أخطأ من كان قبلنا ، ولكننا سنحسب لك حسابا فتثبتت حتى تضعها على الوثاق من السعود . قال : انظروا ما تقولون ! قالوا : فإننا نفعل ؛ قال : فاحسبوا ، فحسبوا له ، ثم قالوا له : ابنه ، فبنى وأنفق من الأموال ما لا يبدى ما هو ، ثمانية أشهر من ذى قبل . ثم قالوا : قد فرغنا ، قال : أفأخرج فأقعد عليها ؟ قالوا : نعم ، فهاب الجلوس عليها ، وركب برذونا له ، وخرج يسير عليها ؛ فبينما هو يسير فوقها إذ انتسفته دجلة بالبنيان ، فلم يدرك إلا بآخر رمق ، فدعاهم فقال : والله لأمرن على آخركم ولأنزعن أكتافكم ، ولأطرحنكم تحت أيدى الفيئة أولتصدقنى ما هذا الأمر الذى تلفتقون على ! قالوا : لا نكذبك أيها الملك ، أمرتنا حين انخرقت عليك دجلة ، وانقصمت^(٣) عليك طاق مجلسك^(٤) من غير ثقل أن ننظر فى علمنا ليم ذلك ! فنظرنا ، فأظلمت علينا الأرض وأخذ علينا بأقطار السماء ، فتردد علينا علمنا فى أيدينا ، فلا يستقيم لساحر سحره ، ولا لكاهن كهانته ، ولا لمنجم علم^(٥) نجومه بفعرنا أن هذا الأمر حدث من السماء ، وأنه قد بعث نبي أو هو مبعوث ؛ فلذلك حيل بيننا وبين علمنا ، فخشينا إن نعيننا لك ملكك أن تقتلنا ، وكرهنا من الموت ما يكره الناس ، فعللناك عن أنفسنا بما رأيت . قال : ويحكم ! فهلا تكونون بيتم لى هذا فأرى فيه رأى ! قالوا : منعنا من ذلك ما نخوفنا منك . فتركهم ولما عن دجلة حين غلبته .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الفضل ابن عيسى الرقاشى ، عن الحسن البصرى ؛ أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : يا رسول الله ، ما حجة الله على كيسى فيك ! قال : بعث

(١) ت : « أمتمكم » ، ح : « قربتمكم » ، ر ، ل : « سينتم » .

(٢) كذا فى ح وابن الأثير ؛ وفى ط : « قالوا » .

(٣) ل : « وانقصم » .

(٤) ت ، ح : « نيم » .

(٥) ت ، ح : « ملكك » .

إليه ملكاً فأخرج يده من سُور جدار بيته الذي هو فيه يتلألاً نوراً ، فلما رآها فرغ ، فقال : لَمْ تُرْعَ يَا كَسْرِي ، إن الله قد بعث رسولا وأنزل عليه كتاباً فاتبعه تسلم دنياك وآخرتك ، قال : سأُنظر .

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله ابن أبي بكر ، عن الزهري ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، قال : بَعَثَ اللهُ إلى كسرى ملكاً وهو في بيت إيوانه الذي لا يُدْخَلُ عليه فيه ، فلم يرعه إلا به قائماً على رأسه في يده عصا ، بالهاجرة في ساعته التي كان يتقبل فيها ، فقال : يا كسرى أتُسَلِّمُ أو أكسر هذه العصا ! فقال : بِيهِلْ بِيهِلْ ، فانصرف عنه ثم دعا ^(١) أحراسه وحجابه فتغيظ عليهم ، وقال : من أدخل هذا الرجل عليّ؟ فقالوا : ما دخل عليك ^(٢) أحد ولا رأيناك ؛ حتى إذا كان العام القابل ^(٣) أتاه في الساعة التي أتاه فيها ، فقال له كما قال له ، ثم قال له : أتُسَلِّمُ أو أكسر هذه العصا؟ فقال : بِيهِلْ بِيهِلْ بِيهِلْ ؛ ثلاثاً ؛ فخرج عنه فدعا كسرى حجابه وحراسه وبوابيه فتغيظ عليهم وقال لهم كما قال أول مرة ، فقالوا : ما رأينا أحداً دخل عليك . حتى إذا كان في العام الثالث أتاه في الساعة التي جاءه فيها ، فقال له كما قال : أتُسَلِّمُ أو أكسر هذه العصا؟ فقال : بِيهِلْ بِيهِلْ ، قال : فكسر العصا ، ثم خرج فلم يكن إلا تهوّر ملكه ؛ وانبعث ابنه والفرس حتى قتلوه .

١٧١٤/١

قال عبد الله بن أبي بكر : فقال الزهري : حدثت عمر بن عبد العزيز هذا الحديث عن أبي سلمة بن عبد الرحمن فقال : ذُكِرَ لي أن الملك إنما دخل عليه ^(٤) بقارورتين في يديه ، ثم قال له : أسلم ، فلم يفعل ، فضرب إحداهما على الأخرى فرضضهما ، ثم خرج فكان من [أمر] ^(٥) هلاكه ما كان .

(٢) ت ، ح : « علينا » .

(٤) ت ، ح : « إليه » .

(١) ت ، ح : « فدعا » .

(٣) ت ، ح : « المقبل » .

(٥) نكلة من ت ، ح .

حدثني يحيى بن جعفر ، قال : أخبرنا علي بن عاصم ، قال : أخبرنا خالد الخذاء ، قال : سمعت عبد الرحمن بن أبي بكر ، يقول : بينا كسرى ابن هرمز نائم ليلة في هذا الإيوان ، إيوان المدائن ، والأساورة محذون بقصره ؛ إذ أقبل رجل يمشى معه عصا ؛ حتى قام^(١) على رأسه ، فقال : يا كسرى ابن هرمز ؛ إني رسول الله إليك أن تسلم ، قالها ثلاث مرات - وكسرى مستلق ينظر إليه لا يجيبه ؛ ثم انصرف عنه - قال : فأرسل كسرى إلى صاحب حرّسه ، فقال : أنت أدخلت عليّ هذا الرجل ؟ قال : لم أفعل ولم يدخل من قبيلنا أحد . قال : فلما كان العام المقبل خاف كسرى تلك الليلة ، فأرسل إليه أن أحيدق بقصرى ، ولا يدخل^(٢) عليّ أحد ، قال : ففعل ، فلما كان تلك الساعة إذا هو قائم على رأسه ، ومعه عصا ، وهو يقول له : يا كسرى بن هرمز ، إني رسول الله إليك أن تسلم ، فأسلم خيراً لك - قال : وكسرى ينظر إليه لا يجيبه - فانصرف عنه ، قال : فأرسل كسرى إلى صاحب الحرم : ألم أمرك ألا يدخل عليّ أحد ! قال : أيتها الملك ، إنّه والله ما دخل عليك من قبيلنا أحد ، فانظر من أين دخل عليك ؟ قال : فلما كان العام المقبل ؛ فكأنه خاف تلك الليلة ، فأرسل إلى صاحب الحرم والحرس : أن أحدقوا بي الليلة ، ولا تدخل^(٣) امرأة ولا رجل ؛ ففعلوا . فلما كان تلك الساعة ، إذا هو قائم على رأسه ، وهو يقول : يا كسرى بن هرمز ، إني رسول الله إليك أن تسلم ، فأسلم خيراً لك ، قالها ثلاث مرات وكسرى ينظر إليه لا يجيبه . قال : يا كسرى إنك قد أبيت عليّ ، والله ليكسرنك الله كما أكسرت عصا هذه ، ثم كسرها وخرج ؛ فأرسل كسرى إلى الحرم ، فقال : ألم أمركم ألا يدخل عليّ الليلة أحد ، أهل ولا ولد ! قالوا : ما دخل عليك من قبيلنا أحد !

(١) ت ، ح : وقف .

(٢) ت ، ح : لا يدخلن .

(٣) ت ، ح : تدخلن .

قال : فلم يلبث أن وثب عليه ابنه فقتله .

• • •

[ذكر خبر يوم ذى قار]

ومن ذلك ما كان من أمر ربّيعة والجيش الذى كان أنفذه إليهم كسرى أبرويز لحربهم ، فالتقوا بذي قار .

وذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما بلغه ما كان من هزيمة ربّيعة ١٠١٦/١ جيش كسرى ، قال : « هذا أول يوم انتصف العرب من العجم ، وبنى نصروا » . وهو يوم قُراقرير ويوم الحنُو حِنُوذى قار ، ويوم حِنُو قُراقرير ، ويوم الجُبَابات ، ويوم ذى العُجْرُم ، ويوم الغَدَوَانِ ، ويوم البطحاء ، بَطْنِحاءِ ذى قار ، وكلهنّ حول ذى قار .

فحدثت عن أبي عبيدة معنمر بن المثنى ، قال : حدثني أبو المختار فيراس بن خندق - أو خندقة - وعدة من علماء العرب قدسماهم ؛ أن الذى جرى يوم ذى قار ، قتلُ النعمان بن المنذر اللخميّ عدىّ بن زيد العباديّ ؛ وكان عدىّ من تراجمة أبرويز كسرى بن هرمز .

وكان سبب قتل النعمان بن المنذر عدىّ بن زيد ، ما ذكر لى عن هشام ابن محمد ، قال : سمعت إسحاق بن الجصاص - وأخذته من كتاب حمّاد وقد ذكر أبى بعضه - قال : ولد زيد بن حمّاد بن زيد بن أيوب بن محروف بن عامر بن عصبية بن امرئ القيس بن زيد مائة بن تميم ثلاثة : عديا الشاعر ، وكان جميلاً شاعراً خطيباً ، وقد قرأ كتب العرب والفرس ، وعمّاراً - وهو أبى - وعمراً - وهو سمى - ولهم أخ من أمهم ، يقال له عدىّ بن حنظلة من طيىء . وكان عمّار يكون عند كسرى ، فكان أحدهما يشتهى هلاك عدىّ بن زيد ، وكان الآخر يتدين فى نصرانيّته ، وكانوا أهل بيت يكونون مع الأكاسرة لهم معهم أكل^(١) وناحية^(٢) ، يُقْطَعُونَهُمُ الْقَطَائِعُ ، [ويجزلون صلاتهم]^(٣)

(١) الأكل هنا : الرزق ؛ يقال : فلان ذو أكل ؛ إذا كان ذا رزق وحظ واسع فى الدنيا

(٢) نكلة من الأغاني فيما رواه عن هشام الكلبي .

وكان المنذر بن المنذر لما ملك جعل ابنه النعمان في حجر عدى ، فهم الذين أرضعوه [وربوه ، وكان للمنذر ابن آخر يقال له « الأسود » ، أمه مارية بنت الحارث بن جُلثَم من تيم الرِّباب ، فأرضعه]^(١) ، ورباه قوم من أهل الحيرة يقال لهم : بنو مَرِينَا ، ينسبون إلى لَحْم ، وكانوا أشرفاً . وكان للمنذر بن المنذر سوى هذين من الولد عشرة ؛ وكان يقال لولده كلتهم الأشاهب^(٢) ، من جمالم ؛ فذلك قول الأعشى :

وَبَنُو الْمُنْذِرِ الْأَشَاهِبُ بِالْحُسْبِيرةِ يَمْشُونَ غَدَوَةً بِالسُّيُوفِ^(٣)

وكان النعمان أحمر أبرش^(٤) قصيراً ، وكانت أمه يقال لها سلمى بنت وائل بن عطية الصائغ من أهل فدك ، وكانت أمة للحارث ابن حصن بن ضَمَضَم بن عدى بن جناب من كلب ، وكان قابوس بن المنذر الأكبر عم النعمان وإخوته ، بعث إلى كسرى بن هرمز بعدى بن زيد وإخوته ، فكانوا في كتابه يترجمون له ، فلما مات المنذر بن المنذر وترك ولده هؤلاء الثلاثة عشر ، جعل على أمره كله إياس بن قبيصة الطائي [وملكه على الحيرة إلى أن يرى كسرى رأيه]^(٥) فكان عليه أشهراً^(٦) ،^(٧) وكسرى في طلب رجل يملكه على العرب . ثم إن كسرى بن هرمز دعا عدى بن زيد ، فقال له : من بى من بنى المنذر^(٨) ؟ وما هم ؟ وهل فيهم خير ؟ فقال : بقيتهم في ولد هذا الميت

(١) تكلمة من الأغاني فيما رواه عن هشام الكلبي .

(٢) قال في القاموس : « والأشاهب بنو المنذر الجمالم » ، وقال شارحه : « سمو بذلك لبياض

وجوههم » . (٣) ديوانه ٢١٢ .

(٤) الأبرش : الأرقط ؛ وهو الذي يكون فيه بقعة بيضاء وأخرى أى لون كان .

(٥) الأغاني : « فكث ملكاً عليها أشهراً » .

(٦-٦) كذا في أصول الطبري وتجارب الأمم ١ : ح ٢٣٨ ، وفي الأغاني بعده : « فلم يجد أحداً

يرضاه ، ففجر ؛ فقال : لأبعثن إلى الحيرة اثني عشر ألفاً من الأساورة ؛ ولأملكن عليهم رجلاً من

الفرس ، ولأمرهم أن ينزلوا على العرب في دورهم ، ويملكوا عليهم أموالهم ونسأهم ، وكان عدى بن

زيد واقفاً بين يديه ؛ فأقبل عليه ، وقال : ويحك يا عدى ! من بى من آل المنذر ! » .

المنذر بن المنذر ، وهم رجال ، فقال : ابعث إليهم ، فكتب فيهم فقدِموا عليه ، فأنزهم على عدى بن زيد . فكان عدى يفضل إخوة النعمان عليه في النُّزُل ، وهو يريهم أنه لا يرجوه . ويخلو بهم رجلاً رجلاً ، ويقول لهم : إن سألكم الملك : أتكفونني العرب ؟ فقولوا : نكفيكمهم إلا النعمان ، وقال للنعمان : ١٠١٨/١ إن سألك الملك : عن إخوانك فقل له : إن عجزت عنهم ، فأنا عن غيرهم أعجز . وكان من بني مَرِينَا رجل يقال له عدى بن أوس بن مَرِينَا ، وكان مارداً شاعراً ، وكان يقول للأسود [بن المنذر] ^(١) : إنك قد عرفت أتى لك راجٍ ، وأنّ طلبتي ورغبتني إليك أن تخالف عدى بن زيد ، فإنه والله لا ينصح لك أبداً . فلم يلتفت إني قوله .

فلما أمر كسرى عدى بن زيد أن يُدخلهم عليه ، جعل يدخلهم عليه رجلاً رجلاً ، فيكلّمه ، فكان يرى رجلاً قَلَمًا رأى مثلهم : فإذا سألمهم : هل تكفونني ما كنتم تلون ؟ قالوا : نكفيك العرب إلا النعمان . فلما دخل عليه النعمان رأى رجلاً دَمِيمًا فكلّمه ، وقال له : أتستطيع أن تكفيّني العرب ؟ قال : نعم : قال ، فكيف تصنع بإخوانك ؟ قال : إن عجزت عنهم فأنا عن غيرهم أعجز . فلكه وكساه ، وألبسه تاجاً قيمته ستون ألف درهم ، فيه اللؤلؤ والذهب . فلما خرج - وقد مَلِك - قال عدى بن أوس بن مَرِينَا للأسود : دونك فإنك قد خالفت الرأي .

ثم إن عدى بن زيد صنع طعاماً في بيعة ، ثم أرسل إلى ابن مَرِينَا أن اثني بمن ^(٢) أحببت ، فإن لي حاجة ، فأتاه في ناس فتغدوا في البيعة ، وشربوا ، فقال : عدى [بن زيد] ^(٣) لعدى بن مَرِينَا : يا عدى ، إن أحتق من عرف الحقّ ثم لم يَلْمُ عليه ، من كان مثلك ؛ إني قد عرفت أن صاحبك الأسود بن المنذر كان أحبّ إليك أن يملك من صاحبي النعمان ، فلا تلمني على شيء كنت على مثله ، وأنا أحبّ ألاّ تحقد على شيئاً لو قدرت

(١) نكلة من ابن الأثير ١ : ٢٨٥ ، وتجارب الأمم ١ : ٢٢٨ .

(٢) ت ، ح ، « فيمن » .

(٣) من الأغاني وتجارب الأمم .

عليه ركبته ، وأنا أحبُّ أن تعطيني من نفسك ما أعطيتك من نفسي ؛ فإن نصيبي من هذا الأمر ليس بأوفرَ من نصيبك . فقام عدى بن زيد إلى البيعة فحلف ألا يهجوَه ولا يبغيه غائلة أبداً . ولا يزوي عنه خيراً أبداً . فلما فرغ عدى بن زيد قام عدى بن مريـنا . فحلف على مثل يمينه ألا يزال يهجوَه أبداً ، ويبغيه الغوائل ما بقي . وخرج النعمان حتى نزل منزله بالحيرة . فقال عدى بن مريـنا لعدى بن زيد :

ألا أبليغُ عدياً عن عدىٍ فلا تجزعُ وإن رثت قواكا^(١)
 هياكلنا تبرُّ لغيرِ فقرٍ لتُحمدَ أو يَتمَّ به غناكا
 فإن تظفرَ فلم تظفرَ حميداً وإن تعطبَ فلا يبعُدُ سواكا
 ندمتَ ندامةَ الكسبيِّ لما رأت عيناك ما صنعتَ يداكا^(٢)

وقال عدى بن مريـنا للأسود : [أمّا]^(٣) إذ لم تظفر فلا تعجز أن تطلب بثارك من هذا المعدى ، الذى عمل بك ما عمل^(٤) فقد كنت أخبرك أن معداً لا ينام مكرها^(٥) . أمرتك أن تعصيه فخالفته . قال : فما تريد؟ قال : أريد ألا يأتيتك فائدة من مالك وأرضك إلا عرضتها على . ففعل .

وكان ابنُ مريـنا كثير المال والضيعة . فلم يك في الدهر يوم إلا على باب النعمان هدية من ابن مريـنا^(٦) ، فصار من أكرم الناس عليه . وكان لا يقضى في ملكه شيئاً إلا بأمر عدى بن مريـنا ، وكان إذا ذُكر عدى بن زيد عنده أحسن عليه الثناء ، وذُكر فضله ، وقال : إنه لا يصلح المعدى إلا أن

(١) رثت : ضمنت .

(٢) الكسبي : نسبة إلى كعب ، حى من قيس عيلان ؛ وقيل ؛ هم حى من اليمن رماة ؛ والكسبي رجل يضرب به المثل في الندامة . وهو رجل رام رى بعد ما أظلم الليل عبراً فأصابه ، وظن أنه أخطأ فكسر قوسه ، ثم ندم من الغد حين نظر إلى العير مقتولا وسهمه فيه ، فصار مثلاً لكل نادم على فعل يفعله . (٣) من الأغاني .

(٤) الأغاني : « الذى فعل به ما فعل » . (٥) الأغاني « كيدها ومكرها » .

(٦) في ط : « فلم يك في الأرض يوم » ، وفي تجارب الأمم : « فلم يمر يوم إلا بعث فيه إلى النعمان هدية » ، وفي ابن الأثير : « وكان لا يجلى النعمان يوماً من هدية » . وما أثبتته عن الأغاني .

يكون فيه مكر وخديعة. فلما رأى من يَطِيف بالنعمان منزلة ابن مَرِينَا عنده
 لزموه وتابعوه ، فجعل يقول لمن يثق به من أصحابه : إذا رأيتموني أذكر عدى
 ابن زيد عند الملك بخير فقولوا : إنه لكما تقول ؛ ولكنّه لا يسلم عليه أحد ؛
 وإنه ليقول : إن الملك - يعنى النعمان - عامله ، وإنه ولاه ما ولاه ؛ فلم يزالوا
 بذلك حتى أضغفوه عليه ، وكتبوا كتاباً على لسان عدى إلى قَهْرْمَان^(١) لعدى
 ثم دسّوا له ، حتى أخذوا الكتاب ، ثم أتى به النعمان فقرأه ، فأغضبه ، فأرسل
 إلى عدى بن زيد : عزمتُ عليك إلا زرتنى ، فإننى قد اشتقت إلى رؤيتك !
 وهو عند كسرى^(٢) فاستأذن كسرى ، فأذن له ، فلما أتاه لم ينظر إليه حتى
 حبس في محبس لا يدخل عليه فيه أحد ، فجعل عدى بن زيد يقول الشعر
 وهو في السجن ، فكان أول ما قال في السجن من الشعر :

لَيْتَ شِعْرِي عَنِ الْهَمَامِ وَيَأْتِيكَ بِخَبْرِ الْأَنْبَاءِ عَطْفُ السُّؤَالِ^(٣)
 فقال أشعاراً ، وكان كلما قال عدى من الشعر ، بلغ النعمان وسمعه ندم
 على حبسه إياه ، فجعل يرسل إليه ويوعده ويمنيه ويفرق أن يرسله فيبغيه الغوائل ،
 فقال عدى :

أَرِقْتُ لِمَكْفَهْرٍ بَاتَ فِيهِ بَوَارِقُ بَرِّ تَقِينِ رُءُوسِ شَيْبِ^(٤)

(١) القهرمان : أمين الملك وخاصته ؛ فارسي معرب ، ويطلق في لغة الفرس على القائم بأمور
 الرجل ، كالحازن والوكيل .

(٢) كذا في الطبري وتجارب الأمم ، وفي الأغاني : « وعدى يومئذ عند كسرى » .

(٣) في رواية الأغاني بعد هذا البيت :

أَيْنَ عَنَّا إِخْطَارُنَا الْمَالِ وَالْأَنْفُسِ إِذْ نَاهَدُوا لِيَوْمِ الْمَحَالِ
 وَنِضَالِي فِي جَنْبِكَ النَّاسِ يَرْمُونَ وَأَرْمِي ، وَكُنَّا غَيْرُ آلِ
 فَاصِيبُ الَّذِي تَرِيدُ بِلَا غِشٍّ وَأَرْبِي عَلَيْهِمْ وَأُوَالِي
 لَيْتَ أَنِّي أَخْضَتُ حَتَّى بِكَفَى وَلَمْ أَلْقِ مَيْتَةَ الْأَقْتَالِ
 مَحَلُّوا مَحَلَّهُمْ لَصْرَعَتِنَا الْعَامِ ، فَقَدْ أَوْقَعُوا الرِّحَا بِالنِّفَالِ

(٤) انظر بقية القصيدة في الأغاني ٢ : ١١١ ، ١١٢ .

وقال أيضاً :

• طَالَ ذَا اللَّيْلِ عَلَيْنَا وَأَعْتَكِرُ^(١) .

وقال أيضاً :

• أَلَا طَالَ اللَّيَالِي وَالنَّهَارُ^(٢) .

١٠٢١/١

وقال حين أعياه ما يتضرع إلى النعمان أشعاراً، يذكره فيها الموت، ويخبره من هلك من الملوك قبله ، فقال :

• أَرْوَاحُ مُوَدَّعٍ أَمْ بُكُورُ^(٣) .

وأشعاراً كثيرة .

قال : وخرج النعمان يريد البحرين ، فأقبل رجل من غسان ، فأصاب في الحيرة ما أحب . ويقال : الذي أغار على الحيرة فحرق فيها ، جفنة بن النعمان الجفني ، فقال عدى :

سَمَا صَقْرٌ فَأَشْعَلَ جَانِبَيْهَا وَأَلْهَكَ الْمَرْوَحُ وَالْعَزِيبُ^(٤)

فلما طال سجن عدى كتب إلى أخيه أبي ، وهو مع كسرى بشعر فقال :

أَبْلَغُ أَبِيًّا عَلَى نَأْيِهِ وَهَكَلُ يَنْفَعُ الْمَرْءَ مَا قَدْ عَلِمَ !
بَانَ أَخَاكَ شَقِيقَ الْفُؤَادِ ، كُنْتَ بِهِ إِلَهًا مَا سَلِمَ^(٥)

(١) بقيته :

• وَكَأَنِّي نَاذِرُ الصُّبْحِ سَمْرٌ .

وانظر بقية القصيدة في الأغاني .

(٢) لم يذكره صاحب الأغاني .

(٣) بقيته :

• لَكَ فَاغْمِذُ لَأَيِّ حَالٍ تَصِيرُ .

وهو مطلع قصيدة في شعراء النصرانية ٤٥٥ ، ولم تذكر في غير الأغاني .

(٤) المروح : الإبل المروحة إلى أعطافها . والعزيب : ما ترك في مراعيه . وانظر بقية الأبيات

في رواية الأغاني .

(٥) الأغاني : « واثقاً » .

أَدَى مَلِكٍ مُوثِقٍ بِالْحَدِيدِ
فَلَا أَعْرِفُنكَ كَدَّابِ الْفُلَا
دِ إِمَّا بِحَقِّ وَإِمَّا ظُلْمِ
مِ مَا لَمْ يَجِدْ عَارِمًا يَمْتَرِمُ (١)
تَنْمُ نَوْمَةً لَيْسَ فِيهَا حُلْمٌ
فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَخُوهُ :

إِنْ يَكُنْ خَانَكَ الزَّمَانُ فَلَاعَا
وَيَعِينِ الْإِلَهَ لَوْ أَنْ جَاوَا
ذَاتِ رِزٍّ مُجْتَابَةً غَمْرَةَ الْمَوْتِ
كُنْتَ فِي حَمِيهَا ، لِحِنَّكَ أَسْعَى
أَوْ بِمَالٍ سُمِّلْتُ دُونَكَ لَمْ يُمْدْ
أَوْ بَارِضٍ أَسْطَبِعُ آتِيكَ فِيهَا
فِي الْأَعَادِي وَأَنْتَ مَنِّي بَعِيدٌ
إِنْ تَفْتَنِي وَأَلْفُ الْفَجُوعَا
فَلَمَعِمِرِي لَنْ جَزَعْتُ عَلَيْهِ
وَلَمَعِمِرِي لَنْ مَلَكَتُ عَزَائِي
جِزٌ بَاعٍ وَلَا أَلْفٌ ضَعِيفٌ (٢)
طَحُونَا تَضِي فِيهَا السُّيُوفُ (٣)
تِ صَحِيحٌ سِرٌّ بِالْهَامِ كُفُوفٌ (٤)
فَاعَلَمَنْ لَوْ سَمِعْتَ إِذْ تَسْتَضِيفُ (٥)
نَعْ تِلَادٌ لِحَاجَةٍ أَوْ طَرِيفٌ (٦)
لَمْ يَهْدِنِي بَعِيدَهَا أَوْ مَخُوفٌ (٧)
عَزٌّ هَذَا الزَّمَانُ وَالتَّعْرِيفُ
لَا يُعَقِّبُكَ مَا يَصُوبُ الْخَرِيفُ
لَجَزُوعٌ عَلَى الصَّدِيقِ أَسُوفُ
لِقَلِيلٍ شُرُوكٍ فِيهَا أَطُوفُ (٨)

١٠٢٢/١

فَرَعَمُوا أَنْ أَيْبًا لَمَّا قَرَأَ كِتَابَ عَدِي قَامَ إِلَى كَسْرِي فَكَلَّمَهُ ، فَكَتَبَ وَبَعَثَ

- (١) كَذَا فِي الطَّبْرِي وَالْأَغَانِي . وَفِي اللِّسَانِ ١٥ : ٢٨٩ : « وَلَا تَلْقَيْنِ كَأَمِ الْغَلَامِ » ، وَرَوَى عَنِ الْأَزْهَرِيِّ : « كَذَاتِ الْغَلَامِ مَا لَمْ تَجِدْ » ، وَقَالَ فِي شَرْحِهِ : أَرَادَ بِذَاتِ الْغَلَامِ الْأُمَّ الْمَرْضُوعَ .
(٢) الْأَلْفُ : الثَّقِيلُ الْبَطُورُ .
(٣) الْجَاوَاءُ ، مِنْ وَصْفِ الْكُتَيْبَةِ ؛ يُقَالُ : كُتَيْبَةٌ جَاوَاءٌ ، أَيْ بَيْنَةُ الْجَاوِي ، وَهِيَ الَّتِي يَعْلَمُ لَوْنَهَا السُّوَادَ لِكَثْرَةِ الدَّرُوعِ .
(٤) الرِّزُّ : الصَّوْتُ يَسْمَعُ مِنْ بَعِيدٍ ، وَالسَّرِبَالُ : الْقَمِيصُ . وَالْمَكْفُوفُ ، مَنْ كَفَفَتْ الثُّوبَ إِذَا خَطَّتْ حَاشِيَتَهُ .
(٥) تَسْتَضِيفُ : تَسْتَجِيرُ .
(٦) الْأَغَانِي : « سَأَلْتُ » . بِالْبِنَاءِ الْمَعْلُومِ .
(٧) الْأَغَانِي : « وَالتَّعْنِيفُ » .
(٨) شُرُوكٌ : مِثْلُكَ .

١٠٢٣/١ معرجلا ، وكتب خليفة النعمان إليه : إنه قد كتب إليك [في أمره] ^(١) . فأتاه أعداء عدى من بني بَقِيلَةَ ^(٢) من غَسَّان ، فقالوا : اقتله الساعة ، فأبى عليهم وجاء الرجل ^(٣) ، وقد تقدم أخو عدى إليه ورشاه ، وأمره أن يبدأ بعدى ، فدخل عليه وهو محبوس بالصنَّين ، فقال : ادخل عليه فانظر ما يأمرك به ، فدخل الرسول على عدى ، فقال : إني قد جئت بإرسالك ، فما عندك ؟ قال : عندي الذي تحب ، ووعده عِدَّة ، وقال : لا تخرجن من عندي ، وأعطني الكتاب حتى أرسل به ، فإنك والله إن خرجت من عندي لأقتلن ، فقال : لا أستطيع إلا أن آتي الملك بالكتاب ، فأدخله عليه ، فانطلق مخبر حتى أتى النعمان ، فقال : إن رسول كسرى قد دخل على عدى وهو ذاهب به ، وإن فعل والله لم يستبق منا أحدا ، أنت ولا غيرك . فبعث إليه النعمان أعداءه فغموه ^(٤) حتى مات ، ثم دفنوه .

ودخل الرسول على النعمان بالكتاب ، فقال : نعم وكرامة ! وبعث إليه بأربعة آلاف مِثْقَالٍ وجارية ، وقال له : إذا أصبحت فادخل عليه ، فأخرجه أنت بنفسك . فلما أصبح ركب ، فدخل السُّجْن ، فقال له الحراس : إنه قد مات منذ أيام ، فلم نجري على أن نخبر الملك للفرق منه ، وقد علمنا كراهته لموته . فرجع إلى النعمان فقال : إني قد دخلت عليه وهو حي ، [وجئت اليوم فسجحتني السجنان وبهتني . وذكر له أنه قد مات منذ أيام] ^(٥) فقال له النعمان : يبعثك الملك إلى فتدخل إليه قبلي ! كاذبت ، ولكنك أردت الرشوة والخبث . فتهدده ثم زاده جائزة وأكرمه ، واستوثق منه ألا يخبر كسرى ؛ إلا إنه قد مات قبل أن يقدم عليه . ١٠٢٤/١

فرجع الرسول إلى كسرى ، فقال : إنه قد مات قبل أن أدخل عليه ،

(١) تكله من الأغاني .

(٢) بقيلة : بطن من الحيرة .

(٣) الأغاني : « الرسول » .

(٤) غموه ، أى غطوا وجهه بشيء حتى مات .

(٥) من رواية الأغاني .

ونديم النعمان على موت عدى، واجترأ أعداء عدى على النعمان؛ وهاجهم النعمان هيبة شديدة، فخرج النعمان في بعض صبيده ذات يوم، فلقى أبنا عدى، يقال له زيد، فلما رآه عرف شبهه، فقال: من أنت؟ قال: أنا زيد بن عدى بن زيد، فكلّمه فإذا غلام ظريف، ففرح به فرحاً شديداً: وقرب به وأعطاه. واعتذر إليه من أمر أبيه، وجهزه^(١)، ثم كتب إلى كسرى^(٢) إن عبدياً كان ممن أعين به الملك في نصحه ولبته، فأصابه ما لا بد منه، وانقضت مدته، وانقطع أكله، ولم يُصَبْ به أحد أشدّ من مصيبي: وأما الملك فلم يكن لينقيد رجلاً إلا جعل الله له منه خائفاً: لما عظم الله له من ملكه وشأنه، وقد أدرك له ابن ليس دونه، وقد سرّحتُه إلى الملك، فإن رأى الملك أن يجعله مكان أبيه، فليُفعل.

فلما قدم الغلام على كسرى جعله مكان أبيه، وصرف عمه إلى عمل آخر، فكان هو الذي يلي ما كتّبت به إلى أرض العرب، وخاصة الملك. وكانت له من العرب وظيفة موظفة في كل سنة: مُهران أشقران والكسماة الرطبة في حينها واليابسة، والأقيط والأدوم وسائر تجارات العرب، فكان زيد بن عدى بن زيد يلي ذلك، وكان هذا عمل عدى.

فلما وقع عند الملك بهذا الموقع، سأله كسرى عن النعمان، فأحسن عليه الثناء، فكثت سنوات بمنزلة أبيه، وأعجب به كسرى، وكان يُكثر الدخول عليه، وكانت للوك الأعاجم صفة من النساء مكتوبة عندهم، فكانوا يبعثون في تلك الأرضين بتلك الصفة، [فإذا وجدت حملت إلى الملك]^(٣) غير^(٤) أنهم لم يكونوا يتناولون أرض العرب بشيء من ذلك، ولا يريدونه. فبدأ الملك في طلب النساء فكتب بتلك الصفة^(٤). ثم دخل على كسرى فكلّمه فيما دخل فيه،

(١) جهزه: أعد له معدات السفر.

(٢) ح: «وانقضى»، والأغاني: «وانقضت مدته وانقضى أجله».

(٣) تكلة من رواية الأغاني.

(٤ - ٤) رواية الأغاني: «غير أنهم لم يكونوا يطلبونها في أرض العرب ولا يظنونها عندهم».

ثم إنه بدأ للملك في طلب تلك الصفة، وأمر فكتب بها إلى النواحي.

ثم قال : إننى رأيت الملك كتب فى نسوة يُطلَبن له ، فقرأت الصفة ، وقد كنت بآل المنذر عالماً ، وعند عبدك النعمان من بناته وبنات عمته وأهله أكثر من عشرين امرأة على هذه الصفة . قال : فتكتب فيهن . قال : أيتها الملك، إن شئاً فى العرب وفى النعمان [خاصة] ^(١) أنهم يتكرمون - زعموا فى أنفسهم - عن العجم ، فأنا أكره أن يغيبتهن [عمن تبعث إليه ، أو يعرض عليه غيرهن] ^(٢) ، وإن قدمتُ أنا عليه لم يقدر أن يغيبتهن ، فابعثنى وابعث معى رجلاً من حرسك ^(٣) يفقه العربية ، [حتى أبلغ ما تحبه] ^(٤) . فبعث معى رجلاً جليداً ^(٥) ، فخرج به زيد ، فجعل يكرم ذلك الرجل ويأطِّفه حتى بلغ الحيرة .

فلما دخل عليه أعظم الملك ، وقال : إنه قد احتاج إلى نساء لأهله وولده ، وأراد كرامتك [بصهره] ^(٦) ، فبعث إليك . فقال : وما هؤلاء النسوة ؟ فقال : هذه صفتهن قد جئنا بها .

وكانت الصفة أن المنذر الأكبر أهدى إلى أنوشروان جارية ، كان أصابها إذ أغار على الحارث الأكبر الغسانی بن أبى شمير، فكتب إلى أنوشروان يصفها ^(٧) له، [وقال : إنى قد وجهت إلى الملك جارية] ^(٨) معتدلة الخلق ، نقيّة اللون والشعر، بيضاء، قمراء، وطفاء ^(٩) ، [كحلاء] ^(١٠) دعجاء ^(١١) ، حوراء ^(١٢) ، عيناء ^(١٣) ، قنواء ^(١٤) ، شماء ^(١٥) ، زجاء ^(١٦) ، برجاء ^(١٧) ، أسيلة الخلد ^(١٨) ، شهية القدر ^(١٩) ،

(١) تكملة من رواية الأغاني .

(٢) الأغاني : « جلداهما » .

(٣) الأغاني : « بصفتها » .

(٤) الوظفاء : غزيرة الإهاب وشمر الحاجبين .

(٥) الدعجاء : شديدة سواد العين مع شدة بياض البياض .

(٦) الحور : اسوداد العين كلها مثل الظباء ، ولا يكون فى بنى آدم إلا على الاستمارة .

(٧) العين : سعة العين .

(٨) القنواء ، من القنأ ، وهو ارتفاع فى أعلى الأنف واحدياب فى وسطه وسبوغ فى طوره .

(٩) الشم فى الأنف : ارتفاع القصبة وحسها .

(١٠) الزجاء : دقيقة الحاجبين فى طول .

(١١) البرجاء : الحمينة الحسنة .

(١٢) الخلد الأسيل : الطويل المسترسل الأملس .

(١٣) الأغاني : « شهية القبل » .

جَثَلَةَ الشَّعْرِ (١) ، عَظِيمَةَ الهَامَةِ ، بَعِيدَةَ مَهْوَى القَرِطِ ، عِطَاءَ (٢) ،
 عَرِيضَةَ الصَّدْرِ ، كَاعِبَ التَّدْنَى ، ضَخْمَةَ مُشَاشَةِ المُنْكَبِ (٣) والعَضُدِ ،
 حَسَنَةَ المِعْصَمِ ، لَطِيفَةَ الكَفِّ ، سَبَّطَةَ البَنَانِ ، لَطِيفَةَ طَيِّ البَطْنِ ، (٤)
 خَمِيصَةَ الخَصْرِ ، غَرَّتِي الوِشَاحِ (٥) ، رَدَاحَ (٦) القَبْلِ ، رَابِيَةَ الكَفْلِ ، لَفَاءَ
 الفَخْذَيْنِ (٧) ، رَبِيَا الرُّوَادِفِ ، ضَخْمَةَ المَأْكَمَتَيْنِ (٨) ، عَظِيمَةَ الرُّكْبَةِ
 مُفْعَمَةَ السَّاقِ (٩) ، مُشْبَعَةَ الخَلْخَالِ (١٠) ، لَطِيفَةَ الكَعْبِ والقَدَمِ ،
 قَطُوفَ المَشْيِ (١١) ، مِكَسَالَ الضُّحَى (١٢) ، بَضَّةَ المَتَجَرِّدِ (١٣) ، سَمُوعًا
 لِلسَّيِّدِ ، لَيْسَتْ بِخُنْسَاءَ (١٤) ، وَلَا سَعْفَاءَ (١٥) ، ذَلِيلَةَ الأنْفِ (١٦) . عَزِيزَةَ النَّفْرِ ،
 لَمْ تُغْنِدَ فِي بُوْسٍ ، حَيِيَّةَ رَزِينَةَ ، حَلِيمَةَ رَكِينَةَ ، كَرِيمَةَ الخَالِ ، تَقْتَصِرُ
 بِنَسَبِ أَبِيهَا دُونَ فَصِيلَتِهَا ، وَبِفَصِيلَتِهَا دُونَ جِمَاعِ قَبِيلَتِهَا . قَدْ أَحْكَمْتِهَا
 الأُمُورَ فِي الأَدَبِ ، فَرَأَيْهَا رَأَى أَهْلَ الشَّرَفِ ، وَعَمَلُهَا عَمَلُ أَهْلِ الحَاجَةِ ،

-
- (١) الجثلة : كثيفة الشعر سوداؤه .
 (٢) العيطاء : الطويلة العنق .
 (٣) المشاشة : رأس العظم .
 (٤) الأغاني : « ضامرة البطن » .
 (٥) غرئي الوشاح : دقيقة الخصر .
 (٦) الرداح : العجزاء الثقيلة الأوراك التامة الخلق . والقبل : ما استقبلك من مشرف .
 (٧) اللفاء : الضخمة الفخذين المكنزتهما .
 (٨) المأكمتان : اللحمتان اللتان على رهوس الوركين .
 (٩) مفعمة الساق : يمتلئها .
 (١٠) مشبعة الخلخال : كناية عن سمن الساقين .
 (١١) القطوف ، من القطف ؛ وهو تقارب الخطو .
 (١٢) المكسال : المرأة لا تكاد تبرح مجلسها ؛ وهو مدح لها عندهم ؛ كقولهم : « نثوم الضحى » .
 (١٣) البضة : الناعمة .
 (١٤) الخنساء ، من الخنس وهو تأخر الأنف إلى الرأس وارتفاعه عن الشفة ، ليس بطويل ولا مشرف .
 (١٥) السعفاء ؛ من السفع وهو السواد .
 (١٦) الأغاني : « رقيقة الأنف » .

صناع الكفّين ، قطيعة اللسان^(١) ، رهوة الصوت^(٢) ، تزين البيت^(٣) ،
وتشين العدو ، إن أردتها اشتهدت ، وإن تركتها انتهت ، تحمليق
عينها ، وتحمر وجنتها ، وتذبذب شفثاها ، وتبادرك الوثبة ، [ولا تجلس إلا
بأمرك إذا جلست]^(٤) .

فقبلتها كسرى ، وأمر بإثبات هذه الصفة في دواوينه ؛ فلم يزالوا يتوارثونها
حتى أفضى ذلك إلى كسرى بن هرمز ، فقرأ عليه زيد هذه الصفة ، فشق^(٥)
عليه ، فقال لزيد - والرسول يسمع : أما^(٥) في عين السواد وفارس ما تبلغون
حاجتكم ! فقال الرسول لزيد : ما العين؟ قال : البقر ، فقال زيد للنعمان : إنما أراد
كرامتك ؛ ولو علم أن هذا يشق عليك لم يكتب إليك به^(٥) .

فأنزلها يومئذ ، ثم كتب إلى كسرى : إن الذي طلب الملك ليس عندي ،
وقال لزيد : اعذرني عنده ، فلما رجع إلى كسرى ، قال زيد للرسول الذي جاء
معه : اصدق الملك الذي سمعت^(٦) منه ، فأبى سأحاده بحديثك ولا أخالفك
فيه . فلما دخلا على كسرى ، قال زيد : هذا كتابه ، فقرأه عليه ، فقال له
كسرى : فأين الذي كنت خبرتني [به]^(٧)؟ قال : قد كنت أخبرتك بضئهم
بنسائهم على غيرهم ، وأن ذلك من شقائهم واختيارهم الجوع والعري على الشبع
والرياش ، واختيارهم السموم والرياح على طيب أرضك هذه ، حتى إنهم
ليسمونها السجن ؛ فسل هذا الرسول [الذي كان]^(٧) معي عن الذي قال ،^(٨) فأبى أكرم
الملك عن الذي قال ورد عليه أن أقوله^(٨) ، فقال للرسول : وما قال ؟ قال :
أبها الملك ، أما في بقر السواد [وفارس]^(٧) ما يكفيه حتى يطلب ما عندنا !

(١) قطيعة اللسان ، أى ليست سليطة .

(٢) رهوة الصوت : رقيقته سهته . (٢) الأغاني : الول

(٣) من رواية الأغاني .

(٤) الأغاني : « فشقت عليه » .

(٥ - ٥) رواية الأغاني : « أما في مها السواد وعين فارس ما يبلغ به كسرى حاجته ! فقال :
الرسول لزيد بالفارسية : ما المها والعين ؟ فقال له بالفارسية : كاوان ، أى البقر ، فأمسك الرسول
وقال زيد للنعمان : إنما أراد الملك كرامتك ، ولو علم أن هذا يشق عليك لم يكتب إليك به » .

(٦) الأغاني : « عما سمعت » . (٧) من الأغاني

(٨ - ٨) الأغاني : « فأبى أكرم الملك عن مشافهته بما قال وأجاب به » .

فعرِف الغضب في وجهه ، ووقع في قلبه منه ما وقع ، ولكنه قد قال ^(١) : رَبِّ عَبْدٍ قَدْ أَرَادَ مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْ هَذَا ، فَبَصِيرَ أَمْرِهِ إِلَى التَّيَابِ .

وشاع هذا الكلام ، فبلغ النعمان ^(٢) ، وسكت كسرى على ذلك أشهراً ، وجعل النعمان يستعدّ ويتوقع ؛ حتى أتاه كتابه : أن أقبيل فإن للمليك إليك حاجة ؛ فانطلق حين أتاه كتابه فحمل سلاحه ، وما قوَى عليه ، ثم لحق بجبلى

١٠٢٨/١

طبي . وكانت فرعة ابنة سعد بن حارثة بن لأم عنده ، وقد ولدت له رجلاً وامرأة ، وكانت أيضاً عنده زينب ابنة أوس بن حارثة ، فأراد النعمان طيئناً على أن يدخلوه [بين الجبلين] ^(٣) ويمنعوه . فأبوا ذلك عليه ، وقالوا : لو لا صهرك لقاتلناك ، فإنه لا حاجة لنا في معاداة كسرى ، [ولا طاقة لنا به] ^(٤) . فأقبل [يطوف على قبائل العرب] ^(٥) ليس أحد من الناس يقبله ، غير أن بني رواحة بن سعد ^(٦) من بني عبس قالوا : إن شئت قاتلنا معك - لمنة كانت له عندهم في أمر مروان القرظ ^(٥) - فقال : لا أحب أن أهلككم ، فإنه لا طاقة لكم بكسرى .

فأقبل حتى نزل بذي قار في بني شيبان سرّاً . فلقى هاني بن مسعود ابن عامر بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان . وكان سيدياً منيعاً ، والبيت يومئذ من ربيعة في آل ذي الجديين ، لقيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن ذي الجديين . وكان كسرى قد أطعم قيس بن مسعود الأبلّة ، فكره النعمان أن يدفع إليه أهله لذلك ، وعلم أن هانئاً مانعه مما يمنع منه نفسه .

وتوجه النعمان إلى كسرى ، فلقى زيد بن عدى على قنطرة سآباط ، فقال : انجُ نعيم ، [إن استطعت النجاء] ^(٦) . فقال : أنت يا زيد ، فعلت هذا ^(٦) ! أما

(١) رواية الأغاني : « ولكنه لم يزد على أن قال » .

(٢) الأغاني : « حتى بلغ النعمان » . (٣) تكلمة من رواية الأغاني .

(٤) الأغاني : « رواحة بن قطيعة بن عبس » .

(٥) هو مروان بن زباج العبسي ، أضيف إلى القرظ ؛ لأنه كان يفر من اليمن ، وبها بنيت .

(٦) رواية الأغاني : « أفلتها يا زيد ! »

والله لئن انفلتت لأفعلن بك ما فعلت بأبيك ! فقال له زيد : امض نعيم ، فقد والله وضعت لك عنده أخية^(١) لا يقطعها المهر الأرن^(٢) . فلما بلغ كسرى أنه بالباب بعث إليه ، فقيده وبعث به إلى خانتين ، فلم يزل في السجن حتى وقع الطاعون فمات فيه ، والناس يظنون أنه مات بساباط لبيت قاله الأعشى :

فذاك وما أنجى من الموتِ ربّه بساباط حتى مات، وهو محرزق^(٣)

وإنما هلك بيخانتين ، وهذا قبيل الإسلام ، فلم يلبث إلا يسيراً حتى بعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم ، وكان سبب وقعة ذي قار بسبب النعمان^(٤) .

١٠٢٩/١

وحدثت عن أبي عبيدة معمر بن المثنى ، قال : حدثنا أبو المختار فراس بن خنداق ، وعدة من علماء العرب قد سمّاهم ، أن النعمان لما قتل عدياً كاد أخو عدي وابنه النعمان عند كسرى ، وحرّفا كتاب اعتذاره إليه بشيء غضب منه كسرى ، فأمر بقتله ، وكان النعمان لما خاف كسرى استودع هاني بن مسعود بن عامر الحصيب بن عمرو المزدلف بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة ، حلقته ونعمته سلاحاً غير ذلك ، وذلك أن النعمان كان بناتاه ابنتين له .

— قال أبو عبيدة : وقال بعضهم : لم يدرك هاني بن مسعود هذا الأمر ، إنما هو هاني بن قبيصة بن هاني بن مسعود . وهو الشبّيت عندي —
فلما قتل كسرى النعمان ، استعمل إياس بن قبيصة الطائي على الحيرة وما كان عليه النعمان . قال أبو عبيدة : كان كسرى لما هرب من بهرام مرّ بإياس بن قبيصة فأهدى له فرساً وجزوراً ، فشكر ذلك له كسرى .

(١) الأخية في الأصل : أن يدفن طرفاً الخيل في الأرض وفيها عصية أو حجر ، ويظهر منه مثل عروة تشد بها الدابة .
(٢) الأرن : الشيط .

(٣) ديوانه ١٤٧ . وحرزق الرجل ، أي حبسه ؛ وهذه رواية الطبري والديوان ، وفي الأغاني :
« حرزق » ، وهما بمعنى . قال التوزي : قلت لأبي زيد الأنصاري : أنتم تنشرون قول الأعشى : « حتى
« وهو محرزق » ، وأبو عمر الشيباني ينشده « محرزق » ، بتقديم الراء على الزاي ؟ فقال : إنها
دست . وأم أبي عمرو نطية . فهو أعلم بها منا . (٤) الخبر في الأغاني ٢ : ١٠٥ - ١٢٨

فبعث كسرى إلى إياس : أين تركة النعمان ؟ قال : قد أحرزها في بكتر بن وائل ، فأمر كسرى إياساً أن يضم ما كان للنعمان ويبعث [به] ^(١) إليه ، فبعث إياس إلى هاني : أن أرسل إلى ما استودعك النعمان من الدروع ١٠٣٠/١ وغيرها - والمقلل يقول : كانت أربعمئة درع ، والمكثّر يقول : كانت ثمانمئة درع - فأبى هاني أن يسلم خفارته . قال : فلما منعها هاني ، غضب كسرى وأظهر أنه يستأصل بكر بن وائل - وعنده يومئذ النعمان بن زُرعة التغلبي ، وهو يحب هلاك بكر بن وائل - فقال لكسرى : يا خير الملوك ، أدلتك على غيرة بكر ؟ قال نعم . قال أمهلها حتى تتميظ . فإنهم لو قد قاطوا تساقطوا على ماء لهم يقال له ذو قار ، تساقط القراش في النار ، فأخذتهم كيف شئت ، وأنا أكفيكمهم . فترجموا له قوله : « تساقطوا تساقط القراش في النار » : فأقرهم حتى إذا قاطوا . جاءت بكر بن وائل فنزلت الحنو . حنوذي قار ؛ وهي من ذى قار [على مسيرة] ^(١) ليلة . فأرسل إليهم كسرى النعمان بن زُرعة : أن اختاروا واحدة من ثلاث خصال ، فنزل النعمان على هاني ثم قال له : أنا رسولُ الملك إليكم أخيركم ثلاث خصال : إما أن تعطوا بأيديكم فيحكم فيكم الملك بما شاء ، وإما أن تُعمرُوا الديار ، وإما أن تأذنوا بحرب .

فتوامروا فولتوا أمرهم حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلي ، وكانوا يتيمينون به فقال لهم : لا أرى إلا القتال ، لأنكم إن أعطيت بأيديكم قتلتم وسبيت ذراريكم ، وإن هربتم قتلتم العطش ، وتلقاكم نيم فتهلككم . فأذنوا الملك بحرب . فبعث الملك إلى إياس والسي المامرز التستري - وكان مسلحاً بالقسطقطانة - وإلى جلابزين ^(٢) - وكان مسلحاً ببارق - وكتب كسرى إلى قيس بن مسعود ابن قيس بن خالد بن ذى الجدين - وكان كسرى استعمله على طف ١٠٣١/١ سفوان - أن يوافقوا إياساً ، فإذا اجتمعوا فإياس على الناس . وجاءت الفرس معها الجنود والفيول عليها الأساور ، وقد بُعِث النبي صلى الله عليه وسلم ورقاً أمر فارس ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اليوم انتصفت العرب من العجم » ،

(١) تكلة مزح .

(٢) في النفاض : « خنابزين » .

فحفظ ذلك اليوم؛ فإذا هو يوم الوقعة . فلما دنت جيوش الفرس بمن معهم انسل قيسُ بن مسعود ليلاً فأتى هانثاً ، فقال له : أعط قومك سلاح النعمان فيقووا ، فإن هلكوا كان تبعاً لأنفسهم ، وكنت قد أخذت بالحزم ، وإن ظفروا ردوه عليك . ففعل وقسم الدروع والسلاح في ذوى^(١) القسوى والجلد من قومه . فلما دنا الجمع من بكر ، قال لهم هانث : يا معشر بكر ، إنّه لا طاقة لكم بجنود كسرى ومن معهم من العرب ، فاركبوا الفلاة . فتسارع الناس إلى ذلك ، فوثب حنظلة بن ثعلبة بن سيار فقال له : إنما أردت نجاتنا فلم تزد على أن ألقيتنا في الهلكة ، فردّ الناس وقطع وضمن الهوادج لئلا تستطيع بكر أن تسوق نساءهم إن هربوا - فسمى «مقطع الوضن» ، وهي حزم الرّحال . ويقال : مقطع البطن ، والبطن حزم الأقتاب - وضرب حنظلة على نفسه قبة بسطحاء ذى قار ، وآلى ألا يفِر حتى تفرّ القبة . فمضى من مضي من الناس ، ورجع أكثرهم ، واستقوا ماء لنصف شهر ، فأتتهم العجم ، فقاتلتهم بالخنو . فجزعت العجم من العطش ، فهربت ولم تقم لمحاصرهم ، فهربت إلى الجبابات ، فتبعتهم بكر ، وعجل أوائل بكر ، فتقدمت عجل ، وأبليت يومئذ بلاء حسناً ، واضطمت عليهم جنود العجم ، فقال الناس : هلكت عجل ، ثم حملت بكر فوجدوا عجلاً ثابتة تقايل ، وامرأة منهم تقول :

١٠٣٢/١

إِنْ يَظْفَرُوا يَحْرُزُوا فِينَا الْفُرْلُ إِيهَا فِدَاءُ لَكُمْ بَنِي عَجَلٍ ۱
وتقول أيضاً تحضض الناس :

إِنْ تَهَزَمُوا نَعَانِقُ وَنَفْرِي النَّمَارِقُ
أَوْ تَهَرَّبُوا نُفَارِقُ فِرَاقَ غَيْرِ وَامِقُ

فقاتلوهم بالجبابات يوماً . ثم عطش الأعاجم فالوا إلى بطحاء ذى قار ، فأرسلت إباد إلى بكر سرّاً - وكانوا أعواناً على بكر مع إياس بن قبيصة : أى الأمرين أعجب إليكم ؟ أن نظير تحت ليلتنا فنذهب ، أو نقيم ونفر حين تلاقوا

(١) ط : « ذى » ، وما أثبت عن ح .

القوم ؟ قالوا : بل تقيمون ، فإذا التى القوم انهزمت بهم . قال : فصبتحتهم بكر بن وائل ، والظعن واقفة يدمرُن الرجال على القتال . وقال يزيد بن حمار السكوني - وكان حليفاً لبني شيبان - : يا بني شيبان ، أطيعوني وأكثوني لهم كيناً . ففعلوا ، وجعلوا يزيد بن حمار رأسهم فكمناوا في مكان من ذى قار ، يسمى إلى اليوم الحب ، فاجتلدوا ، وعلى ميمنة إياس بن قبيصة الهامرز ، وعلى ميسرة الجلابزين ، وعلى ميمنة هاني بن قبيصة رئيس بكر يزيد بن مسهر الشيباني ، وعلى ميسرة حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلي ، وجعل الناس يتحاضون ويرجزون ، فقال حنظلة بن ثعلبة :

١٠٣٣/١

قَدْ شَاعَ أَشْيَاعُكُمْ فَجِدُّوا مَا عَلَّتِي وَأَنَا مُؤَدِّ جَلْدٍ^(١) !
وَالْقَوْسُ فِيهَا وَتَرٌّ عُرْدٌ مِثْلُ ذِرَاعِ الْبَكْرِ أَوْ أَشَدُّ
قَدْ جَعَلْتَ أَخْبَارُ قَوْمِي تَبْدُو إِنَّ الْمَنَايَا لَيْسَ مِنْهَا بَدُّ
هَذَا عَمِيرٌ تَحْتَهُ أَلْدُ يَقْدُمُهُ لَيْسَ لَهُ مَرْدٌ
حَتَّى يَعُودَ كَالْكُمَيْتِ الْوَرْدُ خَلُّوا بَنِي شَيْبَانَ وَاسْتَبِدُّوا
• نَفْسِي فِدَاكُمْ وَأَبِي وَالْجَدِّ^(٢) •

وقال حنظلة أيضاً :

يَا قَوْمِ طِيبُوا بِالْقِتَالِ نَفْسًا أَجْدَرُ يَوْمٍ أَنْ تَفْلُوا الْقُرْمَا

وقال يزيد بن المكسر بن حنظلة بن ثعلبة بن سيار :

مَنْ فَرَّ مِنْكُمْ فَرًّا عَنْ حَرِيمِهِ وَجَارِهِ ، وَفَرًّا عَنْ نَدِيمِهِ
أَنَا ابْنُ سَيَّارٍ عَلَى شَكِيمِهِ إِنَّ الشَّرَاكَ قَدْ مِنْ أَدِيمِهِ^(٣)
وَكُلُّهُمْ يَجْرِي عَلَى قَدِيمِهِ مِنْ قَارِحِ الْهُجْنَةِ أَوْ صِيمِهِ

(١) المودي : فوالأداة التامة من السلاح .

(٢) ح : « فدتكم » .

(٣) الشراك : سير النمل ، وقد : قطع ، والأديم : الجلد المدبوغ .

قال فراس : ثم صيروا الأمر بعد هاني إلى حنظلة ، قال إلى مارية ابنته - وهي أم عشرة نفر ؛ أحدهم جابر بن أيجر - فقطع وضينها فوقعت إلى الأرض وقطع وضن النساء ، فوقعن إلى الأرض ، ونادت ابنة القرين الشيبانية حين وقعت النساء إلى الأرض :

وَيْهَاءَ بَنِي شَيْبَانَ صَفًّا بَعْدَ صَفِّ إِنْ تَهَزَّمُوا يُصَبِّغُوا فِينَا الْقَلْفَ

فقطعت سبعمائة من بني شيبان أيدي أقبيتهم من قبل مناكبهم ؛ لأن تخيف أيديهم بضرب السيوف ، فجالدوهم . ١٠٣٤/١

قال : ونادى الهامرز : مررد ومررد ، فقال بررد بن حارثة الشكري : ما يقول ؟ قالوا : يدعو إلى البراز رجل ورجل ، قال : وأبيكم لقد أنصف . فبرز له فقتله برد ، فقال سويد بن أبي كاهل :

وَمِنَّا بَرِيدٌ إِذْ تَحَدَّى جُمُوعَكُمْ فَلَمْ تُقْرِبُوهُ الْمَرْزُبَانَ الْمَسُورَا

أي لم تجعلوه . ونادى حنظلة بن ثعلبة بن سيار : يا قوم لا تقفوا لهم فيستغرقكم النشاب ، فحملت ميسرة بكر وعليها حنظلة على ميمنة الجيش ، وقد قتل بررد منهم رئيسهم الهامرز ؛ وحملت ميمنة بكر وعليها يزيد بن مسهر على ميسرة الجيش ، وعليهم جلابزين ، وخرج الكمين من جب ذي قار من ورأهم ، وعليهم يزيد بن حمار ، فشدوا على قلب الجيش ، وفيهم إياس ابن قبيصة ، وولت إباد منهزمة كما وعلتهم ، وانهمزت الفرس .

قال سليط : فحدثنا أسراؤنا الذين كانوا فيهم يومئذ ، قالوا : فلما التقى الناس ، ولت بكر منهزمة ، فقلنا : يريدون الماء ، فلما قطعوا الوادي فصاروا من ورائه ، وجاوزوا الماء ، قلنا : هي الهزيمة ، وذلك في حر الظهيرة وفي يوم قانظ ، فأقبلت كتيبة عجل كأنهم طن قصب ، لا يفوت بعضهم بعضاً ، لا يمتعون هرباً ، ولا يخالطون القوم . ثم تدامروا فزحفوا فرموهم بجباههم ، فلم تكن إلا إياها ، فأمالوا بأيديهم ، فولتوا ، فقتلوا الفرس ومن معهم ؛ ما بين بطحاء ذي قار ، حتى بلغوا الراحضة . ١٠٣٥/١

قال فراس : فخبرت أنه تبعه تسعون فارساً^(١) ، لم ينظروا إلى سلب ولا

(١) كذا في النقاير ، والمبارة في ط مصحفه .

إلى شيء حتى تعارفوا بأدم (موضع قريب من ذي قار) ، فوجد ثلاثون فارساً من بني عجل ، ومن سائر بيكر ستون فارساً ، وقتلوا جلابزين ؛ قتله حنظلة بن ثعلبة . وقال ميمون بن قيس بمدح بني شيبان خاصة في قوله :

فِدَى لِبَنِي ذُهَلِ بْنِ شَيْبَانَ نَاقَتِي وَرَاكِبَهَا يَوْمَ الْمَقَاءِ ، وَقَلَّتِ (١)
هُمْ ضَرَبُوا بِالْحِنُوِّ ، حِنُوِّ قَرَاقِرٍ مُقَدَّمَةَ الْهَامِرِزِ حَتَّى تَوَلَّتِ
وَأَفْلَتْنَا قَيْسٌ وَقَلَّتْ لَعَلَّهُ هُنَالِكَ لَوْ كَانَتْ بِهِ النَّعْلُ زَلَّتِ (٢)

فهذا يدل على أن قيساً قد شهد ذا قار .

وقال بكير ، أصم بن الحارث بن عباد . بمدح بني شيبان :

إِنْ كُنْتُ سَاقِيَةَ الْمُدَامَةِ أَهْلَهَا فَاسْقِي عَلَيَّ كَرَمِ بَنِي هَمَامٍ
وَأَبَا رَبِيعَةَ كُكَلَهَا وَمُحَلَّمًا سَبَقًا بِغَايَةِ أُمَجْدِ الْأَيَّامِ
ضَرَبُوا بَنِي الْأَحْرَارِ يَوْمَ لِقَاؤِهِمْ بِالْمَشْرِفِيِّ عَلَيَّ مَقِيلِ الْهَامِ
عَرَبًا ثَلَاثَةَ أَلْفٍ وَكَتِيبَةَ أَلْفَيْنِ أُعْجِمَ مِنْ بَنِي الْقَدَامِ
شَدَّ ابْنُ قَيْسٍ شَدَّةً ذَهَبَتْ لَهَا ذِكْرِي لَهُ فِي مُعْرِقِ وَشَامِ
عَمْرُو وَمَا عَمْرُو بِقَحْمٍ دَالِهِ فِيهَا ، وَلَا عَمْرُو وَلَا بَغْلَامِ (٣)

فلما مدح الأعشى والأصم بنى شيبان خاصة غضبت اللهازم . فكان

أبو كلبة ، أحد بني قيس يؤذنها بذلك :

جُدُّعْتَمَا شَاعِرِي قَوْمِ أُولَى حَسَبِ حُرَّتْ أَنْوْفُهُمَا حَزَا بِمِنْشَارِ
أَعْنَى الْأَصَمِّ وَأَعْشَانَا إِذَا اجْتَمَعَا فَلَا اسْتَعَانَا عَلَيَّ سَمْعٍ بِأَبْصَارِ

(١) ديوانه ١٧٩ ، وفي ط : « وفلت » ، والصواب ما أثبتته من الديوان .

(٢) رواية الديوان :

وَأَفْلَتَهُمْ قَيْسٌ فَقَلَّتْ لَعَلَّهُ يَبِلُ لَنْ كَانَتْ بِهِ النَّعْلُ زَلَّتِ

(٣) القم في الأصل : المهزول من الإبل ، والداله : الضعيف . وفي النقاظ : « دالف » .

لَوْلَا فَوَارِسُ لَامِيلٍ وَلَا عَزْلٌ^(١) مِّنَ اللَّهَازِمِ مَا قَاطَبُوا بِذِي قَارٍ
تَحْنُ أَتَيْنَاهُمْ مِّنْ عِنْدِ أَشْمَلِهِمْ كَمَا تَلْبَسُ وَرَادٌ بِصُدَّارٍ ؟

١٠٣٧/١ قال أبو عمرو بن العلاء : فلما بلغ الأعشى قول أبي كلبة ، قال : صدق .
وقال معتذراً مما قال :

مَتَى يُقَرَّنُ أَهْمٌ بِمَجْبَلٍ أَعَشَى يَتِيهَا فِي الضَّلَالِ وَفِي الخَطَارِ
فَلَسْتُ بِمُبْصِرٍ مَا قَدْ بَرَّاهُ وَلَيْسَ بِسَامِعٍ أَبَدًا حِوَارِي

وقال الأعشى في ذلك اليوم :

أَتَانَا عَنْ بَنِي الْأَحْرَا رِ قَوْلٌ لَمْ يَكُنْ أَمَّا^(٢)
أَرَادُوا نَحْتًا أَنْتِنَا وَكُنَّا نَمْنَعُ الخُطْمَا^(٣)

وقال أيضاً لقيس بن مسعود :

أَقَيْسُ بْنُ مَسْعُودٍ بْنُ قَيْسِ بْنِ خَالِدٍ وَأَنْتَ أَمْرٌ لَا تَرْجُو شَبَابَكَ وَائِلٌ
أَتَجْمَعُ فِي عَامِ غَزَاةٍ وَرِحْلَةٍ أَلَا لَيْتَ قَيْسًا غَرَّقَتْهُ الْقَوَابِلُ !

وقال أعشى بنى ربيعة :

وَتَحْنُ غَدَاةَ ذِي قَارٍ أَقَمْنَا وَقَدْ جَاءُوا بِهَا جَاءُوا فِلَقًا
وَقَدْ جَاءُوا بِهَا جَاءُوا فِلَقًا لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ حَتَّى تَجَلَّتْ
مُتَلَمَّةٌ كَتَابُهَا طَحُونًا فَوَلُونَا الدَّوَابِرَ وَانْقَوْنَا
ظِلَالُ دُجَاهُ عَنَا مُصْلِتِينَا وَذُدْنَا عَارِضَ الْأَحْرَارِ وَرُدَا
بُنْعْمَانَ بْنِ زُرْعَةَ أَكْتَعِينَا كَمَا وَرَدَ القَطَا الثَّمَدَ المَعِينَا

(١) ميل : جمع أميل ؛ وهو الذي لا سيف ولا سلاح معه كالأعزل .

(٢) ديوانه ٢٠٤ .

(٣) ديوانه ١٢٨ .

(٤) ديوان الأعشى ٢٨١ .

ذكر من كان على ثغر العرب من قبيل ملوك الفرس

بالحيرة بعد عمرو بن هند

١٠٢٨/١ قد مضى ذكرنا مَنْ كان يلي ذلك من قبيل ملوك الفرس من آل نصر ابن ربيعة إلى حين هلاك عمرو بن هند ، وقدر مدّة ولاية كل مَنْ ولى منهم ذلك ، ونذكر الآن مَنْ ولى ذلك لهم بعد عمرو بن هند ، إلى أن ولى ذلك لهم النعمان بن المنذر ، والذي ولى لهم ذلك بعد عمرو بن هند أخوه قابوس بن المنذر ، وأمه هند ابنة الحارث بن عمرو ، فولّى ذلك أربع سنين ، من ذلك في زمن أنوشيروان ثمانية أشهر ، وفي زمن هرمز بن أنوشروان ثلاث سنين وأربعة أشهر .

ثم ولى بعد قابوس بن المنذر السُّهْرَب .

ثم ولى بعده المنذر أبو النعمان أربع سنين .

ثم ولى بعده النعمان بن المنذر أبو قابوس اثنتين وعشرين سنة ، من ذلك زمن هرمز بن أنوشيروان سبع سنين وثمانية أشهر ، وفي زمن كسرى أبرويز ابن هرمز أربع عشرة سنة وأربعة أشهر .

ثم ولى إيّاس بن قبيصة الطائيّ ومعه النّخِيرجَان ، تسع سنين في زمن كسرى ابن هرمز . ولسته وثمانية أشهر من ولاية إيّاس بن قبيصة بَعِثَ النبي صلّى الله عليه وسلّم فيما زعم هشام بن محمد .

ثم استخلف آزاديه بن ماهان^(١) بن مِهْر بن نِداذ الهمدانيّ سبع عشرة سنة ، من ذلك في زمن كسرى بن هرمز أربع عشرة سنة وثمانية أشهر ، وفي زمن شيرويه بن كسرى ثمانية أشهر ، وفي زمن أردشير بن شيرويه سنة وسبعة أشهر ، وفي زمن بوران دُخْتُ بنت كسرى شهراً .

ثم ولى المنذر بن النعمان بن المنذر - وهو الذي تسمّيه العرب الغرور ، الذي قتل بالبحرين يوم جُوَاشِي ، إلى أن قدم خالد بن الوليد الحيرة - ثمانية شهر .

(١) كذا في تصويبات ط .

فكان آخر مَنْ بَقِيَ من آل نصر بن ربيعة ، فانقرض أمرهم مع زوال ملك فارس .

فجميع ملوك آل نصر - فيما زعم هشام - ومن استخلف من العبيد والفرس عشرون ملكًا . قال : وعدة ما ملكوا خمسمائة سنة واثنان وعشرون سنة وثمانية أشهر

• • •

رجع الحديث إلى ذكر المرزبان وولايته اليمن ، من قبيل هرْمَز وابنه أبرويز ، ومن وليها بعده :

حدثت عن هشام بن محمد ، قال : عزل هرْمَز بن كسرى وبن^(١) عن اليمن ، واستعمل مكانه المرزبان ، فأقام باليمن ، حتى ولد له بها ، وبلغ ولده . ثم إن أهل جبل من جبال اليمن يقال له المصانع^(٢) خالفوه ، وامتنعوا من حمل الحراج إليه - والمصانع جبل طويل ممتنع ، إلى جانبه جبل آخر قريب منه ، بينهما فضاء ليس بالبعيد ، إلا أنه لا يرام ولا يطمع فيه - فسار المرزبان إلى المصانع ، فلما انتهى إليه نظر إلى جبل لا يطمع في دخوله إلا من باب واحد ، يمتنع ذلك الباب رجل واحد ؛ فلما رأى أن لا سبيل له إليه ، صعد الجبل الذي يحاذي حصنهم ، فنظر إلى أضيق مكان منه وتحتة هواء ذاهب ، فلم ير شيئًا أقرب إلى افتتاح الحصن من ذلك الموضع ، فأمر أصحابه^(٣) أن يصطفوا له صفيين ، ثم يصيحوا به صيحة واحدة ، وضرب^(٤) فرسه فاستجمع حُضْرًا^(٥) ، ثم رمى به فوثب المضيق ، فإذا هو على رأس الحصن . فلما نظرت إليه حِمِير وإلى صنيعه قالوا : هذا أيم - والأيم بالحميرية شيطان - فانتهرهم وزبرهم بالفارسية ، وأمرهم أن يكتف بعضهم بعضًا ، فاستنزلهم من حصنهم ، وقتل طائفة منهم وسبى بعضهم^(٦) ، وكتب بالذي كان من أمره إلى كسرى

١٠٤٠/١

(١) ط : « زين » وأثبت ما في التصويبات . (٢) وقال ياقوت : « حصن يقال له المصانع » .

(٣) ت ، ح : « فأتى أصحابه فأمرهم » .

(٤) ط : « فضرب » ، وما أثبتت من ت ، ح .

(٥) الحضرة : ارتفاع الفرس في عدوه .

(٦) ت ، ح : « وسبى طائفة منهم » .

ابن هرمز . فتعجب من صنيعه ، وكتب إليه : أن استخلف من شئت ، وأقبل إلى .

قال : وكان للمروزان ابنان : أحدهما تعجبه العربية ، ويروى الشعر ، يقال له خُرَّ خُسْرَة ، والآخر أسوارٌ يتكلم بالفارسية ، ويتدهنقن ، فاستخلف المروزان ابنه خُرَّ خُسْرَة - وكان أحبَّ ولده إليه - على اليمن ، وسار حتى إذا كان في بعض بلاد العرب هلك ، فوضع في تابوت ، وحمل حتى قدم به على كسرى ، فأمر بذلك التابوت فوضع في خزانته ، وكتب عليه في هذا التابوت : فلان الذي صنع كذا وكذا ، قصته في الجبلين . ثم بلغ كسرى تعرب خرخسرة وروايته الشعر ، وتأدبه بأدب العرب ، فعزله ، وولى باذان ، وهو آخر من قدم اليمن من ولاية العجم .

وكان كسرى قد طغى لكثرة ما قد جمع من الأموال وأنواع الجواهر والأمتعة ^{١٠٤١/١} والكراع وافتتح من بلاد العدو ، وساعده من الأمور ، ورزق من مؤناته ، وبطير^(١) ، وشره شرها فاسداً ، وحسد الناس على ما في أيديهم من الأموال ، فولى جباية البقايا عِلْجاً من أهل قرية تدعى ^(٢) من طسوج بهر سير ؛ يقال له : فرخزاد بن سُمَى ، فسام الناس سوء العذاب ، وظلمهم واعتدى عليهم ، وغصبهم أموالهم في غير حله ، بسبب بقايا الخراج ، واستفْسدهم بذلك ، وضيق عليهم المعاش ، وبغض إليهم كسرى وملكه .

وحدثت عن هشام بن محمد ، أنه قال : كان أبرويز كسرى هذا قد جمع من الأموال ما لم يجمع أحدٌ من الملوك ، وبلغت خيلُه القُسْطَنْطِينِيَّةَ وإفريقيَّةَ ، وكان يشوب بالمدائن ، ويتصيف ما بينها وبين همذان ، وكان يقال : إنه كانت له اثنتا عشرة ألف امرأة وجارية ، وألف فيلٍ إلا واحداً ، وخمسون ألف دابة بين فرس وبردون وبغل ، وكان أرغب الناس في الجواهر والأواني وغير ذلك .

وأما غير هشام فإنه قال : كان [له] ^(٢) في قصره ثلاثة آلاف امرأة يطوئن ،

(١) ت ، ح : « واطر رأسه » .

(٢) من ر ، ل .

والوف جوارٍ اتخذهنّ للخدمة والغناء وغير ذلك ، وثلاثة آلاف رجل يقومون بخدمته ، وكانت له ثمانية آلاف وخمسمائة دابة لركبه ، وسبعمائة وستون فيلاً ، واثنان عشر ألف بغل لشقلية ، وأمر فبنيت بيوت النيران ، وأقام فيها اثني عشر ألف هيربند للزمنة . وإنه أمر أن يحصى ما اجتبى من خراج بلاده وتوابعه وسائر أبواب المال ، سنة ثمانى عشرة من ملكه ، فرُفع إليه أن الذى اجتبى في تلك السنة من الخراج وسائر أبوابه من الورق أربعمئة ألف ألف مثقال وعشرون ألف ألف مثقال ؛ يكون ذلك وزن سبعة ، ستمائة ألف ألف درهم ، وأمر فحوّل إلى بيت مال بني بمدينة طيسبون^(١) ، وسماه بهار حفرده خسرو ، وأموال له أخرى من ضرب فيروز بن يزدجرد وقياذ بن فيروز ، اثنا عشر ألف بدرة ، في كل بدرة منها من الورق أربعة آلاف مثقال ، يكون جميع ذلك ثمانية وأربعين ألف ألف مثقال ، وهو وزن سبعة ، ثمانية وستون ألف ألف وخمسمائة ألف واحد وسبعون ألفاً وأربعمئة وعشرون درهماً ونصف وثلث ثمن درهم ، في أنواع لا يحصى مبلغها إلا الله ، من الجواهر والكسبي وغير ذلك .

وإن كسرى احتقر الناس ، واستخفّ بما لا يستخفّ به الملك الرشيد الحازم ، وبلغ من عتوه وجبرأته على الله^(٢) أنه أمر رجلاً كان على حرس بابه الخاصّ - يقال له : زاذان فروخ - أن يقتل كل مقيّد في سجن من سجنه ، فأحصوا ، فبلغوا ستة وثلاثين ألفاً ، فلم يقدم زاذان فروخ على قتلهم ، وتقدم لتأخير ما أمر به كسرى فيهم ، لعل أعداءها له ، فكسب كسرى عداوة أهل مملكته من غير وجه ؛ أحد ذلك احتقاره إيتاهم ، وتصغيره عظماءهم . والثاني تسليطُ العليج فرخان زاد بن سمى عليهم ، والثالث أمره بقتل مَن كان في السجن ، والرابع إجماعه على قتل القلّ الذين انصرفوا إليه من قبل هيرقل والروم ؛ ففضى ناس من العظماء إلى عقر بابل ، وفيه شيرى بن أبرويز مع إخوته بها ، قد وكتل بهم مؤدبون يؤدّبونهم ، وأساوره يحولون

(١) ل ، ح : « طيسون » ر : « طيسور » .

(٢) ت ، ح : « عتوه على الله عز وجل وجبرأته عليه » .

بينهم وبين براح ذلك الموضع ، فأقبلوا به ، ودخل مدينة بتهر سير ليلا ،
فدخلت عمن كان في سجونها ، وخرج من كان فيها ، واجتمع إليه الفل الذين
كان كسرى أجمع على قتلهم ، فنادوا قباذ شاهنشاه ، وصاروا حين أصبحوا
إلى رحبة كسرى ، فهرب من كان في قصره من حرسه ، وانحاز كسرى بنفسه
إلى باغ له قريب من قصره ، ويدعى باغ الهيندوان فاراً مرعوباً ، وطلب
فأخذ ماة آذر وروز آذر^(١) ، وحبس في دار الملكة ، ودخل شيرويه دار ١٠٤٤/١
الملك ، واجتمع إليه الوجوه ، فلكوه وأرسل إلى أبيه يقرّعه بما كان منه .

وحدثت عن هشام بن محمد ، قال : وُلد لكسرى أبرويز ثمانية عشر
ولداً ذكراً ، أكبرهم شهريار ، وكانت شيرين تبنته ، فقال المنجمون
لكسرى : إنّه سيولد لبعض ولدك غلام ؛ ويكون خراب هذا المجلس وذهاب
هذا الملك على يديه ، وعلامته نقص في بعض بدنه ، فحُصِر ولده لذلك عن
النساء ، فكثروا حيناً لا يصلون إلى امرأة ، حتى شكوا ذلك شهريار إلى شيرين ،
وبعث إليها يشكو الشبّ ، ويسألها أن تُدخِل عليه امرأة وإلا قتل نفسه ؛
فأرسلت إليه : إنّي لا أصل إلى إدخال النساء عليك إلا أن تكون
امرأة لا يؤبه لها ، ولا يحمل بك أن تمسّها ، فقال لها : لست^(٢) أبالي
ما كانت ، بعد أن تكون امرأة . فأرسلت إليه بجارية كانت تحجمها ، وكانت
— فيما يزعمون — من بنات أشرافهم ؛ إلا أن شيرين كانت غضبت عليها
في بعض الأمور ، فأسلمتها في الحجّامين ؛ فلما أدخلتها على شهريار وثب
عليها ، فحملت بيزدجيرد ، فأمرت بها شيرين فقصّرت^(٣) حتى ولدت ، وكتمت
أمر الولد خمس سنين . ثم إنّه رأت من كسرى رقة للصبيان حين كبر ،
فقالت له : هل يسرك أيّها الملك أن ترى ولداً لبعض بنيك على ما كان في
ذلك من المكروه ؟ فقال : لا أبالي . فأمرت بيزدجيرد فطُيَّب وحلّي ،
وأدخلته عليه ، وقالت : هذا بيزدجيرد بن شهريار ، فدعا به فأجلسه في

(١) المعنى فيما يظهر أنه أخذ في شهر الربيع ويوم الربيع .

(٢) ت ، ح : « إنّي لست » . (٣) قصرت : حبست .

حِجْرَهُ ، وَقَبْلَهُ وَعَظْفَ عَلَيْهِ ، وَأَحْبَهُ ^(١) حَبًّا شَدِيدًا ، وَجَعَلَ بَيْتَهُ مَعَهُ ؛ فَبَيْنَا هُوَ يَلْعَبُ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ يَدَيْهِ ؛ إِذْ ذَكَرَ مَا قَبِلَ [فِيهِ] ^(٢) ، فَدَعَا بِهِ فَعَرَّاهُ مِنْ ثِيَابِهِ ، وَاسْتَقْبَلَهُ وَاسْتَدْبَرَهُ ، فَاسْتَبَانَ النِّقْصَ فِي أَحَدِ وَرِكَيْهِ ، فَاسْتَشَاطَ غَضَبًا وَأَسْفًا ، وَاحْتَمَلَهُ ^(٣) لِيَجْلِدَ بِهِ الْأَرْضَ ، فَتَعَلَّقَتْ بِهِ شِيرِينَ ، وَنَاشَدَتْهُ اللَّهُ الْأَى يَقْتُلَهُ ، وَقَالَتْ لَهُ : إِنَّهُ إِنْ يَكُنْ أَمْرٌ قَدْ حَضَرَ فِي هَذَا الْمَلِكِ فَلَيْسَ لَهُ مَرْدٌ . قَالَ : إِنْ هَذَا الْمَشْتُومُ ؛ الَّذِي ^(٤) أَخْبِرْتُ عَنْهُ ، فَأَخْرِجِيهِ فَلَا أَنْظُرْ إِلَيْهِ . فَأَمَرْتُ بِهِ فَحُمِلَ إِلَى سِجِيسْتَانَ .

وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ كَانَ بِالسَّوَادِ عِنْدَ ظُورْتِهِ فِي قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا خُمَانِيَّةَ . وَوُثِّبَ فَارِسٌ عَلَى كِسْرَى فَقَتَلَتْهُ ، وَسَاعَدَهُمْ عَلَى ذَلِكَ ابْنُهُ شِيْرُوِيَهْ بِنُ مَرْيَمَ الرَّومِيَّةَ .

وَكَانَ مَلِكُهُ ثَمَانِيًّا وَثَلَاثِينَ سَنَةً . وَلَمَضَى اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ سَنَةً وَخَمْسَةَ أَشْهُرَ وَخَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا مِنْ مَلِكِهِ هَاجَرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ .

...

[ذَكَرَ مَلِكَ شِيْرُوِيَهْ بِنُ أَبْرُوِيَز]

ثُمَّ مَلَكَ مِنْ بَعْدِهِ ابْنُهُ شِيْرُوِيَهْ ، وَاسْمُهُ قَبَاذُ بِنُ أَبْرِيَزُ بِنُ هُرْمَزُ بِنُ كِسْرَى أَنْوَشِيْرَوَانَ . فَذُكِرَ أَنَّ شِيْرُوِيَهْ لَمَّا مَلَكَ دَخَلَ عِظْمَاءَ الْفَرَسِ عَلَيْهِ بَعْدَ حَبْسِهِ ^(٥) أَبَاهُ ، فَقَالُوا لَهُ : إِنَّهُ لَا يَسْتَقِيمُ أَنْ يَكُونَ لَنَا مَلِكًا اثْنَانِ ، فِيمَا أَنْ تَقْتُلَ كِسْرَى وَنَحْنُ خَوَلُوكَ الْبَاخِعُونَ لَكَ بِالطَّاعَةِ ، وَإِمَّا أَنْ نَخْلَعَكَ وَنُعْطِيَهُ الطَّاعَةَ عَلَى مَا لَمْ نَزَلْ نَعْطِيهِ قَبْلَ أَنْ تَمْلِكَ . فَهَدَّتْ هَذِهِ الْمَقَالَةَ شِيْرُوِيَهْ وَكِسْرَتَهُ ، وَأَمْرًا بِتَحْوِيلِ كِسْرَى مِنْ دَارِ الْمَمْلُوكَةِ إِلَى دَارِ رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ مَارَسْفَنْدُ . فَحُمِلَ كِسْرَى عَلَى

(٢) تَكَلَّمَ مِنْ ر ، وَفِي ت ، ح : « لَه » .

(٤) ت ، ح : « وَهُوَ الَّذِي أَخْبِرْتُ عَنْهُ » .

(١) ت ، ح : « فَأَحْبَهُ » .

(٣) ت ، ح : « فَاحْتَمَلَهُ » .

(٥) ت ، ح : « خَلَعَهُ » .

برذون ، وقنّع رأسه ، وسير به إلى تلك الدار ، ومعه ناس من الجند ، فمروا به في مسيرهم^(١) على إسكاف جالس في حانوت شارع على الطريق ، فلما بتصر بفرسان من الجند معهم فارس مقنّع ، عرف أن المقنّع كسرى ، فحذّفه بقالب ، فعطف إليه^(٢) رجل ممن كان مع كسرى من الجند ، فاخرط يده ف ضرب عنق الإسكاف ، ثم لحق بأصحابه .

فلما صار كسرى في دار مآرسفند جمع شيوخه من كان بالبواب من العظماء وأهل البيوتات ، فقال : إنا قد رأينا أن نبدع بالإرسال إلى الملك أبينا بما كان من إساءته في تدبيره ونوقفه على أشياء منها ، ثم دعا برجل من أهل أردشير خيرة يقال له أسفاذ جشنس ، ولمرتبه رئيس الكتيبة ، كان يلي تدبير المملكة ، فقال له : انطلق إلى الملك أبينا ، فقل له عن رسالتنا : إنا لم نكن للبلية التي أصبحت فيها ولا أحد من رعيّتنا سبباً ، ولكن الله قضاها عليك جزاء منه لك بسبي أعمالك ؛ منها اجترامك إلى هرمز أبيك وفتكك به ، وإزالتك الملك عنه ، وسملك عينيه ، وقتلوك إياه شر قتلة ، وما قارفت في أمره من الإثم العظيم . ومنها سوء صنيعك إلينا معشر أبنائك في حظرك علينا منافذة^(٣) الأخيار ومجالستهم ، وكل أمر يكون لنا فيه دعة وسرور وغبطة .

ومنها إساءتك كانت بمن خلدت السجن منذ دهر ، حتى شقوا بشدة^{١٠٤٧/١} الفقر وضيق المعاش والغربة عن بلادهم وأهاليهم وأولادهم . ومنها سوء نظرك في استخلاصك كان لنفسك من النساء وتركك العطف عليهن بمودة منك والصرف لهن إلى معاشرته من كمن يرزقن منه الولد والنسل ، وحبسك إياهن قبيلك مكرهات . ومنها ما أتيت إلى رعيّتك عامّة في اجتبائك إياهم الخراج ، وما انتهكت منهم في غلظتك وفضاظتك عليهم . ومنها جمعك الأموال التي اجتبيتها من الناس في عنف شديد ، واستفساد منك إياهم ، وإدخالك البلاء والمضارّ عليهم فيه . ومنها تجمبرك من جمّرت^(٤) في ثغور الروم وغيرهم

(١) ل : « في مسيره » .

(٢) ت ، ح : « عليه » .

(٣) قال في النسان : « نافذ الرجل منافذة » ، أي صاحبه لا يخفى على شيء من أمره .

(٤) التجمير : حبس الأمير جنوده في أرض العدو ، ولا يآذن لهم في العودة والتفعل .

من الجنود ، وتفريقك بينهم وبين أهاليهم . ومنها غدرك بموريق ، ملك الروم ، وكفرك إنعامه عليك فيما كان من إيوائه إياك ، وحسن بلائه عندك ، ودفعه عنك شرّ عدوك ، وتنويهه باسمك في تزويجه إيتاك أكرم النساء من بناته عليه ، وآثرهنّ عنده ، واستخفافك بحقّه ، وتركك إطلاجه^(١) ما طلب إليك من ردّ خشبة الصليب ، التي لم يكن بك ولا بأهل بلادك إليها حاجة ، علمته^(٢) . فإن كانت لك حجج تُدلى بها عندنا وعند الرعيّة فأدل بها ، وإن لم تكن لك حجة ، فتب إلى الله من قريب ، وأنبُ إليه حتى نأمر فيك بأمرنا .

فوعى أسفاذ جُشنس رسالة كسرى شيرويه هذه ، وتوجّه من عنده إلى كسرى ليبلغه إياها ، فلما توجه إلى الموضع الذي كان حبس فيه كسرى ألقي رجلاً يقال له جيلنوس كان قائد الجند قد وكل بحراسة كسرى جالساً ، فتحاورا ساعة ، ثم سأل أسفاذ جُشنس جيلنوس أن يستأذن له على كسرى ليلقاه برسالة من شيرويه ، فرجع جيلنوس ورفع السّر الذي كان دون كسرى ، فدخل عليه ، وقال له : عمرك الله ! إن أسفاذ جُشنس بالباب ، وذكر أن الملك شيرويه أرسله إليك في رسالة^(٣) ، وهو يستأذن عليك ، فأريك في الأمر فيه برأيك ! فتبسّم كسرى وقال مازحاً : يا جيلنوس أسفاذان ، كلامك مخالف كلام أهل العقل ، وذلك أنه إن كانت الرسالة التي ذكرت من شيرويه الملك ، فليس لنا مع ماكّه إذن ، وإن كان لنا إذن وحجيب فليس شيرويه بملك ؛ ولكن المثل في ذلك كما قيل : يشاء الله الشيء فيكون ، ويأمر الملك بأمر فينفذ . فتأذّن لأسفاذ جُشنس يبلغ الرسالة التي حملها . فلما سمع جيلنوس هذه المقالة خرج من عند كسرى ، وأخذ بيد أسفاذ جُشنس ، وقال له : قم فادخل إلى كسرى راشداً .

فنهض أسفاذ جُشنس ، ودعا بعض من كان معه من خدمه ، ودفع إليه

(١) يقال : أطلبه ؛ إذا أعطاه ما طلب .

(٢) علمته ، أي علمت ذلك الأمر من طلب ردّ خشبة الصليب .

(٣) ت ، ح : « برسالة » .

كساء كان لابسه ، وأخرج من كفه شقيقة بيضاء نقيّة ، فسح بها وجهه ، ثم دخل على كسرى ، فلما عين كسرى ، خرّ له ساجداً ، فأمره كسرى بالانبعاث ، فانبعث وكفّر بين يديه - وكان كسرى جالساً على ثلاثة أنماط [من] (١) ديباج خُسْرَوَانِي منسوج بذهب ، قد فرشت على بساط من إبريسم ، متكئاً على ثلاث وسائد منسوجة بذهب ، وكان بيده سفرجلة صفراء شديدة الاستدارة . فلما عين أسفاذ جشنس ، تربّع جالساً ووضع السفرجلة التي كانت بيده على توكّأته ، فتدحرجت من أعلى الوسائد الثلاث لشدة استدارتها واهتزازها ، الوسادة التي كانت عليها ، بامتلاء حشوها إلى أعلى تلك الأنماط الثلاثة ، ومن النمط إلى البساط ، ولم تلبث على البساط أن تدحرجت إلى الأرض ، ووقعت بعيداً متلطخة بتراب ، فتناولها أسفاذ جشنس فسحها بكفّه ، وذهب ليضعها بين يدي كسرى ، فأشار إليه أن ينحنيها عنه ، وقال له : أعزبها عني ، فوضعها أسفاذ جشنس عند طرف البساط إلى الأرض ، ثم عاد فقام مقامه ، وكفّر بيده ، فنكس كسرى ، ثم قال متديلاً : الأمر إذا أدبر فانت الحيلة في الإقبال به ، وإذا أقبل أعيت الحيلة في الإدبار به ، وهذان الأمران متداولان على ذهاب الحيل فيهما ، ثم قال لأسفاذ جشنس : إنّه قد كان من تدحرج هذه السفرجلة وسقوطها حيث سقطت ، وتلطّخها بالتراب وهو عندنا كالإخبار لنا بما حملت من الرسالة ، وما أنتم عاملون به وعاقبته ، فإن السفرجلة التي تأويلها الخير ، سقطت من علّو إلى سفلى ، ثم لم تلبث على مفرشنا أن سقطت إلى الأرض ، ووقعت بعيداً متلطخة بتراب ؛ وذلك منها دليل في حال الطيرة : أن مجد الملوك قد صار عند السوّق^(٢) ؛ وأنا قد سلّينا الملك ، وأنه لا يلبث في أيدي عقبنّا أن يصير إلى من ليس من أهل المملكة ، فدونك فتكلّم بما حملت من رسالة ، وزوّدت من الكلام .

فاندفع أسفاذ جشنس في تبليغ الرسالة التي حملته إياها شيرويه ، ولم يغادر ١٠٥٠/١ منها كلمة ، ولم يزلها عن نسقها . فقال كسرى في مرجوع تلك الرسالة : بلغ

(١) من ت ، ح . (٢) السوق : جمع السوق ، وهي من الناس من لم يكن ذا سلطان ، الذكر والأنثى في ذلك سواء .

عنى شيرويه القصير العمر ، أنه لا ينبغي لذي عقل أن يبت من أحد الصغير من الذنب ، ولا اليسير من السيئة إلا بعد تحقق ذلك عنده ، وتيقنه إياه منه ، فضلا عن عظيم ما بثت ونشرت ^(١) وادّعت منا ، ونسبتنا إليه من الذنوب والجرائم ؛ مع أن أولى الناس بالردّ عن ذنب ، وتوبيخ ذى جرمة ^(٢) ، من قد ضبط نفسه عن الذنوب والجرائم ، ولو كنا على ما أضفتنا إليه لم يكن ينبغي أن تنشره وتؤنبنا [به] ^(٣) أيها انقصير العمر القليل العلم ؛ فإن كنت جاهلا بما يلزمك من العيوب ببثك منا ما بثت ، ونسبتك إيانا إلى ما نسبت ؛ فاستثبت عيوبك واقتصر في الزرّي علينا ، والعيب لنا على ما لا يزيدك سوء مقاتلك فيه إلا اشتهاراً بالجهل ، ونقص الرأى . أيها العازب العقل ، العديم العلم ؛ فإنه إن كان لإجهادك نفسك في شهرك إيانا من الذنوب بما يوجب علينا القتل حقيقة ، وكان لك على ذلك برهان ؛ فقضاة أهل ملتك ينفون ولد المستوجب للقتل من أبيه ، وينحون عنه مضاومة الأخيار ومجالستهم ، ومخالطتهم إلا في أقلّ المواطن فضلا عن أن يملك ؛ مع أنه قد بلغ بحمد الله ونعمته من إصلاحنا أنفسنا ونبينا ^{١٠٥١/١} فيما بيننا وبين الله وبيننا وبين أهل ملتنا وديننا ، وبيننا وبينك وبين معشر أبنائنا ما ليس لنا في شيء من ذلك تقصير ، ولا علينا فيه من أحد حجة ولا توبيخ ؛ ونحن نشرح الحال فيما ألزمتنا من الذنوب ، وألحقت بنا من الجرائم ؛ عن غير التماس منا لذلك نقصا فيما أدلينا به من حجة ، أو أتينا عليه من برهان ؛ لتزداد علما بجهالتك وعزوب عقلك ، وسوء صنيعك . أمّا ما ذكرت من أمر أبنينا هرمرز ؛ فمن جوابنا فيه أن الأشرار والبغاة كانوا أغرّوا هرمرزينا حتى اتهمنا واحتمل غمرا ^(٤) ووغرّا ورأيا من ازوراره عنا ، وسوء رأيه فينا ، ما تخوفنا ناحيته ، فاعتزلنا بابه لإشفاقنا منه ، ولحقنا بأذربيجان ، وقد استفاض ، فانتهك من الملك ما انتهك . فلما انتهى إلينا خبر ما بلغ منه شخصنا من أذربيجان إلى بابه ، فهجم علينا المنافق بهرام في جنود عظيمة من العصاة

(١) ت ، ر : « نشرت » .

(٢) ت ، ح : « جرمة » .

(٣) من ت ، ح .

(٤) الغمر ، بالكسر : الغل والحقد .

المستوحبة القتل ، مارقاً من الطاعة ، فأجلانا عن موضع المملكة فلحقنا ببلاد الروم ، فأقبلنا منها بالجنود والعُدّة ، وحاربناه فهرب منا ، وصار من أمره في بلاد الترك من الهلكة والبوار إلى ما قد اشتهر في الناس ؛ حتى إذا صفا لنا الملك ، واستحكم لنا أمره ، ودفعنا بعون الله عن رعيّتنا البلاء والآفات التي كانوا أشفوا عليها ، قلنا : إن من خير ما نحن بادئون به في سياستنا ، وهفتتحنون به مُلْكنا الانتقام لأبينا ، والثأر به والقتل لكل من شارك في دمه ؛ فإذا أحكمنا ما نوبنا من ذلك ، وبلغنا منه ما نريد تفرغنا لغيره من تدبير الملك ، فقتلنا كل من شارك في دمه ، وسعى فيه ومالاً عليه .

١٠٥٢/١

وأما ما ذكرت من أمر أبنائنا ، فن جوابنا أنه ليس من ولد ولدناه - ما خلا من استأثر الله به منهم - إلاّ صحيحة أعضاء جسده ؛ غير أننا بالحراسة لكم ، وكفكم عن الانتشار فيما لا يعينكم إرادة كف ما نتخوف من ضرركم على البلاد والرعيّة . ثم كنا أقمنا من النفقات الواسعة في كسوتكم ومراكبكم وجميع ما تحتاجون إليه ما قد علمت ، وأما أنت خاصة ، فن قصّتك أن المنجمين كانوا قضوا في كتاب مولدك أنك مثرب علينا ، أو يكون ذلك بسببك ؛ فلم نأمر بقتلك ؛ ولكن ختمنا على كتاب قضيّة مولدك ، ودفعناه إلى شيرين صاحبتنا . ومع ثقتنا بتلك القضيّة وجدنا فرميشاملك الهند كتب إلينا في سنة ست وثلاثين من مُلْكنا ، وقد أوفدهم إلينا ، فكتب في أمور شتى ، وأهدى لنا ولكم - معشر^(١) أبنائنا - هدايا ، وكتب إلى كل واحد منكم كتاباً ، وكانت هديته لك - فاذا كرها - فيلا ، وسيفاً ، وبازياً أبيض ، وديباجة منسوجة بذهب ؛ فلما نظرنا فيما أهدى لكم ، وكتب إليكم وجدته قد وقع على كتابه إليك بالهنديّة : اكتب ما فيه ، فأمرنا أن يصرف إلى كل واحد منكم ما بعث إليه من هدية أو كتاب ، واحتبسنا كتابه^(٢) إليك لحال التوقيع الذي كان عليه ، ودعوّنا بكاتب هندي ، وأمرنا بفضّ خاتم الكتاب وقراءته ، فكان فيه : أبشر وقرّ عيناً ، وانعم بالآ ، فإنك متوجّح ماه آذرروز ديبا ذرسة

١٠٥٢/١

(١) ت ، ل : « معشر » . (٢) ت ، ح : « كتابك » .

ثمان وثلاثين^(١) من مُلْك كسرى ، ومملك على ملكه وبلاده ؛ فوثقنا أنك لم تكن لتملك إلا بهلكنا وبوارنا ، فلم نتقصك — بما استقر عندنا من نكك مما كنا أمرنا بإجرائه عليك من الأرزاق والمعاون والصلوات وغير ذلك — شيئاً ؛ فضلاً عن أمرنا بقتلك .

وأما كتاب فرميشا فقد ختمنا عليه بخاتمنا ، واستودعناه شيرين صاحبتنا ؛ وهي في الأحياء صحيحة العقل والبدن ؛ فإن أحببت أن تأخذَ منها قضية مولدك ، وكتاب فرميشا إليك وتقرأهما لتكسبك قراءتك إياهما ندامة وثبوراً فافعل .

وأما ما ذكرت من حال من خُلد السجّ من جوابنا فيه أن الملوك الماضين من لدن جيومرت إلى أن ملك بشتاسب ، كانوا يدبّرون ملكهم بالمعدلة ؛ ولم يزالوا من لدن بشتاسب إلى أن ملكنا يدبّرونه بمعدلة ، معها ورع الدين ؛ فسل إن كنتَ عديم عقل وعلم وأدب حملة الدين — وهم^(٢) أوتاد هذه الملة — عن حال من عصى الملوك وخالفهم ، ونكث عهدهم ، والمستوجبين بذنوبهم القتل فيخبروك أنهم لا يستحقون أن يُرحموا ويعفى عنهم . واعلم مع ذلك أنا لم نأمر بالحبس في سجوننا ، ولا من قد وجب عليه في القضاء العدل أن يقتل أو تُسمل^(٣) عينه ، وتقطع يده ورجله وسائر أعضائه . وكثيراً ما كان الموكلون بهم وغيرهم من وزرائنا يذكرون استيجاب من استوجب منهم القتل ، ويقولون : عاجلهم بالقتل قبل أن يمتثلوا لأنفسهم حيلةً يقتلونك بها ، فكنا لحبنا استبقاء النفوس وكرهتنا سفك الدماء نتأني بهم ، ونكيلهم إلى الله ، ولا نقدم على عقوبتهم بعد الحبس الذي اقتصرنا عليه ؛ إلا على منعهم أكل اللحم وشرب الشراب ، وشم الرياحين ، ولم نعد في ذلك ما في سنن الملة من الحول بين المستوجبين للقتل ، وبين التلذذ والتنعم بشيء مما منعناهم إياه ؛ وكنا أمرنا لم من المطعم والمشرب وسائر ما يقيمهم بالذي يُصلحهم في اقتصاد ، ولم نأمر بالحول بينهم وبين نساءهم والتوالد والتناسل في حال حبسهم . وقد بلغنا أنك أجمعت على التخلية

(١) نص فارس ، ومعناه أنك متوج في شهر آذر ، في يوم سعيد ، في سنة ثمان وثلاثين

من ملك كسرى . (٢) ر : « فهم » . (٣) ت ، ح : « وتسل » .

عن أولئك الدّعار المنافقين المستوجبين للقتل^(١) ، والأمر بهدم محبسهم ، ومتى
تُخَلَّ عنهم تأثم بالله ربك ، وتسيء إلى نفسك ، وتُخِلَّ بدينك وما فيه من
الوصايا والسنن التي فيها صرف الرحمة والعفو عن المستوجبين للقتل . مع أن
أعداء الملوك لا يحبّون الملك أبداً ، والعاصين لهم لا يمنحونهم الطاعة . وقد وعظ
الحكماء وقالوا : لا تؤخّرنّ معاقبة المستوجبي العقوبة ؛ فإنّ في تأخيرها مدفعه
للعدل ، ومضرة على المملكة في حال التدبير ؛ ولئن نالك بعضُ السرور إن
أنت خلّيت عن أولئك الدّعار المنافقين العصاة المستوجبين^(١) للقتل لتجلدنّ
غيب ذلك في تدبيرك . ودخول أعظم المضرة والبليّة على أهل الملة .

١٠٥٥/١

وأما قولك : إنّنا إنّما كسبنا وجمعنا وادّخرنا الأموال والأمتعة والبزور^(٢) وغيرها
من بلاد مملكتنا بأعنف اجتباء ، وأشدّ إلحاح على رعيّتنا ، وأشدّ ظلم . لا من بلاد
العدوّ بالمجاهدة لهم والقهر ، عن غلبة منّا إياهم على ما في أيديهم ؛ فمن جوابنا فيه
أنّ من إصابة الجواب في كلّ كلام يُستكلم بجهل وعنجهية ترك الجواب فيه ،
ولكن لم ندع - إذ صار ترك الجواب كالإقرار ، وناقت حجّتنا فيما غشينا
أن نحتج به ، قويّة ، وعذرنا واضحاً - شرح ما سألتنا عنه من ذلك .

اعلم أيّها الجاهل ؛ أنه إنّما يقيم مُلْك الملوك بعد الله الأموال والجنود
وبخاصّة ملك فارس ، الذي قد اكتنفت بلاده أعداءً فاغرة أفواههم للانتقام
ما في يديه ، وليس يُقدّر على كفتهم عنها ، وردّهم^(٣) عمّا يريدون من اختلاس
ما يرومون اختلاسه منه ؛ إلا بالجنود الكثيفة ، والأسلحة والعدد الكثيرة ؛ ولا
سبيل له إلى الكثيف من الجنود والكثير ممّا يحتاج إليه إلا بكثرة الأموال ووفورها .
ولا يستكتر من الأموال ولا يقدر على جمعها لحاجة إن عرضت له إليها إلا
بالجدّ والتشمير في اجتباء هذا الحراج . وما نحن ابتدعنا جمع الأموال ؛ بل
اقتدينا في ذلك بآبائنا والماضين من أسلافنا ؛ فإنهم جمعوها كجمعنا إياها ،

(١) ر : « المستوجبي القتل » ، . ل : « المستوجبين القتل » .

(٢) البزور : الحبوب الصفار ، أو البقول .

(٣) ح : « وردّهم » .

وكتروها ووفروها لتكون ظهراً لهم على تقوية جنودهم وإقامة أمورهم ؛ وغير ذلك مما لم يستغنوا عن جمعها له . فأغار على تلك الأموال وعلى جوهر كان في خزائنا . المنافع بهرام في عصابة مثله وفتاك مستوجبين القتل ، فبوها وبذروها وذهبوا بما ذهبوا به منها . ولم يتركوا في بيوت أموالنا وخزائنا^(١) إلا أسلحة من أسلحتنا لم يقدروا على تشذيبها والذهاب بها . ولم يرغبوا فيها . فلما ارتجعنا بحمد الله مُلْكَنَا ، واستحكمت أمورنا وأذعن لنا الرعيّة بالطاعة . ودفعنا عنهم البوائق التي كانت حلت بهم ، ووجهنا إلى نواحي بلادنا أصبهبذيين ، وولينا دولهم على تلك النواحي فاذوسبانيين^(٢) . واستعملنا على ثغورنا مرازبة وولاة ذوى صرامة ومضاء وجلد ، وقوينا من ولينا من هؤلاء بالكثيف من الجنود ، أشخن هؤلاء الولاة من^(٣) كان بإزائهم من الملوك المخالفين لنا والعدو . وبلغ من غاراتهم عليهم ؛ وقتلهم من قتلوا . وأسروهم من أسروا منهم ، من سنة ثلاث عشرة من مُلْكنا ، ما لم يقدر الرجل من أولئك على إطلاع رأسه في حرم بلاده إلا بخفير ، أو خائفاً ، أو بأمان منا ، فضلاً عن الإغارة على شيء من بلادنا ، والتعاطى^(٤) لشيء مما كرهنا ، ووصل في مدة هذه السنين إلى بيوت أموالنا وخزائنا مما غنمنا من بلاد العدو من الذهب والفضة وأنواع الجواهر ، ومن النحاس والفرند والحريير والإستبرق والديباج والكراع والأسلحة والسببي والأسراء ما لم يخف عظيم خطر ذلك وقدره على العامة ، فلما أمرنا في آخر سنة ثلاث عشرة من مُلْكنا بنقش سكك حديثة ، لنا أمر فيستأنف ضرب الورق بها ، ووجد في بيوت أموالنا - على ما رفع إلينا المحضون لما كان فيها من الورق سوى ما أمرنا بعزله من الأموال لأرزاق جنودنا من الورق - مائتا ألف بدرة ، فيها ثمانمائة ألف ألف مثقال . فلما رأينا أننا قد حصّنا ثغورنا ، وردعنا العدو عنها وعن رعيّتنا ، [وجمعنا مشتت أمرنا]^(٥) ، وكعّمنا أفواههم الفاغرة كانت للنتقام ما في أيديهم ، وبسطنا فيهم الأمن ، وأمنّا على نواحي

(١) ح : « قاوسانين » ، ر : « فاروسانين » ، ل : « قاوسانين » .

(٢) كذا في ح ، وفي ط : « ما » .

(٣) ل : « أو التعاطى » .

(٤) تكلّة من خ .

بلادنا الأربع ما كان أهلها فيه من البوائق والمغار . أمرنا باجتماع بقايا السنين ، وما انتهب من بيوت أموالنا من ذهب وفضة ، ومن خزائنا من جوهر أو نحاس ، ورد ذلك كله إلى موضعه ؛ حتى إذا كان في آخر سنة ثلاثين من ملكنا أمرنا بنقش سكك حديثة . يضرب عليها الورق . فوجد في بيوت أموالنا سوى ما أمرنا بعزله من الأموال لأرزاق جنودنا ، والأموال التي أحصيت لنا قبل ذلك من الورق أربعمئة ألف بدرة ، يكون ما فيها ألف ألف مثقال وسبعمائة ألف ألف مثقال ؛ وذلك سوى ما زادنا الله إلى تلك الأموال ؛ مما أفاء الله بمنه وطوله علينا من أموال ملوك الروم . في سفن أقبلت بها إلينا الرياح ؛ فسميناها فتيء الرياح ؛ ولم تزل أموالنا من سنة ثلاثين من ملكنا إلى سنة ثمان وثلاثين من ملكنا ، التي هي هذه السنة تزداد كثرة ووفوراً ، وبلادنا عمارة ، ورعيتنا أمنًا وطمانينة ، وثغورنا وأطرافنا مناعة وحصانة ؛ وقد بلغنا أنك هممت - لرذولة^(١) مروءتك - أن تبذر هذه الأموال وتُتَوِّبها^(٢) ، عن رأى الأشرار العتاة المستوجبين للقتل . ونحن نعلمك أن هذه الكنوز والأموال لم تجمع إلا بعد المخاطرة بالنفوس ؛ وبعد كدّ وعناء شديد ، لندفع بها العدو المكتنفين لبلاد هذه المملكة ، ١٠٥٨/١ المتقاتلين إلى غلبتهم على ما في أيديهم . وإنما يُقَدَّر على كف أولئك العدو في الأزمان والدهور كآنها . بعد عون الله بالأموال والجنود ، ولن تقوى الجنود إلا بالأموال . ولا يُستفَع بالأموال إلا على كثرتها ووفورها ؛ فلاتهمن بتفرقة هذه الأموال ، ولا تجسرن عليها ؛ فإنها كهف للملك وبلادك ، وقوة لك على عدوك .

ثم انصرف إسفاذ جشنس إلى شيرويه فقص عليه ما قال له كسرى ، ولم يُسْقِط منه حرفاً ؛ وإن عظماء الفرس عادوا فقالوا لشيرويه : إنه لا يستقيم أن يكون لنا مَلِكُكَ ، فإمّا أن تأمر بقتل كسرى ، ونحن نحولك ، المانحوك الطاعة ، وإمّا أن نخلعك ونعطيهِ الطاعة . فهدت شيرويه هذه المقالة وكسرتة ، وأمر بقتل كسرى ، فانتدب لقتله رجال كان وترهم كسرى ، فكلما أتاه

(١) الرذل : اللون في المنظر والحال ؛ ويقال : رذل فلان رذالة ورذولة .

(٢) تتوبها : تنهبها .

الرجل منهم شتمه كسرى وزبّره . فلم يُقدِّم على قتله أحد ، حتى أتاه شابٌ يقال له مِهْرَهْرُمَز بن مَرْدَانِشَاه لِيُقْتَلَهُ . وكان مردانشاہ فاذوسبانا لكسرى على ناحية نيمروز ، وكان من أطوع الناس لكسرى وأنصحهم له ، وإن كسرى سأل قبل أن يخلع بنحو من ستين منجميه وعافته عن عاقبة أمره ، وأخبروه أن منيته آتية^(١) من قبيل نيمروز . فاتهم مردانشاہ ، وتخوف ناحيته لعظم قدره . وأنه لم يكن في تلك الناحية من يعد له في القوة والقدرة .

١٠٥٩/١

فكتب إليه أن يعجل القدوم عليه ؛ حتى إذا قدم عليه أجال الرأي في طلب عيلة يقتله بها ، فلم يجد عليه عثرة ، وتذم من قتله لما علم من طاعته إتياءه ، ونصيحته له ، وتحريه مرضاته . فرأى أن يستبقيه . ويأمر بقطع يمينه . ويعوضه منها أموالاً عظيمة يجود له بها . فبغى عليه من العليل ما قطع يمينه ؛ وإنما كانت تقطع الأيدي والأرجل وتقطع الأعناق في رحبة الملك .

وإن كسرى أرسل يوم أمر بقطع يده عيناً لِيَأْتِيَهُ بخبر ما يسمع من مردانشاہ وممن بحضرته^(٢) من النظارة ، وإن مردانشاہ لما تطعت يمينه قبض عليها بشماله ، فقبلها ووضعها في حجره . وجعل يندبها بدمع له داراً ويقول : واسمحتاه ! واراميتاه ! واكاتبتاه ! واضاربتاه ! والاعتباه ! واكريمتاه ! فانصرف إلى كسرى الرجل الذي كان وجهه عيناً عليه ؛ فأخبره بما رأى وسمع منه . فرق له كسرى ؛ وندم على إتيائه في أمره ما أتى . فأرسل إليه مع رجل من العظماء يُعَلِّمُهُ ندامته على ما كان منه ؛ وأنه لن يسأله شيئاً يجد السبيل إلى بذله له إلا أجابه إليه . وأسعفه به .

فأرسل إلى كسرى مع ذلك الرسول يدعو له . ويقول : إنني لم أزل أعرف تفضلتك على أيها الملك . وأشكرك لك . وقد تيقنت أن الذي أتيت إلى مع كراحتك إتياءه . إنما كان سببه التمضاء ؛ ولكنني سألتك أمراً فأعطني من الأيمان على إسعافك إيتائي به ما أطمئن إليه . وليأتيني بيقين حلخك على ذلك رجل من النساء . فأفرشك إتياءه وأبشه لك .

(١) ح . ل : « تأتيه » .

(٢) ل : « بحضرة » .

فانصرف رسول كسرى إلى كسرى بهذه الرسالة ، فسارع إلى ما سأله مردانشاه، وحلف بالأيمان المغلظة ليجيبته إلى ما هو سائله؛ ما لم تكن مسألته ١٠٦٠/١
أمراً يوهين ملكه . وأرسل إليه بهذه الرسالة مع رئيس المزمزمين ؛ فأرسل إليه مردانشاه يسأله أن يأمر بضرب عنقه ليمتحن بذلك العار الذي لزمه ، فأمر كسرى فضربت عنقه كراهة منه للحنث ، زعم .

وإن كسرى سأل ميهتر هرمز بن مردانشاه، حين دخل عليه عن اسمه ، وعن اسم أبيه ومرتبته . فأخبره أنه ميهتر هرمز بن مردانشاه؛ فاذوسبان نيمروذ، فقال كسرى : أنت ابن رجل شريف كثير الغناء ؛ قد كافأناه على طاعته إيانا ، ونصيحته لنا ، وغنائه عنا بغير ما كان يستحقه ، فشأنك وما أمرت به . فضرب مهر هرمز على حبيل عاتقه بطبرزين كان بيده ضربات فلم يحك فيه ، ففتش كسرى فوجد قد شدت عضده خنزة لا يحك السيف في كل من تعلقها . فترعت من عضده ، ثم ضربه بعد ذلك مهر هرمز ضربة فهلك منها . وبلغ شيرويه فخرق جيبه وبكى منتحباً ، وأمر بحمل جثته إلى الناووس فحميت ، وشيعها العظماء وأفناء الناس .

وأمر فقتل قاتل كسرى ، وكان ملكه ثمانياً وثلاثين سنة ؛ وكان قتله ماه آذر ووزماه . وقتل شيرويه سبعة عشر أماً له ذوى أدب وشجاعة ومروءة ، بمشورة وزيره فيروز ، وتحريض ابن ليزدين - والى عشور الآفاق كان لكسرى ، يقال له شمطا - إياه على قتلهم ، فابتلى بالأسقام ولم يلتذ بشيء من لذات الدنيا . وكان هلاكه بدسكرة الملك ، وكان مشنوماً على آل ساسان ، فلما قتل إخوته جنزج جنزجاً شديداً . ويقال : إنه لما كان اليوم الثانى من اليوم الذى قتلهم فيه ، دخلت عليه بوران وآزر ميدخت أختاه فأسمعناه وأغلظنا له ، وقالتا : حمالك الحرص على ملك لا يتم . على قتل أبيك وجميع إخوتك ، وارتكبت المحارم ! فلما سمع ذلك منهما بكى بكاء شديداً ، ورى بالتجاج عن رأسه ، ولم يزل أيامه كلها مهموماً مندثراً . ويقال : إنه أباد من قدر عليه من أهل بيته ؛ وإن الطاعون فشا في أيامه حتى هلك الفرس إلا قليلاً منهم . وكان ملكه ثمانية أشهر .

[ذكر ملك أردشير بن شيرويه]

ثم ملك أردشير بن شيرويه بن أبرويز بن هرمز بن أنوشروان، وكان طفلاً صغيراً— قيل: إنه كان ابن سبع سنين لأنه لم يكن في أهل بيت المملكة محتدك— فلكته عظماء فارس. وحضنه رجل يقال له مهآذر جُشنس؛ وكانت مرتبته رياسة أصحاب المائدة. فأحسن سياسة الملوك. فبلغ من إحكامه ذلك ما لم يحسن معه بخدائته سن أردشير. وكان شهراً براز بثغر الروم في جُند ضمتهم إليه كسرى. وبتاهم السعداء. وكان كسرى وشيرويه لا يزالان يكتبان إليه في الأمر يهتئها. فيستشيرانه فيه؛ فلما لم يشاوره عظماء فارس في تملك أردشير. اتخذ ذلك ذريعة إن التعتب والتبغى عليهم، وبسط يده في القتل. وجعله سبباً للطبع في ملك. والاعتلاء عند ذلك من ضعة العبودية^(١) إلى رفعة الملك. واحتقر أردشير خدائته سنه واستطال عليهم، وأجمع على دعاء الناس إلى التشاور في الملك. ثم أقبل بجنده وقد عمد مهآذر جُشنس؛ فحصن سور مدينة طيسبون وأبوابها. وحوّل أردشير. فون بتى من نسل الملك ونسأهم. وما كان في بيت مال أردشير من ماله وخزائنه وكُراعاه إلى مدينة طيسبون. وكان الذين أقبل فيهم من الجند شهر براز ستة آلاف رجل من جند فارس بثغر الروم. فأناخ إلى جانب مدينة طيسبون. وحاصر من فيها وقتلهم عنها. ونصب المجانيق عليها فلم يصل إليها. فلما رأى عجزه عن افتتاحها أتاها من قبيل المكيدة، فلم يزل يخدع رجلاً يقال له نيو خسروا. وكان رئيس حرس أردشير ونامدار جُشنس بن آذر جُشنس؛ أصهبند نيمروذ؛ حتى فتح له باب المدينة فدخلها، فأخذ جماعة من الرؤساء فقتلهم، واستصنى أموالهم. وفضح نساءهم. وقتل ناس بأمر شهر براز أردشير بن شيرويه؛ سنة اثنين ماه بهمن، ليلة روزآبان في إيوان خسرو شاه قباد. وكان ملكه سنة وستة أشهر.

• • •

(١) كذا في ح، ل، وفي ط: «العبودية».

[ذكر مُلك شهر براز]

ثم ملك شهر براز ؛ وهو فترخان ماه إسفنديار ، ولم يكن من أهل بيت المملكة ، ودعا نفسه ملكاً . وإنه حين جلس على سرير الملك ضرب عليه بطنه ، وبلغ من شدة ذلك عليه أنه لم يقدر على إتيان الحلاء ، فدعا بطست فوضع أمام ذلك السرير ف تبرّز فيه . وإن رجلاً من أهل إسطنختر ، يقال له فسفروخ بن ما جرشيدان وأخوين له ، امتعضوا من قتل شهر براز أردشير وغلبته على الملك ، وأنفوا من ذلك ، وتحالفوا وتعاهدوا على قتله ، وكانوا جميعاً في حرس الملوك ، وكان من السنة إذا ركب الملك أن يقف له حرسه سباطين ، عليهم الدروع والبيض والترس والسيوف ، وبأيديهم الرماح ؛ فإذا حاذى بهم الملك وضع كل رجل منهم نرسته على قربوس سرجه ، ثم وضع جبهته عليه كهيئة السجود . وإن شهر براز ركب بعد أن ملك بأيام فوقف فسفروخ وأخواه ؛ قريباً بعضهم من بعض ؛ فلما حاذى بهم شهر براز طعنه فسفروخ ، ثم طعنه أخواه ، وكان ذلك إسفندار مذماه ، وروزدي بدین^(١) ، فسقط عن دابته ميتاً ، فشدوا في رجله حبلاً وجروه إقبالا وإدباراً ، وساعدتم على قتله رجل من العظاماء يقال له زاذان فروخ بن شهر داران ، ورجل يقال له ماهياي ، كان مؤدب الأساورة ، وكثير من العظاماء وأهل البيوتات ، وعاونوهم على قتل رجال فتكوا بأردشير بن شيرويه ، وقتلوا رجلاً من العظاماء . وإنهم ملكوا بوران بنت كسرى . وكان جميع ما ملك شهر براز أربعين يوماً .

. . .

[ذكر ملك بوران بنت كسرى أبرويز]

ثم ملكت بوران بنت كسرى أبرويز بن هرمز بن كسرى أنوشروان ، فذكر أنها قالت يوم ملكت : البر أنوي وبالعدل أمر ؛ وصيرت مرتبة شهر براز لفسفروخ ، وقتلته وزارتها ، وأحسنت السيرة في رعيتها ، وبسطت العدل فيهم ، وأمرت بضرب الورق ورمّ التناظر والجسور ، ووضعت بقايا بقیة من الخراج على الناس عنهم ، وكتبت إلى الناس عامة كتباً أعلنتهم ما هي عليه من الإحسان

(١) نص فارسي قديم ، ومعناه أن ذلك كان في شهر إسفندارمذ ، وكان في يوم شتاء .

إليهم ، وذكرت حال مَنْ هلك من أهل بيت المملكة ؛ وأنها ترجو أن يريهم الله من الرفاهة والاستقامة بمكانها ما يعرفون به أنه ليس ببطش الرجال تُدَوِّخ البلاد ، ولا ببأسهم تستباح العساكر ، ولا بمكايدهم ينال الظفر ونظف النواثر ؛ ولكن كل ذلك يكون بالله عز وجل ، وأمرتهم بالطاعة وحضنتهم على المناصحة ، وكانت كتبها جماعة لكل ما يحتاج إليه ؛ وإنها ردت خشبة الصليب على ملك الروم مع جاثليق يقال له إيشوعهتب .
وكان ملكها سنة وأربعة أشهر .

• • •

[ذكر ملك جشنديه]

ثم ملك بعدها رجل يقال له : جشنديه : من بني عم أبرويز الأبهدين .
وكان ملكه أقل من شهر .

• • •

[ذكر ملك آرميدخت بنت كسرى أبرويز]

ثم ملكت آرميدخت بنت كسرى أبرويز بن هرمز بن كسرى أنوشيروان ؛ ويقال إنها كانت من أجمل نسايم ؛ وإنها قالت حين ملكت :
منها جئنا منهاج أبينا كسرى المنصور ، فإن خالفنا أحد هرقنا دمه . ويقال : إنه كان عظيم فارس يومئذ فرخهرمز إصبهذ خراسان ، فأرسل إليها يسألها أن تزوجه نفسها ، فأرسلت إليه : إن التزويج للملكة غير جائز ، وقد علمت أن دهرك فيما ذهبت إليه قضاء حاجتك وشهوتك مني ، فصر إلى ليلة كذا وكذا . ففعل فرخهرمز وركب إليها في تلك الليلة ، وتقدمت آرميدخت إلى صاحب حرسها أن يرصده في الليلة التي تواعدا الالتقاء فيها حتى يقتله . فنفذ صاحب حرسها لأمرها ، وأمرت به فجر برجله ، وطرح في رحبة دار المملكة ، فلما أصبحوا وجدوا فرخهرمز قتيلاً ، فأمرت بجثته فغيبت ، وعلم أنه لم يقتل إلا لعظيمة . وكان رستم بن فرخهرمز صاحب يزدجرد الذي وجه بعد لقتال العرب خليفة أبيه بخراسان ، فلما بلغه الخبر أتبل في جند عظيم حتى نزل المدائن ، وسمل

١٠٦٥/١

عيني آزر ميدخت ، وقتلها . وقال بعضهم : بل سمّت .
وكان ملكها ستة أشهر .

• • •

[كسرى بن مهران جشنس]

ثم أتى برجل من عقيب أردشير بن بابك كان ينزل الأهواز يقال له :
كسرى بن مهران جشنس ، فملكه العظماء ، ولبس التاج ، وجلس على سرير
الملك ، وقتل بعد أن ملك بأيام .

• • •

[ذكر ملك خرزا خسروا]

وقيل إن الذي ملك بعد آزر ميدخت خرزاد خسروا من ولد أبرويز .
وقيل : إنه وجد بحصن يعرف بالحجارة بالقرب من نصيبين ، فلما صار إلى ١/٦٦ هـ
المدائن مكث أياماً يسيرة ، ثم استعصوا عليه وخالفوه .

• • •

[ذكر ملك فيروز بن مهران جشنس]

وقال الذين قالوا : ملك بعد آزر ميدخت كسرى بن مهران جشنس : لما قُتِل
كسرى بن مهران جشنس ، طلب عظماء فارس من يملكونه من أهل بيت المملكة ،
فطلبوا من له عنصر من أهل ذلك البيت ولو من قبل النساء ، فأتوا برجل كان
يسكن ميسان ، يقال له فيروز بن مهران جشنس ، ويسمى أيضاً جشنسند
قد ولدته صهاربخت بنت يزداندار بن كسرى أنوشروان ، فلكوه كرهماً .
وكان رجلاً ضخم الرأس ، فلما توج قال : ما أضيّق هذا التاج !
فتطير العظماء من افتتاحه كلامه بالضيّق ؛ وقتلوه بعد أن ملك أياماً .
ومن الناس من يقول : قتل ساعة تكلم بما تكلم به .

• • •

[ذکر ملك فرخزاد خسروا]

وقال قائل هذا القول : ثم شخص رجل من العظماء يقال له زاذى ولمرتبه رئيس الخوّل إلى موضع في ناحية المغرب قريب من نصيبين ، يقال له : حصن الحجارة ، فأقبل بابن لكسرى كان نجا إلى ذلك القصر حين قتل شيرويه بنى كسرى يقال له : فرخزاد خسروا إلى مدينة طيسبون ، فانقاد له الناس زمنًا يسيرًا ، ثم استعصوا عليه وخالفوه ، فقال بعضهم : قتلوه . وكان ملكه ستة أشهر .

• • •

[ذکر ملك يزدجرد بن شهریار]

وقال بعضهم كان أهل إصطخر ظفروا ببيزْدَجِرْد بن شهریار بن كسرى بإصطخر ، قد هرب به إليها حيث قتل شيرويه إخوته ، فلما بلغ عظماء أهل إصطخر أن من المدائن خالفوا فرخزاد خسروا ، أتوا ببيزْدَجِرْد بيت نار يدعى بيت نار أردشير ، فتوجه هنالك ، وملكوه— وكان حدّثًا— ثم أقبلوا به إلى المدائن ، وقتلوا فرخزاد خسروا بحيل احتالوها لقتله بعد أن ملك سنة .

۱۰۶۷/۱

وساغ الملك لبيزْدَجِرْد ؛ غير أن ملكه كان عند ملك آبائه كالحيال والحلم ، وكانت العظماء والوزراء يدبرون ملكه لحدائث سنه ، وكان أشدّهم نباهة في وزرائه وأذكارهم رئيس الخوّل . وضعف أمر مملكة فارس ، واجترأ عليه أعداؤه من كلّ وجه ؛ وتطرقوا ببلاده وأخربوا منها ، وغزت العرب بلاده بعد أن مضت سنتان من ملكه . وقيل بعد أن مضى أربع سنين من ملكه . وكان عمره كله إلى أن قتل ثمانينًا وعشرين سنة .

• • •

وقد بقي من أخبار بيزْدَجِرْد هذا وولده أخبار سأذكرها إن شاء الله بعد في مواضعها من فتوح المسلمين وما فتحوا من بلاد العجم ، وما آل إليه أمره وأمر ولده . فجميع ما مضى من السنين من لدن أهبط آدم إلى الأرض ، إلى وقت هجرة النبي صلّى الله عليه وسلّم— على ما يقوله أهل الكتاب من اليهود ، وتزعم أنه في التوراة الصورة^(۱) مثبت من أعمار الأنبياء والملوك— أربعة آلاف سنة وستائة

۱/۱۰۸۶

(۱) الصورة ، بدل من التوراة ؛ يريد النسخة المشهورة من التوراة .

سنة واثنان وأربعون سنة وأشهر . وأما على ما تقوله النصارى مما تزعم أنه في توراة اليونانية ؛ فإن ذلك خمسة آلاف سنة وتسعمائة سنة واثنان وتسعون سنة وأشهر . وأما جميع ذلك على قول المجوس من الفرس ؛ فإنه أربعة آلاف سنة ومائة سنة واثنان وثمانون سنة وعشرة أشهر وتسعة عشر يوماً ؛ على أنه داخل في ذلك مدّة ما بين وقت الهجرة ومقتل يَزْدَجِرد . وذلك ثلاثون سنة وشهران وخمسة عشر يوماً ؛ وعلى أن حسابهم ذلك وابتداء تأريخهم من عهد جَيِّومرت . وجَيِّومرت هو آدم أبو البشر؛ الذي إليه نسبة كلّ منتسب من الإنس . على ما قد بيّنت في كتابي هذا .

• • •

وأما علماء الإسلام فقد ذكرت قبل ما قال فيه بعضهم . وأذكر بعض من لم يمحض ذكره منهم الآن ؛ فإنهم قالوا : كان بين آدم ونوح عشرة قرون . والقرن مائة سنة . وبين نوح وإبراهيم عشرة قرون ؛ والقرن مائة سنة . وبين إبراهيم وموسى بن عمران عشرة قرون ؛ والقرن مائة سنة .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا أبو داود ، قال : حدثنا هشام ، عن قتادة ، عن عِكْرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان بين آدم ونوح عشرة قرون ، كلهم على شريعة من الحق .

حدثني الحارث بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : حدثنا محمد بن عمر بن واقد الأسلمي ، عن غير واحد من أهل العلم ، قالوا : كان بين آدم ونوح عشرة قرون ، والقرن مائة سنة ، وبين نوح وإبراهيم عشرة قرون ، والقرن مائة سنة ، وبين إبراهيم وموسى بن عمران عشرة قرون ، والقرن مائة سنة . وروى عن عبد الرحمن بن مهدى ، عن أبي عوانة ، عن عاصم الأحول ، عن أبي عثمان ، عن سلمان ، قال : الفترة بين محمد وعيسى عليهما السلام ستمائة سنة .

وروى عن فضيل بن عبد الوهاب ، عن جعفر بن سليمان ، عن عوف ،

قال : كان بين عيسى وموسى ستمائة سنة .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن عُلَيَّة ، عن سعيد بن أبي صدقة ، عن محمد بن سيرين ، قال : نبئت أن كعباً قال : إن قوله : ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ ﴾^(١) ليس بهارون أخى موسى ، قال : فقالت له عائشة : كذبت ، قال : يا أمّ المؤمنين ؛ إن كان النبي صلى الله عليه وسلم قال فهو أعلم وأخبر^(٢) ؛ وإلا فإني أجد بينهما ستمائة سنة . قال : فسكتت^(٣) .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا هشام ، عن أبيه ، عن أبي صالح . عن ابن عباس ، قال : كان بين موسى بن عمران وعيسى^(٤) بن مريم ألف سنة وتسعمائة سنة ، ولم يكن بينهما فترة ، وإنه أرسل بينهما ألف نبى من بنى إسرائيل ، سوى من أرسل من غيرهم ، وكان بين ميلاد عيسى والنبي خمسمائة وتسع وستون سنة ، بعث في أولها ثلاثة أنبياء ، وهو قوله : ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ ﴾^(٥) ، والذي عزز به شعون ، وكان من الحواريين ، وكانت الفترة التي لم يبعث الله فيها رسولا أربعمائة وأربعمئة وثلاثين سنة ، وإن عيسى حين^(٦) رفع كان ابن اثنتين وثلاثين سنة وستة أشهر ، وكانت نبوته ثلاثين شهراً ، وإن الله رفعه بجسده ، وإنه حتى الآن .

١٠٧٠/١

حدثني محمد بن سهل بن عسكر ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : حدثني عبد الصمد بن معقل ، أنه سمع وهباً يقول : قد خلا من الدنيا خمسة آلاف سنة وستمائة سنة .

حدثني إبراهيم بن سعيد الجوهري ، قال : حدثنا يحيى بن صالح ، عن الحسن بن أيوب الحضرمي ، قال : حدثنا عبد الله بن بسر ، قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لتدركن قرننا » ، فعاش مائة سنة .

• • •

(١) سورة مريم ٢٨ . (٢) ط : « خير » ، وما أثبتته من التفسير .

(٣) الخبر في التفسير ١٦ : ٥٨ ، ٥٩ (بولاق) . (٤) ح : « وبين عيسى » .

(٥) سورة يس ١٤ . (٦) ح : « حيث » .

فهذا ما روى عن علماء الإسلام في ذلك . وفي ذلك من قولهم تفاوت شديد ،
وذلك أن الواقدي ، حكى عن جماعة من أهل العلم أنهم قالوا ما ذكرت
عنه أنه رواه عنهم . وعلى ذلك من قوله . ينبغي أن يكون جميع سني الدنيا إلى
مولد نبينا صلى الله عليه وسلم أربعة آلاف سنة وستمئة سنة . وعلى قول ابن
عباس الذي رواه هشام بن محمد . عن أبيه . عن أبي صالح ، عنه . ينبغي أن يكون ١٠٧١/١
إلى مولد النبي صلى الله عليه وسلم خمسة آلاف سنة وخمسمئة سنة .

وأما وهب بن منبه فقد ذكر جملة من قوله من غير تفصيل ، وأن ذلك
إلى زمنه خمسة آلاف سنة وستمئة سنة . وجميع مدة الدنيا عند وهب ستة
آلاف سنة ، وقد كان مضي عنده من ذلك إلى زمانه خمسة آلاف سنة
وستمئة سنة . وكانت وفاة وهب بن منبه سنة أربع عشرة ومائة من الهجرة .
فكان الباقي من الدنيا على قول وهب من وقتنا الذي نحن فيه ، مائتا سنة وخمس
عشرة سنة .

وهذا القول الذي قاله وهب بن منبه موافق لما رواه أبو صالح . عن ابن
عباس .

وقال بعضهم : من وقت هبوط آدم عليه السلام إلى أن بعث نبينا
صلى الله عليه وسلم ستة آلاف سنة ومائة وثلاث عشرة سنة . وذلك أن
عنده من مهبط آدم إلى الأرض إلى الطوفان . ألفي سنة ومائتي سنة وستمئة
وخمسين سنة . ومن الطوفان إلى مولد إبراهيم خايل الرحمن ألف سنة وتسعاً
وسبعين سنة . ومن مولد إبراهيم إلى خروج موسى بنى إسرائيل من مصر
خمسمئة سنة وخمسة وستين سنة . ومن خروج موسى بنى إسرائيل من مصر
إلى بناء بيت المقدس - وذلك لأربع سنين من ملك سليمان بن داود - ستمئة سنة
وستمئة وثلاثين سنة . ومن بناء بيت المقدس إلى ملك الإسكندر سبعمائة سنة
وسبع عشرة سنة ، ومن ملك الإسكندر إلى مولد عيسى بن مريم عليه السلام
ثلاثمئة سنة وتسعاً وستين سنة . ومن مولد عيسى إلى مبعث محمد صلى الله عليه
وسلم خمسمئة سنة وإحدى وخمسين سنة . ومن مبعثه إلى هجرته من مكة ١٠٧٢/١

إلى المدينة ثلاث عشرة سنة .

وقد حدث بعضهم عن هشام بن محمد الكلبي عن أبيه : عن أبي صالح ، عن ابن عباس . أنه قال : كان من آدم إلى نوح ألفا سنة ومائتا سنة ، ومن نوح إلى إبراهيم ألف سنة ومائة سنة وثلاث وأربعون سنة ، ومن إبراهيم إلى موسى خمسمائة سنة وخمس وسبعون سنة . ومن موسى إلى داود مائة سنة وتسع وسبعون سنة ، ومن داود إلى عيسى ألف سنة وثلاث وخمسون سنة ، ومن عيسى إلى محمد ستمائة سنة .

وحدث الهيثم بن عدى عن بعض أهل الكتب أنه قال : من آدم إلى الطوفان ألفا سنة ومائتا سنة وست وخمسون سنة . ومن الطوفان إلى وفاة إبراهيم ألف سنة وعشرون سنة . ومن وفاة إبراهيم إلى دخول بني إسرائيل مصر خمس وسبعون سنة . ومن دخول يعقوب مصر إلى خروج موسى منها أربعمائة سنة وثلاثون سنة . ومن خروج موسى من مصر إلى بناء بيت المقدس خمسمائة سنة وخمسون سنة . ومن بناء بيت المقدس إلى ملك بختنصر وخراب بيت المقدس أربعمائة سنة وست وأربعون سنة . ومن ملك بختنصر إلى ملك الإسكندر أربعمائة سنة وست وثلاثون سنة . ومن ملك الإسكندر إلى سنة ست ومائتين من الهجرة ألف سنة ومائتان وخمس وأربعون سنة .

ذکر نسب رسول الله صلی الله علیه وسلم

وذكر بعض أخبار آبائه وأجداده

اسم رسول الله صلی الله علیه وسلم محمد، وهو ابن عبد الله بن عبد المطلب، وكان عبد الله أبو رسول الله أصغر ولد أبيه، وكان عبد الله والزبير وعبد مناف - وهو أبو طالب - بنو عبد المطلب لأم واحدة. وأمتهم جميعاً فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم؛ حدثنا بذلك ابن حميد، قال: حدثنا سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق.

وحدثت عن هشام بن محمد، عن أبيه، أنه قال: عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله، وأبو طالب - واسمه عبد مناف - والزبير، وعبد الكعبة، وعاتكة، وبرة، وأميمة. ولد عبد المطلب إخوة؛ أم جميعهم فاطمة بنت عمرو بن عائذ ابن عمران بن مخزوم بن يثعظثة.

وكان عبد المطلب - فيما حدثني يونس بن عبد الأعلى - قال: أخبرنا ابن رهب، قال: أخبرنا يونس بن يزيد، عن ابن شهاب، عن قبيصة بن ذؤيب، أنه أخبره أن امرأة نذرت أن تنحر ابنها عند الكعبة في أمر إن فعلته، ففعلت ذلك الأمر، فقدمت المدينة لتستغنى عن نذرها، فجاءت عبد الله بن عمر، فقال لها عبد الله بن عمر: لا أعلم الله أمر في النذر إلا الوفاء به. فقالت المرأة: أفأنحرتُ ابني؟ قال ابن عمر: قد نهاكم الله أن تقتلوا أنفسكم؛ فلم يردا عبد الله بن عمر على ذلك، فجاءت عبد الله بن عباس فاستفتته، فقال: أمر الله بوفاء النذر [والنذر دين] (١)، ونهاكم أن تقتلوا أنفسكم - وقد كان عبد المطلب بن هاشم نذر إن توافى له عشرة رهط، أن ينحروا أحدهم، فلما توافى له عشرة، أقرع بينهم. أيهم ينحر؟ فطارت القرعة على عبد الله بن عبد المطلب، وكان أحب الناس إلى عبد المطلب، فقال عبد المطلب: اللهم هو أو مائة من الإبل، ثم أقرع بينه وبين الإبل، فطارت

السرعة على المائة من الإبل - فقال ابن عباس للمرأة: فأرى أن تنحري مائة من الإبل مكان ابنك . فبمع الحديث مروان ، وهو أمير المدينة ، فقال : ما أرى ابن عمرو ولا ابن عباس أصابا الفتيا ؛ إنه لا نذر في معصية الله ، استغفري الله وتوني إلى الله ، وتصدقي واعلمي ما استطعت من الخير ؛ فأما أن تنحري ابنك فقد نهاك الله عن ذلك . فسرت الناس بذلك ، وأعجبهم قول مروان ، ورأوا أنه قد أصاب الفتيا ، فلم^(١) يزالوا يفتون بالألا نذرت في معصية الله .

• • •

وأما ابن إسحاق ، فإنه قص من أمر نذر عبد المطلب هذا قصة ؛ هي أشيع^(٢) مما في هذا الخبر الذي ذكرناه عن ابن شهاب عن قبيصة بن ذؤيب ؛ وذلك ما حدثنا به ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق ، قال : كان عبد المطلب بن هاشم - فيما يذكر^(٣) والله أعلم - قد نذرت حين لقبي من قريش في حفر زمزم ما لتقي : لن وُلد له عشرة نفر ثم بلغوا معه حتى يمنعه ؛ لينحرن أحدهم لله عند الكعبة ، فلما توافى له^(٤) بنوه عشرة ، وعرف أنهم سيمنعونه ، جمعهم ثم أخبرهم بنذره الذي نذر . ودعاهم إلى الوفاء لله بذلك ، فأطاعوه ، وقالوا : كيف نصنع ؟ قال : يأخذ كل رجل منكم قِدْحًا ، ثم ليكتب فيه اسمه ، ثم اثتوني به . ففعلوا . ثم أتوه . فدخل على هُبَل في جوف الكعبة ، وكانت هُبَل أعظم أصنام قريش بمكة ، وكانت على بئر في جوف الكعبة ، وكانت تلك البئر هي التي يُجمع فيها ما يُهدى للكعبة ، وكان عند هُبَل سبعة أقدح^(٥) ، كل قِدْح منها فيه كتاب : قِدْح فيه العقل^(٦) ، إذا اختلفوا في العقل من يحمله منهم ضربوا بالقِدْح السبعة ، [فإن خرج العقل فعلى من خرج حمله]^(٧) ، وقِدْح فيه : «نعم» للأمر إذا أرادوه

١٠٧٥/١

(١) م : « فزالوا » . (٢) كذا في م ، وفي ح : « أبلغ » .

(٣) ابن هشام : « يزعمون » . (٤) ساقطة من ابن هشام .

(٥) ابن هشام : « قِدْح سبعة » ، والقِدْح ، بالكسر : السهم قبل أن يراش وينصل ، وجمعه قِداح وأقِدح .

(٦) العقل هنا : الدية

(٧) تكلمة من سيرة ابن هشام .

يضرب به ؛ فإن خرج قِدْحٌ : «نعم» عملوا به ، وقدْح فيه «لا» ، فإذا أرادوا أمرا ضربوا به في القِداح ، فإذا خرج ذلك القِدْح لم يفعلوا ذلك الأمر ، وقدْح فيه «منكم» ، وقِدْح فيه «مُلصَق» ، وقِدْح فيه «من غيركم» ، وقِدْح فيه «المياه» إذا أرادوا أن يحضروا للماء ضربوا بالقِداح ، وفيها ذلك القِدْح ، فحيثما خرج عملوا به . وكانوا إذا أرادوا أن يختنوا غلامًا ، أو يُنكحوا منكحًا ، أو يدفنوا ميتًا ، أو شكوا في نسب أحد منهم ذهبوا به إلى هُبَل وبمائة درهم وجزور ، فأعطوها صاحب القِداح الذي يضربها^(١) ، ثم قربوا صاحبهم الذي يريدون به ما يريدون ، ثم قالوا : يا إلهنا ، هذا ابن فلان ، قد أردنا به كذا وكذا ، فأخرج الحق فيه ؛ ثم يقولون لصاحب القِداح : اضرب ، فيضرب فإن خرج عليه «منكم» كان وسيطًا^(٢) وإن خرج عليه «من غيركم» كان حليفًا ، وإن خرج عليه «ملصق» كان على منزلته منهم ، لا نسب له ولا حليف ، وإن خرج في شيء سوى هذا مما يعملون به «نعم» عملوا به ، وإن ١٠٧٦/١ خرج «لا» أختروه عامتهم ذلك حتى يأتوا به مرة أخرى ، ينتهون في أمورهم إلى ذلك مما خرجت به القِداح - فقال عبد المطلب لصاحب القِداح : اضرب على بنى هؤلاء بقِداحهم هذه ، وأخبره بنذره الذي نذَر ، فأعطى كل رجل منهم قِدْحَه الذي فيه اسمه - وكان عبدُ الله بن عبد المطلب أصغرَ بنى أبيه ، وكان فيما يزعمون أحبُّ ولد عبد المطلب ، إليه ، وكان عبد المطلب يرى أن السهم إذا أخطأه فقد أشوى^(٣) ، وهو أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم - فلما أخذ صاحبُ القِداح القِداح ليضرب بها ، قام عبد المطلب عند هُبَل في جوف الكعبة يدعو الله ، ثم ضرب صاحبُ القِداح ، فخرج القِدْح على عبد الله ، فأخذ^(٤) عبد المطلب بيده ، وأخذ الشفرة ، ثم أقبل إلى إساف ونائلة - وهما وثنا قريش اللذان تنحر عندهما ذبائحها - ليذبحه ، فقامت إليه قريش من أنديتها ، فقالوا : ماذا تريد يا عبد المطلب ؟ قال : أذبحه

(١) سيرة ابن هشام : «يضرب بها» .

(٢) الوسيط : خالص النسب .

(٣) يقال : رمى فأشوى ، إذا رمى ولم يصب المقتل .

(٤) سيرة ابن هشام : «فأخذه» .

فَقَالَتْ لَهُ قَرِيشُ وَبَنُوهُ : وَاللَّهِ لَا تَذْبِجْهُ أَبَدًا حَتَّى تُعْذِرَ فِيهِ ؛ لَنْ فَعَلْتَ هَذَا ، لَا يَزَالُ الرَّجُلُ ^(١) يَأْتِي بِابْنِهِ حَتَّى يَذْبِجَهُ ، فَمَا بَقَاءُ النَّاسِ عَلَى هَذَا ! فَقَالَ لَهُ الْمُغْبِرَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَخْرُومٍ - وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنَ أَخِي الْقَوْمِ - : وَاللَّهِ لَا تَذْبِجْهُ أَبَدًا حَتَّى تُعْذِرَ فِيهِ ؛ فَإِنْ كَانَ فِدَاؤُهُ بِأَمْوَالِنَا فِدِينَاهُ . وَقَالَتْ لَهُ قَرِيشُ وَبَنُوهُ : لَا تَفْعَلْ وَانْطَلِقْ بِهِ إِلَى الْحِجَازِ ، فَإِنْ بِهِ عَرَافَةٌ لَهَا تَابِعْ ، فَسَأَلَهَا ، ثُمَّ أَنْتَ عَلَى رَأْسِ أَمْرِكَ ؛ إِنْ أَمَرْتُكَ أَنْ تَذْبِجَهُ ذَبَحْتَهُ ، وَإِنْ أَمَرْتُكَ بِأَمْرٍ لَكَ وَلَهُ فِيهِ فَرَجٌ قَبِلْتَهُ .

١٠٧٧/١

فَانْطَلَقُوا حَتَّى قَدِمُوا الْمَدِينَةَ ، فَوَجَدُوهَا - فِيمَا يَزْعُمُونَ - بِخَيْرٍ ، فَرَكِبُوا إِلَيْهَا حَتَّى جَاءُوهَا ، فَسَأَلُوهَا ، وَقَصَّ عَلَيْهَا عَبْدُ الْمُطَّلِبِ خَبْرَهُ وَخَبْرَ ابْنِهِ ، وَمَا أَرَادَ بِهِ ، وَنَذَرَهُ فِيهِ . فَقَالَتْ لَهُمْ : ارْجِعُوا عَنِّي الْيَوْمَ حَتَّى يَأْتِيَنِي تَابِعِي فَاسْأَلْهُ . فَرَجَعُوا عَنْهَا ، فَلَمَّا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِهَا ، قَامَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ يَدْعُو اللَّهَ . ثُمَّ غَدَوْا عَلَيْهَا ، فَقَالَتْ : نَعَمْ ، قَدْ جَاءَنِي الْخَبْرُ ، كَمْ الدِّيَّةُ فِيكُمْ ؟ قَالُوا : عَشْرٌ مِنَ الْإِبِلِ - وَكَانَتْ كَذَلِكَ - قَالَتْ : فَارْجِعُوا إِلَى بِلَادِكُمْ ، ثُمَّ قَرَّبُوا صَاحِبِكُمْ ، وَقَرَّبُوا عَشْرًا مِنَ الْإِبِلِ ، ثُمَّ اضْرِبُوا عَلَيْهَا وَعَلَيْهِ بِالْقِدَاحِ ، فَإِنْ خَرَجَتْ عَلَى صَاحِبِكُمْ فزِيدُوا فِي الْإِبِلِ ^(٢) حَتَّى يَرْضَى رَبُّكُمْ ، وَإِنْ خَرَجَتْ عَلَى الْإِبِلِ فَانْحَرُوهَا ، فَقَدْ رَضِيَ رَبُّكُمْ ، وَنَجَا صَاحِبِكُمْ .

فَخَرَجُوا حَتَّى قَدِمُوا مَكَّةَ ، فَلَمَّا أَجْمَعُوا لَذَلِكَ مِنَ الْأَمْرِ قَامَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ يَدْعُو اللَّهَ ، ثُمَّ قَرَّبُوا عَبْدَ اللَّهِ وَعَشْرًا مِنَ الْإِبِلِ - وَعَبْدُ الْمُطَّلِبِ فِي جُوفِ الْكَعْبَةِ عِنْدَ هُبَيْلٍ يَدْعُو اللَّهَ - فَخَرَجَ الْقِدَاحُ ^(٣) عَلَى عَبْدِ اللَّهِ ، فَزَادُوا عَشْرًا ، فَكَانَتْ الْإِبِلُ عَشْرِينَ ، وَقَامَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ فِي مَكَانِهِ ذَلِكَ يَدْعُو اللَّهَ ، ثُمَّ ضَرَبُوا فَخَرَجَ السَّهْمُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ ، فَزَادُوا عَشْرًا مِنَ الْإِبِلِ ، فَكَانَتْ ثَلَاثِينَ ، ثُمَّ لَمْ يَزَالُوا يَضْرِبُونَ بِالْقِدَاحِ وَيَخْرُجُ الْقِدَاحُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ ، فَكَلَّمَا خَرَجَ عَلَيْهِ زَادُوا مِنَ الْإِبِلِ عَشْرًا ؛ حَتَّى ضَرَبُوا عَشْرَ مَرَّاتٍ ، وَبَلَغَتْ الْإِبِلُ مِائَةَ ، وَعَبْدُ الْمُطَّلِبِ

(١) ح : « لَا يَزَالُ رَجُلٌ مَنَّا » .

(٢) ر ، وسيرة ابن هشام : « مِنْ الْإِبِلِ » .

(٣) ح ، ر ، م ، وابن الأثير « فَخَرَجَتْ الْقِدَاحُ » .

قائم يدعو ، ثم ضربوا فخرج القيدح على الإبل ، فقالت قريش ومن حضر :
 قد انتهى رضا ربك يا عبد المطلب . فزعموا أن عبد المطلب قال : لا والله حتى
 أضرب عليها ثلاث مرات ، فضربوا على الإبل وعلى عبد الله . وقام عبد المطلب
 يدعو فخرج القيدح على الإبل ، ثم عادوا الثانية وعبد المطلب قائم يدعو ، ثم ١٠٧٨/١
 عادوا الثالثة فضربوا^(١) ، فخرج القيدح على الإبل فنحرت ، ثم تركت
 لا يصد عنها إنسان ولا سبب^(٢) .

ثم انصرف عبد المطلب آخذاً بيد ابنه عبد الله ، فرمى - فيما يزعمون - على
 امرأة من بني أسد [بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب
 بن لؤي بن غالب بن فهر]^(٣) ، يقال لها : أم قتال^(٤) بنت نوفل بن أسد بن
 عبد العزى ، وهي أخت ورقة بن نوفل بن أسد ، وهي عند الكعبة ، فقالت
 له حين نظرت إلى وجهه : أين تذهب يا عبد الله ؟ قال : مع أبي ، قالت :
 لك عندي مثل الإبل التي نحرت عنك ، وقع على الآن ، قال : إن معي أبي
 ولا أستطيع خلفه ولا فراقه . فخرج به عبد المطلب حتى أتى به وهب بن
 عبد مناف بن زهرة - وهب يومئذ سيد بني زهرة سنناً وشرفاً - فزوجه آمنة
 بنت وهب ، وهي يومئذ أفضل امرأة في قريش نسباً وموضعاً ، وهي لبرة
 بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي ، وبرة لأم حبيب بنت أسد
 ابن عبد العزى بن قصي ، وأم حبيب بنت أسد لبرة بنت عوف بن عبيد بن
 عويج بن عدى بن كعب بن لؤي . فزعموا أنه دخل عليها حين ملكها مكانه
 فوقع عليها ، فحملت بمحمد صلي الله عليه وسلم . ثم خرج من عندها ، حتى
 أتى المرأة التي عرضت عليه ما عرضت ، فقال لها : مالك لا تعرضين عليّ
 اليوم ما كنت عرضت عليّ بالأمس ؟ فقالت له : فارقك النور الذي كان
 معك بالأمس ، فليس لي بك اليوم حاجة . وقد كانت تسمع من أخيها ورقة

١٠٧٩/١

(١) م ، وسيرة ابن هشام : « ثم ضربوا » .

(٢) سيرة ابن هشام : « لا يصد عنها إنسان ولا يمنع » .

(٣) من سيرة ابن هشام .

(٤) ح : « قتال » بتشديد التاء .

ابن نوفل ، وكان قد تنصّر واتبع الكتب ، حتى أدرك ، فكان فيما طلب من ذلك أنه كائن لهذه الأمة نبيّ من بني إسماعيل^(١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن أبيه إسحاق بن يسار ؛ أنه حدث أن عبد الله إنما دخل على امرأة كانت له مع آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ، وقد عمل في طين له ، وبه آثار من الطين ، فدعاها إلى نفسه ، فأبطأت عليه لما رأت به من آثار الطين ، فخرج من عندها^(٢) ، فتوضأ وغسل عنه ما كان به من ذلك ، وعمد إلى آمنة فدخل عليها فأصابها ، فحملت بمحمد صلى الله عليه وسلم ، ثم مرّ بامراته تلك ، فقال : هل لك ؟ فقالت : لا ، مررت بي وبين عينيك غرّة ، فدعوتني فأبيت ، ودخلت على آمنة فذهبت بها . فزعموا أن امرأتها تلك كانت تحدث أنه مرّ بها وبين عينيه مثل غرّة الفرس ، قالت : فدعوته رجاء أن يكون بي ، فأبى عليّ ، ودخل على آمنة بنت وهب فأصابها ، فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم^(٣) .

حدثني علي بن حرب الموصلي ، قال : حدثنا محمد بن عمار القرشي ، قال : حدثنا الزنجي بن خالد ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : لما خرج عبد المطلب بعبد الله ليزوجه ، مرّ به على كاهنة من خشم ، يقال لها فاطمة بنت مرّ ، متهودة^(٤) من أهل تبالة ، قد قرأت الكتب ، فرأت في وجهه نوراً ، فقالت له : يا فتى ، هل لك أن تقع على الآن وأعطيك مائة من الإبل ؟ فقال :

أما الحرام فالمات دونه والحل لا حل فاستيننه . فكيف بالأمر الذي تبغينه^(٤) .

١٠٨٠/١

(١) الخبر في سيرة ابن هشام ١ : ١٠٣-١٠٥ .

(٢) كذا في ح وسيرة ابن هشام ، وفي ط : « عنها » .

(٣) سيرة ابن هشام ١ : ١٠٥ .

(٤) م : « متهودة » . . .

(٤) الرجز في السهيل ١ : ١٠٤ ، وزاد فيه :

• يحمي الكريم عرضه ودينه •

ثم قال : أنا مع أبي ولا أقدر أن أفارقه ، ففضى به ، فزوجه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ، فأقام عندها ثلاثاً ثم انصرف . فرّ بالخثعمية فدعته نفسه إلى ما دعته إليه ، فقال لها : هل لك فيما كنت أردت ؟ فقالت : يا فتى ، إني والله ما أنا بصاحبة ريبة ، ولكنني رأيتُ في وجهك نوراً فأردتُ أن يكون في ، وأبي الله إلا أن يجعله حيث أراد ، فما صنعتَ بعدى ؟ قال : زوجني أبي آمنة بنت وهب ، فأقمت عندها ثلاثاً ، فأنشأت فاطمة بنت مرّ تقول (١) :

إني رأيتُ مخيلةً لعمتُ
فلمأنها نوراً يضيء له
فرجوتها فخرأ أبوه به
لله ما زهريةٌ سلبتُ
فتلألتُ بمنائم القطر (٢)
ما حوله كإضاءةِ البدر (٣)
ما كلُّ قاذح زنده يورى (٤)
ثوبيك ما استلبت وما تدرى! (٥)

وقالت أيضاً :

بني هاشمٍ قد غادرت من أخيكم
كما غادر المصباح عند خموده (٦)
وما كلُّ ما يحوى الفتى من تلادد
فأجبل إذا طالبت أمراً فإنه
أمانة إذ للباه تعتركان ١٠٨١/١
فتأزل قد ميث له بدهان (٧)
لعزيم ولا ما فاته لتسوان
سيكفيكه جدان يعتلجان

(١) الروض الأنف : ١ : ١٠٥ .

(٢) الخناتم : جمع ختم ؛ وهو السحاب .

(٣) لماتها : أبصرتها ؛ والبيت في اللسان أيضاً ١ : ١٤٩ : وفي السهيلي : « يضيء به » .
السهيلي :

• ورأيتُه شرفاً أبوه به •

(٥) رواية السهيلي :

لله ما زهرية سلبت منك الذي استلبت وما تدرى!

(٦) أنساب الأشراف : « بعد خبوه » .

(٧) كذا في أنساب الأشراف ، وفي ط : « ميث » .

سَيِّكَفِيكَهُ إِمَّا يَدٌ مُّقْفَعِلَةٌ وَإِمَّا يَدٌ مَبْسُوطَةٌ بَيْنَانٍ
وَلَمَّا حَوَتْ مِنْهُ أَمِينَةٌ مَا حَوَتْ حَوَتْ مِنْهُ فَخْرًا مَا لِذَلِكَ ثَانٌ (١)

حدثني الحارث بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : حدثنا
محمد بن عمر قال : حدثنا معمر وغيره ، عن الزهري ، أن عبد الله بن عبد المطلب
كان أجملَ رجال قريش ، فذكر لآمنة بنت وهب جمالُه وهيئته ، وقيل لها :
هل لك أن تزوجيه ! فتزوجته آمنة بنت وهب ، فدخل بها ، وعلقت برسول
الله صلى الله عليه وسلم ، وبعثه أبوه إلى المدينة في مِيرةٍ يحمل لهم تمرًا . فمات
بالمدينة ، فبعث عبد المطلب ابنه الحارث في طلبه حين أبطأ ، فوجده قد مات .
قال الواقدي : هذا غلط ، والمجتمع عليه عندنا في نكاح عبد الله بن عبد المطلب
ما حدثنا به عبد الله بن جعفر الزهري ، عن أم بكر بنت المسور . أن عبد المطلب
جاء بابنه عبد الله ، فخطب على نفسه وعلى ابنه ، فتزوجا في مجلس واحد .
فتزوج عبد المطلب هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة ، وتزوج عبد الله
ابن عبد المطلب آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة .

قال الحارث : قال ابن سعد : قال الواقدي : والشَّبَت عندنا ، ليس بين
أصحابنا فيه اختلاف ، أن عبد الله بن عبد المطلب أقبل من الشام في غير
لقريش ، فنزل بالمدينة وهو مريض ، فأقام بها حتى توفى ، ودفن في دار
النابعة - وقيل التابعة - في الدار الصغرى إذا دخلت الدار عن يسارك ،
ليس بين أصحابنا في هذا اختلاف .

١٠٨٢/١

ابن عبد المطلب

وعبد المطلب اسمه شيبه ، سُمِّي بذلك ؛ لأنه فيما حدثت عن هشام بن
محمد ، عن أبيه : كان في رأسه شيبه .
وقيل له عبد المطلب ؛ وذلك أن أباه هاشمًا كان شَخَص في تجارة له

(١) انظر أنساب الأشراف ١ : ٨٠ .

إلى الشام ، فسلك طريقَ المدينة إليها ، فلما قدم المدينة نزل - فيما حدثنا ابنُ حميد، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق . وفيما حدثت عن هشام ابن محمد عن أبيه . وفيما حدثني الحارث ، عن محمد بن سعد ، عن محمد بن عمر ، ودخل حديث بعضهم في بعض ، وبعضهم يزيد على بعض - على عمرو بن زيد بن أبيد الخزرجي ، فرأى ابنته سلمى بنت عمرو - وأما ابن حميد فقال في حديثه عن سلمة ، عن ابن إسحاق : سلمى بنت زيد بن عمرو - ابن لبيد بن حرام بن خدّاش بن جندب بن عدى بن النجار فأعجبه ، فخطبها إلى أبيها عمرو ، فأنكحها إياها ، وشَرَطَ عليه ألاّ تلد ولداً إلاّ في أهلها ، ثم مضى هاشم لوجهته قبيل أن ينيّ بها ، ثم انصرف راجعاً من الشام ، فبني بها في أهلها بيثرب ، فحملت منه . ثم ارتحل إلى مكة ١٠٨٣/١ وحملها معه ، فلما أثقلت ردها إلى أهلها ، ومضى إلى الشام فمات بها بغزة ، فولدت له سلمى عبدَ المطلب ، فكث بيثرب سبع سنين أو ثمان سنين . ثم إن رجلاً من بني الحارث بن عبد مناة مرّ بيثرب ، فإذا غلمان ينتضلون ، فجعل شيبة إذا خَسَقَ^(١) قال : أنا ابن هاشم ، أنا ابن سيّد البطحاء ، فقال له الحارثي : مَنْ أنت ؟ قال : أنا شيبة بن هاشم بن عبد مناف . فلما أتى الحارثي مكة ، قال للمطلب وهو جالس في الحجر : يا أبا الحارث ، تعلم أنّي وجدت غلماناً ينتضلون بيثرب ، وفيهم غلام إذا خَسَقَ قال : أنا ابن هاشم ، أنا ابن سيّد البطحاء . فقال المطلب : والله لا أرجع إلى أهلي حتى آتي به ، فقال له الحارثي : هذه ناقتي بالفناء فاركبها ، فجلس المطلب عليها ، فورد يثرب عشاء ، حتى أتى بني عدى بن النجار ، فإذا غلمان يضربون كرة بين ظهري مجلس ، فعرف ابن أخيه فقال للقوم : أهذا ابن هاشم ؟ قالوا : نعم ، هذا ابن أخيك ، فإن كنت تريد أخذه فالساعة قبل أن تعلم به أمه ، فإنها إن علمت لم تدعه ، وحلنا بينك وبينه . فدعاه ، فقال : يا بن أخي ، أنا عمّك ، وقد أردتُ الذهاب بك إلى قومك - وأناخ

(١) خسق : أصاب ونفذ .

راحلته - فما كذب أن جلس على عَجَزِ الناقة، فانطلق به ، ولم تعلم به أمه حتى كان الليل ، فقامت تدعو بحربها على ابنها ، فأخبرت أن عمه ذهب به ، وقدِم به المطلب ضحوة ، والناس في مجالسهم ، فجعلوا يقولون : من هذا وراءك؟ فيقول : عبد لي ، حتى أدخله منزله على امرأته خديجة بنت سعيد بن سهم ، فقالت : مَنْ هذا ؟ قال : عبد لي ، ثم خرج المطلب حتى أتى الحزورة ، فاشترى حلة فألبسها شيبه ، ثم خرج به حين كان العشي إلى مجلس بني عبد مناف ، فجعل بعد ذلك يطوف في سبائك مكة في تلك الحلة ، فيقال : هذا عبد المطلب ، لقوله : « هذا عبدى » حين سأله قومه ، فقال المطلب : عَرَفْتُ شَيْبَةَ وَالنَّجَّارُ قَدْ جَعَلَتْ أَبَاؤُهَا حَوْلَهُ بِالنَّبْلِ تَنْتَضِلُ

١٠٨٤/١

وقد حدثني هذا الحديث علي بن حرب الموصلي ، قال : حدثني أبو معن عيسى - من ولد كعب بن مالك - عن محمد بن أبي بكر الأنصاري ، عن مشايخ الأنصار ، قالوا : تزوج هاشم بن عبد مناف امرأة من بني عدى بن النجَّار . ذات شرف . تشرط على من خطبها المقام بدار قومها ، فتزوجت بهاشم ، فولدت له شيبه الحمد ، فرُبِّيَ في أخواله مكرماً ، فبينما هو يناضل فتيان الأنصار إذ أصاب خصله^(١) . فقال : أنا ابن هاشم . وسمعه رجل مجتاز . فلما قدم مكة ، قال لعمه المطلب بن عبد مناف : قد مررت بدار بني قيلة فرأيت فتى من صفته ومن صفته . . . يناضل فتيانهم . فاعتزى إلى أخيك ، وما ينبغي ترك مثله في الغربية . فرحل المطلب حتى ورد المدينة ، فأراد على الرحلة ، فقال : ذاك إلى الوالدة . فلم يزل بها حتى أذنت له . وأقبل به قد أردفه ، فإذا لقمية اللاقى وقال : مَنْ هذا يا مطلب ؟ قال : عبد لي ، فسمى عبد المطلب . فلما قدم مكة وقفه على ملك أبيه ، وسلمه إليه ، فعرض له نوفل بن عبد مناف في ركع^(٢) له ، فاغتصبه إياه ، فشى عبد المطلب إلى رجال قومه ، فسأهم النصر على عمه ، فقالوا : لسا بداخلير بيننا وبين عمك ، فلما رأى ذلك كتب إلى أخواله يعصف لهم حال نوفل . وكتب في كتابه :
أَبْلَغُ بَنِي النَّجَّارِ إِنْ جِئْتَهُمْ أَنِّي مِنْهُمْ وَأَبْنُهُمْ وَالْخَمِيْسُ

١٠٨٥/١

(١) أصاب خصله ، أى غلب ، من قومه : أحرز خصله وأصاب خصله : إذا غلب .

(٢) الركع : ناحية البيت .

رَأَيْتُهُمْ قَوْمًا إِذَا جِئْتَهُمْ هَوُوا لِقَائِي وَأَحَبُّوا حَسِيْسَ
فَإِنَّ عَمِّي نَوْفَلًا قَدْ أَبِي إِلَّا الَّتِي يُفْضِي عَلَيْهَا الْحَسِيْسَ

قال : فخرج أبو أسعد بن عدس^(١) النَّجَّارِيَّ في ثمانين راكبًا ، حتى أتى الأبطح ، وبلغ عبد المطلب ، فخرج يتلقاه ، فقال : المنزل يا خال ! فقال : أما حتى أتى نوفلاً فلا . قال : تركته جالسًا في الحجْر في مشايخ قريش ، فأقبل حتى وقف على رأسه ، ثم استل سيفه . ثم قال : ورب هذه البنية ؛ لتردن على ابن أختنا رُكْحه أو لأملأن منك السيف . قال : فإنني ورب هذه البنية أردُّ رُكْحه . فأشهد عليه من حضر ، ثم قال : المنزل يا ابن أختي ، فأقام عنده ثلاثًا واعتمر ، وأنشأ عبد المطلب يقول :

تَأبَى مَازِنٌ وَبَنُو عَدِيٍّ وَدِينَارُ بْنُ تَيْمِ اللَّاتِ ضَيْمِي
وَسَادَةُ مَالِكٍ حَتَّى تَنَاهَى وَنَكَبٌ بَعْدُ نَوْفَلٌ عَنْ حَرَمِي
بِهِمْ رَدُّ الْإِلَهِ عَلَى رُكْحِي وَكَانُوا فِي التَّنَسُّبِ دُونَ قَوْمِي^(٢)

وقال في ذلك سُمرة بن عُمر ، أبو عمرو الكنانى^(٣) :

لَعَمْرِي لِأَخْوَالِ إِشِيْبَةَ قَصْرَةَ مِنْ أَعْمَامِهِ دِنْيَا أَبْرٌ وَأَوْصَلُ
أَجَابُوا عَلَى بُعْدِ دُعَاءِ ابْنِ أَخْتِهِمْ وَلَمْ يَثْنِهِمْ إِذْ جَاوَزَ الْحَقَّ نَوْفَلُ
جَزَى اللَّهُ خَيْرًا عُصْبَةَ خَزْرَجِيَّةٍ تَوَاصَوْا عَلَى بِرِّ ، وَذُو الْبِرِّ أَفْضَلُ

١٠٨٦/١

قال : فلما رأى ذلك نوفل ، حالف بنى عبد شمس كلها على بنى هاشم . قال محمد بن أبي بكر : فحدثت بهذا الحديث موسى بن عيسى . فقال : يا ابن أبي بكر ، هذا شيء ترويه الأنصار تقرَّبًا إلينا ؛ إذ صيِّر الله الدولة فينا ! عبد المطلب كان أعزَّ في قومه من أن يحتاج إلى أن تتركب بنو النَّجَّار من

(١) م : « على » . (٢) أنساب الأشراف ١ : ٧٠ : « كانوا في التناصر » .

(٣) أنساب الأشراف ١ : ٧٠ ، ونسبها إلى شمر بن نمر الرائي . مع اختلاف في الرواية .

المدينة إليه . قلت : أصلح الله الأمير ! قد احتاج إلى نصرهم من كان خيراً من عبد المطلب . قال : وكان متكئاً فجلس مفضباً ، وقال : من خير من عبد المطلب ! قلت : محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : صدقت ، وعاد إلى مكانه ، وقال لبيته : اكتبوا هذا الحديث من ابن أبي بكر .

وقد حدثت هذا الحديث في أمر عبد المطلب وعمه نوفل بن عبد مناف ، عن هشام بن محمد ، عن أبيه ، قال : حدثنا زياد بن علاقة التغلبي - وكان قد أدرك الجاهلية - قال : كان سبب بدء الحلف الذي كان بين بني هاشم وخرزاعة الذي افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم بسببه مكة ، وقال : لتنصب^(١) هذه السحابة بنصر بني كعب ؛ أن نوفل بن عبد مناف - وكان آخر من بقي من بني عبد مناف - ظلم عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف على أركاح له - وهي الساحات - وكانت أم عبد المطلب سلمى بنت عمرو النجارية من الخزرج ، قال : فتصّف عبد المطلب عمه ، فلم ينصفه ، فكتب إلى أخواله :

هَلْ مِنْ رَسُولٍ إِلَى النَّجَارِ أَخْوَالِي !
وَمَا لِكَا عِصْمَةَ الْجِيرَانِ عَنْ حَالِي
ظَلَمْتُ عَزِيزًا مَنِيعًا نَاعِمَ الْبَالِ
عَنْ ذَاكَ مُطَلِّبٍ عَمِّي بَرَّحَالِ
أَمْشِي الْعَرِضَةَ مَحَابًا لِذُبَابِي
وَقَامَ نَوْفَلُ كَيْ يَعْدُو عَلَى مَالِي
وَوَغَابَ أَخْوَالُهُ عَنْهُ بِلاِ وَالِ
مَا أَمْنَعُ الْمَرْءَ بَيْنَ الْعَمِّ وَالْخَالِ^(٢) !
لَا تَمُذِّلُوهُ وَمَا أَنْتُمْ بِمُخْذَلِ
حَىٰ لِحَارِ وَإِنْعَامِ وَإِفْضَالِ

١٠٨٧/١ يا طُولَ لَيْلِي لِأَحْزَانِي وَأَشْغَالِي
بُنْيِي عَدِيًّا وَدِينَارًا وَمَا زَنِيهَا
قَدْ كُنْتُ فِيكُمْ وَلَا أَخْشَى ظُلَامَةَ ذِي
حَتَّىٰ ارْتَحَلْتُ إِلَى قَوْمِي وَأَزْعَجْتِي
وَكُنْتُ مَا كَانَ حَيًّا نَاعِمًا جَدَلًا
فَسَابَ مُطَلِّبٌ فِي قَمَرٍ مُظْلِمَةٍ
أَنْ رَأَى رَجُلًا غَابَتْ عُمُومَتُهُ
أَنْحَى عَلَيْهِ وَلَمْ يَحْفَظْ لَهُ رَحِمًا
فَأَسْتَنْفِرُوا وَآمَنُوا ضِيمَ ابْنِ أُخْتِكُمْ
مَا مِثْلُكُمْ فِي بَنِي قَحْطَانَ قَاطِبَةً

(١) ح : « لقد تنصت » .

(٢) ح : « ما أنعم » .

أَنْتُمْ لِيَانٌ لِمَنْ لَأَنْتَ عَرَبِيكْتُهُ سِلْمٌ لَكُمْ وَسِمَامٌ الْأَبْلَخِ الْغَالِي (١)

قال : فقدم عليه منهم ثمانون راكبًا . فأناخوا بيضاء الكعبة . فلما رأهم نوفل بن عبد مناف . قال لهم : أنعموا صباحًا ! فقالوا له : لا نعيم صباحك أيها الرجل ! أنصف ابن أختينا من ظلامته . قال : أفعل بالحب لكم والكرامة ؛ فردّ عليه الأركاح وأنصفه .

قال : فانصرفوا عنه إلى بلادهم . قال : فدعا ذلك عبد المطلب إلى الخائف ، فدعا عبد المطلب بسر (٢) بن عمرو وورقاء بن فلان ورجالاً من رجال خزاعة ، فدخلوا الكعبة وكتبوا كتابًا .

وكان إلى عبد المطلب بعد ذلك عمته انطاب بن عبد مناف ما كان إلى من قبله من بني عبد مناف من أمر السّمانية والرّفادة ، وشرف في قومه . وعظم فيهم خطره . فلم يكن يعدّ له به منهم أحد ، وهو الذي كشف عن زمزم . بئر إسماعيل بن إبراهيم . وامتدّ خرج ما كان فيها مدفونًا ؛ وذلك غزالان من ذهب ، كانت جرّهم دفنتهما - فيما ذكر - حين أخرجت من مكة ، وأسياف قلعية ، وأدراع ، فجعل الأسياف بابًا للكعبة . وضرب في الباب الغزالين صفائح من ذهب ، فكان أول ذهب حلّيته - فيما قيل - الكعبة . وكانت كنيّة عبد المطلب أبا الحارث ، كُنّي بذلك لأنّ الأكبر من ولده الذكور كان اسمه الحارث ، وهو شيبة .

ابن هاشم

واسم هاشم عمرو ؛ وإنما قيل له هاشم ، لأنه أول من هشم الثريد لقومه بمكة وأطعمه ، وله يقول مطرود بن كعب الخزاعي - وقال ابن الكلبي : إنما قاله ابن الزبعرى (٣) :

(١) الأبلخ : المتكبر .

(٢) ح : « بشر » .

(٣) أمالي المرتضى ٢ : ٢٦٩ ، وذكر بعده :

وَهُوَ الَّذِي سَنَّ الرَّحِيلَ لِقَوْمِهِ رِحْلَ الشَّتَاءِ وَرِحْلَةَ الْأَصْيَافِ

١٠٨٩/١ عَمَرُوا الَّذِي هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ وَرِجَالُ مَكَّةَ مُسْتَنْتُونَ عِجَافٌ^(١)

ذُكِرَ أَنَّ قَوْمَهُ مِنْ قَرِيْشٍ ، كَانَتْ أَصَابَتُهُمْ لَنْزَبَةٌ وَقَحْطٌ ، فَرِحَلُ إِلَى فِلَسْطِينَ ، فَاشْتَرَى مِنْهَا الدَّقِيقَ ، فَقَدِمَ بِهِ مَكَّةَ ، فَأَمَرَ بِهِ فَخَبَزَ لَهُ وَنَحَرَ جَزُورًا ، ثُمَّ اتَّخَذَ لِقَوْمِهِ مَرَقَةً ثَرِيدًا بِذَلِكَ الْحَبِيزِ .

وَذُكِرَ أَنَّ هَاشِمًا هُوَ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الرَّحْلَيْنِ لِقَرِيْشٍ : رِحَاةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ .

وَحُدِّثَتْ عَنْ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : كَانَ هَاشِمٌ ، وَعَبْدُ شَمْسٍ - وَهُوَ أَكْبَرُ وَلَدِ عَبْدِ مَنْفٍ ، وَالْمَطْلَبُ - وَكَانَ أَصْغَرَهُمْ - أُمَّتُهُمْ عَاتِكَةَ بِنْتَ مَرْةِ السُّلَيْمِيَّةِ ، وَنُوفَلٌ - وَأُمُّهُ وَأَقْدَةُ - بَنِي عَبْدِ مَنْفٍ ، فَسَادُوا بَعْدَ أَبِيهِمْ جَمِيعًا ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُمُ الْمُجْبِرُونَ ، قَالَ : وَلَهُمْ يُقَالُ :

يَأْيُهَا الرَّجُلُ الْمُحَوَّلُ رَحْلَهُ أَلَّا نَزَلَتْ بِآلِ عَبْدِ مَنْفٍ!^(٢)

فَكَانُوا أَوَّلَ مَنْ أَخَذَ لِقَرِيْشٍ الْعِصْمَ^(٣) ، فَانْتَشَرُوا مِنَ الْحَرَمِ ، أَخَذَ لَهُمْ هَاشِمٌ حَبْلًا مِنْ مَلُوكِ الشَّامِ الرُّومِ وَغَسَّانِ ، وَأَخَذَ لَهُمْ عَبْدُ شَمْسٍ حَبْلًا مِنَ النَّجَاشِيِّ الْأَكْبَرِ ، فَاخْتَلَفُوا بِذَلِكَ السَّبَبِ إِلَى أَرْضِ الْحَبِشَةِ ، وَأَخَذَ لَهُمْ نُوفَلٌ حَبْلًا مِنَ الْأَكَاسِرَةِ ، فَاخْتَلَفُوا بِذَلِكَ السَّبَبِ إِلَى الْعِرَاقِ وَأَرْضِ فَارَسٍ ، وَأَخَذَ لَهُمُ الْمَطْلَبُ حَبْلًا مِنْ مَلُوكِ حَمِيْرٍ ، فَاخْتَلَفُوا بِذَلِكَ السَّبَبِ إِلَى الْيَمَنِ . فَجَبَّرَ اللَّهُ بِهِمْ قَرِيْشًا ، فَسَدُّوا الْمُجْبِرِينَ .

وَقِيلَ : إِنَّ عَبْدَ شَمْسٍ وَهَاشِمًا تَوَأْمَانٌ ، وَإِنَّ أَحَدَهُمَا وَلَدَ قَبْلِ صَاحِبِهِ ، وَإِصْبَعٌ لَهُ مُلْتَصِقَةٌ بِجَبْهَةِ صَاحِبِهِ . فَنَحَّيْتُ عَنْهَا فَسَالَ مِنْ ذَلِكَ دَمٌ ، فَتَطْيَّرَ مِنْ ذَلِكَ . فَقِيلَ : تَكُونُ بَيْنَهُمَا دِمَاءٌ . وَوَلَّى هَاشِمٌ بَعْدَ أَبِيهِ عَبْدُ مَنْفٍ السَّقَابَةَ وَالرَّفَادَةَ .

١٠٩٠/١ حَدَّثَنِي الْحَارِثُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ : قَالَ : أَخْبَرَنَا هِشَامُ ابْنُ

(١) المَسْتَنْتُونَ : الَّذِينَ أَصَابَتْهُمُ السَّنَةُ الْمُجْدِبَةُ الشَّدِيدَةُ .

(٢) مِنْ أَبْيَاتِ فِي أَمَاكِ الْمُرْتَضَى ٢ : ٢٦٨ .

(٣) الْعِصْمُ (بِكَسْرِ فَتْحِ) . الْحَبْلُ ، وَيُرَادُ بِهَا الْعَهْدُ .

محمد، قال : حدثني معروف بن الحرَّبوذ المكي ، قال : حدثني رجل من آل عدى بن الحيار بن عدى بن نوفل بن عبد مناف عن أبيه . قال : وقال وهب بن عبد قصى في ذلك - يعنى في إطعام هاشم قومه التبريد :

تَحَمَّلَ هَاشِمٌ مَا ضَاقَ عَنْهُ وَأَعْيَا أَنْ يَقُومَ بِهِ ابْنُ بَيْضِ
أَتَاهُمْ بِالْفَرَائِرِ مُتَأَقَاتِ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ بِالْبُرِّ النَّفِيضِ
فَأَوْسَعَ أَهْلَ مَكَّةَ مِنْ هَشِيمِ وَشَابَ الْحُبْزَ بِاللَّحْمِ الْغَرِيضِ
فَظَلَّ الْقَوْمُ بَيْنَ مُكَلَّلَاتِ مِنَ الشَّيْزَى وَحَائِرُهَا بَيْضِ

قال : فحسده أمية بن عبد شمس بن عبد مناف - وكان ذا مال - فتكلف أن يصنع صنيع هاشم . فعجز عنه . فسميت به ناس من قريش فغضب ، ونال من هاشم ، ودعاه إلى المنافرة . فكره هاشم ذلك لِسَنِّهِ وَقَدْرِهِ . ولم تدعه قريش وأحفظوه . قال : فإني أنافرك على خمسين ناقة سود الخدق . تنحرها ببطن مكة . والجلاء عن مكة عشر سنين . فرضى بذلك أمية . وجعل بينهما الكاهن الحزاعي . فنفر هاشمًا عليه . فأخذ هاشم الإبل فنحرها وأطعمها من حضره . وخرج أمية إلى الشام . فأقام بها عشر سنين . فكانت هذه أول عداوة وقعت بين هاشم وأمية .

حدثني الحارث قال : حدثنا محمد بن سعد . قال : أخبرنا هشام ابن محمد . قال : أخبرني رجل من بني كنانة . يقال له ابن أبي صالح . ورجل من أهل الرقة مولى لبني أسد . وكان عالماً . قالوا : تنافر عبد المطلب ابن هاشم وحرب بن أمية إلى النجاشي الحبشي . فأبى أن ينفر^(١) بينهما . فجعل بينهما نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرظ بن رزاح بن عدى ابن كعب . وتنازل حرب : يا أبا عمرو . أتنافر رجلاً هو أطول منك قامة . وأعظم منك همة . وأوسم منك وسامة . وأقل منك لامة . وأكثر منك ولداً . وأحرز منك سمداً . وأطول منك مذوداً!^(٢) فنفره عليه . فكان حرب : إن

(١) ينفر بينهما : أى أبى أن يفضل أحدهما على الآخر .

(٢) ر : « مدداً » .

من انتكاث الزمان أن جعلناك محكماً ! فكان أول من مات من ولد عبد مناف ابنه هاشم ، مات بغزة من أرض الشام ، ثم مات عبد شمس بمكة فقبر بأجباد ، ثم مات نوفل بسامان من طريق العراق ، ثم مات المطلب بردمان من أرض اليمن ، وكانت الرفادة والسَّماية بعد هاشم إلى أخيه المطلب .

ابن عبد مناف

واسمه المنيرة . وكان يقال له القمر من جماله ربهنا : كان قصي يقول - فيما زعموا - : ولد لي أربعة ، فسمايت اثنين بصنمي ، وواحد لي ، وواحداً بنشسي ؛ وهم عبد مناف وعبد العزى ابنا قصي - وعبد العزى والد أسد - وعبد الدار بن قصي ، وعبد قصي بن قصي - درج ولده - وبرة بنت قصي ؛ أمهم جميعاً حبشي بنت حليل بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو بن خزاعة .
وحدثت عن هشام بن محمد ، عن أبيه . قال : وكان يقال لعبد مناف القمر . واسمه المنيرة ، وكانت أمه حبشي دفعته إلى مناف - وكان أعظم أصنام مكة - تدريئاً بذلك . فغلب عليه عبد مناف ، وهو كما قيل له :

١٠٩٢/١

كَانَتْ قُرَيْشٌ بَيْضَةً فَتَفَلَّقَتْ كَالْمَحِّ خَالِصَةً لِعَبْدِ مَنْفٍ (١)

ابن قصي

وقصي اسمه زيد ؛ وإنما قيل له قصي ، لأن أباه كلاب بن مرة كان تزوج أم قصي فاطمة بنت سعد بن سبيل - واسم سبيل خير - بن حمالة بن عوف بن غنم بن عامر الجادر . بن عمرو بن جعشم بن يشكر ، من أزدشنوة حلفاء في بني الدليل ؛ فولدت لكلاب زهرة وزيدا ، فهلك كلاب وزيد صغير ، وقد شب زهرة وكبر ، فقدم ربيعة بن حرام بن ضينة بن عبد بن كبير ابن عذرة بن سعد بن زيد ، أحد قضاة ، فتزوج - فيما حدثنا ابن حميد ،

(١) من أبيات مطرود بن كعب الخزاعي ، أمالي المرتضى ٢ : ٢٦٨ ؛ وهو في اللسان (مع) والسبيل ١ : ٩٤ . وابن أبي الحديد ٣ : ٤٥٣ . والمعنى ؛ ١٤٠ ، منسوب إلى ابن الزبير . والمعنى : صفة البيض .

قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق . وحدثت عن هشام بن محمد عن أبيه -
فاطمة أم زهرة وقصى - وزهرة رجل قد بلغ ، وقصى فطيم أو قريب من
ذلك - فاحتملها إلى بلاده من أرض بني عذرة . من أشرف الشام ، فاحتملت
معها قصباً لصغره . وتخلّف زهرة في قومه ، فولدت فاطمة بنت سعد بن
سَيْل لربيعة بن حرام رزاح بن ربيعة . فكان أخاه لأمته ، وكان لربيعة بن
حرام ثلاثة نفر من امرأة أخرى : وهم حنّ بن ربيعة ، ومحمود بن ربيعة ،
وجلهمة بن ربيعة . وشبّ زيد بن حجر ربيعة ، فسوّى زيد قصباً لبعده داره
عن دار قومه ، ولم يبرح زهرة مكّة . فبينما قصى بن كلاب بأرض قضاة
لا ينتمى - فيما يزعمون - إلاّ إلى ربيعة بن حرام ، إذ كان بينه وبين رجل
من قضاة شيء - وقد بلغ قصى ، وكان رجلاً شاباً - فأنبّه القضاة بالغبية
وقال له : ألاّ تلحق بقومك ونسبك فإنك لست منا ! فرجع قصى إلى أمته ،
وقد وجد في نفسه مما قال له القضاة ، فسألها عمّا قال له ذلك الرجل ، فقالت
له : أنت والله يا بنى أكرم منه نفساً ووالداً ، أنت ابن كلاب بن مرة بن
كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشي ، وقومك
بمكّة عند البيت الحرام ، وفيما حوله . فأجمع قصى الخروج إلى قومه واللحوق
بهم ، وكره الغربة بأرض قضاة ، فقالت له أمته : يا بنى لا تعجل بالخروج
حتى يدخل عليك الشهر الحرام ، فتخرج في حاج العرب ، فإنى أخشى عليك
أن يُصيبك بعض البأس ، فأقام قصى حتى إذا دخل الشهر الحرام ، خرج
حاج قضاة ، فخرج فيهم حتى قدم مكّة ، فلما فرغ من الحج أقام بها ،
وكان رجلاً جليداً نسيباً ، فخطب إلى حلَيْل بن حبشيشية الخزاعي ابنته حبشي
بنت حلَيْل ، فعرف حلَيْل النسب ورغب فيه ، فزوجه - وحلَيْل يومئذ
فيما يزعمون - يلي الكعبة وأمر مكّة .

فأما ابن إسحاق ، فإنه قال في خبره : فأقام قصى معه - يعني مع
حلَيْل - وولدت له ولده عبد الدار ، وعبد مناف ، وعبد العزى ، وعبد بنى
قصى . فلما انتشر ولدّه ، وكثر ماله ، وعظم شرفه هلك حلَيْل بن حبشيشية ،
فأرى قصى أنه أولى بالكعبة وأمر مكة من خزاعة وبنى بكر ، وأن قریشاً

فرعة^(١) إسماعيل بن إبراهيم، وصريح ولده، فكلتم رجالا من قريش وبني كنانة، ودعاهم إلى إخراج خزاعة وبني بكر من مكة، فلما قبلوا منه ما دعاهم إليه وبايعوه عليه، كتب إلى أخيه من أمته رزاح بن ربيعة بن حرام - وهو ببلاد قومه - يدعوه إلى نصرته، والقيام معه، فقام رزاح بن ربيعة في قضاة: فدعاهم إلى نصر أخيه والخروج معه إليه، فأجابوه إلى ما دعاهم من ذلك^(٢).

وقال هشام في خبره : قدِمَ قصيَ عليّ أخيه زهرة وقومه، فلم يلبث أن ساد، وكانت خزاعة بمكة أكثر من بني النضر، فاستنجد قصيَ أخاه رزاحاً، وله ثلاثة إخوة من أبيه، من امرأة أخرى، فأقبل بهم وبمن أجابه من أحياء قضاة، ومع قصيَ قومه بنو النضر، فنفوا خزاعة، فتزوج قصيَ حُبَيّ بنت حُلَيْل بن حبشبة من خزاعة، فولدت له أولاده الأربعة، وكان حُلَيْل آخرَ مَنْ وَلِيَ البيت، فلما ثَقُلَ جعل ولايةَ البيت إلى ابنته حُبَيّ، فقالت : قد علمت أنتي لا أقدر على فتح الباب وإغلاقه، قال : فإنّي أجعل الفتح والإغلاق إلى رجل يقوم لك به، فجعله إلى أبي غُبَيْشان - وهو سليمان بن عمرو بن بوي بن ملكان بن أفضى - فاشترى قصيَ ولايةَ البيت منه بزقِ خمر وبعود^(٣). فلما رأت ذلك خزاعة كثروا على قصيَ، فأستنصر أخاه، فقاتل خزاعة. فبلغنا - والله أعلم - أن خزاعة أخذتها العدسة، حتى كادت تُفْنِيهم، فلما رأت ذلك جلت عن مكة، فنهم من وهب مسكنه، ومنهم من باع، ومنهم من أسكن، فولِيَ قصيَ البيت وأمر مكة والحكم بها، وجمع قبائل قريش، فأنزلهم أبطح مكة. وكان بعضهم في الشعاب وءوس جبال مكة، فقسّم ميازيم بينهم. فسمى مُجَمَّعاً، وله يقول مطرود - وقيل : إنّ قائله حذافة ابن غانم :

أبوكم قصيٌّ كان يدعى مُجَمَّعاً بهِ جمعُ اللهِ القبائلِ منِ فهِرِ

(١) فرعة الجبل : أعلاه ؛ يريد أن قريشاً في الذروة من ولد إسماعيل، وفي ابن هشام : « فرعة »، والفرعة : نخبة للتوى ونخباره. (٢) سيرة ابن هشام ١ : ٨٤، مع اختلاف في الرواية. (٣) المود : الحسن من الإبل، وفي اليعقوبي : « وبعود ».

وملكه قومه عليهم .

وأما ابن إسحاق، فإنه ذكر أن رزاحًا أجباب قُصيًا إلى ما دعاه إليه من نُصرتِه، وخرج إلى مكة مع إخوته الثلاثة . ومن تبعه لذلك من قُضاة في حاج العرب ، وهم مجتمعون لنصر قصى ، والقيام معه . قال : وخزاعة تزعم أن حليل بن حُبشية أوصى بذلك قُصيًا . وأمره به حين انتشر له من ابنته من الأولاد ما انتشر ، وقال : أنت أولى بالكعبة والقيام عليها ، وبأمر مكة من خزاعة ، فعند ذلك طلب قصى ما طلب (١) .

فلما اجتمع الناس بمكة وخرجوا إلى الموقف ، وفرغوا من الحج ونزلوا منى ، وقصى مُجمَع لما أجمع له . ومن تبعه من قومه من قريش وبنى كنانة ومن معه من قُضاة . ولم يبق إلا أن ينفروا للصدر . وكانت صوفة تدفع بالناس من عرفة ، وتجزئهم إذا نَفَرُوا من منى . إذا كان يوم النَّفَرِ أتوا لرمى الجمار - ورجل من صوفة يرمى للناس : لا يرمون حتى يرمى - فكان ذور الحاجات السُّعَجَلُونَ يأتونه ، فيقولون له : قم فارم حتى نرى معك ، فيقول : لا والله حتى تَسِيل الشمس ، فيظل ذور الحاجات الذين يحبون التعجيل . يرمونه بالحجارة ويستعجلونه بذلك ، ويقولون : وياك قم فارم ! فيأبى عليهم ، حتى إذا مالت الشمس قام فرمى ورمى الناس معه . حدثنا ابن حميد . قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، هذا الحديث . عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد (٢) .

فإذا فرغوا من رمى الجمار ، وأرادوا النَّفَر من منى ، أخذت صوفة بناحيتي العتبة ، فحبسوا الناس ، وقالوا : أجزى صوفة . فلم يُجز أحد من الناس حتى ينفذوا ، فإذا نَفَرَت صوفة ومضت خلَّى سبيل الناس . فانطلقوا بعدهم . فمتى كان ذلك العام ، فعلت ذلك صوفة كما كانت تفعل ، قد عرفت ذلك لها العرب ، وهو دين في أنفسهم في عهد جُرهم وخزاعة وولايتهم ، أتاهم قصى بن

(١) الخبر إلى هنا في سيرة ابن هشام ١ : ٨٤ .

(٢) الخبر إلى هنا في سيرة ابن هشام ١ : ٨٥ مع اختلاف في الرواية .

كلاب بن معمر من قومه من قريش وكنانة وقضاة عند العقبة، فقالوا: نحن أولى بهذا منكم . فناكروه فناكروهم . فقاتلوه فاقتتل الناس قتالا شديداً . ثم انهزمت صوفة . وغلبهم قصي على ما كان بأيديهم من ذلك . وحال بينهم وبينه . قال : وانحازت عند ذلك خزاعة وبنو بكر عن قصي بن كلاب ، وعرفوا أنه سيمنعهم كما منع صوفة . وأنه سيحول بينهم وبين الكعبة وأمر مكة . فلما انحازوا عنه باداهم^(١) وأجمع لحربهم . وثبت معه أخوه رزاح بن ربيعة بمن معه من قومه من قضاة . وخرجت لهم خزاعة وبنو بكر وتبيتوا لحربهم . والتفوا فاقتتلوا قتالا شديداً . حتى كثرت القتلى من الفريقين جميعاً ، وفشت فيهم الجراحة . ثم إنهم تداعوا إلى الصلح . إلى أن يحدكوا بينهم رجلاً من العرب فيما اختاروا فيه . ليقضى بينهم . فحدكوا بعمر بن عوف ابن كعب بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة . فقتضى بينهم بأن قصياً أولي بالكعبة وأمر مكة من خزاعة . وأن كل دم أصابه قصي من خزاعة وبنو بكر ووضع بشدخه^(٢) تحت قدميه . وأن ما أصابت خزاعة وبنو بكر من قريش وبنو كنانة وقضاة ففيه الدية مؤداة . وأن يخلت بين قصي ابن كلاب وبين الكعبة ومكة . فسمى بعمر بن عوف يومئذ الشدخ . لما شدخ من الدماء ووضع منها . فولى قصي البيت وأمر مكة وجمع قومه من منازلهم إلى مكة . وتملك على قومه وأهل مكة فمكود . فكان قصي أول ولد كعب ابن لؤي أصاب ملكاً أطاع له به قومه . فكانت إليه الحجابة والسقاية والرفادة والشدة واللواء . فحاز شرف مكة كله . وقطع مكة أرباعاً بين قومه . فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة التي أصبحوا عليها^(٣) .

١٠٩٧/١

حدثنا ابن حميد . قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال :
ويزعم الناس أن قريشاً هابت قطع شجر الحرم في منازلهم . فقطعها قصي بيده ، وأعانوه . فسمته العرب مجمعاً لما جمع من أمرها . وتيمنت بأمره ،
فما تنكح امرأة ولا رجل من قريش إلا في دار قصي بن كلاب . وما يتشاورون

(١) ر : « ناداهم » .

(٢) يريد أنه أبطل تلك الدماء .

(٣) سيرة ابن هشام ١ : ٨٧ .

في أمر ينزل بهم إلا في داره، ولا يعقدون لواء لحرب قوم من غيرهم إلا في داره، يعقدونها لهم بعض ولده، وما تدرع^(١) جارية إذا بلغت أن تدرع من قريش إلا في داره؛ يشق عليها فيها درعها ثم تدرعه، ثم ينطلق بها إلى أهلها؛ فكان أمره في قومه من قريش في حياته وبعد موته كالدُّين المتبّع، لا يعمل ١٠٩٨/١ بغيره تيمناً بأمره ومعرفةً بفضله وشرفه، واتخذ قصي لنفسه دار الندوة، وجعل بابها إلى مسجد الكعبة، ففيها كانت قريش تقضى أمورها^(٢).

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، عن عبد الملك بن راشد، عن أبيه، قال: سمعت السائب بن خبّاب صاحب المقصورة يحدث أنه سمع رجلاً يحدث عمر بن الخطاب - وهو خليفة - حديث قصي بن كلاب هذا وما جمّع من أمر قومه، وإخراجه خزاعة وبني بكر من مكة، وولايته البيت وأمر مكة؛ فلم يرد ذلك عليه ولم ينكره.

قال: فأقام قصي بمكة على شرفه ومنزله في قومه لا ينازع في شيء من أمر مكة؛ إلا أنه قد أقر للعرب في شأن حجّتهم ما كانوا عليه؛ وذلك لأنه كان يراه ديناً في نفسه، لا ينبغي له تغييره، وكانت صوفة على ما كانت عليه، حتى انقرضت صوفة، فصار ذلك من أمرهم إلى آل صفوان بن الحارث ابن شجينة وراثته، وكانت عدوان على ما كانت عليه، وكانت النساء من بني مالك بن كنانة على ما كانوا عليه، ومرة بن عوف على ما كانوا عليه، فلم يزالوا على ذلك حتى قام الإسلام، فهدم الله به ذلك كله. وابنتي قصي داراً بمكة، وهي دار الندوة، وفيها كانت قريش تقضى أمورها؛ فلما كبر قصي ورق [عظمه]^(٣) - وكان عبدالدار بيكره هو، كان أكبر ولده، وكان - فيما يزعمون - ضعيفاً، وكان عبد مناف قد شرف في زمان أبيه، وذهب كل مذهب وعبد العزى بن قصي وعبد بن قصي، فقال قصي لعبد اندار

فيما يزعمون: أما والله لألحقنك بالقوم، وإن كانوا قد شرفوا عليك؛ لا يدخل ١٠٩٩/١ رجل منهم الكعبة حتى تكون أنت تفتحها، ولا يعقد لقريش لواء لحربهم إلا أنت بيدك، ولا يشرب رجل بمكة ماء إلا من سقايتك، ولا يأكل أحد من

(١) أدعت الجارية: لبست الدرع، ودرع المرأة: قميصها.

(٢) سيرة ابن هشام ١: ٨٧، ٨٨. (٣) من سيرة ابن هشام.

أهل الموسم طعاماً إلا من طعامك، ولا تقطع قريش أمورها إلا في دارك . فأعطاه داره، دار الندوة التي لا تقضى قريش أمراً إلا فيها ، وأعطاه الحجابة واللواء والندوة والسقاية والرفادة - وكانت الرفادة خرجاً تخرجه قريش في كل موسم من أموالها إلى قصي بن كلاب ، فيصنع به طعاماً للحاج يأكله من لم تكن له سعة ولا زاد ممن يحضر الموسم ؛ وذلك أن قصياً فرضه على قريش ، فقال لهم حين أمرهم به : يا معشر قريش ، إنكم جيران الله وأهل بيته الحرام ، وإن الحاج ضيف الله وزوار بيته . وهم أحق الضيف بالكرامة . فاجعلوا لهم شرباً وطعاماً أيام هذا الحج ، حتى يصندروا عنكم . ففعلوا فكانوا يُخْرِجون لذلك كل عام من أموالهم فيدفعونه إليه ، فيصنعه طعاماً للناس أيام منى . فجرى ذلك من أمره على قومه في الجاهلية . حتى قام الإسلام . ثم جرى في الإسلام إلى يومك هذا : فهو انضمام الذي يصنعه السلطان كل عام بمنى حتى ينتضى الحج^(١) .

حدثنا ابن حميد . قال : حدثنا سلمة . قال : حدثني من أمر قصي ابن كلاب وما قال لعبد الدار فيما دفع إليه ابن إسحاق بن يسار . عن أبيه . عن الحسن بن محمد بن عني بن أبي طالب . قال : سمعته يقول ذلك لرجل من بني عبد الدار . يقال له نبييه بن وهب بن عامر بن عكرمة بن داشم ابن عبد مناف بن عبد الدار . قال الحسن بن محمد : فجعل إليه قصي ما كان بيده من أمر قومه كله . وكان قصي لا يخالف ولا يرد عليه شيء صنعه . ثم إن قصياً هلك . فأقام أمره في قومه من بعده بنوه .

ابن كلاب

وأمّ كلاب - فيما ذكر - مند بنت سرير بن ثعلبة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة . وله أخوان من أبيه من غير أمه . وهما تميم وبقظة . أمهاتهما - فيما قال هشام بن الكلبي - أسماء بنت عدى بن حارثة ابن عمرو بن عامر بن بارق .

وأما ابن إسحاق فإنه قال : أمهاتهما هند بنت حارثة البارقية . قال : ويقال : بل بقظة لهند بنت سرير . أمّ كلاب .

(١) سيرة ابن هشام ١ : ٨٩ .

ابن مرة

وأم مرة وحشيّة بنت شيبان بن محارب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، وأخوه زبيبة وأمه عدى وهصيص . وقيل إن أم هؤلاء الثلاثة محشيّة . وقيل : إن أم مرة وهصيص محشيّة بنت شيبان بن محارب بن فهر . وأم عدى رقاش بنت ركبّة بن نائلة بن كعب بن حرب بن تيم بن سعد بن فهم بن عمرو بن قيس بن عدلان .

ابن كعب

وأم كعب ماوية - فيما قال ابن إسحاق وابن الكلبي - وماوية بنت كعب ابن التميمي بن جسر بن شبيع الله بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حنّوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، وله أخوان من أبيه وأمه : أحدهما يقال له ١١٠١/١ عامر ، والآخر سامة . وهم بنو ناجية . وهم من أبيهم أخ قد اتسمى والده إلى غطفان ولحقوا بهم ، كان يقال له : عوف ، أمه الباردة بنت عوف بن غنم بن عبد الله بن غطفان .

ذُكر أن الباردة لما مات لؤي بن غالب خرجت بابنها عوف إلى قومها ، فتزوجها سعد بن ذُبَيان بن بغيض . فتبني عوفاً . وفيه يقول - فيما ذكر - فزاره بن ذُبَيان :

عَرَّجَ عَلَيَّ ابْنَ لُؤَيِّ جَمَلِكَ يَتْرُوكُ الْقَوْمَ وَلَا مَنَزِلَ لَكَ

ولكعب أخوان آخرون أيضاً من أبيه من غير أمه . أحدهما حزيمة . وهو عائذة قريش ، وعائذة أمه . وهي عائذة بنت الحيمس بن قحافة . من خثعم ، والآخر سعد . ويقال لهم بسنانة . وبنازة أمهم ، فأهل البادية منهم اليوم - فيما ذكر - في بني أسعد^(١) بن همام . في بني شيبان بن ثعلبة ، وأهل الحاضرة ينتسبون إلى قريش .

(١) ر : «أسد» .

ابن لؤى

وأم لؤى - فيما قال هشام - عاتكة بنت يثخلد بن النصر بن كنانة . وهي أولى^(١) العواتك اللاتى ولدن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش . وله أخوان من أبيه وأمه ، يقال لأحدهما : تيمم . وهو الذى كان يقال له تيمم الأذرم - والدآرم نقصان فى الذقن ، قيل إنه كان ناقص اللآحى - وقيس . قيل : لم يبق من قيس أخى لؤى أحد ، وإن آخر من كان بقى منهم رجل هلك فى زمان خالد بن عبد الله القسرى ، فبقى ميراثه ، لا يدرى من يستحقه . وقد قيل : إن أم لؤى وإخوته سلمى بنت عمرو بن ربيعة . وهو أخى بن حارثة ابن عمرو مزينة بن عامر ماء السماء ، من خزاعة .

١١٠٢/١

ابن غالب

وأم غالب ليلى بنت الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة . وإخوته من أبيه وأمه : الحارث ، ومُحارب ، وأسد ، وعوف . وجئون : وذئب . وكانت محارب والحارث من قريش الظواهر ، فدخلت الحارث الأبطح .

ابن فهر

وفهر - فيما حدثت عن هشام بن محمد أنه قال : هو جماع قريش . قال : وأمه جندلة بنت عامر بن الحارث بن مضاخر الجرمي . وقال ابن إسحاق - فيما حدثنا ابن حميد - قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : أمه جندلة بنت الحارث بن مضاخر بن عمرو الجرمي . وكان أبو عبيدة معمر بن المثني يقول - فيما ذكر عنه - أمه سلمى بنت أد بن طابخة بن إلياس بن مضر .

وقيل : إن أمه جميلة بنت عدوان من بارق . من الأزد . وكان فهر فى زمانه رئيس الناس بمكة - فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق - فى حربهم حسان بن عبد كلال بن مثوب

(١) كذا فى م . وفى ط : « أول » .

ذی حُرث الحمیری . وكان حسّان - فيما قبل - أقبل من اليمن مع حمير وقبائل من اليمن عظيمة ، يريد أن ينقل أحجار الكعبة من مكة إلى اليمن ، ليجعل حجّ الناس عنده ببلاده ، فأقبل حتى نزل بنخلة ، فأغار على سرح الناس ، ومنع الطريق ، وهاب أن يدخل مكة . فلما رأت ذلك قريش وقبائل كنانة وخزيمة وأسد وجندام ومن كان معهم من أفضاء مضر ، خرجوا إليه ، ورئيس الناس يرمثه فهر بن مالك ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فهزمت حمير . ١١٠٣/١ وأسير حسّان بن عبد كلال ملك حمير ، أسره الحارث بن فهر ، وقتل في المعركة - فيمن قتل من الناس - ابن ابنه قيس بن غالب بن فهر . وكان حسّان عندهم بمكة أسيراً ثلاث سنين . حتى افتدّى منهم نفسه ، فخرج به . فمات بين مكة واليمن .

ابن مالك

وأمة عيكرشة بنت عدوان ، وهو الحارث بن عمرو بن قيس بن عيلان ، في قول هشام .

وأما ابن إسحاق فإنه قال : أمة عاتكة بنت عدوان بن عمرو بن قيس ابن عيلان .

وقيل : إن عيكرشة لقب عاتكة بنت عدوان ، واسمها عاتكة .

وقيل إن أمه هند بنت فهيم بن عمرو بن قيس بن عيلان . وكان لمالك أخوان ، يقال لأحدهما : يخلد ، فدخلت يخلد في بني عمرو بن الحارث ابن مالك بن كنانة ، فخرجوا من جماع قريش . والآخر منهما يقال له : الصلت ، لم يبق من ذريته أحد .

وقيل : سميت قريش قريشاً بقريش بن بدر بن يخلد بن الحارث بن يخلد بن النضر بن كنانة ، وبه سميت قريش قريشاً ، لأن عير بني النضر كانت إذا قدمت قالت العرب : قد جاءت عير قريش ، قانوا : وكان قريش

هذا دليل بنى النضر في أسفارهم ، وصاحب ميرتهم ، وكان له ابن يسمى بدرأ ،
احتفر بدرأ ، قالوا : فيه سميت البئر التي تدعى بدرأ . بدرأ .

وقال ابن الكلبي : إنما قريش جماع نسب . ليس بأب ولا أم ولا حاضن
ولا حاضنة .

وقال آخرون : إنما سمي بنو النضر بن كنانة قريشاً ؛ لأن النضر بن
كنانة خرج يوماً على نادي قومه ، فقال بعضهم لبعض : انظروا إلى النضر ،
كأنه جمل قريش^(١) .

وقيل : إنما سميت قريش قريشاً بدابة تكون في البحر تأكل دواب البحر ،
تدعى القيرش ، فشبهه بنو النضر بن كنانة بها ؛ لأنها أعظم دواب
البحر قوة .

وقيل : إن النضر بن كنانة كان يقرش عن حاجة الناس فيسدّها بماله ،
والتقريش - فيما زعموا - التفتيش . وكان بنوه يقرشون أهل الموسم عن الحاجة
فيسدونها بما يبلغهم - واستشهدوا لتولهم : إن التقريش هو التفتيش . يقول
الشاعر^(٢) :

أَيُّهَا النَّاطِقُ الْمُقَرَّشُ عَنَّا عِنْدَ عَمْرٍو فَهَلْ لَهْنَ انْتِهَاء!

وقيل : إن النضر بن كنانة كان اسمه قريشاً . وقيل : بل لم تزل بنو النضر
ابن كنانة يدعون بني النضر حتى جمعهم قصي بن كلاب . فتبيلهم : قريش ؛
من أجل أن التجمع هو التقريش ، فقالت العرب : تقرش بنو النضر . أي
قد تجدهموا .

وقيل : إنما قيل قريش ، من أجل أنها تقرشت عن الغارات .
حدثني الحارث : قال : حدثنا محمد بن سعد . قال : حدثنا محمد بن
عمر ، قال : حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبيرة . عن سعيد بن محمد
ابن جبشير بن مطعيم : أن عبد الملك بن مروان سأل محمد بن جبشير : متى

(١) الجمل القريش : الشديد .

(٢) هو الحارث بن حلزة ، الملقب بـ ٢٦٤ - بشرح الترمذاني ، وزوايد :

أَيُّهَا السَّامِتُ الْمُبَلِّغُ عَنَّا .

سميت قريش قريشاً ؟ قال : حين اجتمعت إلى الحرم من تفرقتها . فذلك التجمع القرش . فقال عبد الملك : ما سمعت هذا . ولكن سمعت أن قصباً كان يقال له القرشي ، ولم تسم قريش قبله .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد . قال : أخبرنا محمد بن ١١٠٥/١ عمر ، قال : حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة . عن عبد الخبيد بن سهيل بن عبد الرحمن بن عوف . عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف . قال : لما نزل قصي الحرم وغلب عليه ، فعل أفعالاً جديدة^(١) . فقيل له : القرشي . فهو أول من سمي به .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد . قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثني أبو بكر بن أبي سبرة . عن أبي بكر بن عبيد الله بن أبي جههم ، قال : النضر بن كنانة كان يسمى القرشي .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد . قال : قال محمد بن عمر : وقصي أحدث وقود النار بالمزدلفة . حيث وقف بها حتى يراها من دفع من عرفة . فلم تزل توقد تلك النار تلك الليلة في الجاهلية .

حدثني الحارث . قال : حدثنا محمد بن سعد . قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : فأخبرني كثير بن عبد الله المزني . عن نافع ، عن ابن عمر : قال : كانت تلك النار توقد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان . قال : محمد بن عمر : وهي توقد إلى اليوم .

ابن النضر

واسم النضر قيس . وأمه برة بنت مبر بن أد بن طابخة . وخواهته لأبيه وأمه نضير ومالك ومذكان وعامر والحارث وعمرو وسعد وعوف وغنم ومخرمة وجروان وغزوان وحمدال . وأخوهم من أبيهم عبد مناة . وأمه فاختة . وقيل ١١٠٦/١

(١) ح : « حميدة » .

فَكَهْتَهُ - وهى الذَّفْرَاءُ بنت هَنِيَّ بن بَلِيَّ بن عمرو بن الحاف بن قُضَاعَةَ .
وأخو عبد مناة لأمته على بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدى بن عمرو بن
مازن الغساني ، وكان عبد مناة بن كنانة تزوج هنداً بنت بكر بن وائل ،
فولدت له ولده . ثم خلف عليها أخوه لأمته عتي بن مسعود . فولدت له ،
فحضر على بنى أخيه ، فنُسبوا إليه ، فقبيل نبي عبد مناة : بنو على ، وإياهم
عتي الشاعر بقوله :

لِللَّهِ دَرُّ بَنِي عَدِيٍّ أَيْمٌ مِنْهُمْ وَنَاكِحٌ

وكعب بن زهير بقوله :

صَدَمُوا عَلِيًّا يَوْمَ بَدْرِ صَدَمَةَ دَانَتْ عَلِيٌّ بَعْدَهَا لِنِزَارٍ (١)

ثم وثب مالك بن كنانة على على بن مسعود . فقتله ، فودّاه أسد بن خزيمه .

ابن كنانة

وأمّ كنانة عَوَانَةُ بنت سعد بن قيس بن عَيْلَانَ . وقد قيل : إن أمه هند
بنت عمرو بن قيس . وإخوته من أبيه أسجد وأسدّة . يقال إنه أبو جذام
والهون . وأمهم برة بنت مر بن أد بن طابخة . وهى أم النضر بن كنانة ؛
خلف عليها بعد أبيه .

ابن خزيمة

وأمه سلمى بنت سليم بن الحاف بن قضاة . وأخوه لأبيه وأمه هذيل ،
وأخوهما لأمهم تغلب بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاة .
وقد قيل : إن أمّ خزيمه وهذيل سلمى بنت أسد بن ربيعة .

١١٠٧/١

ابن مدركة

واسمه عمرو . وأمّه خندف . وهى ليلي بنت حُلوان بن عمران بن الحاف
ابن قضاة ، وأمها ضريبة بنت ربيعة بن نزار . قيل : بها سُمي حيمي ضريبة ،

(١) ديوانه ٣٤ .

وإخوة مدركة لأبيه وأمه عامر - وهو طابخة - وعمير - وهو قمعة - ويقال : إنه أبو خزاعة .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق أنه قال : أم بني إلياس خندف ، وهي امرأة من أهل اليمن ، فغلبت على نسب بنيتها .
فقيل : بنو خندف .

قال : وكان اسم مدركة عامراً . واسم طابخة عمراً . قال : وزعموا أنهما كانا في إبل لهما يترعياها . فاقتنصا صيداً . فتعدا عليه يطبخانه . وعدت عادية على إبلهما . فقال عامر لعمرو : أتدرك الإبل أو تطبخ هذا الصيد ؟ فقال عمرو : بل أطبخ الصيد ، فلحق عامر الإبل . فجاء بها . فلما راحا على أبيهما ، فحدثاه بشأنهما . قال لعمير : أنت مدركة . وقال لعمرو : أنت طابخة .

وحدثت عن هشام بن محمد . قالوا : خرج إلياس في نجعة له (١) . فنفرت إبله من أرنب ، فخرج إليها عمرو فأدركها . فسمى مدركة ، وأخذها عامر فطبخها فسمى طابخة . وانتمعت عمير في الخباء فلم يخرج فسمى قمعة . وخرجت أمهم تمشي فقال لها : إلياس أين تخندفين ؟ فسميت خندف - والخندفة ضرب من المشى - قال : وقال قصي بن كلاب :

أُمَّهَتِي خِنْدِفٌ وَإِلْيَاسُ أَبِي

قال : وقال إلياس لعمرو ابنه :

إِنَّكَ قَدْ أَدْرَكْتَ مَا طَلَبْتَنَا

ولعامر

وَأَنْتَ قَدْ أَنْضَجْتَ مَا طَبَخْتَنَا

ولعمير :

وَأَنْتَ قَدْ أَسَاتَ وَأَنْقَمَعْتَا *

(١) : « لهم » .

ابن إلياس

وأُمته الرَّباب بنت حَيِّدَةَ بن معدّ، وأخوه لأبيه وأُمته النَّاس^(١)، وهو عَيْلَان : وسمي عَيْلَان - فيما ذكر - لأنه كان يعاتب على جوده ، فيقال له : لتغلبن عليك النّعيّنة يا عيلان ، فلزمه هذا الاسم .
 وقيل : بل سُمِّيَ عَيْلَان بن مَرَس كانت له تدعى عَيْلَان .
 وقيل : سُمِّيَ بذلك ؛ لأنه ولد في جبل يسمى عَيْلَان .
 وقيل : سُمِّيَ بذلك لأنه حضنه عبدٌ لمضر يدعى عَيْلَان .

ابن مضر

وأُمته سَوْدَة بنت عكّ ، وأخوه لأبيه وأُمته إِيَاد ، ولهما أخوان من أبيهما من غير أمّتهما . وهما ربيعة وأنصار ؛ أمّهما جدالة بنت وعلان بن جوشم ابن حلنهم بن عمرو ، من جرهم .

وذكر بعضهم أن نزار بن معدّ لما حضرته الوفاة أوصى بنيه ، وقسم ماله بينهم . فقال : يا بنيّ . هذه القبّة - وهي قبّة من أدّم حمراء - وما أشبهها من مالي نضر . فسمّي مضر الحمراء . وهذا الحياء الأسود وما أشبهه من مالي لربيعة ، فخلّف خيلاً دُهما . فسمّي النّرس . وهذه الخادم وما أشبهها من مالي لإياد . - وكانت شمطاء - فأخذ البليق والنّقد من غنمه . وهذه البدره واجلس لأثمار يجلس فيه^(٢) . فأخذ أثمار ما أصابه . فإن أشكل عليكم في ذلك شيء واختلفتم في القسمة فعليكم بالأفعى الجرهمي . فاختلفوا في القسمة . فتوجهوا إلى الأفعى ، فبينما هم يسرون في مسيرهم إذ رأى مضر كلاً قد رعى . فقال : إن البعير الذي رعى هذا الكلاً لأعور ، وقال ربيعة : هو أزور . قال إياد : هو أبتّر ، وقال أثمار : هو شرود ؛ فلم يسروا إلا قليلاً حتى لقيتهم رجل توضع به راحلته ، فسألهم عن البعير ، فقال مضر : هو أعور؟ قال : نعم . قال ربيعة : هو أزور؟ قال : نعم ، قال إياد : هو أبتّر ؟ قال : نعم . قال أثمار : هو شرود ؟ قال : نعم ، قال : هذه صفة بعيري ،

(١) الأصول : « إلياس » . (٢) ح : « عليه » .

دأبوني عليه . فحلفوا له : ما رأوه . فلزمهم وقال : كيف أصدقكم وأنتم تصفون بعيرى بصفته ! فساروا جميعاً حتى قدّموا نجران . فنزلوا بالأفعى الجرهمى . فنادى صاحب البعير : هؤلاء أصحاب بعيرى . وصنّدوا لى صننته ثم قالوا : لم نره . فقال الجرهمى : كيف وصننتم ولم ترّوه ؟ فقال مضرس : رأيت يترعى جانباً ويتداع جانباً فعرفت أنه أعور . وقال ربيعة : رأيت إحدى يديه ثابتة الأثر والأخرى فاسدة الأثر . فعرفت أنه أفسدها بشدة وطنه لازوراره . وقال إياد : عرفت أنه أبترباجتماع بعره . ولو كان ذيباً لا لمصع^(١) به . وقال : أعمار : عرفت أنه شرود ، لأنه يرعى المكان المنتف نبتة . ثم يجوزه إلى مكان ١١١٠/١ آخر أرق منه نبتاً وأخبث^(٢) . فقال الجرهمى : ليسوا بأصحاب بعيرك فاطلبه . ثم سألتهم : من هم ؟ فأخبروه . فرحب بهم فقال : أتحتاجون إلى وأنتم كما أرى ! فدعاهم بطعام فأكلوا وأكل . وشربوا وشرب . فقال مضرس : لم أر كاليوم خمراً أجود . لولا أنها نبتت على قببر . وقال ربيعة : لم أر كاليوم لحمًا أطيب لولا أنه رُبى بلبن كلب . وقال إياد : لم أر كاليوم رجلاً أسرى لولا أنه لغير أبيه الذى يدعى له . وقال أعمار : لم أر كاليوم قطّ كلاماً أنفع فى حاجتنا [من كلامنا]^(٣) .

وسمع الجرهمى الكلام فتعجب لتولم ، وأتى أمته فسأها فأخبرته أنها كانت تحت ملك لا يولد له . فكبرمت أن يذهب الملك فأمكنت رجلاً من نفسها كان نزل بها . فوطئها فحملت به . وسأل التهرمان عن الحمر . فقال : من حبلة^(٤) غرستها على قبر أبيك : وسأل الراعى عن اللحم ، فقال : شاة أرضعتها لبن كابة . ولم يكن ولى الغم شاة غيرها . فقيل مضرس : من أين عرفت الحمر ونباتها على قبر ؟ قال : لأنه أصابنى عليها عطش شديد وقيل لربيعة : بم عرفت ؟ فذكر كلاماً .

فأتاهم الجرهمى ، فقال : صفوا لى صفتكم^(٥) . فقصروا عليه ما أوصاهم

(١) يقال : مصعت الناقة بذنبا ؛ أى حوكته وضربت به .

(٢) م : « وأخف » . (٣) تكلمة من مجمع الأمثال ١ . ١٦ .

(٤) الحبلبة : شجرة الكرم .

(٥) ر : « قصتكم » .

به أبوهم ، فقضى بالقُبيّة الحمراء والدنانير والإبل - وهي حُمُر - لمضر ،
وقضى بالحباء الأسود وبالخيل الدُّهم ارببعة ، وقضى بالخدام - وكانت شطاء -
وبالخيال البَلُوق^(١) لإياد . وقضى بالأرض والدرهم لأنمار .

ابن نزار

وقيل إن نزاراً كان يكنى أبا إياد . وقيل : بل كان يكنى أبا ربيعة ، أمه
مُعانة بنت جوشم بن جُنهمة بن عمرو . وإخوته لأبيه وأمّه . قنص ،
وقناصة . وسنام^(٢) . وحيدان ، وحيدة ، وحيادة^(٣) . وجنيد ، وجنادة ،
والتحم . وعبيد الرّماح . والعرف . وعوف ، وشك . وقضاة ؛ وبه كان معدّ
يكنى . وعدّة درجوا^(٤) .

ابن معدّ

وأمّ معدّ - فيما زعم هشام - مهند بنت اللّهم - ويقال : اللّهم -
ابن جلتحَب بن جديس . وقيل : ابن طَسَم . وقيل : ابن الطوسم ، من ولد
يقشان^(٥) بن إبراهيم خليل الرحمن .

حدثنا الحارث بن محمد . قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : حدثنا
هشام بن محمد . قال : حدثني محمد بن عبد الرحمن العجلاني : وإخوته من
أبيه وأمّه الدّيث - وقيل : إن الدّيث هو عكّ . وقيل : إن عكا هو ابن الدّيث
ابن عدنان - وَعَدَن بن عدنان . فزعم بعض أهل الأنساب أنه صاحب عدنان ؛
وإليه تنسب ، وأن أهلها كانوا ولده فدَرَجوا . وأبيّن - وزعم بعضهم أنه
صاحب أبيّن وأنها إليه تنسب . وأن أهلها كانوا ولده فدَرَجوا - وأدّ بن
عدنان درَج ، والضحاك ، والعيّ . وأمّ جميعهم أمّ معدّ .

(١) ح ، ر : « والماشية البلق » ، م : « والخيل البلق » .

(٢) ر : « سام » .

(٣) ح : « جيادة » .

(٤) درجوا : انقرضوا .

(٥) ح : « يقشان » .

وقال بعض النسابة : كان عكّ انطلق إلى سمران من أرض اليمن . وترك أخاه معداً ، وذلك أن أهل حَضُور لما قتلوا شعيب بن ذى مَهْدَم الحَضُورى . بعث الله عليهم بختنصر عذاباً ، فخرج أرميا وبرخيا ، فحملا معداً ، فلما سكنت الحرب رداه إلى مكة ، فوجد معداً إخوته وعمومته من بنى عدنان قد لحقوا بطوائف اليمن ، وتزوجوا فيهم ، وتعطفت عليهم اليمن بولادة حُرهم إليهم ، واستشهدوا في ذلك قول الشاعر :

تَرَ كُنَا الدِّيثَ إِخْوَتَنَا وَعَكَّا إِلَى سَمْرَانَ فَانْطَلَقُوا سِرَاعًا
وَكَانُوا مِنْ بَنِي عَدْنَانَ حَتَّى أَضَاعُوا الْأَمْرَ بَيْنَهُمْ ، فِضَاعًا

ابن عدنان

ولعدنان أخوان لأبيه . يدعى أحدهما نَبِيتًا والآخر منهما عَمْرًا . فنسبُ نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لا يختلف النسابون فيه إلى معد بن عدنان . وأنه على ما بينت من نسبه .

حدثني يونس بن عبد الأعلى . قال : أخبرنا ابن وهب . قال : حدثني ابن لهيعة عن أبي الأسود وغيره . عن نسبة رسول الله صلى الله عليه وسلم : محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد^(١) . ١١١٣ .
ثم يختلفون فيما بعد ذلك .

وقال الزبير بن بكار : حدثني يحيى بن المقداد الزمعي . عن عمه موسى ابن يعقوب بن عبد الله بن وهب بن زمعة . عن عمته أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم . قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «معد ابن عدنان بن أدد بن زند بن يري بن أعراق الثرى» . . . قالت أم سلمة : فرزند هو المسموع . ويرى وهو نبت . وأعراق الثرى هو إسماعيل بن إبراهيم .

(١) ح : « أدد » .

حدثني الحارث . قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا هشام بن محمد ، قال : حدثني محمد بن عبد الرحمن العجلاني ، عن موسى بن يعقوب الزمعي . عن عمته ، عن جدهمها ابنة المقداد بن الأسود البهراني ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : معد بن عدنان بن أدد بن يري بن أعراق الثري .

وقال ابن إسحاق -- فيما حدثنا ابن حميد عن سلمة بن الفضل عنه عدنان -- فيما يزعم بعض النسابة -- بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح^(١) ابن يعرب بن يشجب بن ثابت بن إسماعيل بن إبراهيم .

وبعض يقول : بل عدنان بن ادد بن أيتحب بن أيوب بن قيذر بن إسماعيل بن إبراهيم .

قال : وقد اتبني قتي بن كلاب إلى قيذر في شعر .

قال : ويقول بعض النسابة : بل عدنان بن ميدع بن منيع بن أدد بن كعب بن يشجب بن يعرب بن أمية بن قيس بن إسماعيل بن إبراهيم . قال : وذلك أنه عنهم قديم أخذ من أهل الكتاب الأول .

وأما الكوفي محمد بن العائذ فإنه -- فيما حدثني الحارث . عن محمد بن سعد . عن هشام -- قال : أخبرني محرز عن أبي ولم أسمعه منه : أنه كان ينسب معد بن عدنان بن أدد بن الحسين بن سلامان بن عوص بن بوز بن قسول بن أبي بن عويم بن ناسد بن حرا بن بئسادس بن يدلاف بن طابخ بن جاحم ابن ناحس بن ماضي بن عبي بن عيمر بن عبيد بن الدعا بن حمدان بن منبر بن يربي بن يحرز بن يلاحن بن أرعوت بن عبي بن ديشان بن عيصر بن أقناد ابن إيهام بن متصر بن ناحث بن زارج بن شمس بن مزني بن عوص بن عرام ابن قيذر بن إسماعيل بن إبراهيم . صلوات الله عليهما .

حدثني الحارث . قال : حدثنا محمد بن سعد . قال : حدثنا هشام بن

محمد ، قال : وكان رجل من أهل تَدْمُر ، يكنى أبا يعقوب ، من مسلمة
بنى إسرائيل ، قد قرأ من كتبهم ، وعلم علمًا ، فذكر أن بروخ بن نارينا كاتب
أرميا ، أثبت نسب معدّ بن عدنان عنده ، ووضعه في كتبه ، وأنه معروف عند
أخبار أهل الكتاب ، مثبت في أسفارهم ، وهو مقارب لهذه الأسماء ، ولعلّ خلاف
ما بينهم من قبل اللغة ، لأنّ هذه الأسماء ترجمت من العبرانية .

قال الحارث : قال محمد بن سعد : وأنشدني هشام ، عن أبيه شعرَ قصيّ :
فَلَسْتُ لِحَاضِنٍ إِنْ لَمْ تَأْتَلْ (١) بِهَا أَوْلَادُ قَيْذَرَ وَالنَّبِيْتُ
قال : أراد نبت بن إسماعيل .

وقال الزبير بن بكار : حدثني عمر بن أبي بكر المؤمليّ ، عن زكرياء
ابن عيسى ، عن ابن شهاب ، قال : معدّ بن عدنان بن أدّ بن الهميّس بن
أسحب (٢) بن نبت بن قيذار بن إسماعيل .

وقال بعضهم : هو معدّ بن عدنان بن أدد بن أمين بن شاجب (٣) بن
ثعلبة بن عتر (٤) بن بريح بن محلم (٥) بن العوام بن المحتمل (٦) بن رائمة (٧) بن
العيقان بن علة (٨) بن الشحدود (٩) بن الضريب (١٠) بن عبقر بن إبراهيم بن إسماعيل
ابن يزن بن أعوج بن المطعم بن الطمح بن القسور بن عتود (١١) بن دعدع بن
محمود بن الزائد بن ندوان بن أتاممة (١٢) بن دوس بن حصن بن النزال بن القمير
ابن المجشّر بن معدر بن صيفي بن نبت بن قيذار بن إسماعيل بن إبراهيم
خليل الرحمن .

(١) ح ، ر : لحاضر ، م : « لحاضن » .

(٢) ح ، م : « شاجب » .

(٣) ح : « عبر » ، ر : « عمر » .

(٤) م : « ملجم » .

(٥) ح المجمل : م : « المحتمل » .

(٦) ح : « زائدة » م : « دائمة » .

(٧) م : « عكة » .

(٨) ح : « الطريب » ، ر : « الضريب » .

(٩) ح : « عبور » ، وفي م : « عبوث » .

(١٠) كذا في م .

وقال آخرون : هو معد بن عدنان بن أدد بن زيد بن يقدر بن يقدم بن هميسع بن نبت بن قيدر بن إسماعيل بن إبراهيم .

وقال آخرون : هو معد بن عدنان بن أدد بن هميسع بن نبت بن سلمان . وهو سلامان - ابن حمل بن نبت بن قيدر بن إسماعيل بن إبراهيم .

وقال آخرون : هو معد بن عدنان بن أدد بن المقوم بن ناحور بن مشرح ابن بشجب بن مالك بن أيمن بن النبيث بن قيدر بن إسماعيل بن إبراهيم . ١١١٨/١

وقال آخرون : هو معد بن عدنان بن أدد بن هميسع بن أسحب^(١) ابن سعد بن بريح بن نصير بن حميل بن منحم بن لافث بن الصابوح بن كنانة ابن العوام بن نبت^(٢) بن قيدر بن إسماعيل .

وأخبرني بعض النسّاب أنه وجد طائفة من علماء العرب قد حفظت لمعد أربعين أبا بالعربية إلى إسماعيل . واحتجّت لقولهم ذلك بأشعار العرب ، وأنه قابل بما قالوا من ذلك ما يقول أهل الكتاب . فوجد العدد متفقاً ، واللفظ مختلفاً . وأملى ذلك على فكتيبته عنه . فقال : هو معد بن عدنان بن أدد بن هميسع - وهو سلامان وهو أمين - ابن هميسع - وهو هميدع وهو الشاجب ابن سلامان - وهو منجر . وهو نبيت . سمي بذلك - فيما زعم - لأنه كان منجر العرب ، لأن الناس عاشوا في زمانه . واستشهد لقوله ذلك بقول قعنب بن عتاب الرياحي :

١١١٩/١ تَنَاشِدُنِي طَىُّ وَطَىُّ بَعِيدَةٌ وَتَذَكِّرُنِي بِالوَدِّ أَرْمَانَ نَبْتِ^(٣)

قال : نبيت بن عوص - وهو ثعلبة . قال : وإليه تنسب الثعلبية - ابن بورا - وهو بوز وهو غير العتائر ، وأون من سنّ العتيرة للعرب - ابن شوحا وهو سعد رجب . وهو أول من سنّ الرجبية للعرب - ابن يعمانا - وهو قموان : وهو بريح الناصب ، وكان في عصر سليمان بن داود النبي صلى الله عليه وسلم - ابن كسدانا - وهو محلم ذو العين - ابن حرانا - وهو العوام - ابن

(١) ر : « أشحب » . (٢) ح : « نبيت » .

(٣) كذا في ر ، و في ط : « بالود أزمان نبت » .

بلداسا - وهو المحتمل - ابن بدلانا - وهو يدلاف، وهو رائمة - ابن طهبا - وهو طالب، وهو العيقان - ابن جهمي - وهو جاحم، وهو علة - ابن محشي - وهو تاحش، وهو الشحدود - ابن معجالي - وهو ماخي، وهو الظريب خاظم النار - ١١٢٠/١
ابن عقارا - وهو عافي، وهو عبقر أبو الجن، قال: وإليه تنسب جنة عبقر - ابن عاقاري - وهو عاقر، وهو إبراهيم جامع الشمل. قال: وإنما سمي جامع الشمل لأنه آمن في ملكه كل خائف، ورد كل طريد، واستصلح الناس - ابن سداعي - وهو الدعا، وهو إسماعيل ذو المطابخ، سمي بذلك لأنه حين ملك أقام بكل بلدة من بلدان العرب دار ضيافة - ابن ابداعي - وهو عبيد وهو يزن الطعتان، وهو أول من قاتل بالرماح، فنسبت إليه - ابن همادي وهو حمدان، وهو إسماعيل ذو الأعوج وكان فرساً له، وإليه تنسب الأعوجية من الخيل - ابن بشامى - وهو بشين وهو المطعم في المحل - ابن بثراني - وهو بثرم، وهو الطمخ - ابن بجراني^(١) - وهو يحزن، وهو القصور - ابن بلحاني، وهو يلحس، وهو العنود^(٢) - ابن رعواني - وهو رعوى، وهو الدعدع - ابن ١١٢١/١
عاقاري - وهو عاقر - ابن داسان، وهو الزائد - ابن عاصار - وهو عاصر، وهو النيدوان ذو الأنديّة، وفي ملكه تفرق بنو القادور وهو القادور. وخرج الملك من ولد النبيت بن القادور إلى بني جاوان - ابن القادور ثم رجع إليهم ثانية - ابن قنادي - وهو قنار، وهو إيسامة^(٣) بن ثامار، وهو بهامي، وهو دوس العتق، وهو دوس أجمل الخلق، زعم في زمانه، فلذلك تقول العرب: أعتق من دوس لأمرين: أمّا أحدهما فلحسنه وعتقه، والآخر لقدمه، وفي ملكه أهليكت جرهم بن فالج وقطورا، وذلك أنهم بغوا في الحرم، فقتلهم دوس، وأتبع الدر آثار من بني منهم، فولج في أسماعهم فأفناهم - ابن مقصر - وهو مقاصري، وهو حصن، ويقال له: ناحث، وهو النزال بن زارح، وهو قمير - ابن سمي - وهو سما، وهو المجشر، وكان - فيما زعم - أعدل ملك ولي وأحسنه سياسة، وفيه يقول أمية بن أبي الصلت لهرقل ملك الروم:

(٢) كذا في ح .

(١) كذا في ح .

(٣) كذا في ح .

١١٢٢/١ كُنْ كَالْمَجْشِرِ إِذْ قَالَتْ رَعِيَّتُهُ كَانَ الْمَجْشِرُ أَوْفَانًا بِمَا حَمَلَا

ابن مزرا - ويقال مرهر - ابن صنفا^(١) ، وهو السمر ، وهو الصنفي ، هو أجود ملك رُئي على وجه الأرض ، وله يقول أمية بن أبي الصلت :

إِنَّ الصَّنِيَّ بْنَ النَّبِيْتِ مُمَلَّكَاً
أَعْلَى وَأَجْوَدُ مِنْ هِرَقْلٍ وَقَبَسْرَا

ابن جعم - وهو عرام ، وهو النَّبِيْتِ ، وهو قيذر ، قال : وتأويل « قيذر » صاحب ملك ، كان أول من ملك من ولد إسماعيل - ابن إسماعيل صادق الوعد ، ابن إبراهيم خليل الرحمن بن تارح - وهو آزر - ابن ناحور بن ساروع بن أرغوا ابن بالغ - وتفسيره « بالغ » القاسم بالسريانية ، لأنه الذي قسم الأرضين بين ولد آدم ، وبالف ، فهو فالج بن عابر بن شالح بن أرفخشد بن سام بن نوح ابن ملك بن متوشلخ بن أخنوخ ، وهو إدريس النبي صلى الله عليه وسلم - ابن يرد - وهو يارد الذي عملت الأصنام في زمانه - ابن مهلائيل بن قينان بن أنوش ابن شيث - وهو هبة الله ابن آدم عليه السلام . وكان وصي أبيه بعد مقتله هابيل ، فقال : هبة الله من هابيل ، فاشتق اسمه من اسمه . ١١٢٣/١

وقد مضى من ذكرنا الأخبار عن إسماعيل بن إبراهيم وآبائه وأمهاته فيما بينه وبين آدم ، وما^(٢) كان من الأخبار والأحداث في كل زمان من ذلك بعض ما انتهى إلينا ، بوجيز من القول مختصر ، في كتابنا هذا ، فكرهنا إعادته .

وحدّثت عن هشام بن محمد قال : كانت العرب تقول : إنما خدش الحدوش منذ ولد أبونا أنوش ؛ وإنما حرم الحنث ، منذ ولد أبونا شث ؛ وهو بالسريانية « شيث » .

• • •

ونعود الآن إلى :

(١) كذا في ح . (٢) ح ، ر : « وما » .

ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسبابه

فتوفى عبد المطلب بعد الفيل بثماني سنين ؛ كذلك حدثنا ابن حميد ،

قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر : وكان عبد المطلب يوصي برسول الله صلى الله عليه وسلم عمه أبا طالب ، وذلك أن أبا طالب ، وعبد الله أبا رسول الله صلى الله عليه وسلم كانا لأم ، فكان أبو طالب هو الذي يلبي أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد جدّه ، وكان يكون معه . ثم إن أبا طالب خرج في ركب من قريش إلى الشام تاجراً ، فلما نهياً للرحيل وأجمع السير صبّ^(١) به رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما يزعمون -

فرق له أبو طالب ، فقال : والله لأخرجنّ به معي ، ولا يفارقني ولا أفارقه ١١٢٤/١
أبدأ ، أو كما قال . فخرج به معه ، فلما نزل الركب ببحري من أرض الشام ، وبها راهب يقال له بحيرى في صومعة له ، وكان ذا علم من أهل النصرانية ، ولم يزل في تلك الصومعة مذقط^(٢) راهب^(٢) ، إليه يصير علمهم عن كتاب - فيما يزعمون - يتوارثونه كابراً عن كابر . فلما نزلوا ذلك العام ببحيرى ، صنع لهم طعاماً كثيراً ، وذلك أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في صومعته ، عليه غمامة تظله من بين القوم . ثم أقبلوا حتى نزلوا في ظل شجرة قريباً منه ، فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة ، وتهصرت^(٣) أغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى استظل تحتها ، فلما رأى ذلك بحيرى ، نزل من صومعته ، ثم أرسل إليهم فدعاهم جميعاً ، فلما رأى بحيرى رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يلحظه لحظاً شديداً ، وينظر إلى أشياء من جسده قد كان يجدّها عنده من صفته .

فلما فرغ القوم من الطعام وتفرقوا ، سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء في حاله ؛ في يقظته وفي نومه ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يُخبره فيجدّها ببحيرى موافقة لما عنده من صفته . ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه ، ثم قال ببحيرى لعمه أبي طالب : ما هذا الغلام منك ؟ قال : ابني ، فقال له بحيرى : ما هو بابنك ، وما ينبغي لهذا الغلام

(١) كذا في ح ، وضب به : تعلق ، وفي ط والسيرة : « صب به » ، أي مال إليه .

(٢) قط هنا : اسم بمعنى الدهر ، ومذ ظرف ، وانظر ما نقله صاحب اللسان عن

الحياني في مادة (ق ط ط) .

(٣) كذا في السيرة ، وتهصرت : مالت وتدلت . وفي ط : « وهصرت » .

أن يكون أبوه حياً . قال : فإنه ابنُ أخي ، قال : فما فعل أبوه ؟ قال : مات وأمه حبلى به ، قال : صدقت ، ارجع به إلى بلدك ، واحذرْ عليه يَهُود ؛ فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفتُ ، لبيغُنَّهُ شرًّا ، فإنه كائن له شأن عظيم ، فأسرِعْ به إلى بلده . فخرج به عمهُ سريعاً حتى أقدمه مكة (١) . ١١٢٥/١

وقال هشام بن محمد : خرج أبو طالب برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بَصْرَى من أرضِ الشَّام ؛ وهو ابنُ تسع سنين .

حدثني العباس بن محمد ، قال : حدثنا أبو نوح ، قال : حدثنا يونس ابن أبي إسحاق ، عن أبي بكر بن أبي موسى ، عن أبي موسى ، قال : خرج أبو طالب إلى الشَّام ، وخرج معه رسول الله صلى الله عليه وسلم في أشياخٍ من قُرَيْش ، فلما أشرفوا على الرَّاهِبِ هَبَطُوا فحلُّوا رحالهم ، فخرج إليهم الرَّاهِبُ - وكانوا قبل ذلك يمرُّون به فلا يخرج إليهم ولا يلتفت . قال : فهم يحلُّون رحالهم ؛ فجعل (٢) يتخلَّلُهُمْ حتى جاء فأخذَ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هذا سيِّدُ العالمين ، هذا رسولُ ربِّ العالمين ؛ هذا يبعثه الله رحمةً للعالمين . فقال له أشياخ قُرَيْش : ما علمك (٣) ؟ قال : إنكم حين أشرفتم من العقبَةِ لم تبق شجرةٌ ولا حجرٌ إلا خرَّ ساجداً ؛ ولا يسجدون إلا لنبي ، وإني أعرفه بخاتم (٤) النبوة ، أسفلَ من غضروفِ كتفه مثل التفاحة .

ثم رجع فصنَّع لهم طعاماً ، فلما أتاهم به كان هو في رعيَّة الإبل . قال : أرسلوا إليه ، فأقبل وعليه غمَّامة ، فقال : انظروا إليه ؛ عليه غمَّامة تُظلُّه ! فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيءِ الشجرة ، فلما جلس مالَ فيءِ الشجرة عليه ، فقال : انظروا إلى فيءِ الشجرة مال (٥) عليه ؛ قال : فبينما هو قائم عليهم ؛ وهو يناشدُهم ألا يذهبوا به إلى الروم ؛ فإن الروم إن رأوه عرفوه بالصفة فقتلوه ؛ فالتفت فإذا هو بسبعة نفرٍ قد أقبلوا من الروم ؛

(١) سيرة ابن هشام ١ : ١١٨ ، ١١٩ .

(٢) ح : « وهو » .

(٣) ط : « ما علمك ؟ » .

(٤) ح : « خاتم النبوة » .

(٥) ح : « مالت » .

فاستقبلهم ، فقال : ما جاء بكم ؟ قالوا : جئنا أن هذا النبي خارج في هذا الشهر ؛ فلم يبقَ طريق إلا بُعِثَ إليها ناس ، وإنا اخترنا خيرة ، بعثنا إلى طريقك هذا ؛ قال لهم : هل خَلَفْتُمْ خَلْفَكُمْ أحداً هو خَيْرٌ منكم؟ قالوا : لا ؛ إنما اخترنا خيرة لطريقك هذا ، قال : أفرأيتم أمراً أراد الله أن يقضيه ، هل يستطيع أحد من الناس رَدَّه! قالوا : لا ؛ فتابعوه وأقاموا معه ، قال : فاتاهم ، فقال : أنشدكم الله ، أيتكم وليه؟ قالوا : أبو طالب ، فلم يزل يناشده حتى رَدَّه ، وبعث معه أبو بكر رضى الله تعالى عنه بلالاً ، وزوده الراهب من الكعك والزيت .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن محمد بن عبد الله بن قيس بن مخزومة ، عن الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب ، عن أبيه محمد بن علي ، عن جده علي بن أبي طالب ، قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : ما هممتُ بشيءٍ مما كان أهلُ الجاهلية يعملون به غيرَ مرتين ، كلٌّ ذلك يحول الله بيني وبين ما أريد من ذلك . ثم ما هممتُ بسوءٍ حتى أكرمني الله عزَّ وجلَّ برسالته ؛ فلأني قد قلت ليلةً لغلامٍ من قريش كان يرعى معي بأعلى مكة : لو أبصرت لي غنمِي حتى أدخلَ مكة ، فأسمرَ بها كما يسمرُ الشباب ! فقال : أفعل ؛ فخرجتُ أريد ذلك ؛ حتى إذا جئتُ أولَ دارٍ من دورِ مكة ، سمعتُ عزفاً بالدُفوف والمزامير ، فقلت : ما هذا ؟ قالوا : فلان ابن فلان تزوج بفلانة بنت فلان . ١١٢٧/١
فجلستُ أنظر إليهم ، فضرب الله على أذني فممتُ فما أيقظني إلا مَسَّ الشمس ؛ قال : فجئتُ صاحبي ، فقال : ما فعلت ؟ قلت : ما صنعت شيئاً ، ثم أخبرته الخبر . قال : ثم قلتُ له ليلةً أخرى مثلَ ذلك ، فقال : أفعل ، فخرجتُ فسمعتُ حين جئتُ مكة مثلَ ما سمعتُ حين دخلتُ مكة تلك الليلة ؛ فجلستُ أنظر ، فضرب الله على أذني ؛ فوالله ما أيقظني إلا مَسَّ^(١) الشمس ؛ فرجعتُ إلى صاحبي فأخبرته الخبر . ثم ما هممتُ بعدها بسوءٍ حتى أكرمني الله عزَّ وجلَّ برسالته .

(١) ر : ه حر الشمس .

ذكر تزويج النبي

صلى الله عليه وسلم خديجة رضي الله عنها

قال هشام بن محمد: نكح رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة وهو ابن خمس وعشرين سنة، وخديجة يومئذ ابنة أربعين سنة.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة. عن ابن إسحاق. قال: كانت خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي امرأة تاجرة، ذات شرف ومال، تستجير^(١) الرجال في مالها. وتضاربهم إيتاه بشيء تجعله لهم منه، وكانت قريش قوماً تجاراً؛ فلما بلغها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بلغها من صدق حديثه. وعظيم أمانته. وكرم أخلاقه؛ بعثت إليه، فعرضت عليه أن يخرج في مالها إلى الشام تاجراً. وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار؛ مع غلام لها يقال له ميسرة. فقبله منها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج في مالها ذلك؛ وخرج معه غلامها ميسرة؛ حتى قدما الشام، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظل شجرة قريباً من صومعة راهب من الرهبان^(٢)، فأطلع الراهب رأسه إلى ميسرة فقال: من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة؟ فقال له ميسرة: هذا رجل من قريش، من أهل الحرم، فقال له الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي^(٣)، ثم باع رسول الله صلى الله عليه وسلم سيلعته التي خرج بها، واشترى ما أراد أن يشتري، ثم أقبل قافلاً إلى مكة؛ ومعه ميسرة. فكان ميسرة - فيما يزعمون - إذا كانت الهاجرة واشتد الحر يرى ملكين يظللانه من الشمس، وهو يسير على بعيره. فلما قدم مكة على خديجة بمالها، باعت ما جاء به فأضعفت، أو قريباً من ذلك. وحدثها ميسرة عن

(١) ر، و ابن هشام: «تسأجر».

(٢) هو نسطورا؛ وليس هو بحيرى المتقدم ذكره، كذا قال السهيلي.

(٣) قال السهيلي: «بريد ما نزل تحتها هذه الساعة إلا نبي؛ لبعده المهدي بالأنبياء

قبل ذلك».

قول الرّاهب ، وعمّا كان يرّى من إضلال الملكين إياه - وكانت خديجة امرأة حازمة لبية شريفة ؛ مع ما أراد الله بها من كرامته - فلما أخبرها ميسرة بما أخبرها ، بعثت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت له - فيما يزعمون - : يا بن عمّ ، إننى قد رغبتُ فيك لقرابتك وسيطتك^(١) فى قومك ، وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك . ثم عرّضت عليه نفسها ، وكانت خديجة يومئذ أوسط نساء قريش نسباً ، وأعظمن^(٢) شرفاً ، وأكثرهن مالاً ؛ كل قومها كان حريصاً على ذلك منها لو يقدرُ عليها^(٣) .

فلما قالت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر ذلك لأعمامه ، فخرج معه حمزة بن عبد المطلب عمّه ؛ حتى دخل على خويلد بن أسد^(٤) ، فخطبها إليه فتزوجها ، فولدت له ولده كلثوم إلا إبراهيم : زينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة ، والقاسم - وبه كان يكنى صلى الله عليه وسلم - والطاهر والطيب . فأما القاسم والطاهر والطيب ؛ فهلكوا فى الجاهلية ، وأما بناته فكلتهن أدركن الإسلام فأسلمن ، وهاجرن معه صلى الله عليه وسلم^(٥) .

١١٤٩/١٠

حدثنى الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : حدثنا محمد ابن عمر ، قال : حدثنا معمر وغيره ، عن ابن شهاب الزهري - وقد قال ذلك غيره من أهل البلد : إن خديجة إنما كانت استأجرت رسول الله صلى الله

(١) السطة : مثل الوسط ؛ وهو من أوصاف المدح والتفضيل .

(٢) فى الأصول : « وأعظهم » ؛ وما أثبتته من ابن هشام .

(٣) ابن هشام : « لو يقدر عليه » ؛ وبعدها هناك : « وهى خديجة بنت خويلد بن أسد ابن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر . وأمها فاطمة بنت زائدة بن الأصم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤى بن غالب بن فهر . وأم فاطمة هالة بنت عبد مناف بن الحارث بن عمرو بن منقذ بن عمرو بن معيص بن عامر بن لؤى بن غالب ابن فهر . وأم هالة قلابة بنت سعيد بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر » .

(٤) قال السهيلي : « وذكر غير ابن إسحاق أن خويلداً كان إذ ذاك قد هلك ، وأن الذى أنكح خديجة رضى الله عنها هو عمها عمرو بن أسد ؛ قاله المبرد وطائفة معه . وقال أيضاً : إن أبا طالب هو الذى نهض مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وهو الذى خطب خطبة النكاح » .

(٥) الخبر فى سيرة ابن هشام ١ : ١٢١ - ١٢٣ .

عليه وسلم ورجلاً آخر من قُرَيْش إلى سوق حُبَاشَة بِنِهَامَة ؛ وكان الذي زَوَّجها إياها خُوَيْلِد ، وكان التي مشت^(١) في ذلك مولاةٌ مولدةٌ من مولدات مكة .

قال الحارث : قال محمد بن سعد : قال الواقدي : فكل هذا غلطٌ .

قال الواقدي : ويقولون أيضاً إن خديجة أرسلت إلى النبي صلى الله عليه وسلم تدعوه إلى نفسها - تعنى الترويج - وكانت امرأة ذات شرف ، وكان كل قريش حريصاً على نكاحها - قد بذلوا الأموال^(٢) لو طمعوا بذلك ، فدعت أباهاً فسفته خمرأ حتى ثَمِيل ، ونحرت بقرة وخلقتة بخلق ، وألبسته حلة حَبِيرة ، ثم أرسلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في عمومته ، فدخلوا عليه ، فزوجه^(٣) ، فلما صحا قال : ما هذا العَقِير ؟ وما هذا العبير ؟ وما هذا الحبير ؟ قالت : زوجتني محمد بن عبد الله ، قال : ما فعلت أنتي أفعل هذا وقد خطبك أكابر قريش ، فلم أفعل !

قال الواقدي : وهذا غلطٌ ، والثبّت عندنا المحفوظ^(٤) من حديث محمد ابن عبد الله بن مسلم ، عن أبيه ، عن محمد بن جبّير بن مطيع . ومن حديث ابن أبي الزناد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة . ومن حديث ابن أبي حبيبة ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ أن عمها عمرو بن أسد زوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن أباه مات قبل الفجار^(٥) .

• • •

قال أبو جعفر : وكان منزل خديجة يومئذ المنزل الذي يعرف بها اليوم ، فيقال : منزل خديجة ، فاشتراه معاوية - فيما ذكر - فجعله مسجداً يصلّي فيه الناس ، وبناه على الذي هو عليه اليوم لم يغيّر . وأمّا الحجر الذي على باب البيت عن يسار من يدخل البيت فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجلس تحته يستتر به من الرمي إذا جاءه من دار أبي لهب ، ودار عدي ابن حمراء الثقفي خلف دار ابن علقمة ، والحجر ذراع وشبر في ذراع .

(٢) ح : لها المال .

(١) م : الذي مشى .

(٤) ابن سعد : المحفوظ عن أهل العلم .

(٣) ر : فزوجه .

(٥) الخبر في طبقات ابن سعد ١ : ١٢٢ ، ١٢٣

ذكر باقى الأخبار عن الكائن من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن ينبأ ، وما كان بين مولده ووقت نبوته من الأحداث فى بلده

قال أبو جعفر : قد ذكرنا قبل سبب تزويج النبي صلى الله عليه وسلم خديجة واختلاف المختلفين فى ذلك ، ووقت نكاحه صلى الله عليه وسلم إياها . وبعده السنة التى نكحها فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم هدمت قريش الكعبة بعشر سنين ثم بنتها - وذلك فى قول ابن إسحاق - فى سنة خمس وثلاثين من مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان سبب هدمهم إياها فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، أن الكعبة كانت رضة^(١) فوق القامة ، فأرادوا رفعها وتسقيفها ؛ وذلك أن نفراً من قريش وغيرهم سرقوا كثر الكعبة ؛ وإنما كان يكون فى بئر فى جوف الكعبة .

• • •

وكان أمر غزاة الكعبة - فيما حدثت عن هشام بن محمد ، عن أبيه - أن الكعبة كانت رفعت حين غرق قوم نوح ، فأمر الله إبراهيم خليله عليه السلام وابنه إسماعيل أن يعيدا بناء الكعبة على أسسها الأولى ، فأعادا بناءها ، كما أنزل فى القرآن : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾^(٢) ، فلم يكن له ولاية منذ زمن نوح عليه السلام ، وهو مرفوع . ثم أمر الله عز وجل إبراهيم أن ينزل ابنه إسماعيل البيت ، لما أراد الله من كرامة من أكرمه بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، فكان إبراهيم خليل الرحمن وابنه إسماعيل يليان البيت بعد عهد نوح ، ومكة يومئذ بلاقع ؛ ومن حول مكة يومئذ جرهم والعماليق . فنكح إسماعيل عليه السلام امرأة من

(١) فى ابن هشام : « رصا » ؛ والرضم : ان تنفذ الحجارة بعضها على بعض من غير ملاط .

(٢) سورة البقرة : ١٢٧ .

جُرْهُم ؛ فقال في ذلك عمرو بن الحارث بن مُضَاض :
وصاهرنا من أكرم الناس والدًا فأبناؤه منا ونحن الأصاهر

فولِيَ البيت بعد إبراهيم إسماعيل ، وبعد إسماعيل نَبْت ، وأمه الجرهمية ؛
ثم مات نَبْت ، ولم يكثر ولد إسماعيل ، فغلبت جُرْهُم على ولاية البيت ؛
فقال عمرو بن الحارث بن مُضَاض :

وَكُنَّا وُلاَةَ الْبَيْتِ مِنْ بَعْدِ نَابِتٍ نَطُوفُ بِذَلِكَ الْبَيْتِ ، وَالْخَيْرُ ظَاهِرُ

فكان أول مَنْ وُلِيَ من جُرْهُم البيت مُضَاض ، ثم وليته بعده بنوه
كأبراً بعد كابر^(١) ، حتى بغت جُرْهُم بمكة ، واستحلوا حرمتها ، وأكلوا مال
الكعبة الذي يُهدى لها ، وظلموا من دخل مكة ، ثم لم يتناهوا حتى جعل
الرجلُ منهم إذا لم يجد مكاناً يزنى فيه يدخل الكعبة فزنى . فزعموا أن
أسافاً بغى بنائلاً في جوف الكعبة ، ففسخا حججَ رين ، وكانت مكة
في الجاهلية لا ظلم ولا بغى فيها ، ولا يستحل حرمتها ملك إلا هلك مكانه
فكانت تسمى الناسة ، وتسمى بمكة . تبك أعناق البغايا إذا بغوا فيها ؛
والجبابرة .

١١٣٢/١

قال : ولما لم تناه جُرْهُم عن بغئها ، وتفرق أولاد عمرو بن عامر من
اليمن ، فانخزع^(٢) بنو حارثة بن عمرو ، فأوطنوا^(٣) تهامة - فسميت^(٤) الخزاعة ،
وهم بنو عمرو بن ربيعة بن حارثة - وأسلم ومالك وملاكان بنو أفصى بن حارثة ،
فبعث الله على جُرْهُم الرعاف والنمل ، فأفناهم . فاجتمعت خزاعة ليجلوا من
بقية ، ورئيسهم عمرو بن ربيعة بن حارثة ، وأمه فهيرة بنت عامر بن الحارث
ابن مُضَاض ، فاقتلوا . فلما أحس عامر بن الحارث بالهزيمة ، خرج بغزالي
الكعبة وحجر الركن يلتمس التوبة ، وهو يقول :

(١) ر : « وعن كابر » .

(٢) انخزعوا ، أى تخلفوا .

(٣) أوطن بالمكان : أقام .

(٤) ط : « سميت » .

لَا هُمْ إِنْ جُرُّهُمَا عِبَادُكَ النَّاسَ طُرْفٌ وَهُمْ تِلَادُكَ
بِهِمْ قَدِيمًا عَمِرَتْ بِإِلَادُكَ .

فلم تُقبَل توبته ، فألقى غزالي الكعبة وحجر الركن في زمزم ، ثم دفنها
وخرج من بقي من جرهم إلى أرض من أرض جهينة ، فجاءهم سيل أنى فذهب
بهم ، فذلك قول أمية بن أبي الصلت :

وَجُرُّهُمْ دَمَّنُوا تِهَامَةَ فِي السَّدْهِرِ فَسَالَتْ بِجَمْعِهِمْ إِضْمٌ^(١)

وَوَلَّى الْبَيْتَ عَمْرُو بْنُ رَبِيعَةَ . وَقَالَ بَنُو قَصِيٍّ : بَلْ وَلِيَهُ عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ
الغُبَشَانِي^(٢) ، وهو يقول :

وَنَحْنُ وَلَيْنَا الْبَيْتَ مِنْ بَعْدِ جُرُّهُمْ لِنَعْمُرَهُ مِنْ كُلِّ بَاغٍ وَمُلْجِدٍ
وقال :

وَادٍ حَرَامٍ طَيْرُهُ وَوَحْشُهُ نَحْنُ وَوَلَاتُهُ فَلَا نَفْسُهُ

وقال عامر بن الحارث :

كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحِجُونَ إِلَى الصَّفَا أَنَيْسٌ وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَكَّةَ سَامِرٌ
بَلَى نَحْنُ كُنَّا أَهْلَهَا فَأَبَادَنَا صُرُوفُ اللَّيَالِي وَالْجُدُودُ الْعَوَائِرُ

وقال :

يَأْيُهَا النَّاسُ سِيرُوا إِنَّ قَصْرَكُمْ أَنْ تُصْبِحُوا ذَاتَ يَوْمٍ لَا تَسِيرُونَ^(٣)
كُنَّا أَنَسًا كَمَا كُنْتُمْ فَغَيْرَنَا دَهْرٌ ، فَأَنْتُمْ كَمَا كُنَّا تَكُونُونَ
حُثُوا الْمَطِيَّ وَأَرْخُوا مِنْ أَرْمِيهَا قَبْلَ الْمَمَاتِ وَقَضُوا مَا تُقَضُونَ

يقول : اعملوا لآخرتكم ، وافرغوا من حوائجكم في الدنيا ؛ فوليت خزاعة
البيت ؛ غير أنه كان في قبائل مُضر ثلاث خِلال : الإجازة بالحج للناس من

(١) معجم ما استعجم ١٦٦ .

(٢) في الأصول : « الغساني » ؛ وانظر كتاب الاشتقاق ٤٧٩ .

(٣) قصركم : نهايتكم وغايتكم .

عرفة ، وكان ذلك إلى الغوث بن مرث - وهو صوفة - فكانت إذا كانت الإجازة قالت العرب : أجزى صوفة . والثانية الإفاضة من جمع غداة النحر إلى منى ، فكان ذلك إلى بنى زيد بن عدوان ؛ فكان آخر من ولي ذلك منهم أبو سيارة عميلة بن الأعزل بن خالد بن سعد بن الحارث بن وابلش^(١) ابن زيد ، والثالثة النسب للشهور الحرم ، فكان ذلك إلى القلمس ، وهو حذيفة بن فقيس بن عدى من بنى مالك بن كنانة ، ثم بنيه حتى صار ذلك إلى آخرهم أبي ثمامة ، وهو جنادة بن عوف بن أمية بن قلع بن حذيفة . وقام عليه الإسلام ، وقد عادت الحرم إلى أصلها ، فأحكمها الله وأبطل النسب ؛ فلما كثرت معدت تفرقت ، فذلك قول مهلهل :

غَنِيَتْ دَارُنَا بِتِهَامَةٍ فِي أَلَدِهِ رَ وَفِيهَا بَنُو مَعَدِّ حُلُولًا .

وأما قريش ، فلم يفارقوا مكة ، فلما حفر عبد المطلب زمزم ، وجد الغزاليين ، غزالي الكعبة اللذين كانت جرهم دفنتهما فيه ، فاستخرجهما ؛ وكان من أمره وأمرها ما قد ذكرت في موضع ذلك فيما مضى من هذا الكتاب قبل .

ع

• • •

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . قال : وكان الذي وجد عنده الكثر دويكًا مولى لبنى ملبح بن عمرو ، من خزاعة . فقطعت قريش يده من بينهم ، وكان ممن اتهم في ذلك الحارث بن عامر بن نوفل ، وأبو إهاب^(٢) ابن عزير بن قيس بن سويد التميمي - وكان أخا الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف لأمه - وأبو لهب بن عبد المطلب ؛ وهم الذين تزعم قريش أنهم وضعوا كثر الكعبة حين أخذه عند دويك مولى لبنى ملبح ، فلما اتهمتهم قريش ، دلتوا على دويك ، فقطع ، ويقال : هم وضعوه عنده .

(١) ح : « وشر » ، ر : « واصر » ، والمثبت يوافق ما في الاشتقاق ٢٦٨

(٢) : كذا ضبطه صاحب القاموس بوزن كتاب .

وذكروا أن قريشاً حين استيقنوا بأن ذلك كان عند الحارث بن عامر ابن نوفل بن عبد مناف، خرجوا به إلى كاهنة من كهاتان العرب، فسجعت عليه من كهانتها بالألا يدخل مكة عشر سنين، بما استحل من حرمة الكعبة، فزعموا أنهم أخرجوه من مكة، فكان فيما حوّلها عشر سنين؛ وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جدّة لرجل من تجار الروم، فتحطمت، فأخذوا خشبها فأعدّوه لسقفها؛ وكان بمكة رجل قبلي نجار، فتهيأ لهم في أنفسهم بعض ما يصلحها، وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التي يطرح فيها ما يهدى لها كل يوم، فتشرف على جدار الكعبة، فكانوا يهابونها، وذلك أنه كان لا يدنو منها أحد إلا احزالت وكشت^(١) وفتحت فاما؛ فبينما هي يوماً تشرف على جدار الكعبة كما كانت تصنع، بعث الله عليها طائراً، فاختطفها فذهب بها، فقالت قريش: إنا لرجو أن يكون الله عز وجل قد رضى ما أردنا. عندنا عامل رقيق، وعندنا خشب، وقد كفانا الله [أمر]^(٢) الحية. وذلك بعد الفجار بخمس عشرة سنة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم عامئذ ابن خمس وثلاثين سنة.

فلما أجمعوا أمرهم في هدمها وبنائها، قام أبو وهب بن عمرو بن عائذ ابن عمران بن مخزوم، فتناول من الكعبة حجراً، فوثب من يده؛ حتى رجع إلى موضعه، فقال: يا معشر قريش، لا تدخلوا في بنيانها من كسبكم إلا طيباً، ولا تدخلوا فيها مهر بغية، ولا بيع ربياً، ولا مظلمة أحد من الناس.

قال: والناس ينحلون هذا الكلام الوليد بن المغيرة^(٣)؛ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثنا محمد بن إسحاق، عن عبد الله ابن أبي نجيع المكي، أنه حدث عن عبد الله بن صفوان بن أمية بن

(١) احزالت: انصبت خوفاً، وكشت: صوت لاحتكاك بعض جلدها ببعض.

(٢) تكلة منيح.

(٣) هو الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم.

خلف^(۱) ، أنه رأى ابناً لبعدة بن هُبَيْرَة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ ابن عمران بن مخزوم يطوف بالبيت ، فسأل عنه فقيل له : هذا ابنُ لبعدة ابن هُبَيْرَة . فقال عند ذلك عبد الله بن صفوان جدّ هذا - يعني أبا وهب الذي أخذ من الكعبة حجراً حين اجتمعت قريش لهدمها ، فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه ، فقال عند ذلك : يا معشر قريش ، لا تُدْخِلُوا فِي بِنَانِهَا مَنْ كَسَبَكُمْ إِلَّا طَيْبًا ، لا تُدْخِلُوا فِيهَا مَهْرَ بَغْيٍ ، ولا يبيع رباً ولا مظلمة أحدٍ .

وأبو وهب خال أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان شريفاً^(۲) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثم إن قُرَيْشًا تجزأت الكعبة ، فكان شقُّ الباب لبني عبد مناف وزهرة ، وكان ما بين الركن الأسود والركن اليماني لبني مخزوم وتيمم وقبائل من قريش ، ضُمتوا إليهم ، وكان ظهر الكعبة لبني جُمَحَ وبني سَهْم^(۳) ، وكان شقُّ الحجر - وهو الخطيم - لبني عبد الدار بن قصي ولبني أسد بن عبد العزى بن قصي ، وبني عدي بن كعب .

•••

ثم إن الناس هابوا هدمها وفرقوا منه ، فقال الوليد بن المغيرة : أنا

(۱) بعده في ابن هشام : « ابن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هيص بن كعب

بن لؤي » .

(۲) سيرة ابن هشام ۱ : ۱۳۰ ، ۱۳۱ ، وفيها : وله يقول شاعر من العرب :

وَلَوْ بِأَبِي وَهْبٍ أَنْخْتُ مَطِيَّتِي غَدَّتْ مِنْ نَدَاهُ رَحْلَهَا غَيْرَ خَائِبِ
بَأَبْيَضٍ مِنْ فَرَعَى أَوْىِ بْنِ غَالِبِ إِذَا حُصِّلَتْ أَنْسَابُهَا فِي الذَّوَائِبِ
أَبِيٌّ لِأَخْذِ الضَّمِّ بِرِتَاحِ لِلنَّدَى تَوَسَّطَ جَدَّاهُ فُرُوعِ الْأَطَائِبِ
عَظِيمُ رَمَادِ الْقَدْرِ يَمَلَأُ جِفَانَهُ مِنَ الْخَبْرِ يَعْلُوهُنَّ مِثْلُ السَّبَائِبِ

(۳) في ابن هشام : « لبني جمح وسهم ابني عمرو بن هيص بن كعب بن لؤي » .

أبدؤكم في هدمها ، فأخذ المعول ثم قام عليها ، وهو يقول : اللهم لم ترع^(١) ، اللهم لا نريد إلا الخير . ثم هدم من ناحية الركنين ، فتربص الناس به تلك الليلة ، وقالوا : ننظر ؛ فإن أصيب لم نهدم منها شيئاً ؛ ورددناها كما كانت ؛ وإن لم يصبه شيء فقد رضي الله ما صنعنا هدمنا^(٢) .

فأصبح الوليد من ليلته غادياً على عمله ، فهدم والناس معه ؛ حتى انتهى الهدم إلى الأساس ، فأفضوا إلى حجارة خضر كأنها أسنة^(٣) أخذ بعضها ببعض^(٤) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، عن بعض من يروى الحديث ، أن رجلاً من قريش ممن كان يهدمها ، أدخل عتلة بين حجرين منها ، ليقلع بها أحدها ، فلما تحرك الحجر انتقضت^(٥) مكة بأسرها ، فانتهوا عند ذلك إلى الأساس^(٦) .

قال : ثم إن القبائل جمعت الحجارة لبنائها ، جعلت كل قبيلة تجمع على حديتها ، ثم بنوا حتى إذا بلغ البنيان موضع الركن اختصموا فيه ؛ كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى ؛ حتى تحاوروا^(٧) وتحالفوا وتواعدوا للقتال ؛ فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دماً ؛ ثم تعاقدوا هم

(١) قال السهيلي : « قولهم : اللهم لم ترع ؛ هي كلمة تقال عند تسكين الروع والتأنيس وإشهار اللين والبر في القول ؛ ولا روع في هذا الموضع فينبى ؛ ولكن الكلمة تفتق إظهار قصد البر ؛ فلذلك تكلموا بها ؛ وعلى هذا يجوز التكلم بها في الإسلام ؛ وإن كان فيها ذكر الروع الذي هو محال في حق الباري تعالى ؛ ولكن لما كان المقصود ما ذكرنا جاز النطق بها ، ويروى أيضاً : اللهم لم ترع ، وهو جل لا يشكل » .

(٢) في ابن هشام : « فقد رضي الله صنعنا فهدمنا » .

(٣) ابن هشام : « أسنة » . قال السهيلي : « وتشبهها بالأسنة لا تشبه بها إلا في الزرقة ، وتشبهها بأسنة الإبل أولى لعظمها » .

(٤) سيرة ابن هشام ١ : ١٣١ .

(٥) في ابن هشام : « تنقضت » ، أي اهتزت .

(٦) تحاوروا ؛ أي انحازت كل قبيلة إلى جهة ، وفي إحدى نسخ ابن هشام : « تحاوروا » ،

أي تجادلوا وكثر الكلام والحوار بينهم .

وبنو عدى بن كعب على الموت ، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في الجفنة ، فسموا لعنة الدم بذلك ؛ فكثت قريش أربع ليالٍ - أو خمس ليالٍ - على ذلك . ثم إنهم اجتمعوا في المسجد ، فتشاوروا وتناصفوا ؛ فزعم بعض الرواة أن أبا أمية ابن المغيرة كان عامئذ أسن^(١) قريش كلها ، قال : يا معشر قريش ؛ اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد ، يقضي بينكم فيه ؛ فكان أول من دخل عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوه قالوا : هذا الأمين ، قد رَضِينَا بِهِ ؛ هذا محمد . فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر ، قال : هلم لي ثوباً^(٢) ، فأتى به . فأخذ الركن ، فوضعه فيه بيده ثم قال : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ، ثم ارفعوه جميعاً ، ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه ، وضعه بيده ، ثم بنى عليه ؛ وكانت قريش تسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن ينزل عليه الوحي الأمين^(٣) .

قال أبو جعفر : وكان بناء قريش الكعبة بعد الفجّار بخمس عشرة سنة ، وكان بين عام الفيل وعام الفجّار عشرون سنة .

١١٣٩/١

• • •
ع

واختلف السلف في سن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نُبئَ كم كانت ؟ فقال بعضهم : نُبئَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما بنت قريش الكعبة بخمس سنين ؛ وبعد ما تمت له من مولده أربعون سنة .

• ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن خلف العسقلاني ، قال : حدثنا آدم ، قال : حدثنا حماد بن سلمة ، قال : حدثنا أبو جمرّة الضبّعي ، عن ابن عباس ، قال : بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لأربعين سنة .

(١) ر : « أشرف » .

(٢) ح : « هلموا إلى ثوب » .

(٣) سيرة ابن هشام ١ : ١٣١ ، ١٣٢ .

حدَّثنا عمرو بن علي وابن المشني، قالا : حدَّثنا يحيى بن محمد بن قيس قال : سمعتُ ربيعة بن أبي عبد الرحمن يذكر عن أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بُعث على رأس أربعين .

حدَّثنا العباس بن الوليد ، قال : أخبرني أبي ، قال : حدَّثنا الأوزاعي ، قال : حدَّثني ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، قال : حدَّثني أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بُعث على رأس أربعين .

حدَّثني ابنُ عبد الرحيم البرقي ، قال : حدَّثنا عمرو بن أبي سلامة ، عن الأوزاعي ، قال : حدَّثني ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، قال : حدَّثني أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بُعث على رأس أربعين .

حدَّثني أبو شُرْحَبِيل الحمصي ، قال : حدَّثني أبو ليثان ، قال : حدَّثنا إسماعيل بن عيَّاش ، عن يحيى بن سعيد . عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، عن أنس بن مالك ، قال : أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين .

حدَّثنا ابن المشني ، قال : حدَّثنا الحجَّاج بن المنهال ، قال : حدَّثنا حمَّاد . قال : حدَّثنا عمرو بن دينار ، عن عروة بن الزُّبير ، قال : بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين .

حدَّثنا ابن المشني ، قال : حدَّثنا الحجَّاج ، عن حمَّاد ، قال : أخبرنا عمرو ، عن يحيى بن جَعْدَةَ ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة : إنه كان يُعرض على القرآن كلَّ عام مرَّةً ؛ وإنه قد عُرض على العام مرتين ، وإنه قد خيَّلَ إلى أن أجلكي قد حضر ؛ وأنَّ أوَّلَ أهلي لحاقاً^(١) بي أنت ؛ وإنه لم يُبعث نبي إلا بُعث الذي بعده بنصف من عمره ، وبعث عيسى لأربعين ، وبعثت لعشرين^(٢) .

(١) ح : « لحوقا » . (٢) في ط ، وفي المقاصد الحسنة ٣٦٢ :

« ما بعث الله نبياً إلا عاش نصف ما عاش النبي قبله » ، ونقله برواية أخرى في ص ٣٧٢ ، وقال : إنه موضوع .

حدثني عبيد بن محمد الوراق ، قال : حدثنا روح بن عبادة ، قال :
حدثنا هشام ، قال : حدثنا عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : بُعِثَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَرْبَعِينَ سَنَةً ، فَكَتَبَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً .

حدثنا أبو كُريب ، قال : حدثنا أبو أسامة ومحمد بن ميمون الزعفراني ،
عن هشام بن حسان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : بُعِثَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، فَكَتَبَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ
عَشْرَةَ سَنَةً . ١١٤١/١

• • •

وقال آخرون : بل نُبِيٌّ حين نُبِيٌّ وهو ابن ثلاث وأربعين سنة .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا أحمد بن ثابت الرازي ، قال : حدثنا أحمد ، قال : حدثنا
يحيى بن سعيد ، عن هشام ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : أنزل
على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وأربعين سنة .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن يحيى بن سعيد ،
سعيد بن المسيب ، قال : أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي وهو
ابن ثلاث وأربعين سنة .

حدثنا ابن المنني ، قال : حدثنا عبد الوهاب ، قال : حدثنا يحيى
ابن سعيد ، قال : سمعت سعيداً - يعني ابن المسيب - يقول : أنزل على رسول
الله صلى الله عليه وسلم الوحي ؛ وهو ابن ثلاث وأربعين سنة .

ذَكَرَ الْيَوْمَ الَّذِي نُبِّيَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

مِنَ الشَّهْرِ الَّذِي نُبِّيَ فِيهِ وَمَا جَاءَ فِي ذَلِكَ

قال أبو جعفر : صحَّ الخبرُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما حدَّثنا به ابن المنثى ، قال : حدَّثنا محمد بن جعفر ، قال : حدَّثنا شُعْبَةُ ، عن غَيْلَانَ بن جرير ، أنه سمع عبد الله بن معبد الزَّمَانِيَّ ، عن أبي قَتَادَةَ الأنصاريِّ ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن صوم الاثنين ، فقال : ذلك يوم وُلِدْتُ فيه ، ويوم بعثتُ - أو أنزل عليَّ فيه .

حدَّثنا أحمد بن منصور ، قال : حدَّثنا الحسن بن موسى الأشيب ، قال : حدَّثنا أبو هلال ، قال : حدَّثنا غَيْلَانَ بن جرير المَعْوَلِيَّ قال : حدَّثنا عبد الله بن معبد الزَّمَانِيَّ ، عن أبي قَتَادَةَ ، عن عمر رحمه الله أنه قال ١١٤٢/١ للنبيِّ صلى الله عليه وسلم : يا نبيَّ الله ، صومُ يوم الاثنين ؟ قال : ذاك يوم وُلِدْتُ فيه ، ويوم أنزلت عليَّ فيه النبوة .

حدَّثنا إبراهيم بن سعيد ، قال : حدَّثنا موسى بن داود ، عن ابن لهيعة ، عن خالد بن أبي عمران ، عن حَنَّسِ الصَّنَعَانِيَّ ، عن ابن عباس ، قال : ولد النبيِّ صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ، واستنبيى يوم الاثنين (١) .
قال أبو جعفر : وهذا ممَّا لا خلاف فيه بين أهل العلم .

• • •

واختلفوا في أيِّ الأثنين كان ذلك ؟ فقال بعضهم : نزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم لثمانِيَّ عشرة خَلَّتْ من رمضان .

• ذكر من قال ذلك •

حدَّثنا ابن حميد ، قال : حدَّثنا سلَمة ، قال : حدَّثني محمد بن إسحاق ، عن الحسن بن دينار ، عن أيوب ، عن أبي قُلابَةَ عبد الله بن زيد

(١) طبقات ابن سعد ١ : ١٩٣ .

الجرمي ، أنه كان يقول - فيما بلغه وانتهى إليه من العلم : أنزل الفرقان على رسول الله صلى الله عليه وسلم لثماني عشرة ليلة خلت من رمضان .

• • •

وقال آخرون : بل أنزل لأربع وعشرين ليلة خلت منه .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمه ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، : حدثني من لا يثبتهم^(١) ، عن سَعِيدِ بْنِ أَبِي عَرُوبَةَ ، عن قَتَادَةَ بْنِ دِعَامَةَ السَّدُوسِيِّ ، عن أَبِي الْبَلَدِيِّ ، قال : نَزَلَ الْفُرْقَانُ لِأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ رَمَضَانَ .

• • •

وقال آخرون : بل نزل لسبع عشرة خلت من شهر رمضان ؛ واستشهدوا^(٢) لتحقيق ذلك بقول الله عز وجل : ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقِيهِ الْإِطْمَاعِ ﴾^(٣) ؛ وذلك ملتقى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشركون بيداً ؛ وأن التقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشركون بيداً كان صبيحة سبع عشرة من رمضان .

• • •

قال أبو جعفر : وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من قبل أن يظهر له^(٤) جبريل عليه السلام برسالة الله عز وجل إليه - فيما ذكر عنه - يرى ويعاين آثاراً وأسباباً من آثار من يريد الله إكرامه واختصاصه بفضله ؛ فكان من ذلك ما قد ذكرت فيما مضى من خبره عن الملكين اللذين أتياه فشققا بطنه ، واستخرجا ما فيه من الغل والدنس ؛ وهو عند أمته من

(١) ح : « أنهم » .

(٢) ر : م : « واستشهد لتحقيق قوله » .

(٣) سورة الأنفال ٤١ .

(٤) ح : « عليه » .

الرضاعة حكيمة ، ومن ذلك أنه كان إذا مرّ في طريق لا يمرّ - فيما ذكر - عنه بشجرٍ ولا حتجرٍ فيه إلاّ سلّم عليه .

حدّثني الحارث بن محمّد ، قال : حدّثنا محمّد بن سعد ، قال : أخبرنا محمّد بن عمر ، قال : حدّثنا عليّ بن محمّد بن عبيد الله بن عمر بن الخطّاب ، عن منصور بن عبد الرحمن ، عن أمّه ، عن برّة بنت أبي تجرة ، قالت : إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم حين أراد الله كرامته وابتدأه^(١) بالنبوة ، كان إذا خرج لحاجته أبعد حتى لا يرى بيتاً ، ويفضي إلى الشّعاب وبطن الأودية ، فلا يمرّ بحجرٍ ولا شجرةٍ إلاّ قالت : السّلام عليك يا رسول الله ، فكان يلتفت عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى أحداً^(٢) .

قال أبو جعفر : وكانت الأمم تتحدّث بمبعثه وتخبر علماء كلّ أمة منها قومها بذلك ؛ وقد حدّثني الحارث ، قال : حدّثنا محمّد بن سعد ، قال : أخبرنا محمّد بن عمر ، قال : حدّثني عليّ بن عيسى الحكمي ، عن أبيه ، عن عامر بن ربيعة ، قال : سمعت زيد بن عمرو بن نفيل يقول : أنا أنظر نبيّاً من ولد إسماعيل ، ثم من بني عبد المطّلب ولا أراي أدركه ؛ وأنا أوّمن به وأصدقه ، وأشهد أنه نبيّ ، فإن طالت بك مدّة فرأيت ، فأقرته منّي السّلام ، وسأخبرك ما نعتُهُ حتى لا يخفى عليك ! قلت : هلّم ، قال : هو رجل ليس بالقصير ولا بالطويل ، ولا بكثير الشعر ولا بقليله ، وليست تفارق عينيه حمرة ، وخاتم النبوة بين كتفيه ، واسمه أحمد ، وهذا البلد مولدُهُ ومبعثه ، ثم يخرجهُ قومه منها ، ويكرهون ما جاء به ، حتى يهاجر إلى بئر فيظهر أمره : فأياك أن تُخدع عنه ، فإنّي طُفّت البلاد كلّها أطلب^(٣) دين إبراهيم ، فكلّ من أسأل من اليهود والنصارى والمجوس يقولون : هذا الدّين وراءك ، وينعتونه مثل ما نعتُهُ لك ؛ ويقولون : لم يبق نبيٌّ غيره^(٤) .

(١) م : « فابتدأه » .

(٢) طبقات ابن سعد ١ : ١٥٧ .

(٣) كذا في ح ، ر وطبقات ابن سعد . وفي ط : « اطلب » .

(٤) طبقات ابن سعد ١ : ١٦١ ، ١٦٢ .

قال عامر: فلما أسلمتُ أخبرتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قول زيد ابن عمرو وأقرأته منه السلام، فردّ عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم؛ وترحم^(١) عليه، وقال: قد رأيتُهُ في الجنة يسحبُ ذبولاً.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق عمن لا يُتهم، عن عبد الله بن كعب مولى عثمان، أنه حدث أن عمر بن الخطاب بينا هو جالسٌ في الناس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ إذ أقبل رجلٌ من العرب داخل^(٢) المسجد، يريد عمر - يعني ابن الخطاب - فلما نظر إليه عمر قال: إن الرجلَ لعلى شريكه بعد، ما فارقه - أو لقد كان كاهناً في الجاهلية - فسلم عليه الرجل، ثم جلس فقال له عمر: هل أسلمت؟ فقال: نعم، فقال: هل كنت كاهناً في الجاهلية؟ فقال الرجل^(٣): سبحان الله! لقد استقبلتني^(٤) بأمر ما أراك قلته لأحد من رعيتك منذ ولّيت! فقال عمر: اللهم غفراً؛ قد كنّا في الجاهلية على شرٍّ من ذلك، نعبد الأصنام، ونعتنق الأوثان حتى أكرمنا الله بالإسلام. فقال: نعم والله يا أمير المؤمنين؛ لقد كنت كاهناً في الجاهلية. قال: فأخبرنا ما أعجب ما جاءك به صاحبك. قال: جاءني قبل الإسلام بشهر - أو سنة - فقال لي: «ألم تر إلى الجنّ وإبلاسها، وإياسها من دينها، ولحوقها بالقيلاص وأحلاسها^(٥)!». قال: فقال عمر عند ذلك يحدث الناس: والله إني لعند وثنٍ من أوثان الجاهلية في نفرٍ من قريش؛ قد ذبح له رجل من العرب عجلًا فنحن ننظرُ قسمةً ليقسم لنا منه، إذ سمعتُ من جوف العجل صوتًا ما سمعتُ صوتًا قطّ أنفذ منه؛ وذلك قبل الإسلام بشهر أو شيعه^(٥)، يقول: يا آل ذريح؛

(١) كذا في ر، م، وفي ط: «رحم عليه». (٢) ابن هشام: «داخلًا».

(٣-٣) ابن هشام: «سبحان الله يا أمير المؤمنين، لقد خلت فيّ، واستقبلتني بأمر ما أراك قلته لأحد».

(٤) قال ابن هشام: هذا الكلام سجع وليس بشعر. والإبلاس: الذلة. والإياس: اليأس. والقيلاص من الإبيل: الفئفة. والأحلاس: جيم حلس، وهو الكساء يوضع على ظهر البعير.

(٥) كذا في ابن هشام، قال السبيل: «أو شيعه، ابن دونه بقليل، وشيع كل شيء ما هو تبع له». وفي ط: «أو سنة»، والأجود ما أثبتته عن ابن هشام.

أمر بجيح ، ورجلٌ يصيح ؛ يقول : لا إله إلا الله^(١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا علي بن مجاهد ، عن ابن إسحاق ، عن الزهري ، عن عبد الله بن كعب ، مولى عثمان بن عفان ، مثله .

حدثنا الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر قال : حدثني محمد بن عبد الله ، عن الزهري ، عن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه ، قال : كنا جلوساً عند صنم بيوتنا قبل أن يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بشهر ؛ نحرنا جزوراً ؛ فإذا صائح يصيح من جوف واحدة : اسمعوا إلى العجب ! ذهب استراق الوحي ، ونرى بالشهب لني بمكة اسمه أحمد ، مهاجرة إلى يثرب . قال : فأمسكنا ، وعجبنا ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٢) .

حدثني أحمد بن سنان القطان الواسطي ، قال : حدثنا أبو معاوية قال : حدثنا الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ، أن رجلاً من بني عامر أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : أرني الخاتم الذي بين كتفيك ؛ فإن يك بك^(٣) طب داويتك ؛ فإني أطب العرب ، قال : أتحب أن أريك آية ؛ قال : نعم ؛ ادع ذلك العذق ، قال : فنظر إلى عذق في نخلة ، فدعاه فجعل ينقر^(٤) ؛ حتى قام بين يديه ، قال : قل له فليرجع ، فرجع ، فقال العامري : يا بني عامر ، ما رأيت كاللوم أسحر !

• • •

قال أبو جعفر : والأخبار عن الدلالة على نبوته صلى الله عليه وسلم أكثر من أن تحصى ، ولذلك كتاب يفرد إن شاء الله .

ونرجع الآن إلى :

(١) سيرة ابن هشام ١ : ١٣٩ - ١٤٠ .

(٢) طبقات ابن سعد ١ : ١٦١ .

(٣) الطب ما هنا : السحر .

(٤) النقر : الوثب .

ذكر الخبر عما كان من أمر نبي الله صلى الله عليه وسلم

عند ابتداء الله تعالى ذكره إياه بإكرامه بإرسال

جبريل عليه السلام إليه بوحيه

قال أبو جعفر : قد ذكرنا قبل بعض الأخبار الواردة عن أول وقت مجيء جبريل نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم بالوحي من الله . وكم كان سن النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ : ونذكر الآن صفة ابتداء جبريل إياه بالانصير إليه ، وظهوره له بتزليل ربه .

١١٤٧/١

فحدثني أحمد بن عثمان المعروف بأبي الجوزاء . قال : حدثنا وهب ابن جرير ، قال : حدثنا أبي ، قال : سمعت النعمان بن راشد ، يحدث عن الزهري ، عن عروة . عن عائشة أنها قالت : كان أول ما ابتدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة ، كانت تجيء مثل فلق الصبح ، ثم حُببَ إليه الخلاء ، فكان يغار بجرأ يتحنث فيه الليالي ذوات العدد قبل أن يرجع إلى أهله ، ثم يرجع إلى أهله . فيتروّد لمثلها ؛ حتى فجأه الحق ، فأتاه . فقال : يا محمد . أنت رسول الله ! قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فجنوت لركبتي وأنا قائم ، ثم زحفت^(١) ترجف بواديري^(٢) ، ثم دخلت على خديجة ، فقلت : زمّلوني ، زمّلوني ! حتى ذهب عني الرّوع ، ثم أتاني فقال : يا محمد ، أنت رسول الله . قال : فلقد هممت أن أطرح نفسي من حالي من جبل ، فتبدّى لي حين هممت بذلك ، فقال : يا محمد ، أنا جبريل . وأنت رسول الله . ثم قال : اقرأ . قلت : ما اقرأ ؟ قال : فأخذني فغطني ثلاث مرات ، حتى بلغ مني الجهد ، ثم قال : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾^(٣) . فقرأت . فأتيت خديجة . فقلت : لقد أشفقت على نفسي ، فأخبرتها خبري . فقالت : أبشِر . فوالله لا يُخزبك الله أبداً ؛ ووالله إنك لتتصل

(١) ر والتفسير : « رجعت » .

(٢) ر والتفسير : « فؤادي » .

(٣) سورة العلق ١ .

الرحيم ، وتصديق الحديث ، وتودى الأمانة ، وتحمل الكيل وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق . ثم انطلقت بي إلى ورقة بن نوفل بن أسد ، قالت : اسمع من ابن أخيك ، فسألني فأخبرته خبري ، فقال : هذا الناموس الذي أنزل على موسى بن عمران ، ليتني فيها جدع ! ليتني أكون حين يخرجك قومك ! قلت : أمخرجني هم ؟ قال : نعم ؛ إنه لم يجئ رجل قط بما جئت به إلا عودي ، ولئن أدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً^(١) .

ثم كان أول ما نزل على من القرآن بعد «اقرأ» : ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ . مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ . وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ . وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ . فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴾ ، و ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ و ﴿ وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ﴾^(١) .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، قال : حدثني عروة ، أن عائشة أخبرته . ثم ذكر نحوه ؛ غير أنه لم يقل : « ثم كان أول ما أنزل على من القرآن » . إلى آخره .

حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب ، قال : حدثنا عبد الواحد بن زياد ، قال : حدثنا سليمان الشيباني ، قال : حدثنا عبد الله بن شداد . قال : أتني جبريلُ محمدًا صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد ، اقرأ ؟ فقال : ما أقرأ ؟ قال : فضمه^(٢) ، ثم قال : يا محمد ، اقرأ ، قال : ما أقرأ ؟ قال : فضسته ، ثم قال : يا محمد ، اقرأ ، قال : وما أقرأ ؟ قال : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ حتى بلغ ﴿ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ ، قال : فجاء إلى خديجة . فقال : يا خديجة ، ما أراي إلا قد عرض^(٣) لي . قالت : كلاً والله ما كان ربك يفعل ذلك بك ؛ ما أتيت فاحشة قط . قال : فأتت

(١) الخبر في التفسير ٣٠ : ١٦١ ، ١٦٢ (بولاق) .

(٢) ط : « فغمه » ، وما أثبتته من التفسير .

(٣) عرض لي ، أي أصابني مسر من الجن . وانظر النهاية لابن الأثير ٣ : ٨٣ .

۱۱۴۹/۱ خديجةُ ورقةَ بنِ نوفل فأخبرته الخبر ، فقال : لئن كنتِ صادقة ، إن زوجك لنبى ، وليلقين من أمتي شدة ، ولئن أدركته لأومنين به .
قال : ثم أبطأ عليه جبريل . فقالت له خديجة : ما أرى ربك إلا تند قلاك ، قال : فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَالضُّحَىٰ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ (۱) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة . عن محمد بن إسحاق . قال : حدثني وهب بن كيسان مولى آل الزبير . قال : سمعتُ عبد الله بن الزبير ، وهو يقول لعبيد بن عمير بن قتادة الليثي : حدثنا يا عبيد كيف كان بدء ما ابتدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة حين جاء جبريل عليه السلام ؟ فقال عبيد - وأنا حاضر يحدث عبد الله بن الزبير ومن عنده من الناس : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور في حراء من كل سنة شهراً ، وكان ذلك مما تحنث^(۲) به قريش في الجاهلية - والتحنث : التبرر - وقال أبو طالب :

• وَرَأَى لِيَرَقِي فِي حِرَاءٍ وَنَازِلٍ • (۳)

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور ذلك الشهر من كل سنة ، يطعم من جاءه من المساكين ، فإذا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره من شهره ذلك ، كان أول ما يبدأ به - إذا انصرف من جواره - الكعبة قبل أن يدخل بيته ، فيطوف بها سبعا ، أو ما شاء الله من ذلك ، ثم يرجع إلى بيته ، حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله عز وجل فيه ما أراد من كرامته ، من السنة التي بعثه فيها ؛ وذلك في شهر رمضان ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حراء - كما كان يخرج لجواره - معه أهله ؛ حتى إذا كانت الليلة التي أكرم الله فيها برسالته ورحم العباد بها ، جاءه جبريل بأمر الله فقال رسول الله صلى الله

(۱) الخبر في التفسير ۳۰ : ۱۶۲ (بلاق) . (۲) ح : « تحنث » .

(۳) صدره في ابن هشام :

• وَنَوَّرَ وَمَنْ أَرْنَى ثَبْرًا مَكَانَهُ •

عليه وسلم ، فجاءني وأنا نائم بنمط من ديباج ، فيه كتاب ، فقال :
 اقرأ ، فقلت : ما اقرأ ؟ فغتنى^(١) ، حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني فقال :
 اقرأ ، فقلت : ماذا اقرأ ؟ وما أقول ذلك إلا افتداءً منه أن يعود إلى بمثل
 ما صنع بي ؛ قال : ﴿ اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ إلى قوله : ﴿ عَلَّمَ
 الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ ، قال : فقراءته ، قال : ثم انتهى ، ثم انصرف عني
 وهيبت من نومي ؛ وكانما كتب في قلبي كتاباً .

قال : ولم يكن من خلقت الله أحدٌ أبغضَ إلى من شاعر أو مجنون ؛
 كنت لا أطيق أن أنظر إليهما ، قال : قلت إن الأبعدَ - يعني نفسه -
 لشاعر أو مجنون ، لاتحدث بها عني قريش أبداً ! لأعمدن إلى حاليق من
 الجبل فلا طرحن نفسي منه فلاقتلنها فلاستريحن .

ف . فخرجت أريد ذلك ؛ حتى إذا كنت في وسط من الجبل ؛ سمعت
 صوتاً من السماء يقول : يا محمد ، أنت رسول الله ، وأنا جبريل ، قال :
 فرفعت رأسي إلى السماء ؛ فإذا جبرئيلُ في صورة رجل صاف قدميه في أفق
 السماء ، يقول : يا محمد ، أنت رسول الله وأنا جبرئيل . قال : فوقفت أنظرُ
 إليه ، وشغلني ذلك عما أردت ؛ فما أتقدم وما أتأخر ؛ وجعلت أصرف وجهي
 عنه في آفاق السماء فلا أنظر في ناحية منها إلا رأيتَه كذلك ؛ فما زلت واقفاً
 ما أتقدم أمامي ، ولا أرجع ورأى ؛ حتى بعثت خديجة رسلها في طلبي ؛ حتى
 بلغوا مكة ورجعوا إليها وأنا واقف في مكاني . ثم انصرف عني وانصرفت راجعاً
 إلى أهلي ؛ حتى أتيت خديجة ، فجلست إلى فخذيها مضيفاً^(٢) فقالت :
 يا أبا القاسم ؛ أين كنت ؟ فوالله لقد بعثت رسلِي في طلبك ، حتى بلغوا
 مكة ورجعوا إلى . قال : قلت لها : إن الأبعدَ لشاعر أو مجنون ، فقالت :

(١) قال ابن الأثير : « الفت والفظ سواء ؛ كأنه أراد : عصرني عصراً شديداً حتى وجدت

منه المشقة ، كما يجد من يغمس في الماء قهراً » .

(٢) مضيفاً ، أي ملتصقاً بها مائلاً إليها ؛ أضفت إلى الرجل ؛ إذا ملت نحوه ولصقت به .

أعيزك بالله من ذلك يا أبا القاسم ! ما كان الله ليصنع ذلك بك مع ما أعلم منك من صدق حديثك ، وعظم أمانتك ، وحسن خلقك ، وصلة رحمك ! وما ذاك يا بن عم ! لعلك رأيت شيئاً ؟ قال : فقلت لها : نعم . ثم حدثتها بالذي رأيت ، فقالت : أبشر يا بن عم واثبت ، فوالذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة ، ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ، ثم انطلقت إلى ورقة بن نوفل بن أسد - وهو ابن عمها ، وكان ورقة قد تنصّر وقرأ الكتب ، وسمع من أهل التوراة والإنجيل - فأخبرته بما أخبرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى وسمع ، فقال ورقة : قدّوس ، قدّوس ! والذي نفس ورقة بيده ، لئن كنت صدقتني يا خديجة ، لقد جاءه الناموس^(١) الأكبر - يعنى بالناموس جبرئيل عليه السلام الذي كان يأتي موسى - وإنه لنبي هذه الأمة ، فقول له فليثبت . فرجعت خديجة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبرته بقول ورقة ، فسهّل ذلك عليه بعض ما هو فيه من الهم ، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره ، وانصرف صنع كما كان يصنع ، وبدأ بالكعبة فطاف بها . فلقية ورقة بن نوفل ، وهو يطوف بالبيت ، فقال : يا بن أخي ، أخبرني بما رأيت أو سمعت ، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له ورقة : والذي نفسي بيده ، إنك لنبي هذه الأمة ، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء إلى موسى ، وتكذبت به وتؤذنته . وتنجرتنه . ولتقاتلنه ؛ ولئن أنا أدركت ذلك لأنصرن الله نصرأ يعلمه . ثم أدنى رأسه فقبّل بافؤنحه ، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلى منزله^(٢) .

وقد زاده ذلك من قول ورقة ثباتاً ، وختف عنه بعض ما كان فيه من الهم . فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلامة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق : عن إسماعيل بن أبي حكيم مولى آل الزبير ، أنه حدث عن

(١) أصل الناموس ، هو صاحب سر الرجل في خيره وشره ؛ فعبّر عن الملك الذي جاء بالوحي

بذلك .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ١٥٢ - ١٥٦ .

خديجة أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يثبتته فيما أكرمه الله به من نبوته : يا بن عم ، أتستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك ؟ قال : نعم ، قالت : فإذا جاءك فأخبرني به ، فجاءه جبرئيل عليه السلام كما كان يأتيه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخديجة : يا خديجة هذا جبرئيل قد جاءني ، فقالت : نعم ، فقم يا بن عم ، فاجلس على فخذي اليسرى ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس عليها ، قالت : هل تراه ؟ قال : نعم ، قالت : فتحوّل فاقعد على فخذي اليمنى ، فتحوّل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس عليها ، فقالت : هل تراه ؟ قال : نعم ؛ قالت : فتحوّل فاجلس في حجرى ، فتحوّل فجلس في حجرها ، قالت : هل تراه ؟ قال : نعم ، فتحسّرت ، فألقت خمارها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في حجرها ، ثم قالت : هل تراه ؟ قال : لا ، فقالت : يا بن عم ، اثبت وأبشر ؛ فوالله إنه لملك وما هو بشيطان^(١) .

فحدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثني محمد بن إسحاق ، قال : وحدّثت بهذا الحديث عبد الله بن الحسن ، فقال : قد سمعت أمي فاطمة بنت الحسين تحدّث بهذا الحديث عن خديجة ، إلا أنّي قد سمعتها نقول : أدخلت رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها وبين درعها ، فذهب عند ذلك جبرئيل ، فقالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن هذا لملك ، وما هو بشيطان^(١) .

حدّثنا ابن المنبهي ، قال : حدّثنا عثمان بن عمر بن فارس ، قال : حدّثنا علي بن المبارك ، عن يحيى - يعني ابن أبي كثير - قال : سألت أبا سلمة : أي القرآن أنزل أول ؟ فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ ، فقلت : يقولون : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ ! فقال أبو سلمة : سألت جابر بن عبد الله : أي القرآن أنزل أول ؟ فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ ، فقلت : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ ، فقال : لا أخبرك إلا ما حدّثنا النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : جاورت في حراء ، فلما قضيت جوارى ، هبطت فاستبطنت الوادي ،

(١) سيرة ابن هشام ١ : ١٥٧ .

فنوديتُ ، فنظرتُ عن يميني وعن شمالي ، وخلقني وقد آمى ، فلم أرَ شيئاً ،
فنظرتُ فوقَ رأسي ، فإذا هو جالسٌ على عرشٍ بين السماء والأرض ،
فخشيتُ منه - قال ابن المثنى : هكذا قال عثمان بن عمر ، وإنما هو « فخشيتُ منه »^(١)
فأقبتُ خديجة ، فقلت : دثروني ، فدثروني ، وصبوا على ماء . وأنزل على :
﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا وكيع . عن علي بن المبارك ، عن
يحيى بن أبي كثير ، قال : سألتُ أبا سلمة عن أول ما نزل من القرآن ،
قال : نزلت : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ أول ، قال : قلت : إنهم يقولون : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ
رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ ، فقال : سألت جابر بن عبد الله ، فقال : لا أحد ذلك
إلا ما حدثنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم . قال : جاورتُ بحراء ،
فلمّا قضيت جوارى ، هبطت فسمعت صوتاً ، فنظرت عن يميني فلم أرَ شيئاً
وعن شمالي فلم أرَ شيئاً ، ونظرت أمامي فلم أرَ شيئاً ، ونظرت خلفي فلم أرَ
شيئاً ، فرفعت رأسي ، فرأيت شيئاً ، فأقبت خديجة ، فقلت : دثروني ،
وصبوا على ماء ، قال : فدثروني وصبوا على ماء بارداً ، فنزلت :
﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾^(٢) .

١١٥٤/١

وحدثت عن هشام بن محمد ، قال : أتى جبريل رسول الله صلى الله
عليه وسلم أول ما أتاه ليلة السبت ، ليلة الأحد ، ثم ظهر له برسالة الله
عز وجل يوم الاثنين ، فعلمه الوضوء ، وعلمه الصلاة ، وعلمه : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ
رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ ، وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ، يوم
أوحى إليه ، أربعون سنة .

حدثني أحمد بن محمد بن حبيب الطوسي ، قال : حدثنا أبو داود الطيالسي ،
قال : أخبرنا جعفر بن عبد الله بن عثمان القرشي ، قال : أخبرني عمر بن

(١) جثت منه ، أي خفت وفزعت ، وانظر اللسان .

(٢) الخبر في التفسير ٢٩ : ٩٠ (بولاق) .

عروة بن الزبير ، قال : سمعتُ عروة بن الزبير يحدث عن أبي ذر الغفاري قال : قلتُ : يا رسولَ الله ، كيف علمتَ أنك نبيّ أول ما علمت ، حتى علمت ذلك واستيقنت ؟ قال : يا أبا ذر ، أتاني ملكان وأنا ببعض بطحاء مكة ، فوقع أحدهما في الأرض والآخر بين السماء والأرض ، فقال أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟ قال : هو هو ، قال : فزنه برجل ، فوزنت برجل فرجحته ، ثم قال : زنه بعشرة ، فوزني بعشرة فرجحتهم ، ثم قال : زنه بمائة ، فوزني بمائة فرجحتهم^(١) ، ثم قال : زنه بألف ، فوزني بألف فرجحتهم ، فجعلوا ينثرون^(٢) عليّ من كفة الميزان ، قال : فقال أحدهما للآخر : لو وزنته بأمتة رجحها . ثم قال أحدهما لصاحبه : شقّ بطنه ، فشقّ بطني ، ثم قال أحدهما : أخرج قلبه - أو قال : شقّ قلبه - فشقّ قلبي ، فأخرج منه مغمّز الشيطان وعلقَ الدّم ، فطرحها ، ثم قال أحدهما للآخر : اغسل بطنه غسلاً الإناء ، واغسل قلبه غسلاً الإناء - أو اغسل قلبه غسلاً الملاءة - ثم دعا بالسكينة ، كأنها وجه هيرة بيضاء فأدخلت قلبي ، ثم قال أحدهما لصاحبه : خيط بطنه ، فخاطا بطني ، وجعلا الخاتم بين كتفي ، فما هو إلا أن ولّيا عنّي فكأتما أعين الأمر معاينة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهري ، قال : فتّر الوحي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فترة ، فحزن حزناً شديداً ، جعل يغدو إلى رهوس شواحق الجبال ليردّي منها ، فكلما أوقف بذروة جبل تبدى له جبرئيل ، فيقول : إنك نبيّ الله ؛ فيسكن لذلك جأشه ، وترجع إليه نفسه ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يحدث عن ذلك ، قال : فبينما أنا أمشي يوماً ، إذ رأيتُ الملك الذي كان يأتيني بحراء ، على كرسي بين السماء والأرض ، فجلسْتُ منه رعباً ، فرجعت إلى خديجة ، فقلت : زمّلوني ، فزمّلناه - أي دثّرناه - فأنزل الله عز وجل :

(١) ر ، م : « فوزنتهم » .

(٢) ح ، ر : « ينثرون » .

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنْذِرْ . وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ . وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ ، قال الزهري : فكان أول شيء أنزل عليه : ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ حتى بلغ ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^(۱) .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن ، أن جابر بن عبد الله الأنصاري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث عن فترة الوحي : بينا أنا أمشي سمعتُ صوتاً من السماء ، فرفعت رأسي ، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسى بين السماء والأرض . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فجئته منه فرقاً ، وجئت فقلت : زمّلوني ، زمّلوني ! فدثروني ، فأنزل الله عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنْذِرْ . وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ إلى قوله : ﴿وَالرُّجُزَ فَاهْجُرْ﴾ ، قال : ثم تابع الوحي^(۱) .

• • •

قال أبو جعفر : فلما أمر الله عز وجل نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أن يقوم بإنذار قومه عقاب الله على ما كانوا عليه مقيمين من كفرهم بربهم وعبادتهم الآلهة والأصنام دون الذي خلقهم ورزقهم ؛ وأن يحدث بنعمة ربه عليه بقوله : ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ ، وذلك - فيما زعم ابن إسحاق - النبوة .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ ، أي ما جاءك من الله من نعمته وكرامته من النبوة فحدث ؛ اذكرها وادع إليها . قال : فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر ما أنعم الله عليه وعلى العباد به من النبوة سرّاً إلى من يطمئن إليه من

(۱) الخبر في التفسير ۲۹ : ۹۰ (بولاق) .

أهله ؛ فكان أول مَنْ صدّقه وآمن به واتّبعه من خلق الله - فيما ذكر -
زوجته خديجة رحمها الله (١) .

حدّثني الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : قال الواقدي : أصحابنا
مجمعون على أنّ أولَ أهل القبلة استجاب لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم
خديجة بنت خويلد رحمها الله .

• • •

قال أبو جعفر : ثم كان أول شيء فرضَ الله عزّ وجلّ من شرائع
الإسلام عليه بعد الإقرار بالتوحيد والبراءة من الأوثان والأصنام وخلع الأنداد
الصلاة - فيما ذكر

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثني محمد بن
إسحاق ، قال : وحدّثني بعضُ أهل العلم أنّ الصلاة حين افتُرِضتْ على
رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، أتاه جبرئيل وهو بأعلى (٢) مكة ، فهمز له بعقبه
في ناحية الوادي ، فانفجرت منه عين ، فتوضأ جبرئيل عليه السلام ، ورسولُ
الله صلّى الله عليه وسلّم بنظر إليه ليريه كيف الطهور للصلاة ، ثم توضأ
رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم كما رأى جبرئيل عليه السلام توضأ ، ثم قام جبرئيل
عليه السلام ، فصلّى به وصلّى النبي صلّى الله عليه وسلّم بصلاته . ثم انصرف
جبرئيل عليه السلام ، فجاء رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خديجة ، فتوضأ لها
بُريها كيف الطهور للصلاة ؛ كما أراه جبرئيل عليه السلام ، فتوضأت كما
توضأ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ثم صلّى بها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم
كما صلّى به جبرئيل عليه السلام ، فصلّت بصلاته .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا هارون بن المغيرة وحكّام بن سلّم ،

(١) سيرة ابن هشام ١ : ١٦٢ ، ١٦٣

(٢) ح : مكة .

عن عنبسة ، عن أبي هاشم الواسطي ، عن ميمون بن ميثاء ، عن أنس بن مالك ، قال : لما كان حينُ نبيِّ النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، وكان ينام حول الكعبة ، وكانت قريش تنام حولها ، فأناه ملكان : جبرئيل وميكائيل ، فقالا : بأيهم أمرنا ؟ فقالا : أمرنا بسيدهم ، ثم ذهبنا ثم جاءنا من القبيلة ، وهم ثلاثة ، فالتفوه وهو نائم ، فقلَّبوه لظهره ، وشقُّوا بطنه ، ثم جاءوا بماء من ماء زمزم ، فغسلوا ما كان في بطنه من شك أو شرك أو جاهلية أو ضلالة ، ثم جاءوا بطست من ذهب ، ملى إيماناً وحكمة ، فلىء بطنه وجوفه إيماناً وحكمة ، ثم عرج به إلى السماء الدنيا ، فاستفتح جبرئيل ، فقالوا : مَنْ هذا ؟ فقال : جبرئيل ؛ فقالوا : مَنْ معك ؟ فقال : محمد ، قالوا : وقد بُعث ؟ قال : نعم ، قالوا : مرحباً ، فدعوا له في دعائهم ، فلما دخل ، فإذا هو برجل جسيم وسيم ، فقال : مَنْ هذا يا جبرئيل ؟ فقال : هذا أبوك آدم ، ثم أتوا به إلى السماء الثانية ، فاستفتح جبرئيل ، فقيل له مثل ذلك ، وقالوا في السموات كلها كما قال وقيل له في السماء الدنيا ، فلما دخل ، إذا برجلين ، فقال : مَنْ هؤلاء يا جبرئيل ؟ فقال : يحيى وعيسى ابنا الحالة ، ثم أتى به السماء الثالثة ، فلما دخل إذا هو برجل ، فقال : من هذا يا جبرئيل ؟ قال : هذا أخوك يوسف ، فُضِّل بالحسن على الناس ، كما فُضِّل القمر ليلة البدر على الكواكب ، ثم أتى به السماء الرابعة ، فإذا هو برجل ، فقال : من هذا يا جبرئيل ؟ فقال : هذا إدريس ، ثم قرأ : ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ (١) ، ثم أتى به السماء الخامسة ، فإذا هو برجل ، فقال : من هذا يا جبرئيل ؟ قال : هذا هارون ، ثم أتى به السماء السادسة ، فإذا هو برجل ، فقال : من هذا يا جبرئيل ؟ فقال : هذا موسى ، ثم أتى به السماء السابعة ، فإذا هو برجل ، فقال : مَنْ هذا يا جبرئيل ؟ قال : هذا أبوك إبراهيم ، ثم انطلق إلى الجنة ، فإذا هو بنهر أشدَّ بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، يجنبته قباب الدر ، فقال : ما هذا يا جبرئيل ؟ فقال : هذا الكوثر الذي

١١٥٨/١

أعطاك ربك، وهذه مساكنك ، قال : وأخذ جبرئيل بيده من تربته ، فإذا هو مسك أذفر ، ثم خرج إلى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وهي سدرة نبتق أعظمها أمثال الجرار ، وأصغرها أمثال البَيْض ، فدَنَا رَبُّكَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ فَكَانَ

قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾ (١) ، فجعل يتغشى السدرة من دُنُو (٢) ربها تبارك وتعالى ، أمثال الدرّ والياقوت والزبرجد واللؤلؤ ألوان . فأوحى إلى عبده ، وفهمه وعلمه وفرض عليه خمسين صلاة ، فرآ على موسى ، فقال : ما فرّض على أمتك ؟ فقال : خمسين صلاة ، قال : ارجع إلى ربك فسأله التخفيف لأمتك ، فإن أمتك أضعف الأمم قوة ، وأقلها عمراً ، وذكر ما لقي من بني إسرائيل ، فرجع فوضع عنه عشرًا ، ثم مرّ على موسى ، فقال : ارجع إلى ربك فسأله التخفيف ؛ كذلك حتى جعلها خمسًا ، قال : ارجع إلى ربك فسأله التخفيف ، فقال : لست براجع ؛ غير عاصيك ؛ وقذف في قلبه ألا يرجع ، فقال الله عزّ وجلّ : ﴿ لا يبدل كلامي ، ولا يردّ قضائي وفرضي ﴾ ، وخفف عن أمي الصلاة لعشر . قال أنس : وما وجدت ريحاً قطّ ولا ريح عروس قطّ ، أطيب ريحاً من جلد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ألزقت جلدي بجلده وشميته .

• • •

قال أبو جعفر : ثم اختلف السلف فيمن اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم وآمن به وصدّقه على ما جاء به (٣) من عند الله من الحقّ بعد زوجته خديجة بنت خويلد ، وصلى معه .

فقال بعضهم : كان أوّل ذكر آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى معه وصدّقه بما جاءه من عند الله على بن أبي طالب عليه السلام .

(١) سورة النجم ٩ .

(٢) ح : « نور » .

(٣) ح : « جاءه » .

• ذکر بعض من قال ذلك ممن حضرنا ذكره :

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا إبراهيم بن المختار ، عن شعبة^(۱) ،
عن أبي بلج ، عن عمرو بن ميمون ، عن ابن عباس ، قال : أول من
صلى على . ۱۱۶۰/۱

حدثنا زكرياء بن يحيى الضريير ، قال : حدثنا عبد الحميد بن بحر ،
قال : أخبرنا شريك ، عن عبد الله بن محمد بن عقیل ، عن جابر ، قال :
بعث النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ، وصلى على يوم الثلاثاء .

حدثنا ابن المنثى ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنا شعبة ،
عن عمرو بن مرة ، عن أبي حمزة ، عن زيد بن أرقم ، قال : أول من
أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب . قال : فذكرته
للنخعي ، فأنكره ، وقال : أبو بكر أول من أسلم .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا وكيع ، عن شعبة ، عن عمرو بن
مرة ، عن أبي حمزة مولى الأنصار ، عن زيد بن أرقم ، قال : أول من
أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب عليه السلام .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عبيد بن سعيد ، عن شعبة ، عن
عمرو بن مرة ، قال : سمعت أبا حمزة (رجلا من الأنصار) ، يقول : سمعت
زيد بن أرقم ، يقول : أول رجل صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على
عليه السلام .

حدثنا أحمد بن الحسن الترمذی ، قال : حدثنا عبيد الله بن موسى ،
قال : أخبرنا العلاء^(۲) ، عن المنهال بن عمرو ، عن عباد بن عبد الله ، قال :
سمعتُ علياً يقول : أنا عبد الله وأخو رسوله ، وأنا الصدِّيق الأكبر ، لا يقوفا
بعدي إلا كاذب^(۳) مُفتَرٍ ، صليت مع رسول الله قبل الناس بسبع سنين .

(۲) هو العلاء بن صالح التيمي (الميزان) .

(۱) ر : « سعيد » .

(۳) ر : « كذاب » .

حدثني محمد بن عبيد المحاربي^(١) ، قال : حدثنا سعيد بن خُشيم ، عن أسد بن عبدة البجلي ، عن يحيى بن عفيف ، عن عفيف ، قال : جئت في الجاهلية إلى مكة ، فنزلت على العباس بن عبد المطلب . قال : فلما طلعت الشمس وحلقت في السماء وأنا أنظر إلى الكعبة ، أقبل شاب ، فرمى ببصره إلى السماء ، ثم استقبل الكعبة ، فقام مستقبليها ، فلم يلبث حتى جاء غلام ، فقام عن يمينه . قال : فلم يلبث حتى جاءت امرأة ، فقامت خلفهما ، فركع الشاب ، فركع الغلام والمرأة ، فرجع الشاب فرجع الغلام والمرأة ، فخر الشاب ساجداً فسجداً معه ، فقلت : يا عباس ، أمر عظيم ! فقال : أمر عظيم ! أتدرى من هذا ؟ فقلت : لا ، قال : هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، ابن أخي . أتدرى من هذا معه ؟ قلت : لا ، قال : هذا علي بن أبي طالب ابن عبد المطلب ، ابن أخي . أتدرى من هذه المرأة التي خلفهما ؟ قلت : لا ، قال : هذه خديجة بنت خويلد ، زوجة ابن أخي ، وهذا حدثني أن ربك رب السماء ، أمرهم بهذا الذي تراهم عليه ، وإسم الله ما أعلم على ظهر الأرض كلها أحداً على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا يونس بن بكير ، قال : حدثنا محمد ابن إسحاق ، قال : حدثني يحيى بن أبي الأشعث الكندي ، من أهل الكوفة ، قال : حدثني إسماعيل بن إياس بن عفيف ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : كنت امرأً تاجراً ، فقدمت أيام الحج ، فأتيت العباس ، فبينما نحن عنده إذ خرج رجلٌ يصلي ، فقام تُجَاهَ الكعبة ، ثم خرجت امرأة فقامت معه تصلي ، وخرج غلام فقام يصلي معه ، فقلت : يا عباس ، ما هذا الدين ؟ إن هذا الدين ما أدري ما هو ؟ قال : هذا محمد بن عبد الله ، يزعم أن الله أرسله به ، وأن كنوز كسرى وقيصر ستفتح عليه ، وهذه امرأته خديجة بنت خويلد آمنت به ، وهذا الغلام ابن عمه علي بن أبي طالب ، آمن به . قال عفيف : فليتني كنتُ آمنتُ يومئذ فكنتُ أكون رابعاً !

(١) ر : النجاري .

حدَّثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل وعلی بن مجاهد ، قال سلمة : حدثني محمد بن إسحاق ، عن يحيى بن أبي الأشعث - قال أبو جعفر : وهو في موضع آخر من كتابي عن يحيى بن الأشعث - عن إسماعيل بن إياس بن عفيف الكندي - وكان عفيف أخا الأشعث بن قيس الكندي لأمه ، وكان ابن عمه - عن أبيه عن جدّه عفيف ، قال : كان العباس ابن عبد المطلب لي صديقاً ، وكان يختلف إلى اليمن ، يشتري العطر فيبيعه أيام الموسم ؛ فبينما أنا عند العباس بن عبد المطلب بمنى ، فاتاه رجل مجتمع ، فتوضأ فأسبغ الوضوء ، ثم قام يصلي ، فخرجت امرأة فتوضأت وقامت تصلي ثم خرج غلام قد راهق ، فتوضأ ، ثم قام إلى جنبه يصلي ، فقلت : وبجك يا عباس ! ما هذا ؟ قال : هذا ابن أخي محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، يزعم أن الله بعثه رسولا ، وهذا ابن أخي علي بن أبي طالب قد تابعه على دينه ، وهذه امرأته خديجة ابنة خويلد ، قد تابعته على دينه . قال عفيف بعد ما أسلم ١١٦٣/١

ورسخ الإسلام في قلبه : يا ليتني كنتُ رابعاً !

حدَّثنا ابن حميد ، قال : حدثنا عيسى بن سوادة بن الجعد ، قال : حدثنا محمد بن المنكدر^(١) وربيعه بن أبي عبد الرحمن ، وأبو حازم المدني^(٢) ، والكلبي ، قالوا : عليّ أول من أسلم . قال الكلبي : أسلم وهو ابنُ تسع سنين .

حدَّثنا ابن حميد ؛ قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان أول ذكر آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصليّ معه وصدقه بما جاءه من عند الله ، عليّ بن أبي طالب ؛ وهو يومئذ ابن عشر سنين ، وكان مما أنعم الله به على عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، أنه كان في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الإسلام .

(١) ر وابن الأثير : « المنذر » .

(٢) ر : « المري » .

حدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، قال : حدَّثني محمد بن إسحاق ، قال : فحدَّثني عبد الله بن أبي نَجِيح ، عن مجاهد بن جبر أبي الحجاج ، قال : كان من نعمة الله على علي بن أبي طالب ، وما صنع الله له وأزاده به من الخير ، أن قریشاً أصابتهُم أزمة شديدة ، وكان أبو طالب ذا عيال كثير ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس عمه - وكان من أيسر بني هاشم : يا عباس ؛ إن أخاك أبا طالب كثيرُ العيال ، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة ، فانطلق بنا فلنخفف عنه من عياله ؛ آخذ من بنيه رجلاً ، وتأخذ من بنيه رجلاً ، فنكفهما عنه . قال العباس : نعم ، فانطلقا حتى أتيا أبا طالب ، فقالا : إننا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه ، فقال لهما أبو طالب : إذا تركتما لي عَقِيلاً ۱۱۶۴/۱ فاصنعا ما شئتما ، فأخذ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم علياً فضمته إليه ، وأخذ العباس جعفرأ فضمته إليه ، فلم يزل علي بن أبي طالب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله نبياً ، فاتبعه علي فآمن به وصدقته ، ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه^(۱) .

حدَّثنا ابن حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، قال : فحدَّثني محمد بن إسحاق ، قال : وذكر بعضُ أهل العلم أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان إذا حضرت الصلاة ، خرج إلى شعاب مكة ، وخرج معه علي بن أبي طالب مستخفياً من عمه أبي طالب وجميع أعمامه وسائر قومه ، فيصليان الصلوات فيها ؛ فإذا أمسيا رجعا ، فكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا . ثم إن أبا طالب عثر عليهما يوماً وهما يصليان ، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا ابن أخي ، ما هذا الدين الذي أراك تدين به ؟ قال : أي عم ، هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ، ودين آيينا إبراهيم - أو كما قال - بعثني الله به رسلاً إلى العباد ، وأنت يا عم أحق مني بذلك له النصيحة ، ودعوته إلى الهدى ، وأحق مني أجابني إليه ، وأعاني عليه - أو كما قال . فقال أبو طالب : يا ابن أخي ؛ إني لا أستطيع أن أفارق ديني ودين آبائي وما كانوا عليه ؛ ولكن والله لا يخلص إليك^(۱) بشيء تكبره ما حبيت^(۲) .

(۱) ر : « لا يخلص إليك شيء » .

(۲) سيرة ابن هشام ۱ : ۱۶۳ .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : وزعموا أنه قال لعل بن أبي طالب : أي بني ، ما هذا الدين الذي أنت عليه ؟ قال : يا أبتاه ، آمنتُ بالله وبرسوله وصدقته بما جاء به ، واصلبت معه لله . فزعموا أنه قال له : أما إنته لا بدعوك^(۱) إلا إلى خبير ، فالزمه^(۲) .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : أخبرنا إبراهيم بن نافع ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : أسلم علي وهو ابن عشر سنين .

قال الحارث : قال ابن سعد : قال الواقدي : واجتمع أصحابنا على أن علياً أسلم بعد ما تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنة ، فأقام بمكة اثني عشرة سنة .

• • •

وقال آخرون : أول من أسلم من الرجال أبو بكر رضي الله عنه .

• ذكر من قال ذلك :

• حدثنا سهل بن موسى الرازي ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن مغراء ، عن مجالد ، عن الشعبي ، قال : قلت لآين عباس : من أول الناس إسلاماً ؟ فقال : أما سمعت قول حسان بن ثابت :

إذا تَدَكَّرْتَ شَجَوًا مِنْ أَخِي ثِقَةٍ فَادْكُرْ أَخَاكَ أَبَا بَكْرٍ بِمَا فَعَلَا^(۲)
خَيْرَ الْبَرِيَّةِ اتَّقَاهَا وَأَعْدَاهَا بَعْدَ النَّبِيِّ وَأَوْفَاهَا بِمَا حَمَلَا
الثَّانِي التَّالِي الْمَحْمُودَ مَشْهُدُهُ وَأَوَّلَ النَّاسِ مِنْهُمْ صَدَقَ الرُّسُلَا

(۱) ح ، ر : « يدعو » .

(۲) ابن هشام ۱ : ۱۶۳ .

(۲) ديوانه ۲۹۹ ، ۳۰۰ مع اختلاف في الرواية .

وحدثني سعيد بن عنبسة الرازي ، قال : حدثنا الهيثم بن عدى ، عن
مجالد ، عن الشعبي ، عن ابن عباس نحوه^(١) .

١١٦٦/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يحيى بن واضح ، قال : حدثنا الهيثم
ابن عدى ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن ابن عباس نحوه .

حدثنا بحر^(٢) بن نصر الحولاني ، قال : حدثنا عبد الله بن وهب ،
قال : أخبرني معاوية بن صالح ، قال : حدثني أبو يحيى وضمره بن حبيب
وأبو طلحة ، عن أبي أمامة الباهلي ، قال : حدثني عمرو بن عبسة^(٣) قال :
أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بعكاظ ، قلت : يا رسول الله ،
مَنْ تَبِعَكَ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ ؟ قال : اتَّبَعَنِي عَلَيْهِ رَجُلَانِ ؛ حُرٌّ وَعَبْدٌ :
أَبُو بَكْرٍ وَبِلَالٌ ، قال : فأسلمت عند ذلك ، قال : فلقد رأيتني إذ ذاك
رُبِعَ الْإِسْلَامَ .

حدثني ابن عبد الرحيم البرقي ، قال : حدثنا عمرو بن أبي سلمة ،
قال : حدثنا صدقة ، عن نصر بن علقمة ، عن أخيه ، عن ابن عائد ، عن
جبير بن نفيير ، قال : كان أبو ذر وابن عبسة كلاهما يقول : لقد رأيتني
رُبِعَ الْإِسْلَامَ ، ولم يُسَلِّمِ قَبْلِي^(٤) إلا النبي وأبو بكر وبلال ، كلاهما
لا يدري^(٥) متى أسلم الآخر .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ،
قال : أول مَنْ أسلم أبو بكر .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا وكيع ، قال : حدثنا شعبة ، عن
عمرو بن مرة ، قال : قال إبراهيم النخعي : أبو بكر أول مَنْ أسلم .

• • •

(١) ح : نحوه .

(٢) م : يحيى .

(٣) في الأصول : عنبسة .

(٤) م : قبل .

(٥) م : لا تدري .

وقال آخرون : أسلم قبل أبي بكر جماعة .

• ذكر من قال ذلك :

١١٦٧/١

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا كنانة بن جبلة ، عن إبراهيم بن طهمان ، عن الحجّاج بن الحجّاج ، عن قتادة ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن محمد بن سعد ، قال : قلت لأبي : أكان أبو بكر أولكم إسلامًا ؟ فقال : لا ، ولقد أسلم قبله أكثر من خمسين ؛ ولكن كان أفضلنا إسلامًا .

• • •

وقال آخرون : كان أول من آمن واتبع النبي صلى الله عليه وسلم من الرجال زيد بن حارثة مولاة .

• ذكر من قال ذلك :

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : قال الواقدي : حدثني ابن أبي ذئب ، قال : سألت الزُّهري : من أول من أسلم ؟ قال : من النساء خديجة ، ومن الرجال زيد بن حارثة .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد ابن عمر ، قال : حدثنا مُصعب بن ثابت ، عن أبي الأسود ، عن سليمان ابن يسار ، قال : أول من أسلم زيد بن حارثة .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد - يعني ابن عمر - قال : حدثنا ربيعة بن عثمان ، عن عمران بن أبي أنس مثله .

وحدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : حدثنا عبد الملك ابن مسلمة ، قال : حدثنا ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة ، قال : أول من أسلم زيد بن حارثة .

وأما ابن إسحاق ، فإنه قال في ذلك ما حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سلمة عنه : ثم أسلم زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان

١١٦٨/١ أول ذكر (١) أسلم، وصلى بعد علي بن أبي طالب، ثم أسلم أبو بكر بن أبي قحافة الصديق، فلما أسلم أظهر إسلامه (٢)، ودعا إلى الله عز وجل وإلى رسوله. قال: وكان أبو بكر رجلاً مألماً لقومه، محبباً سهلاً، وكان أنسب قريش لقريش، وأعلم قريش بها، وبما كان فيها من خير أو شر، وكان رجلاً تاجراً ذا خلق ومعروف، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر، لعلمه وتجاربه وحسن مجالسته، فجعل يدعو إلى الإسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس إليه، فأسلم على يديه - فيما بلغني - عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله، فجاء بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استجابوا له، فأسلموا وصلوا، فكان هؤلاء الثمانية، النفر (٣) الذين سبقوا إلى الإسلام، فصلوا وصدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وآمنوا بما جاء به من عند الله، ثم تابع الناس في الدخول في الإسلام؛ الرجال منهم والنساء؛ حتى فشا ذكر الإسلام بمكة وتحدث به الناس (٤).

وقال الواقدي في ذلك ما حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، عنه: اجتمع أصحابنا على أن أول أهل القبلة استجاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد، ثم اختلف عندنا في ثلاثة نفر: في أبي بكر وعلي، وزيد بن حارثة، أيهم أسلم أول.

١١٦٩/١ قال: وقال الواقدي: أسلم معهم خالد بن سعيد بن العاص خامساً، وأسلم أبو ذر، قالوا: رابعاً أو خامساً، وأسلم عمرو بن عبسة السلمي، فيقال: رابعاً أو خامساً. قال: وإنما اختلف عندنا في هؤلاء النفر أيهم أسلم أول؛ وفي ذلك روايات كثيرة. قال: فيختلف في الثلاثة المتقدمين، وفي هؤلاء الذين كتبنا بعدهم.

(١) ر: من

(٢) ح، م: الإسلام.

(٣) كذا في ح وفي ط: نفر، وفي ابن هشام: نفر الثمانية.

(٤) الخبر في سيرة ابن هشام ١: ١٦٤، ١٦٥.

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثني مُصعب بن ثابت ، قال : حدثنا أبو الأسود محمد بن عبد الرحمن بن الأسود بن نوفل ، قال : كان إسلام الزبير بعد أبي بكر ، كان رابعاً أو خامساً .

وأما ابن إسحاق ، فإنه ذكر أن خالد بن سعيد بن العاص وامرأته أمينة بنت خلف بن أسعد بن عامر بن بياضة ، من خزاعة ، أسلما بعد جماعة كثيرة غير الذين ذكرتهم بأسمائهم ؛ أنهم كانوا من السابقين إلى الإسلام^(١) .

• • •

ثم إن الله عز وجل أمر نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بعد مبعثه بثلاث سنين أن يصدع بما جاءه منه ، وأن يبادي الناس بأمره ، ويدعو إليه ، فقال له : ﴿ فَأُصَدِّعُ بِمَا تُؤْمَرُ وَأُعْرِضُ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾^(٢) ، وكان قبل ذلك - في السنين الثلاث من مبعثه ؛ إلى أن أمر بإظهار الدعاء إلى الله - مستسراً مخفياً أمره صلى الله عليه وسلم ، وأنزل عليه : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ • وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ • فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾^(٣) ، قال : وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلوا ذهبوا إلى الشعاب ، فاستخفوا من قومهم ؛ فبينا سعد بن أبي وقاص في نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في شعب من شعاب مكة إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون ، فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون ؛ حتى قاتلوه ، فاقتلوا ، ف ضرب سعد بن أبي وقاص يومئذ رجلاً من المشركين بلحني جمل فشجته ، فكان أول دم أهريق^(٤) في الإسلام^(٥) .

١١٧٠/١

فحدثنا أبو كريب وأبو السائب ، قالا : حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال :

(١) ابن هشام ١ : ١٦٨ .

(٢) سورة الحجر ٩٤ .

(٣) سورة الشعراء ٢١٤ - ٢١٦ .

(٤) ح : « هريق » .

(٥) الخبر في سيرة ابن هشام ١ : ١٦٨ ، ١٦٩ .

صعد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم الصَّفَا، فقال : يا صَبَّاحاه !
 فاجتمعتُ إليه قريش ، فقالوا : مالك ؟ قال : رأيت إن أخبرتكم أن
 العلو^(۱) مصبِّحكم أو ممسيكم ، أما كنتم تصدقونني ! قالوا : بلى ؛ قال :
 فإني نذير لكم بين يدي عذابٍ شديد . فقال أبو لهب : تباً لك ! ألهذا
 دعوتنا - أو جمعتنا ! فأنزل الله عز وجل : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾^(۲)
 إلى آخر السورة .

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : حدثنا أبو أسامة ، عن الأعمش ، عن
 عمرو بن مرة ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، قال : لما نزلت هذه
 الآية : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾^(۳) ، خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم
 حتى صعد الصفا ، فهتف : يا صباحاه ! فقالوا : من هذا الذي يهتف ؟
 قالوا : محمد ، فقال : يا بني فلان ، يا بني عبد المطلب ،
 يا بني عبد مناف ! فاجتمعوا إليه ، فقال : أرايتكم لو أخبرتكم أن خيلاً
 تخرج بسفح هذا الجبل ، أكنتم مصدقني ؟ قالوا : ما جربنا عليك كذباً ،
 قال : فإني نذير لكم بين يدي عذابٍ شديد . فقال أبو لهب : تباً لك !
 ما جمعتنا إلا لهذا ! ثم قام ، فنزلت هذه السورة : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾
 إلى آخر السورة .

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن ۱/۱۱۷۱
 إسحاق ، عن عبد الغفار بن القاسم ، عن المنهال بن عمرو ، عن عبد الله
 ابن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، عن عبد الله بن عباس ،
 عن علي بن أبي طالب ، قال : لما نزلت هذه الآية على رسولِ الله صلى الله
 عليه وسلم : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ ، دعاني رسولُ الله صلى الله عليه
 وسلم فقال لي : يا علي ، إن الله أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين ،

(۱) ح : « العذاب » .

(۲) سورة المد (۳) سورة الشعراء ۲۱۴

فضقتُ بذلك ذرعاً ، وعرفتُ أني متى أباديهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره ، فصمتُ عليه حتى جاءني جبرئيل فقال : يا محمد ، إنك إلا تفعل ما تؤمر به يُعذّبك ربك ، فاصنعْ لنا صاعاً من طعام ، واجعل عليه رحلَ شاة ، واملأ لنا عُسّاً من لبن ؛ ثم اجمعْ لي بني عبد المطلب حتى أكلتهم ^(١) ، وأبلغهم ما أمرت به ، ففعلت ما أمرني به . ثم دعوتهم له ؛ وهم يومئذ أربعون رجلاً ، يزيدون رجلاً أو ينقصونه ؛ فيهم أعمامه : أبو طالب وحمزة والعباس وأبو لهب ؛ فلما اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذي صنعت لهم ، فجئت به ، فلما وضعته تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم حذية ^(٢) من اللحم ، فشقتها بأسنانه ، ثم ألقاها في نواحي الصحفة . ثم قال : خذوا بسم الله ، فأكل القوم حتى ما لهم بشيء حاجة وما أرى إلا موضع ^(٣) أيديهم ، وإيمُ الله الذي نفَسُ على بيده ؛ وإن كان الرجل الواحد منهم لياكل ما قدمت لجميعهم . ثم قال : اسقِ القوم ، فجئتهم بذلك العُس ، فشربوا منه حتى رَوُوا منه جميعاً ، وإيمُ الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله ، فلما أراد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم بدره أبو لهب إلى الكلام ، فقال : لَهْدَ مَا ^(٤) سحرکم صاحبکم ! فتفرق القوم ولم يكلمهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : الغد يا علي ؛ إن هذا الرجل سبقني إلى ما قد سمعت من القول ، فتفرق القوم قبل أن أكلتهم ، فعُدْ لنا من الطعام بمثل ما صنعت ، ثم اجمعهم إلى .

١١٧٢/١

قال : ففعلتُ ، ثم جمعتهم ثم دعاني بالطعام فقربته لهم ، ففعل كما فعل بالأمس ، فأكلوا حتى ما لهم بشيء حاجة . ثم قال : اسقهم ، فجئتهم بذلك العُس ، فشربوا حتى رَوُوا منه جميعاً ، ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا بني عبد المطلب ؛ إني والله ما أعلمُ شاباً في العرب جاء قومه

(١) م : « أعلمهم » .

(٢) الحذية من اللحم : ما قطع منه طولاً .

(٣) ابن الأثير : « مواضع » .

(٤) لهدّ : كلمة يتمجب بها ، وفي ط : « لقد ما » ، والصواب ما أثبتته من التفسير والنهاية

بأفضل مما قد جئتكم به؛ إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه، فأبيكم يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى ووصيتى وخليفتى فيكم؟ قال: فأحجم القوم عنها جميعاً، وقلت: وإني لأحدثهم سنناً، وأرمصهم^(١) عيناً، وأعظمهم بطناً، وأحمشهم ساقاً^(٢)؛ أنا يا نبي الله، أكون وزيرك عليه. فأخذ برقبتي، ثم قال: إن هذا أخى ووصي وخليفتى فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا. قال: فقام القوم يضحكون، ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع^(٣).

حدثني زكرياء بن يحيى الضريبر، قال: حدثنا عفان بن مسلم، قال: حدثنا أبو عوانة، عن عثمان بن المغيرة، عن أبي صادق، عن ربيعة بن ناجد، أن رجلاً قال لعلي عليه السلام: يا أمير المؤمنين، بم ورثت ابن عمك دون عمك؟ فقال علي: هاؤم! ثلاث نرات، حتى اشرب الناس، ونشروا آذانهم. ثم قال: جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم - أو دعا رسول الله - بنى عبد المطلب منهم رهطه، كلهم يأكل الجذاعة ويشرب الفرق^(٤)، قال: فصنع لهم مuddاً من طعام، فأكلوا حتى شبعوا وبقى الطعام كما هو؛ كأنه لم يمس. قال: ثم دعا بغمر^(٥) فشرّبوا حتى رَووا وبقى الشراب كأنه لم يمس ولم يشربوا. قال: ثم قال: يا بنى عبد المطلب، إني بُعثت إليكم بخاصة وإلى الناس بعامة، وقد رأيتم من هذا الأمر ما قد رأيتم، فأبيكم يبايعني علي أن يكون أخى وصاحبي ووارثي؟ فلم يقم إليه أحد، فقامت إليه - وكنت أصغر القوم - قال: فقال: اجلس، قال: ثم قال ثلاث مرات، كل ذلك أقوم إليه، فيقول لي: اجلس، حتى كان

(١) الرمص في العين كالغمص، وهو قذى تُلغظ به، وهو كناية عن صفر سنه.

(٢) حمش الساقين: دقيقتها.

(٣) الخبر في التفسير ١٩: ٧٤، ٧٥ (ببلاق)

(٤) الفرق، بكسر الفاء، وبعضهم يقول بالفتح: مكيال كبير لأهل المدينة يكال به اللبن.

(٥) الغمر: القدح الصغير، وفرد: «بمس».

في الثالثة، فضرب بيده على يدي، قال : فبذلك ورثتُ ابنَ عمِّي دون عمِّي .

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، حدثنا محمد بن إسحاق ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن بن أبي الحسن ، قال : لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ ، قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأبطح ، ثم قال : يا بني عبد المطلب ، يا بني عبد مناف ، يا بني قصي - قال : ثم فخذ^(١) قريشا قبيلة قبيلة ، حتى مر^(٢) على آخرهم - إني أدعوكم إلى الله وأنذركم عذابه^(٣) .

١١٧٤/١

حدثنا الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثنا جارية بن أبي عمران ، عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصدع بما جاءه من عند الله ، وأن يبادي الناس بأمره ، وأن يدعوهم إلى^(٤) الله ، فكان يدعو من أول ما نزلت عليه النبوة ثلاث سنين ، مستخفياً ، إلى أن أمر بالظهور للدعاء^(٥) .

قال ابن إسحاق - فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عنه : فصدع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر الله ، وبادي قومه بالإسلام ، فلما فعل ذلك لم يبعد منه قومه ، ولم يردوا عليه بعض الرد - فيما بلغني - حتى^(٦) ذكر آلهتهم وعابها ، فلما فعل ذلك ناكروه وأجمعوا على خلافه وعداوته إلا من عصم الله منهم^(٧) بالإسلام ، وهم قليل مستخفون ، وحدثب عليه أبو طالب عمه ومنعه ، وقام دونه ، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) فخذم : دعاهم فخذوا فخذوا ، والفخذ أقل من البطن ، وأولها : الشعب ثم القبيلة ، ثم الفصيلة ، ثم العساة ، ثم البطن . وانظر اللسان . وفي ر : « عد » .

(٢) ح : « أتى » .

(٣) الخبر في التفسير ١٩ : ٧٥ (بولاق) .

(٤) م : « فأمره أن يدعوهم » .

(٥) طبقات ابن سعد ١ : ١٩٩ وهناك : « إلى أن أمر بظهور الدعاء » .

(٦) م : « عن » .

(٧) زاد في ح : « عن ذلك » .

على أمر الله مظهرًا لأمره ، لا يردّه عنه شيء . فلما رأيت قريش أن رسولَ
الله صلى الله عليه وسلم لا يُعْتَبَهُمْ^(١) مِنْ شَيْءٍ [بِكُرْهُونَهُ مِمَّا]^(٢) أَنْكُرُوهُ عَلَيْهِ
من فراقهم وَعَيَّبَ آلَهُمْ ، ورأوا أنّ أبا طالب قد حَتَدِبَ عَلَيْهِ ، وقام
دونه فلم يُسَلِّمْهُ لَهُمْ ، مشى رجالٌ من أشرف قريش إلى أبي طالب : عْتَبَةُ
ابن ربيعة ، وشَيْبَةُ بن ربيعة ، وأبو الْبَخْتَرِيِّ بن هشام ، والأسود بن المطَّلَب ،
والوليد بن المغيرة ، وأبو جهل بن هشام ، والعاص بن وائل ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج
- أو مَنْ مَشَى إِلَيْهِ مِنْهُمْ - فقالوا : يا أبا طالب ، إنّ ابنَ أَخِيكَ قد
سَبَّ آلَهُنَا ، وعاب ديننا ، وسَفَّهَ أَحْلَامَنَا ، وضمَّلَ آباءَنَا ؛ فإمَّا أَنْ تَكْفَهُ
عَنَّا ، وإمَّا أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ ؛ فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه ،
فنكفيكته . فقال لهم أبو طالب قولاً رقيقاً ، وردّهم ردّاً جميلاً ، فانصرفوا
عنه ، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما هو عليه ؛ يظهر دين الله ،
ويدعو إليه . قال : ثم شَرِي^(٣) الْأَمْرُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ حَتَّى تَبَاعَدَ الرَّجَالُ ،
وتضاغنوا ، وأكثرت قريش ذِكْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَهَا ، وتذاَمَرُوا
فِيهِ ، وحتَّضَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَيْهِ . ثم إنهم مَشَّوْا إِلَى أَبِي طَالِبٍ مَرَّةً أُخْرَى ،
فقالوا : يا أبا طالب ، إن لك سِنًا وشرفًا ومنزلة فينا ، وإنَّا قد استنهيناك من
ابن أخيك فلم تَنْهَهُ عَنَّا ، وإنَّا والله لا نصبر على هذا من شَتَمِ آبَائِنَا ؛ وتسفيه
أحلامنا ، وعيب آلِهِنَا حَتَّى تَكْفَهُ عَنَّا أَوْ تَنَازِلَهُ وَإِيَّاكَ فِي ذَلِكَ ؛ حَتَّى يَهْلِكَ
أحَدُ الْفَرِيقَيْنِ - أَوْ كَمَا قَالُوا . ثم انصرفوا عنه ، فعظَّم على أبي طالب فراقُ
قومه وعدواتهم له ؛ ولم يَطْبُ نَفْسًا بِإِسْلَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهُمْ
وَلَا خِذْلَانِهِ^(٤) .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : حدثنا أحمد بن المفضل ، قال :
حدثنا أسباط ، عن السديّ : أنّ ناسًا من قريش اجتمعوا^(٥) ، فيهم أبو جهل

(١) م : « يغنيهم » ، ولا يعتبهم ، أى لا يرضيهم .

(٢) من ح .

(٣) شرى الأمر : اشتد واستطار . (٤) سيرة ابن هشام ١ : ١٦٩ ، ١٧٠ .

(٥) م : « أجمعوا » .

ابن هشام، والعاص بن وائل، والأسود بن المطلب، والأسود بن عبد يغوث؛ في نفرٍ من مشيخة قريش، فقال بعضهم لبعض: انطلقوا بنا إلى أبي طالب فنكلمه^(۱) فيه؛ فليُنعيننا منه، فيأمره فليُكف عن شتم آلهتنا، وندّعه وإلهه الذي يعبد؛ فإننا نخافُ أن يموتَ هذا الشيخ فيكون منا شيء فتعيرنا العرب؛ يقولون: تركوه؛ حتى إذا مات عمه تناولوه.

قال: فبعثوا رجلاً منهم يُدعى المطلب، فاستأذن لهم على أبي طالب، فقال: هؤلاء مشيخة قومك^(۲) وسرّواتهم، يستأذنون عليك، قال: أدخلهم؛ فلما دخلوا عليه، قالوا: يا أبا طالب، أنت كبيرنا وسيدنا، فأنصفنا من ابن أخيك، فرّه فليُكف عن شتم آلهتنا، وندّعه وإلهه.

قال: فبعث إليه أبو طالب، فلما دخلَ عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قال: يا ابنَ أخي؛ هؤلاء مشيخة قومك وسرّواتهم، وقد سألك^(۳) النصف، أن تكف عن شتم آلهتهم ويدّعوك وإلهك. قال: أي عمّ، أولاً أدعوهم إلى ما هو خير لهم منها؟ قال: والإمام تدعوهم؟ قال: أدعوهم إلى أن يتكلموا بكلمة تدين لهم بها العرب، ويعلمون بها العجم. قال: فقال أبو جهل من بين القوم: ما هي وأبيك؟ لنعطينكها^(۴) وعشراً^(۵) أمثالها. قال: تقول: لا إله إلا الله، قال: فنفروا [وتفرقوا]^(۶) وقالوا: سائناً غير هذه، فقال: لو جئتموني بالشمس حتى تضعوها في يدي ما سألتكم غيرها! قال: فغضبوا وقاموا من عنده غَضَابِي، وقالوا: والله لنشمتك وإلهك الذي يأمرُك بهذا، ﴿وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا وَاصْبِرْ وَعَلَى آلِهِتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾، إلى قوله: ﴿إِلَّا اخْتِلاقٌ﴾^(۷).

۱۱۷۷/۱

(۱) ر والتفسير: « فلنكلمه ».

(۲) ر: « قريش »، وسرّوات القوم: ساداتهم.

(۳) م: « سألك ».

(۴) ر: « لنعطيكها »، م: « نعطيكها ».

(۵) ح: « وعشراً معها ».

(۶) من ح وابن الأثير.

(۷) سورة ص: ۶، ۷.

وأقبل على عمه فقال له عمه : يا ابن أخي ، ما شططت عليهم ، فأقبل على عمه فدعاه ، فقال : قل كلمة أشهد لك بها يوم القيامة ، تقول : لا إله إلا الله ، فقال : لولا أن تعيبكم بها العرب ، يقولون^(١) : جزع من الموت لأعطيتكها ؛ ولكن على ملّة الأشياخ ، قال : فنزلت هذه الآية : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾^(٢) .

حدثنا أبو كريب وابن وكيع ، قالا : حدثنا أبو أسامة ، قال : حدثنا الأعمش ، قال : حدثنا عباد ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لما مرض أبو طالب ، دخل عليه رهط من قريش ، فيهم أبو جهل ، فقال : إن ابن أخيك يشتيم آهتنا ، ويفعل ويفعل ؛ ويقول ويقول ، فلوبعثت إليه فنهيته ! فبعث إليه ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم ، فدخل البيت وبينهم وبين أبي طالب قدر مجلس رجل ، قال : فخشي أبو جهل إن جلس إلى جنب أبي طالب أن يكون أرق^(٣) له عليه ، فوثب فجلس في ذلك المجلس ولم يجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلساً قرب عمه ، فجلس عند الباب ، فقال له أبو طالب : أي ابن أخي ! ما بال قومك يشكونك ؛ يزعمون أنك تشتم آهتهم وتقول وتقول ! قال : وأكثروا عليه من القول ، وتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا عم ، إني أريدكم على كلمة واحدة يقولونها ، تدين لهم بها العرب ، وتؤدى إليهم بها العجم الجزية . ففزعوا لكلمته ولقوله ؛ فقال القوم كلمة واحدة : نعم وأبيك عشرًا . فما هي ؟ فقال أبو طالب : وأي كلمة هي يا ابن أخي ؟ قال : لا إله إلا الله ، قال : فقاموا فرعين ينفضون ثيابهم ، وهم يقولون : ﴿ أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ﴾ . قال : ونزلت من هذا الموضع

١١٧٨/١

(١) ح : « تقول » ، ابن الأثير : « وتقول » .

(٢) سورة القصص ٥٦ ، والخبر في التفسير ٢٣ : ٨١ (بلاق) .

(٣) ح : « أراف » .

إلى قوله : ﴿ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابَ ﴾ ^(۱) . لفظ الحديث لأبي كريب ^(۲) .

• • •

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . فحدثنا ابن حميد ، قال :
حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : فحدثني يعقوب
ابن عتبة بن المغيرة بن الأحنس ، أنه حدث أن قريشاً حين قالت
لأبي طالب هذه المقالة ، بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : يا ابن
أخي ، إن قومك قد جاءوني فقالوا لي كذا وكذا ، فأبقِ عليّ وعلى نفسك
ولا تحملي من الأمر ما لا أطيق ! فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه
قد بدأ لعمه فيه بداء ^(۳) ، وأنه خاذلٌ ومُسلمٌ ، وأنه قد ضعف عن
نصرتة والقيام معه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عمّاه ، لو وضعوا
الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله
أو أهلك فيه ما تركته ^(۴) . ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبكى
ثم قام ، فلما ولي ناداه أبو طالب ، فقال : أقبل يا ابن أخي ، فأقبل عليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اذهب يا ابن أخي ، فقل ما أحببت
فوالله لا أسلمك لشيء أبداً .

۱۱۷۹/۱

قال : ثم إن قريشاً لما عرفت أن أبا طالب أبي خذلان رسول الله صلى
الله عليه وسلم وإسلامه وإجماعه لفراقهم في ذلك ، وعداوتهم ، مشوا إليه
بعُمارة بن الوليد بن المغيرة ، فقالوا له - فيما بلغني : يا أبا طالب ، هذا عُمارة

(۱) سورة ص ۵ - ۸ .

(۲) الخبر في التفسير ۲۳ : ۷۹ (بولاق) .

(۳) البداء : الاسم من « بدا » ؛ يريد : ظهر له رأى ؛ سمي الرأي بداء لأنه شيء يبدو

بعد ما خفي .

(۴) قال السهيلي : « حصّ الشمس باليمين ؛ لأنها الآية المبصرة ، وخص القمر بالشمال لأنها

الآية الممحوة ؛ وقد قال عمر رحمه الله لرجل قال له : إني رأيت في المنام كأن الشمس والقمر بقتلان ؛

ومع كل واحد منهما نجوم ! فقال عمر : مع أيهما كنت ؟ فقال : مع القمر ، قال : كنت مع

الآية الممحوة ؛ اذهب فلا تعمل لي عملاً . وكان عاملاً له فعزله ؛ فقتل الرجل في صفيين مع معاوية . »

ابن الوليد أنهد^(١) فتى في قريش وأشعره وأجمله ، فخذته فلك عقله ونصرته ، واتخذته ولداً ؛ فهو لك ، وأسلم لنا ابن أخيك - هذا الذي قد خالف دينك ودين آبائك ، وفرق جماعة قومك ، وسفه أعلامهم - فنقتله ؛ فلما رَجَلٌ كرجل ؛ فقال : والله لبئس ما تسومونى ! أتُعطونى ابنكم أغذوه لكم ، وأعطيتكم ابني تقتلونه ! هذا والله مالا يكون أبداً^(٢) . فقال المُطعم ابن عدى بن نوفل بن عبد مناف : والله يا أبا طالب ، لقد أنصفك قومك ، وجهدوا على التخلّص^(٣) ممّا تكرهه ، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً ، فقال أبو طالب للمطعم : والله ما أنصفونى ؛ ولكنك قد أجمعت خذلانى ومظاهرة القوم على ، فاصنع ما بدا لك ! أو كما قال أبو طالب .

قال : فحقب^(٤) الأمر عند ذلك ، وحميت الحرب ، وتنابد القوم ، وبادى بعضهم بعضاً .

قال : ثم إن قريشاً تذا مروا على من في القبائل منهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين أسلموا معه . فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم ، ومنع الله رسوله^(٥) منهم بعمته أبي طالب ، وقد قام أبو طالب حين رأى قريشاً تصنع ما تصنع في بني هاشم وبني المطلب ، فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والقيام دونه . فاجتمعوا إليه ، وقاموا^(٥) معه ، وأجابوا إلى ما دعاهم إليه من الدفّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا ما كان من

(١) أنهد ، أى أقوى وأجلد ؛ ويقال : فرس نهدي ؛ للذى يتقدم الخيل . قال السهيلي : « وعمارة بن الوليد هذا هو الذى أرسلته قريش مع عمرو بن العاص إلى أرض الحبشة » .

(٢) وفي رواية أخرى عن السهيلي أن أبا طالب قال لم حين سأله أن يأخذ عمارة بدلا من محمد عليه السلام : « أرايتم ناقة تحن إلى غير فصيلها وترامه ! لا أعطيتكم ابني تقتلونه أبداً وأخذ ابنكم أكفله وأغذوه ! » ، وهو معنى ما ذكر ابن إسحاق .

(٣) ح : « أن يتخلصوا » .

(٤) فحقب الأمر عند ذلك ، قال السهيلي : « يريد اشتد ، وهو من قولك : حقب البعير ؛ إذا راغ عنه الحقب من شدة الجهد والنصب . . . ثم يستعمل في الأمر إذا عسر » .

(٥) ح : « وأقاموا » .

أبي لهب ؛ فلما رأى أبو طالب من قومه ما سره من جدّهم معه ؛ وحدّ بهم عليه ، جعل يمدحهم ، ويذكر فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ؛ ومكانه منهم ليشدّ لهم رأيهم^(١) .

• • •

حدّثنا علي بن نصر بن علي الجهضمي ، وعبد الوارث بن عبد الصمد ابن عبد الوارث - قال علي بن نصر : حدّثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، وقال عبد الوارث : حدّثني أبي - قال : حدّثنا أبان العطار ، قال : حدّثنا هشام بن عروة ، عن عروة ، أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان : أما بعد ، فإنه - يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم - لما دعا قومه لما بعثه^(٢) الله من الهدى والنور الذي أنزل عليه ، لم يعبّدوا منه أول ما دعاهم ، وكادوا يسمعون له ؛ حتى ذكر طواغيتهم . وقدّم ناس من الطائف من قريش لهم أموال ، أنكروا ذلك عليه ، واشتدوا عليه ، وكرهوا ما قال لهم^(٣) ، وأغروا به من أطاعهم ، فانصفوا^(٤) عنه عامة الناس ، فتركوه إلا من حفظه الله منهم ؛ وهم قليل ؛ فكث بذلك ما قدر الله أن يمكث . ثم ائتمرت رؤسهم بأن يفتنوا من تبعه عن دين الله من أبناهم وإخوانهم وقبائلهم ، فكانت فتنة شديدة الزلزال على من اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الإسلام ؛ فافتن من افتن ، وعصم الله منهم من شاء ؛ فلما فعل ذلك بالمسلمين ، أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخرجوا إلى أرض الحبشة - وكان بالحبشة ملك صالح يقال له النجاشي ، لا يظلم أحد بأرضه ، وكان ينشئ^(٥) عليه مع ذلك صلاح ، وكانت أرض الحبشة متّجراً لقريش يتجرون فيها ، يجنون فيها رفاغاً^(٦) من الرزق ، وأمناً ومتجراً حسناً -

١١٨١/١

(١) سيرة ابن هشام ١ : ١٧٠ ، ١٧١ .

(٢) م : « بما بعث الله » .

(٣) مزح .

(٤) انصفوا عنه : اتصرفوا .

(٥) ينشئ عليه ، أي يشيع عنه .

(٦) كذا في الطبري ، وفي اللسان : « ترفع الرجل : توسع ، وإنه لو رفاغة ورفاغية من

فأمرهم بها رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم؛ فذهب إليها عامتهم لما قهروا بمكة، وخاف عليهم الفتن، ومكث هو فلم يبرح، فكث بذلك سنوات؛ يشتدون على مَنْ أسلم منهم.

ثم إنه فشا الإسلام فيها، ودخل فيه رجال من أشرافهم.

• • •

قال أبو جعفر: فاختلف في عدد مَنْ خَرَجَ إلى أرض الحبشة، وهاجر إليها هذه الهجرة، وهي الهجرة الأولى.

فقال بعضهم: كانوا أحدَ عشر رجلاً وأربعَ نسوة.

• ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحارث، قال: حدثنا ابنُ سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثنا يونس بن محمد الظفَّري، عن أبيه، عن رجل من قومه. قال: وأخبرنا عبيد الله بن العباس الهذلي، عن الحارث بن الفضيل، قالوا: خرج الذين هاجروا الهجرة الأولى متسللين سرًّا، وكانوا أحدَ عشر رجلاً وأربعَ نسوة، حتى انتهوا إلى الشعبيَّة؛ منهم الراكب والماشي، ووفق الله ١١٨٢/١ للمسلمين ساعة جاءوا سفينتين للتجارة حملوهم فيهما إلى أرض الحبشة بنصف دينار، وكان مخرَجُهُم في رجب^(١) في السنة الخامسة، من حين نبيِّ رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم، وخرجت قريش في آثارهم حتى جاءوا البحر؛ حيث ركبوا فلم يدركوا منهم أحدًا.

قالوا: وقدمنا أرضَ الحبشة، فجاورنا بها خير جارٍ؛ أمينا على ديننا، وعبدنا الله، لا نؤذَى ولا نسمعُ شيئًا نكرهه^(٢).

حدثني الحارث، قال: حدثنا محمد بن سعد، قال: أخبرنا محمد ابن عمر، قال: حدثني يونس بن محمد، عن أبيه. قال: وحدثني

(١) ابن سعد: «من رجب».

(٢) طبقات ابن سعد ١: ٢٠٤.

عبد الحميد^(١) ، عن محمد بن يحيى بن حبان ؛ قالوا : تسمية القوم الرجال والنساء : عثمان بن عفان معه امرأته رُقَيْبَةُ بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة معه امرأته سهلة بنت سهيل ابن عمرو ، والزبير بن العوام بن خويلد بن أسد ، ومصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، وعبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف ابن الحارث بن زهرة ، وأبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم ؛ معه امرأته أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم ، وعثمان بن مظعون الجمحي ، وعامر بن ربيعة العنزى ؛ من عنز بن وائل - ليس من عنزة - حليف بني عدى بن كعب ، معه امرأته ليلى بنت أبي حنيفة ، وأبو سبرة بن أبي رهم بن عبد العزى العامري ، وحاطب بن عمرو بن عبد شمس ، وسهيل بن بيضاء ، من بني الحارث بن فهر ، وعبد الله بن مسعود حليف بني زهرة^(٢)

١١٨٣/١

. . .

قال أبو جعفر : وقال آخرون : كان الذين لحقوا بأرض الحبشة ، وهاجروا إليها من المسلمين - سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم صغاراً وولدوا بها - اثنين وثمانين رجلاً ؛ إن كان عمار بن ياسر فيهم ؛ وهويشك فيه !

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصيب أصحابه من البلاء ، وما هو^(٣) فيه من العافية بمكانه من الله وعمه^(٤) أبي طالب ، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء ، قال لهم : لو خرجتم إلى أرض الحبشة ! فإن بها ملكاً

(١) ابن سعد : « عبد الحميد بن جعفر » .

(٢) طبقات ابن سعد ١ : ٢٠٤ .

(٣) م : « وما هم » .

(٤) ابن هشام : « ومن عمه » .

لا يظلم أحدٌ عنده ، وهي أرض صدق ؛ حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه ! فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة ؛ وفراراً إلى الله عز وجل بدبتهم ؛ فكانت أول هجرة كانت في الإسلام ؛ فكان أول من خرج من المسلمين من ۱۱۸۴/۱
 بنى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف عثمان بن عفان بن أبي العاص ابن أمية ؛ ومعه امرأته رقية ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ومن بنى عبد شمس أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف ، ومعه امرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو ؛ أحد بنى عامر بن لؤي ؛ ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصي الزبير بن العوام .

فعدّ النفر الذين ذكرهم الواقدي ؛ غير أنه قال : من بنى عامر بن لؤي ابن غالب بن فهر أبو سبرة بن أبي رهم بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي ؛ ويقال : بل أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حسل ابن عامر بن لؤي . قال : ويقال : هو أول من قدمها ؛ فجعلهم ابن إسحاق عشرة ؛ وقال : كان هؤلاء العشرة أول من خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة - فما بلغني .

قال : ثم خرج جعفر بن أبي طالب ، وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة ؛ فكانوا بها ، منهم من خرج بأهله معه ، ومنهم من خرج بنفسه لا أهل معه ؛ ثم عدّ بعد ذلك تمام اثنين وثمانين رجلاً ؛ بالعشرة الذين ذكرت بأسمائهم ؛ ومن كان منهم معه أهله وولده ؛ ومن ولد له بأرض الحبشة ، ومن كان منهم لا أهل معه (۱) .

• • •

قال أبو جعفر : ولما خرج من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أرض الحبشة مهاجراً إليها ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ۱۱۸۵/۱

(۱) سيرة ابن هشام ۱ : ۲۰۴ .

مقيم بمكة ، يدعو إلى الله سرًا وجهراً ، قد منعه الله بعمته أبي طالب وبمن استجاب لنصرته من عشيرته ، ورأت قريش أنهم لا سبيل لهم إليه ، رموه بالسحر والكهانة والجنون ؛ وأنه شاعر ، وجعلوا يصدون عنه من خافوا منه أن يسمع قوله فيتبعه ؛ فكان أشد ما بلغوا منه حينئذ - فيما ذكر - ما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن يحيى بن عروة بن الزبير ، عن أبيه عروة ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : قلت له : ما أكثر (١) ما رأيت قريشاً أصابت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانت تظهر من عداوته ! قال : قد حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوماً في الحجر ، فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط ! سفه أحلامنا ، وشتم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفرق جماعتنا ، وسب آهتنا ! لقد صبرنا منه على أمر عظيم - أو كما قالوا .

فبينما هم كذلك إذ طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل يمشى حتى استلم الركن ، ثم مر بهم طائفاً بالبيت ، فلما مر بهم غمزوه (٢) ببعض القول . قال : فعرفت ذلك في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم مضى ، فلما مر بهم الثانية غمزوه مثلها ؛ فعرفت ذلك في وجهه ، ثم مضى ، ثم مر بهم الثالثة ، فغمزوه بمثلها ، فوقف فقال : أسمعون يا معشر قريش ! أما والذي نفس محمد بيده ، لقد جئتكم بالذبح (٣) ! قال : فأخذت القوم كلمته ؛ حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع ؛ وحتى إن أشدهم فيه وصاة (٤) قبل ذلك ليرفؤه (٥) بأحسن ما يجد من القول ؛ حتى إنه ليقول : انصرف يا أبا القاسم راشداً ، فوالله ما كنت جهولاً (٦) !

١١٨٦/١

(١) م : « ما أكبر » .

(٢) غمزوه : طعنوا فيه .

(٣) بالذبح ، أراد تهديدهم بالهلاك .

(٤) الوصاة : الوصية .

(٥) ليرفؤه : يهدئه ويرفق به ، وير : « ليلقاء » .

(٦) ر : « ما كنت جهولاً قط » .

قال : فانصرف رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم ؛ حتى إذا كان الغد ، اجتمعوا في الحجر ، وأنا معهم ، فقال بعضهم لبعض : ذكرتم ما بلغ منكم ، وما بلغكم عنه ؛ حتى إذا باداكم بما تكرهون تركتموه ! فييناهم كذلك إذ طلع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فوثبوا إليه وثبة رجل واحد وأحاطوا به يقولون له : أنت الذي تقول كذا وكذا ! لما يبلغهم من عيب آلهتهم ودينهم ؛ فيقول رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : نعم أنا الذي أقول ذلك ؛ قال : فلقد رأيتُ رجلاً منهم أخذاً يجمع رداً . قال : وقام أبو بكر الصديق دونه ، يقول وهو يبكي : ويلكم ! أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ! ثم انصرفوا عنه . فإن ذلك أشد ما رأيتُ قريشاً بلغت منه قطاً (۱) .

حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا بشر بن بكر ، قال : حدثنا الأوزاعي ، قال : حدثنا يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، قال : قلتُ لعبد الله بن عمرو : حدثني بأشد شيء رأيتُ المشركين صنعوا برسولِ الله صلى الله عليه وسلم . قال : أقبل عُنُقُ بن أبي مُعَيْطٍ ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم عند الكعبة ، فلوى ثوبه في عنقه ، وخنقه خنقاً شديداً ، فقام أبو بكر من خلفه ، فوضع يده على منكبيه ، فدفعه عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال أبو بكر : يا قوم : ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ (۲)

۱۱۸۷/۱

قال ابن إسحاق : وحدثني رجل من أسلم كان واعيةً ، أن أبا جهل ابن هشام مر برسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وهو جالس عند الصفا ، فأذاه وشتمه ، ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه والتضعيف له ، فلم يكأتمه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ومولاةً لعبد الله بن جدعان التيمي في مسكن لها فوق الصفا تسمع ذلك . ثم انصرف عنه ، فعمد إلى نادى (۳)

(۱) سيرة ابن هشام ۱ : ۱۸۳ ، ۱۸۴ .

(۲) سورة غافر ۲۸ .

(۳) ابن هشام : وإل ناد من قريش ، والنادى : مجلس القوم .

قريش عند الكعبة ، فجلس معهم فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب أن قبل متوشحاً قوسه ، راجعاً من قنص^(١) له - وكان صاحباً قنص يرميه ويخرج له ، وكان إذا رجع من قنصه لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة ، وكان إذا فعل ذلك لم يمر على ناد من قريش إلا وقف وسلم وتحدث معهم ، وكان أعز قريش وأشدّها شكيمة - فلما مرّ بالمولاة وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجع إلى بيته ، قالت : يا أبا عمارة ، لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد آنفاً قبل أن تأتي من أبي الحكم بن هشام ! وجدّه ها هنا جالساً فسبّه وآذاه ، وبلغ منه ما يكره ، ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد .

قال : فاحتمل حمزة الغضب لِمَا أراد الله به من كرامته ، فخرج سريعاً - لا يقف على أحد كما كان يصنع - يريد الطواف بالكعبة ، مُعِداً لأبي جهل إذا لقيه أن يقع به ، فلما دخل المسجد نظر إليه جالساً في القوم ، فأقبل نحوه ؛ حتى إذا قام على رأسه ، رفع القوس فضربه بها ضربة فشجته بها شجّة منكرة ، وقال : أتشتيمه وأنا على دينه أقول ما يقول ! فردّ ذلك على إن استطعت ! وقامت رجال بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل منه ، فقال أبو جهل : دعوا أبا عمارة ، فإني والله لقد سببت ابن أُنديه سبباً قبيحاً . وتمّ حمزة على إسلامه ، فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عزّ ، وأن حمزة سيمنعه ، فكفّوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض ما كانوا ينالون منه^(٢) .

١١٨٨/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني يحيى بن عروة بن الزبير ، عن أبيه ، قال : كان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عبد الله بن مسعود ، قال : اجتمع يوماً أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : والله ما سمعت قريش بهذا القرآن يجهر لها به قط ، فمن رجل يُسمعهموه ؟ فقال عبد الله

(١) القنص : الصيد .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ١٨٥ .

ابن مسعود : أنا ، قالوا : إنا نخشاهم عليك ، إنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه ، فقال : دعوني ، فإن الله سيمنعني ، قال : فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام في الضحى ، وقريش في أنديتها ، حتى قام عند المقام ثم قال : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ - رافعاً بها صوته - ﴿ الرَّحْمَنُ • عَلَّمَ الْقُرْآنَ • خَلَقَ الْإِنْسَانَ • عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ ، قال : ثم استقبلها يقرأ فيها ، قال : وتأمّلوا وجعلوا يقولون : ما يقول ابن أمّ عبد ! ثم قالوا : إنه ليتلّو بعض ما جاء به محمد . فقاموا إليه ، فجعلوا يضربون في وجهه ، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ . ثم انصرف إلى أصحابه ، وقد أثروا بوجهه ، فقالوا : هذا الذي خشينا عليك ! قال : ما كان أعداء الله أهون علىّ منهم الآن^(۱) ! لئن شتم لأغادينهم غداً بمثلها ، قالوا : لا ، حسبك ، فقد أسمعتهم ما يكرهون^(۲)

۱۱۸۹/۱

. . .

قال أبو جعفر : ولما استقرّ بالذين هاجروا إلى أرض الحبشة القرار بأرض النجاشي واطمأنّوا ، تأمرت قريش^(۱) فيما بينها في الكيّد بمن ضوى إليها من المسلمين ، فوجّهوا عمرو بن العاص ، وعبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي إلى النجاشي ، مع هدايا كثيرة أهدوها إليه وإلى بطارفته ، وأمرهما أن يسألا النجاشي تسليم من قبيله وبأرضه من المسلمين إليهم . فشخص عمرو وعبد الله إليه في ذلك ، فنفا لما أرسلهما إليه قومهما ، فلم يصلوا إلى ما أمّل قومهما من النجاشي ، فرجعا مقبوحين ، وأسلم عمر بن الخطاب رحمه الله ، فلما أسلم - وكان رجلاً جليداً منيعاً ، وكان قد أسلم قبل ذلك حمزة ابن عبد المطلب ، ووجد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في أنفسهم قوة ، وجعل الإسلام يفسو^(۲) في القبائل ، وحمى النجاشي من ضوى^(۳) إلى بلده منهم - اجتمعت قريش ، فاثمرت بينها : أن يكتبوا بينهم كتاباً

(۱) ح : « اليوم » .

(۲) سيرة ابن هشام ۱ : ۲۰۱

(۳) ح : « يقوى ويفشو » .

(۴) ضوى إلى بلده : لجأ إليه .

بتعاقدون فيه ؛ على ألا يُنكحوا إلى بني هاشم وبني المطلب ، ولا يُنكحوهم ولا يبيعوهم شيئاً ، ولا يتناغوا منهم ، فكتبوا بذلك صحيفة ، وتعاهدوا وتوثقوا على ذلك ، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة ، تؤكداً بذلك الأمر على أنفسهم ، فلمّا فعلت ذلك قريش ، انحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب ، فدخلوا معه في شِعبه^(١) ، واجتمعوا إليه ، وخرج من بني هاشم أبو لب عبد العزّي بن عبد المطلب إلى قريش ، وظاهروهم عليه^(٢) ، فأقاموا على ذلك من أمرهم سنتين أو ثلاثاً ؛ حتى جهدوا وألّا يصل إلى أحد منهم شيء إلا سرّاً ، مستخفياً به من^(٣) أراد صلتهم من قريش ؛ وذكر أن أبا جهل لقي حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد ، معه غلام يحمل قمحاً يريد به عمته خديجة بنت خويلد ، وهي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنعه في الشعب ، فتعلق به . وقال : أتذهب بالطعام إلى بني هاشم ! والله لا تبرح أنت وطعامك حتى أفضحك^(٤) بمكّة ! فجاء أبو البخريّ بن هشام بن الحارث ابن أسد ، فقال : مالك وله ! قال : يحمل الطعام إلى بني هاشم ، فقال له أبو البخريّ : طعام لعمته عنده بعثت إليه فيه ، أفتمنعه أن يأتيها بطعامها ! خلّ سبيل الرجل . فأبى أبو جهل حتى نال أحدهما من صاحبه ، فأخذ أبو البخريّ لحيّ بعير^(٥) ، فضربه فشجّه ، ووطئه وطناً شديداً ، وحمزة ابن عبد المطلب قريب يرى ذلك . وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه . فيشمّتوا بهم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ذلك ، يدعو قومه سرّاً وجهراً ، آناء الليل وآناء النهار ؛ والوحي عليه من الله متتابعٌ بأمره ونهيه . ووعيد^(٦) من ناصبه العداوة ، والحجج لرسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسام عتّى من خالفه^(٧) .

(١) الشعب : الطريق في الجبل .

(٢) ح : « عليهم » .

(٣) ط : « من » . وما أثبت من ابن هشام .

(٤) ح ، ر : « ففضحك » .

(٥) ر : « فقام أبو البخريّ لحيّ جميل » .

(٦) ح : « ووعيده » .

(٧) سيرة ابن هشام ١ : ٢١٩ ، ٢٢٠ .

فذكر أن أشراف قومه اجتمعوا له يوماً - فيما حدثني محمد بن موسى الحرشي ، قال : حدثنا أبو خلف عبد الله بن عيسى ، قال : حدثنا داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ أن قريشاً وعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطوه مالا فيكون أغنى رجل بمكة ، ويزوجوه ما أراد من النساء ، ويطئوا عقبه ، فقالوا : هذا لك عندنا يا محمد ، وكف عن شتم آلهتنا فلا تذكرها بسوء ؛ فإن لم تفعل فإننا نعرض عليك خصلة واحدة فهي لك ولنا فيها صلاح . قال : ما هي ؟ قالوا : تعبد آلهتنا سنة ؛ اللات والعزى ، وتعبد إلهك سنة ، قال : حتى أنظر ما يأتي من عند ربي ! فجاء الوحي من اللوح المحفوظ : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ . لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ . السورة ، وأنزل الله عز وجل : ﴿ قُلْ أَغْفِرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (١) .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن علية ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني سعيد بن ميناء ، مولى أبي البخري ، قال : لقي الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والأسود بن المطلب وأميه بن خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا محمد ، هلم فلنعبد ما تعبد ، وتعبد ما نعبد ، ونشركك في أمرنا كله ؛ فإن كان الذي جئت به خيراً مما في أيدينا ، كنا قد شررناك فيه ، وأخذنا بحظنا منه ؛ وإن كان الذي بأيدينا خيراً مما في يدك ، كنت قد شررناك في أمرنا ، وأخذت بحظك منه . فأنزل الله عز وجل : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ ؛ حتى انقضت السورة (٢) .

١١٩٢/١

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصاً على صلاح قومه ، محباً مقاربتهم بما وجد إليه السبيل ، قد ذكر أنه تمنى السبيل إلى مقاربتهم ، نكان من أمره في ذلك ما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال :

(١) سورة الزمر ٦٤ - ٦٦ ، والخبر في التفسير ٢٠ : ٢١٤ (بولاق) .

(٢) الخبر في التفسير ٣٠ : ٢١٤ (بولاق) .

حدثني محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن زياد المدني^(۱) ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تولى قومه عنه ، وشق عليه ما يرى من مباعلتهم ما جاءهم به من الله ، تمنى في نفسه أن يأتيه من الله ما يقارب^(۲) بينه وبين قومه ، وكان يسره مع حبه قومه ، وحرصه عليهم أن يلين له بعض ما قد غلظ عليه من أمرهم ؛ حتى حدث بذلك نفسه ، وتمناه وأحبه ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ . مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ . وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ ، فلما انتهى إلى قوله : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ . وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴾^(۳) ، ألقى الشيطان على لسانه ، لما كان يحدث به نفسه ، ويتمنى أن يأتي به قومه : « تلك الغرائق العلاء ، وإن شفاعتهن لترتجى » ؛ فلما سمعت ذلك قريش فرحوا ، وسرهم وأعجبهم ما ذكر به آلهتهم ، فأصاخوا له - والمؤمنون مصدقون نبيهم فيما جاءهم به عن ربهم ، ولا يتهمونه على خطيئهم ولا وهم ولا زلل - فلما انتهى إلى السجدة منها ونخم السورة سجد فيها ، فسجد المسلمون بسجود نبيهم ، تصديقاً لما جاء به ، واتباعاً لأمره ، وسجد من في المسجد من المشركين من قريش وغيرهم ، لما سمعوا من ذكر آلهتهم ، فلم يبق في المسجد مؤمن ولا كافر إلا سجد ، إلا الوليد بن المغيرة ، فإنه كان شيخاً كبيراً ، فلم يستطع السجود ، فأخذ بيده حفنة من البطحاء فسجد عليها ، ثم تفرق الناس من المسجد ، وخرجت قريش ، وقد سرهم ما سمعوا من ذكر آلهتهم ، يقولون : قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن^(۴) الذكر ، قد زعم فيما يتلو : « أنها الغرائق العلاء ، وأن شفاعتهن ترتضى » وبلغت السجدة من أرض الحبشة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وقيل : أسلمت قريش ، فنهض منهم رجال ، وتخلف آخرون ، وأتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد ، ماذا

۱۱۹۳/۱

(۱) ر : ه المري . .

(۲) ر : ه يقرب . .

(۳) سورة النجم ۱ - ۲۰

(۴) ر : ه فأحسن . .

صنعت! لقد تلوت على الناس ما لم آتِك به عن الله عز وجل، وقلت ما لم يقل لك! فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك حزناً شديداً، وخاف من الله خوفاً كثيراً^(١)، فأنزل الله عز وجل - وكان به رحيماً - يعزّيه ويخفض عليه الأمر، ويخبره أنه لم يكُ قبله نبي ولا رسول تمنى كما تمنى، ولا أحب كما أحب إلا والشيطان قد ألقى في أمّنيته، كما ألقى على لسانه صلى الله عليه وسلم، فنسخ^(٢) الله ما ألقى الشيطان وأحكم آياته؛ أي فإنما أنت كـبعض الأنبياء والرسل، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(٣)، فأذهب الله عز وجل عن نبيه الحزن، وآمنه من الذي كان يحاف، ونسخ ما ألقى الشيطان على لسانه من ذكر آلهتهم: «أنها الغرائقُ العلاءُ وأن شفاعتهن ترتضى»، بقول الله عز وجل حين ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى: ﴿الْكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَى . تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴿ أَى عَوْجَاءَ ، ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ ﴾ - إلى قوله - ﴿ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾^(٤)، أى فكيف تنفع شفاعة آلهتكم عنده!

فلما جاء من الله ما نسخ^(٥) ما كان الشيطان ألقى على لسان نبيه^(٥)، قالت قريش: نديم محمد على ما ذكر من منزلة آلهتكم عند الله، فغير ذلك وجاء بغيره؛ وكان ذانك الحرفان اللذان ألقى الشيطان على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وقعا في فم كل مشرك، فازدادوا شراً إلى ما كانوا عليه^(٦)، وشدة على من أسلم واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم،

(١) ح والتفسير: «كبيراً».

(٢) م: «فينسخ».

(٣) سورة الحج ٥٢.

(٤) سورة النجم ٢١ - ٢٦.

(٥-٥) ح: «ما كان الشيطان ألقى على نبيه».

(٦) الخبر إلى هنا في التفسير ١٧: ١٣١، ١٣٢ (بولاق).

وأقبل أولئك النفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين خرجوا^(۱) من أرض الحبشة لِمَا بلغهم من إسلام أهل مكة حين سجدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ حتى إذا دنوا من مكة ، بلغهم أن الذي كانوا تحدّثوا به من إسلام أهل مكة كان باطلا ، فلم يدخل منهم أحد إلا بجوار ، أو مستخفياً ، فكان ممن قدّم مكة منهم فأقام بها حتى هاجر إلى المدينة ، فشهد معه بدرًا من بني عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ، عثمان بن عفان ابن أبي العاص بن أمية ، معه امرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس معه امرأته سهلة بنت سهيل ، وجماعة آخر معهم ، عددهم ثلاثة وثلاثون رجلاً . ۱۱۹۵/۱

حدثني القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين بن داود ، قال : حدثني حجاج ، عن أبي معشر ، عن محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس ، قالوا : جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناد من أندبته قريش ، كثير أهله ، فتمنى يومئذ ألا يأتيه من الله شيء فينفرُ واعنه ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ . مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾ ، فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا بلغ : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ . وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴾ ألقى الشيطان عليه كلمتين : « تلك الغرائق^(۲) العلاء . وإن شفاعتهن لترجى^(۳) » ، فتكلّم بهما ، ثم مضى فقرأ السورة كلّها ، فسجد في آخر السورة ، وسجد القوم معه جميعاً ، ورفع الوليد بن المغيرة تراباً إلى جبهته ، فسجد عليه - وكان شيخاً كبيراً لا يقدر على السجود - فرضوا بما تكلّم به ، وقالوا : قد عرفنا أن الله يحيي ويميت ؛ وهو الذي يخلق ويرزق ؛ ولكن آلتنا هذه تشفع لنا عنده ؛ فإذا جعلت لها نصيباً فنحن معك . قالوا : فلما أمسى

(۱) م : « خرجوا إليه » .

(۲) ح : « الغرائق » .

(۳) ر : « ترتضى » .

أناه جبرئيل عليه السلام ، فعرض عليه السورة ، فلما بلغ الكلمتين اللتين ألقى
الشیطان عليه ، قال : ما جئتُك بهاتين ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
افتریتُ على الله ، وقلتُ على الله ما لم يقل ، فأوحى الله إليه : ﴿ وَإِنْ كَادُوا
لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ ﴾ إلى قوله :
﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾^(١) ؛ فما زال مغموماً مهموماً ، حتى
نزلت : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ - إلى قوله : ١١٩٦/١
﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾^(٢) .

قال : فسمع من كان بأرض الحبشة من المهاجرين أن أهل مكة قد
أسلموا كلهم ، فرجعوا إلى عشائهم ، وقالوا : هم أحبُّ إلينا ، فوجدوا القوم
قد ارتكسوا حين نسخ الله ما ألقى الشيطان ، ثم قام - فيما حدثنا ابن حميد ،
قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، في نقض الصحيفة التي كانت
قريش كتبت بينها على بني هاشم وبني المطلب - نفرٌ من قريش . وكان
أحسنهم بلاءً فيه هشام بن عمرو بن الحارث العامري ، من عامر بن لؤي -
وكان ابن أخي نضلة بن هاشم بن عبد مناف لأمه - وإنه مشى إلى زهير
ابن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم - وكانت أمه عاتكة بنت
عبد المطلب - فقال : يا زهير ، أرضيت أن تأكل الطعام ، وتلبس الثياب ،
وتنكح النساء ، وأخوالك حيث قد علمت ؛ لا يباعدون ولا يبتاع منهم ،
ولا ينكحون ولا ينكح إليهم ! أما إنني أحلف بالله لو كانوا أخوال أبي الحكم
ابن هشام ثم دعوتهم إلى مثل مادعاك إليه منهم ما أجابك إليه أبداً . قال :
ويحك يا هشام ! فاذا أصنع ! إنما أنا رجلٌ واحد ؛ والله لو كان معي رجلٌ
آخر لقت في نقضها حتى أنقضها . قال : قد وجدت رجلاً ، قال : من
هو ؟ قال : أنا ، قال له زهير : ابغيناً ثالثاً ، فذهب إلى السطيم بن عدى
ابن نوفل بن عبد مناف ، فقال له : يا سطيم ، أقد رَضيت أن يهلك بطنان

(١) سورة الإسراء ٧٣ - ٧٥ .

(٢) سورة الحج ٥٢ ، والخبر في التفسير ١٧ : ١٢١ (بولاق) .

من بنى عبد مناف ، وأنت شاهد على ذلك ، موافق لقريش فيه ! أما والله لئن أمكنتهم من هذه لتجدنهم إليها منكم سراعاً^(١) . قال : ويحك ! فماذا أصنع ! إنما أنا رجلٌ واحد ، قال : قد وجدت ثانياً ، قال : مَنْ هو ؟ قال : أنا ، قال : ابغنا ثالثاً^(٢) ، قال : قد فعلت ، قال مَنْ هو ؟ قال : زهير بن أبي أمية ، قال : ابغنا رابعاً ، فذهب إلى أبي البخري بن هشام ، فقال له نحواً مما قال للمطعم بن عدى ، فقال : وهل من أحد يُعين على هذا ؟ قال : نعم ، قال : مَنْ هو ؟ قال : زهير بن أبي أمية والمطعم بن عدى وأنا معك . قال : ابغنا خامساً ، فذهب إلى زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد ، فكلّمه ، وذكر له قرابتهم وحقهم ، فقال له : وهل على هذا الأمر الذئبة تدعوني إليه من أحد ؟ قال : نعم ، ثم سمي له القوم . فاتعدوا له خَطْمَ الحجون الذي^(٣) بأعلى مكة ، فاجتمعوا هنالك ، وأجمعوا أمرهم ، وتعاهدوا على القيام في الصحيفة حتى ينقضوها ، وقال زهير : أنا أبدؤكم فأكون أولكم بتكلم ، فلما أصبحوا غدواً إلى أنديتهم ، وغدا زهير بن أبي أمية ، عليه حلة له ؛ فطاف بالبيت سبعة ، ثم أقبل على الناس فقال : يا أهل مكة : أنا كل الطعام ، ونشرب الشراب ، ونلبس الثياب ، وبنو هاشم هلنكى لا يبايعون ولا يبتاع منهم ! والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة ، قال أبو جهل - وكان في ناحية المسجد : كذبت ، والله لا تشق ! قال زمعة ابن الأسود : أنت والله أكذب ، ما رضينا كتابها حين كتبت ؛ فان أبو البخري : صدق زمعة ، لا نرضى ما كتب فيها ولا نقرُّ به ! قال المطعم بن عدى : صدقتمنا وكذب مَنْ قال غير ذلك ؛ نبرأ إلى الله منها ، ومما كُتب فيها ؛ وقال هشام بن عمرو نحواً من ذلك ، قال أبو جهل : هذا أمرٌ قضى بليل ، وتُشور فيه بغير هذا المكان - وأبو طالب جالس في ناحية المسجد وقام المطعم بن عدى إلى الصحيفة ليشقتها ؛ فوجد الأرضة قد أكلتها ؛

١١٩٨/١

(١) ط : « سريماً » ، وما أثبتته ابن هشام .

(٢) قال في اللسان : « ابغنى كذا » . بهمزة الوصل ، أى اطلب لى ، وأبغنى بهمزة القطع ،

أى أغنى على الطلب .

(٣) كذا في ح وابن الأثير ، وفي ط : « التى » .

إلا ما كان من «باسمك اللهم» ، وهي فاتحة ما كانت تكتب قريش ؛ تفتح بها كتابها إذا كتبت .

قال : وكان كاتب صحيفة قريش - فيما بلغني - التي كتبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورهطه من بني هاشم وبني المطلب ، منصور بن عكرمة ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي ، فشلت يده (١) .
وأقام بقيتهم بأرض الحبشة ؛ حتى بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي عمرو بن أمية الضمري ، فحملهم في سفينتين ، فقدم بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو بخير بعد الحديبية . وكان جميع من قدم في السفينتين ستة عشر رجلاً .

• • •

ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مقيماً مع قريش بمكة يدعوهم إلى الله سرّاً وجهرّاً ، صابراً على أذاهم وتكذيبهم إياه واستهزائهم به ؛ حتى إن كن بعضهم - فيما ذكر - يطرح عليه راحم النساء وهو يصلّي ، ويطرحها في برّفته إذا نُصبت له (٢) ؛ حتى اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم - فيما بلغني - حجراً يستتر به منهم إذا صلّي .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني ابن إسحاق ، قال : حدثني عمر بن عبد الله بن عمرو بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج بذلك إذا رمى به في داره على العود فيقف على بابه ، ثم يقول : يا بني عبد مناف ، أي جوار هذا ! ثم يلقيه بالطريق .

ثم إن أبا طالب وخديجة هلكا في عام واحد - وذلك فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق - قبل هجرته إلى المدينة بثلاث سنين ، فعظمت المصيبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بهلاكهما ؛ وذلك أن قريشاً

(١) سيرة ابن هشام ١ : ٢٣١ ، ٢٣٢ .

(٢) ر : « به » .

وصلُّوا من أذاه بعد موت أبي طالب إلى ما لم يكونوا يصلُّون إليه في حياته منه ؛ حتى نَشَرَ بعضهم على رأسه التراب^(١) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثني هشام بن عروة ، عن أبيه قال : لما نثر ذلك السفيه الترابَ على رأسِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته والراب على رأسه ، فقامت^(٢) إليه إحدى بناته تغسل عنه التراب ؛ وهي تبكي ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها : يا بُنَيَّةُ لا تبكي ؛ فإنَّ الله مانعُ أباك ! قال : ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب^(٣)

• • •

ولما هلك أبو طالب خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف يلتمس من ثقيف النصر والمنعة^(٤) له من قومه ؛ وذكر أنه خرج إليهم وحده ؛ فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا ابن إسحاق ١٢٠٠/١ قال : حدثني يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : لما انتهى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف عمَّد إلى نفرٍ من ثقيف - هم يومئذ سادة ثقيف وأشرفهم ؛ وهم إخوة ثلاثة : عبد باليل بن عمرو بن عمير ، ومسهود ابن عمرو بن عمير ، وحبيب بن عمرو بن عمير ؛ وعندهم امرأة من قريش من بني جُمَح ، فجاس إليهم - فدعاهم إلى الله وكلمهم بما جاء لهم^(٥) من نصرته على الإسلام ، والقيام معه على مَنْ خالفه من قومه ، فقال أحدهم : هو يمرط^(٥) ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك ! وقال الآخر : ما وجد الله

(١) سيرة ابن هشام ١ : ٢٥٨ .

(٢) في الأصول : « قامت » ، وما أثبتته من ابن هشام .

(٣) ر : « الفضل والمعونة » .

(٤) ح : « جاء إليه » .

(٥) يمرطها : أي ينزعها ويرمي بها .

أحدًا يرسله غيرك ! وقال الثالث : والله لا أكلّمك كلمةً أبداً ؛ لئن كنت رسولاً من الله كما تقول ؛ لأنّ أعظمُ خطراً من أن أردّ عليك الكلام ؛ ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلّمك !

فقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من عندهم ، وقد يش من خيرِ ثقيف ؛ وقد قال لهم - فيما ذكر لي - : إذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا عليّ . وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ قومه عنه ، فيذئذهم^(١) ذلك عليه ، فلم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم ، بسبّونه ويصيحون به ؛ حتى اجتمع عليه الناس وألحّثوه إلى حائط^(٢) لعنبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ، وهما فيه ، ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه ، فعمد إلى ظلِّ حَبَلَة^(٣) من عنب ، فجلس فيه ، وابنا ربيعة ينظران إليه ، ويريان ما لقي من سفهاء ثقيف . وقد لقي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - فيما ذكر لي - تلك المرأة من بني جُمح ، فقال لها : ماذا لقينا^(٤) من أحمائك ! فلما اطمان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، قال - فيما ذكر لي : اللهم إلبك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ؛ يا أرحم الراحمين ، أنت ربُّ المستضعفين ، وأنت ربّي ؛ إلى من نكلني ! إلى بعيد يتجهمني ، أو إلى عدوِّ ملكته أمرى ؛ إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي ! ولكن عافيتك هي أوسع لي . أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن ينزل بي غضبك ، أو يحل عليّ سخطك ، لك العتبى^(٥) حتى ترضى ، لا حول ولا قوة إلا بك .

فلما رأى ابنا ربيعة : عُنْبَة وشَيْبَة ما لقي ، تحرّكت له رجليهما ،

(١) قال ابن هشام : قوله : « يذئذهم » ؛ يعني يحرش بينهم ، قال عبيد :

وَلَقَدْ أَتَانِي عَنْ تَمِيمٍ أَنَّهُمْ ذَبَرُوا لِقَتْلِي عَامِرٍ وَتَعَصَّبُوا

(٢) الحائط هنا : البستان .

(٣) الحبلَة : الكرمة من العنب .

(٤) ح : « لقيت » .

(٥) العتبى : الرضا .

فدعوا له غلاماً لهما نصرانياً ؛ يقال له عدّاس ، فقالا له : خذ قِطْفاً^(١) من هذا العنب وضعه في ذلك الطَبَق ، ثم اذهب به إلى ذلك الرَّجُل ، فقال له يأكل منه ؛ ففعل عدّاس ، ثم أقبل به حتّى وضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ، قال : «بسم الله» ، ثم أكل ، فنظر عدّاس إلى وجهه ، ثم قال : والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة ، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ومن أهل أى البلاد أنت يا عدّاس ؟ وما دينك ؟ قال : أنا نصراني ، وأنا رجلٌ من أهل نينوى^(٢) فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمين قرية الرَّجُل الصّالح يونس بن متى ؟ قال له : وما يدريك ما يونس بن متى ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذاك أخي ، كان نبياً وأنا نبي ، فأكب^(٣) عدّاس على^(٤) رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل رأسه ويديه ورجليه ، قال : يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه^(٥) : أما غلامك فقد أفسده عليك . فلما جاءهما عدّاس قالا له : ويلك يا عدّاس ! مالك تقبل رأس هذا الرَّجُل ويديه وقدميه ! قال : ياسيدي ما في [هذه]^(٦) الأرض خيرٌ من هذا الرَّجُل ! لقد خبّرني بأمر لا يعلمه^(٧) إلا نبي ، فقالا : ويحك يا عدّاس ! لا يصرفنك عن دينك ، فإن دينك خيرٌ من دينه .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف من الطائف راجعاً إلى مكة حين ينس من خبرٍ ثقیف ، حتى إذا كان بنخلة ، قام من جوف الليل يصاتى ، فرّبه نفرٌ من الجنّ الذين ذكر الله عزّ وجلّ .

قال محمد بن إسحاق : وهم - فيما ذكر لي - سبعة نفر من جنّ أهل

(١) القطف : اسم للمنفود ، وأصله اسم لكل ما يقطف .

(٢) نينوى : قال أبو ذر الحثي : «ورويت ها هنا بضم النون الثانية وبفتحها» .

(٣) ر : «فانكب» .

(٤) م : «على رأس» .

(٥) ح : «للاخر» .

(٦) من م .

(٧) م : «بما لا يعلمه» .

نَصِيْبِيْنَ الْيَمَنِ ، فَاسْتَمَعُوا لَهُ ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ وَلَتُوا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ،
 قَدْ آمَنُوا وَأَجَابُوا إِلَى مَا سَمِعُوا ، فَقَصَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَبَرَهُمْ عَلَيْهِ :
 ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ ﴾ - إِلَى قَوْلِهِ :
 ﴿ وَيُجِرُّكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾ ^(١) . وَقَالَ : ﴿ قُلْ أُوْحِيََ إِلَيَّ أَنَّهُ
 اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ . . . ﴾ إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ مِنْ خَبَرِهِمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ ^(٢) .

قال محمد: وتسمية النفر من الجن الذين استمعوا ^(٣) الوحي - فيما بلغني -

حسًا ، ومسًا ، وشاصر ، وناصر ، وائنا الأرد ، وأينين ، والأحقم .

١٢٠٣/١

• • •

قال : ثم قدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، وقومه أشد ما كانوا
 عليه من خلافه وفراق دينه ، إلا قليلا مستضعفين ممن آمن به .
 وذكر بعضهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف من الطائف
 مريداً مكة مرّ به بعض أهل مكة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 هل أنت مبلغ عني رسالة أرسلك بها ؟ قال : نعم ، قال : انت الأحنس
 ابن شريق ، فقل له : يقول لك محمد : هل أنت مجبري حتى أبلغ رسالة
 ربّي ؟ قال : فأتاه ، فقال له ذلك ، فقال الأحنس : إن الحليف لا يجبر
 على الصريح . قال : فأتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخبره ، قال : تعود ؟ قال :
 نعم ، قال : انت سهيل بن عمرو ، فقل له : إن محمداً يقول لك : هل
 أنت مجبري حتى أبلغ رسالات ربّي ؟ . فأتاه فقال له ذلك ، قال : فقال :
 إن بني عامر بن لؤي لا تجبر على بني كعب . قال : فرجع إلى النبي صلى الله
 عليه وسلم ، فأخبره ، قال : تعود ؟ قال : نعم ، قال : انت المطعم بن عدى ،
 فقل له : إن محمداً يقول لك : هل أنت مجبري حتى أبلغ رسالات ربّي ^(٤) ؟
 قال : نعم ، فليدخل ، قال : فرجع الرجل إليه ، فأخبره ، وأصبح المطعم

(١) سورة الأحقاف ٢٩ - ٣٠ .

(٢) سورة الجن ، والخبر في ابن هشام ١ : ٢٦٠ - ٢٦٣ .

(٣) م : « سمعوا » .

(٤) ح : « على أن أبلغ » .

ابن عدى قد لبس سلاحه هو وبنوه وبنو أخيه ، فدخلوا المسجد ، فلما رآه أبو جهل ، قال : أمجيراً أم متابع ؟ قال : بل مجير ، قال : فقال : قد أجرنا من أجرت ، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة ، وأقام بها ، فدخل يوماً المسجد الحرام والمشركون عند الكعبة ، فلما رآه أبو جهل ، قال : هذا نبيكم يا بني عبد مناف . قال عتبة بن ربيعة : وما تنكير أن يكون منا نبي أو ملك ! فأخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم - أو سمعه - فأتاهم ، فقال : أما أنت يا عتبة بن ربيعة فوالله ما حميت الله ولا لرسوله ؛ ولكن حميت لأنفك ، وأما أنت يا أبا جهل بن هشام ؛ فوالله لا يأتي عليك غير كبير^(١) من الدهر حتى تضحك قليلاً وتبكي كثيراً . وأما أنتم يا معشر الملا من قريش ؛ فوالله لا يأتي عليكم غير كبير^(٢) من الدهر حتى تدخلوا فيما تنكرون ، وأنتم كارهون .

• • •

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه في المواسم - إذا كانت - على قبائل العرب ، يدعوهم إلى الله [وإلى نصرته]^(٣) ويخبرهم أنه نبي مرسل ، ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبين عن الله ما بعثه به . حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني حسين بن عبيد الله بن عبد الله بن عباس ، قال : سمعت ربيعة بن عباد يحدث أبي ، قال : إني لأغلام شاب مع أبي بمنى ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقف على منازل القبائل من العرب : فيقول : يا بني فلان ، إني رسول الله إليكم ؛ بأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تخلعوا ما تعبدون^(٤) من دونه من هذه الأنداد . وأن تؤمنوا بي

(١) ر : ه كثير .

(٢) ح : ه كثير .

(٣) من ر .

(٤) م : ما يعبد .

وتصدّقوني وتمنعوني ؛ حتى أبين عن الله ما بعثني به .

قال : وخلفه رجلٌ "أحوّل وضيء" ، له غدירתان^(١) ، عليه حلّة عَدَنِيَّة ، فإذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله ، وما دعا إليه ، قال الرجل : يا بني فلان ، إن هذا إنما يدعوكم إلى أن تسلّخُوا اللات والعزى من أعناقكم ، وحلفاءكم من الجنّ من بني مالك بن أقيش ، إلى ما جاء به من البدعة والضلالة ، فلا تطيعوه ولا تسمعوا له .

قال : فقلت لأبي : يا أبت من هذا الرجل الذي يتبعه ؛ يردّ عليه ما يقول ؟ قال : هذا عمّه عبد العزى أبو هب بن عبد المطلب^(٢) .

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : وحدّثني محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنا محمد بن مسلم بن شهاب الزهري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى كِنْدَةَ في منازلهم ، وفيهم سيّد لهم ، يقال له مُلَيْح ، فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ ، وعرض عليهم نفسه ، فأبوا عليه^(٣) .

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثني محمد بن إسحاق ، قال : حدّثني محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حصين ، أنه أتى كَلْبًا في منازلهم إلى بطن منهم يقال لهم بنو عبد الله ، فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ ، وعرض عليهم نفسه ؛ حتى إنّه ليقول لهم : يا بني عبد الله ، إن الله قد أحسن اسم أيكم . فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم^(٣) .

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : محمد بن إسحاق : حدّثني بعض أصحابنا ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بني حَنِيْفَةَ في منازلهم ، فدعاهم إلى الله ، وعرض

(١) الغديرة : النواية من اشعر .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٣

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٤

عليهم نفسه ؛ فلم يكن أحدٌ من العرب أقبحَ ردًّا عليه منهم^(۱)

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، أنه أتى بني عامر بن صعصعة ، فدعاهم إلى الله ، وعرض عليهم نفسه ، فقال رجل منهم ، يقال له بَيْحَرَة بن فراس^(۲) : والله لو أني أخذت هذا الفتي من قريش لأكلتُ به العرب . ثم قال له : أرأيتَ إن نحن تابعتك^(۳) على أمرك^(۴) ، ثم أظهرَك الله على مَنْ خالفك ؛ أياكون لنا الأمر من بعدك ؟ قال : الأمرُ إلى الله يضعه حيث يشاء . قال : فقال له : أفتُهدَفُ^(۵) نحورنا للعرب دونك ، فإذا ظهرتَ كان الأمرُ لغيرنا ! لا حاجةَ لنا بأمرك . فأبوا عليه ، فلما صدَّر الناس ، رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم ؛ قد كانت أدركته السن ؛ حتى لا يقدر على أن يوافقَ معهم الموسم ، فكانوا إذا رجعوا إليه ، حدثوه^(۶) بما يكون في ذلك الموسم ؛ فلما قدِموا عليه ذلك العام ، سألم عمّا كان في موسمهم ، فقالوا : جاءنا فتى من قريش ، ثم أحد بني عبد المطلب ؛ يزعم أنه نبي ، ويدعو^(۷) إلى أن نمنعه^(۸) ونقوم معه ؛ ونخرج به معنا إلى بلادنا . قال : فوضع الشيخُ يده على رأسه ، ثم قال : يا عبي بني عامر ، هل لها من تلافٍ ! هل لذنا باها^(۹) من مطلب ! والذي نفسُ فلان بيده ما تقولنا إسماعيلي^(۱۰) قطاً ! وإنها لحق ، فأين كان رأيكم عنه !

(۱) سيرة ابن هشام ۲ : ۲۶۴

(۲) في ابن هشام : « فراس بن عبد الله بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة » .

(۳) ابن هشام : « بايعتك على أمرك » .

(۴) ح : « تابعتك وآمنا بك » .

(۵) كذا في ابن هشام ؛ أي تصير هدفاً يرمى ، وفي ط : « أفهدف » .

(۶) ح : « يحدثونه » .

(۷) ر ، وابن هشام : « يدعونا » .

(۸) ح : « ويدعو الله ويريد أن نمنعه » .

(۹) مثل يضرب لما فات ؛ وأصله من ذنابي الطائر ؛ إذ أفلتت من الحباله .

(۱۰) أي ما ادعى النبوة .

فكان رسول الله صلى عليه وسلم على ذلك من أمره ؛ كلما اجتمع له الناس بالموسم أتاهم يدعوا القبائل إلى الله وإلى الإسلام ، ويعرض عليهم نفسه وما جاء به من الله من الهدى والرحمة ، لا يسمع بقادم يقدم من العرب ؛ له اسمٌ وشرفٌ إلا تصدّى له فدعاه إلى الله ، وعرض عليه ما عنده^(١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، قال : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة الظفري ، عن أشياخ من قومه ، قالوا : قدم سويد بن صامت - أخو^(٢) بني عمرو بن عوف - مكة حاجاً أو معتمراً ، قال : وكان سويد إنما يسميه قومه فيهم الكامل ، بلخده وشعره ، ونسبه وشرفه ؛ وهو الذي يقول :

ألا ربّ من تدعو صديقاً ولو ترى
مقالته كالشحم ما كان شاهداً
يسرك باديه وتحت أديمه
تبين لك العينان ما هو كاتم
فرشني بخير طالما قد برّيتني
مع أشعار له كثيرة يقولها^(٧) .

مقالته بالغيب ساءك ما يفري^(٣)
وبالغيب ما نور على ثفرة النحر^(٤)
نميمة غش تبترى عقب الظهر^(٥)
ولا جنّ بالبفضاء والنظر الشرر
وخير الموالى من يرش ولا يبرى^(٦)

١٢٠٨/١

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٤ ، ٢٦٥ .

(٢) ر : « أحد » .

(٣) يفري : يخلق من القول .

(٤) المأثور هنا : السيف الموشى .

(٥) تبترى : تقطع ، وعقب الظهر : عصبه .

(٦) راشه : قواه ، وبراه : أضغفه .

(٧) ذكر منها ابن هشام :

لا تحسبني يا ابن زغب بن مالك
تحوّلت قرناً إذ صرغت بعزة
كمن كنت تردى بالعيوب وتختل
كذلك إن الحازم المتحول

قال : فتصدى له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به ، فدعاه إلى الله وإلى الإسلام . قال : فقال له سُويدٌ : فلعل الذي معك مثل الذي معي ! فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : وما الذي معك ؟ قال : مجلّة (١) لقمان - يعنى حكمة لقمان - فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : عرضها على ، فعرضها عليه ، فقال : إن هذا الكلام (٢) حسنٌ ، معي أفضلُ من هذا ؛ قرآنُ أنزله الله على ، هدى ونورٌ . قال : فتلا عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم القرآن ، ودعاه إلى الإسلام ، فلم يبعد منه ، وقال : إن هذا لقولٌ حسنٌ .

ثم انصرف عنه ، وقدم المدينة ، فلم يلبث أن قتلتته الخزرج ؛ فإن كان قومه ليَقولونَ : قد قُتِل وهو مُسلمٌ ، وكان قتلُه قبل بُعث (٣) .

• • •

حدثنا ابنُ حميد . قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ؛ أخو بني عبد الأشهل . عن محمود بن لبيد ؛ أخى بني الأشهل ، قال : لما قدم أبو الحيسر أنس بن رافع مكة ، ومعه فتية من بني عبد الأشهل ، فيهم إياس بن معاذ ؛ ينتسبون الخلف من قريش على قومهم من الخزرج ، سمع بهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فأتاهم فجلس إليهم ، فقال لهم : هل لكم إلى خبرٍ مما جئتم له ؟ قالوا : وما ذلك ؟ قال : أنا رسولُ الله ، بعثني إلى العباد ، أدعوهم إلى الله أن يعبدوا الله ، ولا يشركوا به شيئاً ، وأنزل على الكتاب . ثم ذكر في (٤) الإسلام ، وتلا عليهم القرآن . فقال إياس بن معاذ - وكان

(١) مجلّة : الصحيفة ؛ قال السهيلي : « ولقمان كان نبياً . من أهل أيلة ؛ وهو لقمان ابن عنتاب بن سوروب - فيما ذكروا - وابنه الذي ذكر في القرآن هو ثاران - فيما ذكر الزجاج وغيره . ويؤيد في اسمه من ذلك ؛ وليس بلقمان بن عاد الحميري . »

(٢) م : « كلام » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٥ ، ٢٦٦ .

(٤) م : « ذكروهم » .

غلاماً حدثاً : أى قوم ؛ هذا والله خير مما جئتم^(١) له . قال : فيأخذ أبو الحيسر أنس بن رافع حَفْنَةَ من البطحاء ، فضربَ بها وجه إياس ابن معاذ ، وقال : دَعْنَا مِنْكَ ، فَلَعَمْرِي لقد جئنا لغير هذا . قال : فصمت إياس ، وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وانصرفوا إلى المدينة . فكانت وقعة بُعَاث بين الأوس والخزرج .

قال : ثم لم يلبث إياس بن مُعَاذ أن هلك . قال محمود بن لَبِيد : فأخبرني مَنْ حضره من قومي عند موته أنهم لم يزالوا يسمعونهُ يُهَلِّلُ الله ويكَبِّرُهُ ، ويحمده ويسبِّحه ؛ حتى مات ، فما كانوا يشكُّون أن قد مات مسلماً ، لقد كان استشعر الإسلام في ذلك المجلس حين سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمع^(٢) .

• • •

قال : فلما أراد الله عز وجل إظهار دينه وإعزاز نبيّه ، وإنجاز مواعده له ، خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في الموسم الذي لقيَ فيه النفر من الأنصار ، فعرضَ نفسه على قبائل العرب ؛ كما كان يصنع في كل موسم ؛ فبينما هو عند العقبة إذ لى رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً .

قال ابن حُمَيْد : قال سلمة : قال محمد بن إسحاق : فحدثني عاصم ابن عمر بن قتادة ، عن أشياخ من قومه ، قالوا : لما لقيتهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، قال لهم : مَنْ أنتم ؟ قالوا : نفرٌ من الخزرج ، قال : أمينٌ موالى يهود : قالوا : نعم ، قال : أفلا تجلسون حتى أكلتمكم ؟ قالوا : بلَى ، قال : فجلسوا معه ، فدعاهم إلى الله عز وجل ، وعرضَ عليهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن .

قال : وكان مما صنع الله لهم به في الإسلام ، أن يهود كانوا معهم ١٢١٠/١

(١) ح : ه جتنا .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٦ ، ٢٦٧

ببلادهم ، وكانوا أهلَ كتابٍ وعِلْمٍ ، وكانوا أهلَ شركٍ ، أصحابَ أوثانٍ ،
 وكانوا قد عزّوهم ببلادهم^(۱) ، فكانوا إذا كان بينهم شيءٌ قالوا لهم : إن نبياً
 الآن مبعوثٌ قد أظلمَ زمانه ، نتبعه ونقتلكم معه قتلَ عادٍ وإرمَ . فلما كلم
 رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفرَ ، ودعاهم إلى الله ، قال بعضهم
 لبعض : تعلمُنَّ والله إنَّه لَنبيّ الذي تُوعِدكم^(۲) به يهودُ ، فلا يَسْبِقَنَّكُمْ^(۳) إليه .
 فأجابوه فيما دعاهم إليه ، بأن صدّقوه ، وقبلوا منه ما عرض عليهم من
 الإسلام ، وقالوا له : إنا قد تركنا قومنا ، ولا قومَ بينهم من العداوة والشرِّ
 ما بينهم ؛ وعسى الله أن يجمعَهُم بك ، وسنقدّم عليهم فدعوهم إلى أمرِك ،
 ونعرضُ عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين ؛ فإن يجمعهم الله عليه ،
 فلا رجلَ أعزّ منك . ثم انصرفوا عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم راجعين إلى
 بلادهم ، وقد آمنوا وصدّقوا .

وهم - فيما ذكر لي - ستة نفر من الخزرج : منهم من بنى النجار
 - وهم تيمم الله - ثم من بنى مالك بن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج
 ابن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، أسعدُ بن زرارة بن عدس بن عبّيد
 ابن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار ؛ وهو أبو أمانة ؛ وعوف بن الحارث
 ابن رفاعة بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار ؛ وهو ابن عفراء^(۴)
 ومن بنى زريق بن عامر بن عبد حارثة بن مالك بن غنم بن جشم
 ابن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، رافع بن مالك بن العجلان
 ابن عمرو بن عامر بن زريق^(۵) .

۱۲۱۱/۱

ومن بنى سلّمة بن سعد بن عليّ بن أسد بن ساردة بن يزيد بن
 جشم بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ؛ ثم من بنى سواد ،

(۱) عزوهم : غلبوهم ، وفي ابن هشام : « عزوهم » .

(۲) ابن هشام : « توعدهم » .

(۳) ابن هشام : « تسبقنكم » .

(۴) قال ابن هشام : « وعفراء بنت عبّيد بن ثعلبة بن عمرو بن مالك بن النجار » .

(۵) قال ابن هشام : « يقال : عامر بن الأزرق » .

قُطْبَةُ بنِ عامر بنِ حَدِيدَةَ بنِ عمرو بنِ سواد بنِ غَنَم بنِ كعب بنِ سَلِيمَةَ .
ومن بني حَرَام بنِ كعب بنِ غَنَم بنِ كعب بنِ سَلِيمَةَ ، مُقْبَةَ
ابنِ عامر بنِ نَابِي بنِ زيد بنِ حرام .

ومن بني عُبَيْد بنِ عَدِي بنِ غَنَم بنِ كعب بنِ سَلِيمَةَ ، جَابِرُ بنُ
عبد الله بنِ رثاب بنِ النعمان بنِ سنان بنِ عُبَيْد^(١) .

• • •

قال : فلما قَدِمُوا المدينة على قومهم ، ذَكَرُوا لهم رسولَ الله صلى الله
عليه وسلم ، ودَعَوْهم إلى الإسلام ؛ حتى فشا فيهم فلم تَبْقَ دارٌ من دُور
الأنصار إلا وفيها ذَكَرٌ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ حتى إذا كان
العام المقبل ، وافى الموسمَ من الأنصار اثنا عشر رجلاً ، فلقوه بالعقبة ،
وهي العقبة الأولى ، فبايعوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء ؛
وذلك قبل أن يفرض عليهم الحرب ؛ منهم من بنى النجار أسعد بن زُرارة^{١٢٢٢/١}
ابنِ عُدَس بنِ عُبَيْد بنِ ثعلبة بنِ غَنَم بنِ مالك بنِ النجار ؛ وهو أبو أمانة ؛
وعَوْف ومُعَاذ ابنا الحارث بنِ رفاعَةَ بنِ سَوَاد بنِ مالك بنِ غَنَم بنِ مالك
ابنِ النجار ؛ وهما ابنا عَفْرَاء .

ومن بني زُرَيْق بنِ عامر ، رافع بنِ مالك بنِ العَجْلان بنِ عمرو بنِ عامر
ابنِ زُرَيْق ، وذُكْوَان^(٢) بنِ عبد قيس بنِ خَلْدَةَ بنِ مَخْلَد بنِ عامر بنِ زُرَيْق .

ومن بني عَوْف بنِ الخَزْرَج ، ثم من بني غَنَم بنِ عوف - وهم القواقل -^(٣)
عبادة بنِ الصامت بنِ قيس بنِ أَصْرَم بنِ فِهْر بنِ ثعلبة بنِ غَنَم بنِ عَوْف
ابنِ الخَزْرَج ، وأبو عبد الرحمن ؛ وهو يزيد بنِ ثعلبة بنِ خَزْمَةَ بنِ أَصْرَم
ابنِ عمرو بنِ عَمَّارَةَ ، من بني غَضَيْيَنَةَ^(٤) من بَلِيّ ، حليف لهم .

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٦ ، ٢٦٧

(٢) قال ابن هشام : « ذكر أنه مهاجرى أنصاري » .

(٣) قال ابن هشام : « وإنما قيل لهم القواقل ؛ لأنهم كانوا إذا استجار بهم الرجل دعوا له

سهماً ، وقالوا له : قوئل ييثر حيث شئت » .

(٤) في ابن هشام : « غصينة » .

ومن بني سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج عباس بن عبادة
ابن نضلة بن مالك بن العجلان بن زيد بن غنم بن سالم بن عوف .

ومن بني سليمة ، ثم من بني حرام ، عقبة بن عامر بن نابی بن
زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سليمة . ١٢١٣/١
ومن بني سواد ، قطبة بن عامر بن حديدة بن عمرو بن سواد بن غنم بن
كعب بن سليمة .

وشهداها من الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، ثم من بني
الأشهل : أبو الهيثم بن التيهان^(١) ، اسمه مالك ، حليف لهم .

ومن بني عمرو بن عوف ، عويم بن ساعدة بن صلعة^(٢) ، حليف لهم^(٣)

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن
إسحاق ، قال : حدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن مرثد بن عبد الله اليزني ،
عن أبي عبد الرحمن بن عسيلة الصنابحي ، عن عبادة بن الصامت ، قال :
كنت فيمن حضر العقبة الأولى ؛ وكُنَّا اثني عشر رجلا ، فبايعنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء ؛ وذلك قبل أن تُفترَض الحرب ؛
على ألا نشارك بالله شيئا ، ولا نسرق ولا نزني ، ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتي بيهتان
نشر به بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نعصيه في معروف ؛ فإن وفيتم فلکم الجنة ،
وإن غشيتم شيئا من ذلك فأخذتم بحدّه في الدنيا ؛ فهو كفارة^(٤) له ؛ وإن
سرتم عليه إلى يوم القيامة ؛ فأمركم إلى الله ؛ إن شاء عذبكم ؛ وإن شاء
غفر لكم^(٥) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ؛ أن ابن
شهاب ذكر عن عائذ الله بن عبد الله أبي إدريس الخولاني ، عن عبادة بن

(١) قال ابن هشام : « التيهان يخفف وينقل » .

(٢) ح : « صلعة » .

(٣) ابن هشام ١ : ٢٦٧

(٤) م : « الكفارة » .

(٥) ح : « عفا عنكم » . والخبر في ابن هشام ١ : ٢٦٨

الصامت ، عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال :
 فلما انصرف عنه القومُ بعث معهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مُصعب بن
 عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي ، وأمره أن يقرهم القرآن ،
 ويعلمهم الإسلام ، ويفقههم في الدين ؛ فكان يسمى مُصعب بالمدينة : المقرئ ،
 وكان منزله^(١) على أسعد بن زرارة بن عدس أبي أمانة^(٢) .

• • •

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال :
 وحدثني عبيد الله بن المغيرة بن معيقيب ، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد
 ابن عمرو بن حزم ، أن أسعد بن زرارة خرج بمُصعب بن عمير ؛ يريد
 به دار بني عبد الأشهل ، ودار بني ظنفر ؛ وكان سعد بن معاذ بن النعمان
 ابن امرئ القيس ، ابن خالة أسعد بن زرارة ، فدخل به حائطاً من حوائط
 بني ظنفر^(٣) ، على بئر يقال لها بئر مرق ؛ فجلسا في الحائط ، واجتمع إليهما
 رجال ممن أسلم ، وسعد بن معاذ وأسيّد بن حُضَيْر يومئذ سيّدا قومهما من
 بني عبد الأشهل ؛ وكلاهما مُشرك على دين قومه ، فلما سمعا به ، قال سعد
 ابن معاذ لأسيّد بن حُضَيْر : لا أبا لك ! انطلق إلى هذين الرجلين اللذين
 قد أتيا دارنا^(٤) ، ليسفها ضعفاءنا ، فازجرهما وانهبهما أن يأتيا دارنا^(٤) ، فإنه
 لولا أن أسعد بن زرارة منى حيث قد علمت ، كفيتك ذلك ؛ هو ابن خالتي ،
 ولا أجد عليه مقدماً . فأخذ أسيّد بن حُضَيْر حرّبتته . ثم أقبل إليهما ؛

(١) قال السبيل : « منزل ، بفتح الزاي ، وكذلك كل ما وقع في هذا الباب ، من منزل فلان
 على فلان . فهو بالفتح ؛ لأنه أراد المصدر ؛ ولم يرد المكان ؛ وكذلك قيده الشيخ أبو بحر ، بفتح
 الزاي » .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ٢٦٩

(٣) قال ابن هشام : « واسم ظنفر كعب بن الحارث بن الحزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس »

(٤) ابن هشام : « دارينا » .

فلما رآه أسعد بن زُرارة قال لمُصعب : هذا سيد قومك قد جاءك ، فاصدق الله فيه . قال مُصعب : إن يجلس أكلّمه ، قال : فوقف عليهما مُتشتّماً ، فقال : ما جاء بكما إلينا ، تسفهان ضعفاءنا ! اعتزلانا^(١) إن كانت لكما في أنفسكما حاجة . فقال له مُصعب : أو تجلسُ فتسمع ، فإن رضيتَ أمراً قبلته ، وإن كرهته كُفّ عنك ما تكره ؟ قال : أنصفت ؛ ثم ركز حربته ، وجلس إليهما ، فكلّمه مُصعب بالإسلام ، وقرأ عليه القرآن ، فقالا فيما يذكر عنهما : والله لَعَرَفْنَا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلّم ، في إشراقه وتسهله . ثم قال : ما أحسنَ هذا وأجمله ! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين ؟ قالوا له : تغتسل ، فتطهر ثوبيك ، ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلّي ركعتين .

قال : فقام فاغتسل ، وطهر ثوبيه ، وشهد شهادة الحق ، ثم قام فركع ركعتين ، ثم قال لهما : إن ورائي رجلاً ؛ إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحدٌ من قومه ؛ وسأرسله إليكما الآن ؛ سعد بن معاذ . ثم أخذ حربته ، وانصرف إلى سعد وقومه ؛ وهم جلوس في ناديبهم ؛ فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلاً ، قال : أحلفُ بالله ، لقد جاءكم أسيدُكم أسيدُكم بن محضير بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم ؛ فلما وقف على النّادي ، قال له سعد : ما فعلت ؟ قال : كلّمت الرجلين ، فوالله ما رأيت بهما بأساً ، وقد نهيتهما فقالا : نفعل ما أحببت ، وقد حدثت أن بني حارثة ، قد خرجوا إلى أسعد بن زُرارة ليقتلوه ؛ وذلك أنهم عرفوا أنه ابنُ خالتك ليُخفروك^(٢) ، قال : فقام سعد مغضباً مبادراً تخوفاً للذي ذكر له من بني حارثة . فأخذ الحربة من يده ، ثم قال : والله ما أراك أغنيت شيئاً ؛ ثم خرج إليهما ؛ فلما رآهما سعد مطمئنين ، عرف أن أسيداً إنما أراد أن يسمع منهما ، فوقف عليهما متشتّماً ، ثم قال لأسعد بن زُرارة : يا أبا أمامة ، لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمّت هذا

(١) ح : « اعتزلا » .

(٢) الإخفار : نقض المهدي .

مِنِّي . تغشانا^(١) في دارنا بما نكره ! وقد قال أسعد لمُصعب : أي مُصعب !
جاءك والله سيّد من وراءه من قومه ، إن يتبعك لم يخالف عليك منهم اثنان ،
فقال له مصعب : أو تقعد فتسمع ، فإن رضيتَ أمراً ورغبت فيه قبلته ،
وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره ؟ قال سعد : أنصفت ؛ ثم ركز الحربة ،
فجلس فعرض عليه الإسلام ، وقرأ عليه القرآن . قالوا : فعرّنا والله في وجهه
الإسلام قبل أن يتكلّم به ؛ في إشراقه وتسهله .

ثم قال لهما : كيف تصنعون إذا أنتمُ أسلمتم ودخلتم في هذا الدين ؟
قالوا : نغتسل فتطهر ثوبيك ، ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلّي ركعتين .
قال : فقام فاغتسل وطهر ثوبيه ، وشهد شهادة الحق ، وركع ركعتين ،
ثم أخذ حربته فأقبل عامداً إلى نادى قومه ، ومعه أسيد بن حضير ؛ فلما
راه قومه مقبلاً ، قالوا : نحلف بالله لقد رجع سعد إليكم بغير الوجه الذي ذهب
به من عندكم ؛ فلما وقف عليهم ، قال : يا بني عبد الأشهل ؛ كيف تعلمون
أمرى فيكم ؟ قالوا : سيّدنا وأفضلنا رأياً ، وأيمننا نقيبةً ، قال : فإن كلام
رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله . قال : فوالله ما أمسى
في دار عبّد الأشهل رجلٌ ولا امرأة إلا مسلماً أو مسلمة .

ورجع أسعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارة ، فأقام عنده يدعو الناس
إلى الإسلام حتى لم تبقى دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون
إلا ما كان من دار بني أمية بن زيد وخطمة ووائل وواقف ؛ وتلك أوس
الله ؛ وهم من أوس بن حارثة ؛ وذلك أنه كان فيهم أبو قيس بن الأسلت ؛
وهو صيقي ، وكان شاعراً لهم ، وقائداً يسمعون منه ، ويطيعونه ، فوقف بهم
عن الإسلام ؛ فلم يزل على ذلك^(٢) حتى هاجر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم
إلى المدينة ؛ ومضى بدرٌ وأحدٌ والحندق .

(١) ح : « تغشانا » .

(٢) ح : « كذلك » .

قال : ثم إن مُصعب بن عُمر ، رجع إلى مكة وخرج من خرج من الأنصار من المسلمين إلى الموسم مع حُجَّاج قومهم من أهل الشرك ؛ حتى قدموا مكة ؛ فواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أوسط أيام التشريق حين أراد الله بهم ما أراد من كرامته ، والنصر لنبىه صلى الله عليه وسلم وإعزاز الإسلام وأهله^(١) ، وإذلال الشرك وأهله^(٢) .

فحدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني معبد بن كعب بن مالك بن أبي كعب بن القين ، أخو بني سلمة ، أن أخاه عبد الله بن كعب - وكان من أعلم الأنصار - حدثه أن أباه كعب ابن مالك حدثه - وكان كعب ممن شهد العقبة ، وباع رسول الله صلى الله عليه وسلم بها ، قال : خرجنا في حُجَّاج قومنا ، وقد صلينا وفقهنا ، ومعنا البراء ابن معرور ، سيدنا وكبيرنا . فلما وُجِّهنا^(٣) لسفرنا ، وخرجنا من المدينة ، قال البراء لنا : والله يا هؤلاء ، إني قد رأيتُ رأياً ، والله ما أدري أتوافقونني عليه أم لا ! قال : فقلنا : وما ذلك ؟ قال : قد رأيتُ ألا أدعَ هذه البنية منى بظهر - يعنى الكعبة - وأن أصلى^(٤) إليها . قال : فقلنا : والله ما بلغنا عن نبينا أنه يصلى إلا إلى الشام ، وما نريدُ أن نخالفه . قال : فقال : إني لمُصلٌ إليها ، قال : فقلنا له : لكننا لا نفعل ، قال : فكنا إذا حضرت الصلاة صلينا إلى الشام ، وصلى إلى الكعبة ، حتى قدمنا مكة .

١٢١٨/١

قال : وقد عينا عليه ما صنع ، وأبى إلا الإقامة على ذلك ؛ فلما قدمنا مكة قال لي : يا بن أخى ، انطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ حتى أسأله عما صنعتُ في سفرى هذا ، فإنى والله لقد وقع في نفسى منه شيء ؛ لما رأيت من خلافكم إيتاى فيه .

قال : فخرجنا نسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - وكنا لانعرفه ،

(١) م : « وإعزازاً لأهله » .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ٢٧٠ - ٢٧٣

(٣) وجهنا : توجهنا .

(٤) ر : « نصلى » .

ولم نره قبل ذلك - فلقينا رجلاً من أهل مكة، فسألناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: هل تعرفانه؟ قلنا: لا، قال: فهل تعرفان العباس ابن عبد المطلب عمه؟ قلنا: نعم - قال: وقد كنا نعرف العباس، كان لا يزال يقدّم علينا تاجراً - قال: فإذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس ابن عبد المطلب، قال: فدخلنا المسجد؛ فإذا العباس جالس ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس مع العباس؛ فسلمنا؛ ثم جلسنا إليه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس: هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل؟ قال: نعم؛ هذا البراء بن معرور سيد قومه؛ وهذا كعب بن مالك - قال: فوالله ما أنسى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: الشاعر؟ قال: نعم - قال: فقال له البراء بن معرور: يا نبي الله؛ إني خرجت في سفرى هذا؛ وقد هدانى الله للإسلام، فرأيت ألا أجعل هذه البنية منى بظهر، فصليت إليها؛ وقد خالفنى أصحابى فى ذلك؛ حتى وقع فى نفسى من ذلك شىء؛ فإذا ترى يا رسول الله؟ قال: قد كنت على قبلة لو صبرت عليها! فرجع البراء إلى قبلة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وصلى معنا إلى الشام. قال: وأهلهم يزعمون أنه صلى إلى الكعبة حتى مات؛ وليس ذلك كما قالوا؛ نحن أعلم به منهم. قال: ثم خرجنا إلى الحج، وواعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أوسط أيام التشريق.

قال: فلما فرغنا من الحج؛ وكانت الليلة التى واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لها؛ ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام، أبو جابر، أخبرنا^(١)، وكنا نكتم من معنا من المشركين من قومنا أمرنا؛ فكلّمناه، وقلنا له: يا أبا جابر؛ إنك سيد من سادتنا، وشريف من أشرافنا، وإننا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون خطباً للنار غداً. ثم دعونا إلى الإسلام؛ وأخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إيانا العقبة.

قال: فأسلم، وشهد معنا العقبة - وكان نقيباً - فبتنا تلك الليلة مع قومنا فى رحالنا حتى إذا مضى ثلث الليل، خرجنا من رحالنا لميعاد رسول

(١) ابن هشام: أخذناه معنا.

اللہ صلی اللہ علیہ وسلم ، نسلل مستخفین نسلل القطا ؛ حتی اجتمعنا
 فی الشعب عند العقبة ؛ ونحن سبعون رجلاً ، ومعهم^(۱) امرأتان من نساءهم : نسیبة
 بنت کعب أم عمارة إحدى نساء بنی مازن بن النجار ، وأسماء بنت عمرو
 بن عدی ، إحدى نساء بنی سلمة ؛ وهی أم منیع ؛ فاجتمعنا بالشعب
 ننتظر رسول الله صلی اللہ علیہ وسلم ؛ حتی جاءنا معه عمه العباس بن عبدالمطلب
 وهو یومئذ علی دین قومه ؛ إلا أنه أحب أن یحضر أمر ابن أخیه . ویتوثق
 له ؛ فلما جلس کان أول من تكلم العباس بن عبدالمطلب ، فقال : یا معشر
 الخزرج - وكانت العرب إنما یسمون هذا الحی من الأنصار : الخزرج ؛
 خزرجها وأوسها - إن محمداً منا حیث قد علمتم ؛ وقد منعناه من قومنا ممن
 هو علی مثل رأینا ؛ وهو فی عز من قومه ومنعة فی بلده ؛ وإنه قد أبى إلا
 الانقطاع إليکم واللحوق بکم ؛ فإن كنتم ترون أنکم وافون له بما دعوتوه إليه ؛
 ومانعوه ممن خالفه ؛ فأنتم وما حملتم^(۲) من ذلك ؛ وإن كنتم ترون أنکم
 مسلموه وخاذلوه بعد الخروج إليکم ؛ فمن الآن فدعوه ، فإنه فی عز ومنعة
 من قومه وبلده .

قال : فقلنا له : قد سمعنا ما قلت ؛ فتكلمتم یا رسول الله ؛ وخذ لنفسك
 وربك ما أحببت .

قال : فتكلم رسول الله صلی اللہ علیہ وسلم ، فتلا القرآن ، ودعا إلى الله ،
 ورغب فی الإسلام ، ثم قال : أبايعكم علی أن تمنعونی مما تمنعون منه نساءكم
 وأبناءكم .

قال : فأخذ البراء بن معرور بیده ، ثم قال : والذي بعثك بالحق ،
 لنمنعنك مما تمنع منه أزرنا^(۳) ، فبايعنا یا رسول الله ، فنحن والله أهل الحرب
 وأهل الحلقة^(۴) ؛ ورثناها كابراً عن كابر .

(۱) ابن هشام : « ومعنا امرأتان من نساءنا » .

(۲) ح : « حملتم » .

(۳) أزرنا ؛ أي نساءنا ؛ والمرأة قد یکنى عنها بالإزار .

(۴) الحلقة ، أي السلاح .

قال : فاعترض القول - والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم - أبو الهيثم بن التيهان ، حليف بني عبد الأشهل ، فقال : يا رسول الله ، إن بيننا وبين الناس حبالاً وإننا قاطعوها - يعنى اليهود - فهل عسيبت إن نحن فعلنا ذلك ، ثم أظهرك الله ، أن ترجع إلى قومك ، وتدعنا ! قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : بل الدّم الدّم ، الهدم الهدم (١) ! أنتم منى وأنا منكم ؛ أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخرجوا إلى منكم اثني عشر نقيباً ؛ يكونون على قومهم بما فيهم . فأخرجوا اثني عشر نقيباً ؛ تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس (٢) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للنقباء : أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ، ككفالة الحواريتين لعيسى بن مريم ، وأنا كفيل على قومي ، قالوا : نعم .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، قال : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، أن القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال العباس بن عباد بن نضلة الأنصاري ، ثم أخو بني سالم بن عوف : يا معشر الخزرج ، هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل ؟ قالوا : نعم ، قال : إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس ؛ فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة ؛ وأشرافكم قتلاً أسلمتموه ؛ فمن الآن فهو والله خزي (٣) الدنيا والآخرة إن فعلتم ، وإن كنتم

(١) قال ابن قتيبة : « كانت العرب تقول عند عقد الحلف والحوار : دى دمك ، وهدى دمك ؛ أى ما هدمت من الدماء هدمته أنا » .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ٢٧٣ ، ٢٧٥ .

(٣) ر : « خزي في الدنيا » .

تروون أنکم وافون له بما دعوتموه إليه ، على نهكة^(۱) الأموال ، وقتل الأشراف فخذوه ، فهو والله خير الدنيا والآخرة . قالوا : فإننا نأخذہ على مصيبة الأموال ، وقتل الأشراف ؛ فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا ؟ قال : الجنة ، قالوا : ابسط يدك ، فبسط يده فبايعوه . ۱۲۲۲/۱

وأما عاصم بن عمر بن قتادة ، فقال : والله ما قال العباس ذلك إلا ليشد العقدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في أعناقهم . وأما عبد الله بن أبي بكر ، فقال : والله ما قال العباس ذلك إلا ليؤخر القوم تلك الليلة رجاء أن يحضرها عبد الله بن أبي بن سؤل ، فيكون أقوى لأمر القوم . والله أعلم أي ذلك كان ؛ فبنو النجار يزعمون أن أبا أمامة أسعد بن زرارة كان أول من ضرب على يديه^(۲) . وبنو عبد الأشهل يقولون : بل أبو الحيثم ابن التيهان^(۳) .

قال ابن حميد ، قال : سلمة ، قال محمد ، وأما معبد بن كعب بن مالك فحدثني - قال أبو جعفر : وحدثني سعيد بن يحيى بن سعيد - قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، عن معبد بن كعب ، قال : فحدثني في حديثه عن أخيه عبد الله بن كعب عن أبيه كعب بن مالك . قال : كان أول من ضرب على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم البراء بن معرور . ثم تبع القوم ؛ فلما بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت سمعته قط : يا أهل الجباب^(۴) هل لكم في مذمم والصبابة^(۵) معه ، قد اجتمعوا على حربكم ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يقول عدو الله ؟ هذا أرب العقبة ، هذا ابن أرب^(۶) ؛ اسم عدو الله ؛ أما والله لأفرغن

(۱) نهكة الأموال : نقصها ، وفي م : « تهلكة الأموال » .

(۲) ح : « يده » .

(۳) سيرة ابن هشام ۱ : ۲۷۷ .

(۴) قال ابن هشام : « الجباب : المنازل » .

(۵) المذم : المذموم غاية الذم . والصبابة : جمع صاب . باهزمة ؛ وكان يقال للرجل إذ

أسلم زمن النبي عليه السلام : « صاب » .

(۶) قال ابن هشام : « ويقال : ابن أرب ، وأرب العقبة : اسم الشيطان .

لك. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ارفضوا^(١) إلى رحالكم. فقال له العباس ابن عباد بن نضلة: والتذي بعثك بالحق لئن شئت لنميلن غدا على أهل منى بأسيا فنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لم نُؤمر بذلك؛ ولكن ارجعوا إلى رحالكم، قال: فرجعنا إلى مضاجعنا، فمئنا عليها؛ حتى أصبحنا؛ فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى جاءونا في منازلنا، فقالوا: يا معشر الخزرج؛ إنا قد بلغنا أنكم قد جنتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا، وتبايعونه على حربنا؛ وإنه والله ما من حي من العرب أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم؛ قال: فانبعث من هناك من مشركي قومنا يحلفون لهم بالله: ما كان من هذا شيء وما علمناه.

قال: وصدقوا لم يعلموا. قال: وبعضنا ينظر إلى بعض؛ وقام القوم وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة الخزومي، وعليه نعلان جديدان^(٢).

قال: فقلت كلمة كأنني أريد أن أشرك القوم بها فيما قالوا: يا أبا جابر؛ أما تستطيع أن تتخذ وأنت سيّد من ساداتنا مثل نعلني هذا النقي من قريش؟ قال: فسمعها الحارث، فخلعهما من رجليه؛ ثم رمى بهما إلى، وقال: والله لتنتعلنهما. قال: يقول أبو جابر: مه! أحفظت^(٣) والله النقي! فارد^(٤) ١٢٢٤/١ عليه نعليه، قال: قلت: والله لا أردّهما؛ فأل والله صالح؛ والله لئن صدق الفأل لأسلبنه.

فهذا حديث كعب بن مالك عن العقبة وما حضر منها^(٤)

قال أبو جعفر: وقال غير ابن إسحاق: كان مقدّم من قدم على النبي صلى الله عليه وسلم للبيعة من الأنصار في ذي الحجة، وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدهم بمكة نقيّة ذي الحجة من تلك السنة، والمحرم

(١) ارفضوا: تفرقوا.

(٢) قال السبيل: « النعل مؤنثة؛ ولكن لا يقال: حديدة في الفصيح من الكلام؛ وإنما يقال: ملحفة جديد؛ لأنها في معنى جديدة، أي مقطوعة.»

(٣) أحفظت: أغضبت.

(٤) سيرة ابن هشام ١: ٢٧٧، ٢٧٨

وصفر ، وخرج مهاجراً إلى المدينة في شهر ربيع الأول ؛ وقدِ مها يوم الاثنين
لاثنى عشرة ليلة خلت منه .

وحدثني علي بن نصر بن علي ، وعبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث -
قال علي بن نصر : حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث . وقال عبد الوارث :
حدثني أبي - قال : حدثنا أبان العطار ، قال : حدثنا هشام بن عروة .
عن عروة . أنه قال : لما رجع من أرض الحبشة من رجع منها ممن كان هاجراً^(۱)
إليها قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، جعل أهل الإسلام
يزدادون ويكثرون . وإنه أسلم من الأنصار بالمدينة ناس كثير . وفشا بالمدينة الإسلام .
فطفق أهل المدينة يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة . فلما رأت ذلك
قريش تذامرت على أن يفتنوه . ويشتدوا عليهم^(۲) . فأخذوهم وحرصوا
على أن يفتنوه . فأصابهم جهد شديد ، وكانت الفتنة الآخرة . وكانت
فتنتين : فتنة أخرجت من خرج منهم إلى أرض الحبشة ، حين أمرهم بها . وأذن
لهم في الخروج إليها . وفتنة لما رجعوا ورأوا من يأتيهم من أهل المدينة .

ثم إنه جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة سبعون نقيباً . رؤوس
الذين أسلموا . فوافوه بالحج فبايعوه بالعقبة . وأعضوه عهدهم^(۳) : على
أنا منك وأنت منا . وعلى أنه من جاء من أصحابك أوجتتنا^(۴) . فإننا نمنعك مما نمنع
منه أنفسنا . فاشتدت عليهم قريش عند ذلك . فأمر رسول الله صلى الله عليه
وسلم أصحابه بالخروج إلى المدينة . وهي الفتنة الآخرة التي أخرج فيها رسول
الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وخرج . وهي التي أنزل الله عز وجل فيها :
﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾^(۵) .

۱۲۲۵/۱

(۱) م : « مهاجراً » .

(۲) م : « عليه » .

(۳) م : « عهدهم » .

(۴) م : « وجتتنا » .

(۵) سورة الأنفال ۳۹ .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، أنهم أتوا عبد الله بن أبي بن سلول - يعني قريشاً - فقالوا مثل ما ذكر كعب بن مالك من القول لهم ، فقال لهم : إن هذا لأمرٌ جسيم ؛ ما كان قومي ليتفوتوا^(١) على بمثل هذا وما علمته كان . فانصرفوا عنه ، وتفرق الناس من منى ، فتنطس^(٢) القوم الخبر فوجدوه قد كان ، وخرجوا في طلب القوم ، فأدركوا سعد بن عبادَةَ بالحاجر^(٣) ، والمنذر بن عمرو أخا بني ساعدة ابن كعب بن الخزرج ؛ وكلاهما كان نقيباً ، فأما المنذر فأعجز القوم ، وأما سعد فأخذه ، وربطوا يديه إلى عنقه ينسع^(٤) رجله ، ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة ، يضربونه ويجيدونه بجُمته^(٥) - وكان ذا شعر كثير - فقال سعد : ١٢٢٦/١ فوالله إنني لفي أيديهم ؛ إذ طلع عليّ نفر من قريش ؛ فيهم رجلٌ أبيض وضيءٌ شمشاع^(٦) حلوم من الرجال . قال : قلت : إن يكن عند أحدٍ من القوم خير فعند هذا ، فلما دنا مني رفع يديه فلطمني^(٧) لكمةً شديدة . قال : قلت في نفسي : والله ما عندهم بعد هذا^(٨) خير . قال : فوالله إنني لفي أيديهم يسحبونني ؛ إذ أوى^(٩) إلى رجل منهم ممن معهم ، فقال : ويحك ! أما بينك وبين أحد من قريش جوار ولا عهد^(١٠) ! قال : قلت : بلبي والله ، لقد كنت أجير^(١١) لجبير بن مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف تجارته ،

(١) يقال : تفوت عليه بكذا ؛ أي فات به .

(٢) كذا في ابن هشام ، وتنطس القوم الخبر ؛ أي أكثروا البحث عنه ، وفي ط : « تبطن » .

(٣) ابن هشام : « بأذاخر » .

(٤) النسع : الشراك الذي يشد به الرجل .

(٥) في ابن هشام : « يجذبويه » . والجمة : مجمع الشعر .

(٦) قال ابن هشام : « الشمشاع : الطويل الحسن » .

(٧) ح ، ر ، ابن هشام : « فلكني لكمة » .

(٨) ح : « بملها » .

(٩) ر : « أوى إلى » .

(١٠) م : « عهد » .

(١١) م : « أجيز » .

(١٢) التجار : جمع تاجر .

وأمنعهم ممن أراد ظلمهم بيلادى ؛ وللعارث بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف . قال : ويحك ! فاهتف باسم الرجلين ، واذكر ما بينك وبينهما . قال : ففعلت ، وخرج ذلك الرجل إليهما ، فوجدهما في المسجد عند الكعبة ، فقال لهما : إن رجلاً من الخزرج الآن يُضرب بالأبطح ؛ وإنه ليَهتف كما ، ويذكر أن بينه وبينكما جواراً ، قالوا : ومن هو ؟ قال : سعد بن عبادة ، قالوا : صدقَ والله إن كان ليَجير تجارنا^(١) ، ويمنعهم أن يظلموا ببلده . قال : فجاءا فخلصا سعداً من أيديهم وانطلق . وكان الذى لَكُمْ سعداً سُهيل ابن عمرو ، أخو بنى عامر بن لؤى^(٢) .

• • •

قال أبو جعفر : فلما قدموا المدينة ، أظهروا الإسلام بها ، وفي قومهم بقايا من شيوخ لهم على دينهم من أهل الشرك ؛ منهم عمرو بن الحَمُوح ابن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن سليمة ، وكان ابنه مُعاذ بن عمرو قد شهد العقبة ، وباع رسول الله صلى الله عليه وسلم في فتیان منهم ، وباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن بايع من الأوس والخزرج في العقبة الآخرة ؛ وهى بيعة الحرب حين أذن الله عز وجل في القتال بشروط غير الشروط في العقبة الأولى ، وأما الأولى فإنما كانت على بيعة النساء ؛ على ما ذكرت الخبر به عن عبادة بن الصامت قبل ؛ وكانت بيعة العقبة الثانية على حرب الأحمـر والأسود على ما قد ذكرت قبل ، عن عروة بن الزبير . وقد حدثنا ابن حميد - قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت ، عن أبيه الوليد ، عن عبادة بن الصامت - وكان أحد النقباء - قال : بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة الحرب ؛ وكان عبادة من الاثنى عشر الذين بايعوا في العقبة الأولى .

• • •

قال أبو جعفر : فلما أذن الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم في

(١) كذا في ابن هشام وط ؛ وفي الأصول : « تجارته » .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ٢٧٨ ، ٢٧٩

القتال ، ونزل قوله : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ (١) ، وبإيعة الأنصار على ما وصفت من بيعتهم ، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ممن هو معه بمكة من المسلمين بالهجرة والخروج إلى المدينة ، والتحقوا بإخوانهم من الأنصار ؛ وقال : إن الله عز وجل قد جعل لكم إخواناً وداراً آمناً فيها فخرجوا أرسالاً ، وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة ينتظر أن يأذن له ربه بالخروج من مكة ؛ فكان أول من هاجر من المدينة والهجرة إلى المدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش ، ثم من بني مخزوم ، أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، هاجر إلى المدينة قبل بيعة أصحاب العقبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنة ، وكان قد قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة من أرض الحبشة ، فلما آذنه قريش ، وبلغه إسلام من أسلم من الأنصار ، خرج إلى المدينة مهاجراً .

ثم كان أول من قدم المدينة من المهاجرين بعد أبي سلمة ، عامر بن ربيعة ، حليف بني عدى بن كعب ، معه امرأته ليلى بنت أبي حشمة بن غانم بن عبد الله بن عوف بن عبيد بن عمرو بن عدى بن كعب . ثم عبد الله ابن جحش بن ريثاب ، وأبو أحمد بن جحش - وكان رجلاً ضريب البصر ، وكان يطوف مكة أعلاها وأسفلها بغير قائد - ثم تابع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أرسالاً .

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ؛ ينتظر أن يؤذن له في الهجرة . ولم يتخلف معه بمكة أحد المهاجرين إلا أخذ فحبس أو فتن إلا على بن أبي طالب وأبو بكر بن أبي قحافة . وكان أبو بكر كثيراً ما يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة ، فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تعجل ، لعل الله أن يجعل لك صاحباً ، فطمع أبو بكر أن يكونه (٢) ، فلما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) سورة الأنفال ٣٩ .

(٢) ر : « أن يكون هو صاحبه » .

قد صارت له شيعة وأصحاب من غيرهم ، بغير^(١) بلدهم ، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم ، عرفوا أنهم قد نزلوا داراً ، وأصابوا منهم منعة ، فحذروا خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم ، وعرفوا أنه قد أجمع أن يلحق بهم لحرهم ، فاجتمعوا له في دار الندوة ؛ وهي دار قصي بن كلاب ، التي كانت قريش لا تقضي أمراً^(٢) إلا فيها ، يتشاورون فيها ما يصنعون في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خافوه^(٣) !

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد بن جبر أبي الحجاج ، عن ابن عباس ، قال : وحدثني الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس والحسن بن عمار ، عن الحكم بن عتيبة ، عن ميسم ، عن ابن عباس قال : لما اجتمعوا لذلك واتعدوا أن يدخلوا دار الندوة ، ويتشاوروا فيها في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم غدوا في اليوم الذي اتعدوا له ؛ وكان ذلك اليوم يسمى الزحمة ؛ فاعترضهم إبليس في هيئة شيخ جليل ، عليه بت^(٤) له ، فوقف على باب الدار ، فلما رأوه واقفاً على بابها ، قالوا : من الشيخ ؟ قال : شيخ من أهل نجد ، سمع بالذي اتعدتم له ، فحضر معكم ليستمع ما تقولون ، وعسى ألا يعدمكم منه رأى ونصح ، قالوا : أجل ، فادخل ، فدخل معهم ، وقد اجتمع فيها أشرف قريش كلهم ، من كل قبيلة ؛ من بني عبد شمس شيبه وعتبة ابنا ربيعة وأبو سفيان بن حرب ، ومن بني نوفل ابن عبد مناف طعيمة بن عدى وجبير بن مطعم والحارث بن عامر ابن نوفل . ومن بني عبد الدار بن قصي النضر بن الحارث بن كلاب . ومن بني أسد بن عبد العزى أبو البخري بن هشام وزمعة بن الأسود بن المطلب ، وحكيم بن حزام . ومن بني مخزوم أبو جهل بن هشام ، ومن بني سهم نبيه

(١) م : « من غير بلدهم » .

(٢) م : « الأمر » .

(٣) م : « خافوا » .

(٤) البت : الكساء الغليظ .

ومُنَّبَهُ ابنا الحجاج. ومن بنى جُمَحَ أمية بن خلف؛ ومن كان معهم^(١) وغيرهم ممن لا يُعَدُّ من قريش.

فقال بعضهم لبعض: إن هذا الرجل قد كان أمره ما قد كان وما قد رأيتم؛ وإننا والله ما نأمنه على الوثوب علينا بمن قد اتبعه من غيرنا، فأجمعوا فيه رأياً؛ قال: فتشاروا. ثم قال قائل منهم: احبسوه في الحديد، وأغلقوا عليه باباً، ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين قبله: زهيراً، والنابغة ومن مضى منهم؛ من هذا الموت حتى يصيبه منه ما أصابهم.

قال: فقال الشيخ النجدي: لا والله، ما هذا لكم برأى؛ والله لو حبستموه— كما تقولون— لخرج أمره من وراء الباب الذي أغلقتموه دونته إلى أصحابه؛ فلاوشكوا أن يثبوا عليكم فيترعوه من أيديكم، ثم يكاثروكم حتى يغلبوكم على أمركم هذا؛ ما هذا لكم برأى فانظروا في غيره.

ثم تشاوروا، فقال قائل منهم: نخرجه من بين أظهرنا فنسفيه من بلدنا؛^(٢) فإذا خرج عنا فوالله ما نبالي أين ذهب، ولا حيث وقع، إذا^(٣) غاب عنا وفرغنا منه. فأصلحنا أمرنا، وألفتنا كما كانت.

قال الشيخ النجدي: والله ما هذا لكم برأى؛ ألم تروا حسن حديثه، وحلاوة منطقه، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به! والله لو فعلتم ذلك ما أمنت أن يحمل على حي من العرب، فيغلب عليهم^(٣) بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه، ثم يسير بهم إليكم حتى يبطأكم بهم، فيأخذ أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد. أديروا فيه رأياً غير هذا!

قال: فقال أبو جهل بن هشام: والله إن لي فيه لرأياً ما أراكم وقعتم عليه بعد! قالوا: وما هو يا أبا الحكم؟ قال: أرى أن تأخذوا من كل قبيلة

(١) كذا في ابن هشام، وفي ط: «منهم»

(٢) كذا في ابن هشام، وفي ط: «غاب عنا أذاه»

(٣) ح: «على قلوبهم»

فتى شاباً جنداً ، نسيباً وسيطاً فينا ، ثم نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً ثم يعمدون إليه ، ثم يضربونه بها ضربة رجل واحد فيقتلونه فنسريح ؛ فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل كلها ؛ فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً ، ورضوا منا بالعقل فعقلناه لهم .

قال : فقال^(١) الشيخ النجدي : القول ما قال الرجل ، هذا الرأي لا رأى لكم غيره .

فتفرق القوم على ذلك وهم جميعون له ، فأتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه !

قال : فلما كان العتمة من الليل ، اجتمعوا على بابه فرصدوه متى ينام ، فيشون عليه . فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم ، قال لعلي بن أبي طالب : نم على فراشي ، واتشع^(٢) ببرد الحصرى الأخضر ؛ فم فإنه لا يخلص إليك شيء تكرهه منهم . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام في برده ذلك إذا نام^(٣) .

قال أبو جعفر : زاد بعضهم في هذه القطعة في هذا الموضع : وقال له : إن أذاك ابن أبي قحافة ، فأخبره أنتى توجهت إلى ثور ، فمره فليلحق بي ، وأرسل إلى بطعام ، واستأجر لي دليلاً يدلني على طريق المدينة ؛ واشتر لي راحلة . ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأعمى الله أبصار الذين كانوا يرصدونه^(٤) عنه ، وخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : اجتمعوا له ، وفيهم أبو جهل بن هشام ، فقال وهم على بابه : إن محمداً

(١) ط : « يقول » ، وما أثبتته من ابن هشام .

(٢) ابن هشام « وتسج » .

(٣) سيرة ابن هشام ١ : ٢٩٠ ، ٢٩١ .

(٤) ح : « يرصدونه » .

يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب لعجم، ثم بعثتم بعد موتكم فجعلت لكم جنان كجنان الأردن، وإن لم تفعلوا كان لكم منه ذبح، ثم بعثتم بعد موتكم؛ فجعلت لكم نار تحرقون فيها.

قال : وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فأخذ حفنة من تراب، ثم قال : نعم، أنا أقول ذلك، أنت أحدُهم. وأخذ الله على أبصارهم عنه فلا يرونه^(۱)، فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم؛ وهو يتلو هذه الآيات من يس : ﴿يَسْ . وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ . إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ . عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ إلى قوله : ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾، حتى فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من هؤلاء الآيات، فلم يبقَ منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه ترابًا؛ ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب.

فأنام آت ممن لم يكن معهم، فقال : ما تنتظرون ها هنا؟ قالوا : محمدًا، قال : خيبكم الله! قد والله خرج عليكم محمد، ثم ما ترك^(۲) منكم رجلاً إلا وقد وضع على رأسه ترابًا، وانطلق لحاجته؛ أفما ترون ما بكم؟ قال : فوضع كل رجل منهم يده على رأسه، فإذا عليه تراب، ثم جعلوا يطلعون^(۳)، فيرون عليًا على الفراش^(۴) متسجياً^(۵) ببرد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيقولون : والله إن هذا لمحمد نائم، عليه بردُه؛ فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا، فقام على^(۶) عن^(۶) الفراش، فقالوا : والله لقد صدقنا الذي كان حدثنا، فكان مما نزل^(۷) من القرآن في ذلك اليوم، وما كانوا أجمعوا^(۸) له :

(۱) ح : « يرون له أثرًا » .

(۲) ح : « لم يترك » .

(۳) ر : « يطلعون » .

(۴) ح : « في الفراش » .

(۵) ر : « متسجماً » .

(۶) ر : « من الفراش » .

(۷) ح : « أنزل الله » .

(۸) ح : « اجتمعوا » .

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ
وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (۱) وقول الله عز وجل:
﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ تَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ ۗ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ
مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴾ (۲)

وقد زعم بعضهم أن أبا بكر أتى علياً فسأله عن نبي الله صلى الله عليه وسلم فأخبره أنه لحق بالغار من ثور، وقال: إن كان لك فيه حاجة فالحقه، فخرج أبو بكر مسرعاً (۳)، فلحق نبي الله صلى الله عليه وسلم في الطريق، فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم جرس أبي بكر في ظلمة الليل، فحسبه من المشركين، فأسرع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشى، فانقطع قبائل نعله ففلق إبهامه حَجْرًا فكثر دمها، وأسرع السعي، فخاف أبو بكر أن يشق على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرفع صوته، وتكلم، فعرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام حتى أتاه، فانطلقا ورجل رسول الله صلى الله عليه وسلم تستن دماً؛ حتى انتهى إلى الغار مع الصبح؛ فدخلوا الدار، وقام على عليه السلام عن فراشه، فلما دثوا منه عرفوه، فقالوا له: أين صاحبك؟ قال: لا أدري، أو رقيباً كنت عليه! أمرتموه بالخروج فخرج؛ فانتهروه وضربوه وأخرجوه إلى المسجد، فحبسوه ساعة ثم تركوه، ونجى الله رسوله من مكرم وأنزل عليه في ذلك: ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ .

(۱) سورة الأنفال ۳۰ .

(۲) سورة الطور ۳۰ ، ۳۱ . قال ابن هشام المنون : الموت . وريب المنون : ما يريب ويعرض منها ؛ قال أبو ذؤيب الهذلي :

أَمِنَ الْمُنُونِ وَرَيْبِهَا تَتَوَجَّعُ وَالِدَاهُ لَيْسَ بِمَعْتَبٍ مِنْ يَجْزَعُ

والخبر : في ابن هشام ۱ : ۲۹۲

(۳) ح : « يمشى مسرعاً » .

قال أبو جعفر : وأذن الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم عند ذلك بالهجرة ، فحدثنا علي بن نصر الجهمي ، قال : حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، وحدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث ، قال : حدثنا أبي ، قال : حدثنا أبان العطار ، قال : حدثنا هشام بن عروة ، عن عروة ، قال : لَمَّا خرج أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، وقبيل^(١) ١٢٣٥/١ أن يخرج - يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم - وقبل أن تنزل هذه الآية التي أمروا فيها بالقتال ، استأذنه أبو بكر ؛ ولم يكن أمره بالخروج مع مَنْ خرج من أصحابه ، حبسه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال له : أنظرتني ، فإنني لا أدري ؛ لعلني يؤذن لي بالخروج . وكان أبو بكر قد اشترى راحلتين يعدّهما للخروج مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ؛ فلَمَّا استنظره رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبره بالذي يرجو من ربه أن يأذن له بالخروج ، حبسهما وعاتفهما ، انتظاراً صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أسمعهما ، فلما حبس عليه خروج النبي صلى الله عليه وسلم ، قال أبو بكر : أتطمع أن يؤذن لك ؟ قال : نعم ؛ فانتظره فكث بذلك^(٢) .

فأخبرتني عائشة ، أنهم بينا هم ظهراً في بيتهم ، وليس عند أبي بكر إلا ابتاه : عائشة وأسماء ؛ إذا هم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين قام قائم الظهيرة - وكان لا يخطئه يوماً أن يأتي بيت أبي بكر أول النهار وآخره - فلما رأى أبو بكر النبي صلى الله عليه وسلم جاء ظهراً ، قال له : ما جاء بك يا نبي الله إلا أمرٌ حدث ؟ فلَمَّا دخل عليهم النبي صلى الله عليه وسلم البيت ، قال لأبي بكر : أخرج مَنْ عندك ، قال : ليس علينا عيّن ، إنما ابتأى ، قال : إن الله قد أذن لي بالخروج إلى المدينة ، فقال أبو بكر : يا رسول الله ، الصحابة ، الصحابة ! قال : الصحابة . قال أبو بكر : خذ إحدى الراحلتين - وهما الراحلتان اللتان كان يُعلفهما أبو بكر ، يُعدّهما للخروج ، إذا

(١) م : « قبل » .

(٢) ح : « فكثا كذلك » .

أذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم - فأعطاه إحدى الراحلتين ، فقال :
 خذها يا رسول الله^(۱) فارتحلها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم . قد أخذتها
 بالثمن ، وكان عامر بن فهيرة مؤلداً^(۲) من مؤلدى الأزدي ، كان للطفيل
 ابن عبد الله بن سخبرة^(۳) ، وهو أبو الحارث بن الطفيل ، وكان أخا
 عائشة بنت أبي بكر وعبد الرحمن بن أبي بكر لأمتها ، فأسلم عامر بن فهيرة ،
 وهو مملوك لهم ، فاشتراه أبو بكر فأعتقه ، وكان حسن الإسلام ، فلما خرج
 النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ، كان لأبي بكر منيعة^(۴) من غنم
 تروح على أهله ، فأرسل أبو بكر عامراً في الغنم إلى ثور ، فكان عامر بن
 فهيرة يروح بتلك الغنم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغار في ثور ،
 وهو الغار الذي سماه الله في القرآن ، فأرسل بظهرهما رجلاً من بني عبد بن
 عدى ، حليفاً لقريش من بني ستم ، ثم آل العاص بن وائل ؛ وذلك
 العدوى يومئذ مشرك ، ولكنهما استأجراه ، وهو هاد بالطريق . وفي الليالي^(۵)
 التي مكثا^(۶) بالغار كان^(۷) يأتيهما عبد الله بن أبي بكر حين يمسى بكل
 نخير^(۸) بمكة ، ثم يصبح بمكة ويربع عامر الغنم كل ليلة ، فيحلبان ،
 ثم يسرح بكرة فيصبح^(۹) في رعيان الناس : ولا يفتن له ؛ حتى إذا
 هدأت عنهما الأصوات ، وأتاها أن قد سكبت عنهما ، جاءهما صاحبهما
 بغيريئهما^(۱۰) ، فانطلقا وانطلق معهما بعامر بن فهيرة يخدمهما ويعينهما ،
 يردفه أبو بكر ويعقبه على رحله ، ليس معهما أحد إلا عامر بن فهيرة ،

(۱) ح : بأبي أنت يا رسول الله .

(۲) ح : مولوداً .

(۳) ضبطه صاحب التقريب بفتح فسكون .

(۴) المنيحة : ذات اللبن . وفي الفائق : منحة .

(۵) ح : في الليالي .

(۶) ح : مكثا .

(۷) م : وكان .

(۸) ح ، ر : خير .

(۹) ح : فأصبح .

(۱۰) ح ، ه : بغيرهما .

وأخو بني عدى يهديهما الطريق ، فأجاز بهما في أسفل مكة^(١) ، ثم مضى ١٢٣٧/١
 بهما حتى حاذى بهما الساحل ، أسفل من عُسْفان ، ثم استجاز بهما حتى
 عارض الطريق بعد ما جاوز قُدَيْدًا ، ثم سلك الحرَّار^(٢) ، ثم أجاز على
 ثنية المرة^(٣) ، ثم أخذ على طريق يقال لها^(٤) المدبحة بين طريق عمق
 وطريق الروحاء ، حتى توافوا^(٥) طريق العرج ، وسلك ماء يقال له الغابر عن
 بين ركوبة ؛ حتى يتطلع على بطن ريم ، ثم جاء حتى قدم المدينة على بني
 عمرو بن عوف قبل القائلة . فحدثت أنه لم يبقَ فيهم إلا يومين - وتزعم
 بنو عمرو بن عوف أن قد أقام فيهم أفضل من ذلك - فاقتاد راحلته
 فاتبعته حتى دخل في دور بني النجار ، فأراه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم
 مرئياً كان بين ظهري دورهم .

وقد حدثنا ابن حميد، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن
 إسحاق ، قال : حدثني محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمي .
 قال : حدثني عروة بن الزبير ، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ،
 قالت : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لا يخطئه أحدٌ طرفي النهار
 أن يأتي بيت أبي بكر إما بكراً ، وإما عشية ؛ حتى إذا كان اليوم
 الذي أذن الله فيه لرسوله بالهجرة ، وبالحروج من مكة من بين ظهرائي
 قومه ، أتانا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالهاجرة ، في ساعة كان لا يأتي فيها .
 قالت : فلما رآه أبو بكر قال : ما جاء رسولُ الله صلى الله عليه وسلم
 هذه الساعة إلا لأمرٍ حدث . قالت : فلما دخل تأخر أبو بكر عن سريره
 فجلس رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وليس عند أبي بكر إلا أنا وأختي

(١) م : إلى أسفل مكة .

(٢) م : الحرار .

(٣) ثنية المرة ، موضع ذكره ياقوت . وفي ح : المرأة .

(٤) ر : له ؛ والطريق تذكر وتؤنث .

(٥) ط : ثم يوافق ، وما أثبتته من ح .

أسماء بنت أبي بكر ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أَخْرِجْ عَنِّي مَنْ عِنْدَكَ^(۱) ، قال : يا نبيَّ الله ، إنما هما ابنتاي ، وماذاك فذاك أبي وأُمِّي ! قال : إنَّ الله عزَّ وجلَّ قد أذن لي بالخروج والهجرة ، فقال أبو بكر : الصُّحْبَةُ يا رسول الله ، قال : الصُّحْبَةُ .

قالت : فوالله ما شعرتُ قطَّ قبل ذلك اليوم أن أحدًا يبكي من الفرح ؛ حتى رأيت أبا بكر يومئذ يبكي من الفرح . ثم قال : يا نبيَّ الله ، إنَّ هاتينِ راحلتاي^(۲) ، كُفْتُ أَعَدْتُهُمَا لَهَذَا . فاستأجرا عبد الله بن أرقم - رجلاً من بني الدَّيْلِ بن بكر ، وكانت أمه امرأةٌ من بني سَهْمِ بن عمرو ، وكان مشركاً - يَدْلُهُمَا عَلَى الطَّرِيقِ ، ودفعنا إليه راحلتيهما ، فكانتا^(۳) عنده يرعاها^(۴) لميعادهما ، ولم يعلم - فيما بلغني - بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدٌ حين خرج إلاَّ عليُّ بن أبي طالب وأبو بكر الصديق ، وآل أبي بكر ؛ فأما عليُّ بن أبي طالب فإنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني - أخبره بخروجه ، وأمره أن يتخلف بعده بمكة حتى يؤدِّيَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التي كانت عنده للناس ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بمكة أحدٌ عنده شيء يخشى عليه إلاَّ وضعه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لِمَا يُعْرَفُ مِنْ صِدْقِهِ وَأَمَانَتِهِ . فلَمَّا أَجْمَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلخروج أتى أبا بكر بن أبي قحافة ، فخرجا من خَوْخَةَ لأبي بكر في ظهر بيته ، ثم عمدا إلى غارِ بَثْوَرِ جَبَلِ بَاسْفَلِ مَكَّةَ ، فدخلاه ، وأمر أبو بكر ابنه عبد الله بن أبي بكر أن يسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره ، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون في ذلك اليوم من الخبر ، وأمر عامر بن فهيرة مولاة أن يرعى غنمه نهاره ، ثم يُرِيحُهَا عَلَيْهِمَا إِذَا أَمْسَى بِالْغَارِ . وكانت أسماءُ بنتُ أبي بكر تأتيهما من الطعام^(۵) إذا أُمستُ بما يصلحهما ، فأقام رسولُ الله

(۱) ح : « عندي » .

(۲) ح : « راحلتان » .

(۳) ح ، م : « فكانت » .

(۴) م : « يرعاها » .

(۵) ر : « بالطعام » .

صلى الله عليه وسلم في الغار ثلاثاً ، ومعه أبو بكر ، وجعلت قريش حين فقدوه مائة ناقة لمن يردّه عليهم ، فكان عبد الله بن أبي بكر يكون في قريش ومعهم ، ويستمع ما يأمرون به ، وما يقولون في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر ، ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر ، وكان عامر بن فهيرة مولى أبي بكر يرعى في رعيان أهل مكة ، فإذا أمسى أراح عليهما غنم أبي بكر ، فاحتلبا وذبحا ، فإذا غدا عبد الله بن أبي بكر من عندهما إلى مكة اتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم ، حتى يُعفى عليه ؛ حتى إذا مضت الثلاث ، وسكن عنهما الناس ، أتاهما صاحبهما الذي استأجرا ببيعيريهما ، وأتتهما ١٢٤٠/١ أسماء بنت أبي بكر بسفرتيهما ، ونسيت أن تجعل لها عصاما^(١) . فلما ارتحلا ذهبت لتعلق السفر^(٢) ، فإذا ليس فيها عصام فحلت نطاقها^(٣) ، فجعلته لها عصاماً ، ثم علقتها به - فكان يقال لأسماء بنت أبي بكر : ذات النطاقين ؛ لذلك - فلما قرّب أبو بكر الراحلتين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قرّب له أفضلهما ، ثم قال له : اركب فذاك أبي وأمتي ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني لا أركب بغيراً ليس لي ، قال : فهو لك يا رسول الله بأبي أنت وأمتي ! قال : لا ولكن ما الثمن الذي ابتعتها به ؟ قال : كذا وكذا ، قال : قد أخذتها بذلك ، قال : هي لك يا رسول الله ، فركبا فانطلقا ، وأردف أبو بكر عامر بن فهيرة موله خلفة بخدمتهما بالطريق^(٤) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : وحدثت عن أسماء بنت أبي بكر ، قالت : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر أتانا نفر من قريش ، فيهم أبو جهل بن هشام ، فوقفوا على باب أبي بكر ، فخرجت إليهم ، فقالوا : أين أبوك يا ابنة أبي بكر ؟ قلت : لا أدري والله أين أبي ! قالت : فرفع أبو جهل يده -

(١) العصام : ما تعلق به السفر وغيرها . (٢) السفر : طعام المسافر .
(٣) قال ابن هشام : « سمعت غير واحد من أهل العلم يقول : ذات النطاقين ؛ وتفسيره أنها لما أرادت أن تعلق السفر شقت نطاقها اثنين ، فعلقت السفر بواحد ، وانتطقت بالآخر » .
(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٢ - ٤

وكان فاششا خبيثا - فاطم خدتي لطمه طرح منها قرطبي . قالت : ثم انصرفوا
ومكثنا ثلاث ليال ، لاندرى أين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ حتى
أقبل رجل من الحزن ، من أسفل مكة يغنى بأبيات من الشعر غناء العرب
والناس يتبعونه ؛ يسمعون صوته وما يرونه ، حتى خرج من أعلى مكة ، وهو
يقول :

جَزَى اللهُ رَبُّ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ رَفِيقَيْنِ حَلَا خَيْمَتِي أُمَّ مَعْبِدٍ (۱)
هُمَا نَزَلَاها بِالهُدَى وَأُغْتَدُوا بِهِ فَأَفْلَحَ مَنْ أَمْسَى رَفِيقَ مُحَمَّدٍ ۱۲۴۱/۱
لِيَهْنِ بَنِي كَعْبٍ مَكَانُ فَتَاتِهِمْ وَمَعَدُّهَا لِلْمُؤْمِنِينَ بِمَرْصَدٍ

قالت : فلما سمعنا قرله عرفنا حيث وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وأن وجهه إلى المدينة ، وكانوا أربعة : رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وأبو بكر ، وعامر بن فهيرة ، وعبد الله بن أرقد دليلهما (۲) .

قال أبو جعفر : حدثني أحمد بن المقدم العجلي ، قال : حدثنا هشام
ابن محمد بن السائب الكلبي ، قال : حدثنا عبد الحميد بن أبي عبس بن
محمد بن أبي عبس بن جبر ، عن أبيه ، قال : سمعت قريش قائلا يقول في
الليل على أبي قبيس :

فَإِنْ يُسَلِّمِ السَّعْدَانِ يُصْبِحُ مُحَمَّدٌ بِمَكَّةَ لَا يَخْشَى خِلَافَ الْمُخَالِفِ
فَلَمَّا أَصْبَحُوا قَالَ أَبُو سَفْيَانَ : مَنْ السَّعْدَانِ ؟ سَعْدُ بَكْرٍ ، سَعْدُ
تَمِيمٍ ، سَعْدُ هُدَيْمٍ ! فَلَمَّا كَانَ فِي اللَّيْلَةِ الثَّانِيَةِ ، سَمِعُوهُ يَقُولُ :

أَيَا سَعْدُ سَعْدِ الْأَوْسِ كُنْ أَنْتَ نَاصِرًا وَيَا سَعْدُ سَعْدِ الْخَزْرَجِيِّنَ الْغَطَّارِ
أَجِيبَا إِلَى دَاعِيِ الْهُدَى وَتَمَنِّيَا عَلَى اللَّهِ فِي الْفِرْدَوْسِ مُنِيَّةَ عَارِفِ
فَإِنَّ ثَوَابَ اللَّهِ لِلطَّالِبِ الْهُدَى جَنَّاتٍ مِنَ الْفِرْدَوْسِ ذَاتِ رَفَارِفِ

(۱) قال ابن هشام : أم معبد بنت كعب من خزاعة .

(۲) الخبر في سيرة ابن -

فلما أصبحوا ، قال أبو سفيان : هو والله سعد بن معاذ وسعد بن عباد .

• • •

قال أبو جعفر : وقدِم دليلهُما بهما قباءَ ، على بنى عمرو بن عوف ، لثنتي عشرة ليلةً خلت من شهر ربيع الأول ، يوم الاثنين حين اشتد الضحى ، وكادت الشمس أن تعتدل .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، عن عبد الرحمن بن عويم بن ساعدة ، قال : حدثني رجال قومي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا : لما سمعنا بمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ، وتوكلنا قدومه^(١) ، كنا نخرج إذا صلبنا الصبح إلى ظاهر حرتنا ، ننتظر^(٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فوالله ما نبرح حتى تغلبنا الشمس على الظلال^(٣) ؛ فإذا لم نجد ظيلاً دخلنا بيوتنا ، وذلك في أيام حارة ؛ حتى إذا كان في اليوم الذي قدِم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم جلسنا كما كنا نجلس ؛ حتى إذا لم يبق ظل دخلنا بيوتنا . وقدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخلنا البيوت ، فكان أول من رآه رجل من اليهود ، وقد رأى ما كنا نصنع ، وإنا^(٤) كنا ننتظر قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصرخ بأعلى صوته : يا بني قبيلة^(٥) هذا جدكم قد جاء . قال : فخرجنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو في ظل نخلة ، ومعه أبو بكر في مثل سنه وأكثرنا من لم يكن رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك ، قال : وركبه الناس^(٦) ، وما نعرفه من أبي بكر ؛ حتى زال

(١) توكلنا قدومه : انتظرناه .

(٢) ر : « فنظر » .

(٣) ح : « القلال » .

(٤) ح : « وما » ، ر : « وإنا » .

(٥) بنو قبيلة ؛ هم الأنصار ؛ قبيلة : اسم جدة كانت لهم .

(٦) ركب الناس ، أى ازدحموا عليه .

الظلّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام أبو بكر ، فأظلمه بردائه ،
فعرّفناه عند ذلك ، فنزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - فيما يذكرون - على
كُثُوم بن هِدْم ، أخى بنى عمرو بن عَتَوْف ، ثم أحد بنى عُبَيْد ، ويقال :
بل نزل على سعد بن خَيْثَمَة .

ويقول مَنْ يذكُر أنه نزل على كُثُوم بن هدم : إنَّما كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم إذا خرج من منزل كُثُوم بن هِدْم ، جلس للناس فى بيت
سَعْد بن خَيْثَمَة ؛ وذلك أنه كان عَزَبًا لا أهلَ له ، وكان منازلُ العزّاب
من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين عنده ؛ فمن هنالك
يقال : نزل على سعد بن خَيْثَمَة ، وكان يقال لبيت سعد بن خَيْثَمَة : بيت
العزّاب ، فالله أعلم أى ذلك كان ، كلاً قد سمعنا .

ونزل أبو بكر بن أبى قُحافة على خُبَيْب بن أسّاف ، أخى بنى الحارث
ابن الخزرج بالسُّنْح ، ويقول قائل : كان منزله على خارجة بن زيد بن
أبى زُهَيْر ، أخى بنى الحارث بن الخزرج .

وأقام على بن أبى طالب رضى الله عنه بمكة ثلاث ليالٍ وأيامها ؛ حتى
أدّى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التى كانت عنده إلى الناس ؛
حتى إذا فرغ منها لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزل معه على كُثُوم
ابن هِدْم ، فكان على يقول : وإنَّما كانت إقامته بُقْبَاء على امرأة لا زوج لها
مسلمة ، ليلة أوليَّتين ، وكان يقول : كنتُ نزلت بُقْبَاء على امرأة لا زوج لها
مسلمة ، فرأيتُ إنسانًا يأتيها فى جتَوْف الليل ، فيضرب عليها بابها ، فتخرج
إليه فيعطئها شيئًا معه ، قال : فاستربتُ لشأنه ، فقلت لها : يا أمّة الله ،
مَنْ هذا الرجل الذى يضرب عليك بابك كل ليلة فتخرجين إليه ، فيعطئك شيئًا ،
ما أدرى ما هو ؟ وأنت امرأة مسلمة لا زوج لك ! قالت : هذا سهيل بن
حُنَيْف بن واهب ، قد عرف أنتى امرأة لا أحدَ لي ؛ فإذا أمسى عدا على أوثان
قومه فكسرها ، ثم ^(١) جامعنى بها ، وقال : احتطبي بهذا . فكان على بن

أبي طالب يَأْثُرُ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ حِينَ هَلَكَ عِنْدَهُ بِالْعِرَاقِ^(١) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلْمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي هَذَا الْحَدِيثَ عَلِيُّ بْنُ هِنْدٍ بْنُ سَعْدِ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

فَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقُبَاءٍ فِي بَنِي عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ يَوْمَ ١٢٤٥/١ الْاِثْنِينَ ، وَيَوْمَ الثَّلَاثَاءِ ، وَيَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ ، وَيَوْمَ الْخَمِيسِ ؛ وَأَسَّسَ مَسْجِدَهُمْ ؛ ثُمَّ أَخْرَجَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ؛ وَبَنُو عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ يَزْعَمُونَ أَنَّهُ مَكَثَ فِيهِمْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ : إِنَّ مَقَامَهُ بِقُبَاءٍ كَانَ بَضْعَةَ عَشْرَ يَوْمًا .

• • •

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَاخْتَلَفَ السَّلَفُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي مَدَّةِ مَقَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ بَعْدَ^(٢) مَا اسْتَنْبَى ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : كَانَتْ مَدَّةَ مَقَامِهِ بِهَا إِلَى أَنْ هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ عَشْرَ سِنِينَ .

• ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ :

حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ قَيْسِ الْمَدَنِيِّ - يُقَالُ لَهُ أَبُو زُكَيْرٍ - قَالَ : سَمِعْتُ رِبِيعَةَ بْنَ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ يَذْكَرُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُعِثَ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ ، فَأَقَامَ بِمَكَّةَ عَشْرًا .

حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ نَصْرِ الْأَمْلِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَيْدُ^(٣) اللَّهُ بْنُ مُوسَى ، عَنْ شَيْبَانَ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ؛ قَالَ : أَخْبَرْتَنِي عَائِشَةُ وَابْنُ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ١٠ ، ١١

(٢) ح : ٥٥٥ .

(٣) ر : ٥٥٥ .

لبث بمكة عشر سنين ، ينزل^(١) عليه القرآن .

حدثنا ابنُ المثنى ، قال : حدثنا عبد الوهاب ، قال : حدثنا يحيى
ابن سعيد ، قال : سمعتُ سعيد بن المسيّب ، يقول : أنزل على رسول الله صلى
الله عليه وسلم القرآن وهو ابن ثلاث وأربعين ، فأقام بمكة عشرًا .

حدثني أحمد بن ثابت الرازي ، قال : حدثنا أحمد ، قال : حدثنا
يحيى بن سعيد ، عن هشام ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : أنزل على
النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وأربعين سنة ، فكث بمكة عشرًا .

حدثني محمد بن إسماعيل ، قال : حدثنا عمرو بن عثمان الحمصي ،
قال : حدثنا أبي ، قال : حدثنا محمد بن مسلم الطائفي ، عن عمرو بن
دينار ، قال : هاجر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على رأس عشرين
مُخْرَجَه .

• • •

قال أبو جعفر : وقال آخرون : بل أقام بعد ما استنبي بمكة ثلاث عشرة
سنة .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن المثنى ، قال : حدثنا حجاج بن المنهال ، قال : حدثنا
حماد - يعني ابن سلمة - ، عن أبي جَمْرَةَ ، عن ابن عباس ، قال : أقام
رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه .

حدثني محمد بن خلف ، قال : حدثنا آدم ، قال : حدثنا حماد
ابن سلمة ، قال : حدثنا أبو جَمْرَةَ الضُّبَعِيّ ، عن ابن عباس ، قال :
بُعِثَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لأربعين سنة^(٢) ، وأقام بمكة ثلاث
عشرة سنة .

(١) ر : « ونزل » .

(٢) م : « لأربعين سنة بمكة » .

حدثني محمد بن معمر ، قال : حدثنا رَوْح ، قال : حدثنا زكرياء
ابن إسحاق ، قال : حدثنا عمرو بن دينار ، عن ابن عباس ، قال : مكث
رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاث عشرة سنة .

حدثني عبيد^(۱) بن محمد الوراق ، قال : حدثنا رَوْح ، قال : حدثنا
هشام ، قال : حدثنا عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : بُعِثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
لأربعين سنة ، فكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه ، ثم أمر^(۲)
بالمهجرة .

• • •

قال أبو جعفر : وقد وافق قول مَنْ قال : بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
لأربعين سنة ، وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة قول أبي قيس صرمة بن
أبي أنس ، أخى بنى عدى بن النخع . فى قصيدته التى يقول فيها ، وهو يصف
كرامة الله إياهم بما أكرمهم به من الإسلام ، ونزول نبي الله صلى الله عليه
وسلم : عليهم :

ثَوَى فِي قُرَيْشٍ بَضْعَ عَشْرَةَ حِجَّةً	بَذَرَ كُرُؤًا وَيَلْقَى صَدِيقًا مَوَاتِيًا ^(۳) !
وَيَعْرِضُ فِي أَهْلِ الْمَوَاسِمِ نَفْسَهُ	فَلَمْ يَرَ مَنْ يُؤْوِي ، وَلَمْ يَرَ دَاعِيَا
فَلَمَّا أَنَا أَظْهَرَ اللَّهُ دِينَهُ	فَأَصْبَحَ مَسْرُورًا بَطْنِيَّةَ رَاضِيَا
وَأَلْفَى صَدِيقًا وَأَطْمَأْنَنَتْ بِهِ النَّوَى	وَكَانَ لَهُ عَوْنًا مِنَ اللَّهِ بَادِيَا
يَقْصُ لَنَا مَا قَالَ نُوحٌ لِقَوْمِهِ	وَمَا قَالَ مُوسَى إِذْ أَجَابَ الْمُنَادِيَا
وَأَصْبَحَ لَا يَخْشَى مِنَ النَّاسِ وَاحِدَا	قَرِيبًا ، وَلَا يَخْشَى مِنَ النَّاسِ نَائِيَا
بَدَّلْنَا لَهُ الْأَمْوَالَ مِنْ جُلٍّ مَالَنَا	وَأَنْفُسَنَا عِنْدَ الْوَعَى وَاللَّيَا ^(۴)

(۱) ر : « عبيد الله » .

(۲) ح ، م : « أمره » .

(۳) الأبيات فى الاستيعاب ۳۲۳ .

(۴) بعده فى الاستيعاب :

نُعَادِي الَّذِي عَادَى مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ جَمِيعًا وَإِنْ كَانَ الْحَبِيبَ الْمَوَاتِيَا

وَنَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ لَا شَيْءَ غَيْرَهُ وَنَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ أَفْضَلُ هَادِيَا
فَأَخْبَرَ أَبُو الْقَيْسِ فِي قَصِيدَتِهِ هَذِهِ أَنَّ مَقَامَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فِي قَوْمِهِ قُرَيْشٍ كَانَ بَعْدَ مَا اسْتَنْبَى وَصَدَّعَ بِالْوَحْيِ مِنَ اللَّهِ بَضْعَ عَشْرَةَ
حِجَّةً .

• • •

وقال بعضهم كان مقامه بمكة خمس عشرة سنة :

• ذكر من قال ذلك :

حدثني بذلك الحارث ، عن ابن سعد ، عن محمد بن عمر ، عن إبراهيم بن
إسماعيل ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ واستشهد
بهذا البيت من قول أبي قيس صيرمة بن أبي أنس ، غير أنه أنشد ذلك :
ثَوَى فِي قُرَيْشٍ خَمْسَ عَشْرَةَ حِجَّةً يُذَكِّرُ لَوْ يَلْقَى صَدِيقًا مُوَاتِيًا^(۱)!

• • •

قال أبو جعفر : وقد روى عن الشعبي أن إسرائيل قرن برسول الله صلى
الله عليه وسلم قبل أن يوحى إليه ثلاث سنين . ١٢٤٩/١

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر
الواقدي ، قال : حدثنا الثوري ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي -
قال : وحدثنا إملاء من لفظه منصور عن الأشعث ، عن الشعبي - قال :
قرن إسرائيل بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين ، يسمع حسه ،
ولا يرى شخصه . ثم كان بعد ذلك جبريل عليه السلام . قال الواقدي :
فذكرت ذلك لمحمد بن صالح بن دينار ، فقال : والله يا بن أخي لقد سمعت
عبد الله بن أبي بكر بن حزم ، وعاصم بن عمر بن قتادة يتحدثان^(۲) في

(١) م : « مواليا » .

(٢) ح : « يتحدثان » .

المسجد ورجل عراقي يقول لهما هذا ، فأنكراه جميعاً وقالوا : ما سمعنا ولا علمنا إلا أن جبريل هو الذي قُرن به ، وكان يأتيه بالوحي من يوم نُسب إلى أن توفى صلى الله عليه وسلم^(١) .

حدثنا ابن المثنى ، قال : حدثنا ابن أبي عدي ، عن داود ، عن عامر ، قال : أنزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة ، فقرن بنبوته إسرافيل ثلاث سنين ، فكان يعلمه الكلمة والشيء ، ولم ينزل القرآن على لسانه ، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل عليه السلام ، فنزل القرآن على لسانه عشر سنين بمكة وعشر سنين بالمدينة .

قال أبو جعفر : فعلت الذين قالوا : كان مقامه بمكة بعد الوحي عشرًا عدواً ومقامه بها من حين أتاه جبريل بالوحي من الله عز وجل ، وأظهر الدعاء إلى توحيد الله . وعدت الذين . ر . كان مقامه ثلاث عشرة سنة من أول الوقت الذي استنبي فيه ، وكان إسرافيل المقرون به وهي السنون الثلاث التي لم يكن أمر فيها بإظهار الدعوة .

وقد روى عن قتادة غير القولين اللذين ذكرت ؛ وذلك ما حدثت عن روح بن عبادة ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : نزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانين سنين بمكة وعشرًا بعد ما هاجر ، وكان الحسن يقول : عشرًا بمكة وعشرًا بالمدينة .

(١) طبقات ابن سعد ١ : ١٩١ .

ذكر الوقت الذي عمل فيه التأريخ .

قال أبو جعفر : ولما قدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، أمر بالتأريخ فيما قيل . حدثني زكرياء بن يحيى بن أبي زائدة ، قال : حدثنا أبو عاصم ، عن ابن جريج ، عن أبي سلمة ، عن ابن شهاب ، أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة - وقد مها في شهر ربيع الأول - أمر بالتأريخ .

• • •

قال أبو جعفر : فذكر أنهم كانوا يؤرخون بالشهر والشهرين من مقدمته إلى أن تمت السنة ، وقد قيل إن أول من أمر بالتأريخ في الإسلام عمر بن الخطاب ، رحمه الله .

• ذكر الأخبار الواردة بذلك :

حدثني محمد بن إسماعيل ، قال : حدثنا أبو نعيم ، قال : حدثنا حبان ابن عليّ العنزريّ ، عن مجالد ، عن الشعبيّ ، قال : كتب أبو موسى الأشعريّ إلى عمر : إنه تأتينا منك كتب ليس لها تأريخ . قال : فجمع عمر الناس للمشورة ، فقال بعضهم : أرخ لمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال بعضهم : لمهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عمر : لابل نورخ لمهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن مهاجره فرق بين الحق والباطل .

حدثني محمد بن إسماعيل ، قال : حدثنا قتيبة بن سعيد ، قال : حدثنا خالد بن حيان أبو يزيد الخزاز ، عن فرات بن سلمان ، عن ميمون بن مهران ، قال : رفع إلى عمر صكّ حملته في شعبان ، فقال عمر : أي شعبان؟ الذي هو آت ، أو الذي نحن فيه ؟ قال : ثم قال لأصحاب رسول الله صلى الله

عليه وسلم : ضعوا للناس شيئاً يعرفونه ، فقال : بعضهم : اكتبوا على تاريخ الروم ، فقيل : إنهم يكتبون من عهد ذى القرنين ؛ فهذا يطول . وقال بعضهم : اكتبوا على تاريخ الفرس ؛ فقيل : إن الفرس كلما قام ملك طرح من كان قبله ؛ فاجتمع^(۱) رأيهم على أن ينظروا : كم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ؟ فوجدوه عشر سنين ؛ فكتب التاريخ من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثت عن أمية بن خالد وأبي داود الطيالسي ، عن قرّة بن خالد السدوسي ، عن محمد بن سيرين ، قال : قام رجل إلى عمر بن الخطاب فقال : أرخوا ، فقال عمر : ما «أرخوا» ؟ قال : شيء تفعله الأعاجم ، يكتبون في شهر كذا من سنة كذا ، فقال عمر بن الخطاب : حسن ، فأرخوا فقالوا : من أيّ السنين بدأ ؟ قالوا : من مبعثه ، وقالوا : من وفاته ؛ ثم أجمعوا^(۲) على الهجرة . ثم قالوا : فأىّ الشهور بدأ ؟ فقالوا : رمضان ، ثم قالوا : المحرم ، فهو منصرف الناس من حجّهم ؛ وهو شهر حرام ، فأجمعوا^(۳) على المحرم .

حدثني محمد بن إسماعيل ، قال : حدثني سعيد بن أبي مریم . وحدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : حدثنا أبي ، قال جميعاً : حدثنا عبد العزيز بن أبي حازم ، قال : حدثني أبو حازم ، عن سهل ابن سعد ، قال : ما أصاب الناس العدّة ؛ ما عدّوا من مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا من وفاته ، ولا عدّوا إلا من مقدّمه المدينة .

حدثني محمد بن إسماعيل ، قال : حدثنا سعيد بن أبي مریم ، قال : حدثنا يعقوب بن إسحاق ، قال : حدثني محمد بن مسلم ، عن عمرو بن دينار ، عن عبد الله بن عباس ، قال : كان التاريخ في السنة التي قدّم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وفيها ولد عبد الله بن الزبير .

(۱) م : « فاجمع » .

(۲) م : « اجتمعوا » .

(۳) م : « فاجتمعوا » .

حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكيم ، قال : حدثنا يعقوب ابن إسحاق بن أبي عباد ؛ قال : حدثنا محمد بن مسلم الطائفي ، عن عمرو ابن دينار ، عن ابن عباس ، قال : كان التأريخ في السنة التي قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ، فذكر مثله .

حدثني محمد بن إسماعيل ، قال : حدثنا قتيبة بن سعيد ، قال : حدثنا نوح بن قيس الطاحي ، عن عثمان بن مخصن ، أن ابن عباس كان يقول في : ﴿ وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ ، قال : الفجر هو المحرم ، فجر السنة .

حدثني محمد بن إسماعيل ، قال : حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ، قال : حدثنا يونس بن أبي إسحاق ، عن أبي إسحاق ؛ عن الأسود بن يزيد ، عن عبيد بن عمير ، قال : إن المحرم شهر الله عز وجل ، وهو رأس السنة ، فيه يكسى البيت ، ويؤرخ^(١) التأريخ ، وبضرب فيه الوريق ، وفيه يوم كان تاب فيه قوم ، فتاب الله عز وجل عليهم . ١٢٥٣/١

حدثني أحمد بن ثابت الرازي ، قال : حدثنا أحمد^(٢) ، قال : حدثنا روح بن عبادة ، قال : حدثنا زكرياء بن إسحاق ، عن عمرو بن دينار ، أن أول من أرخ الكتب يعلى بن أمية ، وهو باليمن ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة في شهر ربيع الأول ، وأن الناس أرخوا لأول السنة ؛ وإنما أرخ الناس لمقدم النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال علي بن مجاهد ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري . وعن محمد ابن صالح ، عن الشعبي ، قال^(٣) : أرخ بنو إسماعيل من نار إبراهيم عليه السلام إلى بنيان البيت ، حين بناه إبراهيم وإسماعيل ، ثم أرخ بنو إسماعيل من بنيان البيت ؛ حتى تفرقت^(٤) ، فكان كلما خرج قوم من تهامة أرخوا

(٢) هو أحمد بن حنبل .

(١) ح : « وتؤرخ التواريخ » .

(٣) ح : « قال » .

(٤) ر : « حين » .

بمخرجهم^(١) ، ومن بقي بتيهامة من بني إسماعيل يؤرخون من خروج سعد ونهيد وجهينة ، بني زيد ، من تيهامة ؛ حتى مات كعب بن لؤي ، فأرخوا من موت كعب بن لؤي إلى الفيل ؛ فكان التأريخ من الفيل ، حتى أرخ عمر ابن الخطاب من الهجرة ؛ وذلك سنة سبع عشرة أو ثمانى عشرة .

حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : حدثنا نعيم بن حماد ، قال : حدثنا الدراوردي ، عن عثمان بن عبيد الله بن أبي رافع ، قال : سمعتُ سعيد بن المسيّب ، يقول : جمع عمرُ بن الخطاب الناس ، فسألهم ، فقال : من أى يوم نكتب ؟ فقال عليّ عليه السلام : من يوم هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وترك أرض^(٢) الشرك ، ففعله عمر رضى الله عنه

قال أبو جعفر : وهذا الذى رواه عليّ بن مجاهد ، عمّن رواه عنه فى تأريخ بني إسماعيل غير بعيد من الحق ؛ وذلك أنّهم لم يكونوا يؤرخون على أمر معروف يعمل به عامتهم ، وإنما كان المؤرخ منهم يؤرخ بزمان قحمة^(٣) كانت فى ناحية من نواحي بلادهم ، ولزبنة أصابتهم ؛ أو بالعامل كان يكون عليهم ، أو الأمر الحادث فيهم ينتشر خبره عندهم ؛ يدلّ على ذلك اختلاف شعرائهم فى تأريخاتهم ؛ ولو كان لهم تأريخ على أمر معروف ، وأصل معمول عليه ، لم يختلف ذلك منهم .

ومن ذلك قول الربيع بن ضبّع الفزاريّ :

هَآنَذَا آمَلُ الْخُلُودَ وَقَدْ أَدْرَكَ عَقْلِي وَمَوْلَدِي حُجْرًا
أَبَا امْرِئِ الْقَيْسِ هَلْ سَمِعْتَ بِهِ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ طَالَ ذَا عُمْرًا

فأرخ عمره بحجر بن عمرو أبي امرئ القيس .

وقال نابغة بنى جعدة :

(١) ر ، م : « مخرجهم » .

(٢) ر : « أهل » .

(٣) القحمة ، بالضم : القحط الشديد ؛ وكذلك اللزبة .

فَمَنْ يَكُ سَائِلًا عَنِّي فَإِنِّي مِنَ الشُّبَّانِ أَرْمَانَ الْخُنَّانِ^(١)

فجعل النابغة تأريخه ما أرخ بزمان علة كانت فيهم عامة .

وقال آخر :

وَمَا هِيَ إِلَّا فِي إِزَارٍ وَعِلْقَةٍ مَفَارَ ابْنِ هَمَّامٍ عَلَى حَى خَشَمًا^(٢)

فكل واحد من هؤلاء الذين ذكرت تأريخهم في هذه الآيات ، أرخ على قرب زمان بعضهم من بعض ، وقرب وقت ما أرخ به من وقت الآخر ، بغير المعنى الذى أرخ به الآخر ؛ ولو كان لهم تأريخ معروف كما للمسلمين اليوم ولسائر الأمم غيرها ، كانوا إن شاء الله لا يتعدونه ؛ ولكن الأمر في ذلك كان عندهم إن شاء الله على ما ذكرت ؛ فأما قريش من بين العرب ؛ فإن آخر ما حصلت من تأريخها قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة على التأريخ بعام الفيل ؛ وذلك عام ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان بين عام الفيل والفجار عشرون سنة ، وبين الفجار وبناء الكعبة خمس عشرة سنة ، وبين بناء الكعبة ومبعث النبي صلى الله عليه وسلم خمس سنين .

١٢٥٥/١

قال أبو جعفر : وبُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين سنة ، وقرن بنبوته - كما قال الشعبي - ثلاث سنين : إسرائيل ؛ وذلك قبل أن يؤمر بالدعاء وإظهاره على ما قدمنا الرواية والإخبار به ، ثم قرن بنبوته جبريل عليه السلام بعد السنين الثلاث ، وأمره بإظهار الدعوة إلى الله ، فأظهرها ، ودعا إلى الله مقيماً بمكة عشر سنين ، ثم هاجر إلى المدينة في شهر ربيع الأول من سنة أربع عشرة من حين استنبي ، وكان خروجه من مكة إليها يوم الاثنين ، وقدمه المدينة يوم الاثنين ؛ لمضى اثنتى عشرة ليلة من شهر ربيع الأول .

(١) في اللسان : « وزمن الخنن زمن ماتت فيه الإبل » ، وأورد البيت .

(٢) البيت في اللسان (علق) من غير نسبة .

حدَّثني إبراهيم بن سعيد الجوهري ، قال : حدَّثنا موسى بن داود ، عن ابن لهيعة ، عن خالد بن أبي عمران ، عن حنث الصنعاني ، عن ابن عباس ، قال : ولد النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ، واستُنبي يوم الاثنين ، ورفع الحجر يوم الاثنين ، وخرج مهاجراً من مكة إلى المدينة يوم الاثنين ، ١٢٥٦/١ ، وقدم المدينة يوم الاثنين ، وقبض يوم الاثنين .

حدَّثنا ابن حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزهري ، قال : قدِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الاثنين ، لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول .

• • •

قال أبو جعفر : فإذا كان الأمرُ في تأريخ المسلمين كالذي وصفت ، فإنه وإن كان من الهجرة ، فإنَّ ابتداءهم إياه قبل مقدّم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة بشهرين وأيام ؛ هي اثنا عشر ؛ وذلك أنَّ أول السنة المحرم ، وكان قدومُ النبي صلى الله عليه وسلم المدينة ، بعد مُضي ما ذكرت من السنة ، ولم يُورخ التأريخ من وقت قدومه ؛ بل من أول تلك السنة .

ذكر ما كان

من الأمور المذكورة في أول سنة من الهجرة

قال أبو جعفر : قد مضى ذكرنا وقت مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، وموضعه الذي نزل فيه حين قدمها، وعلى من كان نزوله، وقد ذكر مكثه في الموضع الذي نزل^(١)، وخبر ارتحاله عنه. ونذكر الآن ما لم نذكر قبل مما كان من الأمور المذكورة في بقية سنة قدومه؛ وهي السنة الأولى من الهجرة. فمن ذلك تجميعه صلى الله عليه وسلم بأصحابه الجمعة، في اليوم الذي ارتحل فيه من قباء؛ وذلك أن ارتحاله عنها كان يوم الجمعة عامداً^(٢) المدينة، فأدركته الصلاة، صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف، ببطن واد لهم - قد اتخذ^(٣) اليوم في ذلك الموضع مسجداً - فيما بلغني - وكانت هذه الجمعة، أول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإسلام، فخطب في هذه الجمعة؛ وهي أول خطبة خطبها بالمدينة فيما قيل.

١٢٥٧/١

• • •

خطبة رسول الله

صلى الله عليه وسلم في أول جمعة جمعها بالمدينة

حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: حدثني سعيد بن عبد الرحمن الجمحي، أنه بلغه عن خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول جمعة صلاها بالمدينة في بني سالم بن عوف: الحمد لله، أحمده وأستعينه، وأستغفره وأستهديه، وأومن به ولا أكفره، وأعادى من يكفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله؛ أرسله بالهدى والنور والموعظة، على فطرة من الرسل، وقلته من

(١) ر: « نزل ». (٢) ح: « عامداً إلى المدينة ».

(٣) ح: « اتخذوا ».

العلم، وضلالة من الناس، وانقطاع من الزمان، ودنو من الساعة، وقرب من الأجل؛ من يطع الله ورَسُولَهُ فَقَدْ رَشِدَ، ومن يعصهما فقد غَوَى وفترط؛ وضلّ ضللاً لا بعيداً. وأوصيكم بتقوى الله، فإنه خير ما أوصى به المسلم المسلم؛ أن يحضه على الآخرة، وأن يأمره بتقوى الله، فاحذروا ما حذركم الله من نفسه، ولا أفضل من ذلك نصيحة، ولا أفضل من ذلك ذكراً؛ وإن تقوى الله لمن عمل به على وجل^(١) ومخافة من ربه، عتق صدق على ما تبغون من أمر الآخرة. ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمره في السر والعلانية، لا ينوي بذلك إلا وجهه الله يكن له ذكراً^(٢) في عاجل أمره، وذخراً فيما بعد الموت، حين يفتقر المرء إلى ما قدم، وما كان من سوي ذلك يودّ لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً، ويحذركم الله نفسه، والله رعوف بالعباد. والذي صدق قوله، وأنجز^(٣) وعده، لا خلف لذلك، فإنه يقول عز وجل: ١٢٥٨/١

﴿ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْمَبِيدِ ﴾^(٤). فاتقوا الله في عاجل أمركم وآجله في السر والعلانية، فإنه من يتق الله يكفر عنه سيئاته، ويعظم له أجراً، ومن يتق الله فقد فاز فوزاً عظيماً. وإن تقوى الله يوقى مقته، ويوقى عقوبته، ويوقى سخطه، وإن تقوى الله يبيض الوجه، ويرضى الرب، ويرفع الدرجة.

خذوا بحظكم، ولا تفرطوا في جنب الله؛ قد علمكم الله كتابه، ونهج لكم سبيله، ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين. فأحسنوا كما أحسن الله إليكم، وعادوا أعداءه، وجاهدوا في الله حتى جهاده هو اجتباكم وتمامكم المسلمين، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حتى عن بينة، ولا قوة إلا بالله. فأكثروا ذكر الله، واعملوا لما بعد اليوم، فإنه من يصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس، ذلك بأن الله يقضى على الناس ولا يقضون عليه، ويملك من الناس ولا يملكون^(٥)

(١) ح: «رجاء» . (٢) ح: «ذخراً وذكراً» .

(٣) ح: م: «ونجز» . (٤) سورة ق ٢٩ .

(٥) ر: «ما لا يملكون» .

منه ، الله أكبر ، ولا قوة إلا بالله العظيم ! .

• • •

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب ناقته ، وأرخى لها الزمام ، فجعلت لا تمرُّ بدار من دور الأنصار إلا دعاه أهلها إلى النزول عندهم ، وقالوا له : هلم يا رسول الله ! إلى العُدَّة والعُدَّة والمنعة ؛ فيقول لهم صلى الله عليه وسلم : خَلُّوا زِمَامَهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ ؛ حتى انتهى إلى موضع مسجده اليوم ، فبركت على باب مسجده^(١) ؛ وهو يومئذ مِرْبَدٌ^(٢) للغلامين يتيمين من بني النجار في حجر مُعَاذِ بْنِ عَفْرَاءَ ؛ يقال لأحدهما سهل وللآخر سهيل ، ابنا عمرو بن عباد ابن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار . فلما بركت لم ينزل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم وثبتت فسارت غير بعيد ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع لها زمامها لا يشنبيها به ؛ ثم التفت خلفها ، ثم رجعت إلى مبركها أول مرة ، فبركت فيه ووضعت جيرانها ، ونزل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاحتمل أبو أيوب رحله ، فوضعه في بيته ، فدعته الأنصار إلى النزول عليهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المرء مع رحله . فنزل على أبي أيوب خالد بن زيد بن كليب ، في بني غنم بن النجار^(٣) .

١٢٥٩/١

قال أبو جعفر : وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المِرْبَدِ لمن هو ؟ فأخبره مُعَاذُ بْنُ عَفْرَاءَ ، وقال : هو لیتيمين لي ، سأرضيهما . فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُبْنَى مَسْجِدًا ، ونزل على أبي أيوب ، حتى بنى مسجده ومساكنه . وقيل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترى موضع مسجده ، ثم بناه .

والصحيح عندنا في ذلك ، ما حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : حدثنا

(١) و : « المسجد » .

(٢) المربد : الموضع الذي يجفف فيه التمر .

(٣) الخبر في سيرة ابن هشام ٢ : ١١ ، ١٢ .

يزيد بن هارون، قال : أخبرنا حماد بن سلمة ، عن أبي التَّيَّاح ، عن أنس ابن مالك ، قال : كان موضع مسجدِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِبَنِي النَّجَّارِ ، وكان فيه نخلٌ وحِزْرٌ وقبورٌ من قبور الجاهليَّةِ ، فقال لهم رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ثامنوني^(١) به ، فقالوا : لا نبتغي^(٢) به ثمنًا إلا ما عند الله . فأمر^(٣) /١ : ٢٦٠ : رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالنَّخْلِ فَقَطَّعَ ، وبالْحِزْرِ فَأَفْسَدَ ، وبالقبورِ فَنَبَشَتْ ، وكان رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل ذلك يصلِّي في مرابضِ الغمِّ ، وحيث أدركته الصلاة .

قال أبو جعفر : وتولَّى بناء مسجدِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو بنفسه وأصحابه^(٣) من المهاجرين والأنصار .
وفي هذه السَّنة بُنِيَ مسجدُ قُبا .

وكان أوَّلَ من تُوْفِيَ بعد مقدِّمة المدينة من المسلمين - فيما ذكر - صاحبُ مَنْزِلِهِ كَلْثُومُ بنُ الْهَيْدَمِ ، لم يلبث بعد مقدِّمته إلا يسيرًا حتى مات .
ثم تُوْفِيَ بعده أسعدُ بنُ زُرَّارةٍ في سنة مقدِّمته ، أبو أمانة . وكانت وفاته قبل أن يَفْرُغَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من بناء مسجدِهِ ، بِالذَّبْحَةِ^(٤) وَالشَّهْقَةِ^(٥) . فحدَّثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : حدَّثنا سلمة ، قال : قال محمد ابنُ إسحاق . حدَّثني عبد الله بن أبي بكر ، عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن ، أن رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : بئس^(٦) الميِّتُ أبو أمانة لِيَهُودٍ وَمَنَافِقِ الْعَرَبِ ! يقولون : لو كان محمدٌ نبيًّا لم يمتُّ صاحبه ، ولا أمليكَ لِنَفْسِي وَلَا لِصَاحِبِي مِنَ اللهِ شَيْئًا^(٧) .

(١) ثامنوني به ؛ أي اجعلوا لها ثمنًا .

(٢) و : « لا نبتغي » .

(٣-٣) و : « وأصحابه المهاجرون » .

(٤) الذبحة : وجع في الحلق يخنق فيقتل .

(٥) الشهقة : الصيحة .

(٦) ر : « لبئس » .

(٧) سيرة ابن هشام ٢ : ١٩

وقد حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، عن معمر ، عن الزهري ، عن أنس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم كَوَى أسعد ابن زُرارة من الشوكة^(١) .

قال ابن حُميد ، قال سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثني عاصم ابن عمر بن قتادة الأنصاري أنه لما مات^(٢) أبو أمامة أسعد بن زُرارة ، اجتمعت بنو النجار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - وكان أبو أمامة نقيبهم - فقالوا : يا رسول الله ؛ إن هذا الرجل قد كان منّا حيث قد علمت ؛ فاجعل منّا رجلاً مكانه ، يقيم من أمرنا ما كان يقيمه ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنتم أحوالي وأنا منكم ؛ وأنا نقيبكم .

قال : وكثره رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يَخُصَّ بها بعضهم دون بعض ؛ فكان من فضل^(٣) بني النجار الذي تعدّ^(٤) على قومهم ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كان نقيبهم^(٥) .

وفي هذه السنة مات أبو أحيحة بماله بالطائف . ومات الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل السهمي فيها بمكة .

• • •

وفيها بتى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعائشة بعد مقدمه المدينة بثانية أشهر ؛ في ذى القعدة في قول بعضهم ، وفي قول بعض : بعد مقدمه المدينة بسبعة أشهر ، في شوال ، وكان تزوجها بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين بعد وفاة خديجة وهي ابنة ست سنين ، وقد قيل : تزوجها وهي ابنة سبع .

(١) الشوكة : حمرة تظهر في الوجه وغيره من الجسد . والخبر في نهاية ابن الأثير : ٤ : ٢٤٠ ، ٢٤١ .

(٢) ح : « أصيب » .

(٣) ح : « قصة بني النجار وفضلهم » .

(٤) ح : « يعدونه » . ر : « يعد » ، سيرة ابن هشام : « الذي يعدون » .

(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ١٩ .

حدثنا عبد الحميد بن بَيَّان السكري ، قال : أخبرنا محمد بن يزيد ، عن إسماعيل - يعني ابن أبي خالد - عن عبد الرحمن بن أبي الضحاك ، عن رجل من قُرَيْش ، عن عبد الرحمن بن محمد ، أن عبد الله بن صفوان وآخر ١٢٦٢/١ معه أتيا عائشة ، فقالت عائشة : يا فلان ؛ أسمعت حديث حفصة ؟ قال لها : نعم يا أم المؤمنين ، قال لها عبد الله بن صفوان : وما ذلك ؟ قالت : خلال في تسع لم تكن في أحد من النساء إلا ما آتى الله مريم بنت عمران ؛ والله ما أقول هذا فخراً على أحد من صواحيبي ، قال لها : وما هن (١) ؟ قالت : نزل الملكُ بصورتي ، وتزوجني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لسبع سنين ، وأهديتُ إليه لتسع سنين ، وتزوجني بكرة لم يشركه في أحد من الناس ، وكان يأتيه الوحي وأنا وهو في لحاف واحد ، وكنتُ من أحب الناس إليه (٢) ، ونزل في آية من القرآن كادت الأمة أن تهلك ، ورأيت جبريل ولم يره أحدٌ من نسائه غيري ، وقُبض في بيتي لم يره أحدٌ غير الملك وأنا

• • •

قال أبو جعفر : وتزوجها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - فيما قيل - في سؤال ، وبتى بها حين بنى بها في سؤال .

• ذكر الرواية بذلك :

حدثنا ابنُ بشار ، قال : حدثنا يحيى بن سعيد ، قال : حدثنا سفيان ، عن إسماعيل بن أمية ، عن عبد الله بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : تزوجني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في سؤال ، وبتى بي في سؤال . وكانت عائشة تستحبُّ أن يُبني بالنساء (٣) في سؤال .

(١) كذا في ر ، وفي ط : « هو » .

(٢) زاد بعدها ر : « وابنة أحب الناس إليه » .

(٣) كذا في ر ، وفي ط : « بنائها » .

حدثنا ابنُ وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن إسماعيل بن أمية ، عن عبد الله بن عروة ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : تزوجني رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في شوال ، وبني بي في شوال ، فأى نساء رسول الله كانت أحظني عنده مني ! وكانت عائشة تستحب أن يدخلَ بالنساء (١) في شوال .

قال أبو جعفر : وقيل : إنَّ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنى بها في شوال يوم الأربعاء ، في منزل أبي بكر بالسُّنح .

وفي هذه السنة بعثَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى بناته وزوجته سودة بنت زمعة ، زيد بن حارثة وأبا رافع ، فحملهن (٢) من مكة إلى المدينة .

ولما رجع - فيما ذكر - عبد الله بن أريقط إلى مكة أخبر عبد الله بن أبي بكر بمكان أبيه أبي بكر ، فخرجَ عبدُ الله بعيال أبيه إليه ، وصحبهم طلحة بن عبيد الله ، معهم (٣) أم رومان ، وهي أم عائشة ؛ وعبد الله بن أبي بكر حتى (٤) قدموا المدينة .

وفي هذه السنة زيد في صلاة الحَضْر - فيما قيل - ركعتان ، وكانت صلاة الحَضْر والسفر ركعتين ؛ وذلك بعد مقدم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة بشهر ، في ربيع الآخر ، لمضَى اثنتي عشرة ليلة منه (٥) ، زعم الواقدي أنه لا خلاف بين أهل الحجاز فيه .

• • •

وفيها - في قول بعضهم - وُلِدَ عبد الله بن الزبير . وفي قول الواقدي : وُلِدَ في السنة الثانية من مقدم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة في شوال .

(١) كذا في ر وفي ط : « بنائها » .

(٢) ر : « معهن » .

(٣) م : « حين » .

(٤) ر : « مضت منه » .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : قال محمد بن
عُمَرُ الواقدي : وُلِدَ ابنُ الزُّبَيْرِ بعد الهجرة بعشرين شهرًا بالمدينة .

١٢٦٤/١

قال أبو جعفر : وكان أولَ مولودٍ ولد من المهاجرين في دار الهجرة ،
فكبرَ - فيما ذُكِرَ - أصحابُ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين وُلِدَ ؛
وذلك أنَّ المسلمين كانوا قد تحدَّثوا أنَّ اليهود يذكرون أنَّهم قد سَحَرُواهم
فلا يُولَدُ لهم ؛ فكان تكبيرُهم ذلك سرورًا منهم بتكذيبِ الله اليهود
فيما قالوا من ذلك .

وقيل : إن أسماءَ بنتَ أبي بكر ، هاجرت إلى المدينة وهي حاملٌ به .

وقيل أيضًا : إنَّ النُّعْمَانَ بنَ بَشِيرٍ وُلِدَ في هذه السنة ؛ وإنَّه أولُ مولودٍ
وُلِدَ للأنصار بعد هجرة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليهم ؛ وأنكر ذلك
الواقدي أيضًا .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا الواقدي ،
قال : حدثنا محمد بن يحيى بن سهل بن أبي حشمة ، عن أبيه ، عن
جدِّه ، قال : كان أولَ مولودٍ من الأنصار^(١) النُّعْمَانُ بنُ بَشِيرٍ ؛ ولد بعد
الهجرة بأربعة عشر شهرًا ، فتوفى رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو ابن
ثمانين سنين ، أو^(٢) أكثر قليلاً .

قال : وولد النُّعْمَانُ قبل بدر بثلاثة أشهر أو أربعة .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن
عمر ، قال : حدثنا مُصْعَبُ بنُ ثابت ، عن أبي الأسود ، قال : ذُكِرَ
النُّعْمَانُ بنُ بَشِيرٍ عند ابنِ الزُّبَيْرِ^(٣) ، فقال : هو أسنُّ منِّي بستة أشهر .

قال أبو الأسود : ولد ابنُ الزُّبَيْرِ على رأس عشرين شهرًا من مهاجرة

(١) ز : « ولد للأنصار » .

(٢) م : « وأكثر » .

(٣) ح ، م : « عبد الله بن الزبير » .

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وولد النعمان على رأس أربعة عشر شهراً
في ربيع الآخر .

قال أبو جعفر : وقيل : إن المختار بن أبي عبيد الثقفي وزياد
ابن سميّة فيها ولدا .

• • •

قال : وزعم الواقدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد في هذه
السنة في شهر رمضان ، على رأس سبعة أشهر من مهاجره ، لحمزة بن
عبد المطلب لواءً أبيض في ثلاثين رجلاً من المهاجرين ، ليعترض^(١)
لعبيرات^(٢) قريش ، وأن حمزة لقي أبا جهل [بن هشام]^(٣) في ثلاثمائة
رجل ، فحجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني فافترقوا ، ولم يكن بينهم
قتال . وكان الذي يحمل لواء حمزة أبو مرثد .

١١٦٥/١

وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد أيضاً في هذه السنة ، على رأس
ثمانية أشهر من مهاجره في شوال ، لعبيدة بن الحارث بن المطلب بن
عبد مناف لواء أبيض ، وأمره بالمسير^(٤) إلى بطن رابع ، وأن لواءه كان
مع مسطح بن أثانة ، فبلغ ثنية المرة - وهي بناحية الجحفة - في ستين
من المهاجرين ، ليس فيهم أنصاري ، وأنهم التقوا هم والمشركون على ماء
يقال له أحياء ؛ فكان بينهم الرمي دون المسابقة^(٥) .

قال : وقد اختلفوا في أمير السرية ؛ فقال بعضهم : كان أبو سفيان بن
حزب ، وقال بعضهم : كان مكرز بن حفص .

قال الواقدي : ورأيت الثبت على أبي سفيان بن حرب ، وكان في مائتين
من المشركين .

(١) ر : « ليعرض » .

(٢) العيرات : جمع العير ؛ وهي الإبل التي تحمل الميرة ؛ لا واحد لها من لفظها ، قال سيوي .
« جمعوه بالألف والتاء لمكان التأنيث ؛ وحركوا الياء لمكان الجمع بالتاء » .

(٣) من ر .

(٤) م : « بالسير » .

(٥) المسابقة : التضارب بالسيف .

قال : وفيها عتقد رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لسعد بن أبي وقاص إلى الخَرَّارِ لواءً أبيضَ يحمله المقداد بن عمرو في ذى القعدة . وقال : حدثني أبو بكر بن إسماعيل ، عن أبيه ، عن عامر^(١) بن سعد ، عن أبيه ، ١٢٦٦/١ قال : خرجتُ في عشرين رجلاً على أقدامنا - أوقال : واحد^(٢) وعشرين رجلاً - فكُنَّا نكْمُنُ النَّهَارَ ، ونسير الليل حتى صَبَّحْنَا الخَرَّارَ صُبْحَ خَامِسَةِ ؛ وكان رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قد عهد إلى آلِ أَجَاوِزِ الخَرَّارِ ، وكانت العِيرُ قد سبقتني قبل ذلك بيوم ، وكانوا ستين ، وكان من مع سعد كلهم من المهاجرين .

• • •

قال أبو جعفر : وقال ابن إسحاق في أمر كلِّ هذه السرايا التي ذكرتُ عن الواقدي قوله فيها غير ما قاله الواقدي ، وأن ذلك كله كان في السنة الثانية من وقت التاريخ .

حدثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، قال : حدثتني محمد بن إسحاق ، قال : قدم رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينةَ في شهر ربيع الأول لاثنتي عشرة ليلة مضت عنه ، فأقام بها ما بقي من شهر ربيع الأول وشهر ربيع الآخر وجماديين ورجب وشعبان ورمضان وشوالاً وذا القعدة وذا الحجة - وولى تلك الحجة المشركون - والمحرم . وخرج في صفر غازياً على رأس اثني عشر شهراً من مقدمه المدينة ، لثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول ؛ حتى بلغ ودان ؛ يريد قريشا وبني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ؛ وهي غزوة الأبنواء ، فوادعته^(٣) فيها بنو ضمرة ؛ وكان الذي وادعاه منهم عليهم سيدهم كان في زمانه ذلك ، مخشي بن عمرو ، رجل^(٤) منهم .

(١) ح ٤ م : «عاصم» .

(٢) ح : « في واحد وعشرين » .

(٣) وادعته : سلمته وعاهدته ألا تحاربه .

(٤) ح : « ورجل » . . .

قال : ثم رجع رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة ، ولم يلقَ كَيْدًا ، فأقام بها بقيةَ صفرٍ وصدراً من شهر ربيع الأول^(١) .

١٢٦٧/١

وبعث في مقامه ذلك عبدةَ بن الحارث بن المطلب في ثمانين أو ستين راكبا من المهاجرين ؛ ليس فيهم من الأنصار أحدٌ ، حتى بلغَ أحياء (ماء بالحجاز بأسفل ثنية المرة) ، فلقِيَ بها جمعا عظيما من قريش ؛ فلم يكن بينهم قتال ؛ إلا أن سعد بن أبي وقاص قد رمى يومئذ بسهم ؛ فكان أول سهم رُمِيَ به في الإسلام .

ثم انصرف القوم عن القوم وللمسلمين حاميةً . وفَرَ مِنَ الشركين إلى المسلمين المقداد بن عمرو البهراقي حليف بني زُهرة ، وعُتْبة بن غزوان بن جابر حليف بني نوفل بن عبد مناف - وكانا مسلمين ؛ ولكنهما خرجا يتوصلان^(٢) بالكُفَّار إلى المسلمين - وكان على ذلك الجمع^(٣) عكرمة بن أبي جهل .

قال مُحَمَّد : فكانت رايةُ عبدة - فيما بلغني - أول راية عقدها رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الإسلام لأحد من المسلمين^(٤) .

وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : وبعض العلماء يزعم أن رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان بعثه حين أقبل من غزوة الأبياء قبل أن يصلَ إلى المدينة . قال : وبعث حمزة بن عبد المطلب في مقامه ذلك إلى سيف البحر من ناحية العيص في ثلاثين راكبا من المهاجرين ؛ وهي من أرض جهينة ليس فيهم من الأنصار أحدٌ ، فلقِيَ أبا جهل بن هشام بذلك الساحل في ثلاثمائة

(١) في السيرة : « قال ابن هشام : وهي أول غزوة غزاها » ، والخبر في السيرة ٢ : ٥٤ .

(٢) في ابن هشام : « ليتوصلا بالكفار » ؛ أي أنهما جمعا خروجهما مع الكفار وسيلة للوصول إلى المسلمين .

(٣) و : « ذلك الجمع من الشركين » .

(٤) الخبر في سيرة ابن هشام ٢ : ٥٥ .

راكب من أهل مكة ، فحجز بينهم متجدي بن عمرو الجهني ، وكان ١٢٦٨/١
مُؤادِعًا للفريقين جميعًا ، فانصرف القوم بعضهم عن بعض ، ولم يكن
بينهم قتال .

قال : وبعضُ القوم يقول : كانت راية حمزة أول راية عقدها رسول الله
صلى الله عليه وسلم لأحد من المسلمين ، وذلك أن بعثه وبعث
عبيدة بن الحارث كانا معًا ، فُسبَّه ذلك على الناس .

قال : والذي سمعنا من أهل العلم عندنا أن راية عبيدة بن الحارث
كانت أول راية عُقدت في الإسلام^(١) .

قال : ثم غزا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الآخر ،
يريد قريشًا ، حتى إذا بلغُ بواط من ناحية رَضْوَى رجع ولم يلتقَ
كيدًا ، فلبث بقية شهر ربيع الآخر وبعضَ جمادى الأولى^(٢) .

ثم غزا يريد قريشًا ، فسلك على نقب بني دينار بن النجار ، ثم
على فيفاء الخبَّار ، فنزل تحت شجرة بيطحاء ابن أزهَر ، يقال لها :
ذات الساق ، فصلَّى عندها ، فثمَّ مسجده . وصنِّعَ له عندها
طعامٌ فأكل منه وأكل الناس معه ، فموضع أثافي البرمة معلوم
هنالك . واستقَى^(٣) له من ماء به يقال له المُشِيرِب^(٤) . ثم ارتحل
فترك الخلائق^(٥) بيسار ، وسلك شعبة يقال لها شعبة عبد الله - وذلك اسمها
اليوم - ثم صبَّ لیسار ، حتى هبطَ يتلَّيل ، فنزل بمجمعه ومجتمع
الضبُّوعة ؛ واستقَى له من بئر بالضبُّوعة . ثم سلك الفرش ؛ فرش
ملل ، حتى لقي الطريق بصخيرات اليمام . ثم اعتدل به الطريق حتى

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٥٦

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٥٧ .

(٣) ط : « فاستقَى » ؛ وما أثبتته من ابن هشام .

(٤) ابن هشام : « المشرب » .

(٥) في ياقوت : « وكان لعبد الله بن أحمد بن جحش أرض يقال لها الخلائق بنواحي المدينة » .

نزل العُشَيْرَة من بطن يَنْبُع ، فأقام بها بقيَّة جُمَادَى الأولى ولياليَ من جُمَادَى الآخِرَة ، ووَادَع فيها بنى مُدَلِج وحلفاءهم من بنى ضَمْرَة . ثم رجع إلى المدينة ، ولم يلقَ كيداً .

وفى تلك الغزوة قال لعلى بن أبى طالب عليه السلام ما قال .

قال : فلم يُقِم رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين قَدِم من غَزْوَةِ العُشَيْرَة بالمدينة إلا لياليَ قلائل لا تَبْلُغ العَشْر ، حتى أغار كُرْزُ بن جابر الفِهْرِي على سَرَح المدينة ، فخرج رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في طلبه ، حتى بلغ وادياً يقال له سَفْوَان من ناحية بدر ، وفاتته كرز فلم يدركه ؛ وهى غزو بدر الأولى ؛ ثم رجع رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة ، فأقام بها بقيَّة جُمَادَى الآخِرَة ورجبَ وشعبان . وقد كان بعث فيما بين ذلك سعد بن أبى وقاص في ثمانية رهط (١) .

١٢٧٠/١

• • •

وزعم الواقدي أن في هذه السنة - أعنى السنة الأولى من الهجرة - جاء أبو قيس بن الأَسَلْت رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فعرض عليه رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الإسلام ، فقال : ما أحسنَ ما تدعو إليه ! أنظرُ في أمرى ، ثم أعود إليك . فلقبتهُ عبدُ الله بن أبى ، فقال له : كرهت والله حرب الخزرج ! فقال أبو قيس : لا أسلم (٢) سنة ؛ فمات في ذى القعدة .

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٥٨٠٥٧ .

(٢) ابن الأثير : إلى سنة .

ثم كانت السنة الثانية من الهجرة

فغزا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في قولِ جميعِ أهلِ السَّيِّر - فيها ، في ربيعِ الأوَّلِ بنفسه غَزْوَةَ الأَبْوَاء - ويقالُ وَدَّان - وبينهما ستَّةُ أميالٍ هي بحدائِها ؛ واستخَلَفَ رسولُ اللهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على المدينة حينَ خرج إليها سعدُ بنُ عُبَادَةَ بنِ دُلَيْمٍ . وكان صاحبَ لوائه في هذه الغزاة حمزة بن عبد المطلب ، وكان لوائه - فيما ذكر - أبيض .

وقال الواقدي: كان مقامه بها خمسَ عشرة ليلة ، ثم قدِمَ المدينة.

• • •

قال الواقدي: ثم غزا رسولُ اللهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مائتين من أصحابه ؛ حتى بلغ بواط في شهر ربيعِ الأوَّلِ ؛ يعترضُ اِيعِرَاتِ قريش ، وفيها أمية بن خلف ومائة رجلٍ من قريش ، وألفان وخمسمائة يعير . ثم رَجَعَ ولم يَلْتَقِ كيداً .

وكان يحملُ لواءه سعدُ بنُ أبي وقاص ، واستخلف على المدينة سعدُ ابن معاذ في غزواته هذه .

• • •

قال^(١): ثم غزا في ربيعِ الأوَّلِ في طلبِ كُرْزَيْنِ بنِ جابرِ الفِهْرِيِّ في المهاجرين ، وكان قد أغار على سَرَح^(٢) المدينة ، وكان يرعى^(٣) بالجماءِ فاستاقه ، فطلبه رسولُ اللهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى بلغ بدرًا فلم يلحقه ؛ وكان يحملُ لواءه عليُّ بنُ أبي طالب عليه السلام . واستخلف على المدينة زيدَ بن حارثة .

(١) ح : « قال الواقدي » . (٢) السرح : المال السارح ، ولا يسمى من الأموال سرحاً إلا ما يغنى به ويراح . (٣) ح ، ر : « وكانت ترعى » .

[غزوة ذات العُشيرة]

قال : وفيها خرج رسولُ الله صَلَّى عليه وسلَّم يعترض لِعَبِيرَات قريش حين أبدأت^(١) إلى الشَّام في المهاجرين - وهي غزوة ذات العُشيرة - حتى بلغ يَنْبُوع ؛ واستخلف على المدينة أبا سلَمة بن عبد الأسد ؛ وكان يحمل لواءه حمزة بن عبد المطلب . فحدثنا سليمان بن عمر بن خالد الرقي ، قال : حدثنا محمد بن سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن يزيد بن خُثَيْم^(٢) ؛ عن محمد بن كعب القرظي ؛ قال : حدثنا أبوك يزيد بن خُثَيْم ، عن عمَّار بن ياسر ، قال كنت أنا وعلى رفيقين مع رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم في غزوة العُشيرة ، فنزلنا منزلاً ، فرأينا رجالاً من بني مُدَلِج يعملون في نخل لهم ، فقلت : لو انطلقنا فنظرنا إليهم كيف يعملون ، فانطلقنا فنظرنا إليهم ساعة ، ثم غَشِينَا النُّعَامُس ، فعمدنا إلى صَوْر^(٣) من النخل ؛ فقمنا تحته في دُقْعَاء^(٤) من التراب ، فما أيقظنا^(٥) إلا رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ، أتانا وقد تَتَرَبَّنَا في ذلك التراب ، فحرك علياً^(٦) برجله ، فقال : قم يا أبا تراب ، ألا أخبرك بأشقى الناس؟ أحمر ثمود عافر الناقة ، والذي يضربك [يا علي]^(٧) على هذا

١٢٧٢/١

(١) يقال : أبدأ من أرض إلى أرض أخرى ، وبدأ ؛ إذا خرج منها إلى غيرها .

(٢) في ابن هشام : « يزيد بن محمد بن خثيم » .

(٣) الصور : جماع النخل ، ولا واحد له من لفظه .

(٤) الدُقْعَاء : التراب اللين .

(٥) في ابن هشام : « فوالله ما أهبنا إلا رسول الله » ؛ وأهبنا : أيقظنا .

(٦) ح : « فحرك علياً » ، وفي ابن هشام : « يحركنا برجله » .

(٧) من سيرة ابن هشام .

— یعنی قرآنہ — فیخضب^(١) هذه منها ؛ وأخذ بلحيته^(٢) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني يزيد بن محمد بن خثيم^(٣) المحاربي ، عن محمد ابن كعب القرظي ، عن محمد بن خثيم — وهو أبو يزيد — عن عمارة بن ياسر ، قال : كنت أنا وعلي رقيقين ، فذكر نحوه .

وقد قيل في ذلك غير هذا القول ؛ وذلك ما حدثني به محمد بن عبيد المحاربي ، قال : حدثنا عبد العزيز بن أبي حازم ، عن أبيه ، قال : قيل لسهل^(٤) بن سعد : إن بعض أمراء المدينة يريد أن يبعث إليك تسباً علياً^(٥) عند المنبر ، قال : أقول ماذا ؟ قال : تقول : أبا تراب ، قال : والله ما سمّاه بذلك^(٦) إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : قلت : وكيف ذاك يا أبا العباس ؟ قال : دخل عليّ علي فاطمة ، ثم خرج من عندها ، فاضطجع في فتيء المسجد . قال : ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم علي فاطمة ، فقال لها : أين ابن عمك ؟ فقالت : هو ذاك مضطجع في المسجد ، قال : فجاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فوجده قد سقط رداؤه عن ظهره ، وخلّص التراب إلى ظهره ، فجعل يمسح التراب عن ظهره ، ويقول : اجلس أبا تراب . فوالله ما سمّاه به إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ والله ما كان له اسم أحب إليه منه !

• • •

(١) ابن هشام : « حتى يبيل منها هذه » .

(٢) الخبر في سيرة ابن هشام ٢ : ٥٨ . قال السهيلي : « وأصح من ذلك ما رواه البخاري في جامعهم ؛ وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجده في المسجد نائماً ، وقد ترب جنبه ، فجعل يمسح التراب عن جنبه ويقول : قم أبا تراب ؛ وكان قد خرج إلى المسجد مغاضباً لفاطمة . وهذا معنى الحديث ؛ وما ذكره ابن إسحاق من حديث عمار مخالف له ؛ إلا أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم كناه بها مرتين : مرة في المسجد ، ومرة في هذه الغزوة » .

(٣) كذا ضبطه صاحب التقريب ، بمعجمة ومثلثة ، مصفراً .

(٤) م : « سهل » . (٥) س : « علي » (٦) ر ، م : « ذلك » .

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة في صفر ، ليلال بيقين منه ، تزوج علي بن أبي طالب عليه السلام فاطمة رضي الله عنها ؛ حدثت بذلك ، عن محمد بن عمر ، قال : حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة ، عن إسحاق ابن عبد الله بن أبي فروة ، عن أبي جعفر .

• • •

[سرية عبد الله بن جحش]

قال أبو جعفر الطبري : ولما رجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من طلب كرز بن جابر الفهري إلى المدينة ، وذلك في جمادى الآخرة ، بعث في رجب (١) عبد الله بن جحش معه ثمانية رهط من المهاجرين (٢) ؛ ليس فيهم من الأنصار أحد ؛ فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني الزهري ويزيد بن رومان ؛ عن عروة بن الزبير ، بذلك .

• • •

وأما الواقدي فإنه زعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله ابن جحش سرية في اثني عشر رجلا من المهاجرين

• • •

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق ، عن الزهري ويزيد بن رومان ، عن عروة ، قال : وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم له كتاباً - يعني

١٢٧٤/١

(١) زاد ابن هشام : « مقله من بدر الأول » .

(٢) في ابن هشام : « وكان أصحاب عبد الله بن جحش من المهاجرين ثم من بني عبد شمس بن عبد مناف : أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ؛ ومن حلفائهم عبد الله ابن جحش ؛ وهو أمير القوم ، وعكاشة بن محسن بن حريثان ، أحد بني أسد بن خزيمه ؛ حليف لهم . ومن بني نوفل بن عبد مناف عتبة بن غزوان بن جابر ، حليف لهم . ومن بني زهرة بن كلاب سعد ابن أبي وقاص . ومن بني عدي بن كعب عامر بن ربيعة ؛ حليف لهم من عذر بن وائل ، وواقد بن عبد الله بن عبد مناف بن عرين بن ثعلبة بن يربوع ؛ أحد بني تميم ، حليف لهم ، وخالد بن البكير أحد بني سعد بن ليث حليف لهم . ومن بني الحارث بن فهر سهيل بن بيضاء » .

لعبد الله بن جحش - وأمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين ؛ ثم ينظر فيه فيمضي له أمره به ، ولا يستكره أحداً من أصحابه ، فلما سار عبد الله ابن جحش يومين ، فتح الكتاب ، ونظر فيه ، فإذا فيه : « وإذا نظرت في كتابي هذا ؛ فسير حتى تنزل نخله^(١) بين مكة والطائف ؛ فترصد بها قريشاً ، وتعلم لنا من أخبارهم . فلما نظر عبد الله في الكتاب ، قال : سمع وطاعة ؛ ثم قال لأصحابه : قد أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أمضي إلى نخله ، فأرصد بها قريشاً حتى آتية منهم بخبر ، وقد نهاني أن أستكره أحداً منكم ؛ فمن كان منكم يريد الشهادة ، ويرغب فيها فليطلق ، ومن كره ذلك فليرجع ؛ فأما أنا فاضل لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فمضى ومضى معه أصحابه ، فلم يتخلف عنه منهم أحد ، وسلك على الحجاز؛ حتى إذا كان بمعدن فوق الفرع^(٢) [يقال له ببحران]^(٣) ، أضل سعد بن أبي وقاص وعتبة بن غزوان بعيراً لهما كانا يعتقبانه^(٤) ، فتخلفا عليه في طلبه . ومضى عبد الله بن جحش وبقية أصحابه حتى نزل بنخله ، فرت به عير لقريش تحمل زيباً وأدماً وتجارة من تجارة قريش فيها ، منهم عمرو بن الحضرمي^(٥) ، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة وأخوه نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزوميان ، والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة . فلما رأهم القوم هابوهم ؛ وقد نزلوا قريباً منهم ، فأشرف لهم عكاشة بن محصن - وقد كان حلق رأسه - فلما رأوه أمينوا ، وقالوا : عسار^(٦) لا بأس عليكم منهم^(٧) . وتشاور القوم فيهم ؛ وذلك في آخر يوم من رجب ؛

(١) و : « بنخله » .

(٢) كذا ضبطه ياقوت ، بضم أوله وسكون ثانيه ؛ وقال السهيلي : هو بضمين .

(٣) من سيرة ابن هشام .

(٤) يعتقبانه ، أي يركبه هذا عجة وهذا عقة ، والمعقة : النوبة .

(٥) قال ابن هشام : « وأسم الحضرمي عبد الله بن عباد ، أحد الصدف ، واسم الصدف عمرو

ابن مالك . أحد السكون بن المغيرة بن أشرس بن كندة ، ويقال : كندی » .

(٦) عمار ، أي معتمرون ، والاعمار زيارة ألييت الحرام . (٧) ح : « منه » .

قال القوم : والله لئن تركتم القومَ هذه الليلة ليدخلنَ الحرمَ ؛ فليمتنعنَ به منكم ؛ ولئن قتلتموهم لتقتلنهم في الشهر الحرام . فتردد القوم ، وهاجوا الإقدام عليهم ؛ ثم تشجعوا^(١) عليهم ، وأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم ، وأخذ ما معهم ؛ فرمى واقد بن عبد الله التميمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله ، واستأسر عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان ، وأفلت نوفل بن عبد الله فأعجزهم ، وأقبل عبد الله بن جحش وأصحابه بالعبير والأسيرين ؛ حتى قدِموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة .

قال : وقد ذكر بعضُ آل عبد الله بن جحش ، أن عبد الله بن جحش ، قال لأصحابه : إن لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما غنمتم الخمسَ - وذلك قبل أن يفرض الله من الغنائم الخمس - فعزل لرسول الله صلى الله عليه وسلم خمسُ الغنيمة ، وقسم سائرها بين أصحابه ؛ فلما قدِموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام . فوقف للعبير والأسيرين ؛ وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً . فلما قال ذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سقط في أيدي القوم ، وظنوا أنهم قد هلكوا ، وعنتهم المسلمون فيها صنعوا . وقالوا لهم : صنعتم ما لم تؤمروا به ، وقاتلتم في الشهر الحرام ولم تؤمروا بقتال ! وقالت قريش : قد استحل محمدٌ وأصحابه الشهر الحرام ، فسفكوا فيه الدم وأخذوا فيه الأموال ، وأسروا فيه الرجال . فقال من يرد ذلك عليهم من المسلمين ممن كان بمكة : إنما أصابوا ما أصابوا في شعبان . وقالت يهود ؛ تفاعل^(٢) بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم : عمرو بن الحضرمي قتله واقد بن عبد الله : « عمرو » عمرت الحرب ، و « الحضرمي » حضرت الحرب ، و « واقد بن عبد الله » و « قدت الحرب ؛ فجعل الله عز وجل ذلك عليهم لا لهم^(٣) .

١٢٧٦/١

فلما أكثر الناس في ذلك أنزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه

(١) التفسير : « ثم شجعوا » .

(٢) و : « تفاعل » ؛ وى التفسير : « تفاعل » .

(٣) ح والتفسير : « وهم » .

وسلم : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ... ﴾ (١) الآية .
فلما نزل القرآن بهذا من الأمر وفرّج الله عن المسلمين ما كانوا فيه من
الشفق (٢) . قبض رسول الله صلى عليه وسلم العير والأسيرين (٣) .

وبعثت إليه قريش في فداء عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان ، فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : لا نُفديكموهما : حتى يتقدم صاحبانا - يعني سعد
ابن أبي وقاص وعتبة بن غزوان - فإننا نخشاكم عليهما ؛ فإن تقتلوهما نقتل
صاحبكم . فقدم سعد وعتبة ؛ ففاداهما (٤) رسول الله صلى الله عليه وسلم
منهم ؛ فأما الحكم بن كيسان فأسلم فحسن إسلامه ، وأقام عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل يوم بدر معونة شهيداً (٥) .

• • •

قال أبو جعفر : وخالف في بعض هذه القصة محمد بن إسحاق والواقدي
جميعاً السدي ؛ حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ،
قال : حدثنا أسباط ، عن السدي : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ
فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ ؛ وذلك أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية وكانوا سبعة نفر ؛ عليهم
عبد الله بن جحش الأسدي وفيهم عمارة بن ياسر ، وأبو حذيفة بن عتبة بن
ربيعة ، وسعد بن أبي وقاص ، وعتبة بن غزوان السلمى حليف لبني
نوفل ، وسهيل بن بيضاء ، وعامر بن فهيرة ، وواقد بن عبد الله
اليربوعي ؛ حليف لعمر بن الخطاب . وكتب مع ابن جحش كتاباً وأمره
ألا يقرأه حتى يتزل بطن مائل ؛ فلما نزل بطن مائل فتح الكتاب ؛
فإذا فيه : أن سير حتى تنزل بطن نخلة ؛ فقال لأصحابه : من كان يريد

(١) سورة البقرة ٢١٧ .

(٢) الشفق • الخوف والحذر .

(٣) الخبر إلى هنا في التفسير ٤ : ٣٠٢ - ٣٠٥ .

(٤) ابن هشام : « فاداهما » .

(٥) ابن هشام ٢ : ٥٩ ، ٦٠ .

الموت فليتمض وليُوصَ ؛ فإني مُوصٍ وماضٍ لأمر رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلم . فسار وتخلَّف عنه سعد بن أبي وقاص وعُتْبَةُ بن غزوان ، أضلاًّ راحلةً لهما ، فأتيا بُحْرانَ يطلبانِها ، وسار ابنُ جَحَشٍ إلى بطن نخلة ؛ فإذا هو بالحكمم بن كَيْسَانَ ، وعبد الله بن المغيرة ، والمغيرة بن عثمان ، وعمرو بن الحضرمي ؛ فاقتتلوا ، فأسرُوا الحكمم بن كَيْسَانَ وعبد الله بن المغيرة ، وانفلت^(١) المغيرة ، وقُتِلَ عمرو بن الحضرمي ، قتله واقد بن عبد الله . فكانت أوّلَ غنِمةٍ غَنِمَها أصحابُ محمدٍ صلَّى الله عليه وسلّم .

فلما رجعوا إلى المدينة بالأسيرين وما أصابوا من الأموال ؛ أراد أهل مكة أن يُفادوا الأسيرين ، فقال النبي صلَّى الله عليه وسلّم : حتّى ننظرَ ما فعل صاحبانا : فلما رجع سعد وصاحبه فادى بالأسيرين ، ففجّر^(٢) عليه المشركون ، وقالوا : محمد يزعم أنه يتبع طاعة الله^(٣) ، وهو أوّلُ من استحلَّ الشهر الحرام ، وقتل صاحبنا في رجب ! فقال المسلمون : إنّما قتلناه في جمادى - وقيل في أوّل ليلة من رجب وآخر ليلة من جمادى - وغمّد^(٤) المسلمون سيوفهم حين دخل رجب ؛ فأنزل الله عز وجل يُعَيِّرُ أهل مكة : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ . . . الآية^(٥) .

قال أبو جعفر : وقد قيل إن النبي صلَّى الله عليه وسلّم كان

(١) ح ، و : « وأفلت » .

(٢) و : « ففجر » .

(٣) م : « ربه » .

(٤) و : « أغمد » ؛ وغمد السيف وأغمده : أدخله في الغمد .

(٥) الخبر في التفسير ٤ : ٣٠٥ - ٣٠٦ .

انتدب^(١) لهذا المسير أبا عبيدة بن الجراح، ثم بدا له^(٢) فيه، فندب له عبد الله بن جحش.

• ذكر الخبر بذلك :

حدثنا محمد بن عبد الأعلى؛ حدثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، أنه حدثه رجل عن أبي السوار؛ يحدثه عن جندب بن عبد الله، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه بعث رهطاً، فبعث عليهم أبا عبيدة بن الجراح؛ فلما أخذ لينطلق بكى صباية^(٣) إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبعث رجلاً مكانه يقال له عبد الله بن جحش، وكتب له كتاباً وأمره ألا يقرأ الكتاب حتى يبلغ كذا وكذا: «ولا تكرهن^(٤) أحداً من أصحابك على السير^(٥) معك». فلما قرأ الكتاب استرجع، ثم قال: سمعاً وطاعة لأمر الله ورسوله! فخبّرهم بالخبر؛ وقرأ عليهم الكتاب، فرجع رجلاًن ومضى بقيتهم، فلقوا بن الحضرمي فقتلوه، ولم يدروا ذلك اليوم من^(٤) رجب أو من جمادى! فقال لمشركون للمسلمين: فعلتم كذا وكذا في الشهر الحرام! فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم، فحدثوه الحديث، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾، الفتنه هي الشرك.

وقال بعض الذين - أظنه قال - كانوا في السرية: والله ما قتله إلا واحداً؛ فقال: إن يكن خيراً فقد وليت؛ وإن يكن ذنباً فقد عميت^(٥).

• • •

ذكر بقية ما كان في السنة الثانية من سني الهجرة

ومن ذلك ما كان من صرف الله عز وجل قبلة المسلمين من الشام

(١) و: «ندب».

(٢) بدا له في الأمر بدوا وبداء؛ أي نشأ له فيه رأي آخر؛ ومنه قولهم: «هو ذو بدوات».

(٣) ر: «المسير».

(٤) التفسير: «ولم يدروا ذلك اليوم من رجب أو من جمادى».

(٥) كذا في م و التفسير، وفي ط «علمت» والخبر في التفسير ٤: ٣٠٦، ٣٠٧.

إلى الكعبة ، وذلك في السنة الثانية من مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة في شعبان .

• • •

واختلف السلف من العلماء في الوقت الذي صُرفت^(١) فيه من هذه السنة ؛ فقال بعضهم - وهم الجمهور الأعظم : صُرفت في النصف من شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا موسى بن هارون الهمداني ، قال : حدثنا عمرو بن حمّاد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي - في خبر ذكره - عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : كان الناس يصلون قبيل بيت المقدس ؛ فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة على رأس ثمانية عشر شهراً من مهاجره ، كان^(٢) إذا صلى رفع رأسه إلى السماء ينظر ما يؤمر ، وكان يصلي قبيل بيت المقدس ؛ فنسختها الكعبة ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحب أن يصلي قبيل الكعبة ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ... ﴾^(٣) ، الآية .

١٢٨٠/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : صُرفت القبلة في شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة .

وحدثت عن ابن سعد ، عن الواقدي مثل ذلك . وقال : صُرفت القبلة في الظهر يوم الثلاثاء للنصف من شعبان .

• • •

(١) ح : « صُرفت القبلة فيه » .

(٢) ط : « وكان » ، وما أثبتته من التفسير .

(٣) سورة البقرة ١٤٤ . والخبر في التفسير ٣ : ١٧٣ .

قال أبو جعفر : وقال آخرون : إنما صُرِفَت القبلة إلى الكعبة لسنة عشر شهراً مضت من سنِي الهجرة .

• ذكر من قال ذلك :

حدَّثنا المثنى بن إبراهيم الأمليّ، قال : حدَّثنا الحجاج، قال : حدَّثنا همام بن يحيى، قال : سمعتُ قتادة، قال : كانوا يصلُّون نحو بيت المقدس، ورسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بمكة قبل الهجرة، وبعد ما هاجر رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم صلَّى نحو بيت المقدس سنة عشر شهراً، ثم وُجِّه بعد ذلك نحو الكعبة البيت الحرام^(١).

حدَّثني يونسُ بن عبد الأعلى، قال : أخبرنا ابنُ وهب، قال : سمعتُ ابنَ زيد يقول : استقبلَ صلَّى الله عليه وسلَّم بيت المقدس سنة عشر شهراً، فبلغه أن يهودَ نسون : والله ما درى محمدٌ وأصحابه أين قبلتهم حتى هدَّ بناهم ! فكرِهَ ذلك النبي صلَّى الله عليه وسلَّم، ورفع وجهه إلى السماء، فقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ... ﴾^(٢) الآية .

• • •

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة فُرِضَ - فيما ذُكِرَ - صومُ رمضان . وقيل : إنَّه فُرِضَ في شعبان منها . وكان النبي صلَّى الله عليه وسلَّم حين قدِم المدينة، رأى يهودَ تصوم يومَ عاشوراء، فسألهم فأخبروه أنَّه اليوم الذي غرَّق الله فيه آلَ فرعون، ونجَّى موسى ومن معه منهم، فقال : نحنُ أحقُّ بموسى منهم . فصامَ وأمر الناس بصومه، فلما فُرِضَ صوم شهر رمضان، لم يأمرهم بصوم يوم عاشوراء، ولم ينههم عنه .

(١) الخبر في التفسير ٢ : ٥٢٩، مع اختلاف في الرواية .

(٢) الخبر في التفسير ٢ : ٥٢٩، ٥٢٦، مع اختلاف في الرواية .

وفيها أمر الناس بإخراج زكاة الفطر . وقيل إنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خطب الناس قبل [يوم] (١) الفطر بيوم أو يومين ، وأمرهم بذلك .
وفيها خرج (٢) إلى المصلى فصلَّى بهم صلاة العيد ؛ وكان ذلك أوَّلَ خَرَجَةٍ خرجها بالناس إلى المصلى لصلاة العيد .

وفيها - فيما ذكر - حُمِلَت العنزة (٣) له إلى المصلى فصلَّى إليها ، وكانت للزبير بن العوام - كان النجاشي وهبها له - فكانت تحمَلُ بين يديه في الأعياد ، وهي اليوم فيما بلغني عند المؤذنين بالمدينة .
وفيها كانت وقعة بدر الكبرى بين رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والكفار من قريش ؛ وذلك في شهر رمضان منها .

• • •

ثم اختلفوا في اليوم الذي فيه كانت الحرب بينه وبينهم ، فقال بعضهم :
كانت وقعة بدر يوم تسعة عشر من شهر رمضان .

١٢٨٢/١

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا هارون بن المغيرة ، عن عنبسة ، عن أبي إسحاق ، عن عبدالرحمن بن الأسود ، عن أبيه ، عن ابن مسعود ، قال :
التمسوا ليلة القدر في تسع عشرة ليلة من رمضان ؛ فإنها ليلة بدر .

حدثنا محمد بن عمار الأسدي ، قال : حدثنا عبيد الله بن موسى ، قال :
أخبرنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن حُجَّيْبِ الثعلبي ، عن الأسود

(١) من ح .

(٢) ح : « خرج النبي صلى الله عليه وسلم » .

(٣) في شرح مواهب القسطلاني للزرقاني (٣ : ٤٣٧) : « العنزة : بفتح المهملة والنون

والزاي ، قال الحافظ : عصا أقصر من الرمح يقال لها سنان ؛ وقيل : هي الحربة القصيرة ، وفي رواية : عصا عليها زج . وفي طبقات ابن سعد أن النجاشي أخذها للنبي صلى الله عليه وسلم ... ، وروى أنها للزبير أخذها من مشرك يوم أحد . ونقل عن ابن سيد الناس أن الزبير قدم بها من المشقة .

عن عبد الله ، قال : التمسوا ليلة القدر في تسع عشرة من رمضان ، فإن صبيحتها كانت صبيحة بدر .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عبيد بن محمد المحاربي ، قال : حدثنا ابن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن خارجة بن زيد ، عن زيد ، أنه كان لا يُحِبِّي ليلة من شهر رمضان كما يحبي ليلة تسع عشرة وثلاث وعشرين ، ويصبح وجهه مصفراً من أثر السهر ، فقيل له ، فقال : إن الله عز وجل فرّق في صبيحتها بين الحق والباطل .

• • •

وقال آخرون : كانت يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من شهر رمضان .
• ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن المنثى ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنا شعبة ، قال : سمعتُ أبا إسحاق يُحدث عن حُجَير ، عن الأسود وعلقمة ، أن (١) عبد الله بن مسعود ، قال : التمسوها في سبع عشرة . وتلا هذه الآية : ﴿ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ ﴾ (٢) ، يوم بدر ، ثم قال : أو تسع عشرة ، أو إحدى وعشرين .

حدثنا الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثنا الثوري ، عن الزبير بن عدي ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عبد الله ، قال : كانت بدر صبيحة تسع عشرة من رمضان .

حدثنا الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثنا محمد بن عمر ، قال : حدثنا الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن الأسود ، عن عبد الله مثله . قال الحارث : قال ابن سعد ، قال الواقدي : فذكرت ذلك لمحمد بن

(٢) سورة الأنفال ٤١ .

(١) ح : « عن » .

صالح ، فقال : هذا أعجب الأشياء ؛ ما ظننتُ أن أحدًا من أهل الدنيا شكَّ (١) في هذا ؛ إنها صبيحة سبع عشرة من رمضان (٢) ، يوم الجمعة .

قال محمد بن صالح : وسمعتُ عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد بن رومان ، يقولان ذلك . قال لي محمد بن صالح : يا بن أخي ، وما تحتاج إلى تسمية الرجال في هذا ! هذا أبينُ من ذلك (٣) ؛ ما يجهل هذا النساء في بيوتهن .

قال الواقدي : فذكرته لعبد الرحمن بن أبي الزناد ، فقال : أخبرني أبي ، عن خارجة بن زيد ، عن زيد بن ثابت ، أنه كان يُحني ليلة سبع عشرة من شهر رمضان ؛ وإن (٤) كان ليُصْبِحَ وعلى (٥) وجهه أثر السهر ، ويقول : فرّق الله في صبيحتها بين الحقِّ والباطل ، وأعزّ في صبيحتها (٦) الإسلام ، وأنزل فيها القرآن (٧) ، وأذلّ فيها أئمة الكفر .

١٢٨٤/١

وكانت وقعة بدر يوم الجمعة . حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يحيى ابن واضح ، قال : حدثني يحيى بن يعقوب أبو طالب ، عن أبي عوان محمد ابن عبيد الله الثقفي ، عن أبي عبد الرحمن السلميّ عبد الله بن حبيب ، قال : قال قال الحسن بن علي بن أبي طالب : كانت ليلة الفرقان يوم التقى الجمعان ، لسبع عشرة من رمضان .

وكان الذي هاج وقعة بدر وسائر الحروب التي كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين مشركي قريش - فيما قال عمرو بن الزبير - ما كان من قتل واقد بن عبد الله التميمي عمرو بن الحضرمي .

(١) و : « يشك » .

(٢) و : « من شهر رمضان » .

(٣) و : « ذلك » .

(٤) ر : « وأنه » .

(٥) م : « على » .

(٦) ح ، ر : « صبيحتها » .

(٧) ر ، و : « الفرقان » .

ذكر وقعة بدر الكبرى

حدثنا علي بن نصر بن علي ، وعبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث - قال علي : حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، وقال عبد الوارث : حدثني أبي - قال : حدثنا أبان العطار ، قال : حدثنا هشام بن عروة ، عن عروة ، أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان : أما بعد ، فإنك كتبت إلى في أبي سفيان ومخرجه ، تسألني كيف كان شأنه ؟ كان من شأنه أن أبا سفيان بن حرب أقبل من الشام في قريش من سبعين راكباً من قبائل قريش كلها ، كانوا ١٢٨٥/١ تجاراً بالشام ، فأقبلوا جميعاً معهم أموالهم وتجارتهم ، فذكروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ؛ وقد كانت الحرب بينهم قبل ذلك ، فقُتلت قتلى ، وقتل ابن الحضرمي في ناس بنخلة ، وأسيرت أسارى من قريش ، فيهم بعض بني المغيرة ، وفيهم ابن كيسان مولاهم ، أصابهم عبد الله بن جحش وواقد حليف بني عدى بن كعب ، في ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثهم مع عبد الله بن جحش ، وكانت تلك الوقعة هاجت الحرب بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش ، وأول ما أصاب به بعضهم بعضاً من الحرب ، وذلك قبل مخرج أبي سفيان وأصحابه إلى الشام . ثم إن أبا سفيان أقبل بعد ذلك ومن معه من ركبان قريش^(١) مقبلين من الشام ، فسلكوا طريق الساحل ، فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ندب أصحابه وحدثهم بما معهم من الأموال ، وبقلّة عددهم ، فخرجوا لا يريدون إلا أبا سفيان والركب معه ؛ لا يرونها إلا غنيمة لهم ؛ لا يظنون أن يكون كبير قتال إذا لقوهم ، وهي التي أنزل الله عز وجل فيها : ﴿ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾^(٢) .

فلما سمع أبو سفيان أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم معترضون له^(٣) ،

(١) الركبان والركب : أصحاب الإبل في السفر . وفي م : « رؤساء قريش » .

(٢) سورة الأنفال ٧ ، والخبر في التفسير ١٣ : ٣٩٩ .

(٣) ر ، و : « لهم » .

بعث إلى قريش : إنَّ محمدًا وأصحابه معترضون لكم ، فأجيزوا^(١) تجارتكم^(٢) . فلما أتى قريشًا الخبرُ - وفي غير أبي سفيان ؛ من بطن كعب ابن لؤي كلها - نفر لها أهل مكة ؛ وهي نفرة بني كعب بن لؤي ، ليس فيها من بني عامر أحدٌ إلا من كان من بني مالك بن حسل ؛ ولم يسمع بنفرة قريش رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه ؛ حتى قدم النبي صلى الله عليه وسلم بدرًا - وكان طريق ركبان قريش ؛ من أخذ منهم طريق الساحل إلى الشام - فخفض^(٣) أبو سفيان عن بدر ، ولزم طريق الساحل ، وخاف الرصد^(٤) على بدر ، وسار النبي صلى الله عليه وسلم ، حتى عرس قريشًا من بدر ، وبعث النبي صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام في عصابة من أصحابه إلى ماء بدر ، وليسوا^(٥) يحسبون أن قريشًا خرجت لهم ، فبينما النبي صلى الله عليه وسلم قائم يصلي ؛ إذ ورد بعض روايا^(٦) قريش ماء بدر ، وفيمن ورد من الروايا غلام لبني الحجاج أسود ؛ فأخذه النفر الذين بعثهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مع الزبير إلى الماء ، وأفلت بعض أصحاب العبد نحو قريش ، فأقبلوا به حتى أتوا به رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو في معرسته ، فسأله عن أبي سفيان وأصحابه ؛ لا يحسبون إلا أنه معهم ، فطفيق العبد يحدثهم عن قريش ومن خرج منها ، وعن رؤسهم ، ويصدقهم الخبر ؛ وهم أكره شيء إليهم الخبر الذي يخبرهم ؛ وإنما يطلبون حينئذ بالركب أبا سفيان وأصحابه ، والنبي صلى الله عليه وسلم يصلي ؛ يركع ويسجد يرى ويتسمع ما يُصنع^(٧) بالعبد ، فطفيقوا إذا ذكر لهم أنها قريش جاءتهم ، ضربوه وكذبوه ، وقالوا : إنما تكتمنا أبا سفيان وأصحابه ؛ فجعل العبد إذا

١٢٨٦/١

١٢٨٧/١

(١) و : « فأجيزوا » .

(٢) م : « فأخبروا تجارتكم » .

(٣) الخفض : السير اللين .

(٤) الرصد : المرتصدون المترقبون على الطريق .

(٥) و : « ليس » .

(٦) روايا : جمع راوية ، ويراد بالراوية هنا القوم يستقون الماء على الدواب .

(٧) م : « ما صنع » .

أذلقوه بالضرب^(١) وسألوه عن أبي سفيان وأصحابه^(٢) - وليس له بهم علم؛ إنما هو من رَوَايا قريش - قال : نعم ، هذا^(٣) أبو سفيان ، والركب حينئذ أسفل منهم^(٤) ؛ قال الله عز وجل : ﴿ إِذْ أَنْتُمْ بِالْمُدَوَّةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْمُدَوَّةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ﴾ - حتى بلغ - ﴿ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً ﴾^(٥) ، فطفقوا إذا قال لهم العبد : هذه قريش قد أتتكم ضربوه ، وإذا قال لهم : هذا أبو سفيان تركوه .

فلما رأى صنيعهم النبي صلى الله عليه وسلم انصرف من صلاته وقد سمع الذي أخبرهم ، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : والذي نفسي بيده ، إنكم لتضربونه إذا صدق ، وتركونه إذا كذب ! قالوا : فإنه يحدثنا أن قريشاً قد جاءت ، قال : فإنه قد صدق ؛ قد خرجت قريش تجير^(٦) ركبها ، فدعا الغلام فسأله فأخبره بقريش ، وقال : لا علم لي بأبي سفيان ، فسأله : كم القوم^(٧) ؟ فقال : لا أدري ؛ والله هم كثير عددهم^(٨) . فزعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : من أطعمهم^(٩) أول من أمس ؟ فسمي رجلاً أطعمهم ، فقال : كم جزائر نحر لهم^(١٠) ؟ قال : تسع جزائر ، قال : فمن أطعمهم أمس ؟ فسمي رجلاً ، فقال : كم نحر لهم ؟ قال : عشر جزائر ؛ فزعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : القوم ما بين التسعمائة إلى الألف . فكان نفرة^(١١) قريش يومئذ خمسين وتسعمائة .

١٢٨٨/١

(١) أذلقوه بالضرب : أضعفوه .

(٢) ساقط من ح ، م .

(٣) م : « هو » .

(٤) ر : « منكم » .

(٥) سورة الأنفال ٤٢ .

(٦) و : « تجيز » .

(٧) ح : « فسأله عن القوم » .

(٨) ر : « عدد كثير » .

(٩) ر : « أطعمكم » .

(١٠) و : « لكم » . والجزور : الناقة المحزورة . واجمع جزائر .

(١١) النفرة والنفر والنفير : النوم ينفرون إلى القتال .

فانطلق النبي صلى الله عليه وسلم فتزل الماء وملاً الحياض ، وصف عليها أصحابه ، حتى قدم عليه القوم . فلما ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرأ قال : هذه مصارعهم ؛ فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم قد سبقهم إليه ونزل عليه . فلما طلعا^(١) عليه زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : هذه قريش قد جاءت بجلبتها^(٢) وفخرها ؛ تحادك^(٣) وتكذب رسولك ! اللهم إني أسألك ما وعدتني .

فلما أقبلوا استقبلهم ، فحثا في وجوههم التراب ؛ فهزمتهم الله . وكانوا قبل أن يلقاهم النبي صلى الله عليه وسلم قد جاءهم راكب من أبي سفيان والركب الذين معه : أن ارجعوا^(٤) - والركب الذين يأمرون قريشاً بالرجعة بالجحفة - فقالوا : والله لا نرجع حتى ننزل بدرأ ، فنقيم به^(٥) ثلاث ليال ، ويرانا من غشينا من أهل الحجاز ؛ فإنه لن يرانا أحد من العرب وما جمعنا فيقاتلنا . وهم الذين قال الله عز وجل : ﴿ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ ﴾^(٦) ؛ فالتقوا هم والنبي صلى الله عليه وسلم ، ففتح الله على رسوله ، وأخزى أئمة الكفر وشق صدور المسلمين منهم^(٧) .

حدثني هارون بن إسحاق ، قال : حدثنا مصعب بن المقدام ، قال : حدثنا إسرائيل ، قال : حدثنا أبو إسحاق ، عن حارثة ، عن علي عليه السلام ، قال : لما قدمنا المدينة أصبنا من ثمارها ، فاجتوينها ، وأصابنا بها وعك ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخبر عن بدر ؛ فلما بلغنا أن المشركين قد أقبلوا سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر - وبدر بئر - فسبقنا المشركين إليها ، فوجدنا فيها رجلين ، منهم رجل من

١٢٨٩/١

(١) و : « اطلعوا » .

(٢) ح ، و : « بجليتها » .

(٣) ر ، م : « تجادل » .

(٤) في التفسير : « إنا أجزنا القوم ، وأن ارجعوا » .

(٥) و ، والتفسير : « فيه » .

(٦) سورة الأنفال ٤٧ .

(٧) الخبر ورد مفرقاً في التفسير ١٣ : ٤٤٣ ، ٥٧٨ .

قريش ، ومولتي لعقبة بن أبي معيط ؛ فأما القرشي فأنفلت^(١) ، وأما مولتي
عقبة فأخذناه ، فجعلنا تقول : كم القوم ؟ فيقول : هم والله كثير ،
شديد بأسهم ؛ فجعل المسلمون إذا قال ذلك ضربوه ، حتى انتهوا به إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : كم القوم ؟ فقال : هم والله كثير ،
شديد بأسهم ، فجهد النبي صلى الله عليه وسلم أن يخبره كم هم ، فأبى . ثم
إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله : كم ينحرون من الجزر ؟ فقال :
عشراً كل يوم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : القوم ألف .

ثم إنه أصابنا من الليل طش^(٢) من المطر ، فانطلقنا تحت الشجر
والحجف^(٣) نستظل تحتها من المطر ، وبات رسول الله صلى الله عليه وسلم
يدعو ربه : اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض . فلما أن
طلع الفجر نادى : الصلاة عباد الله ! فجاء الناس من تحت الشجر
والحجف . فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحرّض على
القتال . ثم قال : إن جمع قريش عند هذه الضلعة^(٤) من الجبل . فلما
أن دنا القوم منا وصافقناهم^(٥) ؛ إذا رجل من القوم على جمل أحمر يسير
في القوم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا علي ، ناد لي حمزة - وكان
أقربهم إلى المشركين - : من صاحب الجمل الأحمر ؟ وماذا يقول لهم ؟ وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن يكن في القوم من يأمر بالخير ؛ فعسى
أن يكون صاحب الجمل الأحمر ، فجاء حمزة ، فقال : هو عتبة بن ربيعة ؛
وهو ينهى عن القتال ، ويقول لهم : إنني أرى قوماً مستميتين لا تصلون^(٦)
إليهم وفيكم خير ؛ يا قوم اعصبوها اليوم برأسي ، وقولوا : جبن عتبة
ابن ربيعة ؛ ولقد علمتم أنني لست بأجبنكم .

(١) ر : « فأنفلت » .

(٢) الطش : المطر الصميف فوق الرذاذ .

(٣) الحجف : ضرب من الترس ؛ واحدها حجفة ؛ وهي من الجلود خاصة .

(٤) الضلعة : الجانب .

(٥) صاف القوم غيرهم في القتال مصافة ، أي وقفوا مصطفين .

(٦) و : « لا يوصل إليهم » .

قال : فسمع أبو جهل فقال : أنت تقول هذا ! والله لو غيرك يقول هذا لعضضته^(١) ! لقد ملئت رثتك وجوفك رعباً ، فقال عتبة : إيتاي تُعير يامصفر^(٢) استيه ! ستعلم اليوم أيننا أجبن !

قال : فبرز عتبة بن ربيعة وأخوه شيبه بن ربيعة . وابنه الوليد ، حمية ، فقالوا : من يبارز ؟ فخرج فتية من الأنصار ستة ، فقال عتبة : لا نريد هؤلاء ؛ ولكن يبارزنا من بني عمنا من بني عبد المطلب . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا علي قم ، يا حمزة قم ، يا عبيدة بن الحارث قم ، فقتل الله عتبة بن ربيعة وشيبه بن ربيعة والوليد بن عتبة . وجرح عبيدة بن الحارث ؛ فقتلنا منهم سبعين ، وأسرتنا منهم سبعين .

قال : فجاء رجل من الأنصار قصير بالعباس بن عبد المطلب أسيراً . فقال : يا رسول الله ؛ والله ما هذا أسرني ، ولكن أسرني رجل أجلح^(٣) من أحسن الناس وجهاً ، على فرس أبلق ، ما أراه في القوم ، فقال الأنصاري : أنا أسرته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد آزرك الله بملك كريم . قال علي : فأسير من بني عبد المطلب العباس وعقيل ونوفل بن الحارث .

حدثني جعفر بن محمد البرزوري ، قال : حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن حارثة ، عن علي ، قال : لما أن كان يوم بدر ، وحضر البأس اتقينا برسول الله ، فكان من أشد الناس بأساً ، وما كان منا أحد أقرب إلى العدو منه .

١٢٩١/١

حدثنا عمرو بن علي ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن حارثة بن مضرب^(٤) ، عن علي ، قال : سمعته

(١) ح : « لفصصته » .

(٢) مصفر استه ، قال السهيلي : « إنما أراد مصفر بدنه ؛ ولكنه قصد المبالغة في اللام ، فخص منه بالذكر ما يسوؤه أن يذكر » .

(٣) الجلح : انحسار الشعر عن جانبي الرأس ، وفوح : « أجلح للرأس » .

(٤) و : « مصرف » .

يقول : ما كان فينا فارسٌ يوم بدر غير مِقْدَاد بن الأسود ؛ ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائمٌ ، إلا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قائماً إلى شجرة يصلّي ، ويدعو حتى الصبح .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم سمعَ بأبي سفيان بن حربٍ مقبلاً من الشام في عيرٍ لقريشٍ عظيمة ، فيها أموال لقريشٍ وتجارة من تجاراتهم ؛ وفيها ثلاثون راكباً من قريش - أو أربعون - منهم مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة ، وعمرو بن العاص بن وائل بن هشام ابن سعيّد بن سهم .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : فحدثني محمد بن مسلم الزهري وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ويزيد بن رومان ؛ عن عروة وغيرهم من علمائنا ، عن عبد الله بن عباس . كلُّ قد حدثني بعض هذا الحديث ؛ فاجتمع حديثهم فيما سمعتُ من حديث بدر ، قالوا : لما سمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان مقبلاً من الشام ؛ ندب المسلمين إليهم ، وقال : هذه عيرُ قريشٍ فيها أموالهم ، فاخرجوا إليها . لعلَّ الله أن ينفلكموها ، فانتدب الناس فحَفَّ بعضهم وثقل بعضهم ؛ وذلك أنهم لم يظنوا أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يلقى حرباً ، وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسّس الأخبار ، ويسأل مَنْ لقي من الركبان تخوفاً على أموال الناس ؛ حتى أصاب خبراً من بعض الركبان ؛ أن محمداً قد استنفر أصحابه لك ولعيرك . فحذر عند ذلك ، فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري ، فبعثه إلى مكة ، وأمره أن يأتي قريشاً يستنفرهم إلى أموالهم ، ويخبرهم أن محمداً قد عرض لها في أصحابه ،

فخرج ضمضم بن عمرو سريعاً إلى مكة^(١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال ابن إسحاق :
 وحدثني من لا أتتهم ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، عن ابن عباس ويزيد
 ابن رومان ، عن عروة ، قال : وقد رأيت عاتكة بنت عبد المطلب قبل قدوم
 ضمضم مكة بثلاث ليال رؤيا أفزعتها ، فبعثت إلى أخيها العباس بن عبد المطلب
 فقالت له : يا أخي ، والله لقد رأيت الليلة رؤيا لقد أفضعتني^(٢) ، وتخوفت
 أن يدخل على قومك منها شرٌ ومصيبة ، فاكتم على^(٣) ما أحدثك [به]^(٤)
 قال لها : وما رأيت ؟ قالت : رأيت زاكباً أقبل على بعير له حتى وقف
 بالأبطح . ثم صرخ بأعلى صوته : أن^(٥) انفروا يا آل غدر^(٦) المصارعكم في
 ثلاث ! فأرى الناس^(٧) اجتمعوا إليه ، ثم دخل المسجد وال من يتبعونه ؛ فيناهم
 حوله مشل به بعيره على ظهر الكعبة ، ثم صرخ بأعلى صوته بمثلها : أن
 انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث ! ثم مثل به بعيره على رأس
 أبي قبيس ، فصرخ بمثلها ، ثم أخذ صخرة فأرسلها ، فأقبلت تهوى حتى
 إذا كانت بأسفل الجبل ارفضت^(٨) فما بقي بيت من بيوت مكة ، ولا دار من
 دورها إلا دخلت منها فليقة .

١٢٩٣/١

قال العباس : والله إن هذه لرؤيا رأيت فاكتمها ولا تذكرها لأحد .

- (١) سيرة ابن هشام ٢ : ٦١ .
 (٢) أفضتني : اشتدت على .
 (٣) ابن هشام : « اكتم عنى » .
 (٤) من سيرة ابن هشام .
 (٥) ابن هشام : « ألا انفروا » .
 (٦) كذا في ط ، بضم الغين وفتح الدال . وفي اللسان : « ورجل غادر وغدار وغدير وغدور ،
 وكذلك الأنثى بغير هاء ، وغدر (بضم الغين وفتح الدال) ، وأكثر ما يستعمل هذا النداء في
 الشتم ، يقال : يا غدر ، وفي الحديث : « يا غدر ، ألت أسمى في غدرتك ! » ، ويقال في الجمع :
 يا لغدر (بضم الغين وفتح الدال) ، ومنه حديث عاتكة : يا لغدر يا لفرج ! » . وقال السهيلي :
 « هو بضم الغين والدال ، جمع غدر » .
 (٧) في سيرة ابن هشام : « فأرى الناس اجتمعوا إليه ، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه ؛
 فيناهم حوله ، مثل به بعيره . ومثل به : قام به » .
 (٨) ارفضت : تفرقت .

ثم خرج العباس فلقى الوليد بن عتبة بن ربيعة - وكان له صديقاً - فذكرها له واستكتمه إياها ، فذكرها الوليد لأبيه عتبة ، ففشا الحديث ؛ حتى تحدثت به قريش [في أنديتها]^(١) .

قال العباس : فغدوت أطوف بالبيت وأبو جهل بن هشام في رهط من قريش قعودٌ يتحدثون برؤيا عاتكة ؛ فلما رآني أبو جهل ، قال : يا أبا الفضل ؛ إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا . قال : فلما فرغت أقبلتُ إليه حتى جلست معهم . فقال لي أبو جهل : يا بني عبد المطلب ؛ متى حدثتُ فيكم هذه النبئة ! قال : قلتُ : وما ذلك ؟ قال : الرؤيا التي رأت عاتكة ، قال : قلتُ : وما رأت ؟ قال : يا بني عبد المطلب ، أما رضيتم أن تنبأ رجالكم ، حتى تنبأ نساؤكم ! قد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال : انفروا في ثلاث ، فستربص بكم هذه الثلاث ؛ فإن يكن ما قالت حقاً فسيكون ، وإن تمضِ الثلاث ولم يكن من ذلك شيء ؛ نكتب عليكم كتاباً أنكم أكذب أهل بيت في العرب .

قال العباس : فوالله ما كان مني إليه كبير إلا أني جمحت ذلك وأنكرت أن تكون رأت شيئاً . قال : ثم تفرقنا ؛ فلما أمسيت لم تبق امرأة من بني عبد المطلب إلا أتتني ، فقالت : أقررتم لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم ، ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ؛ ثم لم يكن عندك غيرة لشيء مما سمعت ! قال : قلت : قد والله فعلت ؛ ما كان مني إليه من كبير ؛ وإيم الله لأتعرضن له ؛ فإن عاد لأكفينكموه^(٢) .

قال : فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة ، وأنا حديد مغضب ، أرى أن قد فاتني منه أمرٌ أحب أن أدركه منه .

قال : فدخلت المسجد فرأيت ؛ فوالله إنني لأمشي نحوه أتعرضه^(٣) ليعود لبعض ما قال فأقع به - وكان رجلاً خفيفاً حديد الوجه ، حديد اللسان ،

(١) من سيرة ابن هشام .

(٢) سيرة ابن هشام : « لأكفينكنه » .

(٣) ح : « أتعرض له » .

حديد النظر - إذ خرج نحو باب المسجد يشتد . قال : قلتُ في نفسي : ما له لعنه الله ! أكلَ هذا فرقاً من أن أشاتمهُ ! قال : وإذا هو قد سمع ما لم أسمع ؛ صوت ضمضم بن عمرو الغفاري ، وهو بصرخ يبطن الوادي واقفاً على بعيره ، قد جدَّع^(١) بعيره ، وحولَ رحلته ، وشقَّ قميصه ، وهو يقول : يا معشر قريش ، اللطيمة اللطيمة^(٢) ! أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه ، لا أرى أن تدركوها ؛ الغوث الغوث !

قال : فشغلني عنه وشغله عني ما جاء من الأمر . فتجهز الناس سراعاً ، وقالوا : أبطن محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمي ! كلاً والله ليعلمن غير ذلك . فكانوا بين رجلين : إما خارج ، وإما باعث مكانه رجلاً ، وأوعبت^(٣) قريش فلم يتخلف من أشرافها أحدٌ ؛ إلا أن أبا هب بن عبدالمطلب تخلف ، فبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة ؛ وكان لاط له^(٤) بأربعة آلاف درهم كانت له عليه ، أفلس بها ، فاستأجره بها على أن يجزي عنه بعته ، فخرج عنه وتخلف أبو هب^(٥) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي نَجِيح ، أن أمية بن خلف كان قد أجمع القعود ، وكان شيخاً جليلاً ثقيلاً ، فأتاه عقبه بن أبي معيط ، وهو جالس في المسجد بين ظهري قومه بمجمرة يحملها ، فيها نار ومجمر^(٦) ، حتى وضعها بين يديه ، ثم قال : يا أبا علي ، استجمر ، فإنما أنت من النساء ، قال : قبحك الله وقبح ما جئت به ! قال : ثم تجهز ، فخرج مع الناس ، فلما فرغوا من جهازهم ، وأجمعوا السير ؛ ذكروا ما بينهم وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب ، فقالوا : إنا نخشى أن يأتونا من خلفنا^(٧) .

١٢٩٦/١

(١) جدع بعيره : قطع أنفه .

(٢) اللطيمة : الإبل التي تجمل البز والطيب .

(٣) أوعب القوم : إذا خرجوا كلهم للغزو .

(٤) لاط له : أربى ، وفح والأغاني : « لط » .

(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٦١ ، ٦٢ ، والأغاني ٤ : ١٧١ - ١٧٤ (طبعة الدار)

(٦) المجمر : العود يتبخر به .

(٧) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٢ ، والأغاني ٤ : ١٧٤ ، ٢٧٥

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق ،
وحدثني يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير ، قال : لما أجمعت قريش
المسير ، ذكرت الذي بينها وبين بني بكر : فكاد ذلك أن يشنيهم . فتبدى
لهم إبليس في صورة سراقه بن جعشم المدلجى - وكان من أشرف كنانة -
فقال : أنا جار لكم من أن تأتيكم كنانة بشىء تكرهونه . فخرجوا سراعا^(١) .

قال أبو جعفر : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغنى عن
غير ابن إسحاق - لثلاث ليال خلتون من شهر رمضان في ثلثمائة وبضعة
عشر رجلا من أصحابه : فاختلف في مبلغ الزيادة على العشرة .
فقال بعضهم . كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر^(٢) رجلا .

ذكر من قال ذلك :

٢٩٧/١

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا أبو بكر بن عياش ، قال : حدثنا
أبو إسحاق^(٣) ، عن البراء ، قال : كنا نتحدث أن أصبحت بدر يوم
بدر^(٤) كعدة أصحاب طالوت ، ثلثمائة رجل وثلاثة عشر رجلا : ثلثين
جاوزوا النهر : فسكت .

حدثني محمد بن عبيد المحاربي ، قال : حدثنا أبو مالك الجنبى ، عن
الحجاج ، عن الحكم . عن ميسم . عن ابن عباس ، قال : كان المهاجرون
يوم بدر سبعة وسبعين رجلا : وكان الأنصار مائتين وستة وثلاثين رجلا .
وكان صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب عليه
السلام ، وصاحب راية الأنصار سعد بن عبادة^(٦) .

• • •

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٣ ، والأغانى ٤ : ١٧٥

(٢) و : « وعشرين » .

(٣) كذا فى ط ، و فى م : « ابن إسحاق » ، والصواب ما فى ط ، وأبو إسحاق من زوى عن
البراء بن عازب . تهذيب التهذيب ١ : ٤٢٥ .

(٤) و : « أنهم كانوا » .

(٥) كذا فى ط .

(٦) الأغانى ٤ : ١٧٥ .

وقال آخرون : كانوا ثلثمائة رجل وأربعة عشر ، من شهد منهم ، ومن ضُرب بسهمه وأجره ؛ حدثنا بذلك ابن حُمَيد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق .

وقال بعضهم : كانوا ثلثمائة وثمانية عشر .

وقال آخرون : كانوا ثلثمائة وسبعة .

• • •

وأما عامة السلف ؛ فإنهم قالوا : كانوا ثلثمائة رجل وبضعة عشر رجلا .

ذكر من قال ذلك :

١٢٩٨/١

حدثنا هارون بن إسحاق ، قال : حدثنا مُصعب بن المقدم ، وحدثني أحمد بن إسحاق الأهوازي ، قال : حدثنا أبو أحمد الزبيرى ، قال : حدثنا إسرائيل ، قال : حدثنا أبو إسحاق ، عن البراء ، قال : كنا نتحدث أن عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر - ولم يَجْزُ (١) معه إلا مؤمن - ثلثمائة وبضعة عشر .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا أبو عامر ، قال : حدثنا سُفيان ، عن أبي إسحاق ، عن البراء ، قال : كنا نتحدث أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يوم بدر ثلثمائة وبضعة عشر رجلا ، على عدة أصحاب طالوت ؛ مَنْ جاز معه النهر ؛ وما جاز معه إلا مؤمن .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبي ؛ عن سُفيان ، عن أبي إسحاق ، عن البراء ، بنحوه .

حدثنا إسماعيل بن إسرائيل الرملى ، قال : حدثنا عبد الله بن محمد ابن المغيرة ، عن مسعر ، عن أبي إسحاق ، عن البراء ، قال : عدة أهل بدر عدة أصحاب طالوت .

(١) م : • يكنه .

حدثني أحمد بن إسحاق ، قال : حدثنا أبو أحمد ، قال : حدثنا
مِسْعَرٌ ، عن أبي إسحاق ، عن البراء ، مثله .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن
قتادة ، قال : ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يوم
بدر : أنتم بعدة أصحاب طالوت يوم لقي جالوت ، وكان أصحاب نبي الله
صلى الله عليه وسلم يوم بدر ثلثمائة وبضعة عشر رجلاً .

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا
أسباط ، عن السدي ، قال : خلاص طالوت في ثلثمائة وبضعة عشر رجلاً ؛
عدة أصحاب بدر .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا
معمر ، عن قتادة ، قال : كان مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر ثلثمائة
وبضعة عشر رجلاً .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . قال : وخرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم في أصحابه ، وجعل على الساقة (١) قيس بن أبي صعصعة
أخا بني مازن بن النجار ، في لياك مضت من شهر رمضان ؛ فسار حتى إذا كان
قريباً من الصفراء ، بعث بسبب بن عمرو الجهني ، حليف بني ساعدة
وعدي بن أبي الزغباء الجهني حليف بني النجار إلى بدر ، يتحسان (٢) له
الأخبار عن أبي سفيان بن حرب وعبيد ، ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه
وسلم ؛ وقد قدمهما ؛ فلما استقبل الصفراء - وهي قرية بين جبلين - سأل
عن جبلَيْهما : ما أسماؤهما ؟ فقالوا لأحدهما : هذا مُسَلِّح ؛ وقالوا للآخر :
هذا مُخْرِي ؛ وسأل عن أهلَيْهما ، فقالوا : بنو النار وبنو حُرَّاق (بطنان
من بني غِفَار) ، فكرههما رسول الله صلى الله عليه وسلم والمرور بينهما ،

(١) ساقه الجيش : مؤخرته .

(٢) ابن هشام والأغاني : « يتحسان » ، والتجسس والتحسس : تطلب الأخبار والبحث عنها .

وتفاءل^(١) بأسمائهما وأسماء أهاليهما ؛ فركهما والصفراء^(٢) بيسار ، وسلك ذات اليمين على واد يقال له ذفيران ؛ فخرج منه حتى إذا كان ببعضه نزل .

وأناه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمتنعوا عيرهم ، فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم الناس ، وأخبرهم عن قريش ، فقام أبو بكر رضى الله عنه ، فقال فأحسن ، ثم قام عمر بن الخطاب فقال فأحسن ، ثم قام المقداد بن عمرو ، فقال : يا رسول الله ، امض لما أمرك الله ، فنحن معك ؛ والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾^(٣) ؛ ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون . فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى بئر الغيماد - يعنى مدينة الحبشة - لخالدنا معك من دونه حتى تبلغه . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ، ودعاً له بخير^(٤) .

• • •

حدثنا محمد بن عبید المحاربي ، قال : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم أبو يحيى ، قال : حدثنا المخارق ، عن طارق ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : لقد شهدت من المقداد مشهداً لأن أكون أنا صاحبه أحب إلى مما فى الأرض من شيء ؛ كان رجلاً فارساً ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غضب احمرت وجنتاه ؛ فأناه المقداد على تلك الحال^(٥) ، فقال : أبشر يا رسول الله ؛ فوالله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ ، ولكن والذي بعثك بالحق لنكونن من بين يديك ومن خلفك ، وعن يمينك وعن شمالك ، أو يفتتح الله لك^(٦) .

• • •

(١) الفأل فى الأصل ، ضد الطيرة ؛ وينقل إلى ما يكون صالحاً تجوزاً . وفى الحديث : « ويعجبني الفأل الصالح » ، قال فى اللسان : « وهذا يدل على أن الفأل منه ما يكون صالحاً ، ومنه ما يكون غير صالح » .

(٢) فى بعض النسخ : « الصفراء » . (٣) سورة المائدة ٢٤ .

(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٣ ، ٦٤ ، والأغانى ٤ : ١٧٦ ، ١٧٧ .

(٥) ج ، م : « ذلك الحال » . (٦) الأغانى ٤ : ١٧٧ .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أشيروا عليّ أيها الناس - وإنما يريد الأنصار ؛ وذلك أنهم كانوا عدد الناس ؛ وذلك أنهم حين بايعوه بالعقبة ، قالوا : يا رسول الله ؛ إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى دارنا ، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمامنا ؛ نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا ؛ فكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصرته ؛ إلا ممن دهمته بالمدينة من عدوه ، وأن ليس عليهم أن يسيرَ بهم إلى عدو من بلادهم - فلما قال ذلك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، قال له سعد بن معاذ : والله لكأنتك تريدنا يا رسول الله ! قال : أجل ، قال : فقد آمننا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا ؛ على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت ؛ فوالذي بعثك بالحق ، إن استعرضت^(١) بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ؛ ما تخلف منا رجلٌ واحد ؛ وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً ! إنا لتصبر عند الحرب ، صدق عند اللقاء ؛ لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ؛ فسر بنا على بركة الله .

١٣٠٢/١

فَسُرَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد ، ونشطه ذلك ، ثم قال : سيروا على بركة الله ، وأبشروا ؛ فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين ؛ والله لكأنتي الآن أنظر إلى مصارع القوم .

ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذفران ، فسلك على ثنايا يقال لها الأصافر^(٢) ، ثم انحط منها على بلد يقال لها الدببة ، وترك الحنان بيمين ؛ - وهو كتيب عظيم كالجبل - ثم نزل قريباً من بدر ، فركب هو ورجلٌ من أصحابه - كما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن محمد بن يحيى بن حبان - حتى وقف على شبيخ من العرب^(٣) ؛ فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه ، وما بلغه عنهم ، فقال

(١) استعرض البحر : أتاه من جانبه عرضاً . (٢) في بعض النسخ : « الصفراء » .

(٣) قال ابن هشام : « يقال ذلك الشيخ سفيان الضمري » .

١٣٠٢/١

الشيخ : لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتم ! فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إذا أخبرتنا أخبرناك ؛ فقال : وذلك بذاك ! قال : نعم ، قال الشيخ : فإنه بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان صدقني الذي أخبرني فهو اليوم بمكان كذا وكذا - للمكان الذي به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا ؛ فإن كان الذي حدثني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا - للمكان الذي به قريش - فلما فرغ من خبره ، قال : ممن أنتم ؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : نحن من ماء ؛ ثم انصرف عنه . قال : يقول الشيخ : « ما من ماءٍ ، أمينُ ماءٍ العِراقِ (١) ! »

ثم رجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه ؛ فلما أمسى بعث على ابن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص ، في نفرٍ من أصحابه إلى ماء بدرٍ يلتمسون له الخبر عليه - كما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، كما حدثني يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير - فأصابوا راويةً لقريش فيها أسلمٌ ؛ غلام بنى الحجاج ، وعريض أبو يسار ، غلام بنى العاص بن سعيد ؛ فأتوا بهما رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم قائمٌ يصلّي ؛ فسألوهما ، فقالا : نحن سقاة قريش ؛ بعثونا لنسقيهم من الماء ، فكره القوم خبرهما ، ورجوا أن يكونا لأبي سفيان ؛ فضربوهما ، فلما أذلقوهما قالوا : نحن لأبي سفيان ، فتركوهما ، وركع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وسجد سجدتين ، ثم سلم ، فقال : إذا صدقاكم ضربتموهما ، وإذا كذباكم تركتموهما ! صدقاً والله ! إنهما لقريش ؛ أخبراني : أين (٢) قريش ؟ قالوا : هم وراء هذا الكئيب الذي ترى بالعدوة القصوى - والكئيب : العقنقل - فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لهما : كم القوم ؟ قالوا : كثيرٌ ، قال : ما عدتهم ؟ قالوا : لا ندري ، قال : كم ينحرون كل يوم ؟ قالوا : يوماً تسعاً ويوماً عشراً ، قال رسول

١٣٠٤/١

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٥ ، والأغانى ٤ : ١٧٨ ، ١٧٩

(٢) سيرة ابن هشام : « عن قريش » .

الله صلى الله عليه وسلم : القوم ما بين التسعمائة والألف . ثم قال لهما رسولُ
الله صلى الله عليه وسلم : فَمَنْ فِيهِمْ مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ ؟ قال : مُتُّبَةُ بْنُ
رَبِيعَةَ ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَأَبُو الْبَخْتَرِيِّ بْنُ هِشَامٍ ، وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ ،
وَنُوفَلُ بْنُ خُوَيْلِدٍ ، وَالْحَارِثُ بْنُ عَامِرِ بْنِ نُوفَلٍ ، وَطُعَيْمَةُ بْنُ عَدِيِّ بْنِ
نُوفَلٍ ، وَالنُّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ ، وَزَمْعَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ ، وَأَبُو جَهْلٍ
ابن هشام ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ وَنُبَيْهَ ، وَمُنْبَهَةُ ابْنَةُ الْحِجَاكِ ، وَسُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو ،
وعمرو بن عبدود . فأقبل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على الناس ، فقال :
هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ^(١) كبدِها .

قالوا : وقد كان بسبب بن عمرو وعدي بن أبي الزغباء مضيًا حتى
نزلا بدرًا ، فأناخا إلى تل قريب من الماء ، ثم أخذا شئًا^(٢) يستقيان فيه -
ومجدى بن عمرو الجهني على الماء - فسمع عدي وبسبس جار يتين من
جوارى الحاضر^(٣) ؛ وهما تتلازمان^(٤) على الماء ؛ والملزومة^(٥) تقول لصاحبتهما :
إنما تأتي العيرُ غدًا أو بعد غد ، فأعمل لهم ثم أقضبك الذي لك . قال :
مجدى : صدقت ، ثم خلص بينهما ؛ وسمع ذلك عدي وبسبس ، فجلسا
على بعيريهما ، ثم انطلقا حتى أتيا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبراه
بما سمعنا .

وأقبل أبو سفيان قد تقدم العيرَ حذرًا حتى ورد الماء ، فقال لمجدى بن
عمرو : هل أحسنتَ أحدًا ؟ قال : ما رأيتُ أحدًا أنكره ؛ إلا أنى رأيتُ
راكبين أناخا إلى هذا التل ، ثم استقيا في شئ لهما ؛ ثم انطلقا . فأتى أبو سفيان
مناخهما ، فأخذ من أبعار بعيريهما فقتته ؛ فإذا فيه نوى^(٦) . فقال : هذه والله
علائف يثرب ! فرجع إلى أصحابه سريعًا ، فضرب وجه غيره عن الطريق ، فساحل

(١) الأفلاذ : القطع .

(٢) الشئ : الزق البالي .

(٣) الحاضر : القوم النازلون على الماء .

(٤) التلازم : تعلق الغريم بغريمه .

(٥) الملزومة : المدينة .

(٦) ابن هشام : النوى .

١٣٠٦/١ بها (١) ، وترك بدرأ يساراً ، ثم انطلق حتى أسرع .

وأقبلت قريش ، فلما نزلوا بالجحفة رأى جهيم بن الصلت بن مخزومة ابن المطلب بن عبد مناف رؤيا ، فقال : إني رأيتُ فيما يرى النائم ، وإنسى ليلين النائم واليقظان ، إذ نظرتُ إلى رجل أقبل على فرس حتى وقف معه بعير له ، ثم قال : قُتِلَ عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وأميمة بن خلف ، وفُلان وفلان ؛ فعَدَدَ رجالاً ممن قتل يومئذ من أشرف قريش ؛ ورأيتُه ضرب في لَبَّة بعيره ، ثم أرسله في العسكر ، فما بنى خبياء من أخبية العسكر . إلا أصابه نَضْعٌ (٢) من دمه .

قال : فبلغتُ أبا جهل ، فقال : وهذا أيضاً نبيٌ آخرٌ من بني المطلب ؛ سَيَعْلَمُ غداً مَنْ المقتول إن نحن التقينا !

١٣٠٧/١ ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره ، أرسل إلى قريش : إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم ؛ فقد نجَّاهما الله ، فارجعوا . فقال أبو جهل ابن هشام : والله لا نرجع حتى نرد بدرأ - وكان بدرٌ مؤسماً من مواسم العرب ، تجتمع لهم بها سوقٌ كل عام - فنقيم عليه ثلاثاً ، وننحترُ الحزُرَ ، ونطعمُ الطعام ، ونسقي الحُمور ، وتعرِّف علينا القيَّان ، وتسمع بنا العرب ؛ فلا يزالون يهابوننا أبداً ؛ فامضوا . فقال الأحنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي - وكان حليفاً لبني زُهرة وهم بالجحفة ؛ يا بني زُهرة ؛ قد نجى الله لكم أموالكم ، وخلَّص لكم صاحبكم مخزومة بن نوفل ؛ وإنا نقرم لتمنعه وماله ، فاجعلوا بي جُبَّتها وارجعوا ، فإنه لا حاجةَ بكم في أن تخرجوا في غير ضيعة ؛ لا ما يقول هذا - يعني أبا جهل - فرجعوا ؛ فلم يشهدوا زهرياً واحداً ؛ وكان فيهم مطاعاً . ولم يكن بنى من قريش بطن إلا نفر منهم ناس ، إلا بنى عدى بن كعب ، لم يخرج منهم رجلٌ واحداً ، فرجعت بنو زُهرة مع الأحنس بن شريق ، فلم يشهد بدرأ من هاتين القبيلتين أحداً . ومضى القوم .

(١) ساحل بها ، أى أخذ بها طريق الساحل .

(٢) نضج ، أى لطح .

قال : وقد كان بين طالب بن أبي طالب - وكان في القوم - وبين ١٣٠٨/١
بعض قريش مجاورة^(١) ، فقالوا : والله لقد عرّفنا يا بني هاشم - وإن^(٢)
خرجتم معنا - أن هواكم مع محمد . فرجع طالب إلى مكة فيمن^(٣) رجع .

• • •

قال أبو جعفر : وأما ابن الكلبي ؛ فإنه قال فيما حدثتُ عنه : شَخَصَ
طَالِبُ بن أبي طالب إلى بدر مع المشركين ، أخرج كرهاً . فلم يوجد في
الأسرى ولا في القتلى ، ولم يرجع إلى أهله ، وكان شاعراً ؛ وهو الذي يقول :
يَا رَبِّ إِمَّا يَنْزُونَ طَالِبٌ^(٤) فِي مِقْنَبٍ مِنْ هَذِهِ الْمَقَانِبِ^(٥)
فَلْيَكُنِ الْمَسْلُوبَ غَيْرَ السَّالِبِ وَلْيَكُنِ الْمَغْلُوبَ غَيْرَ الْغَالِبِ^(٦)

• • •

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . قال : ومضت قريش حتى نزلوا
بالعدوة القصوى من الوادي ؛ خلف العقنقل ، وبطن الوادي وهو
يتليل ، بين بدر وبين العقنقل ؛ الكئيب الذي خلفه قريش ، والقلب^(٧)
بيدر في العدوة الدنيا من بطن يتليل إلى المدينة ، وبعث الله السماء ، وكان
الوادي دهنًا^(٨) ، فأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه منها
ما لبد لهم الأرض ؛ ولم يمنعهم المسير ، وأصاب قريشاً منها ما لم يقدروا على
أن يرتحلوا معه ؛ فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يبّادروهم إلى الماء ؛
حتى إذا جاء أدنى ماء من بدر نزل به^(٩) .

(١) ح : « مجاورة » . (٢) م : « إن » .

(٣) و : « مع من رجع » . (٤) ابن هشام : « لا هم » .

(٥) ابن هشام : « في عصبة مخالف محارب » ؛ والمقنب : الجماعة من الخيل ؛ مقدار
ثلاثمائة أو نحوها .

(٦) قال ابن هشام : قوله : « فليكن المسلوب » ، وقوله : « وليكن المغلوب » ، عن غير
واحد من الرواة للشعر .

(٧) القلب : جمع قليب ، وهو البئر .

(٨) الدهس : كل مكان لين لم يبلغ أن يكون رملاً .

(٩) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٤ ، ٦٥ ، والأغاني ٤ : ١٧٨ ، ١٨٣ .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : فحدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثت عن رجال من بني سلمة ؛ أنهم ذكروا أن الحُبَاب ابن المنذر بن الجموح ، قال : يا رسول الله ، أرأيت هذا المنزل ، أمتزل أنزلك الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخره ، أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ قال : بلى هو الرأى والحرب والمكيدة ؛ فقال : يا رسول الله ، فإن هذا ليس لك بمنزل ، فانهض بالناس حتى أتى أدنى ماء من القوم فنزلته ، ثم نعور^(١) ما سواه من القلب ، ثم نبني عليه حوضاً فتملؤه ماء ، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد أشرت بالرأى . فانهض رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الناس ، فسار حتى أتى أدنى ماء من القوم ؛ فنزل عليه ، ثم أمر بالقلب فعورت ، وبني حوضاً على القلب الذي نزل عليه فلىء ماء ، ثم قذفوا فيه الآنية^(٢) . ١٣١٠/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر ، أن سعد بن معاذ قال : يا رسول الله ، نبني لك عريشاً من جريد فتكون فيه ، ونعدُّ عندك ركائبك ، ثم نلقى عدونا ؛ فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا^(٣) كان ذلك مما^(٤) أحببنا ، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك ، فلحقت بمن وراءنا من قومنا ، فقد تخلف عنك أقوام يا نبي الله ، ما نحن بأشدَّ حباً لك منهم ؛ ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك . يمنعك الله بهم ، يناصحونك ويجاهدون معك . فأثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه^(٥) خيراً ، ودعا له بخير .

(١) م : « منزل » .

(٢) عور العين ؛ إذا دفنها ، وفي ابن هشام : « نعور » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٥ ، والأغانى ٤ : ١٨٣ ، ١٨٤

(٤) ح : « عليه » .

(٥) ابن هشام : « ما أحببنا » .

(٦) ر : « عليهم » .

ثم بُني لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشٌ ، فكان فيه ؛ وقد ارتحلت قريش حين أصبحت ، فأقبلت ، فلما رآها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تصوب^(١) من العَقَمَنْقَل - وهو الكثيب الذي منه جاءوا إلى الوادي - قال : اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تُحادُّك وتُكذِّبُ رسوَلَك ؛ اللهم فنصرَكَ الذي وعدتني ؛ اللهم فأحنيهم^(٢) الغداة !

وقد قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - ورأى عتبة بن ربيعة في القوم ، على جمل له أحمر : إن يكن عند أحد من القوم خيرٌ ؛ فعند صاحب الجمل ١٣١١/١ الأحمر ؛ إن يُطبعوه يرشُدُوا . وقد كان خُفَاف بن إيماء بن رَحَضَةَ الغِفَارِيُّ - أو أبوه إيماء بن رَحَضَةَ - بعث إلى قريش حين مرَّوا به ابناً له بجزائر^(٣) أهداها لهم ، وقال : إن أحببتم أن أميدكم بسلاح ورجال فتعلنا ؛ فأرسلوا إليه مع ابنه : أن وصلتكَ الرَّحْمُ^(٤) ! فقد قضيت الذي عليك ؛ فلأعمري لئن كنا إنما نقاتل الناس ؛ ما بنا ضعفٌ عنهم ؛ ولئن كنا نقاتل الله - كما يزعم محمد - فما لأحد بالله من طاقة .

فلما نزل الناس ، أقبل نفر من قريش ؛ حتى وردوا حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيهم حَكِيم بن حِزَام ، على فرس له ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعوهم ؛ فما شرب منهم رجل إلا قُتِل يومئذ ؛ إلا ما كان من حَكِيم بن حِزَام ، فإنه لم يُقتل^(٥) ؛ نجا على فرس له يقال له الوجيه ، وأسلم بعد ذلك ، فحسن إسلامه ؛ فكان إذا اجتهد في يمينه قال : لا والذي نجاني يوم بدر^(٦) !

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق :

(١) التصوب : الانحدار من علو .

(٢) أحنيهم : أهلكهم .

(٣) الجزائر : الذبائح ؛ واحدا جزور .

(٤) ابن هشام : « رحم » .

(٥ - ٥) ابن هشام : « فإنه لم يقتل ، ثم أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه » .

(٦) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٦ ، والأغانى ٤ : ١٨٤ ، ١٨٥ .

وحدثني إسحاق بن يسار وغيره من أهل العلم ، عن أشياخ من الأنصار ، قالوا : لما اطمأنّ القوم ، بعثوا عمير بن وهب الجُمَحِيّ ، فقالوا : احزُرْ^(١) لنا أصحابَ محمد ، قال : فاستجال بفرسه حول العسكر ، ثم رجع إليهم ، فقال : ثلثمائة رجل ، يزيدون قليلا أو ينقصون^(٢) ، ولكن أمهلوني حتى أنظر ؛ ألقوم كمين أم مدد ؟ قال : فضرب في الوادي ؛ حتى أبعد فلم ير شيئا ، فرجع إليهم ، فقال : ما رأيت شيئا ، ولكني قد رأيتُ—يا معشرَ قريش—الولايَا^(٣) تحمل المنايا ، نواضح^(٤) يثرب تحمل الموت الناقع ؛ قوم ليس لهم^(٥) منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم ؛ والله ما أرى [أن]^(٦) يقتل رجل منهم حتى يُقتل رجل منكم ؛ فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خيرُ العيش بعد ذلك ! فرَوَا رَأْيَكُمْ .

١٣١٣/١

فلما سمع حكيم بن حزام ذلك ، مشى في الناس^(٧) ، فأتى عتبة بن ربيعة ، فقال : يا أبا الوليد ؛ إنك كبيرُ قريش اللبلة وسيدُها ، والمطاع فيها ؛ هل لك ألا تزال^(٨) تذكر منها^(٩) بخير إلى آخر الدهر ! قال : وما ذاك يا حكيم ؟ قال : ترجع بالناس ، وتحمل دم حليفك عمرو بن الحضرمي ! قال : قد فعلت ، أنت علىّ بذلك ؛ إنما هو حليبي فعلىّ عقله ، وما أصيب من ماله ؛ فأت ابن الحنظلية^(١٠) ؛ فإني لأعشى أن يشجر^(١١) أمر الناس غيره—

(١) الحزر : التخمين .

(٢) كذا في ابن هشام ، وفي ط : « ينقصونه » .

(٣) الولايا : جمع ولية ؛ وهي البرذعة التي تكون تحت الرجل ؛ وفي ابن هشام : « البلايا » .

(٤) النواضح : الإبل التي يستق عليها الماء . ، ثم استعمل في كل بئر ولو لم يحمل الماء .

(٥) ح ، م ، ابن هشام : « معهم » .

(٦) تكلمة من ابن هشام .

(٧) خ : « القوم » .

(٨) ابن هشام : « إلى أن » .

(٩) ابن هشام « فيها » .

(١٠) في ابن هشام : « والحنظلية أم أبي جهل ؛ وهي أسماء بنت مخزبة ، أحد بني نهمل

ابن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم » .

(١١) يشجر ؛ من الشجار ؛ وهو المخالفة والمخاصمة .

يعنى أبا جهل بن هشام^(١)

حدَّثنا الزُّبير بن بكار، قال: حدَّثنا عثامة^(٢) بن عمرو السهمي، قال: حدَّثني مُسَوَّر بن عبد الملك اليربوعي، عن أبيه، عن سعيد بن المسيب، قال: بيننا نحن عند مروان بن الحكم، إذ دخل حاجبُه، فقال: هذا أبو خالد حكيم بن حزام، قال: إيذن له، فلما دخل حكيم بن حزام، قال: مرحباً بك يا أبا خالد! ادن، فحال له مروان عن صدر المجلس، حتى كان بينه وبين الوِسادة، ثم استقبله مروان، فقال: حدَّثنا حديث بدر، قال: خرجنا حتى إذا نزلنا الجُحفة رجعت قبيلة من قبائل قريش بأسرها، فلم يشهد أحدٌ من مشركيهم بدرًا. ثم خرجنا حتى نزلنا العُدوة التي ذكرها^(٣) ١٣١٤/١
الله عز وجل، فجئت عتبة بن ربيعة، فقلت: يا أبا الوليد، هل لك أن تذهب بشرف هذا اليوم ما بقيت؟ قال: أفعل ماذا؟ قلت: إنكم لا تطلبون من محمد إلا دم ابن الحضرمي، وهو حليفك، فتحمل ديتته وترجع بالناس. فقال: أنت وذاك، وأنا أتحمّل يديتته، واذهب إلى ابن الحنظلية - يعنى أبا جهل - فقل له: هل لك أن ترجع اليوم بمن معك عن ابن عمك؟ فجئته فإذا هو في جماعة من بين يديه ومن ورائه، وإذا ابن الحضرمي واقف على رأسه، وهو يقول: قد فسخت عقدي من عبد شمس، وعقدي إلى بني مخزوم. فقلت له: يقول لك عتبة بن ربيعة: هل لك أن ترجع اليوم عن ابن عمك بمن معك؟ قال: أما وجد رسولاً غيرك؟ قلت: لا، ولم أكن لأكون رسولاً لغيره. قال حكيم: فخرجت مبادراً إلى عتبة؛ لئلا يفتوتني من الخبر شيء، وعتبة متكىء على إيماء بن رَحضة الغفاري، وقد أهدى إلى المشركين عشر جزائر، فطلع أبو جهل والشر في وجهه، فقال لعتبة: انتفخ سحرُك! فقال له عتبة: ستعلم! فسلى أبو جهل سيفه، فضرب به متن فرسه، فقال إيماء بن رَحضة: بشس الفأل^(٤) هذا! فعند ذلك قامت الحرب^(٥). ١٣١٥/١

• • •

(١) سيرة ابن هشام ٢: ٦٦، ٦٧، والأغاني ٤: ١٨٥، ١٨٦.

(٢) ط: «عمامة»، وانظر الفهرس. (٣) كذا في و، وفي ط: «قال».

(٤) الأغاني: «المقام». (٥) الخبر في الأغاني ٤: ١٨٦، ١٨٧.

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . ثم قام عتبة بن ربيعة خطيباً ، فقال : يا معشر قريش ، إنكم والله ما تصنعون بأن تلتقوا محمداً وأصحابه شيئاً ، والله لئن أصبتموه لا يزال رجلٌ ينظر في وجه رجل يكره النظر إليه ، قتل ابن عمته أو ابن خاله أو رجلاً من عشيرته ؛ فارجعوا وخلّوا بين محمد وبين سائر العرب ؛ فإن أصابوه فذاك الذي أردتم ، وإن كان غير ذلك ألفاكم ولم تعرّضوا^(١) منه ما تريدون . قال حكيم : فانطلقت أومُّ أبا جهل ؛ فوجدته قد نثّل^(٢) درعاً له من جرابها ؛ فهو يهيتها^(٣) . فقلت : يا أبا الحكم ؛ إن عتبة قد أرسلني إليك بكذا وكذا - للذي قال - . فقال : انتفخ والله سحره^(٤) حين رأى محمداً وأصحابه ؛ كلاً والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد وأصحابه ، وما بعثت ما قال ؛ ولكنه قد رأى محمداً وأصحابه أكلتة جزور ؛ وفيهم ابنه فقد نخوفكم عليه . ثم بعث إلى عامر بن الحضرمي ، فقال له : هذا حليفك ، يريد أن يرجع بالناس ، وقد رأيت ثارك بعينك ، فقم فانشد خفرتك^(٥) ومقتل أخيك . فقام عامر بن الحضرمي فاكتشف ثم صرخ : واعمره ! واعمره ! فحميت الحرب ، وحقب^(٦) أمر الناس ؛ واستوسقوا^(٧) على ما هم عليه من الشر ، وأفسد على الناس الرأي الذي دعاهم إليه عتبة بن ربيعة .

١٣١٦/١

فلما بلغ عتبة بن ربيعة قول أبي جهل : « انتفخ سحره » ، قال : سيعلم المصفرُ استه من انتفخ سحره ، أنا أم هو ! ثم التمس بيضة يدخلها في رأسه فما وجد في الجيش بيضة تسعه من عظم هامته ، فلما رأى ذلك اعتجر^(٨) على رأسه ببرد له .

(١) الأغاني : « ولم تعدوا » .

(٢) نثل : أخرج .

(٣) ابن هشام : « يهتها » ؛ أي يطليها بمكر الزيت .

(٤) انتفخ سحره ؛ أي رنته ؛ يقال ذلك للجان .

(٥) انشد خفرتك ؛ أي اطلب من قريش الوفاء بخفرتهم لك ، أي عهدهم ؛ لأنه كان

حليفاً لهم وجاراً .

(٦) حقب أمرهم : اشتد .

(٧) استوسقوا : اجتمع أمرهم .

(٨) الاعتجار : لف العمامة على الرأس .

وقد خرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي - وكان رجلاً شرساً سيئ الخلق - فقال : أعاهد الله لأشربن من حوضهم ولأهدمته أولاموتن^(١) دونه . فلما خرج خرج له حمزة بن عبد المطلب ، فلما التقيا ضربه حمزة ، فأطن^(٢) قدمه بنصف ساقه ؛ وهو دون الحوض ، فوقع على ظهره تشخب^(٣) رجله دماً نحو أصحابه ، ثم حبباً إلى الحوض حتى اقتحم فيه ، يريد - زعم - أن يبرئ يمينه ، واتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض .

ثم خرج بعده عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبه بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة ؛ حتى إذا فصل من الصف دعاً إلى المبارزة ، فخرج إليه فتية من الأنصار ثلاثة نفر منهم : عوف ومعوذ ابنا الحارث - وأمهما عفراء - ورجل آخر يقال له عبد الله بن رواحة ، فقال : من أنتم ؟ قالوا : رهط من الأنصار . فقالوا : ما لنا بكم حاجة ! ثم نادى مناديهم : يا محمد ، أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قم يا حمزة بن عبد المطلب ، قم يا عبيدة بن الحارث ، قم يا علي بن أبي طالب ؛ فلما قاموا ودنوا منهم ، قالوا : من أنتم ؟ قال عبيدة : عبيدة ، وقال حمزة : حمزة ، وقال علي : علي ، قالوا : نعم أكفاء كيرام ! فبارز عبيدة بن الحارث - وكان أسن القوم - عتبة بن ربيعة ، وبارز حمزة شيبه بن ربيعة ، وبارز علي الوليد بن عتبة ؛ فأما حمزة فلم يمهل شيبه أن قتله ، وأما علي فلم يمهل الوليد أن قتله ؛ واختلف عبيدة وعتبة بينهما بضربتين ، كلاهما أثبت صاحبه^(٤) ، وكرت حمزة وعلي^(٥) بأسياهما على عتبة ، فذفعا^(٤) عليه فقتلاه ، واحتملا صاحبهما عبيدة فجاءا به^(٥) إلى أصحابه ؛ وقد قطعت رجله ، فحسها يسيل ، فلما أتوا بعبيدة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ألسن شهيداً يا رسول الله ! قال :

(١) أطن : اطار .

(٢) تشخب : يسيل منها الدم بصوت .

(٣) أثبت صاحبه : جرحه جراحة لم يقم معها .

(٤) ذفعا عليه : أسرعاً لقتله .

(٥) ابن هشام : « فحازاه » .

بلى ، فقال عبيدة : لو كان أبو طالب حياً لعلم أنى أحق بما قال منه حيث يقول :
وَنُسَلِمُهُ حَتَّى نُصَرِّعَ حَوْلَهُ ^(١) وَنَذْهَلَ عَنِ ابْنَانِنَا وَالْحَلَّائِلِ ^(٢)

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق :
وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ؛ أن عتبة بن ربيعة قال للفتية من الأنصار
حين انتسبوا : أكفاء كرام ، إنما نريد قومنا ، ثم تزاحف الناس ؛ ودنا بعضهم
من بعض ، وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ألا يحملوا حتى
يأمرهم ؛ وقال : إن اكتنفكم القوم فانضحوهم ^(٣) عنكم بالنبل ؛ ورسول الله
صلى الله عليه وسلم في العريش معه أبو بكر .

قال أبو جعفر : وكانت وقعة بدر يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من
شهر رمضان ، كما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال
محمد بن إسحاق ؛ كما حدثني أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين . وحدثنا
ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : وحدثني ١٣١٩/١
حبيبان بن واسع بن حبان بن واسع ، عن أشياخ من قومه ، أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم عدل صفوف أصحابه يوم بدر ، وفي يده قدح ^(٥) يعدل
به القوم ، فمر بسواد ^(٦) بن غزيرة ، حليف بني عدى بن النجار ، وهو
مستنبل ^(٧) من الصف ، فطعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في بطنه
بالقدح . وقال : استوي يا سواد بن غزيرة ؛ قال : يا رسول الله أوجعتني
وقد بعثك الله بالحق ، فأقيدني ^(٨) . قال : فكشف رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن بطنه ثم قال : استقيد ، قال : فاعتنقه وقبل بطنه ، فقال : ما حملك

(١) الخبر إلى هنا في سيرة ابن هشام ٢ : ٦٧ ، ٦٨ ، وهو أيضاً في الأغاني ٤ : ١٨٧-١٩٠

(٢) م : « دونه » .

(٣) النضح بالنبل : الرمي به .

(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٨ ، والأغاني ٤ : ١٩٠ .

(٥) القدح : السهم .

(٦) كذا في ط ، وقال ابن هشام : يقال « سواد » ، مثقلة ، وسواد في الأنصار غير هذا مخفف .

(٧) مستنبل : متقدم . قال ابن هشام : يقال : « مستنبل » .

(٨) أقيدني : أى اقتصر لى من نفسك .

على هذا يا سَوَاد ؟ فقال : يا رسولَ الله ، حضر ما ترى فلم آمن القتل . فأردتُ أن يكونَ آخرَ العهد بك أن يمَسَّ جِلدي جلدك . فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير ، وقال له خيراً .

ثم عدل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الصفوفَ ، ورجع إلى العريش ، ودخله ، ومعه فيه أبو بكر ليس معه فيه غيره ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم يناشد ربه ما وعده من النصر، ويقول فيما يقول : اللهم إنك إن تهلك هذه العصابة اليوم - يعنى المسلمين - لا تُعبَد بعد اليوم ، وأبو بكر يقول : يا نبي الله ، بعض مناشدتك ربك ! ، فإن الله عز وجل منجز لك ما وعدك^(١) . ١٣٢٠/١

فحدثني محمد بن عبيد المحاربي ، قال : حدثنا عبدُ الله بن المبارك ، عن عكرمة بن عمار ، قال : حدثني سماك الحنفي ، قال : سمعتُ ابنَ عباس يقول : حدثني عمر بن الخطاب ، قال : لما كان يوم بدر ، ونظر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وعِدَّتْهم ، ونظر إلى أصحابه نيِّفاً على ثلاثمائة ، استقبل القبلة ، فجعل يدعو . يقول : اللهم أنجز لي ما وعدتني ، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبَد في الأرض ؛ فلم يزل كذلك حتى سقط رداؤه . فأخذ أبو بكر فوضع رداءه عليه ، ثم التزمه من ورائه ، ثم قال : كفاك يا نبي الله ، بأبي وأمي ، مناشدتك ربك ؛ فإنه سينجز لك ما وعدك ! فأنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّينَ ﴾^(٢) .

حدثنا ابنُ وكيع ، قال : حدثنا الثقفى - يعنى عبد الوهاب - عن

خالد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال وهو في قبته يوم بدر : اللهم إني أسألك عهدك ووعدك ؛ اللهم إن شئت لم تُعبَدَ بعدَ اليوم !

(١) سيرة ابن هشام ٦٨ ، ٦٩ ، والأغانى ٤ : ١٩٠ ، ١٩١ .

(٢) سورة الأنفال ٩ ، والخبر في التفسير ١٣ : ٤٠٩ والأغانى ٤ : ١٩١ ، ١٩٢ .

قال : فأخذ أبو بكر بيده ، فقال : حسبك يا نبي الله ، فقد ألححت على ربك - وهو في الدرع - فخرج وهو يقول : ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ . بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَى وَأَمْرٌ ﴾ (١) .

• • •

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . قال : وقد خَفَقَ (٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقةً وهو في العريش ؛ ثم انتبه ، فقال : يا أبا بكر ، أتاك نصرُ الله ، هذا جبريل أخذ بعنان فرسه يقوده ، على ثناياه النقع (٣) . قال : وقد رُمِيَ مِهْنَجَعٌ مولى عمر بن الخطاب بسهم فقتل ؛ فكان أولَ قتيل من المسلمين ، ثم رُمِيَ حارثة بن سُرَاقَةَ ، أحد بني عدى بن النجار وهو يشرب من الحوض فقتل . ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس فحرضهم ، ونقل كل امرئ منهم ما أصاب ، وقال : والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتلُ صابراً محتسباً مقبلاً غير مُدْبِرٍ ؛ إلا أدخله الله الجنة . فقال عميرُ بن الحَمَامِ ، أخو بني سلمة ، وفي يده تمراتٌ يأكلهن : بَخْ بَخْ (٤) ، فما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ! ثم قذف التمرات من يده ، وأخذ سيفه ، فقاتل القوم حتى قُتِلَ (٥) وهو يقول :

رَكَضًا إِلَى اللَّهِ بِغَيْرِ زَادٍ إِلَّا التَّقَى وَعَمَلِ المَعَادِ
وَالصَّبْرِ فِي اللَّهِ عَلَى الجِهَادِ وَكُلُّ زَادٍ عُرْضَةٌ النِّقَادِ
• غَيْرُ التَّقَى وَالْبِرِّ وَالرَّشَادِ •

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ؛ أن عوف بن الحارث - وهو ابن

(١) سورة القمر ٤٥ ، ٤٦ . والخبر في الأغاني ٤ : ١٩٢

(٢) خفق : نام نوماً خفيفاً .

(٣) النقع : التراب .

(٤) بَخْ ، بكسر الحاء وإسكانها ؛ كلمة تقال للإعجاب .

(٥) الخبر إلى هنا في سيرة ابن هشام ٢ : ٦٨ ، ٦٩ ، وهو أيضاً في الأغاني ٤ : ١٩٢ ، ١٩٣

عفراء - قال : يا رسول الله ، ما يُضْحِكُ^(١) الربَّ من عبده ؟ قال : غَمَسُهُ يَدَهُ فِي الْعَدُوِّ حَاسِرًا . فَنَزَعَ دِرْعًا كَانَتْ عَلَيْهِ ، فَقَذَفَهَا ؛ ثُمَّ أَخَذَ سَيْفَهُ فَقَاتَلَ الْقَوْمَ حَتَّى قُتِلَ^(٢) .

حدَّثنا ابن حُمَيْد ، قال : حدَّثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق . وحدَّثني محمد بن مسلم الزهري ، عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير العُدْرِي ، حليف بني زُهْرَةَ ، قال : لما التقى النَّاسُ ، ودنا بعضهم من بعض ، قال أبو جهل : اللَّهُمَّ اقْطَعْنَا لِلرَّحْمِ ، وَآتَانَا بِمَا لَا يَعْرِفُ ؛ فَأَحْبِنَهُ^(٣) الْغَدَاةُ ، فَكَانَ هُوَ الْمُسْتَفْتَحَ^(٤) عَلَى نَفْسِهِ .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ حَفْنَةً مِنَ الْحَصْبَاءِ ، فَاسْتَقْبَلَ بِهَا قَرِيشًا ، ثُمَّ قَالَ : شَاهَتِ الْوُجُوهُ ؛ ثُمَّ نَفَّحَهُمْ بِهَا ، وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : شُدُّوا ، فَكَانَتْ الْهَزِيمَةَ ، فَقَتَلَ اللَّهُ مَنْ قَتَلَ مِنْ صِنَادِيدِ قَرِيشٍ ، وَأَسِيرَ مَنْ أَسِيرَ مِنْهُمْ . فَلَمَّا وَضَعَ الْقَوْمُ أَيْدِيَهُمْ يَأْسِرُونَ ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْعَرِيشِ ، وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ قَائِمٌ عَلَى بَابِ الْعَرِيشِ الَّذِي فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، مَتَوَشِّحًا السَّيْفَ . فِي نَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ يَحْرُسُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَخَافُونَ عَلَيْهِ كَرَّةَ الْعَدُوِّ ، وَرَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِيمَا ذَكَرَ لِي - فِي وَجْهِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ الْكَرَاهِيَةَ لِمَا يَصْنَعُ النَّاسُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَكَأَنَّكَ يَا سَعْدُ تَكْرَهُ مَا يَصْنَعُ النَّاسُ !^(٥) قَالَ : أَجَلٌ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ! كَانَتْ أَوَّلَ وَقْعَةٍ أَوْقَعَهَا اللَّهُ بِالْمُشْرِكِينَ ؛ فَكَانَ الْإِثْخَانَ فِي الْقَتْلِ أَعْجَبَ إِلَى مِنْ اسْتِبْقَاءِ الرِّجَالِ^(٥) .

حدَّثنا ابن حُمَيْد ، قال : حدَّثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : وحدَّثني العباس بن عبد الله بن مَعْبُد ، عن بعض أهله ، عن ابن عباس ،

(١) ما يضحك ربك ، أي ما يرضيه غاية الرضا .

(٢) ابن هشام ٢ : ٦٨ - ٦٩ . (٣) أحنه : أهلكه .

(٤) يريد أنه حكم على نفسه بهذا الدعاء . وانظر اللسان (فتح) .

(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٠٩ . والأغاني ٤ : ١٩٣ ، ١٩٤ .

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يومئذ : إنى قد عرفت أن رجالاً من بنى هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرهًا ، لا حاجة لهم بقتالنا ، فمن لقي منكم أحداً من بنى هاشم فلا يقتله ، ومن لقي أبا البختري بن هشام بن الحارث بن أسد فلا يقتله ، ومن لقي العباس بن عبد المطلب عم رسول فلا يقتله ؛ فإنه إنما أخرج مستكرهاً .

قال : فقال أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة : أنقزل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وعشيرتنا ، ونترك العباس ! والله لن لقيته لألحمته^(١) السيف . فبلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل يقول لعمر بن الخطاب : يا أبا حفص ، أما تسمع إلى قول أبي حذيفة ، يقول : أضرب وجه عم رسول الله بالسيف ! فقال عمر : يا رسول الله ، دعني فلا أضرب^(٢) عنقه بالسيف ؛ فوالله لقد نافق .

قال^(٣) عمر : والله إنه لأول يوم كنتاني فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي حفص - ١٣٢٤/١

قال : فكان أبو حذيفة يقول : ما أنا بأمين من تلك الكلمة التي قلت يومئذ ، ولا أزال منها خائفاً إلا أن تكفرها عن الشهادة . فقُتِل يوم البامة شهيداً . قال : وإنما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتال أبي البختري ؛ لأنه كان أكف القوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ، كان لا يؤذيه ولا يبلغه عنه شيء ، بكرهه ؛ وكان ممن قام في نقض الصحيفة التي كتبت قريش على بنى هاشم وبنى المطلب ، فلقبه المجدّر بن زياد البلوي ، حليف الأنصار من بنى عدى ، فقال المجدّر بن زياد لأبي البختري : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهى عن قتلك - ومع أبي البختري زميل^(٤) له خرج معه من مكة ، وهو جنادة بن مبيحة بنت زهير بن الحارث بن أسد ، وجنادة رجل من بنى ليث . واسم أبي البختري العاص بن هشام

(١) لأحمته ، أى لأطمن لحمه بالسيف ولأخاظه . وقال ابن هشام : « ويقال : لأحمته بالسيف » ، أى لأضربه به في وجهه .

(٢) و : « فلا أضرب » ، وكذلك في ابن هشام .

(٣) كذا في ابن هشام ، وفي ط : « فقال » .

(٤) الزميل : الذي يركب مع صاحبه على بعير واحد .

ابن الحارث بن أسد - قال : وزميلي ؟ فقال : المجذّر : لا والله ما نحن بتاركى زميلتك ؛ ما أمرنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلاّ بك وحدك ، قال : لا والله إذاً ، لأموتنّ أنا وهو جميعاً ؛ لا تحدث عني نساء قريش من أهل مكة أني تركتُ زميلي حِرْصاً على الحياة . فقال أبو البخترى حين نازله المجذّر ، وأبي إلاّ القتال ، وهو يرتجز :

لَنْ يُسْلِمَ ابْنُ حُرَّةٍ أَكِيلَةَ حَتَّى يَمُوتَ أَوْ يَرَى سَبِيلَهُ

١٣٢٥/١

فاقتلا ، فقتله المجذّر بن زياد .

قال : ثم أتى المجذّر بن زياد رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : والَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ، لَقَدْ جَهِدْتُ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَأْسِرَ فَأَتَيْتُكَ بِهِ ؛ فَأَبَى إِلَّا الْقِتَالَ ، فَقَاتَلْتُهُ فَقَتَلْتُهُ (١) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، قال . وحدثني أيضاً عبد الله بن أبي بكر ، وغيرهما ، عن عبد الرحمن بن عوف ، قال : كان أمية بن خلف لي صديقاً بمكة - وكان اسمي عبد عمرو ، فسميتُ حين أسلمتُ : « عبد الرحمن » ، ونحن بمكة - قال : فكان يلقاني ونحن بمكة ، فيقول : يا عبد عمرو ، أرغبت عن اسم سماكته أبوك ؟ فأقول . نعم ، فيقول : فإنني لا أعرف « الرحمن » ؛ فاجعل بيني وبينك شيئاً أدعوك به ؛ أما أنت فلا تجيبني باسمك الأول ، وأما أنا فلا أدعوك بما لا أعرف . قال : فكان إذا دعاني : « يا عبد عمرو » ، لم أجبه ، فقلت : اجعل بيني وبينك يا أبا عليّ ما شئت ، قال : فأنت « عبد الإله » ، فقلت : نعم ، فكنت إذا مررت به قال : يا عبد الإله ، فأجيبه ، فأحدثت معه ؛ حتى إذا كان يوم بدر ، مررت به وهو واقف مع ابنه عليّ بن أمية ، آخذاً بيده ، ومعى أدرعٌ قد استلبتها ، فأنا أحملها . فلما رأيته (٢) قال : يا عبد عمرو ! فلم أجبه ،

١٣٢٦/١

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٩ ، ١٧ ، والأغانى ٤ : ١٩٤ ، ١٩٥ .

(٢) م : « رأى ذلك » .

فقال : يا عبد الإله ، قلت : نعم ، قال : هل لك في ، فأنا خير لك من هذه الأذراع التي معك ؟ قال : قلت : نعم ، هلُمَّ إِذَا^(١) . قال : فطرحْتُ الأذراع من يدي وأخذت بيده ويد ابنه عليّ ، وهو يقول : ما رأيتُ كالْيَوْمِ قَطًّا ! أما لكم حاجة في اللبن !^(٢) قال : ثم خرجت أمشي بهما^(٣) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني عبد الواحد بن أبي عون ، عن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن ابن عوف ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن بن عوف ، قال : قال لي أمية بن خلف وأنا بينه وبين ابنه ، آخِذٌ بأيديهما : يا عبد الإله ، مَنْ الرجل منكم ، المعلم بريشة نعامة في صدره ؟ قال : قلت : ذاك حمزة بن عبد المطلب ، قال : ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل ! قال عبد الرحمن : فوالله إنني لأقودهما إذْ رآه بلال معي - وكان هو الذي يعذب بلالا بمكة على أن يترك الإسلام فيخرجه إلى رَمَضَاءَ^(٤) مكة إذا حميت ، فيضجعه على ظهره ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول : لا تزال هكذا حتى تفارق دين محمد ، فيقول بلال : أحدٌ أحدٌ - فقال بلال حين رآه : رأس الكفر أمية ابن خلف . لا نجوت إن نجوت^(٥) ، قال : قلت : أي بلال ، أسيرى^(٦) ! قال : لا نجوت إن نجوا . قال : قلت : تسمع^(٧) يا ابن السوداء ! قال : لا نجوت إن نجوا ، ثم صرخ بأعلى صوته : يا أنصار الله ، رأس الكفر أمية ابن خلف ، لا نجوت إن نجا ! قال : فأحاطوا بنا ، ثم جعلونا في مثل المسكة^(٨)

١٣٢٧/١

(١) ابن هشام : « ها الله ذا » ، وها تنبيه ، وذا إشارة إلى نفسه .

(٢) قال ابن هشام : « يريد باللبن ، أن من أسرفي افتديت منه بإبل كثيرة اللبن » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٧٠ ، ٧١ ، والأغاني ١٤ : ١٩٦ ، ١٩٧ .

(٤) الرمضاء : الرمل الحار من الشمس .

(٥) في ابن هشام : « لا نجوت إن نجا » .

(٦) ابن هشام : « أبأ سيري » .

(٧) ابن هشام : « اتسمع » والتسمع : التشهير .

(٨) في مثل المسكة ، أي جعلونا في حلقة كالسوار وأحرقوا بنا .

وأنا أذُبُّ عنه^(١)؛ قال : ففُضِرِبَ رَجُلًا ابْنَهُ فَوْقَهُ . قال : وصاح أمية صبيحة ما سمعت بمثلها قط . قال : قلت : انجُ بنفسك ، ولا نجاء ؛ فوالله ما أغني عنك شيئاً . قال : فهبرُوهما^(٢) بأسيا ففهم حتى فرغوا منهما .

قال : فكان عبد الرحمن يقول : رحم الله بلالا ! ذهبت أذراعى وفجعتى بأسيرى^(٣) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : وحدثنى عبدُ الله بن أبي بكر ، أنه حدث عن ابن عباس ، أن ابن عباس ، قال : حدثني رجلٌ من بني غفار ، قال : أقبلتُ أنا وابنُ عمِّ لي حتى أصعدنا في جبل يُشرف بنا على بدر ، ونحن مشرِّكان ، ننتظر الوقعة على مَنْ تكون الدِّبْرَةُ ، فنتهب مع من ينهب . قال : فبينما نحن في الجبل ؛ إذ دنت منا سحابة ، فسمعنا فيها حَمَحَمَةَ الحيل ، فسمعت قائلاً : ١٣٢٨/١ يقول : أقدمُ حَيَزُوم^(٤) . قال : فأما ابن عمِّي فانكشف قِناعُ قلبه فأت مكانه ؛ وأما أنا فكدتُ أهلك ، ثم تماسكت^(٥) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : وحدثنى أبي إسحاق بن يسار ، عن رجال من بني مازن بن النجار ، عن أبي داود المازني - وكان شهد بدرا - قال : إني لأتبعُ رجلاً من المشركين يوم بدر لأضربه ، إذ وقع رأسه قبل أن يصلَ إليه سببي ، فعرفت أن قد قتله غيري .

حدثني عبدُ الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم المصري ، قال : حدثنا يحيى بن بكير^(٦) ، قال : حدثنا محمد بن يحيى الإسكندراني عن العلاء بن

(١) في ابن هشام بعدها : «قال : فأخلف رجل السيف» ؛ ويقال : أخلف الرجل السيف ، إذا سله من غمده .

(٢) هبروهما : قطعوهما . (٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٧١ ، والأغاني ٤ : ١٩٧ ، ١٩٨

(٤) قال أبو ذر الحنفي . «قال ابن سراج : أقدم ، كلمة تزجر بها الحيل ، وحيزوم

اسم فرس جبريل عليه السلام ، ويقال فيه : جيرون .»

(٥) ابن هشام ٢ : ٧١ ، والأغاني ٤ : ١٩٨ .

(٦) هو يحيى بن عبد الله بن بكير .

كثير ، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن المِسْوَر بن مخرمة ، عن أبي أمامة ابن سَهْل بن حُنَيْف ، قال : قال لي أبي : يا بُنَيَّ ، لقد رأيتنا يوم بدر ؛ وإنَّ أحدنا ليشيرُ بسيفه إلى المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصلَ إليه السيف^(١) .

حدثنا ابنُ حُمَيْد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : وحدثني الحسن بن عُمارة ، عن الحكم بن عتيبة ، عن مِقْسَم مولى عبد الله بن الحارث ، عن عبد الله بن عباس ، قال : كانت سيماء الملائكة يوم بدر عمائم بيضاً قد أرسلوها في ظهورهم ، ويوم حنين عمائم حمراً ، ولم تقا تل الملائكة في يوم من الأيام سوى يوم بدر . وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عُدَدًا ومدَدًا لا يضربون^(٢) .

١٣٢٩/١

حدثنا ابنُ حُمَيْد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد : وحدثني ثور بن زيد مولى بني الدَّيْل ، عن عِكْرمة مولى ابنِ عَبَّاس ، عن ابنِ عَبَّاس قال : وحدثني عبد الله بن أبي بكر ، قال : كان مُعَاذ بن عمرو بن الجَمُوح أخو بني سلمة يقول : لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوه ، أمرَ بأبي جهل أن يلتمس في القتل ، وقال : اللهم لا يعجزنك ، قال : فكان أول من لقيَ أبا جهل معاذ بن عمرو بن الجموح ، قال : سمعت القوم وأبو جهل في مثل الحرجة^(٣) وهم يقولون : أبو الحكم لا يُخلص إليه . فلما سمعتها جعلته من شأني ، فصمدت نحوه ، فلما أمكنني حملت عليه فضربته ضربة أظنت^(٤) قدّمه بنصف ساقه ؛ فوالله ما شبّهتها حين طاحت إلا النّوأة تطيح^(٥) من تحت مِرْضِخَةٍ^(٦) النّوى حين يُضرب بها .

١٣٣٠/١

(١) الأغاني ٤ : ١٩٩ .

(٢) ابن هشام ٢ : ٢٨٦ ، والأغاني ٤ : ١٩٩ .

(٣) قال ابن هشام : « الحرجة الشجر الملتف ؛ وفي الحديث ، عن عمر بن الخطاب أنه سأل عن الحرجة فقال : هي شجرة من الأشجار لا يوصل إليها » .

(٤) أظنت قدمه : أطارتها .

(٥) تطيح : تذهب .

(٦) المِرْضِخَةُ : التي يدق بها النوى للعلف .

قال : وضربني ابنه عكرمة على عاتقي ؛ فطرح يدي ، فتعلقت بجلدة من جنبي ، وأجهضني^(١) القتال عنه ؛ فلقد قاتلت عامة يومي ، وإني لأسحبها خلفي ؛ فلما آدتني جعلت عليها رجلي ، ثم تمطيت بها ، حتى طرحتها .

قال : ثم عاش معاذ بعد ذلك ، حتى كان في زمن عثمان بن عفان . قال : ثم مرت بأبي جهل - وهو عقير^(٢) - معوذ بن عفراء ، فضربه حتى أثبتته^(٣) ؛ فتركه وبه رمق ؛ وقاتل معوذ حتى قتل ، فمرّ عبد الله بن مسعود بأبي جهل حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلتمس في القتلى ، وقد قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني : انظروا إن خفيَ عليكم في القتلى إلى أثر جرح بركبته ؛ فإني ازدحمت أنا وهو يوماً على مآذبة لعبد الله ابن جدعان ؛ ونحن غلامان ؛ وكنت أشف منه بيسير ؛ فدفعته ، فوقع على ركبتيه ، فتجحش^(٤) في إحداهما جحشاً لم يزل أثره فيه بعد . قال عبد الله بن مسعود : فوجدته بآخر رمق ، فعرفته ، فوضعت رجلي على عنقه . قال : وقد كان ضبب^(٥) بي مرة بمكة ، فأذاني ولكزني . ثم قلت : هل أخزأك الله يا عدو الله ! قال : وبما ذا أخزاني ! أعمد من رجل قتلتموه^(٦) ! ١٣٣١/١

أخبرني لمن الدبرة ؟ [اليوم]^(٧) قال : قلت : لله وأرسوله^(٨) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق : وزعم رجال من بني مخزوم أن ابن مسعود ، كان يقول : قال لي أبو جهل : لقد ارتقيت يا رويعي الغنم مرتقى صعباً ! ثم احتزرت رأسه ؛ ثم جئت به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله ، هذا رأس عدو الله

(١) أجهضني : غلبني واشتد علي . (٢) العقير : المجروح .

(٣) أثبتته : جرحه جراحة لا يتحرك معها .

(٤) جحش : خدش .

(٥) ضبب ، قال ابن هشام : « قبض عليه ولزمه » .

(٦) يقال : أعمد من رجل قتله قومه ، أي أعجب ، قال أبو عبيد : معناه هل زاد على سيد قتله قومه !

أي أن هذا ليس بعار . (٧) من الأغاني . (٨) سيرة ابن هشام ٢ : ٧١ ، والأغاني ٤ : ٢٠١ ، ٢٠٢ .

أبي جهل ، قال : فقال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : آله الذي لا إله غيره^(١) ! - وكانت يمينَ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال : قلتُ : نعم ؛ والله الذي لا إله غيره ، ثم ألقيتُ رأسه بين يدي رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قال : فحمد الله^(٢) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : وحدثني يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة ، قالت : لما أمر رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالقتل أن يُطرحوا في القليب^(٣) طُرحوا فيه ؛ إلا ما كان من أمية بن خلف ؛ فإنه انفخ في دِرْعِهِ حتى مَلَأَهَا ، فذهبوا ليحركوه ، فتزاييل^(٤) فأقروه ، وألقوا عليه ما غيَّبه من التراب والحجارة ، فلما ألقاهم في القليب ، وقف رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليهم ، فقال : يا أهلَ القليب ، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً ! فإني وجدتُ ما وعدني ربي حقاً . فقال له أصحابه : يا رسولَ الله ، أتكلّم قوماً موتى ! قال : لقد علموا أن ما وعدتهم حق ، قالت عائشة : والناس يقولون : «لقد سمعوا ما قلت لهم» ، وإنما قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «لقد علموا»^(٥) .

١٣٣٢/١

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق . قال : وحدثني حميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، قال : سمع أصحاب رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من جوف الليل : يا أهلَ القليب . يا عتبة بن ربيعة ، يا شيبه بن ربيعة ، يا أمية بن خلف ، يا أبا جهل بن هشام - فعدّد مَنْ كان معهم في القليب : هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً ؛ فإني قد وجدتُ ما وعدني

(١) قال السهيلي : «الله الذي لا إله إلا هو» ، هو بالخفض عند سيويه وغيره ؛ لأن

الاستفهام عوض عن الخافض عنده .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٧٢ ، والأغاني ٤ : ٢٠١ .

(٣) القليب : البئر .

(٤) تزاييل : تفرق .

(٥) ابن هشام ٢ : ٧٤ ، والأغاني ٤ : ٢٠١ ، ٢٠٢ .

ربِّي حقًّا ! قال : المسلمون : يا رسولَ الله ؛ أتنادى قومًا قد جيئفوا^(١) ! فقال : ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ؛ ولكنهم لا يستطيعون أن يجيبوني^(٢) .

حدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : وحدَّثني بعضُ أهلِ العلم ، أن رسولَ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم يوم قال هذه المقالة : قال : يا أهلَ القليب ، بشس عشيرة النبي كنتم لنيبتكم ! كذبتموني وصدقتي الناس ، وأخرجتموني وآواني الناس ، وقاتلتموني ونصرني الناس . ثم قال : هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًّا ؟ للمقالة التي قال . قال : ولما أمر بهم رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم أن يُلْقَوْا في القليب ، أخذ عتبة بن ربيعة فسحب إلى القليب ، فنظر رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم فيما بلغني - في وجه أبي حذيفة بن عتبة ؛ فإذا هو كئيب قد تغير ، فقال : يا أبا حذيفة ؛ لعلك دخلك من شأن أهلك شيء ! - أو كما قال صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم - فقال : لا والله يا نبي الله ، ما شككتُ في أبي ولا في مصرعه ؛ ولكنني كنتُ أعرف من أبي رأيًا وحيلًا وفضلًا ؛ فكنت أرجو أن يهديه ذلك إلى الإسلام ؛ فلما رأيتُ ما أصابه ، وذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذي كنتُ أرجو له ، حزنَّني ذلك ، قال : فدعا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم له بخير ، وقال له خيرًا .

ثم إن رسولَ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم أمر بما في العسكر مما جمَعَ الناس فجمع ؛ فاختلف المسلمون فيه ، فقال من جمعه : هولنا ؛ قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نفل كل امرئ ما أصاب ، فقال الذين كانوا يقاتلون العدو ويطلبونهم : لولا نحن ما أصبتموه ، ونحن شغلنا القوم عنكم حتى أصبتم ما أصبتم . فقال الذين يحرسون رسولَ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم مخافة أن يخالف إليه العدو : والله ما أنتم بأحقَّ به منَّا ؛ لقد رأينا أن نقتل العدو إذ ولانا الله ، ومنحنا أكتافهم ؛ ولقد رأينا أن نأخذ المتاع

(١) جيئفوا : أي صاروا جيفًا .

(٢) ابن هشام ٢ : ٧٤ ، والأغانى ٤ : ٢٠٢ .

حين لم يكن دونه من يمنعه ؛ ولكن خفنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كرهة العدو ، فقمنا دونه ؛ فما أنتم بأحقّ به منّا (١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة . عن محمد بن إسحاق ، قال :
وحدثني عبد الرحمن بن الحارث وغيره من أصحابنا ، عن سليمان بن موسى الأشدق ، عن مكحول ، عن أبي أمامة الباهلي ، قال : سألت عبادة بن الصّامت عن الأنفال ، فقال : فينا معشر أصحاب بدر نزلت ؛ حين اختلّفنا في النّفّل ، وساءت فيه أخلاقنا ، فترعه الله من أيدينا ، فجعله إلى رسوله . فقسّمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المسلمين عن بؤاء - يقول على السّواء - فكان في ذلك تقوى الله ، وطاعة رسوله ، وصلاح دات البين .

١٣٣٤/١

قال : ثمّ بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الفتح عبد الله بن رواحة بشيراً إلى أهل العالية بما فتح الله على رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين ، وبعث زيد بن حارثة إلى أهل السافلة .

قال أسامة بن زيد : فأتانا الخبر حين سويّا التراب على رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم التي كانت عند عثمان بن عفان ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفني عليها مع عثمان .

قال : ثمّ قدم زيد بن حارثة فجثته وهو واقف بالمصلى قد غشبه الناس وهو يقول : قُتِلَ عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، وزمعة بن الأسود ، وأبو البخري بن هشام ، وأمّية بن خلف ونبه ونبه ابنا الحجاج . قال : قلت : يا أباه أحقّ هذا ! قال : نعم والله يا بُنى . ثمّ أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلاً إلى المدينة ؛ فاحتمل معه النّفّل الذي أصيب من المشركين ، وجعل على النّفّل عبد الله بن كعب بن زيد ابن عوف بن مبدول بن عمرو بن مازن بن النّجار . ثمّ أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا خرج من مضيق الصّفراء ، نزل على كثيب بين المضيق وبين النازية - يقال له سَيْر - إلى سرحة به ، فقسّم هنالك النّفّل

١٣٣٥/١

(١) ابن هشام ٢ : ٧٤ - ٧٦ ، والأغانى ٤ : ٢٠٢ ، ٢٠٣ .

الَّذِي أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ عَلَى السَّوَاءِ ، وَاسْتَقَى لَهُ مِنْ مَاءٍ بِهِ يُقَالُ لَهُ الْأُرْوَاقُ .

ثُمَّ ارْتَحَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالرَّوْحَاءِ ، لَقِيَهِ الْمُسْلِمُونَ يُهْنِتُونَهُ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَقَالَ سَلَمَةُ بْنُ سَلَامَةَ بْنِ وَقَشٍ - كَمَا حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، فَقَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، قَالَ : قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، كَمَا حَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عَمْرِو بْنِ قَتَادَةَ ، وَيَزِيدُ بْنُ رُومَانَ : وَمَا الَّذِي تُهْنِتُونَ بِهِ ! فَوَاللَّهِ إِنْ لَقِينَا إِلَّا عَجَائِزَ صَلُعًا كَالْبُدُنِ الْمَعْقَلَةِ ، فَنَحْرِنَاهَا . فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ : يَا بَنَ أَخِي ، أَوْلَيْتُكَ الْمَلَأَ (١) . قَالَ : وَمَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَسَارَى مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَكَانُوا أَرْبَعَةَ وَأَرْبَعِينَ أَسِيرًا ، وَكَانَ مِنَ الْقَتْلَى مِثْلَ ذَلِكَ - وَفِي الْأَسَارَى عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ ، وَالنَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ - حَتَّى إِذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالصَّفْرَاءِ ، قَتَلَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ ، قَتَلَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ قَالَ : قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ : كَمَا حَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ؛ قَالَ : ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ حَتَّى إِذَا كَانَ بِعِرْقِ الظُّبَيْيَةِ ، قَتَلَ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ ، فَقَالَ حِينَ أَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُقْتَلَ : فَنَزَلَ لِلصَّبِيَةِ يَا مُحَمَّدَ ! قَالَ : النَّارُ ، قَالَ : فَقَتَلَهُ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ أَبِي الْأَقْلَحِ الْأَنْصَارِيِّ ، ثُمَّ أَحَدَ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ .

قَالَ : كَمَا حَدَّثَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ ، قَالَ : وَمَا أَنْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى عِرْقِ الظُّبَيْيَةِ حِينَ قَتَلَ عُقْبَةَ لَقِيَهِ أَبُو هِنْدٍ مَوْلَى فَرْوَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ بَيْتَاضَى بِحَمِيَّتِ مَمْلُوءٌ حَيْسًا (٣) ، وَكَانَ قَدْ تَخَلَّفَ عَنْ بَدْرِ ، ثُمَّ شَهِدَ الْمَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،

(١) المَلَأَ : الْأَشْرَافُ .

(٢) سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ ٢ : ٧٧ ، وَالْأَغَانِي ٤ : ٢٠٣ .

(٣) قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : الْحَمِيَّتُ : « الزُّبْقُ . وَالْحَمِيْسُ : السَّمْنُ يَخْلُطُ بِالزُّبْقِ وَالْأَقْلَحُ » .

وكان حجّام رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : إنما أبو هند امرؤٌ من الأنصار ، فأنكحوه وأنكحوا إليه ، ففعلوا . ثم مضى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم حتى قدِم المدينة قبل الأسارى بيوم^(١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زُرارة ، قال : قدِم بالأسارى حين قدِم بهم وسودة بنت زمعة زوج النبي صلّى الله عليه وسلّم عند آل عفرَاء في منأحتهم على عوف ومعوذ ابني عفرَاء - قال : وذلك قبل أن يضرب عليهنّ الحجاب - قال : تقول سودة : والله إني لعندهم إذ أتينا ، فقيل : هؤلاء الأسارى قد أتى بهم ، قالت : فرحنت إلى بيتي ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فيه ؛ وإذا أبو يزيد سهيل بن عمرو في ناحية الحجرة ، مجموعة يداه إلى عنقه بحبل ، قالت : فوالله ما ملكتُ نفسي حين رأيتُ أبا يزيد كذلك أن قلت : يا أبا يزيد ، أعظيتم بأيديكم ، ألا متم كراما ! فوالله ما أنبهنى إلا قولُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من البيت : يا سودة ، أعلّ الله وعلى رسوله ! قالت : قلت : يا رسول الله ؛ والذي بعثك بالحق ما ملكتُ نفسي حين رأيتُ أبا يزيد مجموعة يداه إلى عنقه بحبل أن قلت ما قلت^(٢) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني نُبَيْه بن وهب ، أخو بني عبد الدار ، أن رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم حين أقبل بالأسارى فرّقهم في أصحابه ، وقال : استوصوا بالأسارى خيراً - قال : وكان أبو عزيز بن عمير بن هاشم ، أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمه في الأسارى - قال : فقال أبو عزيز : مرّ بي أخي مصعب بن عمير ، ورجل من الأنصار يأسرني ، فقال : شدّ يديك به ،

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٧٧ .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٧٧ ، ٧٨ ، والأغانى ٤ : ٢٠٤ .

فإن أمه ذاتُ متاع ، لعلها أن تفتديتهُ منك . قال : وكنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر ؛ فكانوا إذا قدموا غدآءهم وعشاءهم خصوني ١٣٣٨/١ بالخبز ، وأكلوا التمر لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم بنا ، ما تقع في يد رجل منهم كسرة من الخبز إلا نتفحني بها . قال : فأستحى ، فأردّها على أحدهم فإردّها عليّ ما يمتسها (١) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : وكان أول من قدم مكة بمُصاب قريش النُحييُسمان بن عبد الله بن إياس ابن ضُبَيْعَةَ بن مازن بن كعب بن عمرو الخزاعيّ - قال أبو جعفر : وقال الواقديّ : الحيسُمان بن حابس الخزاعيّ - قالوا : ما وراءك ؟ قال : قُتل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وأمّية بن خلف ، وزمعة بن الأسود ، وأبو البخريّ بن هشام ونُبيّه ومنبه ابنا الحجاج . قال : فلما جعل يعدّد أشراف قريش ، قال صفوان بن أمية وهو قاعد في الحجر : والله إن يعقل هذا فسَلُوهُ عني ، قالوا : ما فعل صفوان بن أمية ؟ قال : هو ذاك جالساً في الحجر ، وقد والله رأيتُ أباه وأخاه حين قتلا (٢) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : حدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، قال : قال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : كنت غلاماً للعبّاس بن عبد المطلب ، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت ، وأسلمت أم الفضل وأسلمت ، وكان العبّاس يهاب قومه ، ويكره أن يخالفهم ، وكان يكم إسلامه ، وكان ذا مال كثير متفرّق في قومه ، وكان أبو هب عدوّ الله قد تخلف عن بدر ، وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة وكذلك صنعوا ، لم يتخلف رجل إلا بعث مكانه رجلاً ، فلما جاء الخبر عن مُصاب أصحاب بدر من قريش ، كبتّه الله وأخزاه ، ووجدنا في أنفسنا قوّة وعزّاً .

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠٠ .

قال : وكنت رجلاً ضعيفاً ، وكنت أعمل القيداح ، أنحتُها في حَجْرَةٍ
 زمزم ، فوالله إنى لجالس فيها أنحت القيداح ، وعندى أم الفضل جالسة ،
 وقد سرنا ما جاءنا من الخبر ، إذ أقبلَ الفاسق أبو لب يجر رجليه بشرًا ،
 حتى جلس على طُنْبِ الحجرة ، فكان ظهره إلى ظهري ؛ فبينما هو جالس
 إذ قال الناس : هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قد قدم . قال :
 فقال أبو لب : هلم إلى يا بن أخي ؛ فعندك الخبر . قال : فجلس إليه ،
 والناس قيام عليه ، فقال : يا بن أخي ؛ أخبرني ؛ كيف كان أمر الناس ؟
 قال : لا شيء ؛ والله إن كان إلا أن لقيناهم ، فنحنهم أكتافنا ، يقتلوننا
 ويأسرون كيف شاءوا ؛ وإيمُ الله مع ذلك ما لُمتُ الناس ؛ لقينا
 رجالاً بيضاً على خيل بلُقى بين السماء والأرض ؛ ما تليق^(١) شيئاً ولا يقوم
 لها شيء . قال أبو رافع : فرفعت طُنْب^(٢) الحجرة بيدي ، ثم قلت : تلك
 الملائكة . قال : فرجع أبو لب يده ففرض وجهي ضربة شديدة ، قال :
 فتاورته^(٣) ، فاحتملني ، ففرض بي الأرض ثم برك على يضرني - وكنت رجلاً
 ضعيفاً - فقامت أم الفضل إلى عمود من عمود الحجرة ، فأخذته ففرضته به
 ضربة فشجت^(٤) في رأسه شجة منكرة ، وقالت : تستضعفه أن غاب عنه سيده!
 فقام مولياً ذليلاً ، فوالله ما عاش إلا سبع ليال حتى رماه الله عز وجل بالعدسة^(٥)
 فقتلته ، فامد تركه ابناه ليلتين أو ثلاثاً ما يدفنانه حتى أنتن في بيته - وكانت
 قرينش تتقي العدسة وعدوتها كما يتقى الناس الطاعون - حتى قال لهما
 رجل من قرينش : ويحكما ! ألا تستحيان أن أباكما قد أنتن في بيته
 لا تغيبانه ! فقالا : إنا نخشى هذه القرحة ، قال : فانطلقا فأنا معكما ،
 فما غسلوه إلا قذفاً بالماء عليه من بعيد ، ما يمسونه ، ثم احتملوه فدفنوه بأعلى
 مكة إلى جدار ، وقذفوا عليه الحجارة حتى واروه^(٦) .

(١) ما تليق : ما تليق .

(٢) طنب الحجرة : طرفها .

(٣) تاورته : وثبت إليه .

(٤) كذا في الأغاني ، وفي ط : « فقلت » .

(٥) العدسة : قرحة قاتلة كالطاعون .

(٦) سيرة ابن هشام ٢ : ٧٨ ، ٧٨ ، والأغاني ٤ : ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، قال : قال محمد بن إسحاق : وحدثني العباس بن عبد الله بن معبد ، عن بعض أهله ، عن عبد الله ابن عباس ، قال : لما أمسى القوم من يوم بدر ، والأسارى محبسون في الوثاق ، بات رسول الله صلى الله عليه وسلم ساهراً أول ليلة ، فقال له أصحابه : يا رسول الله ، مالك لا تنام ! فقال : سمعت تضور العباس في وثاقه ، قال : فقاموا إلى العباس فأطلقوه ، فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم^(۱) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق ، قال : فحدثني الحسن بن عمار ، عن الحكم بن عتيبة بن مقسم ، عن ابن عباس ، قال : كان الذي أسر العباس أبو اليسر كعب بن عمرو أخو بني سلمة ، وكان أبو اليسر رجلاً مجموعاً ، وكان العباس رجلاً جسيماً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي اليسر : كيف أسرت العباس يا أبا اليسر ؟ فقال : يا رسول الله ؛ لقد أعانى عليه رجل ما رأيته قبل ذلك ولا بعده ؛ هيته كذا وكذا ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد أعانك عليه ملك كريم^(۱) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق ، قال : وحدثني يحيى بن عباد ، عن أبيه عباد ، قال : ناحت قريش على قتلاهم ، ثم قالوا : لا تفعلوا فيبلغ ذلك محمداً وأصحابه ، فيشمت^(۲) بكم ، ولا تبعثوا في فداء أسراكم حتى تستأنوا بهم^(۳) ؛ لا يتأرب^(۴) عليكم محمد وأصحابه في الفداء^(۵) .

(۱) الأغاني ۴ : ۲۰۶ .

(۲) سيرة ابن هشام والأغاني : « فيشمتوا » .

(۳) حتى تستأنوا بهم : أى تؤخروا فداهم ، وفي الأغاني : « حتى تياسوا » .

(۴) يتأرب : يتأرب ويتشدد . وفي السيرة واللسان - مادة أرب : « لا يأرب » . وأرب : تشدد .

(۵) سيرة ابن هشام ۷۹ ، والأغاني ۴ : ۲۰۶ .

قال : وكان الأسود بن عبد المطلب^(١) قد أصيب له ثلاثة من ولده :
 زَمْعَةُ بن الأسود ؛ وعقيل بن الأسود ، والحارث بن الأسود ؛ وكان يحب أن
 يبكي على بنيه ؛ فبينما هو كذلك ؛ إذ سمع نائحة من الليل ، فقال لغلام له
 وقد ذهب بصره : انظر هل أحيل النحب ؟ هل بكت قريش على قتلاها ؟
 لعلني أبكي على أبي حكيمة - يعني زَمْعَةَ - فإن جوفى قد احترق ! قال :
 فلما رجع إليه الغلام ، قال : إنما هي امرأة تبكي على بعيرها أضلته . قال :
 فذلك حين يقول :

أَتَبْكِي أَنْ يَضِلَّ لَهَا بَعِيرٌ وَيَمْنَعُهَا مِنَ النَّوْمِ الشُّهُودُ^(٢)
 فَلَا تَبْكِي عَلَى بَكْرِ وَلَكِنْ عَلَى بَدْرِ نَقَّصَرْتِ الْجُدُودُ^(٣)
 عَلَى بَدْرِ سَرَاةِ بَنِي هُصَيْنٍ وَمَخْزُومٍ وَرَهْطِ أَبِي الْوَلِيدِ^(٤)
 وَبَكِّي إِنْ بَكَيتِ عَلَى عَقِيلٍ وَبَكِّي حَارِثًا أَسَدَ الْأُسُودِ^(٥)
 وَبَكِّيهِمْ وَلَا تَسْمِي^(٦) جَمِيعًا فَمَا لِأَبِي حَكِيمَةٍ مِنْ نَدِيدِ
 أَلَا قَدْ سَادَ بَعْدَهُمْ رِجَالٌ وَلَوْلَا يَوْمٌ بَدْرٍ لَمْ يَسُودُوا^(٧)

قال : وكان في الأسارى أبو وداعة بن ضبيرة السهمي . فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم : إن له ابناً تاجراً كيساً ذا مال ؛ وكأنكم به قد جاءكم
 في فداء أبيه ! قال : فلما قالت قريش : لا تعجلوا في فداء أسرائكم لا يتأرب^(٨)
 عليكم محمد وأصحابه ، قال المطلب بن أبي وداعة - وهو الذي كان رسول
 الله صلى الله عليه وسلم عني - : صدقتم ، لا تعجلوا بفداء أسرائكم .

(١) كذا في السيرة ؛ وهو الموافق لما في حماسة أبي تمام والاشتقاق لابن دريد ٩٤ ، وفي ط :

« ابن عبد يغوث » .

(٢) حماسة أبي تمام - بشرح التبريزي ٢ : ٣٤٠ ، ٣٤١ .

(٣) البكر : الفتى من الإبل . نقاصرت الحدود ، أي تواضعت المخطوط .

(٤) سراة : جمع سري ؛ وهو السيد الكريم .

(٥) بكاه بالتضعيف ، كبكاه الخفف .

(٦) لا تسمى مخفف « لا تسمى » .

(٧) قال ابن هشام : « هذا إقواء » .

(٨) سيرة ابن هشام : « لا يتأرب » .

ثم انسل من الليل ، فقدم المدينة ، فأخذ أباه بأربعة آلاف درهم ، ثم انطلق به ، ثم بعث قريش في فداء الأسارى ، فقدم ميكرز بن حفص ابن الأخيف في فداء سهيل بن عمرو ، وكان الذي أسر ه مالك بن الدخشم ، أخو بني سالم بن عوف ، وكان سهيل بن عمرو أعلم^(١) من شفته السفلى^(٢) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق :

فحدثني محمد بن عمرو بن عطاء بن عيش^(٣) بن علقمة ، أخو بني عامر بن لؤي ، أن عمر بن الخطاب قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله انتزع ثيبي سهيل بن عمرو . السفليين يدلح^(٤) لسانه ، فلا يقوم عليك خطيبا في موطن أبدا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا أمثل^(٥) به فيمثل الله بي ؛ وإن كنت نبيا .

قال : وقد بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر في هذا الحديث : إنه عسى أن يقوم مقامًا لا تدمه ؛ فلما قاوهم فيه ميكرز ، وانتهى إلى رضاهم ، قالوا : هات الذي لنا . قال : اجعلوا رجلي مكان رجله ، واخلتوا سبيله حتى يبعث إليكم بفدائه . قال : فخلتوا سبيل سهيل ، وحبسوا ميكرزًا مكانه عندهم^(٥) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق ، عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس بن عبد المطلب حين انتهى به إلى المدينة : يا عباس ، اقد نفسك وابني^(٦) أخيك عقييل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث ، وحليفك عتبة بن عمرو بن جحدم ، أخا بني الحارث بن فهر ؛ فإنك ذو مال .

(١) الأعم : المشقوق الشفة العليا ؛ وأما المشقوق الشفة السفلى ؛ فهو الأفلح .

(٢) الخبر في سيرة ابن هشام ٢ : ٧٩ ، ٨٠ ، والأغاني ٤ : ٢٠٨ ، ٢٠٩ .

(٣) ط : « عباس » ، والصواب ما أثبت ، وانظر كتب التراجم .

(٤) يدلح : يخرج .

(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٨٠ .

(٦) الأغاني : « ابن » .

فقال : يا رسول الله ؛ إني كنتُ مُسْلِماً ؛ ولكنَّ القوم استكروهني ، فقال :
الله أعلم بإسلامك ؛ إن يكن ما تذكر حقاً فالله يجزيك به ، فأما ظاهرُ
أمرك فقد كان علينا ، فافند نفسك - وكان رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قد أخذ منه عشرين أوقيةً من ذهب - فقال العباسُ : يا رسولَ الله ، احسبها
لي في فدائي ، قال : لا ؛ ذلك شيء أعطانا الله عزَّ وجلَّ منك ، قال : فإنه
ليس لي مال . قال : فأين المال الذي وضعته بمكة حيث خرجت من عند
أم الفضل بنت الحارث ، ليس معكما أحد . ثم قلت لها : إن أصبتُ في
سفري هذا فللفضل كذا وكذا ، ولعبد الله كذا وكذا ، وليقُثم كذا وكذا ،
ولعبيد الله كذا وكذا ! . قال : واللّذي بعثتُك بالحق ما علمَ هذا أحد
غيري وغيرها ؛ وإني لأعلم أنك رسول الله ، ففدَى العباسُ نفسه وابني^(١)
أخيه وحليفته^(٢) .

١٣٤٥/١

حدثنا ابنُ حميد ؛ قال : حدثنا سامة بن الفضل ، عن محمد ،
قال : وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، قال : كان
عمرو بن أبي سفيان بن حرب - وكان لابنة عتبة بن أبي معيط - أسيراً في
يدي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أسارى بدر ، فقيل لأبي سفيان :
افندِ عَمْرًا ، قال : أجمع على دمي ومالي ! قتلوا حنظلة وأفدى
عمرًا ! دَعُوهُ في أيديهم يمسكوه ما بدا لهم . قال : فبينما هو كذلك محبوسٌ
عند رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، خرج سعد بن الزعمان بن أكال ،
أخو بني عمرو بن عوف ، ثم أحد بني معاوية معتمراً ، ومعه مِرْيَة^(٣) له ؛
وكان شيخاً كبيراً مسلماً في غنم له بالنقيع^(٤) ؛ فخرج من هنالك معتمراً ؛
ولا يخشى الذي صنَّع به ؛ لم يظن أنه يُحبس بمكة ؛ إنما جاء معتمراً ؛

(١) الأغاني : « وابن أخيه » .

(٢) الأغاني ٤ : ٢٠٧ .

(٣) مرية ، تصغير امرأة .

(٤) م : « البقيع » ، والصواب ما في ط والسيرة ؛ والنقيع : موضع قرب المدينة ، والبقيع :

موضع داخل المدينة ؛ والأول هو المراد .

وقد عهد قريشا لا تعترض لأحد حاجاً أو معتمراً إلا بخير ؛ فعدا عليه ۱۳۴۶/۱
أبو سفيان بن حرب ، فحبسه بمكة بابنه عمرو بن أبي سفيان ، ثم قال
أبو سفيان :

أرَهَطَ ابْنِ أَكَّالٍ أَجِيبُوا دُعَاءَهُ تَعَاقَدْتُمْ لَأُتْسَلِمُوا السَّيِّدَ الْكَهْلَا^(۱)
فَإِنَّ بَنِي عَمْرٍو لثَامٌ أَذِلَّةٌ لَنْ لَمْ يَفْكَرُوا عَنْ أَسِيرِهِمُ الْكَبَلَا

قال : فمضى بنو عمرو بن عوف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛
فأخبروه خبره ، وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبي سفيان فيفكوا شيخهم ؛
ففعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبعثوا به إلى أبي سفيان ، فخلّى
سبيل سعد .

قال : وكان في الأسارى أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن
عبد شمس^(۲) اختن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، زوج ابنته زينب ، وكان
أبو العاص من رجال مكة المعدودين مالا وأمانة وتجارة ، وكان لهالة بنت خويلد
[وكانت]^(۳) خديجة خالته ، فسألت خديجة رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن يزوجه ؛ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخالفها ؛ وذلك قبل
أن ينزل عليه ، فزوجه ؛ فكانت تعدّه بمنزلة ولدها ؛ فلما أكرم الله عز وجل
رسوله بنبوته آمنت به خديجة وبناته ، فصدقته وشهدن^(۴) أن ما جاء
به هو الحق ؛ ودين بدينه ؛ وثبت أبو العاص على شيركه .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد زوج عتبة بن أبي لهب
إحدى ابنتيه ربيعة أو أم كلثوم ؛ فلما بادي قريشا بأمر الله عز وجل
وباعده^(۵) ، قالوا : إنكم قد فرغتم محمداً من همة ؛ فردوا عليه بناته ، فاشغلوه
بهن ، فمشوا إلى أبي العاص بن الربيع ، فقالوا له : فارق صاحبك ؛ ونحن ۱۳۴۷/۱

(۱) كذا في السيرة ، و ، وفي ط : « تفاقدم » .

(۲) قال ابن هشام : « أسره خراش بن الصمة ، أحد بني حرام » .

(۳) من ابن هشام .

(۴) م : « وشهدت » .

(۵) ابن هشام : « بالعداوة » .

نزوّجك أياً امرأة شئت من قريش ، قال : لا ها الله إذا ؛ لأفارق صاحبتي وما أحب أن لي بامرأتي امرأة من قريش ؛ وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يثنى عليه في صهره خيراً - فيما بلغني .

قال : ثم مشوا إلى الفاسق ابن الفاسق ، عتبة بن أبي لهب ، فقالوا له : طلق ابنة محمد ونحن نزوّجك أياً امرأة من قريش شئت ؛ فقال : إن زوّجتموني ابنة أبان بن سعيد بن العاص ، أو ابنة سعيد بن العاص فارتتها . فزوّجوه ابنة سعيد بن العاص وفارقها ، ولم يكن عدوّ الله دخل بها ، فأخرجها الله من يده كرامة لها ، وهواناً له ؛ فخلف عليها عثمان بن عفان بعده ؛ وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم لا يُحِلُّ بمكّة ولا يحرم مغلوباً على أمره ، وكان الإسلام قد فرّق بين زينب بنت رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم حين أسلمت وبين أبي العاص بن الربيع ؛ إلا أن رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم كان لا يقدر على أن يفرّق بينهما ؛ فأقامت معه على إسلامهم وهو على شركه ؛ حتى هاجر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فلما سارت قريش إلى بدر سار فيهم أبو العاص بن الربيع ؛ فأصيب في الأسارى يوم بدر ، وكان بالمدينة عند رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم (١) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : فحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، عن عائشة زوج النبي صلّى الله عليه وسلّم ، قالت : لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم ، بعثت زينب بنت رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم في فداء أبي العاص ابن الربيع بمال ، وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين يثنى عليها .

قالت : فلما رآها رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم رق لها رقّة شديدة ، وقال : إن رأيتم أن تُطلقوها أسيرها وتردوا عليها الذي لها فافعلوا ! فقالوا : نعم يا رسول الله ، فاطلقوه وردوا عليها الذي لها .

(١) سيرة ابن مشام ٢ : ٨٠ ، ٨١ .

وكان رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أخذَ عليه - أو وَعَدَّ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أن يَخْلِيَ سَبِيلَ زَيْنَبَ إِلَيْهِ، أو كان فيما شَرَطَ عَلَيْهِ في إطلاقه ؛ ولم يظهر ذلك منه ولا من رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فيعلم ما هو ! إلاَّ أَنَّهُ لما خرج أبو العاصِ إلى مَكَّةَ وَخَلَّى سَبِيلَهُ ، بعث رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زيدَ بنَ حارثةَ ورجلاً من الأنصار مكانه ، فقال : كونا ببطنِ يَأْجَجَ ؛ حتى تمرَّ بكما زينب فتصحباهما ، حتى تأتياني بها ، فخرجا مكانهما ؛ وذلك بعد بدر بشهر أو شَيْعَهُ^(١) . فلما قدم أبو العاصِ مَكَّةَ أمرها باللحوق بأبيها ؛ فخرجت تجهزاً^(٢) .

فحدثنا ابنُ حُمَيْدٍ قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني عبدُ الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، قال : حدثت عن زينب أنها قالت : بينا أنا أتجهزُ بمَكَّةَ لِلحقوقِ أَبِي ، لقيتني هند بنت عتبة ، فقالت : أي ابنة محمد^(٣) ؛ ألم يَبْلُغْنِي أَنَّكَ تريدان اللحق بأبيك ! قالت : فقلت : ما أردتُ ذلك ، قالت : أي ابنة عمي ، لا تفعل ؛ إن كانت لك حاجة بمتاع مما يرفق بك في سفرك ، أو بمال تبليغين^(٤) به إلى أبيك ، فإنَّ عندي حاجتك فلا تضطني^(٥) مني ؛ فإنه لا يدخل بين النساء ما يدخل بين الرجال . قالت : والله ما أراها قالت ذلك إلاَّ لتفعل . قالت : ولكني خفتُها ، فأنكرتُ أن أكون أريد ذلك ، وتجهزت .

فلما فرغت ابنة رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من جِهازها قدَّم لها حموها كِنانة بن الربيع أخو زوجها بغيراً فركبته ، وأخذ قوسه وكنانته ، ثم خرج بها نهاراً يقود بها ، وهي في هودج لها . وتحدث بذلك رجال قريش ،

(١) شيعه : قريب منه .

(٢) الخبر في سيرة ابن هشام ٢ : ٨١ .

(٣) سيرة ابن هشام : « يا بنت محمد » .

(٤) سيرة ابن هشام : « تبليغين » .

(٥) لا تضطني : لا تستحي ، وأصله الهمز ؛ يقال : اضطانت المرأة : استحييت ؛

فحذفت الهمة تخفيفاً .

فخرجوا في طلبها حتى أدركوها بذي طوى ، فكان أول من سبق إليها هبّار بن الأسود بن المطّلب بن أسد بن عبد العزّي ونافع بن عبد القيس ، والفهري^(١) . فروعها هبّار بالرمح وهي في هودجها - وكانت المرأة حاملا ، فيما يزعمون - فلما رجعت طرحت ذا بطنها ، وبرك حمّوها ، ونثر كنانته ثم قال : والله لا يدنو مني رجلٌ إلا وضعت فيه سهما ، فتكركر^(٢) الناس عنه ، وأتاه أبو سفيان في جليّة قريش ، فقال : أيّها الرجل ، كفّ عنا نبتك حتى نكلّمك ، فكفّ . فأقبل أبو سفيان حتى وقف عليه ، فقال : إنك لم تُصِبْ ، خرجتَ بالمرأة على رعوس الرجال علانية ، وقد عرفت مصيبتنا ونكبتنا وما دخل علينا من محمد ، فيظنّ الناس إذا خرج بابنته علانية من بين أظهرنا أن ذلك عن ذلّ أصابنا عن مصيبتنا ، ونكبتنا التي كانت ، وأنّ ذلك منا ضعفٌ ووَهْنٌ ؛ لتعمري ما لنا حاجة في حبسها عن أبيها ، ومالنا في ذلك من ثورة^(٣) ؛ ولكن أرجع المرأة ، فإذا هدأ الصوت ، وتحدثت الناس أنا قد رددناها ، فسألها سرا فألحقتها بأبيها^(٤) . ففعل حتى إذا هدأ الصوتُ خرج بها ليلا ؛ حتى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبه ، فقد ما بها على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

١٣٤٠/١

قال : فأقام أبو العاص بمكّة ، وأقامت زينبُ عند رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالمدينة ، قد فرّق بينهما الإسلام ، حتى إذا كان قبيل الفتح خرج تاجرا إلى الشام - وكان رجلا مأمونا بمال له ، وأموان رجال من قريش أبضعوها معه - فلما فرغ من تجارته - وأقبل قافلا ؛ لقيته سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصابوا ما معه ، وأعجزهم هربا ، فلما قدمت السرية بما أصابوا من ماله ، أقبل أبو العاص تحت الليل ؛ حتى دخل على زينب بنت رسول الله

(١) ط : « الفهري » ؛ . وما أثبت من الروض الأنف . قال السهيلي : « قال : وسبق إليها هبار بن الأسود ، والفهري ، ولم يسم ابن إسحاق الفهري ، وقال ابن هشام : هو نافع بن عبد قيس ، وفي غير السيرة أنه خالد بن عبد قيس » .
 (٢) تكركر الناس عنه : رجعوا وانصرفوا .
 (٣) الثورة : طلب الثأر .
 (٤) م : « بأهلها » .

صلى الله عليه وسلم ، فاستجار بها ، فأجارته في طلب ماله ، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصبح - فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : كما حدثني يزيد بن رومان - فكبر وكبر الناس معه ، صرخت زينب من صفة^(١) النساء : أيها الناس ، إني قد أجزت أبا العاص بن الربيع . فلما سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة ، أقبل على الناس ، فقال : أيها الناس ، هل سمعتم ما سمعت ! قالوا : نعم ، قال : أما والذي نفسي محمد بيده ، ما علمت بشيء كان حتى سمعت منه ما سمعتم ؛ إنه يجير على المسلمين أديانهم . ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل على ابنته ، فقال : أي بنيّة أكرمي مثواه ولا يخلص إليك ، فإنك لا تحلين له^(٢) .

١٣٥١/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : وحدثني عبد الله بن أبي بكر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى انسرية الذين أصابوا مال أبي العاص ، فقال لهم : إن هذا الرجل منّا حيث قد علمتم ، وقد أصبتم له مالا ، فإن تحسنوا تردوا عليه الذي له ؛ فإننا نحب ذلك ؛ وإن أبيتم فهو فتيء الله الذي أفاءه عليكم ؛ فأنتم أحقّ به . قالوا : يا رسول الله ، بل نردّه عليه !

قال : فردوا عليه ماله حتى إن الرجل ليأتي بالحبل^(٣) ، ويأتي الرجل بالشنة^(٤) والإداوة^(٥) ؛ حتى إن أحدهم ليأتي بالشظاظ^(٦) ، حتى ردوا عليه ماله بأسره ؛ لا يفقد منه شيئا . ثم احتمل إلى مكة ، فأدى إلى كل ذي مال من قريش

(١) الصفة : السقيفة .

(٢) الخبر في سيرة ابن هشام ٢ : ٨٢ ، ٨٣ .

(٣) ابن هشام : « الدلو » .

(٤) الشنة : السقاء البالي .

(٥) الإداوة : إناء صغير من جلد .

(٦) الشظاظ : خشبة عفاء تدخل في عروة الجوارق ، والجمع أشظة .

ماله ممن كان أبضع معه، ثم قال: يا معشر قريش؛ هل بقي لأحد منكم عندي مال لم يأخذه؟ قالوا: لا فجزاك الله خيراً؛ فقد وجدناك وفيّاً كريماً، قال: فلإني أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً عبده ورسوله؛ والله ما منعتني من الإسلام عنده إلاّ تخوّف أن تظنوا أنّي إنما أردت أكل أموالكم؛ فلما أداها الله إليكم، وفرغت منها أسلمت. ثم خرج حتى قدم على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم^(١).

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: فحدثني داود بن الحصين، عن عكرمة مولى ابن عباس، عن عبد الله بن عباس، قال: ردّ عليه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم زينب بالنكاح الأول، ولم يحدث شيئاً بعد ست سنين^(١).

• • •

حدثنا ابن حميد، قال حدثنا سلمة بن الفضل، قال: قال محمد بن إسحاق، حدثني محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير، قال: جلس عمير بن وهب الجُمحى مع صفوان بن أمية بعد مصاب أهل بدر من قريش بيسير في الحجير - وكان عمير بن وهب شيطاناً من شياطين قريش، وكان ممن يؤذي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه، ويلقون منه عناء وهم بمكة، وكان ابنه وهب بن عمير في أسارى بدر - فذكر أصحاب القليب ومصابهم، فقال صفوان: والله إن في العيش خير بعدهم، فقال عمير: صدقت والله! أما والله لولا دين عليّ ليس له عندي قضاء وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدى، لركبت إلى محمد حتى أقتله، فإن لي قبيلهم علّة، ابني أسير في أيديهم.

فاغتنمها صفوان بن أمية، فقال: عليّ دينك أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا، لا يسعني شيء ويعجز عنهم، قال عمير: فاكتم عليّ شأني وشأنك: قال: أفعل.

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٨٣ .

١٣٥٢/١

قال : ثم إن عميراً أمر بسيفه فشحذ له وسُم ، ثم انطلق حتى قدم المدينة ، فبينما عمر بن الخطاب في نفر من المسلمين في المسجد يتحدثون عز يوم بدر ، ويذكرون ما أكرمهم الله عز وجل به ، وما أراهم في عدوهم ؛ إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب حين أناخ بعيره على باب المسجد ، متوشحاً بالسيف ، فقال : هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب ، ما جاء إلا لشر ! وهو الذي حرش^(١) بيننا ، وحرزنا^(٢) للقوم يوم بدر . ثم دخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا نبي الله ، هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحاً سيفه ، قال : فأدخيله علي .

قال : فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه ، فلبسه بها ، وقال لرجال ممن كان معه من الأنصار : ادخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسوا عنده ، واحذروا هذا الخبيث عليه ، فإنه غير مأمون . ثم دخل به على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر أخذ بحمالة سيفه ، قال : أرسله يا عمر ، ادن يا عمير ، فدنا ثم قال : أنعموا صباحاً - وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير ؛ بالسلام تحية أهل الجنة ، قال : أما والله يا محمد إن كنت لحديث عهد بها . قال : ما جاء بك يا عمير ؟ قال : جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم ، فأحسنوا فيه . قال : فما بال السيف في عنقك ! قال : قبحها الله من سيوف ! وهل أغنت شيئاً ! قال : اصدقني بالذي جئت له ، قال : ما جئت إلا لذلك ، فقال : بلى ، قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحِجْر ، فذكرتما أصحاب القليب من قريش ، ثم قلت : لولا دين علي وعيالي لخرجت حتى أقتل محمداً ، فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك ، علي أن تقتلني له . والله عز وجل حائل بيني وبينك . فقال عمير : أشهد أنك رسول الله ؛ قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت

١٣٥٤/١

(١) حرش : أفسد .

(٢) الحرز : تقدير العدد تحمينه .

تأتينا به من خبر السماء . وما ينزل عليك من الوحي : وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان ؛ فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله ؛ فالحمد لله الذي هداني للإسلام . وساقني هذا المساق . ثم تشهد شهادة الحق ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فتقوهوا أحاكم في دينه . وأقرئوه وعلموه القرآن ؛ وأطلقوا له أسيره .

قال : فتعلموا . ثم قال : يا رسول الله : إني كنت جَاهِدًا في إطفاء نور الله ، شديد الأذى لمن كان على دين الله ؛ وإني أحب أن تأذن لي فأقدم مكة فأدعوهم إلى الله وإلى الإسلام ؛ لعل الله أن يهديهم ؛ وإلا آذيتهم في دينهم كما كنت أؤذي أصحابك في دينهم .

قال : فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلحق بمكة ، وكان صفوان حين خرج عمير بن وهب يقول لقريش : أبشروا بوقعة تأتيكم الآن في أيام تنسيكم وقعة بدر . وكان صفوان يسأل عنه الركبان ؛ حتى قدم راكب فأخبره بإسلامه . فحلف ألا يكاتبه أبداً ولا ينفعه بنفع أبداً . فلما قدم عمير مكة أقام بها يدعو إلى الإسلام . ويؤذي من خالفه أذى شديداً فأسلم على يديه أناس كثير^(١) .

• • •

فلما انقضى أمر بدر ، أنزل الله عز وجل فيه من القرآن الأنفال بأسرها . حدثنا أحمد بن منصور ، قال : حدثنا عاصم بن علي ، قال : حدثنا عكرمة بن عمار . قال : حدثنا أبو زُمَيْل ، قال : حدثني عبد الله بن عباس ؛ حدثني عمر بن الخطاب ، قال : لما كان يوم بدر التقوا ، فهزم الله المشركين . فقتل منهم سبعون رجلاً ، وأسير سبعون رجلاً ، فلما كان يومئذ شاور رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعلياً وعمر ، فقال أبو بكر : يا نبي الله ، هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان ؛ فإني أرى أن تأخذ منهم الفدية ؛ فيكون ما أخذنا منهم قوة ، وعسى الله أن يهديهم ،

١٣٥٥/١

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٨٤ .

فيكونوا لنا عَضُدًا . فقال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ما ترى يا بن الخطاب ؟ قال : قلتُ : لا والله ، ما أرى الذي رأى أبو بكر ، ولكني أرى أن تمكّنتي من فلان فأضربَ عنقه ، وتمكّنت حنزة من أخ له فيضرب عنقه ، وتمكّنت علياً من عَقِيل فيضرب عنقه ، حتى يعلم الله أن ليس في قلوبنا هَوَادَةٌ للكُفَّار ؛ هؤلاء صناديدهم وقادتهم وأئمتهم .

قال : فهوى رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما قال أبو بكر ، ولم يهوَ ما قلت أنا ، فأخذ منهم الفداء ، فلما كان الغدُ قال عمر : غدوتُ إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو قاعِدٌ وأبو بكر ، وإذا هما يبكيان ، قال : قلتُ : يا رسول الله أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك ؟ فإن وجدتُ بكاءً بكيتُ ، وإن لم أجِدْ تباكيتُ لبكائكما . فقال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : للذي عرض عليّ أصحابك من الفداء . لقد عرض عليّ عذابكم أدنى من هذه الشجرة - لشجرة قريبة - وأنزل الله عز وجل : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُنْخِنَ فِي الْأَرْضِ ﴾ إلى قوله : ﴿ فِيمَا أَخَذْتُم عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾^(۱) ؛ ثم أحلّ لهم الغنائم .

فلما كان من العام القابل في أحد عوقبوا بما صنعوا ، قُتِلَ من أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سبعون ، وأسر سبعون ، وكسرت رباعيته وهُشِمَتِ البَيْضَةُ على رأسه ، وسال الدم على وجهه ، وفرّ أصحابُ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وصعدوا الجبل ، فأنزل الله عز وجل هذه الآية : ﴿ أَوْ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنْ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾^(۲) ، ونزلت هذه الآية الأخرى : ﴿ إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي آخِرِكُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ مِنْ بَعْدِ الْفَمِّ أَمَنَةٌ ﴾^(۳) .

(۱) سورة الأنفال ۶۷

(۲) سورة آل عمران ۱۶۵

(۳) سورة آل عمران ۱۵۳ ، ۱۵۴

حدَّثني سلم بن جُنادة ، قال : حدَّثنا أبو معاوية ، قال : حدَّثنا الأعمش ، عن عمرو بن مُرَّة ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله ، قال : لما كان يوم بدر ، وجيء بالأسرى ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما تقولون في هؤلاء الأسرى ؟ فقال أبو بكر : يا رسول الله ، قومك وأهلك ، استبقيهم واستأنهم ؛ لعل الله أن يتوب عليهم . وقال عمر : يا رسول الله كذبوك وأخرجوك ، قدّمهم فضرّب أعناقهم . وقال عبد الله بن رواحة : يا رسول الله ، انظر وادباً كثير الخطب فأدخِلهم فيه ، ثم أضرمه عليهم ناراً . قال : فقال له العباس : قطعتك رحيمك ! قال : فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يُجيبهم ، ثم دخل ، فقال ناس : يأخذ بقول أبي بكر ، وقال ناس : يأخذ بقول عمر ، وقال ناس : يأخذ بقول عبد الله بن رواحة ، ثم خرج عليهم رسول الله ، فقال : إن الله عز وجل ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللين^(١) ؛ وإن الله ليشد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة ؛ وإن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم ، قال : ﴿ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^(٢) ، ومثلك يا أبا بكر ، مثل عيسى ، قال : ﴿ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ وَإِنْ تُنْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾^(٣) ومثلك يا عمر مثل نوح ، قال : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾^(٤) ، ومثلك كمثل موسى ، قال : ﴿ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالَهُمْ وَاشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾^(٥) . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنتم اليوم عائلة فلا يفلتن منهم أحدٌ إلا بفداء أو ضرب عنق ؛ قال عبد الله بن مسعود : إلا سهيل ابن بيضاء ؛ فإني سمعته يذكر الإسلام . فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

١٣٥٧/١

(١) م : « اللين » .

(٢) سورة إبراهيم ٣٦

(٣) سورة المائدة ١١٨

(٤) سورة نوح ٢٦

(٥) سورة يونس ٨٨

فأرأيتني في يوم أخوف أن تقع عليّ الحجارة من السماء مني في ذلك اليوم ، حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إلا سهيل بن بيضاء » قال : فأنزل الله عز وجل : ﴿ مَا كَانَ لَنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُثَخِّنَ فِي الْأَرْضِ ... ﴾ إلى آخر الآيات الثلاث .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن اسحاق : لما نزلت - يعني هذه الآية : ﴿ مَا كَانَ لَنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى ﴾ ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو نزل عند أب من السمَاء لم ينسج منه إلا سعد بن معاذ ، لقوله : يا نبي الله ، كان الإثنخان في القتل أحب إلى من استبقاء الرجال .

• • •

قال أبو جعفر : وكان جميع من شهد بدرًا من المهاجرين ، ومن ضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه وأجره ثلاثة وثمانين رجلاً في قول ابن إسحاق .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عنه : وجميع من شهد من الأوس معه ومن ضرب له بسهمه واحد وستون رجلاً . وجميع من شهد معه من الخزرج مائة وسبعون رجلاً في قول ابن إسحاق ، وجميع من استشهد من المسلمين يومئذ أربعة عشر رجلاً ، ستة من المهاجرين وثمانية من الأنصار .

وكان المشركون - فيما زعم الواقدي - تسعمائة وخمسين مقاتلاً ، وكانت خيلهم مائة فرس .

ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ جماعة استصغروهم - فيما زعم الواقدي - فمنهم فيما زعم عبد الله بن عمر ، ورافع بن خديج ، والبراء بن عازب ، وزيد بن ثابت ، وأسيد بن ظهير ، وعمير بن أبي وقاص ثم أجاز عميراً بعد أن رده فقتل يومئذ .

وكان رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم قد بعث قبل أن يخرج من المدينة طَلْحَةَ بن عبِيد الله ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، إلى طريق الشام يتحسَّسان الأخبار عن العير ، ثم رجعا إلى المدينة ، فتقدِّماها يوم وقعة بدر ، فاستقبلا رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بتُربَّان ؛ وهو منحدرٌ من بدر يريد المدينة .

• • •

قال الواقدي : كان خروج رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم من المدينة في ثلثمائة رجل وخمسة ، وكان المهاجرون أربعة وسبعين رجلا ، وسائرهم من الأنصار ، وضرب لثمانية بأجورهم وسُهدانهم : ثلاثة من المهاجرين ؛ أحدهم عثمان بن عفان كان تخلف على ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ماتت ، وطَلْحَةَ بن عبِيد الله وسعيد بن زيد ، كان بتعهما يتحسَّسان الخبر عن العير ، وخمسة من الأنصار : أبو لُبابة بشير بن عبد المنذر ؛ خلفه على المدينة ، وعاصم بن عدى بن العجلان ؛ خلفه على العالية ، والحارث بن حاطب ؛ رده من الروحاء إلى بني عمرو بن عوف لشيء بلغه عنهم ، والحارث ابن الصمة ؛ كُسِرَ بالروحاء ، وهو من بني مالك بن النجار ، وختواتُ بن جُبَيْر ، كسر من بني عمرو بن عوف . قال : وكانت الإبل سبعين بعيرا ، والحيل فرسين : فرس للمقداد بن عمرو ، وفرس لمُرثد بن أبي مرثد .

١٣٥٩/١

• • •

قال أبو جعفر : وروى عن ابن سعد ، عن محمد بن عمر ، عن محمد بن هلال ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : ورثي رسول الله صلى الله عليه وسلم في أثر المشركين يوم بدر مُصَلِّتًا السَّيْفَ ، يتلو هذه الآية :
﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ (١)

قال : وفي غزوة بدر انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه ذا الفقار ،

وكان لمُنَبِّه بن الحجاج .

قال : وفيها غم جمَلّ أبي جهل ؛ وكان مهريّاً يغزو عليه ويضرب في لِقاحه .

• • •

قال أبو جعفر : ثم أقام رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمدينة ، مُنْصَرَفَهُ من بدر ، وكان قد وادح حرسَ قِمْيْنَةَ يهوداً ؛ على أن لا يُعِينُوا عليه أحداً ، وأنه إن دهمته بها عدوٌّ نصره . فلما قَتَلَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ قَتَلَ بيدر من مشركي قريش ، أظهروا له الحسدَ والبغى ، وقالوا : لم يلق محمدٌ من يُحْسِنُ القتالَ ؛ ولو لقيْنَا لاقى عندنا قتالاً لا يشبهه قتال أحد ؛ وأظهروا نقضَ العهد .

• • •

غزوة بني قينقاع

فحدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : كان من أمر بني قينقاع ، أن رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جمعهم ١٣٦٠/١ بسوق بني قينقاع ، ثم قال : يا معشر اليهود ، احذروا من الله عز وجل مثل ما نزل بقريش من النقمة ، وأسلموا ؛ فإنكم قد عرفتم أني نبيٌّ مرسلٌ تجدون ذلك في كتابكم ؛ وفي عهد الله إليكم . قالوا : يا محمد ؛ إنك ترى أنا كقومك ! لا يغرّتك أنك لقيت قومًا لا علم لهم بالحرب ، فأصبت منهم فرصة ؛ إنا والله لئن حاربنا لتعلمن أنّا نحن الناس (١) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، أن بني قينقاع كانوا أولَ يهود نقضوا ما بينهم وبين رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وحاربوا فيما بين بدر وأحد .

فحدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثنا محمد بن عمر :

(١) سيرة ابن هشام ١ : ١٢٠ .

عن محمد بن عبد الله ، عن الزهري ، أن غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى القينقاع كانت في شوال من السنة الثانية من الهجرة .

قال الزهري عن عروة : نزل جبريلُ على رسول الله صلى الله عليهما وسلم بهذه الآية : ﴿ وَإِنَّمَا تَخَافَنَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٌ فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ﴾ (١) ، فلما فرغ جبريل عليه السلام من هذه الآية ، قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؛ إني أخاف من بني قينقاع ، قال عروة : فسار إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية .

قال الواقدي : حدثني محمد بن صالح ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : حاصروهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة لا يطلع منهم أحد . ثم نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكتفوا وهو يريد قتلهم ، فكلّمه فيهم عبد الله بن أبي .

• • •

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : فحاصروهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على حكمه ، فقام إليه عبد الله بن أبي بن سؤل حين أمكنه الله منهم ، فقال : يا محمد ، أحسن في موالى - وكانوا حلفاء الخزرج - فأبطأ عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ، أحسن في موالى ، فأعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم . قال : فأدخل يده في جيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرسلني ، وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رأوا في وجهه ظللاً (٢) - يعني تلوتنا - ثم قال : ويحك أرسلني ! قال : لا والله لا أرسلك حتى تحسن إلى موالى . أربعمائة حاسروا ثلثمائة دارع قد منعوني من الأسود والأحمر ؛ تحصدهم في غداة واحدة ! وإني والله لا آمن وأخشى الدوائر . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هم لك (٣) .

١٣٦٠/١

(١) سورة الأنفال ٥٨ .

(٢) ابن هشام « ظللا » ، وهما جمع ظلة ، وهي السحابة ، استمارها لتفير الوجه عند الغضب .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ١٢٠ ، ١٢١ .

قال أبو جعفر : وقال محمد بن عمر في حديثه عن محمد بن صالح ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : خلتهم لعنهم الله ولعنه معهم ! فأرسلوهم . ثم أمر بإجلالهم ، وغنم الله عز وجل رسوله والمسلمين ما كان لهم من مال - ولم تكن لهم أرضون ؛ إنما كانوا صاغة - فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم سلاحاً كثيراً وآلة صباغتهم ؛ وكان الذي ولى إخراجهم من المدينة بذراريهم عبادة بن الصامت ، فمضى بهم حتى بلغ بهم ديباب^(١) وهو يقول : الشرف الأبعد . الأقصى فالأقصى ! وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم استخلف على المدينة أبا لُبابة بن عبد المنذر .

١٣٦٢/١

. . .

قال أبو جعفر : وفيها كان أول خميس ختمته رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإسلام . فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية^(٢) والخميس وسهمه . وفضل^(٣) أربعة أخماس على أصحابه . فكان أول خميس قبضه رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان ليواء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بني قينقاع لواءً أبيض . مع حمزة بن عبد المطلب . ولم تكن يوشك زيات . ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، وحضرت الأضحى . فذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحى وأهل اليُسْر من أصحابه ، يوم العاشر من ذي الحجة . وخرج بالناس إلى المصلى فصلى بهم . فذلك أول صلاة صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس بالمدينة بالمصلى في عيد . وذبح فيه بالمصلى بيده شاتين - وقيل ذبح شاة .

قال الواقدي : حدثني محمد بن الفضل . من ولد رافع بن خديج ، عن أبي مبشر . قال : سمعت جابر بن عبد الله . يقول : لما رجعنا من بني قينقاع ضحينا في ذي الحجة صبيحة عشر . وكان أول أضحى رآه

(١) ط : « دياب » ، وانظر الفهرس وياقوت . (٢) الصق : مهم الرئيس من الفئمة .

(٣) يقال : فض الشيء على التوم ؛ أي فرقه وقسمه عليهم .

المسلمون ، وذبحنا في بني سليمة فعدت في بني سليمة سبع عشرة أضحية .

• •

قال أبو جعفر : وأما ابن إسحاق فلم يُوقَّتْ لغزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي غزاهما بني قينقاع وقتاً ، غير أنه قال : كان ذلك بين غزوة السويق وخروج النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة يريد غزوة قريش ؛ حتى بلغ بني سليم وبحرآن ، معدننا بالحجاز من ناحية الفرع^(١) .

١٣٦٣/١

وأما بعضهم ، فإنه قال : كان بين غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرًا الأولى وغزوة بني قينقاع ثلاث غزوات وسريّة أسراها . وزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم إنَّما غزاهم لتسع ليالٍ خلَّون من صفر من سنة ثلاث من الهجرة . وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا بعد ما انصرف من بدر ، وكان رجوعه إلى المدينة يوم الأربعاء لثمانٍ ليالٍ بقيت من رمضان ، وأنه أقام بها بقيّة رمضان . ثم غزا قرقر الكدُر حين بلغه اجتماع بني سليم وعطفان ؛ فخرج من المدينة يوم الجمعة بعد ما ارتفعت الشمس ؛ غرة شوال من السنة الثانية من الهجرة إليها .

•

وأما ابن حميد ، فحدثنا عن سلمة ، عن ابن إسحاق ، أنه قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر إلى المدينة ، وكان فراغه من بدر في عقب شهر رمضان - أو في أول شوال - لم يتم بالمدينة إلا سبع ليالٍ ؛ حتى غزا بنفسه يريد بني سليم ، حتى بلغ ماء من مياههم ؛ يقال له الكدُر . فأقام عليه ثلاث ليالٍ ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً . فأقام بها بقيّة شوال وذا القعدة . وفدى في إقامته تلك جُلَّ الأسارى من قريش^(٢) .

وأما الواقدي ، فزعم أن غزوة النبي صلى الله عليه وسلم الكدُر كانت في المحرم من سنة ثلاث من الهجرة ، وأن لواءه كان يحمله فيها علي بن

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ١٢٠ .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ١١٩ .

أبي طالب ؛ وأنه استخلف فيها ابن أم مكتوم المَعِصِيَّ على المدينة .
وقال بعضهم : لما رجع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غزوة الكُدْر
إلى المدينة ، وقد ساق النعم والرعاء ولم يلق كيداً . وكان قدومه منها - فيما
١٣٦٤/١ زعم - لعشر خَلَوْنَ من شوال ، بعث غالب بن عبد الله الليثي يوم الأحد
لعشر ليال مضين من شوال إلى بني سليم وغطفان في سرية ، فقتلوا فيهم ، وأخذوا
النعم ، وانصرفوا إلى المدينة بالغنيمة يوم السبت ، لأربع عشرة ليلة بقيت من
شوال ، واستشهد من المسلمين ثلاثة نفر ، وإن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أقام بالمدينة إلى ذى الحجة ، وإن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غزا يوم
الأحد لسبع ليال بقيت من ذى الحجة غزوة السويق .

غزوة السويق

قال أبو جعفر : وأما ابن إسحاق ، فإنه قال في ذلك ما حدثنا ابن
حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما رجع رسول
الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غزوة الكُدْر إلى المدينة ، أقام بها بقية شوال
من سنة اثنتين من الهجرة ، وذا القعدة . ثم غزا أبو سفيان بن حرب غزوة
السويق في ذى الحجة . قال : وولّى تلك الحجة المشركون من تلك
السنة (١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ،
عن محمد بن جعفر بن الزبير ويزيد بن رومان ومن لا أتتهم ، عن عبيد الله
ابن كعب بن مالك - وكان من أعلم الأنصار - قال : كان أبو سفيان بن
حرب حين رجع إلى مكة ، ورجع فل (٢) قريش إلى مكة من بدر ، نذر
ألا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمداً . فخرج في مائتي راكب
١٣٦٥/١

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ١١٩ .

(٢) الفل : القوم المنهزمون .

من قريش ، ليُسْبِرَ يمينه ، فسلك النَّجْدِيَّةَ حتى نزل بصدور قنّاة إلى جبل يقال له تَيْتٌ ، من المدينة على بريد أو نحوه . ثم خرج من اللَّيْلِ حتى أتى بنى النَّضِيرِ تحت اللَّيْلِ ، فأتى حُبَيْبَ بنِ أَخْطَبِ ، فضرب عليه بابه فأبى أن يفتح له وخافه ، فأبى فانصرف إلى سلام بن مشكم - وكان سيد النَّضِيرِ في زمانه ذلك ، وصاحب كثرهم^(١) - فاستأذن عليه فأذن له فقراه وسقاه ، وبَطَّنَ^(٢) له خبر الناس ، ثم خرج في عَقَبِ ليلته ؛ حتى جاء أصحابه ، فبعث رجالاً من قُريش إلى المدينة ، فاتوا ناحية منها يقال لها العُرْبِيضُ ، فحرقوا في أصوار^(٣) من نخل لها ، ووجدوا رجلاً من الأنصار وحليفاً له في حرث لهما فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين ؛ ونذِرَ بهم الناس . فخرج رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في طلبهم . حتى بلغ قرقرة الكُدْرُ ، ثم انصرف راجعاً ، وقد فاته أبو سفيان وأصحابه . وقد رأوا من مزاول القوم ما قد طرحوه في الحرث ؛ يتخفّفون منه للنجاة . فقال المسلمون حين رجع بهم رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أنطمع أن تكون لنا غزوة ؟ قال : نعم^(٤) .

وقد كان أبو سفيان قال وهو يتجهز خارجاً من مكة إلى المدينة آياتاً من شعريُّ حَرَّضُ قُريشاً :

كُرُّوا عَلَى يَثْرَبٍ وَجَمْعِهِمْ فَإِنَّ مَا جَمَعُوا لَكُمْ نَفْلٌ
 إِنْ يَكُ يَوْمَ الْقَلْبِ كَانَ لَهُمْ فَإِنَّ مَا بَعْدَهُ لَكُمْ دَوْلٌ
 آآيْتُ لَا أَقْرَبُ النَّسَاءِ وَلَا يَمَسُّ رَأْسِي وَجِلْدِي الْفُسْلُ
 حَتَّى تُبِيرُوا قِبَائِلَ الْأَوْسِ وَالْ خَزْرَجِ ، إِنَّ الْفُؤَادَ مُشْتَعْلُ
 فأجابه كعب بن مالك :

تَلَهَفُ أُمُّ الْمَسْبُوحِينَ عَلَى جَيْشِ ابْنِ حَرْبٍ بِأَنْحَرَةِ الْفَسِيلِ
 إِذْ يَطْرَحُونَ الرِّجَالَ مِنْ سَمِّ الطَّيْرِ تَرْقَى لِقْنَةَ الْجَبَلِ

(١) الكثر هنا : ما كان يجمعون من أموال يحفظونها لمهماتهم ونوائبهم .

(٢) بطن له . أي ألقه سرهم .

(٣) الأصوار : جمع صور ؛ وهو النخل مجتمعة .

(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ١١٩ .

جاءوا بجمع لو قيس مبركة ما كان إلا كفتح الدليل (١)
 عار من النصر والثراء ومن أبطال أهل البطحاء والأسل

وأما الواقدي فزعم أن غزوة السويق كانت في ذى القعدة من سنة اثنتين من الهجرة . وقال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في مائتي رجل من أصحابه من المهاجرين والأنصار . ثم ذكر من قصة أبي سفيان نحو ما ذكره ابن إسحاق ، غير أنه قال : فر - يعني أبا سفيان - بالعريض ، برجل معه أجير له يقال له معبند بن عمرو ، فقتلها وحرق أبياتاً هناك وتبيناً . ورأى أن ١٣١٧/١
 يمينه قد حلت ، وجاء الصريخ إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فاستنفر الناس ، فخرجوا في أثره فأعجزهم . قال : وكان أبو سفيان وأصحابه يلقون جرب الدقيق ويتخفون ، وكان ذلك عامّة زادهم : فلذلك سميت غزوة السويق .

وقال الواقدي : واستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة أبا لبابة ابن عبد المنذر .

قال أبو جعفر : ومات في هذه السنة - أعني سنة اثنتين من الهجرة - في ذى الحجة عثمان بن مظعون ، فدفنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبيع ، وجعل عند رأسه حجراً علامة لقبره .

وقيل : إن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام وُلد في هذه السنة .

قال أبو جعفر : وأما الواقدي ، فإنه زعم أن ابن أبي سبيرة حدثه عن إسحاق بن عبد الله عن أبي جعفر ، أن علي بن أبي طالب عليه السلام بنى

(١) البيت في اللسان (دأل) ، وروايته :

جاءوا بجمع لو قيس مبركة ما كان إلا كمرس الدليل

بفاطمة عليها السلام في ذى الحجة ، على رأس اثنين وعشرين شهرا .

قال أبو جعفر : فإن كانت هذه الرواية صحيحة فالقول الأول باطل .

وقيل : إن في هذه السنة كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم المَعَاقِل (١) فكان معلقًا بسيفه .

ع

(١) الماقل : جمع مقلّة ، بضم القاف ؛ وهي الدية .

ثم دخلت السنة الثالثة من الهجرة

[غزوة ذي أمر]

فحدثنا ابن حميد ، قال حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال :
لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة السويق ، أقام بالمدينة بقبعة ذي
الحجة والمحرم ، أو قريبا منه ، ثم غزا نجدا يريد غطفان ؛ وهي غزوة ذي
أمر ، فأقام بنجد صفرًا كله أو قريبا من ذلك . ثم رجع إلى المدينة ولم يلق
كيدا ، فلبث بها شهر ربيع الأول كله إلا قليلا منه .
ثم غزا يريد قريشا وبنى سلتيم ، حتى بلغ بحران (معدنا بالحجاز من
ناحية الفرع) فأقام بها شهر ربيع الآخر وجمادى الأولى ، ثم رجع إلى المدينة ولم
يلق كيدا^(١) .

• • •

خبر كعب بن الأشرف

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة سرى النبي صلى الله عليه وسلم سرية إلى
كعب بن الأشرف ؛ فزعم الواقدي أن النبي وجه من وجه إليه في شهر
ربيع الأول من هذه السنة .

وحدثنا ابن حميد . قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال :
كان من حديث ابن الأشرف أنه لما أصيب أصحاب بدر ؛ وقدم
زيد بن حارثة إلى أهل السافلة وعبد الله بن رواحة إلى أهل العالية^(٢)
بشيرين ، بعثهما رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من بالمدينة من المسلمين
بفتح الله عز وجل عليه وقتل من قتل من المشركين ؛ كما حدثنا ابن
حميد . قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن المغيث
ابن أبي بردة بن أسير الظفري . وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن
حزم . وعاصم بن عمر بن قتادة ، وصالح بن أبي أمامة بن سهل ؛ قال : كل

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ١٢٠ .

(٢) العالية : اسم لكل ما كان من جهة نجد من المدينة من قراها وعماورها إلى تهامة ، وما كان
دون ذلك من جهة تهامة فهو السافلة .

قد حدثني بعض حديثه ، قال : قال كعب بن الأشرف - وكان رجلاً من طي ، ثم أحد بني نَبْهان ، وكانت أمه من بني النَّضير ، فقال حين بلغه الخبر : ويلكم أحتقُّ هذا ! أترون أن محمدًا قتل هؤلاء الذين يسمي هذان الرجلان - يعني زيد بن حارثة ، وعبد الله بن رواحة ؛ وهؤلاء أشرف العرب وملوك الناس . والله لئن كان محمدٌ أصاب هؤلاء القوم لبطنُ الأرضِ خيرٌ لنا من ظهرها^(١) .

١٣٦٩/١

فلما تيقنَ عدوُّ الله الخبير ، خرج حتى قدم مكة ، فنزل على المطلب بن أبي وداعة بن ضُبَيْرَةَ السَّهْمِي ، وعنده عاتكة بنت أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس ، فأنزَلَتْهُ وأكرمتُه ، وجعل يحترض على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وينشد الأشعار ، ويبيكي على أصحاب القليب الذين أصيبوا ببدر من قريش . ثم رجع كعب بن الأشرف إلى المدينة : فشَبَّ بِأُمِّ الْفَضْلِ بنت الحارث ، فقال :

أَرَا حِلًّا أَنْتَ لَمْ تَحُلِّي بِمَنْقَبَةٍ وتاركٌ أنتَ أمَّ الفضلِ بِالْحَرَمِ !
صَفْرَاءُ رَادِعَةٌ لَوْ تُعَصَّرُ أَنْعَصَرَتْ من ذِي الْقَوَارِيرِ وَالْحِنَاءِ وَالكَتَمِ
يَرْتَجُّ مَا بَيْنَ كَعْبِيهَا وَمَرْفَقِهَا إِذَا تَأْتَتْ قِيَامًا نَمَّ لَمْ تَقَمِ
أَشْبَاءُ أُمَّ حَكِيمٍ إِذْ تُوَاصِلُنَا وَالْحَبْلُ مِنْهَا مَتِينٌ غَيْرُ مُنْجَدِمِ
إِخْدَى بَنِي عَامِرٍ جُنَّ الْقَوَادُ بِهَا وَلَوْ تَشَلَّ شَفَّتْ كَعْبًا مِنَ السَّقَمِ
فِرْعُ النَّسَاءِ وَفِرْعُ الْقَوْمِ وَالذَّهَاءِ أَهْلُ التَّجِلَّةِ وَالْإِيْفَاءِ بِالذَّمَمِ
لَمْ أَرِ شَمْسًا بَلِيلٍ قَلْبَهَا طَلَمَتْ حَتَّى تَجَلَّتْ لَنَا فِي لَيْلَةِ الظَّنَمِ^(٢)

ثم شَبَّ بِنِسَاءِ مِنَ نِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى آذَاهُمْ : فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْمُغِيثِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ : مَنْ لِي مِنْ ابْنِ الْأَشْرَفِ !

(١) م : « ظاهرها » .

(٢) لم تذكر عند الأبيات في رواية ابن هشام . وذكر موضعها أبيتاً مغلماً :

طَحَنَتْ رَحَى بَدْرِ لِمَهْلِكِ أَهْلِهِ وَلَيْلِ بَدْرِ تَسْتَهْلُ وَتَدَمَعُ

قال : فقال محمد بن مسلمة ، أخو بني عبد الأشهل : أنا لك به يا رسول الله ، ١٣٧٠/١
 أنا أقتله . قال : فافعل إن قدّرت على ذلك ، فرجع محمد بن مسلمة ،
 فكث ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب . إلا ما يعلّق [به]^(١) نفسه . فذكر ذلك
 لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فدعاه فقال له : لِمَ تركت الطعام والشراب ؟
 قال : يا رسول الله ، قلت قولاً لا أدرى أفي به أم لا ! قال : إنما عليك الجهد ،
 قال : يا رسول الله ، إنه لا بدّ لنا من أن نقول . قال : قولوا ما بدا لكم ، فأنتم
 في حلّ من ذلك !

قال : فاجتمع في قتله محمد بن مسلمة وسيلكان بن سلامة بن وقش -
 وهو أبو نائلة أحد بني عبد الأشهل ، وكان أخا كعب من الرضاة - وعبيد
 ابن بشر بن وقش . أحد بني عبد الأشهل . والحارث بن أوس بن معاذ ،
 أحد بني عبد الأشهل . وأبو عبيس بن جبر ، أخو بني حارثة . ثم قدّموا
 إلى ابن الأشرف قبل أن يأتوه سيلكان بن سلامة أبا نائلة ، فجاءه فتحدّث
 معه ساعة . وتناشدا شعراً - وكان أبو نائلة يقول الشعر - ثم قال : ويحك
 يا ابن الأشرف ! إني قد جئتك لحاجة أريد ذكرها لك ، فكنتم عليّ ، قال :
 أفعل . قال : كان قدوم هذا الرجل بلاءً [علينا]^(٢) أعادت لنا^(٣) العرب ورمونا
 عن قوس واحدة ، وقطعت عنا السبيل حتى ضاع النعمان ، وجهدت
 الأنفس ، وأصبحنا قد جهدنا وجهد عيالنا ! فقال كعب : أنا ابن الأشرف .
 أما والله لقد كنت أخبرتك يا بن سلامة أن الأمر سيصير إلى ما كنت أقول ،
 فقال سيلكان : إني قد أردت أن تبيعنا طعاماً ونرهنك ونوثق لك ، وتحسن
 في ذلك . قال : ترهنوني أبناءكم ! فقال : لقد أردت أن تنضحننا ! إن معي
 أصحاباً لي على مثل رأبي ، وقد أردت أن آتيك بهم فتبيعهم ، وتحسن في
 ذلك ، ونرهنك من الحلقة^(٣) ما فيه لك وفاء - وأراد سيلكان ألا ينكر
 السلاح إذا جاءوا بها - فقال : إن في الحلقة لوفاء . قال : فرجع سيلكان إلى

(١) من ابن هشام .

(٢) م : « عادينا » .

(٣) الحلقة هنا : السلاح كله .

أصحابه ، فأخبرهم خبره ، وأمرهم أن يأخذوا السلاح فينطلقوا فيجتمعوا إليه ، فاجتمعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١) .

حدثنا ابن حميد قال : حدثنا سلمة . عن محمد بن إسحاق قال : فحدثني ثور بن زيد الدبلي ، عن عكرمة مولى ابن عباس . عن ابن عباس ، قال : مشى معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بقيع الغرقد . ثم وجههم وقال : انطلقوا على اسم الله . اللهم أعينهم . ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته في ليلة مئتمرة . فأقبلوا حتى انتهوا إلى حصنه : فهتف به أبو نائلة - وكان حديث عهد بعُرس - فوثب في ملحفته^(٢) . فأخذت امرأته بناحيتها . وقالت : إنك امرؤ محارب . وإن صاحب الحرب لا ينزل في مثل هذه الساعة . قال : إنه أبو نائلة . لو وحدثني نائماً لما أيقظني . قالت : والله إني لأعرف في صوته الشر . قال : يقول لنا كعب : لو دُعِيَ الفتي لظعنة^(٣) أجاب . فنزل فتحدث معهم ساعة . وتحدثوا معه ، ثم قالوا له : هل لك يا بن الأشرف ، أن نتمشى إلى شعب العجوز^(٤) . فتحدثت به بقية ليلتنا هذه ! قال : إن شئتم ! فخرجوا يتماشون ، فمشوا ساعة . ثم إن أبا نائلة شام يده في فتود رأسه . ثم شم يده ، فقال : ما رأيت كالليلة طيب عطري قط . ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها . حتى اطمان ثم مشى ساعة . فعاد لمثلها . فأخذ بفتود رأسه ، ثم قال : اضربوا عدو الله : فاختلقت عليه أسيافهم ، فلم تغن شيئاً . قال محمد بن مسلمة : فذكرت مغولاً^(٥) في سيفي حين رأيت أسيافاً لا تغني شيئاً . فأخذه . وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن إلا أوقدت عليه نار . قال : فوضعت في سُندوته ، ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانتته ، ووقع عدو الله . وقد أصيب الحارث بن أوس بن معاذ بجرح في رأسه أو رجله . أصابه بعض أسيافنا .

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ١٢٤ .

(٢) المحفة : اللباس الذي فوق سائر اللباس .

(٣) و : « إلى ظعنة » . ابن هشام : « لو دعى إلى ظعنة » .

(٤) شعب العجوز : موضع بظاهر المدينة . ذكره ياقوت . وقال : « قتل عدة كعب

ابن الأشرف » .

(٥) المغول : السكين التي تكون في السوط .

قال : فخرجنا حتى سلكننا على بني أمية بن زيد ، ثم على بني قريظة ، ثم على بُعات حتى أسندنا^(١) في حرّة العريضة ، وقد أبطأ علينا صاحبنا الحارث بن أوس ونزفه الدّم ، فوقفنا له ساعة ، ثم أتانا يتبع آثارنا . قال : فاحتملناه فجئنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر الليل وهو قائم يصلي ، فسلمنا عليه ، فخرج إلينا ، فأخبرناه بقتل عدو الله ، وتفكّل على جرح صاحبنا ، ورجعنا إلى أهلنا ، فأصبحنا وقد خافت يهود بوقعتنا بعدو الله ، فليس بها يهودي إلا وهو يخاف على نفسه . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ ظفرت به من رجال يهود فاقتلوه ، فوثب مُحَيِّصَةُ بن مسعود على ابن سُنَيْبَةَ - رجل من تجار يهود كان يلبسهم ويباعهم فقتله - وكان حَوَيْصَةَ بن مسعود إذ ذاك لم يُسَلِّم ، وكان أسن من محيصة - فلما قتله جعل حويصة يضربه ويقول : أي عدو الله ! قتله^(٢) ! أما والله لرُبّ شحيم في بطنك من ماله ! قال محيصة : فقلت له : والله لو أمرني بقتلك مَنْ أمرني بقتله لضربت عنقك . قال : فوالله إن كان لأوّل إسلام حويصة ، وقال : لو أمرك محمد بقتلي لقتلتني ! قال : نعم والله ، لو أمرني بقتلك لضربت عنقك . قال : والله إن ديننا بلغ بك هذا لنعجب ! فأسلم حويصة^(٣) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق . قال : حدثني هذا الحديث مولى لبني حارثة ، عن ابنة خيصة ، عن أبيها .

قال أبو جعفر : وزعم الواقدي أنهم جاءوا برأس ابن الأشرف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

• • •

ورغم الوعد أن في ربيع الأول من هذه السنة تزوج عثمان بن عفان أمّ المؤمنين بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأدخلت عليه في جمادى

(١) أسند في الحرّة : صعدنا .

(٢) ابن هشام : « أقتله ! » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ١٢٥ .

الآخرة . وأنّ في ربيع الأول من هذه السنة غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة أنمار - ويقال لها : ذو أمر - وقد ذكرنا قول ابن إسحاق في ذلك قبل .

قال الواقدي : وفيها وليد السائب بن يزيد ابن أخت النمر .

غزوة القرودة

قال الواقدي : وفي جمادى الآخرة من هذه السنة . كانت غزوة القرودة وكان أميرهم - فيما ذكر - زيد بن حارثة ، قال : وهي أول سرية خرج فيها زيد بن حارثة أميراً .

١٣٧٤/١

قال أبو جعفر : وكان من أمرها ما حدثنا ابن حُسيد . قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : سرية زيد بن حارثة التي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها حين أصاب غير قريش . فيها (١) أبو سفيان بن حرب . على القرودة . ماء من مياه نجد . قال : وكان من حديثها أن قريشاً قد كانت خافت (٢) طريقها التي كانت تسلك إلى الشام حين كان من وقعة بدر ما كان ، فسلكوا طريق العراق . فخرج منهم تجار فيهم أبو سفيان بن حرب ومعه فضة كثيرة . وهي عظم تجارتهم . واستأجروا رجلاً من بكر بن وائل يقال له فرات بن حيسان ، يدلّهم على ذلك (٣) الطريق . وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة . فلتقيهم على ذلك الماء . فأصاب تلك العير وما فيها . وأعجزه الرجال . فقدم بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤)

قال أبو جعفر : وأما الواقدي ، فزعم أن سبب هذه الغزوة كان أن قريشاً قالت : قد عور علينا محمد متّجراً لنا وهو على طريقنا . وقال أبو سفيان

(١) ابن هشام : « وفيها » .

(٢) ابن هشام : « خافوا طريقهم » .

(٣) ابن هشام : « في ذلك على الطريق » .

(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ١٢١ .

وصفوان بن أمية: إن أقمنا بمكة أكلنا رهوس أموالنا. قال أبو زمعة^(١) بن الأسود: فأنا أدلكم على رجل يسلك بكم النجدية، لو سلكها مغمض العينين لاهتدى. قال صفوان: من هو؟ فحاجتنا إلى الماء قليل؛ إنما نحن شاتون. قال: فرات بن حيان؛ فدعواه فاستأجره؛ فخرج بهم في الشتاء، فسلك بهم على ذات عرق. ثم خرج بهم على غمرة، وانتهى إلى النبي صلى الله عليه وسلم وخبر العير وفيها مال كثير، وآتية من فضة حملها صفوان بن أمية؛ فخرج زيد بن حارثة، فاعترضها، فظفر بالعير، وأفلت أعيان القوم؛ فكان الخمس عشرين ألفا، فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقسم الأربعة الأخماس على السرية، وأتى بفرات بن حيان العجلى أسيرا، فقيل: إن أسلمت لم يقتلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلم، فأرسله.

١٣٧٥/١

مقتل أبي رافع اليهودي

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة كان مقتل أبي رافع اليهودي - فيما قيل - وكان سبب قتله، أنه كان - فيما ذكر عنه - بظاهر كعب بن الأشرف على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجه إليه - فيما ذكر - رسول الله صلى الله عليه وسلم في النصف من جمادى الآخرة من هذه السنة عبد الله بن عتيك، فحدثنا هارون بن إسحاق الهمداني، قال: حدثنا مصعب بن المقدم، قال: حدثني إسرائيل، قال: حدثنا أبو إسحاق، عن البراء، قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي رافع اليهودي - وكان بأرض الحجاز - رجالا من الأنصار، وأمر عليهم عبد الله بن عقبة - أو عبد الله بن عتيك - وكان أبو رافع يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبغى عليه، وكان في حصن له بأرض الحجاز، فلما دنوا منه وقد غربت الشمس، وراح الناس بسرحهم، قال لهم عبد الله بن عقبة - أو عبد الله بن

١٣٧٦/١

(١) ط: « زمعة » ، وزمعة مات يوم بدر .

عَتَيْكَ : اجلسوا مكانكم . فإني أنطلق وأتلفف للبواب ، لعلني أدخل ! قال : فأقبل حتى إذا دنا من الباب ، تقنّع بثوبه ؛ كأنه يقضي حاجة ، وقد دخل الناس ، فهتف به البواب . يا عبد الله ، إن كنت تريد أن تدخل فادخل ، فإني أريد أن أغلق الباب . قال : فدخلت فكمننت^(١) تحت آري^(٢) حمار ؛ فلما دخل الناس أغلق الباب ثم علّق الأقاليد على ود^(٣) . قال : فممت إلى الأقاليد فأخذتها ، ففتحت الباب ، وكان أبو رافع يسمرُ عنده في علالي ؛ فلما ذهب عنه أهل سنمره ، فصعدتُ إليه فجعلت كلما فتحت باباً أغلقته على من داخل . قلت : إن القوم نذروا بي لم يخلصوا إلى حتى أقتله . قال : فانتهيتُ إليه ؛ فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله ؛ لا أدري أين هو من البيت ! قلت : أبا رافع ! قال : من هذا ؟ قال : فأهويتُ نحو الصوت ، فأضربه ضربة بالسيف ، وأنا دهيس فما أغنى شيئاً وصاح ؛ فخرجت من البيت ومكثت غير بعيد . ثم دخلت إليه ، فقلت : ما هذا الصوت يا أبا رافع ؟ قال : لأمك الويل ! إن رجلاً في البيت ضربني قبل بالسيف ، قال : فأضربه فأثخنه ولم أقتله . قال : ثم وضعتُ ضييب^(٤) السيف في بطنه ، حتى أخرجته من ظهره ؛ فعرفت أنني قد قتلته ، فجعلت أفتح الأبواب باباً فباباً ، حتى انتهيت إلى درجة ؛ فوضعت رجلي ، وأنا أرى أنني انتهيت إلى الأرض ، فوقعت في ليلة مقمرة ؛ فانكسرت ساق . قال : فعصبتها بعمامي ، ثم إنني انطلقتُ حتى جلست عند الباب ، فقلت : والله لا أبرح الليلة حتى أعلم : أقتله أم لا ؟ قال : فلما صاح الديك ، قام الناعي عليه على السور ، فقال : أنعمي أبا رافع ربّاح أهل الحجاز ! قال : فانطلقت إلى أصحابي ، فقلت : النجاء ! قد قتل الله أبا رافع ، فانتهيت إلى

١٣٧٧/١

(١) م : « فكثت » .

(٢) الآري : بحس الدابة .

(٣) الود : الودد ، بلفظ تميم ، وفي ابن الأثير : « وند » .

(٤) ضييب السيف : حده .

النبي صلى الله عليه وسلم ، فحدثته فقال : ابسط رجلك ، فبسطتها فسحها فكأنما لم أشتكها قط .

• • •

قال أبو جعفر : وأما الواقدي ؛ فإنه زعم أن هذه السريّة التي وجهها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي رافع سلام بن أبي الحقيق إنما وجهها إليه في ذي الحجّة من سنة أربع من الهجرة ، وأنّ الذين توجهوا إليه فقتلوه ، كانوا أبا قتادة ، وعبد الله بن عتيك ، ومسعود بن سنان ، والأسود بن خزاعي ۱۳۷۸/۱ وعبد الله بن أنيس .

وأما ابن إسحاق ، فإنه قصر من قصة هذه السريّة ما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة عنه : كان سلام بن أبي الحقيق - وهو أبو رافع - ممن كان حزّب الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت الأوس قبل أحد قتلت كعب بن الأشرف في عداوته رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحريضه عليه ، فاستأذنت الخزرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتل سلام بن أبي الحقيق ؛ وهو بخير ، فأذن لهم (۱) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق ، عن محمد مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، قال : كان مما صنع الله به لرسوله أن هذين الحيين من الأنصار : الأوس والخزرج ؛ كانا يتصاولان (۲) مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تصاول الفحلين ؛ لا تصنع الأوس شيئاً فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم غناء (۳) إلا قالت الخزرج : والله لا يذهبون بهذه فضلاً علينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإسلام ؛ فلا يتتهون حتى يوقعوا مثلها . قال : وإذا فعلت الخزرج شيئاً ، قالت الأوس مثل ذلك . فلما أصابت الأوس

(۱) سيرة ابن هشام ۲ : ۲۰۹

(۲) يتصاولان : يتفاخران .

(۳) غناء : كفاية وخير .

كعب بن الأشرف في عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت الخزرج : لا يذهبون بها فضلا علينا أبدا . قال : فتذاكروا : ممن رجُلٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم في العداوة كابن الأشرف ! فذكروا ابن أبي الحقيق وهو بخير . فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتله ، فأذن لهم ؛ فخرج إليه من الخزرج ثم من بني سلمة خمسة^(١) نفر : عبد الله بن عتيك ، ومسعود بن سنان ، وعبد الله بن أنيس ، وأبو قتادة الحارث بن ربيع ، وخزاعي بن الأسود ؛ حليف لهم من أسلم ؛ فخرجوا ، وأمر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عتيك ، ونهاهم أن يقتلوا وليداً أو امرأة .

١٣٠

فخرجوا حتى قدموا بخير ؛ فأتوا دار ابن أبي الحقيق ليلاً ؛ فلم يدعوا بيتاً في الدار إلا أغلقوه من خلفهم على أهله . وكان في علية^(٢) له إليها عجلة^(٣) رومية ؛ فأسندوا فيها حتى قاموا على يابه فاستأذنوا . فخرجت إليهم امرأته فقالت : من أنتم ؟ فقالوا : نفرٌ من العرب نتمس الميرة . قالت : ذلك صاحبكم فادخلوا عليه . فلما دخلنا أغلقنا عليها وعلينا وعليه باب الحجر ، وتخوفنا أن تكون دونه مجاورة تحول بيننا وبينه . قال : فصاحت امرأته . ونوّهت بنا . وابتدرناه وهو على فراشه بأسياقنا ؛ والله ما يد لنا عليه في سواد لبيل إلا بياضه ؛ كأنه قبطية^(٤) ملقاة . قال : ولما صاحت بنا امرأته . الرجل منّا يرفع عليها السيف ثم يذكر نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ خفّ يده ؛ ولولا ذلك فرغنا منها لبيل ، فلما ضربناه بأسياقنا ، تحامل عليه بيد الله بن أنيس بسيفه في بطنه حتى أنفذه وهو يقول : قطنني قطنني !

قال : ثم خرجنا . وكان عبد الله بن عتيك سيئ البصر ، فوقع من الدرجة فتوثت رجله وثناً شديداً واحتملناه حتى نأى به منيراً من عيونهم ، حل فيه . قال : وأوقدوا النيران ، واشتدوا في كل وجه يطلبوننا ؛ حتى إذا

١٣٨

(١) ط : « ثمانية » : والصواب ما أثبتته من ابن هشام .

(٢) العلية ، بالكسر والضم : بيت منفصل عن الأرض بيت أو نحوه .

قال ابن الأثير : « في عجلة من نخل ، هو أن ينقر الجذع ويجعل فيه مثل الدرج

يد ؛ فيه إلى الغرف ونحوها » . (٤) القبطية : ضرب من الثياب منسوب إلى قبط مصر

(الكسر) على غير قياس .

يشوا رجعوا إلى صاحبهم فاكتفوه؛ وهو يقضى بينهم . قال : فقلنا : كيف لنا بأن نعلم أن عدو الله قدمات ! فقال رجل منّا : أنا أذهب فأنظر لكم ، فانطلق حتى دخل في الناس ، قال : فوجدته ورجال يهود عنده ، وامرأته في يدها المصباح تنظر في وجهه . ثم قالت تحدثهم وتقول : أما والله لقد عرفت صوت ابن عتيك ؛ ثم أكذبت ، فقلت : أنتى ابن عتيك بهذه البلاد ! ثم أقبلت عليه لتنظر في وجهه ثم قالت : فاظ (١) وإله يهود ! قال : يقول صاحبنا ؛ فما سمعت من كلمة كانت ألدّ إلى نفسي منها ، ثم جاءنا فأخبرنا الخبر فاحتملنا صاحبنا ، فقدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبرناه بقتل عدو الله ، واختلفنا عنده في قتله ؛ وكلنا يدعيه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هاتوا أسيافكم ، فجنّاه بها فنظر إليها ، فقال لسيف عبد الله بن أنيس : هذا قتله ، أرى فيه أثر الطعام . فقال حسان بن ثابت ؛ وهو يذكر قتل كعب بن الأشرف وسلام ابن أبي الحقيق :

للهِ دَرٌّ عِصَابَةٌ لَأَقِيْتَهُمْ يابن الحقيق وأنت يابن الأشرف (٢)
 يسرونَ بالبيض الخفاف إليكم مرحاً كأندٍ في عرينٍ مفرف (٣)
 حتى أتوكم في محلّ بلادكم فسقوكم حتفاً بيض ذفف (٤)
 مستبصرين لنصر دين نبيهم مستضعفين لكلّ أمرٍ مجحف (٥)

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي وعبّاس بن عبد العظيم العنبري ، قالا : حدثنا جعفر بن عون ، قال : حدثنا إبراهيم بن إسماعيل ، قال : حدثني إبراهيم بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، أن أباه حدثه عن أمه ابنة عبد الله بن أنيس ، أنّها حدثته عن عبد الله بن أنيس ، أن

(١) فاظ : هلك . (٢) ديوانه ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، والعصابة : الجماعة من الناس .
 (٣) يسرون ، من السرى ؛ وهو السير ليلاً . والبيض الخفاف : السيوف . ومرحاً : نشاطاً .
 مفرف : أي في غريف ؛ وهو الأجمة من البردى والحلفاء والقصب .
 (٤) ذفف ، أي سريعة القتل .
 (٥) رواية الديوان : « مستضعفين لكلّ أمر » . والخبر والشمر سيرة ابن هشام ٢ : ٢٠٩-٢١١ .
 (٣٢)

الرهط الذين بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ابن أبي الحقيق ليقتلوه : عبد الله بن عتيك ، وعبد الله بن أنيس ، وأبو قتادة ، وحليف لهم ، ورجل من الأنصار ؛ وأنهم قدِمُوا خيبرَ ليلاً . قال : فعمدنا إلى أبوابهم نغلقها من خارج ، ونأخذ المفاتيح ، حتى أغلقنا عليهم أبوابهم ، ثم أخذنا المفاتيح فألقيناها في فقير^(١) ، ثم جئنا إلى المشربة^(٢) التي فيها ابن أبي الحقيق ، فظهرت عليها^(٣) أنا وعبد الله بن عتيك وقعد أصحابنا في الحائط ، فاستأذن عبد الله بن عتيك ؛ فقالت امرأة ابن أبي الحقيق : إن هذا لصوت عبد الله بن عتيك . قال ابن أبي الحقيق : ثكلتك أمك ! عبد الله بن عتيك يئرب ؛ أين هو عندك هذه الساعة ! افتحي لي ؛ إن الكريم لا يرد عن بابه هذه الساعة . فقامت ففتحت ؛ فدخلت أنا وعبد الله على ابن أبي الحقيق ، فقال عبد الله بن عتيك : دونك ، قال : فشهرت عليها السيف ، فأذهب لأضربها بالسيف فأذكر نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء والولدان ، فأكف عنها ، فدخل عبد الله بن عتيك على ابن أبي الحقيق . قال : فأنظر إليه في مشربة مظلمة إلى شدة بياضه . فلما رآني ورأى السيف ، أخذ الوسادة فاتقانى بها ، فأذهب لأضربه فلا أستطيع ، فوخزته بالسيف وخزاً . ثم خرج إلى عبد الله ابن أنيس ، فقال : أقتله ؛ قال : نعم ، فدخل عبد الله بن أنيس فدقف عليه . قال : ثم خرجت إلى عبد الله بن عتيك ؛ فانطلقنا ، وصاحت المرأة : وبياتاه وبياتاه ! قال : فسقط عبد الله بن عتيك في الدرجة ، فقال : وارجلاه وارجلاه ! فاحتمله عبد الله بن أنيس ؛ حتى وضعه إلى الأرض . قال : قلت : انطلق ، ليس برجلك بأس . قال : فانطلقنا ، قال عبد الله بن أنيس : جئنا أصحابنا فانطلقنا ، ثم ذكرت قوسي أنى تركتها في الدرجة^(٤) ؛ فرجعت إلى قوسي ؛ فإذا أهل خيبر بموج بعضهم في بعض ؛ ليس لهم

١٣٨٢/١

(١) قال ابن الأثير : الفقير هنا : البئر .

(٢) المشربة : الغرفة ؛ لأنهم كانوا يشربون فيها .

(٣) ر : « عليه » . (٤) الدرجة : المرقاة .

كلام إلا مَنْ قَتَلَ ابن أبي الحقيق؟ مَنْ قتل ابن أبي الحقيق؟ قال: فجعلت لا أنظر في وجه إنسان، ولا ينظر في وجهي إنسان إلا قلت: مَنْ قتل ابن أبي الحقيق؟ قال: ثم صعدت الدَّرَجَة؛ والناس يظهرون فيها؛ ويتزلون؛ فأخذت قوسي من مكانها، ثم ذهبتُ فأدركتُ أصحابي، فكُنَّا نكمنُ النهار ونسير الليل؛ فإذا كمنَّا بالنهار أقعدنا منَّا ناطوراً^(١) ينظر لنا؛ فإن رأى شيئاً أشار إلينا؛ فانطلقنا حتى إذا كنا بالبيضاء كنت - قال موسى: أنا ناطورهم، وقال عباس: كنتُ أنا ناطورهم - فأشرت إليهم فذهبوا جمزاً^(٢) وخرجت في آثارهم؛ حتى إذا اقتربنا من المدينة أدركتهم، قالوا: ما شأنك؟ هل رأيت شيئاً؟ قلت: لا، إلا أني قد عرفت أن قد بلغكم الإعياء والوصبُ، فأحببت أن يحملكم الفرع.

• • •

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة تزوج النبي صلى الله عليه وسلم حفصة بنت عمر في شعبان؛ وكانت قبله تحت خنيس بن حذافة السهمي في الجاهلية، فتوفيت عنها. وفيها كانت غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدًا؛ وكانت في شوال يوم السبت لسبع ليالٍ خلون منه - فيما قيل - من سنة ثلاث من الهجرة.

• • •

غزوة أحد

قال أبو جعفر: وكان الذي هاج غزوة أحد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ومشركي قريش وقعة بدر وقتل مَنْ قُتل بيدٍ من أشرف قريش ورؤسائهم؛ فحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: وحدثني محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب

٣٨٤/١

(١) الناطور في الأصل: حارس الكرم والنحل.

(٢) الجمز: السير السريع.

الزُّهْرِيُّ ، ومحمد بن يحيى بن حَبَّان ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، والحُصَيْنِ ابن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن مُعَاذٍ وغيرهم من علمائنا ؛ كلَّهم قد حدَّث بيعض هذا الحديث عن يوم أُحُد ، وقد اجتمع حديثهم كلَّهم فيما سُقْتُ من الحديث عن يوم أُحُد ، قالوا^(١) :

لما أُصِيبَتْ قريش - أو من قاله منهم - يوم بدر من كفار قريش من أصحاب القَلْبِيب ، فرجع فتلَّهم^(٢) إلى مكة ، ورجع أبو سفيان بن حرب بعيره ، مشى عبد الله بن أبي ربيعة ، وعِكْرَمَةُ بن أبي جهل ، وصفوان بن أمية ، في رجال من قريش ممن أُصِيبَ آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم ببدر ؛ فكلَّموا أبا سفيان بن حرب ومَن كان له في تلك العير من قريش تجارة ، فقالوا : يا معشر قريش ، إنَّ محمدًا قد وتَرَكم ، وقتل خياركم ، فأعينونا بهذا المال على حربِهِ ؛ لعلنا أن ندرِك منه ثأراً بمن أُصِيبَ مِنَّا ، ففعلوا ، فاجتمعت قريش لحرب رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم حين فعل ذلك أبو سفيان وأصحاب العير بأحايِشها^(٣) ومن أطاعها من قبائل كِنانة وأهل نِهامة ؛ وكلَّ أولئك قد استنَعَوْا^(٤) على حرب رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم .

١٣٨٥/١

وكان أبو عَزَّةَ عمرو بن عبد الله الجُمَحِيُّ قد منَّ عليه رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يوم بدر . وكان فقيراً ذا بنات^(٥) ، وكان في الأسارى ، فقال : يا رسول الله ، إني فقير ذو عيال وحاجة قد عرفتها ، فامنن عليَّ صلَّى الله عليك ! فمنَّ عليه رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فقال صفوان

(١) أخبار غزوة أحد عن ابن إسحاق في سيرة ابن هشام ٢ : ١٢٥ - ١٤٣ ، والأغانى ١٥ : ١٧٩ - ٢٠٧ (طبعة دار الكتب) .

(٢) الفل : القوم المنهزمون .

(٣) الأحايِش : الجماعة أيا كانوا ؛ أو هم أحايِش قريش ، أو هم بنو المصطلق وبنو الهون بن خزيمية ؛ اجتمعوا عند جبل يسمى « حبشياً » ، بأسفل مكة ، فحالفوا قريشاً .

(٤) يقال : هو يستعوى القوم ؛ أى يستغيث بهم ؛ وفي الأغانى : « استنفعوا » بالعين المعجمة ؛ وهما سواء .

(٥) ابن هشام : « عيال » .

ابن أمية : يا أبا عزة ، إنك امرؤ شاعرٌ ، فأعينا بلسانك ، فاخرج معنا .
 فقال : إن محمداً قد منّ عليّ فلا أريد أن أظاهيرَ عليه ، فقال : بلى
 فأعنا بنفسك ، فلك الله^(١) إن رجعت أن أغنيك ، وإن أصبت أن أجعل
 بناتك مع بناتي بصيبن ما أصابهن من عسر ويسر . فخرج أبو عزة يسير
 في تهامة ، ويدعو بني كنانة . وخرج مسافع بن عبد مناف بن وهب بن
 حذافة بن جُمح ؛ إلى بني مالك بن كنانة يحرضهم ويدعوهم إلى حرب
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعا جبير بن مطعم غلاماً له يقال له
 وحشى ، كان حبشياً يقذف بحربة له قذف الحبشة ، فلما بُخطى بها ،
 فقال له : اخرج مع الناس ، فإن أنت قتلت عمّ محمد بعمى طعينة بن
 عدى فأت عتيق .

فخرجت قريش بحدّتها وجدّتها وأحايبشها ، ومن معها^(٢) من بني
 كنانة وأهل تهامة ، وخرجوا معهم بالظعن^(٣) التماس الحفيظة ؛ ولثلاً
 يفرّوا . فخرج أبو سفيان بن حرب - وهو قائد الناس ، معه هند بنت عتبة
 ابن ربيعة - وخرج عكرمة بن أبي جهل بن هشام بن المغيرة بأمر حكيم بنت
 الحارث بن هشام بن المغيرة ، وخرج الحارث بن هشام بن المغيرة بفاطمة بنت
 الوليد بن المغيرة ، وخرج صفوان بن أمية بن خلف ببرزة - قال أبو جعفر:
 وقيل ببرة - بنت مسعود بن عمرو بن عمير التميمية ؛ وهي أمّ عبد الله
 ابن صفوان - وخرج عمرو بن العاص بن وائل بريطة بنت منبه بن
 الحجّاج ، وهي أمّ عبد الله بن عمرو بن العاص ، وخرج طلحة بن
 أبي طلحة ، وأبو طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بسُلّافة
 بنت سعد بن شهيد - وهي أمّ بني طلحة مسافع والجلاس وكلاب ؛ قتلوا
 يومئذ وأبوهم - وخرجت خناس بنت مالك بن المضرب إحدى نساء بني مالك
 ابن حيسل ، مع ابنها أبي عزيز بن عمير ؛ وهي أمّ مُصعب بن عمير ،

(١) ابن هشام : « لك الله » .

(٢) م : « تبعها » .

(٣) الظعن : جمع طعينة ؛ وهي المرأة ما دامت في الهودج .

وخرجت عَمْرَة بنت علقمة إحدى نساء بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة ؛ وكانت هند بنت عتبة بن ربيعة كلَّمتا مرَّت بوحشى أو مرَّ بها قالت : إليه ^(١) أبا دَسَمَة ! اشف واشتف - وكان وحشى يكنى أبا دَسَمَة . فأقبلوا حتى نزلوا بعينين بجبل بطن السبخة ؛ من قناة على شفير الوادى ممَّا يلي المدينة .

١٣٨٧/١

فلمَّا سمع بهم رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم والمسلمون قد نزلوا حيث نزلوا قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم للمسلمين : إني قد رأيت بقرًا فأولتها خيرًا ، ورأيت في ذُباب سبى ثلثمًا ، ورأيت أنى أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة ؛ فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا ؛ فإن أقاموا أقاموا بشرَّ مقام ؛ وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها . ونزلت قريش منزلتها من أحد يوم الأربعاء . فأقاموا به ذلك اليوم ويوم الخميس ويوم الجمعة . وراح رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم حين صلَّى الجمعة ، فأصبح بالشعب من أحد . فالتقوا يوم السبت للنصف من شوال ؛ وكان رأى عبد الله بن أبى ابن سكلول مع رأى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، يرى رأى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم في ذلك : ألا يخرج إليهم ؛ وكان رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يكره الخروج من المدينة ، فقال رجال من المسلمين ممن أكرم الله بالشهادة يوم أحد وغيرهم ممن كان فاته بدر وحضوره : يا رسول الله ، اخرج بنا إلى أعدائنا ^(٢) ، لا يرون أننا جبنًا عنهم وضعفنا ، فقال عبدُ الله بن أبى بن سكلول : يا رسول الله ، أقم بالمدينة ولا تخرج إليهم ؛ فوالله ما خرجنا منها إلى عدو لنا قط إلا أصاب منَّا ، ولا دخلها ^(٣) علينا إلا أصبنا منه ، فدع عنهم يا رسول الله ؛ فإن أقاموا أقاموا بشرَّ مجلس ، وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم ،

١٣٨٨/١

(١) ابن هشام : « وبيها » .

(٢) م : « أعداء الله » .

(٣) الأغاني : « يدخلها » .

وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا. فلم يزل الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كان من أمرهم حُبُّ لقاء القوم ؛ حتى دخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فلبس لأمنته ؛ وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة ، وقد مات في ذلك اليوم رجل من الأنصار يقال له مالك بن عمرو ، أحد بني النجار ، فصلَّى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ثم خرج عليهم وقد ندم الناس ، وقالوا : استكرهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن ذلك لنا .

• • •

قال أبو جعفر : وأما السديّ ؛ فإنه قال في ذلك غير هذا القول ؛ ولكنه قال ما حدثني محمد بن الحسين ، قال : حدثنا أحمد بن المفضل ، قال : حدثنا أسباط ، عن السديّ ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لما سمع بنزول المشركين من قُريش وأتباعها أحداً ، قال لأصحابه : أشيروا عليّ ما أصنع ! فقالوا : يا رسولَ الله ، اخرج بنا إلى هذه الأكلب ، فقالت الأنصار : يا رسولَ الله ، ما غلبنا عدوُّ لنا قطُّ أتنا في ديارنا (١) ، فكيف وأنت فينا ! فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عبدَ الله بن أبي بن سئول - ولم يدعه قطُّ قبلها - فاستشاره فقال : يا رسولَ الله ، اخرج بنا إلى هذه الأكلب ؛ وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يعجبه أن يدخلوا عليه المدينة ، فيقاتلوا في الأزقة ، فأتاه النعمان بن مالك الأنصاري ، فقال : يا رسولَ الله لا تحرمني الجنة ؛ فواللذي بعثك بالحق لأدخلن الجنة ، فقال له : بيم ؟ قال : بأنّي أشهدُ أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، وأنّي لا أفرُّ من الزحف . قال : صدقت ، فقتل يومئذ . ثم إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم دعا بدرعه فلبسها ، فلما رأوه قد لبس السلاح ندموا وقالوا : بش ما صنعنا ! نشيرُ على رسول الله والوحي يأتيه ! فقاموا فاعتذروا إليه ، وقالوا : اصنع ما رأيت ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : لا ينبغي لنبيّ أن يلبس لأمنته فيضعها حتى يقاتل . فخرج

(١) م : « دارنا » .

رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أَحَدٍ في ألف رجل ؛ وقد وعدهم الفتح إن صبروا . فلَمَّا خرج رجع عبد الله بن أبي بن سلول في ثلاثمائة ، فتبعهم أبو جابر السُّلَمِيُّ يدعوهم ، فلَمَّا غلبوه وقالوا له : ما نعلم قتالا ؛ ولئن أطعنا لترجعن معنا ؛ قال الله عز وجل : ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا ۗ ﴾^(١) فهم بنو سَلِيمَةَ وبنو حارثة ، هَمُّوا بالرجوع حين رجع عبد الله بن أبي ، فعصمهم الله عز وجل ، وبقى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سبعمائة .

• • •

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق : قال : قالوا : لما^(٢) خرج عليهم رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالوا : يا رسولَ الله ؛ استكرهناك ولم يكن ذلك لنا ، فإن شئت فاقعد صلى الله عليك ! فقال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ما ينبغي لنبى إذا لبس لأمتته أن يضعها حتى يقاتل ؛ فخرج رسولُ الله في ألف رجل من أصحابه ؛ حتى إذا كانوا بالشَّوْطِ بين أَحَدٍ والمدينة انخزل عنه عبد الله بن أبي بن سلول بثلاث الناس ، فقال : أطاعهم فخرج وعصاني ؛ والله ما ندرى علام نقتل أنفسنا ها هنا أيها الناس ! فرجع بمن اتبعه من الناس من قومه من أهل النِّفَاقِ وأهل الرِّيبِ ، واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام ، أخو بني سلمة ، يقول : يا قوم أذكركم الله أن تخذلوا نبيكم وقومكم عند ما حضر من عدوهم ! قالوا : لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم ؛ ولكننا لا نرى أن يكون قتال ، فلما استعصوا عليه ، وأبوا إلا الانصراف عنه ، قال : أبعدهم الله أعداء الله ! فسيغنى الله عنكم !

١٣٩٠/١

• • •

قال أبو جعفر : قال محمد بن عمر الواقدي : انخزل عبد الله بن أبي عن رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الشَّيْخِينَ بثلاثمائة ، وبقى رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سبعمائة ، وكان المشركون ثلاثة آلاف ، والخيل

(١) سورة آل عمران ١٢٢ .

(٢) م : « فلما » .

مائتي فرس ، والظعنُ خمس عشرة امرأة .

قال : وكان في المشركين سبعمائة دارع ؛ كان في المسلمين مائة دارع ؛ ولم يكن معهم من الخيل إلا فرسان : فرسٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفرس لأبي بردة بن نيار الحارثي . فأدلىج^(١) رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من ١٣٩١/١ الشيخين حين طلعت الحمراء - وهما أطمان ، كان يهودي ويهودية أعميان يقومان عليهما ؛ فيتحدثان فلذلك ، سُميَا الشيخين ؛ وهو في طرف المدينة - قال : وعرض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المقاتلة بالشيخين بعد المغرب ؛ فأجاز مَنْ أجاز ، وردَّ مَنْ رَدَّ ، قال : وكان فيمن ردَّ زيد بن ثابت وابن عمر ، وأسيد بن ظهير ، والبراء بن عازب ، وعرابة بن أوس . قال : وهو الذي قال فيه الشماخ :

رأيتُ عرابةَ الأوسى ينمى إلى الخيراتِ مُنقطعَ القرين^(٢)
إذا مارايةٌ رُفعتُ لمجدٍ تلقاها عرابةٌ باليمين

قال : وردَّ أبا سعيد الخُدري ، وأجاز سَمرة بن جندب ورافع بن خديج ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، قد استصغر رافعاً ، فقام على خُفَّين له فيهما رقاغ . وتناول على أطراف أصابعه ؛ فلما رآه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أجازته .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : كانت أم سَمرة بن جندب تحت مُرَيِّ بن سِنان بن ثعلبة ، عمّ أبي سعيد الخُدري ، فكان ربيبه ، فلما خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد ، وعرض أصحابه ، فردَّ من استصغر ردَّ سَمرة بن جندب ، وأجاز رافع بن خديج ، فقال سَمرة بن جندب لربيبه مُرَيِّ بن سنان : يا أبتِ ،

(١) أدلىج : سار في آخر الليل .

(٢) ديوانه ٩٦ ، ٩٧ .

أجاز رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رافع بن خَدِيج ، وردتني وأنا أصرع رافع بن خَدِيج ، فقال : مُرِّي بن سنان : يا رسول الله ، رددت ابني ، وأجزت رافع بن خَدِيج وابني يصرعه ! فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لرافع وسمرة : تصارعا ، فصرع سمرة رافعاً ، فأجازه رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فشهدهما مع المسلمين .

قال : وكان دليل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبو حشمة الحارثي .

• • •

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق : قال : ومضى رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى سلك في حرّة بني حارثة ، فذّب فرس بذنبه^(١) ، فأصاب كلاب^(٢) سيف ، فاستلّه ، فقال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وكان يُحبُّ الفأل ولا يعتاف - لصاحب السيف : شيم سيفك ، فإني أرى السيوف تستسلُّ اليوم . ثم قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه : من رجلٌ يخرج بنا على القوم من كذب ، من طريق لا يمرُّ بنا عليهم ؟ فقال أبو حشمة^(٣) أخو بني حارثة بن الحارث : أنا يا رسول الله ، فقدّمه فنفذ به في حرّة بني حارثة وبين أموالهم حتى سلك به في مال المربع بن قيطي - وكان رجلاً منافقاً ضريب البصر - فلما سمع حسن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن معه من المسلمين ، قام بتحشيشي في وجوههم التراب ، ويقول : إن كنت رسول الله ، فإني لا أحلُّ لك أن تدخل حائطي ؛ قال : وقد ذكر لي أنه أخذ حفنة من تراب في يده ، ثم قال : لو أعلم أنني لا أصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك . فابتدره القوم ليقتلوه ، فقال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لا تفعلوا ؛ فهذا الأعمى البصر ، الأعمى القلب . وقد بدّر إليه سعد بن زيد أخو بني عبد الأشهل حين نهى رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنه ،

(١) ذب بذنبه ، أي حركه ليذب به الطير .

(٢) الكلاب : سمار يكون في قائم السيف ؛ وفيه النؤابة لتعلقه بها .

(٣) ابن هشام والأغاني : « خيشمة » .

فضربه بالقوس في رأسه فشجته ، ومضى رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على وجهه ؛ حتى نزل الشعب من أُحُد في عُدْوَة الوادي إلى الجبل ، فجعل ظهره وعسكره إلى أُحُد ، وقال : لا يقاتلن أُحُدٌ حتى نأمره بالقتال ؛ وقد سرتحت قريش الظهْر^(١) والكراع في زروع كانت بالصمغة^(٢) من قناة للمسلمين . فقال رجل من المسلمين حين نهى رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن القتال : أترعى زروع بني قيلة^(٣) ولما نضارب ! وتعباً رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للقتال وهو في سبعمائة رجل ، وتعبت قريش وهم ثلاثة آلاف رجل ؛ ومعهم مائتا فرس قد جنّبوها ، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل ، وأمر رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الرماة عبد الله بن جبير ، أخا بني عمرو بن عوف وهو يومئذ معلمٌ بشياب بيض . والرماة خمسون رجلاً ، وقال : انضح^(٤) عنا الخيل بالنبل لا يأتونا من خلفنا إن كانت لنا أو علينا ؛ فاثبت مكانك لا تؤتيتن من قبلك . وظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين درعين^(٥) .

فحدثنا هارون بن إسحاق ، قال : حدثنا مُصعب بن المقدم ، قال : ٣٩٤/١
حدثنا إسرائيل . وحدثنا ابنُ وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن إسرائيل ، قال : حدثنا أبو إسحاق ، عن البراء ، قال : لما كان يوم أُحُد ، ولقي رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المشركين أجلس رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجالاً بإزاء الرماة ، وأمر عليهم عبد الله بن جبير ، وقال لهم : لا تبرحوا مكانكم إن رأيتمونا ظهرنا عليهم ، وإن رأيتموهم ظهرنا علينا فلا تعينونا . فلما لقي القوم هزم المشركين حتى رأيت النساء قد رفعن عن سوقهن ، وبدت

(١) الظهر : الإبل . والكراع : الخيل .

(٢) الصمغة : موضع قرب أُحُد .

(٣) بنو قيلة : الأوس والخزرج .

(٤) انضح الخيل ؛ أي ادفعهم .

(٥) ظاهر بين درعين ؛ أي لبس درعا فوق درع .

خلاخيلهنّ ، فجعلوا يقولون : الغنيمة الغنيمة ! فقال عبد الله : مهلاً ، أما علمتم ما عهد إليكم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ! فأبَوتوا ، فانطلقوا ، فلَمَّا أتوهم صرّف الله وجوههم ؛ فأصيب من المسلمين سبعون .

حدثني محمد بن سعد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني عمّي ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : أقبل أبو سفيان في ثلاث ليالٍ خلون من شوال ، حتّى نزل أحدًا ، وخرج النبي صلّى الله عليه وسلّم ، فأذن في الناس فاجتمعوا ، وأمر الزبير على الخيل ؛ ومعه يومئذ المقداد بن الأسود الكِندي ، وأعطى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم اللّواء^(١) رجلاً من قريش يقال له مُصعب بن عمير ، وخرج حمزة بن عبد المطلب بالحسرة^(٢) ، وبُعِث حمزةُ بين يديه ، وأقبل خالد بن الوليد على خيل المشركين ؛ ومعه عكرمة بن أبي جهل ، فبعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم الزبير ، وقال : استقبلْ خالدَ^(٣) بن الوليد ؛ فكنْ بإزائه حتّى أودنك ، وأمر بخيل أخرى ، فكانوا من جانب آخر ، فقال : لا تبرحُن^(٤) حتّى أودنكم . وأقبل أبو سفيان يحمِل اللّات والعزّى ، فأرسل النبي صلّى الله عليه وسلّم إلى الزبير أن يحمِل ، فحمِل على خالد بن الوليد ؛ فهزمه الله ومَن معه ، فقال : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴾ - إلى قوله - ﴿ مَن بَعْدَ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ ﴾^(٥) ؛ وإنّ الله عزّ وجلّ وعَدّ المؤمنين أن ينصرهم^(٦) ، وأنّه معهم . وأنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعث ناساً من الناس ؛ فكانوا من ورائهم ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : كونوا ها هنا ، فردُّوا وجهَ مَنْ فرّ منّا ، وكونوا حراساً لنا من قبَل ظهورنا . وأنّ رسولَ

(١) الأغاني : « الراية » .

(٢) الأغاني : « بالجيش » .

(٣) و : « خالداً » .

(٤) و : « لا تبرحوا » .

(٥) سورة آل عمران ١٥٢ .

(٦) الأغاني : « النصر » .

الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا هَزَمَ الْقَوْمَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ ، قَالَ الَّذِينَ كَانُوا جُعِلُوا مِنْ وَرَائِهِمْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ، وَرَأَوْا النِّسَاءَ مُصْنَعِدَاتٍ فِي الْجَبَلِ ، وَرَأَوْا الْغَنَائِمَ : انْطَلَقُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَأَدْرَكُوا الْغَنِيمَةَ (١) قَبْلَ أَنْ يَسْبِقُونَا (٢) إِلَيْهَا ؛ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ أُخْرَى : بَلْ نَطِيعُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَبَّتْ مَكَانَنَا ؛ فَذَلِكَ قَوْلُهُ لَهُمْ : ﴿ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا ﴾ الَّذِينَ أَرَادُوا الْغَنِيمَةَ ، ﴿ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾ الَّذِينَ قَالُوا : نَطِيعُ رَسُولِ اللَّهِ وَتَبَّتْ مَكَانَنَا ، فَكَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ يَقُولُ : مَا شَعَرْتُ أَنْ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَعَرَضَهَا ؛ حَتَّى كَانَ يَوْمَئِذٍ .

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْمَنْضَلِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أُسْبَاطُ ، عَنِ السَّدَّيِّ ، قَالَ : لَمَّا بَرَزَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ بِأَحُدٍ أَمْرَ الرُّمَاءِ ، فَقَامُوا بِأَصْلِ الْجَبَلِ فِي وَجْهِهِ خَيْلُ الْمُشْرِكِينَ ؛ وَقَالَ [لَهُمْ] (٣) : لَا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ إِنْ رَأَيْتُمْ [أَنَا] (٤) قَدْ هَزَمْنَاكُمْ ، فَإِنَّا لَا نَزَالُ غَالِبِينَ مَا تَبَّتْ مَكَانَكُمْ . وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُبَيْرٍ أَخَا خَوَاتِ بْنِ جُبَيْرٍ .

ثُمَّ إِنَّ طَلْحَةَ بْنَ عَثْمَانَ صَاحِبَ لُؤَاءِ الْمُشْرِكِينَ قَامَ ، فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ، إِنَّكُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْجَلُنَا (٥) بِسَيْوفِكُمْ إِلَى النَّارِ ، وَيَعْجَلُكُمْ بِسَيْوفِنَا إِلَى الْجَنَّةِ ؛ فَهَلْ مِنْكُمْ أَحَدٌ يَعْجَلُهُ اللَّهُ بِسَيْفِي إِلَى الْجَنَّةِ ، أَوْ يَعْجَلُنِي بِسَيْفِهِ إِلَى النَّارِ ! فَقَامَ إِلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا أَفَارِقُكَ حَتَّى أَعْجَلَكَ (٥) بِسَيْفِي إِلَى النَّارِ ، أَوْ تَعْجَلُنِي بِسَيْفِكَ إِلَى الْجَنَّةِ ، فَضْرَبَهُ عَلِيٌّ فَقَطَعَ رِجْلَهُ فَسَقَطَ فَانْكَشَفَتْ عَوْرَتَهُ ، فَقَالَ : أَنْشَدَكَ اللَّهُ وَالرَّحْمَ يَا بَنَ عَمٍّ ! فَفَرَّكَهُ ، فَكَبَّرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ لِعَلِيِّ : مَا مَنَعَكَ أَنْ تَجْهِيَزَ عَلَيْهِ ؟ قَالَ : إِنَّ ابْنَ عَمِّي نَاشَدَنِي حِينَ انْكَشَفَ

(١) الأغانى : « الغنائم » .

(٢) الأغانى : « يسبقوا » .

(٣-٤) من الأغانى .

(٤) الأغانى : « تعجلنا » .

(٥) الأغانى : « يعجلك الله عز وجل بسيفي إلى النار » .

عورته فاستحييتُ منه . ثم شدّ الزبير بن العوام والمقداد بن الأسود على المشركين فهزماهم ؛ وحمل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فهزموا أبا سفيان . فلما رأى ذلك خالد بن الوليد - وهو على خيل المشركين - حمل فرمته الرماة فانقمع^(١) . فلما نظر الرماة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في جوف عسكر المشركين ينتهبونه ، بادروا الغنيمة ، فقال بعضهم : لا نترك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم . وانطلق عامتهم فلحقوا^(٢) بالعسكر ، فلما رأى خالد قلّة الرماة صاح في خيله ، ثم حمل فقتل الرماة ؛ وحمل على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم . فلما رأى المشركون أن خيلهم تقاتل ، نادوا فشدوا على المسلمين ، فهزموهم وقتلوهم .

١٣٩٧/١

فحدثني بشر بن آدم ، قال : حدثنا عمرو بن عاصم الكلابي ، قال : حدثنا عبيد الله بن الوازع ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : قال الزبير : عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفاً في يده يوم أحد ؛ فقال : من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ قال : فقلت فقلت : أنا يا رسول الله ، قال : فأعرض عني ، ثم قال : من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ فقلت : أنا يا رسول الله ، فأعرض عني ، ثم قال : من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ قال : فقال أبو دُجّانة سيماك بن خراشة ، فقال : أنا آخذه بحقه ؛ وما حقه ؟ قال : حقه ألا تقتل به مسلماً ، وألا تفرّ به عن كافر ؛ قال : فدفعه إليه . قال : وكان إذا أراد القتال أعلم بعصاة ؛ قال : فقلت : لأنظرن اليوم ما يصنع ، قال : فجعل لا يرتفع له شيء إلا هتكه وأفراه ؛ حتى انتهى إلى نسوة في سفح جبل ، معهن دُفوف لهن ؛ فبهن امرأة تقول :

نَحْنُ بَنَاتُ طَارِقٍ إِنْ تُقْبِلُوا نُعَانِقُ
وَنَبْسُطُ النَّارِقُ أَوْ تَدْبِرُوا نُفَارِقُ
• فِرَاقَ غَيْرِ وَاِمِيقُ •

(١) انقمع : اختفى .

(٢) و : « فلحقني » .

قال : فرغ السيف ليضربها ، ثم كف عنها . قال : قلت : كل عمك
قد رأيت ، رأيت رفعتك للسيف عن المرأة بعد ما أهويت به إليها ! قال :
فقال : أكرمت سيف رسول الله أن أقتل به امرأة .

• • •

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . فقال رسول الله صلى الله عليه ١٣٩٨/١
وسلم : من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ فقام إليه رجال ، فأمسكه عنهم ^(١) ؛
حتى قام إليه أبو دُجَّانة سمالك بن خَرَّشَة أخو بني ساعدة ، فقال : وما حقه
يا رسول الله ؟ قال : أن تضرب به في العدو حتى ينحني ؛ فقال : أنا آخذه
بحقه يا رسول الله ؛ فأعطاه إياه - وكان أبو دُجَّانة رجلاً شجاعاً يختال
عند الحرب إذا كانت ، وكان إذا أعلم بعصاة له حمراء يعصبها على رأسه
علم الناس أنه سيقاتل - فلما أخذ السيف من يد رسول الله صلى الله عليه
وسلم أخذ عصابته تلك ، فعصب ^(٢) بها رأسه ؛ ثم جعل يتبختر بين الصفتين .

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن
إسحاق ، قال : حدثني جعفر بن عبد الله بن أسلم ، مولى عمر بن الخطاب ،
عن رجل من الأنصار من بني سلمة ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين رأى أبا دُجَّانة يتبختر : إنها لمشيئة يبغضها الله عز وجل إلا في هذا
الموضع . وقد أرسل أبو سفيان رسولاً ، فقال : يا معشر الأوس والخزرج ،
خلُّوا بيننا وبين ابن عمنا ننصرف عنكم ، فإنه لا حاجة لنا بقتالكم . فردوه
بما يكره .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن ١٣٩٩/١
عاصم بن عمر بن قتادة ، أن أبا عامر عبد ^(٣) عمرو بن صيفي بن مالك بن
النعمان بن أمة ^(٤) ، أحد بني ضبيعة ؛ وقد كان خرج إلى مكة مباعدًا

(١) الأغاني : « بينهم » .

(٢) ابن هشام : « فاعتصب بها » .

(٣) ساقطة من الأغاني .

(٤) الأغاني : « أمة » .

لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، معه خمسون غلاماً من الأوس ؛ منهم عثمان ابن حنيفة - وبعض الناس يقول : كانوا خمسة عشر - فكان يعد قريشاً أن لو قد لقي محمدًا لم يختلف عليه منهم رجلان ، فلما التقى الناس ، كان أول من لقيهم أبو عامر في الأحابيش وعبدان أهل مكة ، فنادى : يا معشر الأوس ، أنا أبو عامر ، قالوا : فلا أنعم الله بك علينا يا فاسق - وكان أبو عامر يسمي في الجاهلية «الراهب» ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم «الفاسق» - فلما سمع رداهم عليه ، قال : لقد أصاب قومي بعدى شر . ثم قاتلهم قتالاً شديداً ، ثم راضخهم بالحجارة^(١) ، وقد قال أبو سفيان لأصحاب اللواء من بني عبد الدار يحرضهم بذلك على القتال : يا بني عبد الدار ، إنكم وليتم لواءنا يوم بدر ، فأصابنا ما قد رأيتم ؛ وإنما يؤتى الناس من قبل راياتهم ؛ إذا زالت زالوا ؛ فإذا أن تكفونا لواءنا ؛ وإما أن تخلوا بيننا وبينه فسكنفيكموه . فهموا به وتواعدوه ، وقالوا : نحن نسلم إليك لواءنا ، ستعلم غداً إذا التينا كيف نصنع ! وذلك الذي أراد أبو سفيان . فلما التقى الناس ، ودنا بعضهم من بعض ، قامت هند بنت عتبة في النسوة اللواتي معها ، وأخذن الدفوف يضربن خلف الرجال ويحرضنهم ، فقالت هند فيما تقول :

إِنْ تُقْبَلُوا نُعَانِقُ وَنَفْرَشُ النَّمَارِقُ
أَوْ تَدْبُرُوا نُفَارِقُ فِرَاقَ غَيْرِ وَاِمِقُ

وتقول :

وَيْهًا بَنِي عَبْدِ الدَّارِ^(٢) ! وَيَهًا حُمَاةَ الأَدْبَارِ^(٣) !
ضَرْبًا بِكُلِّ بَتَّارٍ^(٤) .

(١) الأغاني : « الحجارة » . والمراضحة : المرامة .

(٢) الأغاني : « إيهًا » .

(٣) حماة الأدبار : الذين يحمون أعقاب الناس .

(٤) البتار : السيف القاطع .

واقْتتل الناس حتى حميت الحرب ، وقاتل أبو دُجَّانة حتى أمعن في الناس ، وحمزة بن عبد المطلب وعلى بن أبي طالب في رجال من المسلمين ، فأَنْزل الله عزَّ وجلَّ نصرَه ، وصدَّقهم وعدَه ، فحسُّوم^(١) بالسيوف حتى كشفوهم ، وكانت الهزيمة لا شك فيها .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن جدِّه ، قال : قال الزبير : والله لقد رأيتني أنظر إلى خدَمِ هند بنت عتبة وصواحبها^(٢) مشمَّرات هوارب ، مادون أخذِهِنَّ قليل كثير ، إذ مالت الرُّماة إلى العسكر حين كَشَفْنَا القوم عنه يريدون النهب ، واخلَّوْا ظهورنا للخيل ، فأتينا من أدبارنا وصرخ صَارِخٌ : ألا إن محمداً قد قتل ! فانكفأنا^(٣) وانكفأ علينا القوم ؛ بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى ما يدنو منه أحدٌ من القوم .

حدثنا ابن حميد قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، أن اللِّواء لم يزل صريعاً حتى أخذته سَدَنِيَّةُ بنت علقمة الحارثية ، فرفعتهُ لقريش ، فلاثوا به^(٤) ، وكان اللِّواء مع صَوَّاب . غلام ابني أبي طلحة ، حبشي ، وكان آخر من أخذه منهم ، فقاتل حتى قُطِعَتْ يداه . ثم برك عليه ، فأخذ اللِّواء بصدرة وعُنُقِهِ حتى قُتِلَ عليه ؛ وهو يقول : اللهم هل أعذرت ! فقال حسَّان بن ثابت في قطع يد صواب حين تقاذفوا بالشعر :

فَخَرَّتْمْ بِاللِّوَاءِ وَشَرُّ فَخْرٍ لَوَاءٍ حِينَ رُدَّ إِلَى صَوَّابٍ^(٥)
جَعَلْتُمْ فَخْرَكُمْ فِيهَا لَعْبِدٍ مِنْ الْأُمِّ مَنْ وَطِيَ عَفْرَ التَّرَابِ^(٦)

(١) حسوم : استأصلوهم . (٢) و : « وصواحباتها » .

(٣) انكفأنا : رجعنا .

(٤) لاثوا به : اجتمعوا حوله . وفي الأغاني : « فلاذوا بها » . (٥) ديوانه ٦٢

(٦) ابن هشام والديوان : « من يطا عفر التراب » .

ظننتم والسفيه له ظنون
وما إن ذاك من أمر الصواب
بأن جلالنا يوم التقينا
بمكة بينكم حمر العياب
أقر العين أن عصبت يدها
وما إن تعصبان على خضاب^(١)

حدثنا أبو كريب، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا حبان ابن علي ، عن محمد بن عبيد الله بن أبي رافع ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : لما قتل علي بن أبي طالب أصحاب الألوية^(٢) ، أبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من مشركي قريش ، فقال لعلي : احمل عليهم ، فحمل عليهم ؛ ففرق جمعهم ، وقتل عمرو بن عبد الله الجمحي . قال : ثم أبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من مشركي قريش ، فقال لعلي : احمل عليهم ، فحمل عليهم ففرق جمعهم ؛ وقتل شيبة بن مالك أحد بني عامر بن لؤي ، فقال جبريل : يا رسول الله . إن هذه لكم واساة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه مني وأنا منه ، فقال جبريل : وأنا منكما ، قال : فسمعوا صوتنا :

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي

قال أبو جعفر : فلما أتى المسلمون من خلفهم انكشفوا وأصاب منهم المشركون ، وكان المسلمون لما أصابهم ما أصابهم من البلاء أثلاثاً : ثلث قتيل ، وثلث جريح ، وثلث منهزم ؛ وقد جهده الحرب حتى ما يدرى ما يصنع ، وأصابت رباعية^(٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم السفلى ، وشقت شفته ،

(١) قال ابن هشام : « آخرها بيتا يروى لأبي خراش الهذلي ، وأنشأه له خلف الأحمر :

أقر العين أن عصبت يدها وما إن تعصبان على خضاب

في أبيات له يعني امراته في غير حديث أحد ، وتروى الأبيات أيضاً لمعقل بن خويلد الهذلي .

(٢) الأغاني : « لما قتل أصحاب الألوية » .

(٣) الرباعية : السن التي بين الثانية والثاب .

وكَلِّمَ فِي وَجْتِيهِ وَجِبْهَتِهِ فِي أَصُولِ شَعْرِهِ ، وَعَلَاهُ ابْنُ قَمِيثَةَ بِالسَّيْفِ عَلَى شِقِّهِ الْأَيْمَنِ ؛ وَكَانَ الَّذِي أَصَابَهُ عُنْتَبَةُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ .

حَدَّثَنَا ابْنُ بَشَّارٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ ، عَنْ حُمَيْدٍ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمَ أُحُدٍ ، كُسِرَتْ رَبَاعِيَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشُجَّ ، فَجَعَلَ الدَّمُ يَسِيلُ عَلَى وَجْهِهِ ، وَجَعَلَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ ، وَيَقُولُ : كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ خَضَبُوا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ بِالدَّمِ . وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ! فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ... ﴾ (١) الْآيَةَ .

• • •

قال أبو جعفر : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين غشيته القوم : مَنْ رَجُلٌ يَشْرِي لَنَا نَفْسَهُ !

فَحَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي الْحَصِينُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ سَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ ، عَنْ مَحْمُودِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ يَزِيدِ بْنِ السَّكَنِ ، قَالَ : فَقَامَ زِيَادُ بْنُ السَّكَنِ فِي نَفَرِ خَمْسَةِ مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَبَعْضُ النَّاسِ يَقُولُ : إِنَّمَا هُوَ عُمَارَةُ بْنُ زِيَادِ ابْنِ السَّكَنِ ، فَقَاتَلُوا دُونَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا ، ثُمَّ رَجَلًا ، يَقْتُلُونَ دُونَهُ ؛ حَتَّى كَانَ آخِرُهُمْ زِيَادٌ - أَوْ عُمَارَةُ بْنُ زِيَادِ بْنِ السَّكَنِ (٢) - فَقَاتَلَ حَتَّى أَثْبَتَتْهُ الْجِرَاحَةُ ، ثُمَّ فَاءَتْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِئْتَةٌ (٣) حَتَّى أَجْهَضُوهُمْ (٤) عَنْهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَدْنُوهُ مِنِّي ، فَأَدْنُوهُ مِنْهُ ، فَوَسَدَهُ قَدَمَهُ ؛ فَمَاتَ وَخَدَّهُ عَلَى قَدَمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَتَرَسَ دُونَ ١٤٠٤/١

(١) سورة آل عمران ١٢٨ .

(٢) الأغاني : « زياد بن عمار بن زياد بن السكن » .

(٣) الفئدة : الجماعة .

(٤) أجهضوم : أزالوهم وغلبوهم .

(٥) الأغاني : « من دون » .

رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبُو دُجَانَةَ بِنَفْسِهِ يَتَقَعُ النَّبْلَ فِي ظَهْرِهِ وَهُوَ مُنْحَنٌ عَلَيْهِ ؛ حَتَّى كَثُرَتْ فِيهِ النَّبْلُ ، وَرَمَى سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ سَعْدٌ : فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنَاولُنِي وَيَقُولُ : ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي ! حَتَّى إِنَّهُ لِيُنَاولُنِي السَّهْمَ مَا فِيهِ نَصْلٌ ، فَيَقُولُ : ارْمِ بِهِ !

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عَمْرِو بْنِ قَتَادَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَمَى عَنْ قَوْسِهِ حَتَّى انْدَقَتْ سَيْبَتُهَا (١) ، فَأَخَذَهَا قَتَادَةُ بْنُ النُّعْمَانَ ؛ فَكَانَتْ عِنْدَهُ . وَأَصِيبَتْ يَوْمَئِذٍ عَيْنُ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانَ ؛ حَتَّى وَقَعَتْ عَلَى وَجْهِتِهِ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عَمْرِو بْنِ قَتَادَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَدَّهَا بِيَدِهِ ؛ فَكَانَتْ أَحْسَنَ عَيْنِهِ وَأَحَدَهُمَا .

• • •

قال أبو جعفر : وَقَاتَلَ مُصْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ لَوَاؤُهُ حَتَّى قَتَلَ ؛ وَكَانَ الَّذِي أَصَابَهُ ابْنُ قَمِيئَةَ (٢) اللَّيْثِيُّ . وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَرَجَعَ إِلَى قَرِيْشٍ ، فَقَالَ : قَتَلْتُ مُحَمَّدًا . فَلَمَّا قَتَلَ مُصْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ أُعْطِيَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللِّوَاءَ عَلَى بَنِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ . وَقَاتَلَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ حَتَّى قَتَلَ أَرْطَاةَ بْنَ عَبْدِ (٣) شُرْحَبِيلِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ بْنِ قُصَيٍّ ؛ وَكَانَ أَحَدَ النَّفَرِ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ اللِّوَاءَ ، ثُمَّ مَرَّ بِهِ سَبَاعُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّىيِّ الغُبُشَانِيُّ - وَكَانَ يَكْنَى بِأَبِي نَيْتَارٍ - فَقَالَ لَهُ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ : هَلُمَّ إِلَى يَا بَنَ مَقَطَّعَةَ البُظُورِ - وَكَانَتْ أُمُّهُ أُمُّ أَنْمَارٍ مَوْلَاةُ شَرِيْقِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ وَهَبِ الثَّقَفِيِّ ، وَكَانَتْ خَتَّانَةَ بَمَكَّةَ - فَلَمَّا التَّقِيَا ضَرَبَهُ حَمْزَةُ فَقَتَلَهُ ، فَقَالَ

(١) سبه القوس : طرفه .

(٢) الأغانى وابن هشام : « ابن نسيئة » . (٣) ساقطة من رواية الأغانى .

وَحَشِي غُلَامٌ جَبِيرُ بْنُ مَطْعِمٍ : وَاللَّهِ إِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَى حِمْزَةٍ يَهْدُ^(١) النَّاسَ بِسَيْفِهِ ، مَا يُلِيقُ^(٢) شَيْئًا يَمْرُؤُ بِهِ ؛ مِثْلَ الْجَمَلِ الْأُورْقِ ؛ إِذْ تَقَدَّمَنِي إِلَيْهِ سِبَاعُ بْنُ عَبْدِ الْعَزْمِيِّ ، فَقَالَ لَهُ حِمْزَةٌ : هَلُمَّ إِلَىَّ يَا بْنَ مَقْطَعَةِ الْبُظُورِ ! فَضْرَبَهُ ؛ فَكَأَنَّمَا أَخْطَأَ رَأْسَهُ ، وَهَزَزَتْ حَرْبَتِي حَتَّى إِذَا رَضِيْتُ مِنْهَا دَفَعْتُهَا عَلَيْهِ فَوَقَعَتْ فِي لَبَّتِهِ حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ ، وَأَقْبَلَ نَحْوِي ، فَغَلَبَ فَوَقَعَ ، فَأَمَهَلْتُهُ حَتَّى إِذَا مَاتَ جِئْتُ فَأَخَذْتُ حَرْبَتِي ؛ ثُمَّ تَنَحَّيْتُ إِلَى الْعَسْكَرِ ؛ وَلَمْ يَكُنْ لِي بِشَيْءٍ حَاجَةٌ غَيْرِهِ . وَقَدْ قَتَلَ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ أَبِي الْأَقْلَحِ أَخُو بَنِي عَمْرٍو بْنَ عَوْفِ مَسَافِعِ بْنِ طَلْحَةَ وَأَخَاهُ كِلَابَ بْنَ طَلْحَةَ ؛ كِلَاهُمَا يُشْعَرُهُ^(٣) سَهْمًا ؛ فَيَأْتِي أُمَّهُ سُلَافَةً فَيَبْضَعُ رَأْسَهُ فِي حَجْرِهَا ، فَتَقُولُ : يَا بَنِيَّ ، مَنْ أَصَابَكَ ؟ فَيَقُولُ : سَمِعْتُ رَجُلًا حِينَ رَمَانِي يَقُولُ : خَذَهَا وَأَنَا ابْنُ الْأَقْلَحِ !^(٤) فَتَقُولُ : أَقْلَحِي ! فَتَذَرَتْ لِلَّهِ إِنْ أَلَّهِ أَمَكْنَهَا مِنْ رَأْسِ عَاصِمٍ أَنْ تَشْرَبَ فِيهِ الْخَمْرَ . وَكَانَ عَاصِمٌ قَدْ عَاهَدَ اللَّهَ الْأَلَّ يَمْسُ مَشْرُكًا أَبَدًا وَلَا يَمْسُهُ .

فَحَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلْمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ رَافِعٍ ؛ أَخُو بَنِي عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ ، قَالَ : انْتَهَى أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ ؛ عَمَّ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ، إِلَى عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ وَطَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ فِي رِجَالٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَقَدْ أَلْقَوْا بِأَيْدِيهِمْ ، فَقَالَ : مَا يَجْلِسُكُمْ ؟ قَالُوا : قَتَلْنَا مُحَمَّدَ رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : فَمَا تَصْنَعُونَ بِالْحَيَاةِ بَعْدَهُ ؟ قَوْمُوا فَمُوتُوا [كِرَامًا]^(٤) عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . ثُمَّ اسْتَقْبَلَ الْقَوْمَ ؛ فَقَاتَلَ حَتَّى قَتَلَ ؛ وَبِهِ سَمِيَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلْمَةُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي حُمَيْدُ الطَّوِيلِ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : لَقَدْ وَجَدْنَا بِأَنَسِ بْنِ

(١) هذه بالسيف : قطعه .

(٢) ما يليق : ما يترك وما يبق .

(٣) أشعره سهما : خالطه به .

(٤) من الأغاني .

النَّضْرُ يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ ضَرْبَةً وَطَعْنَةً فَمَا عَرَفَهُ إِلَّا أخته ، عرفتُه بحسن بنائه .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : كان أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة وقول الناس : « قَتَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » - كما حدثني ابن شهاب الزهري - كعب بن مالك ، أخو بني سلمة ، قال : عرفت عينيه تزهران تحت المغفر ، فناديت : بأعلى صوتي : يا معشر المسلمين أبشروا ! هذا ^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فأشار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن أنصت . فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم نهضوا به ، ونهض نحو الشعب ، معه علي بن أبي طالب ، وأبو بكر بن أبي قحافة ، وعمر بن الخطاب ، وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام ، والحارث بن الصمة ، في رهط من المسلمين ^(٢) . فلما أسند ^(٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب أدركه أبي بن خلف وهو يقول : أين مُحَمَّدٌ ! لا نجوتُ إن نجوت ! فقال القوم : يا رسول الله ، أيعطف عليه رجل مينا؟ قال : دعوه ، فلما دنا تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمة - قال : يقول بعض الناس فيما ذكر لي : فلما أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انتفض بها انتفاضة تطاير ناعنه تطاير الشعراء ^(٤) عن ظهر البعير إذا انتفض بها ، ثم استقبله فطعنه في عنقه طعنة تَدَادَا ^(٥) منها عن فرسه مراراً .

وكان أبي بن خلف - كما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف - يلتقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فيقول : يا محمد إن عندى العود ، أعلقه كل يوم فرقا ^(٦) من ذرة أقتلك عليه ! فيقول

(١) م : « هناك » . (٢) الخبر إلى هنا في التفسير ٧ : ٣٠٨ ، ٣٠٩ .

(٣) أسند في الجبل : روى فيه .

(٤) الشعراء : ذباب أحمر ، وقيل أزرق ، يقع على الإبل ويؤذيها أذى شديداً .

(٥) تدادا : تدحرج .

(٦) الفرق : مكيا ل لأهل المدينة يسع ثلاثة أصواع .

رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل أنا أقتلك إن شاء الله . فلما رجع إلى قريش ، وقد خدشه في عنقه (١) خدشاً غير كبير ؛ فاحتقن الدم ، قال : قتلتني والله محمد . قالوا : ذهب والله فؤادك ؛ ولله إن بك بأس (٢) . قال : إنه قد كان بمكة قال لي : أنا أقتلك ؛ فوالله لو بصق علي لقتلني . فمات عدو الله بسرف وهم قافلون به إلى مكة .

قال : فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فم الشعب ، خرج علي بن أبي طالب حتى ملأ درقته من المهراس (٣) . ثم جاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشرب منه ؛ فوجد له ريحاً فعافه ؛ ولم يشرب منه ، وغسل عن وجهه الدم ؛ وصب على رأسه ؛ وهو يقول : اشتد غضب الله على من دمي وجه نبيه .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني صالح بن كيسان ، عمن حدثه ، عن سعد بن أبي وقاص ، أنه كان يقول : والله ما حرصت على قتل رجل قط ما حرصت على قتل عتبة بن أبي وقاص ؛ وإن كان ما علمت لسيء الخلق ، مبعوضاً في قومه ؛ ولقد كفاني منه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اشتد غضب الله على من دمي وجه رسول الله » .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : حدثنا أحمد بن المفضل ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي ، قال : أتى ابن قميئة الحارثي أحد بني الحارث ابن عبد مناة بن كنانة ، فرمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر ، فكسر أنفه ورباعيته ، وشجته في وجهه ، فأثقله وتفرق عنه أصحابه ، ودخل بعضهم المدينة ، وانطلق بعضهم فوق الجبل إلى الصخرة ، فقاموا عليها ، وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس : إلى عباد الله !

(١) الأغاني : « حلقه » .

(٢) الأغاني : « ما بك بأس »

(٣) المهراس : ماء يجبل أحد .

١٤٠٩/١ إلى عباد الله ! فاجتمع إليه ثلاثون رجلاً ، فجعلوا يسرون بين يديه ، فلم يقف أحد إلا طلحة وسهل بن حنيف ، فحماه طلحة ، فرمى بسهم في يده فبيست يده ، وأقبل أبي بن خلف الجُمحى ؛ وقد حلف ليقتلن النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : بل أنا أقتله ، فقال : يا كذاب ، أين تفرُّ ! فحمل عليه فطعنه النبي صلى الله عليه وسلم في جيب الدرع ؛ فجرح جرحاً خفيفاً ، فوقع يخورُ خورَ الثور ؛ فاحتملوه ، وقالوا : ليس بك جراحة ، فما يجزئك ؟ قال : أليس قال : « لأقتلنك » ! لو كانت بجميع ربيعة ومضر لقتلتهم ! فلم يلبث إلا يوماً أو بعض يوم حتى مات من ذلك الجرح .

وفشا في الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قُتل ، فقال بعض أصحاب الصخرة : ليت لنا رسولا إلى عبد الله بن أبي ؛ فيأخذ لنا أمانة من أبي سفيان ! يا قوم ان محمدًا قد قتل ، فارجعوا إلى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم . قال أنس بن النضر . يا قوم إن كان محمدٌ قد قتل ؛ فإن ربَّ محمد لم يقتل فقاتلوا على . قاتل عليه محمدٌ : اللهم أنى أعتذر إليك مما يقول هؤلاء ، وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ! ثم شدَّ (١) بسيفه فقاتل حتى قتل ؛ وانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس حتى انتهى إلى أصحاب الصخرة ؛ فلما رأوه وَضَعَ رَجُلٌ سَهْمًا في قوسه ، فأراد أن يرميه فقال : أنا رسولُ الله ؛ ففرحوا بذلك حين وجدوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حيًّا ، وفرح رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى أن في أصحابه مَنْ يمتنع به ؛ فلما اجتمعوا وفيهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ذهب عنهم الحزن ؛ فأقبلوا يذكرون الفتح ، وما فاتهم منه . يذكرون أصحابهم الذين قتلوا ، فقال الله عز وجل للذين قالوا : « إن محمدًا نبيٌّ ، فارجعوا إلى قومكم » : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ أَرْسُلُوفَانٌ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ

(١) م : « سل سيفه » .

وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١﴾ .
 فأقبل أبو سفيان حتى أشرف عليهم ، فلما نظروا إليه نسوا ذلك الذي كانوا
 عليه ، وأهمتهم أبو سفيان ، فقال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ليس لهم
 أن يعلُّونا ؛ اللهم إن تقاتل هذه العصابة لا تُعبَد ! ثم ندب أصحابه ،
 فرمَوْهم بالحجارة حتى أنزلوهم ؛ فقال أبو سفيان يومئذ : اعلُّ هُبَل . حنظلة
 بحنظلة ، ويومٌ بيوم^(٢) بدر . وقتلوا يومئذ حنظلة بن الراهب ، وكان جنباً
 فغسلته الملائكة ؛ وكان حنظلة بن أبي سفيان قُتِلَ يوم بدر ؛ وقال أبو سفيان :
 لنا العزى ولا عزى لكم ! فقال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعمر : قل : الله
 مولانا ولا مولى لكم . فقال أبو سفيان : أفيكم^(٣) محمد ! أما إنها^(٤) قد كانت
 فيكم مثله ؛ ما أمرت بها ولا نهيت عنها ؛ ولا سررتني ولا ساءتني ؛ فذكر الله
 عز وجل إشراف أبي سفيان عليهم ، فقال : ﴿ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمِّ لِكَيْلَا
 تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ﴾ ، والغم الأول ما فاتهم من الغنيمة
 والفتح . والغم الثاني إشراف العدو عليهم ، ﴿ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ ﴾ ١٤١١/١
 من الغنيمة ﴿ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ﴾^(٥) من القتل حين تذكرون . فشغلهم أبو سفيان^(٦) .
 قال أبو جعفر : وأما ابنُ إسحاق ، فإنه قال - فيما حدثنا ابنُ حميد
 قال : حدثنا سلمة عنه - بينا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الشعب ؛
 ومعه أولئك النَّفَر من أصحابه إذ علت عالية من قرينش الجبل : فقال رسولُ
 الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اللهم إنه لا ينبغي لهم أن يعلُّونا ؛ فقاتل عمر بن
 الخطاب ورهط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم عن الجبل ؛ ونهض رسولُ
 الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى صخرة من الجبل ليعلوها . وقد كان بدت رسول

(١) سورة آل عمران ١٤٤ .

(٢) م : « ويوم أحد بيوم بدر » .

(٣) م : « فيكم » .

(٤) م : « قال : أما إنها » ، وفي التفسير « قالوا : نعم ، قال » .

(٥) سورة آل عمران ١٥٣ .

(٦) التفسير ٧ : ٣٠٧ - ٣٠٨ .

الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وظاهرَ بين درْعَيْنِ^(١) ، فلما ذهب لينهض لم يستطع : فجلس تحته طلحة بن عبيد الله ، فنهض حتى استوى عليها^(٢) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد : قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كما حدثنا يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عبد الله بن الزبير ، عن الزبير ، قال : سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول يومئذ : أوجب طلحة حين صنع برسول الله ما صنع .

قال أبو جعفر : وقد كان الناس انهزموا عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حتى انتهى بعضهم إلى المنى دون الأعوص ، وفرَّ عثمان بن عفان وعقبة بن عثمان وسعد بن عثمان (رجلان من الأنصار) : حتى بلغوا الجَلْعَبَ (جبلا بناحية المدينة مما يلي الأعوص) ، فأقاموا به ثلاثاً ثم رجعوا إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فزعموا أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قال لهم : لقد ذهبتم فيها عريضة^(٣) .

• • •

قال أبو جعفر : وقد كان حنظلة بن أبي عامر الغسيل ، التقي هو وأبو سفيان بن حرب . فلما استعلاه حنظلة رآه شدّاد بن الأسود - وكان يقال له . ابن شعوب - قد علا أبا سفيان ، فضربه شدّاد فقتله . فقال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إن صاحبكم^(٤) - يعني حنظلة - لتغسله الملائكة . فسلاوا أهله : ما شأنه ؟ فسئلتُ صاحبه ، فقالت : خرج وهو جنب حين سمع الهائعة^(٥) ؛ فقال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لذلك غسّلته الملائكة ، فقال شدّاد ابن الأسود في قتله حنظلة :

لأُخْمِيَنَّ صَاحِبِي وَنَفْسِي بَطْمَنَةً مِثْلَ شُعَاعِ الشَّمْسِ

(١) وظاهر بين درعين ، أى ليس إحداهما على الأخرى .

(٢) الزبير في التفسير ٧ : ٣٠٨ ، ٣٠٩ .

(٣) عريضة ، أى واسعة ، وانظر النهاية ٣ : ٨٢ . (٤) و : « صاحبكما »

(٥) الهائعة : الصوت الذى تفرع منه وتحافه من العدو .

وقال أبو سفيان بن حرب ؛ وهو يذكر صبره ذلك اليوم ، ومعاونة ابن شعوب شداد بن الأسود إياه على حنظلة :

ولو شئتُ نَجَّتني كُمَيْتُ طِمْرَةٌ^(١) ولم أحمل النعماء لابن شعوب^(١)
فما زال مُهْرِي مَزَجَرَ الكلبِ مِنْهُمْ^(٢) لَدَى غُدُوَّةٍ حَتَّى دَنَتْ لِغُرُوبِ^(٢)
أَقَاتلُهُمْ وَأَدْعِي يَالَ غَالِبِ وَأَدْفَعُهُمْ عَنِّي بِرُكْنِ صَالِبِ
فَبَكِّي وَلَا تَرَعِي مَقَالَةَ عَاذِلِ وَلَا تَسَامِي مِنْ عَابِرَةٍ وَنَجِيبِ^(٣)
أَبَاكَ وَإِخْوَانًا لَهُ قَدْ تَتَابَعُوا وَحُقَّ لَهُمْ مِنْ عَابِرَةٍ بِنَصِيبِ
وَسَلَّى الَّذِي قَدْ كَانَ فِي النَّفْسِ أَنَّنِي قَتَلْتُ مِنَ النَّجَارِ كُلَّ نَجِيبِ
وَمِنْ هَاشِمٍ قَرَمًا نَجِيبًا وَمُضْعَبًا وَكَانَ لَدَى الْهَيْجَاءِ غَيْرَ هَيُوبِ^(٣)
وَلَوْ أَنَّنِي لَمْ أَشَفْ مِنْهُمْ قَرُونِي لَكَانَتْ شَجِيًّا فِي الْقَلْبِ ذَاتَ نُدُوبِ^(٤)
فَأَبُوا وَقَدْ أَوْدَى الْخَلَائِبُ مِنْهُمْ لَمْ أَصَابَهُمْ مِنْ لَمْ يَكُنْ لِدِمَائِهِمْ
أَصَابَهُمْ مِنْ لَمْ يَكُنْ لِدِمَائِهِمْ

فأجابه حسان بن ثابت فقال :

ذَكَرْتَ الْقُرُومَ الصَّيْدَ مِنْ آلِ هَاشِمٍ وَلَسْتَ لَزُورٍ قُلْتَهُ مُصِيبِ^(٦)
أَتَعْجَبُ أَنْ أَقْصَدْتَ حَمْرَةَ مِنْهُمْ نَجِيبًا وَقَدْ سَمَيْتَ بِنَجِيبِ^(٧)
أَلَمْ يَقْتُلُوا عَمْرًا وَعُتْبَةَ وَابْنَهُ وَشَيْبَةَ وَالْحَجَّاجَ وَأَبْنَ حَبِيبِ !

(١) الطمرة : الفرس السريعة الوثب .

(٢) مزجر الكلب ؛ أي لم يبعد منهم إلا بمقدار الموضع الذي يزجر الكلب فيه .

(٣) القرم : الفحل الكريم من الإبل ؛ يريد حمزة .

(٤) القرونة : النفس ، وفي ابن هشام : « لم أشف نفسي منهم » .

(٥) الخلائب : الجماعات ، أو أنصار الرجل من بني عمه ؛ ورواية البيت في ابن هشام :

قَالُوا وَقَدْ أَوْدَى الْجَلَائِبُ مِنْهُمْ بِهِمْ خَدَبٌ مِنْ مُعْطَبٍ وَكُتَيْبِ

(٦) أبيات أبي سفيان وجواب حسان ؛ في ديوان حسان ٦٤ - ٦٦ .

(٧) أقصده : رماه .

غَدَاةٌ دَعَا الْعَاصِيَ عَلِيًّا فَرَاغَهُ بِضَرْبَةِ عَضْبٍ بَلَّهَ بِخَضِيبِ

وقال شدّاد بن الأسود، يذكر يده عند أبي سفيان بن حرب فيما دفع عنه :

وَلَوْلَا دِفَاعِي يَا بَنَ حَرْبٍ وَمَشْهَدِي لِأَلْفَيْتَ يَوْمَ النَّعْفِ غَيْرَ مَجِيبِ
وَلَوْلَا مَكْرِي الْمُهْرَ بِالنَّعْفِ قَرَّقَرْتِ ضِبَاعٌ عَلَيْهِ أَوْ ضِرَاهُ كَلِيبِ

وقال الحارث بن هشام يجيب أبا سفيان في قوله :

• وما زال مُهْرِي مَزَجَرَ الْكَلْبِ مِنْهُمْ •

وظنّ أنه يعرض به إذ فرّ يوم بدر :

وَإِنَّكَ لَوْ عَايَنْتَ مَا كَانَ مِنْهُمْ لِأَبْتِ بَقْلِبِ مَا بَقِيتَ نَخِيبِ^(١)
لَدَى صَخْنِ بَدْرٍ أَوْ لِقَامَتِ نَوَائِحِ عَلَيْكَ، وَلَمْ تَحْفَلِ مُصَابَ حَيْبِ
جَزَيْتَهُمْ يَوْمًا بَبَدْرٍ كَمِثْلِهِ عَلَى سَابِحِ ذِي مَيْعَةٍ وَشَيْبِ^(٢)

١٤١٥/١

قال أبو جعفر : وقد وقفت هند بنت عتبة - فيما حدثنا ابن حميد ؛
قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني
صالح بن كيسان - والنسوة اللاتي معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله
صلّى الله عليه وسلّم ، يتجدّعن الآذان والأنوف^(٣) ؛ حتى اتخذت
هند من آذان الرجال وأنفهم خدماً^(٤) وقلائد ، وأعطت خدماً لها وقلائدها
وقزطتها وحشياً ، غلام جبير بن مطعيم ، وبقرت عن كبد حمزة

(١) النخيب : الجبان الفرع .

(٢) السابح : الفرس الذي كأنه يسبح في جريه . والميعة : الخفة والنشاط ، شيب ،

أى شاب .

(٣) الأغاني : « الآنف » .

(٤) الخدم : جمع خدمة ، بالتحريك ؛ وهى الخللخال .

فلاكتها فلم تستطع أن تُسيغها فلفظتها . ثم علت على صخرة مشرفة ،
فصرخت بأعلى صوتها بما قالت من الشعر حين ظفروا بما أصابوا من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن
إسحاق ، قال : حدثني صالح بن كيسان ، أنه حدث أن عمر بن الخطاب ١٤١٦/١
قال لحسان : يا بن الفريعة لو سمعت ما تقول هند ورأيت أشرها ، قائمة
على صخرة ترتجز بنا ، وتذكر ما صنعت بحمزة ! فقال له حسان : والله
إنني لأنظر إلى الحربة تهوي وأنا على رأس فارغ - يعني أطمه - فقلت :
والله إن هذه لسلاح ما هي بسلاح العرب ؛ وكأنها إنما تهوي إلى حمزة ؛
ولا أدري . أسمعني بعض قوطا أكفيكموها ؛ قال : فأنشده عمر بعض
ما قالت ، فقال حسان يهجو هنداً :

أشِرتْ لَكَاعِ وَكَانَ عَادَتُهَا	لَوْمًا إِذَا أَشِرتْ مَعَ الكُفْرِ ^(١)
لَعَنَّ الإِلهُ وَزَوْجَهَا مَعَهَا	هِندَ الهِنودِ عَظِيمَةَ البَظْرِ
أَخْرَجْتَ مَرْقِصَةً إِلَى أَحَدٍ	فِي القَوْمِ مُقْتَبَةً عَلَى بَكْرِ ^(٢)
بَكْرٍ ثَقَالٍ لا حَرَآكَ بِهِ	لا عَن مُعَاتِبَةٍ وَلا زَجْرِ ^(٣)
وَعَصَاكَ إِسْتَكِ تَنْتَقِينَ بِهَا	دُقُورَ العُجَايَةِ هِنْدُ بِالفِهِرِ ^(٤)
قَرِحَتْ عَجِيزَتُهَا وَمَشْرَجُهَا	مِن دَأْبِهَا نَصًّا عَلَى القُتْرِ ^(٥)

(١) ديوانه ٢٢٩ . لكاع : كنى بها عن هند ، وامرأة لكاع : لثيمة ، ورواية الأغاني :
« من الكفر » .

(٢) الإرقاص : أن يحمل البعير على الحبيب ، وفي الديوان : « منقحة على بكر » .

(٣) الثفال : البطي . من الإبل .

(٤) يقال : عصاه استه ، أى ليس معه عصا ؛ فهو يحرك استه على المطية حتى تنسج

والمعجاية : العصب يضرب حتى يلين . والفهر : حجر يملأ الكف .

(٥) النص : ضرب من السير السريع ؛ والقتر ، بالضم : الناحية والجانب .

١٤١٧/١ ظَلَّتْ تُدَاوِيهَا زَمِيلَتُهَا بِالماءِ تَنْضَحُهُ وَبِالسُّدْرِ
 أَخْرَجَتْ نَائِرَةً مَبَادِرَةً بِأَيِّكَ وَابْنِكَ يَوْمَ ذِي بَدْرِ
 وَبِعَمِّكَ الْمَسْتَوْهُ فِي رَدَعٍ وَأَخِيكَ مِنْعِفْرَيْنِ فِي الْجَفْرِ^(١)
 وَنَسِيتِ فَاحِشَةَ أَتَيْتِ بِهَا يَا هِنْدُ، وَيَحْكُ سَبَّةَ الدَّهْرِ!^(٢)
 فَرَجَعَتْ صَاغِرَةً بِلا تِرَةٍ مِنَّا ظَفِرَتْ بِهَا وَلَا نَصْرٍ
 زَعَمَ الْوَلَائِدُ أَنَّهَا وَلَدَتْ وَلَدًا صَغِيرًا كَانَ مِنْ عَهْرٍ

قال أبو جعفر: ثم إن أبا سفيان بن حرب أشرف على القوم - فيما حدثنا
 هارون بن إسحاق قال: حدثنا مصعب بن المقدم، قال: حدثنا إسرائيل.

وحدثنا ابن وكيع، قال: حدثني أبي، عن إسرائيل، قال: حدثنا
 أبو إسحاق، عن البراء، قال: ثم إن أبا سفيان أشرف علينا، فقال:
 أفي القوم محمد؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تجيبوه؛ مرتين،
 ثم قال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ فثلاثاً، فقال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم: لا تجيبوه، ثم قال: أفي القوم ابن الخطاب؟ ثلاثاً، فقال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم: لا تجيبوه، ثم التفت إلى أصحابه، فقال: أمّا
 هؤلاء فقد قُتِلُوا، لو كانوا في الأحياء لأجابوا، فلم يملك عمر بن الخطاب
 نفسه أن قال: كذبت يا عدو الله، قد أبى الله لك ما يخزيك! فقال:
 اعلُّ هُبَلْ! اعلُّ هُبَلْ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أجيبوه،
 قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا: الله أعلُّ وأجلُّ! قال أبو سفيان: ألا
 لنا العزى ولا عزى لكم! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أجيبوه،
 قالوا: ما نقول؟ قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم! قال أبو سفيان: يوم

(١) المستوه: المضروب في استه. والردع: الدم. الديوان: «المطلوب بزمته» وفي ط:

«ودع»، وما أثبتته من الأغاني.

(٢) الأغاني: «سيئة الدهر».

يوم بدر ، والحرب سيجال ؛ أمّا إنكم ستجدون في القوم مُثلاً لم أمرُ بها ولم تسؤني .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال في حديثه : لما أجاب عمرُ أبا سفيان قال له أبو سفيان : هلمَّ يا عمر ، فقال له رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم : إيتِه فانظرُ ما شأنه ؟ فجاءه فقال له أبو سفيان : أنشدك الله يا عمر ، أقتلنا محمداً ؟ فقال عمر : اللهم لا ؛ وإنه ليسمع كلامك الآن ، فقال : أنت أصدق عندي من ابن قميثة^(١) وأبر ؛ لقول ابن قميثة لهم : إنني قتلت محمداً . ثم نادى أبو سفيان ، فقال : إنّه قد كان في قتلكم مُثلاً^(٢) والله ما رضيت ولا سخطت ، ولا نهيبت ولا أمرت^(٣) .

وقد كان الحلبيّ بن زبّان أخو بني الحارث بن عبد مناة ، وهو يومئذ سيّد الأحابيش ، قد مرّ بأبي سفيان بن حرب ، وهو يضرب في شِدْق حمزة بزُجّ الرمح ؛ وهو يقول : ذُقْ عَقَقُ^(٤) ! فقال الحلبيّ : يا بني كنانة ، هذا سيّد قريش يصنع بابن عمّه كما ترون لحماً^(٥) ! فقال : اكنمها ، فإنّها كانت زلّة ؛ فلما انصرف أبو سفيان ومَن معه نادى : إنّ موعدكم بدر ١/٤١٩ ، للعام المقبل ، فقال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم لرجل من أصحابه : قل نعم هي بيننا وبينك موعد .

ثم بعث رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، فقال : اخرجُ في آثار القوم فانظر ماذا يصنعون ، وماذا يريدون ! فإن كانوا قد اجتنبوا الخيل ، وامتطوا الإبل ؛ فإنّهم يريدون مكّة ؛ وإن ركبوا الخيل ، وساقوا الإبل ؛ فهم يريدون المدينة ؛ فوالذي نفسي بيده ؛ لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ثم لأناجزنّهم . قال عليّ : فخرجت في آثارهم أنظر ماذا

(١) الأغاني : « قميثة » . (٢) الأغاني : « إنه قد كان مثل » . والمثل : جمع مثلة .

(٣) التفسير ٧ : ٣٠٩ ، ٣١٠ .

(٤) ذق عقق ، أي ذق جزاء فعلك يا عاق ؛ وعقق : ممدول عن عاق للمبالغة ، كقدر

من غادر .

(٥) لحما ، أراد وهو قتيل .

يصنعون ؛ فلما اجتنبوا الخيل وامنطوا الإبل توجهوا إلى مكة ؛ وقد كان رسولُ
الله صلى الله عليه وسلم قال : أى ذلك كان فأخفه ^(١) حتى أتيتنى . قال على
عليه السلام : فلما رأيتهم قد توجهوا ^(٢) إلى مكة أقبلت أصبح ؛ ما أستطيع أن
أكرم الذى أمرنى به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لما بى من الفرح ؛ إذ
رأيتهم انصرفوا إلى مكة عن المدينة .

وفرغ الناس لقتالهم . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - كما
حدثنا ابنُ حميد . قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ؛
عن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة المازنى أخى بنى النجار ،
أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال : من رجل ينظر لى ما فعل
سعد بن الربيع ؟ - وسعد أخو بنى الحارث بن الخزرج - أفى الأحياء هو
أم فى الأموات ؟ فقال رحل من الأنصار : أنا أنظرك يا رسولَ الله ما فعل ؛
فنظر فوجده جريحاً فى القتلى به رمق . قال : فقلت له : إن رسولَ الله
صلى الله عليه وسلم أمرنى أن أنظر له : أفى الأحياء أنت أم فى الأموات ؟
قال : فأنأ فى الأموات ، أبلغ رسولَ الله عنى السلام ، وقل له : إن سعدَ
ابن الربيع يقول لك : جزأك الله خيراً ما جزى نبي عن أمته ؛ وأبلغ عنى
قومك السلام . وقل لهم : إن سعد بن الربيع يقول لكم : إنه لا عذر
لكم عند الله إن خُلصَ إلى نبيكم صلى الله عليه وسلم وميكم عينٌ
تطرف . ثم لم أبرح حتى مات ؛ فحدث رسولَ الله صلى الله عليه وسلم
فأخبرته خبره . وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغنى - ياتمس
حمزة بن عبد المطلب . فوجده بطن الوادى قد بُقِرَ بطنه عن كبده ،
ومثل به . فجدع أنفه وأذناه .

١٤٢٠/١

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق . قال :
فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حين
رأى بحمزة ما رأى ، قال : لولا أن تحزن صفيته أو تكون سنة من بعدى
لركنه حتى يكون فى أجواف السباع وحواصل الطير ؛ ولئن أنا أظهرت الله
على قريش فى موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلاً منهم ؛ فلما رأى

(٢) م . « وجهوا »

(١) و : « فأخف » .

المسلمون حزنَ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَغِيظَهُ عَلَى مَا فُعِلَ بِعَمِّهِ ،
قالوا : والله لئن ظهرنا عليهم يوماً من الدهر لنمثلنَّ بهم مُثْلَةً لم يمثُلها
أحد من العرب بأحد قطاً ! .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن
إسحاق ، قال : أخبرني بُرَيْدَةُ بن سفيان بن فروة الأسلمي ، عن محمد بن
كعب القرظي . عن ابن عباس . قال ابن حميد ، قال سلمة : وحدثني
محمد بن إسحاق ، قال : وحدثني الحسن بن عُمارة ، عن الحكم بن عتيبة ،
عن مِقْسَم ، عن ابن عباس ، قال : إن الله عزَّ وجلَّ أنزل في ذلك من قول
رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقول أصحابه : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ
مَا عُوِقِبْتُمْ بِهِ وَ لَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ ^(١) ، إلى آخر السورة ،
فعفا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصبر ونهى عن المُثْلَةِ .

قال ابن إسحاق : وأقبلتُ - فيما بلغني - صفيّة بنتُ عبد المطلب
لتنظر إلى حمزة - وكان أخاها لأبيها وأمها - فقال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وسلَّم لابنها الزبير بن العوام : القها فارجعها ، لا ترى ما بأخيها . فلقبها
الزبير فقال لها : يا أمه ؛ إن رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمرُك أن ترجعي ،
فقلت : ولم ، وقد بلغني أنه مُثِّلَ بأخي وذلك في الله قليل ! فما أرضانا بما كان
من ذلك ! لاحتسبنَّ ولأصبرنَّ إن شاء الله . فلما جاء الزبير رسول الله صلى
الله عليه وسلم فأخبره بذلك ، قال : نخل سبيلها ، فأتته فنظرتُ إليه وصدتُ
عليه ؛ واسترجعتُ واستغفرت له ؛ ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم به
فدُفِن .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : فحدثني محمد بن
إسحاق ، قال : فزعم بعض آل عبد الله بن جحش - وكان لأميمّة بنت
عبد المطلب خاله حمزة ؛ وكان قد مُثِّلَ به كما مُثِّلَ بحمزة ؛ إلا أنه

(١) سورة النحل ١٢٦ .

لم يُبْقَرَ عن كبده - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دَفَنه مع حمزة في قبره ؛ ولم أسمع ذلك إلا عن أهله .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني عاصم بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، قال : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد وقع ^(١) حُسَيْل بن جابر - وهو اليمان أبو حذيفة بن اليمان - وثابت بن وقش بن زَعوراء في الآطام مع النساء والصبيان ، فقال أحدهما لصاحبه ؛ وهما شيخان كبيران : لأبالك ! ماتتظرو؟ فوالله إن بقي لواحد منا من عمره إلا ظيمٌ ، حِمَارٌ ^(٢) ؛ إنما نحن هامة اليوم ^(٣) أو غد ؛ أفلا تأخذ أسيافنا ، ثم نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، لعل الله عز وجل يرزقنا شهادة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فأخذا أسيافهما ، ثم خرجا حتى دخلا في الناس ، ولم يُعلم بهما ؛ فأما ثابت بن وقش فقتله المشركون ، وأما حُسَيْل بن جابر ، اليمَان ، فاختلف عليه أسياف المسلمين فقتلوه ؛ ولا يعرفونه . فقال حُذَيْفَة : أبنى ! قالوا : والله إن عرفناه . وصدقوا ، قال حُذَيْفَة : يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ! فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يَدَيْتَهُ ^(٤) فتصدق حُذَيْفَة بِيَدَيْتِهِ على المسلمين ، فزادته عند رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً .

١٤٢٣/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، أن رجلاً منهم كان يدعى حاطب بن أمية بن رافع ، وكان له ابن يقال له يزيد بن حاطب ، أصابته جراحة يوم أحد : فأتى به إلى دار قومه وهو يموت ؛ فاجتمع إليه أهل الدار ؛ فحدثني المسلمون يقولون من الرجال والنساء : أبشِرْ يا بن حاطب بالجنة ،

(١) كذا في م ، وفي الأغاني : « رجع » .

(٢) ظم الحمار : ما بين الشربتين له ؛ وليس شيء من الدواب أقصر ظمناً من الحمار ، يرد الماء كل يوم في الصيف مرتين .

(٣) هامة اليوم ، أى سنوت اليوم أو غدا .

(٤) وداه ، أى أدى ديته .

قال : وكان حاطب شيخاً قد عسا^(١) في الجاهلية ، فَنَجَسَ يومئذ نفاقه ، فقال : بأى شيء تبشرونه ، أبجنة من حرمل^(٢) ! غررتُم والله هذا الغلام من نفسه ، وفجعتموني به !

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : كان فينا رجلٌ أتى^(٣) لا يدري من أين هو ، يقال له قُزَمان ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا ذكر له : إنه لَمِنْ أهل النار ؛ فلما كان يوم أحد ، قاتل قتالا شديداً ، فقتل هو وحده ثمانية من المشركين أو تسعة ؛ وكان شهماً شجاعاً ذا بأس ؛ فأثبتته الجراحة ، فاحتمل إلى دار بني ظفَر . قال : فجعل رجالٌ من المسلمين يقولون : والله لقد أبليت اليوم يا قُزَمان ؛ فأبشر ! قال : بم أبشر ! فوالله إن قاتلتُ إلا على أحساب قومي ؛ ولولا ذلك ما قاتلت ؛ فلما اشتدت عليه جراحته ، أخذ شهماً من كنانته فقطع رواهشَه فنزفه الدم فمات ؛ فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أشهد أنى رسولُ الله حقاً !

١٤٢٤/١

وكان ممن قُتِلَ يوم أحدٍ مُخِيرِيقُ اليهوديُّ ، وكان أحدَ بني ثعلبة ابنِ الفِطِيسِون ، لما كان ذلك اليوم قال : يا معشرَ يهود ؛ والله لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لَحَقُّ . قالوا : إن اليوم يوم السَّبْتِ ، فقال : لا سبْتِ ، فأخذ سيفه وعدته ، وقال : إن أصِبتُ فمالي لمحمد يصنع فيه ما شاء . ثم غدَا إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فقاتل معه حتى قُتِلَ ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغنى : مُخِيرِيقُ خيرُ يهود .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن

(١) عسا ، أى كبر وأسن .

(٢) قال السهيلي : يريد الأرض التي دفن فيها ؛ وكانت تثبت الحرمل : أى ليس له جنه إلا ذلك .

(٣) الأتى : الغريب ليس من العموم .

إسحاق ، قال : وقد احتمل ناسٌ من المسلمين قَتْلَهُم إلى المدينة . فدفنوا بها ، ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وقال : ادفنوا حيث صُرِعُوا .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني أبي إسحاق بن يسار ، عن أشياخ من بني سلمة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ حين أمر بدفن القتلى : انظروا عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو بن حرام . فإنهما كانا متصافيين في الدنيا ، فاجعلوهما في قبر واحد . قال : فلما احترق معاوية القناة أخرجا وهما يتثنيان^(١) كأنما دفنا بالأمس .

قال : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعاً إلى المدينة ، فلقبته حَمْنَةَ بنت جحش -- كما ذكر لي -- فَنَعِيَ لها^(٢) أخوها عبد الله بن جحش . فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نَعِيَ لها خالها حمزة بن عبد المطالب ، فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نَعِيَ لها زوجها مصعب بن عمير . فصاحت وولوت . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن زَوْجَ^(٣) المرأة منها ليمكان ؛ لما رأى من تثبتها عند أخيها وخالها ، وصياحتها على زوجها .

قال : ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بدار من دور الأنصار من بني عبد الأشهل وطفق . فسمع البكاء والنوائح على قتلاهم ؛ فذرفت عيناً رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكى ثم قال : لكن حمزة لا بواكى له ! فلما رجع سعد بن معاذ وأسيّد بن حضير إلى دار بني عبد الأشهل أمر نساءهم أن يتحرمن ثم يذهبن فيبكين على عم رسول الله صلى الله عليه وسلم . حدثنا ابن حميد . قال : حدثنا سلمة . عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني عبد الواحد بن أبي عون ، عن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص ؛

(١) م : « يتثنيان » .

(٢) م : « إليها » .

(٣) م : « الزوج » .

قال : مرّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بامرأة من بني دينار ؛ وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بأحمد ؛ فلما نعوا لها قالت : فما فعل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ قالوا : خيراً يا أمّ فلان ؛ هو بحمد الله كما تحبّين ؛ قالت : أرنيه حتى أنظر إليه ؛ فأشير لها إليه حتى إذا رآته قالت : كلُّ مصيبة بعدك جللٌ (۱) !

قال أبو جعفر : فلما انتهى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى أهله ناول سيفه ابنته فاطمة ، فقال : اغسلي عن هذا دمه يا بنية ؛ وناولها على عليه السلام سيفه ، وقال : وهذا فاغسلي عنه ؛ فوالله لقد صدقتي اليوم . فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : لئن كنت صدقت القتال لقد صدق معك سهل بن حنيف ، وأبو دُجّانة سماك بن خراشة . وزعموا أن علي بن أبي طالب حين أعطى فاطمة عليهما السلام سيفه قال :

أفاطمَ هالكِ السيفِ غيرَ ذمِّمِ فلستُ برِعدِدي ولا بُمليمِ
لعمري لقد قاتلتُ في حُبِّ أحمدِ وطاعةِ ربِّ بالعبادِ رحيمِ
وسيفي بكفّي كالشهابِ أهزه أجذبُ به من عاتقِ وصمِمْ
فما زلتُ حتى فضّ ربّي جموعهم وحتى شفينا نَفْسَ كلِّ حلِيمِ

وقال أبو دُجّانة حين أخذ السيف من يد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقاتل به قتالاً شديداً - وكان يقول : رأيت إنساناً يخمش الناس خمشاً شديداً فصمدت له ، فلما حملت عليه بالسيف ولولت ؛ فإذا امرأة ؛ فأكرمت سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أضرب به امرأة - وقال أبو دُجّانة :

أنا الذي عاهدتني خليلي ونحنُ بالسفحِ لدى النخيلِ
ألا أقومَ الدهرَ في الكيولِ أضربُ بسيفِ الله والرسولِ (۲)

۱۴۲۷/۱

(۱) جلال ، أى صغيرة ، وهو من الأضداد . (۲) الكيول : آخر الصفوف في الحرب .

[غزوة حمراء الأسد]

وكان رجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة يوم السبت؛ وذلك يوم الواقعة بأحد؛ فحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: حدثني حسين بن عبد الله، عن عكرمة، قال: كان يوم أحد يوم السبت؛ للنصف من شوال؛ فلما كان الغد من يوم أحد - وذلك يوم الأحد لست عشرة ليلة خلت من شوال - أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس بطلب العدو؛ وأذن مؤذنه: ألا يخرجن معنا أحد إلا ممن حضر يومنا بالأمس. فكلّمه جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام، فقال: يا رسول الله، إن أبي كان خلفني على أخوات لي سبع، وقال لي: يا بني؛ إنه لا ينبغي لي ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن، ولست بالذي أؤثرك بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسي؛ فتخلف على أخواتك. فتخلفت عليهن. فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج معه؛ وإنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم مرهبياً للعدو؛ وليبلغهم أنه خرج في طلبهم؛ ليضنوا به قوة، وأن الذي أصابهم لم يوهينهم عن عدوهم. ع.

١٤٢٨/١

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة؛ عن محمد بن إسحاق، قال: فحدثني عبد الله بن خارجه بن زيد بن ثابت، عن أبي السائب مولى عائشة بنت عثمان، أن رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني عبد الأشهل كان شهد أحدًا، قال: شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وأخ لي، فرجعنا جريحيين؛ فلما أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج في طلب العدو، قلت لأخي وقال لي: أتفوتنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم! والله ما لنا من دابة نركبها؛ وما منا إلا جريح ثقيل؛ فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم - وكنت أيسر جرحاً منه - فكنت إذا غلب حملته عقبته^(١) ومشي عقبته؛ حتى

(١) العقبة، بالضم: النوبة.

انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون ، فخرج رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حتى انتهى إلى حَمْرَاءِ الْأَسَدِ ؛ وهي من المدينة على ثمانية أميال ، فأقام بها ثلاثاً : الاثنين ، والثلاثاء ، والأربعاء ، ثم رجع إلى المدينة .

وقد مرّ به - فيما حدّثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : حدّثنا سلَمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن عبدِ اللهِ بنِ أبي بكرِ بنِ محمدِ بنِ عمرو بنِ حزم - معبداً الخُزاعِيَّ ، وكانت خُزاعةُ مسلمهم ومُشركهم عَيْبَةَ^(١) رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَهَامَةٍ ، صَفَقْتُهُمْ^(٢) معه ، لا يخفون عليه شيئاً كان بها - ومعبد يومئذٍ مُشرك - فقال : يا مُحَمَّدُ ؛ أما والله لقد عزّ علينا ما أصابك في أصحابك ؛ ولو ددنا أن الله كان أعفأك فيهم ! ثم خرج من عند رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَمْرَاءِ الْأَسَدِ ؛ حتى لقيَ أبا سفيانَ بنَ حَرْبٍ ومن معه بالروحاء ، وقد أجمعوا الرجعة إلى رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه ، وقالوا : أصبنا حدّ أصحابه وقادتهم وأشرفهم ؛ ثم رجعنا قبل أن نستأصلهم ؛ لننكرن على بقيّتهم ؛ فلنفرغنّ منهم . فلما رأى أبو سفيانَ معبداً ، قال : ما وراءك يا معبد ؟ قال : محمّدٌ قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمعٍ لم أر مثله قطّ ؛ يتحرّقون عليكم تحرقاً ؛ قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم ، وندموا على ما صنعوا ، فيهم من الحنّيق عليكم شيء لم أر مثله قطّ . قال : ويلك ما تقول ! قال : والله ما أراك ترتحل حتى ترى نواصي الخيل . قال : فوالله لقد أجمعنا الكفرة عليهم لنستأصل^(٣) بقيّتهم ، قال : فإنّي أنهاك عن ذلك . فوالله لقد حملني ما رأيت على أن قلت فيه آياتاً من شعر ، قال : وماذا قلت ؟ قال : قلت :

كَادَتْ تُهَدُّ مِنَ الْأَصْوَاتِ رَاحِلَتِي إِذْ سَالَتِ الْأَرْضُ بِالْجُرْدِ الْأَبَابِيلِ^(٤)

(١) عيبة الرجل : موضع سره .

(٢) ساقطة من رواية الأغاني .

(٣) في الأغاني : « لنستأصل شأفتهم » .

(٤) تهد : يبلغ منها الجهد وتكسر . والجرد : جمع أجرد ؛ وهو الفرس المنصير الشعر .

والأبابيل : الجماعات .

تَرِدِي بِأَسَدِ كِرَامٍ لَا تَنَابِلَةَ ۖ عِنْدَ اللَّقَاءِ وَلَا خُرْقٍ مَعَارِيلِ
 ١٤٣٠/١ فَظَلْتُ عَدُوًّا أَظُنُّ الْأَرْضَ مَائِلَةً لَمَّا سَمَوْنَا بِرَأْسِي غَيْرِ مَخْدُولِ
 قَلْتُ وَيْلَ ابْنِ حَرْبٍ مِنْ لِقَائِكُمْ إِذَا تَغَطَّمْتَ الْبَطْحَاءَ بِالْجَلِيلِ^(١) !
 إِنِّي نَذِيرٌ لِأَهْلِ الْبَسِيلِ ضَاحِيَةٌ لِكُلِّ ذِي إِزْبَةٍ مِنْهُمْ وَمَعْقُولِ^(٢)
 مِنْ جَيْشِ أَحْمَدَ لَا وَخْشٍ قَنَابِلُهُ وَلَيْسَ يُوصَفُ مَا أَنْذَرْتُ بِالْقِيلِ^(٣)

قال : فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه . ومتر به ركب من عبد القيس ، فقال : أين تريدون ؟ قالوا : نريد المدينة ، قال : ولم ؟ قالوا : نريد الميرة . قال : فهل أنتم مبلغون عنى محمدًا رسالة أرسلكم بها إليه ، وأحمل لكم إبلكم هذه غدًا زبيباً بعكاظ إذا وافيتموها ؟ قالوا : نعم . قال : فإذا جئتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا المسير إليه وإلى أصحابه : لنستأصل بقيتكم . فمرّ الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الأسد ، فأخبروه بالذي قال أبو سفيان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه : حسبنا الله ونعم الوكيل !

قال أبو جعفر : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بعد الثالثة ، فزعم بعض أهل الأخبار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ظفر في وجهه إلى حمراء الأسد بمعاوية بن المغيرة بن أبي العاص ، وأبي عزة الجُمَحِيِّ ؛ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلتف على المدينة حين خرج إلى حمراء الأسد ابن أم مكتوم .

• • •

(١) تَغَطَّمْتَ : اضطربت . وَالْجَلِيلُ : الأمة وكل من صنف من الناس .

(٢) فِي الْأَغَانِي : « لِأَهْلِ الْمَيْلِ » ؛ وَالسَّيْلُ : من أسماء مكة . ضَاحِيَةٌ : علانية . الْمَعْقُولُ

المنقل .

(٣) الْوَخْشُ : رذالة الناس وصغارهم . وَالْقَنَابِلُ : جمع قنينة ؛ وهي الطائفة من الناس . وَفِي

الْأَغَانِي : « تَنَابِلَةٌ » .

وفي هذه السنة - أعني سنة ثلاث من الهجرة - وُلِدَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بن أبي طالب في النصف من شهر رمضان .
 وفيها عَدَّ قَتُّ فاطمة بالحسين صلوات الله عليهما . وقيل : لم يكن بين ولادتها الحسن وحملها بالحسين إلا خمسون ليلة .
 وفيها حملت - فيما قيل - جَمِيلَةَ بنت عبد الله بن أبي عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر في شوال .

ذكر الأحداث التي كانت في سنة أربع من الهجرة

[غزوة الرجيع]

ثم دخلت السنة الرابعة من الهجرة ، فكان فيها غزوة الرجيع في صفر . وكان من أمرها ما حدثني به ابن حميد : قال : حدثنا سلمة . قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة : قال : قدم علي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أحد رهط من غطفان وثقافة فقالوا له : يا رسول الله ، إن فينا إسلاماً وخيراً . فأبعث معنا نعتاً من أصحابك يُفقهوننا^(١) في الدين . ويفرءوننا^(٢) القرآن . ويعلموننا^(٣) شرايع الإسلام . فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم نعتاً من أصحابه . مرثد بن أبي مرثد الغنوي حليف حمزة بن عبد المطلب . وخالد بن اليكثير حليف بني عدى بن كعب . وعاصم بن ثابت بن أبي الأفلح أخا بني عمرو بن عوف . وحبيب بن عدى أخا بني جحجج بن كنانة بن عمرو بن عوف . وزيد بن الدثينة أخا بني بياضة بن عامر . وعبد الله بن طارق حليفاً لبني ظفر من بني .

: ٣٠ ١

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم على القوم مرثد بن أبي مرثد . فخرجوا مع القوم ، حتى إذا كانوا على الرجيع (ماء فذيل بناحية من الخجاز من صدور الهدأة) غدروا بهم ، فاستصرخوا^(٤) عليهم هذياناً . فلم يبرح القوم وهم في رحا لهم إلا بالرجال في أيديهم السيوف . قد غشوه . فأخذوا أسيافهم ليقاتلوا^(٥) القوم . فقالوا لهم : إننا والله ما نريد قتلكم ؛ ولكننا

(١) قال ابن عسك : عضل والقارة : من الهون بن خزيمه بن مرثد .

(٢) في رواية الأمامي . يحذف النون على الجزم في جواب الطلب ؛ وإثباتها على أن تكون

أجبهه صفة للقب .

(٣) استصرخوا : استصروا .

(٤) ابن عسك : « لقاتلهم » .

نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة ، ولكم عهد الله وميثاقه ألا نقتلكم .
فأمّا مرثد وخالد بن البكير وعاصم بن ثابت بن أبي الأفلح ، فقالوا : والله
لا نقبل من مشرك عهداً ولا عقداً أبداً ، فقاتلوهم حتى قتلوهم جميعاً .

وأما زيد بن الدثينة وخبیب بن عدی وعبد الله بن طارق فلانوا ورقوا
ورغبوا في الحياة ، فأعطوا بأيديهم^(١) ، فأسروهم ، ثم خرجوا بهم إلى مكة
ليبيعوهم بها حتى إذا كانوا بالظهران ، انزع عبد الله بن طارق يده
من القرآن^(٢) ، ثم أخذ سيفه واستأخر عنه القوم ، فرموه بالحجارة حتى
قتلوه ، فقبره بالظهران .

وأما خبيب بن عدی وزيد بن الدثينة ، فقد مآ بهما مكة ، فباعوهما
فابتاع خبيبا حجير بن أبي إهاب التميمي حليف بني نوفل لعقبة بن
الحارث بن عامر بن نوفل - وكان حجير أخا الحارث بن عامر لأمه - ليقتله
بأبيه ، وأمّا زيد بن الدثينة ، فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه أمية بن
خلف ، وقد كانت هذيل حين قتل عاصم بن ثابت قد أرادوا رأسه ليبيعوه
من سلافة بنت سعد بن شهيد ، وكانت قد نذرت حين أصاب ابنها يوم
أحد : لن قدرت على رأس عاصم لتشر بن في قحفه الخمر ، فمنعته
الدبر^(٣) . فلما حالت بينهم وبينه ، قالوا : دعوه حتى يمسي فتذهب عنه ،
فأخذه ، فبعث الله الوادي . فاحتمل عاصم فذهب به ، وكان عاصم قد
أعطى الله عهداً ألا يمسه مشرك أبداً ولا يمسه مشركاً أبداً ، تنجساً^(٤)
منه . فكان عمر بن الخطاب يقول حين بلغه ، أن الدبر منعه : عجبا ،
لحفظ الله العبد المؤمن ! كان عاصم نذر ألا يمسه مشرك ، ولا يمسه مشركاً
أبداً في حياته ، فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع منه في حياته^(٥) .

(١) أعطوا بأيديهم : انقادوا . (٢) القرآن : الحبل يربط به الأسير .

(٣) الدبر : الزناير والنحل .

(٤) يقال : فلان يتنجس ؛ إذا فعل فعلاً يخرج به عن النجاسة ، كما يقال : يتأثم ويتخرج
ويتحنث ؛ إذا فعل فعلاً يخرج به عن الإثم والحرج والحنت .

(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ١٦٧ ، ١٦٨ ، الأغاني ٤ : ٢٢٥ - ٢٢٧

(طبعة دار الكتب) .

قال أبو جعفر : وأما غيرُ ابنِ إسحاق ، فإنه قصَّ من خبرِ هذه السريَّة غيرَ الذي قصَّه ، والذي قصَّه غيره من ذلك ما حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : حدثنا جعفر بن عون العمري ، قال : حدثنا إبراهيم بن إسماعيل ، عن عمرو - أو عمر - بن أسيد ، عن أبي هريرة ، أن رسولَ الله صامى الله عليه وسلَّم بعث عشرة رهط ، وأمَّر عليهم عاصم بن ثابت . فخرجوا حتى إذا كانوا بِلَهْدُؤَة ذُكِرُوا لِحَيٍّ من هُدَيْل ، يقال لهم : بنو إحيان ، فبعثوا إليهم مائة رجل راميًا ، فوجدوا ما كلَّهم حيث أكلوا التمر ، فقالوا : هذه نوى يثرب ، ثم اتَّبَعُوا آثارهم ، حتى إذا أحسَّ بهم عاصم وأصحابه التجثوا إلى جبل ، فأحاط بهم الآخرون ، فاستنزلوهم ، وأعطوهم العهد ، فقال عاصم : والله لا أنزل على عهد كافرٍ ، اللهم أخبر نبيك عنا . ونزل إليهم ابن الدثينة البياضي ، وخبيب ، ورجل آخر ، فأطلق القوم أوتار قسيهم ، ثم أوثقوهم ، فجرحوا رجلاً من الثلاثة ، فقال : هذا والله أول الغدر ، والله لا أتبعكم . فصر به فقتلوه ، وانطلقوا بخبيب وابن الدثينة إلى مكة ، فدفعوا خبيباً إلى بنى الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف . وكان خبيب هو الذي قتَلَ الحارث بأحد ، فبينما خبيب عند بنات الحارث ، إذ استعار من إحدى بنات الحارث موسى يستحده^(١) بها للقتل ، فما راع المرأة - ولها صبي يدْرُجُ - إلا بخبيب قد اجلس الصبي على فخذه ، والموسى في يده ، فصاحت المرأة ، فقال خبيب : أتخشين أني أقتله ! إن الغدر ليس من شأننا . قال : فقالت المرأة بعد : ما رأيتُ أسيراً قطَّ خيراً من خبيب ، لقد رأيتُه وما بمكة من ثمرة ، وإن في يده لقطفًا من عنب يأكله ، إن كان إلا رزقًا رزقه الله خبيباً .

١٤٣٥/١

وبعث حتى من قريش إلى عاصم ليؤتوا من لحمه بشيء ، وقد كان لعاصم فيهم آثار^(٢) بأحد ، فبعث الله عليه دبراً ، فحمت لحمه ، فلم

(١) يستحده : يعلق شعر عاتقه ، وفي لسان - حدد : « وفي حديث خبيب أنه استعار

موسى استحده بها ، لأنه كان أسيراً عندهم وأرادوا قتله لئلا يظهر شعر عاتقه عند قتله .

(٢) آثار : جمع ثار على القلب .

يستطيعوا أن يأخذوا من لحمه شيئاً ، فأمّا خرجوا بخُبَيْبٍ من الحرم ليقتلوه ، قال : ذَرُونِي أَصَلِّ رَكَعَتَيْنِ ، فتركوه فصَلَّى سَجْدَتَيْنِ ، فحجرت سنّة لمن قُتِلَ صَبْرًا أَنْ يَصَلِّيَ رَكَعَتَيْنِ . ثم قال خُبَيْبٌ : لَوْلَا أَنْ يَقُولُوا جَزَعٌ لَزِدْتُ ، ١٤٣٦/١ وما أبالي :

« عَلَى أَيِّ شَيْءٍ كَانَ اللَّهُ مَضْرَعِي ^(١) »

ثم قال :

وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَاءُ يُبَارِكُ عَلَى أَوْصَالِ شَلُو مُمَزَّعٍ ^(٢)

اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ ^(٣) عَدْدًا ، وَخُذْهُمْ بَدَدًا ^(٤) .

ثم خرج به أبو سَيْرُوعَةَ بن الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف ؛ فضربه فقتله ^(٥) .

حدثنا أبو كُرَيْبٍ . قال : حدثنا جعفر بن عون ، عن إبراهيم بن إسماعيل ، قال : وأخبرني جعفر بن عمرو بن أمية ، عن أبيه . عن جدّه ، أن رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم بعثه وحده عَيْبِنًا إلى قريش ، قال : فجئت إلى خشبة خُبَيْبٍ وأنا أتخوف العيون ، فرقيتُ فيها ، فحللت خُبَيْبِيًّا ، فوقع إلى

(١) صدره :

فوالله ما أرجو إذا مت مسلماً .

من أبيات ذكرها ابن هشام في السيرة ٢ : ١٧٠ ، بنسبتها إلى خبيب . وقال : « وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها له » .

(٢) في ذات الإله ، أي في طاعته وطلب رضاه . والأوصال : جمع وصال ؛ وهو العضو . والشلو : الجسد .

(٣) أحصهم ، أي أهلكهم بحيث لا تبقى من عددهم أحدًا .

(٤) خذهم بددًا ، قال ابن الأثير : « يروى بكسر الباء ؛ جمع بدد ؛ وهي الحصة والنصيب ، أي اقتنهم حصصاً مقسمة لكل واحد حصته ونصيبه ، ويروى بفتح الباء ، من التبديد ؛ أي متفرقين في القتل ، واحداً بعد واحد » .

(٥) نقله في الأغاني ٤ : ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

الأرض، فانتبذت^(١) غير بعيد، ثم التفت فلم أر لخبيب ريمة^(٢)؛ فكأنما الأرض ابتلعتة؛ فلم تذكر لخبيب ريمة حتى الساعة^(٣).

• • •

قال أبو جعفر: وأما زيد بن الدثينة؛ فإن صفوان بن أمية بعث به - فيما حدثنا ابن حميد؛ قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق - مع مولى له يقال له نسطاس إلى التنعيم، وأخرجه من الحرم ليقتله، واجتمع إليه رهط من قريش؛ فيهم أبو سفيان بن حرب، فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل: أنشدك الله يا زيد، أنحب أن محمداً عندنا الآن مكانك نضرب عنقه، وأنتك في أهلك! قال: والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنا جالس في أهلي. قال: يقول أبو سفيان: ما رأيت في الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً. ثم قتله نسطاس^(٤).

• • •

ذكر الخبر عن عمرو بن أمية الضمري

إذ وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقتل أبي سفيان بن حرب

ولمّا قُتِل من وجهه النبي صلى الله عليه وسلم إلى عضل والقارة من أهل الرجيع، وبلغ خبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عمرو بن أمية للضمري إلى مكة مع رجل من الأنصار. وأمرهما بقتل أبي سفيان بن حرب؛ فحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة بن الفضل، قال: حدثني محمد بن إسحاق، عن جعفر بن الفضل بن الحسن بن عمرو بن أمية الضمري، عن أبيه، عن جدّه - يعني عمرو بن أمية - قال: قال عمرو بن

(١) انتبذت: تنجيت.

(٢) ط: «أرمة»، وما أنته من الأغاني.

(٣) الأغاني ٤: ٢٢٨، ٢٢٩.

(٤) الأغاني ٤: ٢٣٠.

أمية : بعثني رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم بعد قتلِ خُبيب وأصحابه ، وبعث معي رجلاً من الأنصار ، فقال : اثبأ أبا سفيان بن حربٍ فاقتلاه ، قال : فخرجتُ أنا وصاحبي ومعي بعير لي ، وليس مع صاحبي بعير ، وبرجله علة . فكنتُ أحمله على بعيري ؛ حتى جئنا بطنَ ياججٍ ؛ فعقلنا بعيرنا في فناءِ شعب ، فأسدنا فيه ، فقلت لصاحبي : انطلق بنا إلى دار أبي سفيان ؛ فإنني محاول قتله . فانظر ؛ فإن كانت مجاوله أو خشيت شيئاً فالحق ببعيرك فاركبه ، والحق بالمدينة فات رسولَ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم فأخبره الخبر ، وخلصت عني ؛ فإنني رجل عالم بالبلد ، جرى عليه ، نجيب الساق . فلما دخلنا مكة ومعي مثل خافية النسر - يعني خنجره^(١) - قد أعددت له ؛ إن عانقني^(٢) إنسان قتله به ، فقال لي صاحبي : هل لك أن نبدأ فنطوف بالبيت أسبوعاً ، ونصلي ركعتين ؟ فقلت : أنا أعلم بأهل مكة منك ؛ إنهم إذا أظلموا رشوا أفئيتهم ، ثم جلسوا بها ، وأنا أعرف بها من الفرس الأبلق .

قال : فلم يزل بي حتى أتينا البيت ، فطفنا به أسبوعاً ، وصلينا ركعتين ، ثم خرجنا فررنا بمجلس من مجالسهم ، فعرفني رجل منهم ، فصرخ بأعلى صوته : هذا عمرو بن أمية ! قال : فتبادرتنا أهل مكة وقالوا : تالله ما جاء بعمرو خير ! والذي يحدف به ما جاءها قط إلا لشر - وكان عمرو رجلاً فانكا متشيطناً في الجاهلية - قال : فقاموا في طلبي وطلب صاحبي ، فقلت له : النجاء ! هذا والله الذي كنت أهدر ؛ أمّا الرجل فليس إليه ١٤٣٩/١ سبيل ، فانج بنفسك ، فخرجنا نشدت حتى أصعدنا في الجبل ، فدخلنا في غار ، فبتنا فيه ليلتنا ، وأعجزناهم ، فرجعوا وقد استترت دونهم بأحجار حين دخلت الغار ، وقلت لصاحبي : أمهلني حتى يسكن الطلب عنا ؛ فإنهم والله ليطلبنا ليلتهم هذه ويومهم هذا^(٣) حتى يمسوا . قال : فوالله إنني لفيه إذ أقبل عثمان بن مالك بن عبيد الله التيمي ، يتخيل^(٤) بفرس له ، فلم يزل يدنو ويتخيل بفرسه حتى قام علينا بباب الغار . قال : فقلت لصاحبي : هذا والله ابن مالك ؛

(١) و : « خنجراً » . (٢) ابن الأثير : « عانقني » . (٣) و : « غداً » .

(٤) يتخيل ، أي يعجب بنفسه ، وفي ط : « يختل » . وفي ابن الأثير : « يختل » .

والله لئن رأنا ليُعلمنَ بنا أهل مكة . قال : فخرجت إليه فوجأته بالخنجر تحت الثدى ، فصاح صيحة أسمع أهل مكة ، فأقبلوا إليه ، ورجعت إلى مكاني ، فدخلت فيه ، وقلت لصاحبي : مكانك ! قال : واتبع أهل مكة الصوت يشتدون ، فوجدوه وبه رمق ، فقالوا : ويلك من ضربك ! قال : عمرو بن أمية : ثم مات وما أدركوا ما يستطيع أن يخبرهم بمكاننا ، فقالوا : والله لقد علمنا أنه لم يأت لخير ، وشغلهم صاحبهم عن طلبنا ، فاحتملوه ؛ ومكثنا في الغار يومين حتى سكن عنا الطلب . ثم خرجنا إلى التنعيم ؛ فإذا خشبة خبيبة . فقال لي صاحبي : هل لك في خبيبة تنزله عن خشبته ؟ فقلت : أين هو ؟ قال : هو ذاك حيث ترى . فقلت : نعم ، فأمهلني وتنع عني . قال : وحوله حرس بحرُسونه . قال عمرو بن أمية : فقلت للأنصاري : إن خشيت شيئاً فخذ الطريق إلى جـمـمـك فاركبه والحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره الخبر ، فاشتددت إلى خشبته فاحتلته واحتملته على ظهري ؛ فوالله ما مشيت إلا نحو أربعين ذراعاً حتى نذروا بي ، فظرحته ؛ فما أنسى رجبتة حين سقط . فاشتدوا في أثرى ، فأخذت طريق الصفراء فأعيتوا . فرجعوا ، وانطلق صاحبي إلى بعيره فركبه ؛ ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره أمرنا ، وأقبلت أمشى ، حتى إذا أشرفت على الغليل ، غلبت ضجنان ، دخلت غاراً فيه ، ومعى قوسى وأسهمى ، فبينما أنا فيه إذ دخل عى رجل من بنى الدليل بن بكر ، أعور طويل يسوق غنماً له ، فقال : من الرجل ؟ فقلت : رجل من بنى بكر ، قال : وأنا من بنى بكر ، ثم أحد بنى الدليل . ثم اضطجع معى فيه ، فرفع عقبرته يتغننى ويقول :

ولست بمسلمٍ ما دمتُ حياً ولستُ أدينُ دينَ المسلمينِ

فقلت : سوف تعلم ! فلم يلبث الأعرابي أن نام وغط ، فقامت إليه فقتلته نيراً تنذرتلها أحدٌ أحدًا ، فمات إليه فجعلت سيئة قوسى في عينه الصحيحة ، ثم تحاملت عليها حتى أخرجتها من قفاه .

قال : ثم أخرج مثل السبع ، وأخذت المحجة كأنى نسر ، وكان النحاء حتى أخرج على بلد قد وصفه ، ثم على ركوبة ، ثم على النقيع ؛ فإذا رجلا

(١) الغليل ، واحد الغلان : وهي منابت الطلع ، وضجنان : موضع بعينه .

من أهل مكة بعثتتهما قريش يتحسّسان من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
 فعرفتتهما فقلت : استأسيرا ، فقالا : أنحن نستأسر لك ! فأرّى أحدهما بسهم
 فأقتله ، ثم قلت للآخر : استأسير ، فاستأسر ، فأوثقته ، فقدمتُ به على
 رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن
 سليمان بن وردان ، عن أبيه ، عن عمرو بن أمية ، قال : لما قدمتُ المدينة ،
 مررتُ بمشيخةٍ من الأنصار ، فقالوا : هذا والله عمرو بن أمية ، فسمع
 الصبيان قولهم ، فاشتدوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرونه ، وقد
 شددت إبهام أسيرى بوتر قوسي ، فنظر النبي صلى الله عليه وسلم إليه فضحك
 حتى بدت نواجذه . ثم سألتني فأخبرته الخبر ، فقال لي خيراً ودعا لي بخير .

• • •

وفي هذه السنة تزوج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم زيب بنت خزيمة
 أم المساكين من بني هلال في شهر رمضان . ودخل بها فيه ، وكان أصدقها
 اثنتي عشرة أوقية ونشاً^(١) ؛ وكانت قبله عند الطفيل بن الحارث ، فطلقها .

ذكر خبر بئر معونة

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة - أعني سنة أربع من الهجرة - كان
 من أمر السرية التي وجهها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقُتلت بئر
 معونة . وكان سبب توجيه النبي صلى الله عليه وسلم إياهم لِمَا وجههم له ،
 ما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة . قال : وحدثني محمد بن إسحاق ،
 قال : فأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بقية شوال وذا القعدة
 وذا الحجة والمحرم . وولى تلك الحجة المشركون .

ثم بعث أصحاب بئر معونة في صفر على رأس أربعة أشهر من أحد ،
 وكان من حديثهم ما حدثني أبي : إسحاق بن يسار ، عن المغيرة بن عبد الرحمن
 ابن الحارث بن هشام ، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ،
 وغيرهما من أهل العلم ، قالوا : قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاً عيباً

(١) انش : وزن نواة من ذهب ؛ وقيل : هو وزن عشرين درهماً .

الأسنة - وكان سيد بني عامر بن صعصعة - على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وأهدى له هدية ، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبلها ، وقال : يا أبا براء ، لا أقبل هدية مشرك ، فأسلم إن أردت أن أقبل هديتك . ثم عرض عليه الإسلام ، وأخبره بما له فيه ، وما وعد الله المؤمنين من الثواب ، وقرأ عليه القرآن فتم يسلم ولم يبعد ، وقال : يا محمد ، إن أمرك هذا الذي تدعو إليه حسن جميل ، فلو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد فدعوتهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني أخشى عليهم أهل نجد ! فقال أبو براء : أنا لهم جار ، فابعثهم فليدعوا الناس إلى أمرك . فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو أخا بني ساعدة المصنق^(١) ليموت في أربعين رجلاً من أصحابه من خيار المسلمين ، منهم الحارث بن الصمة ، وحرام بن ملحان أخو بني عدى بن النجار ، وعروة بن أسماء بن الصلت السلمي ، ونافع ابن بديل بن ورقاء الخزاعي ، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر ، في رجال مسميين من خيار المسلمين^(٢) .

١٤٤٣/١

فحدثنا ابن حميد . قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن حميد الطويل ، عن أس بن مالك ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو في سبعين راكباً ، فساروا حتى نزلوا بئر معونة - وهي أرض بين أرض بني عامر وحرّة بني سليم ، كيلاً البلدين منها قريب ، وهي إلى حرّة بني سليم أقرب - فلما نزلوها بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عامر بن الطفيل ، فلما أتاه لم ينظر في كتابه ، حتى عدا على الرجل فقتله ، ثم استصرخ عليهم بني عامر . فأبوا أن يجيبوه إلى مادعاهم إليه . وقالوا : لن نخفّر أبا براء ؛ قد عقد فم عقداً وجواراً . فاستصرخ عليهم قبائل من بني سليم : عصبية ، وريعاء ، وذكوان ، فأجابوه إلى ذلك . فخرجوا حتى غشوا القوم ، فأحاطوا

(١) المصنق : المصراع ؛ وإنما سمي بذلك لأنه استصرخ إلى الشهادة .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ١٦٤ .

بهم في رحالهم ، فلما رأوهم أخذوا السيوف ، ثم قاتلوهم حتى قُتلوا عن آخرهم ، إلا كعب بن زيد أخا بني دينار بن النجار ، فإنهم تركوه وبه رمق ، فارتث^(١) من بين القتلى ، فعاش حتى قُتِل يوم الخندق .

وكان في سرح القوم عمرو بن أمية الضمري ، ورجل^(٢) من الأنصار أحد بني عمرو بن عوف ، فلم يُنْبِئْهُمَا بِمُصَابِ أَصْحَابِهِمَا إِلَّا الطَّيْرُ تحوم على العسكر . فقالا : والله إن لهذه الطير لشأنًا ، فأقبلا لينظرا إليه ، فإذا القوم في دمائهم ، وإذا الخيل التي أصابتهم واقفة . فقال الأنصاري لعمر بن أمية : ماذا ترى ؟ قال : أرى أن نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره الخبر ، فقال الأنصاري : لكنني ما كنت لأرغب بنفسى عن موطن قُتِل فيه المنذر بن عمرو ، وما كنت لتخبرني عنه الرجال . ثم قاتل القوم حتى قُتِل . وأخذوا عمرو بن أمية أسيرًا ، فلما أخبرهم أنه من مُضَرَ ، أطلقه عامر بن الطفيل ، وجزَّ ناصيته ، وأعتقه عن رقة زعم أنها كانت على أمه . فخرج عمرو بن أمية حتى إذا كان بالقرقرة من صدر قناة ، أقبل رجلان من بني عامر حتى نزلا معه في ظلّ هو فيه ؛ وكان مع العامريين عقدٌ من رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوارٌ لم يعلم به عمرو بن أمية . وقد سألهما حين نزلا : ممن أنتم ؟ فقالا : من بني عامر ، فأمهلهما حتى إذا ناما عدا عليهما فقتلهما . وهو يرى أنه قد أصاب بهما ثورة^(٣) من بني عامر . بما أصابوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما قدم عمرو بن أمية على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبره الخبر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد قتلت قتيلين لأدينتهما . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا عمل أبي براء ؛ قد كنت لهذا كارها متخوفًا فبلغ ذلك أبا براء فشقّ عليه إخفَارُ عامر إِيَّاه ، وما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسببه وجواره . وكان فيمن أصيب عامر بن فهيرة^(٤) .

• • •

(١) ارتث ، أي وقع وبه جراح .

(٢) قال ابن هشام : « هو المنذر بن محمد بن عقبة بن أسبحة بن إخراج » .

(٣) الثورة : الثار . (٤) سيرة ابن هشام ٢ : ١٧٤ - ١٧٥ .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، أن عامر بن الطفيل ، كان يقول : إن الرجل منهم لما قتل رأبته رُفِعَ بين السماء والأرض حتى رأيت السماء من دونه . قالوا : هو عامر بن فهيرة^(١) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن أحد بني جعفر ، رجل من بني جبّار بن سلمى بن مالك ابن جعفر ، قال : كان جبّار فيمن حضرها^(٢) يومئذ مع عامر ، ثم أسلم بعد ذلك . قال : فكان يقول : ممّا دعاني إلى الإسلام أنتى طعنت رجلا منهم يومئذ بالرمح بين كتفيه ، فنظرت إلى سنان الرمح حين خرج من صدره ، فسمعتة يقول حين طعنته : فزرتُ والله ! قال : فقلت في نفسي : ما فاز ! أليس قد قتلتُ الرجل ! حتى سألت بعد ذلك عن قوله ، فقالوا : الشهادة ، قال : فقلت : فاز لعمرُ الله ! فقال حسّان بن ثابت يُحرّضُ بني أبي البراءِ على عامر بن الطفيل :

بني أمّ البنين ألم يرّعكم
 وكنتم من ذوائب أهل نجد^(٣)
 تهكمّ عامرٍ بأبي برّاء
 ليخفّره ، وما خطأ كمد
 ألا أبلغ ربيعة ذا المساعي
 فما أحدثت في الحدّانِ بمدي^(٤)
 أبوك أبو الحروبِ أبو برّاء
 وخالك ماجدٌ حكّم بن سعد

وقال كعب بن مالك في ذلك أيضًا :

لقد طارت شعاعاً كلّ وجهٍ
 خفارةٌ ما أجار أبو برّاء

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ١٧٥

(٢) أي فيمن حضر يوم بئر معونة .

(٣) ديوانه ١٠٧ مع اختلاف في ترتيب الأبيات .

(٤) المساعي : السعى في طلب المجد والمكارم .

١٤٤٦/١

فمثلُ مُسَهَّبٍ وَبَنِي أَبِيهِ
 بَنِي أُمَّ الْبَنِينَ أَمَا سَمِعْتُمْ
 وَتَنْوِيَةَ الصَّرِيحِ بَلَى وَلَكِنْ
 فَمَا صَفَرَتْ عِيَابُ بَنِي كِلَابٍ
 أَعَامِرَ عَامِرِ السَّوَاتِ قَدَمًا
 أَأَخْفَرَتْ النَّبِيَّ وَكُنْتَ قَدَمًا
 فَلَسْتَ كَجَارِ جَارِ أَبِي دُوَادٍ
 وَلَكِنْ عَارُكُمْ دَاءٌ قَدِيمٌ
 بِحَبْنِ الرَّدَى مِنْ كَفَى سَوَاءٍ^(١)
 دُعَاءِ الْمُسْتَفِيثِ مَعَ الْمَسَاءِ!
 عَرَفْتُمْ أَنَّهُ صَدَقَ اللَّقَاءُ
 وَلَا الْقُرْطَاءُ مِنْ ذِمِّ الْوَفَاءِ
 فَلَا بِالْعَقْلِ فُزْتُ وَلَا السَّنَاءُ
 إِلَى السَّوَاتِ تَجْرِي بِالْعَرَاءِ!
 وَلَا الْأَسَدِي جَارِ أَبِي الْعَلَاءِ
 وَدَاءِ الْفَدْرِ فَأَعْلَمُ شَرَّ دَاءِ

فلما بلغ ربيعة بن عامر أبي البراء قولاً حسناً وقولاً كعباً . حمل
 على عامر بن الطفيل فطعنه ، فشطب اثره من عنقه . فخر عن فرسه .
 فقال : هذا عمل أبي براء ! إن مات فدمي لعنمى ولا يشبهن به . وإن
 أعش فسأرى رأيي فيما أتى إلى^(٢)

١٤٤٧/١

حدثني محمد بن مرزوق ، قال : حدثنا عمرو بن يونس . عن عكرمة ،
 قال : حدثنا إسحاق بن أبي طلحة ، قال : حدثني أنس بن مالك في
 أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين أرسلهم رسول الله صلى الله عليه
 وسلم إلى أهل بئر معونة : قال : لا أدري ، أربعين أو سبعين ! وعلى ذلك
 الماء عامر بن الطفيل الجعفرى ، فخرج أولئك النفر من أصحاب النبي
 صلى الله عليه وسلم الذين بعثوا ، حتى أتوا غاراً مشرفاً على الماء قعدوا
 فيه . ثم قال بعضهم لبعض : أيكم يبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه
 وسلم أهل هذا الماء ؟ فقال - أراه ابن ملحان الأنصارى - : أنا أبلغ
 رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج حتى أتى حيواءً منهم ،
 فاحتبى أمام البيوت ، ثم قال : يا أهل بئر معونة : إننى رسول الله إليكم ،

(١) و : « بجنب المرو » . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ١٧٤ ، ١٧٥

إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، فأمنوا بالله ورسوله . فخرج إليه من كِسْرِ البيت برمح فضرب به في جنبه حتى خرج من الشق الآخر، فقال: الله أكبر، فزرتُ وربَّ الكعبة! فاتبعوا أثره حتى أتوا أصحابه في الغار، فقتلهم أجمعين عامرُ بن الطُّفَيْل .

قال إسحاق : حدثني أنس بن مالك أن الله عز وجل أنزل فيهم قُرْآنًا : « بَلِّغُوا عَنَّا قَوْمَنَا أَنَا قَدْ لَقِينَا رَبَّنَا . فَرْضِي عَنَّا . وَرَضِينَا عَنْهُ »، ثم نُسخَتْ . فرفعت بعد ما قرأناه زمانًا ، وأنزل الله عز وجل : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ . فَرِحِينَ ﴾ (١)

حدثني العباس بن الوليد، قال : حدثني أبي، قال : حدثنا الأوزاعي، قال : حدثني إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة الأنصاري عن أنس بن مالك ، قال : بعث رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى عامر بن الطُّفَيْل الكلابي سبعين رجلاً من الأنصار . قال : فقال أميرُهم : مكانكم حتى آتاكم بخبر القوم ! فلما جاءهم قال : أتوتموني حتى أخبركم برسالة رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم؟ قالوا : نعم ؛ فبينما هو عندهم ؛ إذ وحزَّه رجلٌ منهم بالسنان . قال : فقال الرجل : فزرتُ وربَّ الكعبة ! فقتل . فقال : عامر : لا أحسبه إلا أن نه أصحابًا . فاقتصوا أثره حتى أتوهم فقتلوهم ، فلم يفلت منهم إلا رجلٌ واحد . قال أنس : فكنا نقرأ فيما نُسَخ : « بَلِّغُوا عَنَّا إِخْوَانَنَا أَن قَدْ لَقِينَا رَبَّنَا ، فَرْضِي عَنَّا وَرَضِينَا عَنْهُ » .

١٤٤٨/١

وفي هذه السنة - أعني السنة الرابعة من الهجرة - أجلي النبي صلى الله عليه وسلم بنى النضير من ديارهم .

ذكر خبر جلاء بني النضير

قال أبو جعفر : وكان سبب ذلك ما قد ذكرنا قبل من قتل عمرو بن

(١) سورة آل عمران ١٦٩، ١٧٠، واخبر في التفسير ٧ : ٣٩٣ .

أمية الضمري الرجلين الذين قتلتهما في منصرفه من الوجه الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهه إليه مع أصحاب بئر معونة، وكان لهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم جوار وعهد. وقيل إن عامر بن الطفيل كتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنك قتلت رجلين لهما منك جوار وعهد؛ فابعث يديتھما. فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قباء، ثم مال إلى بني النضير مستعيناً بهم في ديتھما، ومعه نفر من المهاجرين والأنصار، فيهم أبو بكر وعمر وعلي وأسيد بن حضير.

فحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني النضير، يستعينهم في دية ذينك القتلين^(١) من بني عامر اللذين قتل عمرو بن أمية الضمري، للجوار الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقده لهما؛ كما حدثني يزيد بن رومان— وكان بين بني النضير وبين بني عامر حلف وعقد؛ فلما أتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعينهم في دية ذينك القتلين؛ قالوا: نعم يا أبا القاسم، نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه. ثم خلا بعضهم ببعض، فقالوا: إنكم لن تجدوا هذا الرجل على مثل حاله هذه— ورسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنب جدار^(٢) من بيوتهم، قاعد— فقالوا: من رجل يعلو على هذا البيت، فيلقى عليه صخرة فيقتله بها فيربحنا منه؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب أحدهم؛ فقال: أنا لذلك. فصعد ليلق عليه الصخرة— كما قال— ورسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه؛ فيهم أبو بكر وعمر وعلي؛ فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبير من السماء بما أراد القوم، فقام وقال لأصحابه: لا تبرحوا حتى آتيتكم، وخرج راجعاً إلى المدينة. فلما استأبث رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه، قاموا في طلبه، فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة، فسألوه عنه، فقال: رأيتُه داخلاً المدينة، فأقبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهوا إليه، فأخبرهم الخبر بما كانت يهود قد أرادت

١٤٤٩/١

(٢) م: «خراب».

(١) و: «الرجلين».

من الغدر به ، وأمر رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالتهيؤِ لحربهم ، والسير إليهم .

ثم سار بالناس إليهم ؛ حتى نزل بهم ، فتحصنوا منه في الحصون ، فأمر رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقطع النخل والتَّحْرِيقِ فِيهَا . فنادوه : يا مُحَمَّدُ ، قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على مَنْ صنعه ، فما بال قطع النخل وتحريقها (۱) !

• • •

قال أبو جعفر : وأما الواقدي ، فإنه ذكر أن بني النَّضِيرِ لما تأمروا بما تأمروا به من إلقاء الصخرة على رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، نهاهم عن ذلك ستلام بن مِشْكَمٍ وخوفهم الحرب وقال : هو يعلم ما تريدون ، فعصوه ، فصعد عمرو بن جِحَاشٍ لِيُدْحِرَجَ الصخرة ، وجاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الخبر من السماء ، فقام كأنه يريد حاجة . وانتظره أصحابه ، فأبطأ عليهم ، وجعلت يهود تقول : ما حبس أبا القاسم ، وانصرف أصحابه ؟ فقال كنانة بن صُورِيَا (۲) : جاءه الخبر بما همتم به ، قال : ولما رجع أصحابُ رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انتهروا إليه وهو جالس في المسجد ، فقالوا : يا رسولَ الله ، انتظرناك ومضيت ، فقال : هممت يهود بقتلي ، وأخبرني الله عز وجل . ادعوا لي محمد بن مسلمة ، قال : فأتى محمد بن مسلمة (۳) . فقال : اذهب إلى يهود فقل لهم : اخرجوا من بلادى فلا تساكنونى وقد هممت بما همتم به من الغدر .

قال : فجاءهم محمد بن مسلمة ، فقال لهم : إن رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأمركم أن تظعنوا من بلادهم ، فقالوا : يا مُحَمَّدُ ، ما كنا نظن أن يجيئنا بهذا رجل من الأوس ! فقال محمد : تغيرت القلوب . ومحا الإسلام اليهود ؛

(۱) قال السبيل : « قال أهل التاويل : وقع في نفوس المسلمين من هذا الكلام شيء ؛ حتى أنزل الله تعالى : ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا . . . ﴾ الآية .

(۲) م : « من موريا » .

(۳) م : « فأتى محمد » .

فقالوا : نتحمل . قال : فأرسل إليهم عبدُ الله بن أبيّ يقول : لا تخرجوا ، فإنّ معي من العرب وممن انضوى إلى من قومي ألفين . فأقيموا فهم يدخلون معكم ، وقريظة تدخل معكم . فبلغ كعب بن أسد صاحب عهد بني قريظة فقال : لا ينقض العهد رجل من بني قريظة وأنا حتى ، فقال سلام بن ميشكم لحبيّ بن أخطب : يا حبيّ اقبل هذا الذي قال محمد : فإنما شرفنا على قومنا بأموالنا قبل أن تقبل ما هو شرٌّ منه . قال : وما هو شرٌّ منه ؟ قال : أخذ الأموال وسببُ الذريّة وقتل المقاتلة . فأبى حبيّ ، فأرسل جدّي ابن أخطب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنا لا نريم^(١) دارنا فاصنع ما بدا لك ! قال : فكبر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وكبّر المسلمون معه ، وقال : حاربت يهود ، وانطلق جدّي إلى ابن أبيّ يستمده . قال : فوجدته^(٢) جالساً في نفر من أصحابه ، ومنادي النبي صلى الله عليه وسلم ينادي بالسلاح . فدخل ابنه عبد الله بن عبد الله ابن أبيّ . وأنا عنده ، فأخذ السلاح . ثم خرج يعدو . قال : فأيست من معونته . قال : فأخبرت بذلك كله حبيّياً . فقال : هذه مكيدة من محمد . فرحف إليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . فحاصروهم رسولُ الله صلى الله عليه عليه وسلم خمسة عشر يوماً : حتى صالحوه على أن يحقن لهم دماءهم ، وله الأموالُ والحلقة .

فحدثني محمد بن سعد . قال : حدثني أبي . قال : حدثني عمي ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس . قال : حاصروهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - يعني بني النضير - خمسة عشر يوماً حتى بلغ منهم كل مبلغ ، فأعطوه ما أراد منهم . فصالحهم على أن يحقن لهم دماءهم ، وأن يُخرجهم من أرضهم وأوطانهم . ويسيرهم إلى أذرعات الشام ، وجعل لكل ثلاثة منهم بعيراً وسقاءً .

(١) م : « ندع » .

(٢) و : « فوجده » .

حدثنا ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهري . قال : قاتلهم النبي صلى الله عليه وسلم حتى صالحهم على إخلاء ، فأجلاهم إلى الشام ، على أن لهم ما أقلت الإبلُ من شيء إلا الحائفة - والحائفة : السلاح .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . قال : وقد كان رهطاً من بني عوف بن الخزرج . منهم عبد الله بن أبي بن سلول ووديعه وميثم بن أبي فوقار . وسويد وداعس قد بعثوا إلى بني النضير : أن اثبتوا وتمنعوا : فإن ابن نساءكم ؛ وإن قوتلتم قاتلنا معكم . وإن أخرجتم خرجنا معكم . فترسبوا فذبحوا . وقذف الله في قلوبهم الرعب . فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعلهم ، ويكف عن دماءهم ؛ على أن لهم ما حملت الإبل من أمواتهم ؛ إلا الحائفة . ففعل . فاحتلوا من أمواتهم ما استقلت به الإبل . فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف^(١) بابه ؛ فيضعه على ظهر بعيره . فينطلق به . فخرجوا إلى خيبر . ومنهم من سار إلى الشام ؛ فكان أشرفهم ممن سار منهم إلى خير سلام بن أبي الحقيق . وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق . وحيبي بن أخطب . فلما نزلوها دان لهم أهلها^(٢) .

حدثنا ابن حميد . قال : حدثنا سلمة . قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر . أنه حدث أنهم استقلوا بالنساء والأبناء والأموال . معهم الدفوف والمزامير والقيان يعزفن خلفهم . وأن فيهم يومئذ لأم عمرو . صاحبة عروة بن الورد العبسي ؛ التي ابتاعوا منه . وكانت إحدى نساء بني غفار^(٣) بزهاء^(٤) وفخر . ما رثي مثله من حتى من الناس في

(١) النجاف : العتبة التي بأعلى الباب .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ١٧٦ ، ١٧٨ .

(٣) هي سلمى . وقال الأصمعي : اسمها ليل بنت شعواء . وقال أبو الفرج : هي سلمى

أم وهب . امرأة من كنانة ؛ كانت ناكحة في مزينة . فأغار عليهم عروة بن الورد فسيها . وكنانة من غفار . وانظر الروض الأنف .

(٤) الزهاء : التكبر والإعجاب .

زمانهم ؛ وخذلوا الأموال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة يضعها حيث يشاء ، فقسّمها رسول الله صلى الله عليه وآبا دُجّانة سيمّاك بن خرسشة . ذكرا فقراً فأعطاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولم يسلم من بني النضير إلا رجلاً : يا مينا بن عمير بن كعب بن عمّ عمرو بن جحاش ، وأبو سعد بن وهب ، أسلما على أموالهما فأحرزاهما^(١) .

قال أبو جعفر : واستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ خرج لحرب بني النضير - فيما قيل - ابن أم مكتوم ، وكانت رايته يومئذ مع علي بن أبي طالب عليه السلام .

وفي هذه السنة مات عبد الله بن عثمان بن عفان ، في جمادى الأولى منها ، وهو ابن ست سنين ، وصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونزل في حفرته عثمان بن عفان .

وفيهما ولد الحسين بن علي عليه السلام ، لليالٍ خلون من شعبان .

[غزوة ذات الرقاع]

واختلف في التي كانت بعد غزوة النبي صلى الله عليه وسلم بني النضير من غزواته . فقال ابن إسحاق في ذلك ، ما حدثنا ابن حميد ؛ قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد غزوة بني النضير شهرى ربيع ، وبعض شهر جمادى . ثم غزا نجدًا - يريد بني محارب وبني ثعلبة من غطفان - حتى

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ١٧٨ .

نزل نخلاً ، وهي غزوة ذات الرقاع^(١) ؛ فلقى بها جمعاً^(٢) من غطفان ، فتقارب الناس ؛ ولم يكن بينهم حرب ؛ وقد خاف الناس بعضهم بعضاً ، حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسلمين صلاة الخوف ، ثم انصرف بالمسلمين^(٣) .

وأما الواقدي ؛ فإنه زعم أن غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات الرقاع ؛ كانت في المحرم سنة خمس من الهجرة . قال : وإنما سُميت ذات الرقاع ؛ لأن الجبل الذي سُميت به ذات الرقاع جبل به سواد وبياض وحمرة ؛ فسُميت الغزوة بذلك الجبل . قال : واستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة على المدينة عثمان بن عفان .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ؛ قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ومحمد - يعني ابن عبد الرحمن - عن عروة بن الزبير ، عن أبي هريرة ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى نجد ، حتى إذا كنا بذات الرقاع من نخل ، لقي جمعاً من غطفان ؛ فلم يكن بيننا قتال ؛ إلا أن الناس قد خافوهم ، ونزلت صلاة الخوف ، فصعد أصحابه صديعين ، فقامت طائفة مواجهة العدو ، وقامت طائفة خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ركع بيمين خلفه ، وسجد بهم ، فلما قاموا مشوا القهقري إلى مصاف أصحابهم ، ورجع الآخرون ، فصلوا لأنفسهم ركعة ، ثم قاموا فصلى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة وجلسوا ، ورجع الذين كانوا مواجهة العدو^(٤) ، فصلوا الركعة الثانية ،

(١) قال ابن هشام : « وإنما قيل لها غزوة ذات الرقاع ؛ لأنهم رقعوا بهاربايتهم . ويقال : ذات الرقاع ؛ شجرة بذلك الموضع يقال لها ذات الرقاع » .
 (٢) ابن هشام : « جمعاً عظيماً » .
 (٣) سيرة ابن هشام ٢ : ١٨٢ : « بالناس » .
 (٤) س : « مواجهة العدو » .

فجلسوا جميعاً ، فجمعهم رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالسَّلَامِ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ .

• • •

قال أبو جعفر : وقد اختلفت الرواية في صفة صلاة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الصلاة ببطن نخل اختلافًا متفاوتًا ، كرهت ذكره (١) في هذا الموضوع خشية إطالة الكتاب ، سأذكره إن شاء الله في كتابنا المسمى « بسبب القول في أحكام شرائع الإسلام » في كتاب صلاة الخوف منه . وقد حدثنا محمد بن بشر ، قال : حدثنا معاذ بن هشام ، قال : حدثني أبي ، عن قتادة ، عن سليمان اليشكري ، أنه سأل جابر بن عبد الله عن إقصار الصلاة : أي يوم أنزل ، أو في أي يوم هو ؟ فقال جابر : انطلقنا نلتقي (٢) غير قريش آتية من الشام ؛ حتى إذا كنا بنخل جاء رجل من القوم إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فقال : يا محمد ، قال : نعم ، قال : هل تخافني ؟ قال : لا ، قال : فمن يمنعك مني ؟ قال : الله يمنعني منك ، قال : فسل سيف ثم تهدده وأوعده . ثم نادى بالرحيل وأخذ السلاح . ثم نودي بالصلاة ، فصلّى نبي الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بطائفة من القوم ، وطائفة أخرى تحرّسهم ، فصلّى بالذين يلونه ركعتين ، ثم تأخر الذين يلونه على أعقابهم ، فقاموا في مصاف أصحابهم . ثم جاء الآخرون فصلّى بهم ركعتين ، والآخرون يحرسونهم . ثم سلّم ، فكانت للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أربع ركعات ، وللقوم ركعتين ركعتين : فيومئذ أنزل الله عز وجل في إقصار الصلاة ، وأمير المؤمنين بأخذ السلاح (٣) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن البصري ، عن جابر بن عبد الله الأنصاري ؛ أن رجلاً من بني محارب يقال له فلان بن الحارث ، قال لقومه من غطفان ومحارب : ألا أقتل لكم محمداً ؟ قالوا : نعم ، وكيف تقتله ؟ قال : أفنيك به : فأقبل إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو جالس ، وسيف

(١) كذا في و ، وفي ط : « ذكرها » . (٢) ط : « متلق » . وما أثبتته من التفسير

(٣) الخبر في التفسير ٩ : ١٣٢

رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجره ، فقال : يا محمد ، انظر إلى سينك هذا ! قال : نعم ، فأخذه فاستلته ، ثم جعل يهزه ويهم به ، فيكبته الله عز وجل . ثم قال : يا محمد ، أما تخافني ؟ قال : لا ، وما أخاف منك ؟ قال : أما تخافني وفي يدي السيف ؟ قال : لا ، يمنعني الله منك ! قال : ثم غسده السيف ، فردّه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله عز وجل :
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ كُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ۗ ﴾ (۱)

حدثنا ابن حميد . قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق . قال : حدثني صدقة بن يسار ، عن عقیل بن جابر ، عن جابر ابن عبد الله الأنصاري ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ذات الرقاع من نخل ، فأصاب رجل من المسلمين امرأة من المشركين ، فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلاً أتى زوجها وكان غائباً ، فلبث أخيراً خيراً . حلف ألا ينتهي حتى يهريق في أصحاب محمد دماً ، فخرج يتبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم . فزن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسأله منزلاً ، فقال : من رجل يكلؤنا ليلتنا هذه ؟ فانتدب رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار ، فقالا : نحن يا رسول الله ، قال : فكونا بهم الشعب . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قد نزلوا الشعب ، من بطن الوادي . فلما خرج الرجال إلى فم الشعب ، قال الأنصاري للمهاجري : أي الليل تحب أن أكفيك ؟ أوله أو آخره ؟ قال : بل أكفي أوله . فاضجع المهاجري فنام . وقام الأنصاري يصلي ، وأتى زوج المرأة ، فلما رأى شخص الرجل عرف أنه ربيبة القوم . فرمى بسهم فوضعه فيه فترعه ، فوضعه وثبت قائماً يصلي . ثم رماه بسهم آخر ، فوضعه فيه ، فترعه . فوضعه وثبت قائماً يصلي . ثم عاد له بالثالث فوضعه فيه . فترعه فوضعه ثم ركع وسجد ، ثم أهب صاحبه ، فقال : اجلس ، فقد أتيت (۲) .

(۱) سيرة المائدة ۱۱ ، وانظر سيرة ابن هشام ۲ : ۱۸۲ . (۲) ابن هشام : « أثبت . »

قال: فوثب المهاجري، فلما رآهما الرجل، عرف أنهم قد نذروا به؛ ولما رأى المهاجري ما بالأنصاري من الدماء، قال: سبحان الله! أفلا، أهبتني أول ما رماك! قال: كنت في سورة أقرأها فلم أحب أن أقطعها حتى أنفدها؛ فلما تتابع على الرمي ركعت فأذنتك، وإيم الله لولا أن أضيع تغراً أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفدها (١).

• • •

ذكر الخبر عن غزوة السويق

وهي غزوة النبي صلى الله عليه وسلم بدرًا الثانية لميعاد أبي سفيان.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ١٤٥٨/١ لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من غزوة ذات الرقاع، أقام بها بقية جمادى الأولى وجمادى الآخرة ورجب، ثم خرج في شعبان إلى بدر لميعاد أبي سفيان حتى نزله، فأقام عليه ثمانين ليلًا ينتظر أبا سفيان، وخرج أبو سفيان في أهل مكة، حتى نزل من ناحية مر الظهران - وبعض الناس يقول: قد قطع عسفان - ثم بدا له الرجوع. فقال: يا معشر قريش، إنّه لا يصلحكم إلا عام خيبر ترعون فيه الشجر، وتشربون فيه اللبن، وإن عامكم هذا عام جدب؛ وإنّي راجع فارجعوا. فرجع ورجع الناس، فسمّاهم أهل مكة جيش السويق. يقولون: إنّما خرجتم تشربون السويق.

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على بدر ينتظر أبا سفيان لميعاده، فأتاه مخشي بن عمرو الضمري، وهو والدي وادعه على بني ضمرة في غزوة ودان، فقال: يا محمد، أجنث للقاء قريش على هذا الماء؟ قال: نعم يا أخا بني ضمرة؛ وإن شئت مع ذلك ردّنا إليك ما كان بيننا وبينك؛

(١) سيرة ابن هشام ٢: ١٨٢، ١٨٣.

• هي غير الغزوة التي عرفت بهذا الاسم أيضاً؛ وقد مر ذكرها في حوادث السنة الثانية ص ٤٨٣.

ثم جالديناك . حتى يحكم الله بيننا وبينك . فقال : لا والله يا محمد ، ما لنا بذلك منك من حاجة ، وأقام رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ينتظر أبا سفيان ، فرآه معبَّدُ بن أبي معبَّد الخزاعي ، وقد رأى مكان رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم وناقته تهوي^(١) به فقال :

١٤٥٩/١
 قد نَفَرَتْ من رُقَّتَى مُحَمَّدٍ وَعَجْوَةٌ من يَثْرِبِ كَالْمُنْجِدِ^(٢)
 تَهْوِي على دِينِ أَيُّهَا الأْتَلْدِ^(٣) قد جَعَلْتُ ماءَ قُدَيْدٍ مَوْعِدِي
 وماءَ ضَجْنَانَ لها ضَحَى الأَنْدِ^(٤) .

وأما الواقدي ؛ فإنه ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ندب أصحابه لغزوة بدر لموعد أبي سفيان الذي كان وعده الالتقاء فيه يوم أحد رأس الحول للقتال في ذي القعدة . قال : وكان نعيم بن مسعود الأشجعي قد اعتمر ، فقدم على قريش ، فقالوا : يا نعيم ، من أين كان وجهك ؟ قال : من يثرب ، قال : وهل رأيت لمحمد حركة ؟ قال : تركته على تعبئة لغزوكم ، - وذلك قبل أن يسلم نعيم - قال : فقال له أبو سفيان : يا نعيم ، إن هذا عام جدب ، ولا يصلحنا إلا عام ترعى فيه الإبل الشجر ، ونشرب فيه اللبن ، وقد جاء أوان موعد محمد ، فالحق بالمدينة فثبّطهم وأعلمهم أننا في جمع كثير ، ولا طاقة لهم بنا ؛ فيأتى الخلف منهم أحب إلى من أن يأتى من قبلنا ، ولك عشر فرائض أضعها لك في^(٥) يد سهيل بن عمرو يضمنها . فجاء سهيل بن عمرو إليهم ، فقال نعيم لسهيل : يا أبا يزيد ، أتضمن^(٦) هذه الفرائض وأنطلق إلى محمد فأثبّطه ؟ فقال : نعم ، فخرج نعيم حتى قدم المدينة ، فوجد الناس يتجهزون ، فتدستس لهم ، وقال : ليس هذا برأى ،

(١) تهوى : تسرع .

(٢) المنجد : حب الزبيب .

(٣) الدين هنا : الدأب والمادة . والأتلد : القديم .

(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ١٨٦ .

(٥) و : « على » .

(٦) م : « تضمن » .

ألم يُجرح محمد في نفسه ! ألم يقتل أصحابه ! قال : فثبَّط الناس ؛ حتى بلغ رسول الله صلَّى الله عليه وسلم ، فتكلَّم ، فقال : واللَّذَى نفسِي بيده . ١٤٦٠/١
لو لم يخرج معي أحد لخرجت وحدي .

ثم أنهج الله عزَّ وجلَّ للمسلمين بصائرهم ؛ فخرجوا بتجاراتهم ، فأصابوا الدرهم درهمين ؛ ولم يلقوا عدوًّا ؛ وهي بدْرُ الموعد ؛ وكانت موضع سوق لهم في الجاهلية ، يجتمعون إليها في كلِّ عام ثمانية أيام .

قال أبو جعفر : واستخلف رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم على المدينة عبد الله بن رَوَاحَةَ .

• • •

قال الواقدي : وفي هذه السنة تزوج رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم أمَّ سلمة بنت أبي أمية في شوال ؛ ودخل بها .

قال : وفيها أمر رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم زيد بن ثابت أن يتعلَّم كتاب يهود ؛ وقال : إنِّي لا آمن أن يبدلوا كتابي .
ووليَّ الحجَّ في هذه السنة المشركون .

ثم كانت السنة الخامسة من الهجرة

في هذه السنة تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش .
 حدثت عن محمد بن عمر ، قال : حدثني عبد الله بن عامر الأسلمي
 عن محمد بن يحيى بن حبان ، قال : جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
 بيت زيد بن حارثة ، وكان زيد إنما يقال له زيد بن محمد ، ربما فقده
 رسول الله صلى الله عليه وسلم الساعة ، فيقول : أين زيد ؟ فجاء منزله
 يطلبه فلم يجده . وقامت إليه زينب بنت جحش زوجته فضلاً^(١) ، فأعرض
 عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالت : ليس هو هاهنا يا رسول الله ،
 فادخل بأبي أنت وأمي ! فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدخل ؛ وإنما
 عجبت زينب أن تلبس إذ قيل لها : رسول الله^(٢) صلى الله عليه وسلم
 على الباب ، فوثبت عجيبة ، فأعجبت رسول الله صلى الله عليه وسلم : فوثقت
 وهو يهمهم بشيء لا يكاد يفهم ؛ إلا أنه أعلن : سبحان الله العظيم !
 سبحان الله مصرف القلوب ! قال : فجاء زيد^٤ إلى منزله ، فأخبرته امرأته أن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى منزله ، فقال زيد : ألا قلت له : ادخل !
 فقالت : قد عرضت عليه ذلك فأبى ، قال : فسمعت^(٣) يقول شيئاً ؟ قالت :
 سمعت^(٤) يقول حين وثقت : سبحان الله العظيم ، سبحان الله مصرف القلوب !
 فخرج زيد حتى أتى^(٥) رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ؛
 بلغني أنك جئت منزلي^(٦) ؛ فهلاً دخلت بأبي أنت وأمي يا رسول الله ،
 لعل زينب أعجبتك فأفارقها ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمسك

١٤٦١/١

- (١) يقال : امرأة فضل ، أي تلبس ثوباً واحداً . (٢) س : « هذا رسول الله » .
 (٣) كذا في م ، وفي ط : « فسمت^٥ » . (٤) و : « قد سمعت^٥ » .
 (٥) س : « رأى » . (٦) س : « إلى منزلي » .

عليك زوجتك، فما استطاع زيد إليها سبيلا بعد ذلك اليوم؛ فكان يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره، فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمسك عليك زوجتك؛ ففارقها زيد واعتزلها وحلت.

فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدث مع عائشة؛ إذ أخذت رسول الله صلى الله عليه وسلم غشيته، فسرى عنه وهو يتبسّم ويقول^(١): مَنْ يذهب إلى زينب يبشرها، يقول: إن الله زوجنيها؟ وتلا رسول الله ١٤٦٢/١ صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ...﴾^(٢) القصة كلها.

قالت عائشة: فأخذني ما قرب وما بعد لما يبلغنا من جمافا؛ وأخرى هي أعظم الأمور وأشرفها، ما صنع الله لها؛ زوجهما. فقلت: تفخر علينا بهذا.

قالت عائشة: فخرجت سلمتي خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم تخبرها بذلك، فأعطتها أوضاحا عليها^(٣).

حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: كان النبي صلى الله عليه وسلم قد زوج زيد بن حارثة زينب بنت جحش ابنة عمته، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما يريد، وعلى الباب ستر من شعر؛ فرفعت الريح الستر فانكشف وهي في حُجرتها حاسرة، فوقع إعجابها في قلب النبي صلى الله عليه وسلم، فلما وقع ذلك كرهت إلى الآخر، قال: فجاء فقال: يا رسول الله، إني أريد أن أفارق صاحبتي، فقال: مالك! أرابك منها شيء! فقال: لا والله يا رسول الله، ما رأيت منها شيء، ولا رأيت إلا خيرا. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمسك عليك زوجتك واتق الله؛ فذلك قول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ تَقُولُ

(١) م؛ « وهو يقول » .

(٢) سورة الأحزاب ٣٧ .

(٣) الأوضاح: جمع وضع؛ وهو حل من فضة .

لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ﴿١﴾ ، تخفي في نفسك إن فارقتها تزوجتها (١) .

• • •

[غزوة دومة الجندل]

قال الواقدي : وفيها غزاة دومة الجندل في شهر ربيع الأول ، وكان سببها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن جمعاً تجمعوا بها ودنوا من أطرافه . فغزاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ حتى بلغ دومة الجندل ، ولم يلق كيداً ، وخلف على المدينة سباع بن عرفة الغفاري .

• • •

قال أبو جعفر : وفيها وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة ابن حصن أن يرعى بتغلمين وما والاها .

قال محمد بن عمر - فيما حدثني إبراهيم بن جعفر ، عن أبيه - وذلك أن بلاد عيينة أجذبت ، فوادع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرعى بتغلمين إلى المرأض ؛ وكان ما هنالك قد أخصب بسحابة وقعت ، فوادعه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرعى فيما هنالك .

قال الواقدي : وفيها توفيت أم سعد بن عبادة وسعد غائب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى دومة الجندل .

• • •

ذكر الخبر عن غزوة الخندق

وفيها : كانت غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق (٢) في شوال ؛ حدثنا بذلك ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة . عن ابن إسحاق :

(١) الخبر في التفسير ٢٢ : ١٠ - ١١ (بولاق) .

(٢) أخبار غزوة الخندق فيما نقل عن ابن إسحاق في سيرة ابن هشام ٢ : ١٨٧ - ١٩٣ .

وكان الذي جرت غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق - فيما قيل - ما كان من إجلاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى النضير عن ديارهم .

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة . قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن رومان ، مولى آل الزبير ، عن عروة بن الزبير ومن لا أتهم ، عن عبيد الله بن كعب بن مالك ، وعن الزهري ، وعن عاصم بن عمر بن قتادة ، وعن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وعن ١٤٦٥/١ محمد بن كعب القرظي وعن غيرهم من علمائنا : كلُّ قد اجتمع حديثه في الحديث عن الخندق ، وبعضهم يحدث ما لا يحدث بعض . أنه كان من حديث الخندق أن نفراً من اليهود منهم سلام بن أبي الحقيق النضري^(١) وحبي بن أخطب النضري ، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق النضري ، وهوذة بن قيس الوائلي ، وأبو عمارة الوائلي : في نفر من بني النضير ونفر من بني وائل : هم الذين حاربوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم . خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة : فدعواهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : إننا سنكون معكم عليه حتى نستأصله ، فقالت لهم قريش : يا معشر يهود : إنكم أهل الكتاب الأول ، والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفديننا خير أم دينه ؟ قالوا : بل دينكم خير من دينه . وأنتم أولى بالحق منه . قال : فهم الذين أنزل الله عز وجل فيهم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحاً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْحَبِيبِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً ﴾ - إلى قوله - ﴿ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعيراً ﴾^(٢) .

فلما قالوا ذلك لقريش . سرهم ما قالوا ونشيطوا لما دعواهم إليه من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأجمعوا لذلك واتعدوا له .

(١) قال السهيلي : « ونسب طائفة من بني النضير ؛ ف قيل فيهم : النضري ؛ وهكذا تقييد في النسخة العتيقة ، وقياس النضيري ؛ إلا أن يكون من باب قوهم : « ثقف وقرشي ؛ وهو خارج عن القياس » .

(٢) سورة النساء ٥١ - ٥٥ .

ثم خرج أولئك النفر من يهود حتى جاءوا غطفان من قيس عيلان فدعواهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه ؛ وأن قريشا تابعوهم على ذلك وأجمعوا فيه ، فأجابوهم .

فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب ، وخرجت غطفان وقائدها عبيدة بن حصن بن حذيفة بن بدر في بني فزارة ، والحارث بن عوف بن أبي حارثة المرى في بني مرة ، ومسعود^(١) بن ربيعة بن نوييرة ابن طريف بن سحمة بن عبد الله بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان ؛ فيمن تابعه من قومه من أشجع .

فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما أجمعوا له من الأمر ، ضرب الخندق على المدينة . فحدثت عن محمد بن عمر ، قال : كان الذي أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق سلمان ، وكان أول مشهد شهده سلمان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وهو يومئذ حر ، وقال : يا رسول الله ؛ إننا كنا بفارس إذا^(٢) حوصرنا خندقنا علينا .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق : فعَمِلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ترغيباً للمسلمين في الأجر . وعمل فيه المسلمون : فدأبوه ودأبوا ، وأبطأ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن المسلمين في عملهم رجالٌ من المنافقين ، وجعلوا يُورثون بالضعف^(٣) من العمل ، ويتسللون إلى أهاليهم بغير علمٍ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا إذن . وجعل الرجل من المسلمين إذا نابتة نابتة من الحاجة التي لا بدّ منها يذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويستأذنه في اللحق بحاجته^(٤) ؛ فيأذن له ؛

(١) كذا في ط ؛ وهو يوافق ما في الإصابة ٣ : ٣٩٠ ؛ وفي السيرة : « ممر » .

(٢) م : « إن » .

(٣) ابن هشام : « بالضعيف » . ويورون : يسترون .

(٤) س : « بأهله لحاجته » .

فإذا قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله رغبة في الخير ، واحتساباً
 به ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا
 كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ
 اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١) . فتزلت هذه الآية في كل من كان من أهل
 الحسبة من المؤمنين والرغبة في الخير ، والطاعة لله ورسوله صلى الله عليه
 وسلم . ثم قال يعنى المنافقين الذين كانوا يتسللون من العمل ، ويذهبون بغير
 إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ
 كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾ إلى قوله : ﴿ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ (٢) ، أى قد علم
 ما أنتم عليه من صدق أو كذب ، وعمل المسلمون فيه حتى أحكموه ، وارتجزوا
 فيه برجل من المسلمين يقال له جعيل ، فسماه رسول الله صلى الله عليه
 وسلم « عمراً » ، فقالوا :

سَمَاهُ مِنْ بَعْدِ جُعَيْلٍ عَمْرًا وَكَانَ لِلْبَائِسِ يَوْمًا ظَهْرًا (٣)

فإذا مروا بعمره ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عمراً » ، ١٤٦٧/١
 وإذا قالوا : « ظهرًا » ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ظهرًا » (٤) .

فحدثنا محمد بن بشار ، قال : حدثنا محمد بن خالد بن عثمة ،
 قال : حدثنا كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني ، قال : حدثني أبي ،
 عن أبيه ، قال : خط رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق عام الأحزاب

(١) سورة النور ٦٢ .

(٢) سورة النور ٦٣ ، ٦٤ .

(٣) الظهر : القوة والمعونة ؛ والضمير في « سماه » للنبي صلى الله عليه وسلم . وقال : أبو ذر الحنسي :
 « وقد يجوز فيه وجه ثان ؛ وهو أن يكون الظهر هنا : الإبل ؛ فيكون البيت على وجه آخر تقديره :
 وكان المال للبائس يوماً ظهراً ؛ فأضمر اسم « كان » ؛ وإن لم يتقدم ما يفسره ؛ لأن مساق الكلام
 يدل عليه ؛ كما قالوا : إذا كان غداً فاتني ؛ أى إذا كان اليوم غداً .

(٤) ابن هشام : « وإذا مروا بظهر » .

من أجْمُ الشَّيْخَيْنِ (١) طرف بني حارثة ؛ حتى بلغ المذاد (٢) ثم قطعته أربعين ذراعاً بين كل عشرة ؛ فاحتق (٣) المهاجرون والأنصار في سلمان الفارسي - وكان رجلاً قوياً - فقالت الأنصار : سلمان منا ، وقالت المهاجرون : سلمان منا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سلمان منا أهل البيت . قال عمرو بن عوف : فكنت أنا وسلمان ؛ وحذيفة بن اليمان ، والنعمان بن مقرن المزني ، وستة من الأنصار في أربعين ذراعاً ، فحفرنا تحت ذوباب حتى بلغنا الندى (٤) . فأخرج الله عز وجل من بطن الخندق صخرة بيضاء (٥) مرّوة فكسرت حديدنا ، وشقت علينا . فقلنا : يا سلمان ، ارق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره خبر هذه الصخرة ، فإمّا أن نعدل عنها فإن المعدل قريب ، وإمّا أن يأمرنا فيها (٦) بأمره ؛ فإننا لا نحب أن نجاوز خطّه .

١٤٩٨/١

فَرَاقَى سلمان حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ضارب عليه قبة تركيبة ؛ فقال : يا رسول الله ، بأبينا أنت وأمنا ! خرجت صخرة بيضاء من الخندق (٧) مرّوة . فكسرت حديدنا ، وشقت علينا حتى ما نُحِيك (٨) فيها قليلاً ولا كثيراً ؛ فمُرْنَا فيها بأمرك ؛ فإننا لا نحب أن نجاوز خطك .

(١) الأجم : واحد آجام المدينة . وهو بمعنى الأض . وآجام المدينة أعظامها وحصونها . والشيخان : موضع بالمدينة ؛ كان فيه معسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة خرج لقتال المشركين بأحد . انظر ياقوت (أجم - شيخ) .

(٢) المذاد : قال ياقوت : « موضع بالمدينة حيث حفر الخندق الذي صلى الله عليه وسلم » .

(٣) في اللسان : « احتق الثوم : قال ابن واحد مبيع - الحق في يدي ؛ وفي حديث ابن عباس في قرأ القرآن : متى ما تغلوا في القرآن تحسوا ، يعني المذاد في القرآن ؛ ومعنى تحتوا تحتصموا فيقول كل واحد منهم : الحق في يدي » . وفي س . و . والتفسير : « فاختلقت » .

(٤) م : « الترى » . س : « الثرى » . التفسير : « الصرى » .

(٥) المرّو : حجارة بيض براقه تكون فيها النار . وتندح منها ، واحدهم مرّوة .

(٦) كذا في التفسير . وفي ط : « فيه » .

(٧) التفسير : « من بطن المرّوة » .

(٨) التفسير : « حتى ما يجيء منها قليل ولا كثير » .

فهبط رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سلمان في الخندق ، ورقينا نحن التسعة على شقّة^(١) الخندق . فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم المعول من سلمان . فضرب الصخرة ضربة صدّاعها ، وبرقت منها برقة أضواء ما بين لابتيها^(٢) - يعني لابتي المدينة - حتى لكأن مصباحاً في جوف بيت مظلم . فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح ، وكبر المسلمون . ثم ضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم الثانية . فصدّاعها وبرق منها برقة أضواء ما بين لابتيها . حتى لكأن مصباحاً في جوف بيت مظلم . فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح وكبر المسلمون . ثم ضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم الثالثة فكسرها . وبرق منها برقة أضواء ما بين لابتيها . حتى لكأن مصباحاً في جوف بيت مظلم . فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح وكبر المسلمون . ثم أخذ بيد سلمان فرقى . فقال سلمان : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ! لقد رأيت شيئاً ما رأيت قط ! فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القوم . فقال : هل رأيتم ما يقول سلمان ؟ قالوا : نعم يا رسول الله . بأبينا أنت وأمي قد رأيناك تضرب فيخرج برق كأنه موج . فرأيناك تكبر فنكبر . ولا نرى شيئاً غير ذلك . قال : صدقتم . ضربت ضربتي الأولى . فبرق الذي رأيتم . أضواءت لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى . كأنها أبواب الكلاب . فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها . ثم ضربت ضربتي الثانية ، فبرق الذي رأيتم : أضواءت لي منها قصور الحمر من أرض الروم . كأنها أبواب الكلاب . فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها . ثم ضربت ضربتي الثالثة . فبرق منها الذي رأيتم : أضواءت لي منها قصور صنعاء كأنها أبواب الكلاب . فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها . فأبشروا يبلغهم النصر . وأبشروا يبلغهم النصر . وأبشروا يبلغهم النصر ! فاستبشر المسلمون . وقالوا : الحمد لله موعد صادق بار . وعدنا النصر بعد الحصر . فطلعت الأحزاب . فقال المؤمنون : **هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا**^(٣)

(١) من والتفسير : « شقّة الخندق » . (٢) للابة : الخرة ، والمدينة تقع بين لابتيها .

(٣) سورة الاحزاب ٢٢ .

وقال المنافقون: ألا تعجبون! يحدثكم ويؤمن بكم ويعدكم الباطل! يخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى؛ وأنها تفتح لكم؛ وأنتم تحفرون الخندق ولا تستطيعون أن تبرزوا! وأنزل القرآن: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (١).

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثنا محمد بن إسحاق عمن لا يتهم، عن أبي هريرة، أنه كان يقول حين فتحت هذه الأمصار في زمن عمر وعثمان وما بعده: افتتحوا ما بدالكُم! فوالذي نفس أبي هريرة بيده؛ ما افتتحتم من مدينة ولا تفتتحونها إلى يوم القيامة إلا وقد أعطى محمد مفاتيحها قبل ذلك.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق قال: كان أهل الخندق ثلاثة آلاف. قال: ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق، أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسياال من رومة بين الجرف والغابة (٢)، في عشرة آلاف من أحابشهم، ومن تابعهم من كنانة وأهل تهامة، وأقبلت غطفان ومن تابعهم من أهل نجد؛ حتى نزلوا بذئب نقي إلى جانب أحد.

وخرج رسول الله صلى الله تعالى وسلم عليه والمسلمون؛ حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع، في ثلاثة آلاف من المسلمين، فضرب هنالك عسكره (٣)، وأمر بالذراري والنساء. فرفعوا (٤) في الآطام (٥). وخرج عدو الله حبي بن أخطب؛

(١) سورة الأحزاب ١٢، والخبر في التفسير ٢١: ٨٥، ٨٦ (بولاق).

(٢) كذا في ط، وفي ابن هشام: «زغابة». قال السهيلي: «زغابة: اسم موضع، بالعين المنقوطة والزاي المفتوحة».

(٣) م: «عسكرهم».

(٤) م: «فدفعوا»، وابن هشام: «فجعلوا».

(٥) الآطام: الحصون، الواحد أطم.

حر أتى كعب بن أسد القرظي صاحب عقْد بني قُرَيْظَةَ وعهدهم .
 كان قد وادَعَ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على قومه . وعاهده على ذلك
 وعاقده : فلَمَّا سَمِعَ كعبَ بحِيَّتِي بنِ أُخْطَبِ ، أَغْلَقَ دُونَهُ حِصْنَهُ فَاسْتَأْذَنَ
 عَلَيْهِ فَأَبَى أَنْ يَفْتَحَ لَهُ ، فَنَادَاهُ حِيَّتِي : يَا كَعْبُ ، افْتَحْ لِي . قَالَ : وَيْحَكَ
 يَا حِيَّتِي ! إِنَّكَ أَمْرٌ مَشْتُومٌ ، إِنِّي قَدْ عَاهَدْتُ مُحَمَّدًا فَلَسْتُ بِنَاقِضٍ مَا بَيْنِي
 وَبَيْنَهُ ، وَلَمْ أَرْمَنْهُ إِلَّا وَفَاءً وَصِدْقًا . قَالَ : وَيْحَكَ ! افْتَحْ لِي أَكَلِمَتِكَ .
 قَالَ : مَا أَنَا بِفَاعِلٍ ؛ قَالَ : وَاللَّهِ إِنْ أَغْلَقْتَ دُونِي إِلَّا عَلَى جَشَيْشَتِكَ ^(١) أَنْ آكُلَ
 مَعَكَ مِنْهَا ؛ فَأَحْفَظُ ^(٢) الرَّجُلَ ، فَفَتَحَ لَهُ . فَقَالَ : وَيْحَكَ يَا كَعْبُ !
 جِئْتِكَ بَعْرَ الدَّهْرِ وَبِيبَحْرِ طَامٍ ، جِئْتِكَ بِقَرِيشٍ عَلَى قَادَتِهَا وَسَادَتِهَا ؛ حَتَّى
 أَنْزَلْتُهُمْ بِمَجْتَمَعِ الْأَسْيَالِ مِنْ رُومَةٍ ، وَبِغَطَفَانَ عَلَى قَادَتِهَا وَسَادَتِهَا حَتَّى أَنْزَلْتُهُمْ
 بِذَنْبِ نَقَمَتِي إِلَى جَانِبِ أَحُدٍ ؛ قَدْ عَاهَدُونِي وَعَاقَدُونِي إِلَّا يَبْرَحُوا حَتَّى
 يَسْتَأْصِلُوا مُحَمَّدًا وَمَنْ مَعَهُ . فَقَالَ لَهُ كَعْبُ بْنُ أَسَدٍ : جِئْتَنِي وَاللَّهِ بِذَلِكَ الدَّهْرِ !
 بَجَهَامٍ قَدْ هَرَقَ مَاءَهُ يَرْعِدُ وَيَبْرُقُ ، لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ ! وَيْحَكَ فَدَعْنِي وَمُحَمَّدًا
 وَمَا أَنَا عَلَيْهِ ؛ فَلَمْ أَرَّ مِنْ مُحَمَّدٍ إِلَّا صِدْقًا وَوَفَاءً ! فَلَمْ يَزَلْ حِيَّتِي بِكَعْبِ
 يَفْتَلِيهِ فِي الذَّرْوَةِ وَالْغَارِبِ ؛ حَتَّى سَمَّحَ لَهُ ، عَلِيٌّ أَنْ أَعْطَاهُ عَهْدًا مِنْ ١٤٧٢/١
 اللَّهُ وَمِيثَاقًا : لَنْ رَجَعْتَ قَرِيشٍ وَغَطَفَانَ وَلَمْ يَصِيبُوا مُحَمَّدًا أَنْ أَدْخَلَ مَعَكَ فِي
 حِصْنِكَ حَتَّى يَصِيبَنِي مَا أَصَابَكَ . فَفَقَضَ كَعْبُ بْنُ أَسَدٍ عَهْدَهُ . وَبَرَأَ
 مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فلما انتهى إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الخبر وإلى المسلمين ،
 بعث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس
 أحد بني عبد الأشهل - وهو يومئذ سيّد الأوس - وسعد بن عبادة بن
 دُلَيْمٍ . أحد بني ساعدة بن كعب بن الخزرج - وهو يومئذ سيّد الخزرج -
 ومعهما عبد الله بن رواحة أخو بلحارث بن الخزرج ، ونحوّات بن جبّير ،
 أخو بني عمرو بن عوف ؛ فقال : انْطَلِقُوا حَتَّى تَنْظُرُوا : أَحَقَّ مَا بَلَّغْنَا عَنْ

(١) الجشيشة : طعام يصنع من الجشيش . وهو البر يطحن غليظاً .

(٢) أحفظه : أغضبه .

هؤلاء القوم أم لا ؟ فإن كان حقاً فالحنوا لي لحننا نعرفه . ولا تفتوا في
أعضاء الناس . وإن كانوا على النفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس .

فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم . ودنوا من
رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقالوا : لا عقد بيننا وبين محمد ولا عهد .
فشاتمهم سعد بن عبادة وشاتموه . وكان رجلا فيه حد^(١) . فقال له سعد
ابن معاذ : دَعْ عَنْكَ مِشَاتِمَهُمْ ؛ فَمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ أَرْبَى^(٢) مِنَ الْمِشَاتِمَةِ .

١٤٧٣/١

ثم أقبل سعد وسعد ومن^٣ معهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالموا
عليه ، ثم قالوا : عَضَلِ وَالنَّارَ [أَيْ]^(٣) كغدر عضل والنار بأصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم أصحاب الرجيع ؛ خبيث بن عدى وأصحابه . فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أكبر ! أبشروا يا معشر المسلمين . وعظم
عند ذلك البلاء . واشتد الخوف . وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى
ظن المؤمنون كل ظن . ونجم المنافق من بعض المنافقين ، حتى قال معتب
ابن قشير ، أخو بني عمرو بن عوف : كان محمد^٤ بعدنا أن نأكل كنوز
كسرى وقبصر ؛ وأحدنا لا يقدر أن يذهب إلى الغائط ! وحتى قال أوس بن
قيظي ، أحد بني حارثة بن الحارث : يا رسول الله . إن بيوتنا لعورة من العدو -
وذلك عن ملأ من رجال قومه - فأذن لنا فلنرجع إلى دارنا ؛ فإنها خارجة
من المدينة .

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأقام المشركون عليه بضعا
وعشرين ليلة ، قريبا من شهر ؛ ولم يكن بين القوم حرب إلا الرمي^(٤)
بالنبل والحصار .

فلما اشتد البلاء على الناس بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم -
كما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق
عن عاصم بن عمر بن قتادة . وعن محمد بن مسلم بن شهاب الزهري - إلى

(١) ابن هشام : « حدة » ؛ ومعناها بمعنى الغضب .

(٢) أربي : أعظم .

(٣) من سيرة ابن هشام .

(٤) ابن هشام : « الرمي » بكسر الميم والراء المشددين وتخفيف الباء ؛ وهي المرماة .

١٤٧٤/١

عِيْنَةُ بن حصن ، وإلى الحارث بن عَوْف بن أبي حارثة المرّي - وهما قائدا غَطَفَان - فأعطاهما ثلث ثمار المدينة ؛ على أن يرجعنا بمنّ معهما عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه ، فجرى بينه وبينهم الصلح ؛ حتى كتبوا الكتاب ، ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح إلاّ المراضة في ذلك ، فقَعَلَا ، فلما أراد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن يفعل ، بعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عباد ؛ فذكر ذلك لهما ، واستشارهما فيه فقالا : يا رسول الله ؛ أمرٌ تحبّه فنصنعه ، أم شيءٌ أمرك الله عزّ وجلّ به ؛ لا بُدَّ لنا من عمل به ، أم شيءٌ تصنعه لنا ؟ قال : لا ، بل لكم ؛ والله ما أصنَعُ ذلك إلاّ أنى رأيت العرب قد رَمَتكم عن قوس واحدة ، وكالْبُوكُم^(١) من كلّ جانب ، فأردت أن أكسِرَ عنكم شوكتهم لأمرٍ ما ساعة . فقال له سعد بن معاذ : يا رسول الله ؛ قد كُنَّا نحنُ وهؤلاء القوم على شِرْكٍ بالله عزّ وجلّ وعبادة الأوثان ، ولا نعبد الله ولا نعرفه ؛ وهم لا يطمعون أن يأكلوا منا تمرة إلاّ قِرَى^(٢) أو بيعاً ، أفحين أكرمنا الله بالإسلام ، وهدانا له ، وأعزّنا بك ، نعطيهم أموالنا ! ما لنا بهذا من حاجة ؛ والله لا نعطيهم إلاّ السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم . فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : فأنت وذاك ! فتناول سعدُ الصحيفة ؛ فحما ما فيها من الكتاب ، ثم قال : ليجهدوا علينا .

١٤٧٥/١

فأقام رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم والمسلمون وعدوهم محاصروهم ؛ لم يكن بينهم قتال إلاّ أن فوارس من قريش منهم عمرو بن عبدود بن أبي قيس ، أخو بني عامر بن لُؤَيّ ، وعِكْرمة بن أبي جهل وهُبَيْرَة بن أبي وهب المخزوميّان ، ونوفّل بن عبد الله ، وضِرار بن الخطّاب^(٣) بن مرداس ، أخو بني محارب بن فيهر ؛ قد تلبّسوا للقتال ، وخرجوا على خيلهم ، ومروا على بني كِنانة ، فقالوا : تهيّئوا يا بني كِنانة للحرب ؛ فستعلمون اليوم

(١) كالْبُوكُم : اشتدوا عليكم .

(٢) القِرَى : ما يصنع للضيف من الطعام .

(٣) زاد ابن هشام بعدها : « الشاعر » .

مَنْ الفرسان ! ثم (١) أقبلوا نحو الخندق ؛ حتى وقفوا عليه (١) ، فلما رأوه قالوا : والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها ؛ ثم تيمموا مكاناً من الخندق ضيقاً . فضربوا خيولهم ، فاقتحمت منه ؛ فجالت بهم في السبخة بين الخندق والسبع . وخرج علي بن أبي طالب في نفر من المسلمين ؛ حتى أخذ عليهم الثغرة التي أقحموا منها خيلهم . وأقبلت الفرسان تهنق (٢) نحوهم . وقد كان عمرو بن عبدود قاتل يوم بدر ؛ حتى أثبتته الجراحة . قام يشهد أحداً . فلما كان يوم الخندق خرج معلماً (٣) ليُرى مكانه ؛ فالتفتا وقف هو وخيله . قال له علي : يا عمرو ؛ إنك كنت تعاهد الله ألا يدعوك رجل من قريش إلى خلتين إلا أخذت منه إحداهما ! قال : أجل ! قال له علي بن أبي طالب : فإني أدعوك إلى الله عز وجل وإني رسول الله وإن الإسلام . قال : لا حاجة لي بذلك ؛ قال : فإني أدعوك إلى انشراح . قال : ولم يا بن أخي ؛ فوالله ما أحب أن أقتلك ! قال : علي ؛ ولكني والله أحب أن أقتلك . قال : فحسي عمرو عند ذلك ؛ فاقتحم عن فرسه فعتقته . أو ضرب وجهه . ثم أقبل على علي ، فتنازلا وتجاولا ؛ فقتله علي عليه السلام وخرجت خيله منهزمة ؛ حتى اقتحمت من الخندق هاربة . وقتل مع عمرو رجلاً : منبته بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار . أصابه سهم فمات منه بركة ؛ ومن بني مخزوم نوفل بن عبد الله بن المغيرة ؛ وكان اقتحم الخندق فتورط فيه . فرموه بالحجارة ؛ فقال : يا معشر العرب ؛ قتلنا أحسن من هذه ! فنزل إليه علي فقتله . فغلب المسلمون على جسده ، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعهم جسده ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا حاجة لنا بجسده ولا ثمنه ؛ فشأنكم به . فخلت بينهم وبينه .

حدثنا ابن حميد . قال : حدثنا سلمة . قال : حدثني محمد بن إسحاق

(١ - ١) سيرة ابن هشام : « ثم أقبلوا تهنق بهم خيلهم ؛ حتى وقفوا على الخندق » .

(٢) التهنق : الذي جعل له علامة يعرف بها .

(٣) تهنق : تسرع .

عن أبي ليلى عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل الأنصاري ، ثم أحد بني حارثة . أن عائشة أم المؤمنين كانت في حصن بني حارثة يوم الخندق ، وكان من أحرز حصون المدينة ؛ وكانت أم سعد بن معاذ معها في الحصن .

قالت عائشة : وذلك قبل أن يضرب عليا الحجاب . قالت : فرَّ سعدٌ وعليه درعٌ مقلَّصة ^(١) ، قد خرجت منها ذراعُه كلُّها ؛ وفي يده حربته يرقدُ ^(٢) بها ويقول :

١٤٧٧/١

لَبْتُ قَلِيلًا يَشْهَدُ الْهَيْجَا حَمَلٌ لَا بَأْسَ بِالْمَوْتِ إِذَا حَانَ الْأَجَلُ ^(٣)

قالت له أمه : الحق يا بُنَيَّ . فقد والله أخرت .

قالت عائشة : فقلتُ لها : يا أم سعد ؛ والله لو ددتُ أن درعَ سعدٍ كانت أسبغَ ^(٤) مما هي ! قالت : وخفت عليه حيث أصاب السهم منه .

قالت : فرمى سعد بن معاذ بسهم ، فقطع منه الأكل ^(٥) ، رماه - فيما حدثنا ابن حميد . قال : حدثنا سلمة . قال : حدثنا محمد بن إسحاق . عن عاصم بن عمر بن قتادة - حبان بن قيس بن العرقة أحد بني عامر بن لؤي ؛ فلما أصابه قال : خذها وأنا ابن العرقة ؛ فقال سعد : عرق الله وجهك في النار ! اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبنتني لها ، فإنه لا قوم أحب إليّ أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك ، وكذبوه وأخرجوه . اللهم وإن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لي شهادة ولا تُمنني حتى تقر عيني من بني قريظة .

حدثنا سفيان بن وكيع ، قال : حدثنا محمد بن بشر . قال : حدثنا محمد بن عمرو ، قال : حدثني أبي ، عن علقمة . عن عائشة ، قالت :

(١) مقلصة : قصيرة قد ارتفعت ؛ يقال : تقلص الشيء ؛ إذا ارتفع وانقبض ، وفي و :

« مفاضة » . (٢) يرقد : يسرع .

(٣) قال السهيلي : « هو بيت تمثل به ، ينسب به حمل بن سعدانة بن حارثة بن معقل بن كعب

ابن عليم بن جناب الكلبي » .

(٤) أسبغ : أكل .

(٥) الأكل : عرق في الذراع .

خرجتُ يوم الخندق أقفو آثار الناس ؛ فوالله إنى لأمشي إذ سمعت وئيداً (١) الأرض خلقي - تعني حيس الأرض - فالتفتُ فإذا أنا بسعد ؛ فجلست إلى الأرض ، ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس - شهد بدرًا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حدثنا بذلك محمد بن عمرو - يحمل مجنَّته ، وعلتي سعد درع من حديد قد خرجت أطرافه منها .

قالت : وكان من أعظم الناس وأطولهم .

قالت : فأنا أتخوفُ على أطراف سعد ، فمرّ بي يرتجز ، ويقول :

لَبَثٌ قَلِيلًا يُدْرِكُ الْهَيْجَا حَمَلٌ مَا أَحْسَنَ الْمَوْتَ إِذَا حَانَ الْأَجَلُ !

قالت : فلما جاوزني قمتُ فاقتحمت حديقة فيها نقر من المسلمين ، فيهم عمر بن الخطاب وفيهم رجل عليه تسبيغة له - قال محمد : والتسبيغة الميغتر - لا تُرى إلا عيناه ، فقال عمر : إنك لـجريئة ؛ ما جاء بك ؟ ما يدريك لعله يكون تحوز أو بلاء ! فوالله ما زال يلومني حتى وددت أن الأرض تنشق لي فأدخل فيها ، فكشف الرجل التسبيغة عن وجهه ، فإذا هو طلحة ؛ فقال : إنك قد أكثرت ، أين الفرار ، وأين التحوز إلا إلى الله عز وجل !

قالت : فرمى سعد يومئذ بسهم ، رماه رجلٌ يقال له ابن العريقة ؛ فقال : خذها وأنا ابنُ العريقة ؛ فقال : سعد : عرق الله وجهك في النار ! فأصاب الأكليل منه فقطعه . قال محمد بن عمرو : زعموا أنه لم ينقطع من أحد قط إلا لم يزل يبض دماً حتى يموت . فقال سعد : اللهم لاتمتني حتى تقر عيني في بني قريظة ! وكانوا حلفاءه ومواليه في الجاهلية .

١٤٧٩/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن لايتهم ، عن عبید الله بن كعب بن مالك ، أنه كان

(١) قال في اللسان : « وفي حديث عائشة : خرجت أقفو آثار الناس يوم الخندق ؛ فسمعت

وئيد الأرض خلقي . الوئيد : شدة الوطء على الأرض يسمع كالنوى من بعد . »

يقول : ما أصاب سعداً يومئذ بالسهم إلا أبو أسامة الجشتمى حليف بني مخزوم ، فالله أعلم أى ذلك كان !

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، قال : كانت صفيّة بنت عبد المطلب في فارغ (حصن حسان بن ثابت) . قالت : وكان حسان متعنا فيه مع النساء والصبيان . قالت صفيّة : فر بنا رجل من يهود ، فجعل يطيف بالحصن ، وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون في نحور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا عنهم ^(١) إنا آت . قالت : فقلت : يا حسان ، إن هذا اليهودي كما ترى . يطيف بالحصن ، وإني والله ما آمنه أن يدلّ على عوراتنا من وراءنا من يهود ، وقد شغل عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فانزل إليه فاقتله . فقال : يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب ! والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا ! قالت : فلما قال ذلك لي ، وإسم أرا عنده شيئاً احتجرت ^(٢) ، ثم أخذت عموداً ، ثم نزلت من الحصن إليه فضربته بالعمود حتى قتله . فلما فرغت منه رجعت إلى الحصن ، فقلت : يا حسان ، انزل إليه فاسلبه ؛ فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل ؛ قال : مالي بسلبه من حاجة يا بنت عبد المطلب ^(٣) .

قال ابن إسحاق : وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ؛

(١) و : « إذا »

(٢) احتجرت : شددت وسطى ، قال أبو ذر الحنفي : « ومن رواه : اعتجرت . فعناه شددت معجري » .

(٣) قال المسهيل : « ويحمل هذا الحديث عند الناس على أن حسان كان جباناً شديد الخبن ؛ وقد رفع هذا بعض العلماء وأنكروه ؛ وذلك أنه حديث منقطع الإسناد ؛ وقال : لو صح هذا ضجى به حسان ؛ فإنه كان يهاجى الشعراء ، كضرار وابن الزبير وغيرهما ، وكانوا يناقضونه ويردون عليه ، فاعيره أحد منهم بجهن ، ولا وسمه به ؛ فدل هذا على ضعف حديث ابن إسحاق ، وإن صح فلعله كان معتلا في ذلك اليوم بملة منته من شهود القتال » .

فيما وصف الله عز وجل من الخوف والشدة ؛ لتظاهر عدوهم عليهم ، وإتيانهم من فوقهم ومن أسفل منهم .

ثم إن نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن قنفذ بن هلال ابن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إنى قد أسلمت ، وإن قومي لم يعلموا بسلامي ؛ فمروني بما شئت . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما أتت فينا رجل واحد ؛ فتحذلق عنا إن استطعت ؛ فإن الحرب خدعة .

فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة - وكان لهم نديماً في الجاهلية - فقال لهم : يا بني قريظة ، قد عرفتم ودى إياكم ، وخاصة ما بيني وبينكم ،

قالوا : صدقت ، لست عندنا بمتهم ؛ فقال لهم : إن قريشاً وغطفان قد

جاءوا لحرب محمد ، وقد ظاهروهم عليه ، وإن قريشاً وغطفان ليسوا كهيتكم^(١) ؛ البلد بلدكم ، به أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم ؛ لا تقدرن على أن تحولوا

منه إلى غيره ، وإن قريشاً وغطفان أموالهم وأبناؤهم ونساؤهم وبلدهم بغيره ؛ فليسوا كهيتكم ، إن رأوا نهزةً وغنيمة أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقوا

ببلادهم ، وخلتوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ؛ ولا طاقة لكم به إن خلا بكم ؛ فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرافهم يكونون بأيديكم ؛

ثقة لكم على أن يقاتلوا معكم محمداً ؛ حتى تنجزوه ، فقالوا : لقد أشرت برأى ونصح . ثم خرج حتى أتى قريشاً ، فقال لأبي سفيان بن حرب ومن

معه من رجال قريش : يا معشر قريش . قد عرفتم ودى إياكم ، وفراقى محمداً ؛ وقد بلغنى أمرٌ رأيتُ حقاً على أن أبلغكموه نصحاً لكم ، فاكتبوا

على . قالوا : نفعل ، قال : فاعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد أرسلوا إليه أن قد ندمنا على ما فعلنا ، فهل

يرضيك عنا أن نأخذ من القبيلتين من قريش وغطفان رجلاً من أشرافهم ؛ فنعطيكهم ، فنضرب أعناقهم ؛ ثم نكون معك على من بقي منهم ؟ فأرسل

إليهم أن نعم ؛ فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهناً من رجالكم ؛ فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً . ثم خرج حتى أتى غطفان ، فقال :

(١) ابن هشام : « كأنتم » .

يا معشر غطفان؛ أنتم أصلي وعشيرتي، وأحب الناس إليّ، ولا أراكم تتهمونني! قالوا: صدقت، قال: فاكتموا عليّ، قالوا: نفعنا، ثم قال لهم مثل ما قال لقريش، وحذّرهم ما حذّرهم؛ فلمّا كانت ليلة السبت في شوال سنة خمس؛ وكان ممّا صنع الله عزّ وجلّ لرسوله [أن] (١) أرسل أبو سفيان ورءوس غطفان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل، في نفرٍ من قريش وغطفان، فقالوا لهم: إنّنا لسنا بدار مقام؛ قد هلك الحفّ والحافر، فاغدوا للقتال حتى نناجز محمدًا ونفرُغ ممّا بيننا وبينه؛ فأرسلوا إليهم أن اليوم السبت، وهو يوم لا نعمل فيه شيئًا؛ وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثًا فأصابه ما لم يخفّ عليكم، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا من رجالكم، يكونون بأيدينا ثقة لنا؛ حتى نناجز محمدًا؛ فإنّا نخشى إن ضرستكم الحرب، واشتدّ عليكم القتال، أن تشرّوا إلى بلادكم وتركونا والزجل في بلدنا، ولا طاقة لنا بذلك من محمد. فلمّا رجعت إليهم الرّسل بالذي قالت بنو قريظة؛ قالت قريش وغطفان: تعلمون والله أن الذي حدّثكم نعيم بن مسعود لحق. فأرسلوا إلى بني قريظة: إنّنا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا، فقالت بنو قريظة حين انتهت الرّسل إليهم بهذا: إنّ الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق؛ ما يريد القوم إلاّ أن يقاتلوا؛ فإن وجدوا فرصة انتهزوها؛ وإن كان غير ذلك (١٤٨٣/١) تشرّوا (٢) إلى بلادهم، وخلّوا بينكم وبين الرجل في بلادكم. فأرسلوا إلى قريش وغطفان: إنّنا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا. فأبوا عليهم، وخذل الله بينهم؛ وبعث الله عزّ وجلّ عليهم الريح في ليالٍ شاتية شديدة البرد؛ فجعلت تكفأ قدورهم. وتطرّح أبنيتهم. فلمّا انتهى إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ما اختلف من أمرهم، وما فرّق الله من جماعتهم. دعا حذيفة بن اليمان. فبعثه إليهم لينظر ما فعل القوم ليلا.

حدّثنا ابن حميد. قال: حدّثنا سلمة. قال: حدّثني محمد بن إسحاق. قال: حدّثنا يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القرظي: قال: قال في

(١) من ابن هشام. (٢) ابن هشام: «انشرّوا إلى بلادهم».

من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان : يا أبا عبد الله ، رأيت رسول الله وصحبتوه !
قال : نعم يا ابن أخي ، قال : فكيف كنتم تصنعون ؟ قال : والله لقد
كننا نجهد ، فقال الفتي : والله لو أدركناه ما تركناه يمشي على الأرض ،
ولحملناه على أعناقنا . فقال حذيفة : يا ابن أخي ؛ والله لقد رأيتنا مع رسول الله
صلّى الله عليه وسلّم بالخندق ، وصلّى هويّاً^(١) من الليل ، ثم التفت إلينا ،
فقال : مَنْ رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم [ثم يرجع]^(٢) - بشرط له رسول الله
أنه يرجع^(٣) - أدخله الله الجنة ؟ فما قام رجل . ثم صلّى رسول الله صلّى الله عليه
وسلّم هويّاً من الليل ، ثم التفت إلينا فقال مثله ، فما قام منا رجل ، ثم صلّى
رسول الله صلّى الله عليه وسلّم هويّاً من الليل ، ثم التفت إلينا ، فقال :
مَنْ رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع - بشرط له رسول الله الرجعة -
أسأل الله أن يكون رفيقاً في الجنة ؟ فما قام رجلٌ من القوم من شدة الخوف
وشدة الجوع وشدة البرد . فلما لم يبق أحدٌ دعاني رسول الله صلّى الله عليه
وسلّم فلم يكن لي بدّ من القيام حين دعاني . فقال : يا حذيفة ؛ اذهب فادخل
في القوم فانظر ما يفعلون ، ولا تحدثن شيئاً حتى تأتينا ؛ قال : فذهبت
فدخلت في القوم والريحُ وجنود الله تفعل بهم ما تفعل ؛ لا تقرُّ لهم قيدراً ولا ناراً
ولا بناء . فقام أبو سفيان بن حرب . فقال : يا معشر قريش ، لينظر امرؤٌ
جليسه ، قال : فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبي . فقلت : مَنْ
أنت ؟ قال : أنا فلان بن فلان . ثم قال أبو سفيان : يا معشر قريش ، إنكم
والله ما أصبحتم بدار مقام ، لقد هلك الكراع والخف ، وأخلفتنا^(٤) بنو قريظة
وبلغنا عنهم الذي نكره ؛ ولقينا من هذه الريح ما ترؤون ؛ والله ما تطمئن
لنا قيدراً ، ولا تقوم لنا نار ، ولا يستمسك لنا بناء ؛ فارتحلوا فإني مرتحل .
ثم قام إلى جملة وهو معقول ، فجلس عليه ، ثم ضربه فوثب به على
ثلاث ؛ فما أطلق عقباله إلا وهو قائم ؛ ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلى ألا أحدث^(٥) شيئاً حتى آتبه ، ثم شئت لقتلته بسهم . قال حذيفة :

١٤٨٤/١

(١) الفوي : المزيج من الليل . (٢) من ابن هشام (٣) ابن هشام : « الرجعة » .

(٤) التفسير : « واخلفت » .

(٥) ابن هشام : « ألا تحدث » .

فرجعتُ إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهو قائمٌ يصلي في ميرطٍ لبعض نساءه مُرحَّلٍ ؛ فلما رأني أدخلني بين رجليه وطرح عليّ طرف الميرط (١) ثم ركع وسجد ؛ فأذلقته . فلما سلّم أخبرته الخبر ، وسمعتُ غطفان بما فعلتُ قريش ، فانشمروا راجعين إلى بلادهم (٢) .

١٤٨٥/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق قال : فلما أصبح نبي الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انصرف عن الخندق راجعاً إلى المدينة والمسلمون ووضعوا السلاح .

• • •

غزوة بني قريظة

فلما كانت الظهر ، أتى جبريلُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — كما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق (٣) ، عن ابن شهاب الزهري — معجراً (٤) بعمامة من إسبرق ، على بغلة عليها رحالة (٥) ، عليها قطيفة من ديباج ، فقال : أقد (٦) وضعت السلاح يا رسول الله ؟ قال نعم ، قال جبريل : ما وضعت الملائكة السلاح وما رجعت الآن إلا من طلب القوم ؛ إن الله يأمرك يا محمد بالسير إلى بني قريظة ، وأنا عامد إلى بني قريظة .

فأمر رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منادياً ، فأذن في الناس : إن (٧) من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة (٨) .

(١) المرط : كساء من صوف وخز أو كتان يؤنزر به .

(٢) الخبر في التفسير ٢١ : ٨٠ ، ٨١ (بولاق) .

(٣) أخبار غزوة بني قريظة ما نقل عن ابن إسحاق ، في سيرة ابن هشام ٢ : ١٩٤ - ٢٠٣ .

(٤) الاعتجار : أن يتمم الرجل دون تلح ، أي لا يلتق شيئاً تحت لحيته .

(٥) الرحالة : السرج .

(٦) ابن هشام والتفسير : « أوقد »

(٧) ساقطة من ابن هشام .

(٨) بعدها في ابن هشام : « واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم » .

وقدّم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم على بن أبي طالب برباطه إلى بني قريظة ، وابتدروا الناس ، فسار على بن أبي طالب عليه السلام ؛ حتى إذا دنا من الحصون ، سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم منهم ؛ فرجع حتى لقي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالطريق ، فقال : يا رسول الله ، لا عليك ألاّ تدنو من هؤلاء الأخباث^(١) ! قال : لم ؟ أظنك سمعت لي منهم أذى ! قال : نعم يا رسول الله . لو قد رأوتني لم يقولوا من ذلك شيئاً . فلهذا دنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من حصونهم ، قال : يا إخوان القردة . هل أخزاكم الله ، وأنزل بكم نعمته ! قالوا : يا أبا القاسم^(٢) ، ما كنت جهولاً . ومرّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على أصحابه بالصوّريين قبل أن يصل إلى بني قريظة ، فقال : هل مرّ بكم أحد ؟ فقالوا : نعم يا رسول الله ، قد مرّ بنا دحية بن خليفة الكلبي ، على بغلة بيضاء ، عليها رحالة عليها قطيفة ديباج ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : ذلك جبريل ، بُعث إلى بني قريظة يُزلزل بهم حصونهم ، ويقذف الرعب في قلوبهم . فلما أتى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بني قريظة ، نزل على برّ من آبارها في ناحية من أموالهم ، يقال لها برّ أنا^(٣) ، فلاحق به الناس ، فأتاه رجالٌ من بعد العشاء الآخرة . ولم يُصلّوا العصر ، لقول رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : لا يصلّين أحدٌ العصر إلاّ في بني قريظة ، لشيء لم يكن لهم منه بُدٌّ من حربهم ؛ وأبوا أن يُصلّوا ، لقول النبي صلّى الله عليه وسلّم : حتّى تأتوا بني قريظة ، فصلّوا العصر بها بعد العشاء الآخرة . فما عابهم الله بذلك في كتابه ؛ ولا عنّفهم به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . والحديث عن محمد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن معبّد بن كعب بن مالك الأنصاري

• • •

(١) التفسير : « الأخباث » .

(٢) س : « يا محمد » .

(٣) أنا ، مثل « هنا » ، أو مثل « حتى » ، أو بكسر النون المشددة ، ويروى بموحدة

بدل النون : من آبار بني قريظة - يافوت .

حدثنا ابنُ وكيع ، قال : حدثنا محمد بن بشر ، قال : حدثنا محمد بن عمرو ، قال : حدثني أبي ، عن علقمة ، عن عائشة ، قالت : ضرب رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم على سعد قُبَّة في المسجد ، ووضع السلاح - يعني عند منصرف رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم من الخندق - ووضع المسلمون السلاح ، فجاءه جبريل عليه السلام ، فقال : أَوْضَعِ السِّلَاحَ ! ١٤٨٧/١ فوالله ما وضعتِ الملائكةُ بَعْدُ السِّلَاحَ ، اِخْرُجْ إِلَيْهِمْ ^(١) فقاتِلْهُمْ ، فدعا رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بِلَأْمَتِهِ فلبسها ، ثم خرج وخرج المسلمون ؛ فمرَّ بِنَبِيِّ غَنَمٍ ، فقال : من مرَّ بكم ؟ قالوا : مرَّ علينا دِحْيَةُ الكَلْبِيُّ - وكان يشبهُ سُنَّتَهُ ^(٢) وَلِحِيَّتَهُ ووجهه بجبريل عليه السلام - حتى نزل عليهم ، وسعدٌ في قُبَّتِهِ التي ضرب عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ؛ فحاصرهم شهراً - أو خمساً وعشرين ليلة - فلما اشتدَّ عليهم الحصار قيل لهم : انزلوا على حكم رسول الله ، فأشار أبو لُبَابَةَ بن عبد المنذر إنَّه الذبح ، فقالوا : نزل على حكم سعد بن معاذ ، فقال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم : انزلوا على حكمه ، فنزلوا ، فبعث إليه رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بحمار بأكفاف من ليف ، فحمِلَ عليه . قالت عائشة : لقد كان برّاً كَلَمَهُ ^(٣) حتى ما يرى منه إلا مثل الخُرْص ^(٤) .

• • •

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق ، قال : وحاصرهم رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم خمساً وعشرين ليلة ؛ حتى جتهدهم الحِصَارُ ؛ وقذف الله في قلوبهم الرعب - وقد كان حِيَّتِيُّ بن أخطب دخلَ على بنِي قُرَيْظَةَ في حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان ، وفاءً لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه - فلما أيقنوا أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم غيرُ منصرف عنهم حتى يناجزهم ، قال كعب بن أسد لهم : ١٤٨٨/١ يا معشرَ يهود ، إنَّه قد نزل بكم من الأمر ما ترون ^(٥) ، وإني عارض ^(٥)

(١) س : « بهم » . (٢) السنة هنا : الصورة ، وقيل : صفحة الحد .

(٣) الحرص : حلقة القرط ؛ وقول عائشة في الفائق ١ : ٣٣٥ .

(٤) س : « قد نزل » . (٥) س : « أعرض » .

عليكم خيلاً ثلاثاً فخذوا أيّتها شتمتم ! قالوا : وما هن ؟ قال : نتابع ^(١) هذا الرجل ونُصدّقه ؛ فوالله لقد كان تبيّن لكم أنّه لنبيّ ^(٢) مرسل ، وأنه للذي كنتم تجدونه في كتابكم ، فتأمّنوا على دماءكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم ، قالوا : لا نفارق حكم التوراة أبداً ، ولا نستبدل به غيره . قال : فإذا أبيتم هذه عليّ فتهلمّ فلنقتل أبناءنا ونساءنا ، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مُصلّتين السيوف ؛ ولم نترك وراءنا ثقلاً يهمتنا ؛ حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ؛ فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا شيئاً نخشى عليه ، وإن نظهر فلعمري لنجدن النساء والأبناء . قالوا : نقتل هؤلاء المساكين ؛ فما خير العيش بعدهم ! قال : فإذا أبيتم هذه عليّ فإنّ الليلة ليلة السبت ؛ وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمّنوا فيها ، فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غيرةً . قالوا : نفُسد سبتنا ، ونُحدث فيه ما لم يكن أحدث فيه من كان قبلنا ، إلاّ من قد علمت . فأصابه ^(٣) من المسخ ما لم يخف عليك . قال : ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازماً .

قال : ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : أن ابعث إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر ؛ أخا بني عمرو بن عوف - وكانوا ^(٤) حلفاء الأوس - نستشيرهم في أمرنا ، فأرسله رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إليهم فلما رأوه قام إليه الرجال ، وبهش ^(٥) إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه ؛ فرّق لهم وقالوا له : يا أبا لبابة ، أترى أن ننزل على حكم محمد ! قال : نعم ، وأشار بيده إلى حلقه : إنه الذبح ؛ قال أبو لبابة : فوالله ما زالت قدماي حتى عرفت أنّي خننتُ الله ورسوله .

ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ، ولم يأت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم

(١) ابن هشام والتفسير : « نتابع » .

(٢) و : « نبي » .

(٣) التفسير : « فأصابهم » .

(٤) س : « من حلفاء » .

(٥) بهش إليه النساء ؛ خفوا إليه ؛ وفي ابن هشام والتفسير : « جهش » .

حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عُمُدِه ، وقال : لا أبرح مكاني هذا حتى يتوبَ الله عليَّ مما صنعت ؛ وعاهد الله ألاَّ يظأَ بنى قريظة أبداً .
وقال : لا يراني الله في بلد خُنتَ الله ورسوله فيه أبداً . فلما بلغ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خبرُهُ ، وأبطأَ عليه - وكان قد استبطأه - قال : أما لو جاءني لاستغفرت له ؛ فأما إذْ فعل ما فعل ، فما أنا بالَّذي أطلقه من مكانه حتى يتوبَ الله عليه^(١) .

• • •

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق . عن يزيد بن عبد الله بن قسيط ، أن توبة أبي لبابة أنزلت على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وهو في بيت أم سلمة . قالت أم سلمة : فسمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من السحر يضحك فقلت : مِمَّ تضحك يا رسول الله ، أضحك الله سينك ! قال : تيب على أبي لبابة ، فقلت : ألاَّ أبشرك بذلك يا رسول الله ! قال : بلَى إن شئت ؛ قال : فقامت على باب حجرتها - وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب - فقالت : يا أبا لبابة ، أبشرك فقد تاب الله عليك . قال : فتأر الناس إليه ليطلقوه ؛ فقال : لا والله حتى يكون رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الذي يُطلقني بيده ، فلما مرَّ عليه خارجاً إلى الصبح أطلقته^(٢) .
قال ابن إسحاق : ثم إن ثعلبة بن سعينة وأسيد بن سعينة ، وأسيد ابن عبيد - وهم نفر من بنى همدان ؛ ليسوا من بنى قريظة ولا النضير ، نسبهم فوق ذلك - هم بنو عم القوم أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها قريظة على حكم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وخرج في تلك الليلة عمرو بن

(١) خبر ابن إسحاق كلف في التفسير ٢١ : ٩٥ ، ٩٦ (بولاق) .

(٢) بعدها في السيرة عن ابن هشام : « أقام أبو لبابة مرتبطاً بالجذع ست ليل ، تأتبه امرأته

في كل وقت صلاة فتحله للصلاة ثم تعود فتربطه بالجذع ، فيما حدثني بعض أهل العلم . والآية

التي نزلت في توبته قول الله عز وجل : ﴿ وَأَخْرُوجُهُمْ وَأَعْرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا

وَأَخْرَجَ سَبِيحًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .

سُعْدَى الْقُرْظَى ، فَمَرَّ بِسَحْرَسَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ وَعَلَيْنِهِ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ الْأَنْصَارِيُّ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ؛ فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : عَمْرُو بْنُ سَعْدَى - وَكَانَ عَمْرُو قَدْ أَبَى أَنْ يَدْخُلَ مَعَ بَنِي قُرَيْظَةَ فِي غَدْرِهِمْ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ : لَا أُغْدِرُ بِمُحَمَّدٍ أَبَدًا - فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ حِينَ عَرَفَهُ : اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنِي عَشْرَاتِ الْكِرَامِ . ثُمَّ خَلَّتْ سَبِيلَهُ ؛ فَخَرَجَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى بَاتَ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ . ثُمَّ ذَهَبَ فَلَا يُدْرَى ^(١) أَيْنَ ذَهَبَ مِنْ أَرْضِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِهِ هَذَا ! فَذَكَرَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَأْنَهُ . فَقَالَ : ذَاكَ رَجُلٌ نَجَّاهُ اللَّهُ بِوَفَائِهِ .

قال ابن إسحاق : وبعضُ النَّاسِ يزعمُ أنه كان أوثقَ برُمَّةٍ ^(٢) فيمن أوثق من بني قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فأصبحت رُمته مُلقاةً لا يُدْرَى أين ذهب ، فقال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه تلك المقالة . والله أعلم .

قال ابن إسحاق . فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فتواثبت الأوس . فقالوا : يا رسول الله ، إنهم موالينا دون الخزرج ، وقد فعلت في موالِي الخزرج بالأمس ما قد علمت - وقد كان رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل بني قريظة حاصر بني قَيْنُقَاعَ ، وكانوا حلفاء الخزرج ، فنزلوا على حكمه ؛ فسأله إِيَّاهُمْ عبد الله بن أبي بن سنبلٍ ، فوهبهم له . فلَمَّا كَلَّمَهُ الأوسُ قال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ألا ترضون يا معشرَ الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم ! قالوا : بلى ، قال : فذاك إلى سَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ - وكان سعد بن معاذ قد جعله رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في خَيْمَةِ امْرَأَةٍ ^(٣) من أسلم ^(٤) يقال لها رُفَيْدَةُ فِي مَسْجِدِهِ ، كانت تُدَاوِي الْجَرْحَى ، وتحتسب بنفسها على خدمة مَنْ كانت به ضَيْعَةً مِنَ الْمُسْلِمِينَ ؛ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَالَ لِقَوْمِهِ حِينَ أَصَابَهُ السَّهْمُ بِالْخَنْدَقِ : اجعلوه في خيمة رُفَيْدَةَ ، حتى أعوده من قريب - فلما

(١) في ابن هشام : « فلم يدري » .

(٢) الرمة : الحبل .

(٤) كذا في ابن هشام وفي ط : « المسلمين » .

(٣) س : « لامرأة » .

حكّمه رسول الله صلّى الله عليه وسلم في بني قريظة ، أتاها قومه ، فاحتملوه على حمار قد وطئوا له بوسادة من آدم - وكان رجلاً جسيماً - ثم أقبلوا معه إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وهم يقولون : يا أبا عمرو ، أحسن في مواليك ؛ فإن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إنّمَا ولاك ذلك لتحسين فيهم . فلما أكثروا عليه قال : قد أنى لسعد ألا تأخذّه في الله لومة لائم . فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل ، فنعمى لهم رجال بني قريظة قبل أن يصل إليهم سعد بن معاذ عن كنيسته التي سمع منه .

قال أبو جعفر : فلما انتهى سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين . قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم - فيما حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا محمد بن بشر . قال : حدثنا محمد بن عمرو ، قال : حدثني أبي ، عن علقمة : في حديث ذكره ، قال : قال أبو سعيد الخدري : فلما طلع - يعني سعداً - قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : قوموا إلى سيدكم - أو قال : إلى خيركم - فأنزروه ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : احكم فيهم ، قال : فإنتى أحكم فيهم أن تقتل ميثاقاتهم ، وأن تُسبى ذراريهم . وأن تُقسّم أموالهم . فقال : لقد حكمت فيهم بحكم الله وحكم رسوله .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق : وأمّا ابن إسحاق فإنه قال في حديثه : فلما انتهى سعد إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم والمسلمون ؛ قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : قوموا إلى سيدكم ، فقاموا إليه . فقالوا : يا أبا عمرو : إن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قد ولاك [أمر]^(١) مواليك لتحكم فيهم . فقال سعد : عليكم بذلك عهد الله وميثاقه أن الحكم فيها ما حكمت ! قالوا : نعم ، قال : وعلى من هاهنا ؟ - في الناحية التي فيها رسول

(١) من سيرة ابن هشام .

الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وهو معرض عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
إجلالا له - فقال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : نعم ، قال سعد : فإنني
أحكمُ فيهم بأن تُقتَلَ الرجالُ ، وتُقسَمَ الأموالُ ، وتُسبَى الذراريُّ
والنساءُ .

حدثنا ابنُ حميدٍ ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ،
عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ،
عن علقمة بن وقاص الليثي ، قال : قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لسعد :
لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة^(١) .

قال ابنُ إسحاق : ثم استُنزلوا . فحبسهم رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
في دار ابنة الحارث ، امرأة من بني النجَّار . ثم خرج رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
صلى اللهُ عليه وسلم إلى سوق المدينة التي هي سوقها اليوم ، فخندق بها خنادق ،
ثم بعث إليهم فضرب أعناقهم في تلك الخنادق ؛ يُخرج بهم إليه أرسالا ؛
وفيهم عدوُّ الله حُبَيْبُ بنُ أخطب ، وكعب بن أسد ؛ رأس القوم . وهم ستمائة
أو سبعمائة . المكشَّرُ لهم يقول : كانوا من الثمانمائة إلى التسعمائة . وقد
قالوا لكعب بن أسد - وهم يُذْهَبُ بهم إلى رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أرسالا^(٢) - : يا كعب ، ما ترى ما يصنع بنا ؟ فقال كعب : في كلِّ موطن
لا تعقلون : ألا ترون الداعي^(٣) لا يتزع . وأنه من ذُهِبَ به منكم لا يرجع ،
هو والله القتل ! فلم يزل ذلك الدأبُ حتى فرغ منهم رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وسلم ، وأتَيْتْ بِحُبَيْبِ بنِ أخطبِ عدوِّ الله عليه حلةٌ له فقاحية^(٤) قد
شققتها عليه من كلِّ ناحية كموضع الأنملة ، أنملة أنملة . لئلا يُسَلَّبها . مجموعة
يداه إلى عنقه بحبل . فلما نظر إلى رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قال :
أما والله ما لمتُ نضمي في عداوتك ؛ ولكنه من يسخذل الله يسخذل .

١٤٩٤/١

(١) الأرقعة : السموات ، واحدها رقيع .

(٢) أرسالا ، أي طائفة بعد طائفة .

(٣) س : ه الراعي ه .

(٤) حلة فقاحية : عل لون الورد حين هم أن يفتح .

ثم أقبل على الناس ، فقال : أيها الناس ، إنّه لا بأس بأمر الله ، كتاب الله وقدّره ، وملحمةٌ قد كتبت ^(١) على بني إسرائيل . ثم جلس فضربت عنقه ، فقال جبل بن جوّال التعلبيّ :

لَعَمْرُكَ مَا لَامَ ابْنُ أَخْطَبَ نَفْسَهُ وَلَكِنَّهُ مَنْ يَخْذُلُ اللَّهَ يُخْذَلِ
لِجَاهِدٍ حَتَّى أَبْلَغَ النَّفْسَ عُدْرَهَا وَقَلْقَلَ يَبْغِي الْعِزَّ كُلَّ مُقْلَقَلِ

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة ، قالت : لم يُقتل من نسايتهم إلا امرأة واحدة . قالت : والله إنها لعندي تحدّثتُ معي ، وتضحك ظهراً وبطناً ، ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم يقتلُ رجالهم بالسوق ؛ إذ هتف هاتفٌ باسمها : أين فلانة ؟ قالت : أنا والله . قالت : قلت : ويلك مالك ! قالت : أقتل ! قلت : ولم ؟ قالت : حدّثتُ أحدثته . ^{١٤٩٥/١} قالت : فانطلقَ بها فضربت عنقها ^(٢) . فكانت عائشة تقول : ما أنسى عجبنا منها ، طيبَ نفس وكثرة ضحك ، وقد عرفت أنها تُقتل !

وكان ثابت بن قيس بن شماس - كما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة . قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن ابن شهاب الزهري - أني الزبير ^(٣) بن باطا القرظي - وكان يكنى أبا عبد الرحمن - وكان الزبير قد منّ على ثابت بن قيس بن شماس في الجاهلية . قال محمد : مما ذكر لي بعضُ ولد الزبير ، أنه كان منّ عليه يوم بُعث ؛ أخذه فجرّ ناصيته ، ثم خلّى سبيله - فجاءه ^(٤) وهو شيخ كبير ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ، هل تعرفني ؟ قال : وهل يجهلُ مثلُ مثلك !

(١) في ابن هشام : « كتبها الله » .

(٢) قال أبو ذر الحثني : « هي امرأة الحسن القرظي » .

(٣) قال السبيل : « هو الزبير ، بفتح الزاي وكسر الباء ، جد الزبير بن عبد الرحمن المذكور في الموطأ في كتاب النكاح » .

(٤) ابن هشام : « فجاءه ثابت » .

قال : إني قد أردتُ أن أجزيك بيدك عندي ، قال : إنَّ الكريم يجزي
الكريم . ثم أتى ثابت رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقال : يا رسولَ الله ؛
قد كانت للزبير عندي يدٌ ؛ وله على منةٌ ؛ وقد أحببت أن أجزيه بها ؛
فهب لي دمه . فقال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هو لك ، فأتاه فقال :
إنَّ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد وهب لي دمك فهو لك ؛ قال : شيخ
كبير لا أهلَ له ولا ولد ؛ فما يصنع بالحياة ! فأتى ثابت رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
عليه وسلم ، فقال : يا رسولَ الله . أهله وولده ، قال : هم لك ، فأتاه فقال :
إنَّ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أعطاني امرأتك وولدك فهم لك .
قال : أهلُ بيت بالحجاز لا مالَ لهم ، فما بقاؤهم ! فأتى ثابت رسولَ الله
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقال : يا رسولَ الله ، ماله ! قال : هو لك ، فأتاه
فقال : إنَّ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أعطاني مالك فهو لك ، قال : أيُّ ثابت ! ما فعل الذي
كَانَ وَجْهَهُ مِرْآةَ صِينِيَّةٍ تَرَاءَى فِيهَا^(١) عذارى الحى ؛ كعب بن أسد ؟
قال : قُتِل . قال : فما فعل سيده الحاضر والبادي ؛ حبيبي بن أخطب ؟ قال :
قُتِل . قال : فما فعل مقدمتنا إذا شددنا . وحاميتنا إذا كررنا ؛ عزال بن
شمويل ؟ قال : قُتِل ، قال : فما فعل أنجلمان - يعنى بنى كعب بن قريظة
وبنى عمرو بن قريظة - قال : ذَهَبُوا . قَتَلُوا . قال : فإنني أسألك بيدي
عندك يا ثابت . إلا أَخَقَّتَنِي بالقوم ؛ فوالله ما في العيش بعد هؤلاء من
خير ، فما أن بصابر لله قبلة دَلْوًا^(٢) نَضَحَ حَتَّى أَلْقَى الْأَحِبَّةَ ! فقدَّمه
ثابت فضرب عنقه ؛ فلما بلغ أبا بكر قوله : «ألى الأحبة» قال : يلقاهم والله
في نار جهنم خالدًا فيها مخلدًا أبدًا . فقال ثابت بن قيس بن الشماس
في ذلك . يذكُر الزبير بن باطا :

١٤٩٦/١

(١) كذا في ابن هشام ، وفي ط : «فيه» .

(٢) في ابن هشام : «فتلة» . قال أبو ذر الخثي : «ومن رواه : «قلة» بالفتاف والباء

فهو بمقدار ما يقبل الرجل اندلو ليصبها في الحوض ثم يصرفها ؛ وهذا كله لا يكون إلا عن استعجال

وسرعة .

وَقَتَّ ذِمَّتِي أَنِّي كَرِيمٌ وَأَنْتِي صَبُورٌ إِذَا مَا الْقَوْمُ حَادُوا عَنِ الصَّبْرِ
وَكَانَ زَيْبِرٌ أَعْظَمَ النَّاسِ مِنَّةً عَلَيَّ فَلَمَّا شُدَّ كُوعَاهُ بِالْأَسْرِ
أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ كَيْمَا أَفْكُهُ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ بِحَجْرًا لَنَا يَجْرِي

قال : وكان رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلم قد أمر بقتل مَنْ أنبت

منهم .

فحدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن

إسحاق ، عن أيوب بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي صعصعة ، أخى بنى
١٤٩٧/١ عدى بن النجار ؛ أن سلمى بنت قيس أم المنذر أخت سليل بن قيس
- وكانت إحدى خالات رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلم ، قد صلَّتْ معه
القبلتين ، وبابعتَه (١) بيعة النساء - سألتَه رفاة بن شمويل (٢) القرظي -
وكان رجلا قد بلغ ولاذ بها ، وكان يعرفهم قبل ذلك - فقالت : يا نبي الله ،
بأبي أنت وأمي ! هب لي رفاة بن شمويل ؛ فإنه قد زعم أنه سيُصلِّي ،
ويأكل لحم الحمل ؛ فوهبه لها ؛ فاستحيته .

قال ابن إسحاق : ثم إن رسولَ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلم قسم أموال
بنى قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين ، وأعلم في ذلك اليوم سهمان
الخيال وسهمان الرجال ، وأخرج منها الخمس ؛ فكان للفارس ثلاثة أسهم ؛
للفرس سهمان ولفارسه سهم ، وللراجل ممن ليس له فرس سهم ، وكانت
الخيال يوم بنى قريظة ستة وثلاثين فرسا ؛ وكان أول فتيء وقع فيه السهمان
وأخرج منه الخمس ، فعلت سننتها وما مضى من رسول الله صَلَّى اللهُ عليه
وسلم فيها وقعت المقاسم ، ومضت السنة في المغازي ؛ ولم يكن يسهم للخيال
إذا كانت مع الرجل إلا لفارسين .

ثم بعث رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه وسلم سعد بن زيد الأنصاري ،

(١) و : « وبابعت » .

(٢) ابن هشام : « شمويل » .

أخا بني عبد الأشهل بسبايا من سبايا بني قُرَيْظَةَ إلى نجد ، فابتاع له بهم خيلا وسلاحا ، وكان رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد اصطفى لنفسه من نسائهم رَيْحَانَةَ بنت عمرو بن خُنافة^(١) إحدى نساء بني عمرو بن قُرَيْظَةَ ، فكانت عند رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى توفى عنها وهي في ملكه ، وقد كان رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عرض عليها أن يتزوجها ، ويضربَ عليها الحجاب ، فقالت : يا رسولَ الله ، بل تتركني في ملكك فهو أخفَ عليَّ وعليك . فتركها ، وقد كانت حين سباها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد تعصت^(٢) بالإسلام ، وأبّت إلا اليهودية ، فعزها رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليه وسلم ووجد في نفسه لذلك من أمرها : فيينا هو مع أصحابه إذ سمع وقعَ نعلين خلفه ، فقال : إن هذا لثعلبة بن سعيّة يبشّرني بإسلام ريحانة ، فجاءه فقال : يا رسولَ الله ، قد أسلمت ريحانة ، فسرّه ذلك .

فلما انقضى شأن بني قُرَيْظَةَ انفجر جُرْحُ سعد بن معاذ ، وذلك أنه دعا - كما حدثني ابنُ وكيع ، قال : حدثنا ابن بشر ، قال : حدثنا محمد بن عمرو ؛ قال : حدثني أبي ، عن علقمة ، في خبر ذكره عن عائشة : ثم دعا سعد بن معاذ - يعني بعد أن حكم في بني قُرَيْظَةَ ما حكم - فقال : اللهم إنك قد علمت أنه لم يكن قوم أحبّ إلىّ أن أقاتلَ أو أجاهد من قوم كذبوا رسولك . اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش على رسولك شيئا فأبقي لها ، وإن كنت قد قطعت الحرب بينه وبينهم فأقبضني إليك . فانفجر كلمته ، فَرَجَعَهُ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى خيمته^(٣) التي ضربت عليه في المسجد . قالت عائشة : فحضره رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأبو بكر ، وعمر ؛ فوالذي نفس محمد بيده ؛ إني لأعرف بكاء أبي بكر من بكاء عمر وإني لفي حُجرتي . قالت : وكانوا كما قال الله عز وجل : ﴿رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ﴾^(٤)

(١) كذا في ابن هشام وشرح المواهب ، والطبري ٣ : ٢٤٣٢ ؛ وفي الأصل : «جنافة» .

(٢) تعصت ، أي عصت .

(٣) س : «القبّة» .

(٤) سورة الفتح ٢ .

قال علقمة : أي أمه ! كيف كان يصنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟
قالت : كانت عينه لا تندم مع علي أحد ؛ ولكنه كان إذا اشتد وجده
على أحد ، أو إذا وجد فإنما هو آخذ بلحيته .

حدثنا ابن حميد ؛ قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني ابن إسحاق ،
قال : لم يقتل من المسلمين يوم الخندق إلا ستة نفر ، وقتل من المشركين
ثلاثة نفر ، وقتل يوم بني قريظة خلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو
ابن بلحارث بن الخزرج ، طرحت عليه رحي فشدخته شدخاً شديداً .
ومات أبو سنان بن محصن بن حرثان ، أخو بني أسد بن خزيمه ، ورسول
الله صلى الله عليه وسلم محاصر بني قريظة ، فدفن في مقبرة بني قريظة .
ولما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخندق ، قال : الآن نغزوهم
- يعني قريشاً - ولا يغزوننا . فكان كذلك حتى فتح الله تعالى على رسوله
صلى الله عليه وسلم مكة .

وكان فتح بني قريظة في ذي القعدة أو في صدر^(١) ذي الحجة ، في قول
ابن إسحاق . وأما الواقدي فإنه قال : غزاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
في ذي القعدة ، لليال بقين منه ؛ وزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أمر أن يشق لبني قريظة في الأرض أخاديد ثم جلس ؛ فجعل على والزبير
يضربان أعناقهم بين يديه ، وزعم أن المرأة التي قتلها النبي صلى الله عليه وسلم
يومئذ كانت تسمى بسانة ، امرأة الحكم القرظي ، كانت قتلت خلاد بن
سويد ، رمت عليه رحي ، فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فضرب
عنقها بخلاد بن سويد .

• • •

واختلف في وقت غزوة النبي صلى الله عليه وسلم بني المصطلق ؛ وهي
الغزوة التي يقال لها غزوة المرسيح -- والمرسيح اسم ماء من مياه خزاعة
بناحية قديد إلى الساحل - فقال : ابن إسحاق - فيما حدثنا ابن حميد ،

(١) ابن هشام : « صدر » .

قال : حدثنا سلمة ، عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا بني المصطلق من خزاعة ، في شعبان سنة ست من الهجرة .

وقال الواقدي : غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم المريسيع في شعبان سنة خمس من الهجرة . وزعم أن غزوة الخندق وغزوة بني قريظة كانتا بعد المريسيع لحرب بني المصطلق من خزاعة .

وزعم ابن إسحاق - فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم انصرف بعد فراغه من بني قريظة ؛ وذلك في آخر ذي القعدة أو في صدر ذي الحجة - فأقام بالمدينة ذا الحجة والمحرم وصفرًا وشهر ربيع ، وولى الحجة في سنة خمس المشركون .

ذكر الأحداث التي كانت في سنة ست من الهجرة

غزوة بني لحيان

قال أبو جعفر: وخرج رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في جُمادى الأولى على رأس سنة أشهر من فتح بني قُرَيْظَةَ إلى بني لحيان، يطلب ١٥٠١/١ بأصحاب الرجيع؛ خُبَيْب بن عدي وأصحابه؛ وأظهر أنه يريد الشام ليصيب من القوم غيرةً. فخرج من المدينة، فسلك على غُرَاب (جبل بناحية المدينة على طريقه إلى الشام) ثم على مَخِيض، ثم على البراء؛ ثم صَفَقَ (١) ذات اليسار، ثم على بَيْسَن، ثم على صُخَيْرَات اليمام، ثم استقام به الطريق على المحجة من طريق مكة، فأغذت السير سريعاً؛ حتى نزل على غُرَّان؛ وهي منازل بني لحيان - وغُرَّان واد بين أمّج وعُسْفان - إلى بلد يقال له ساية. فوجدهم قد حذروا وتمنعوا في رعوس الجبال، فلما نزلها رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأخطأه من غرَّتهم ما أراد، قال: لو أنا هبطنا عُسْفان لرأى أهل مكة أننا قد جئنا مكة. فخرج في مائتي راكب من أصحابه حتى نزل عُسْفان، ثم بعث فارسين من أصحابه؛ حتى بلغا كُرَاع الغمِيم، ثم كَرَّأ وراح قافلاً (٢).

حدثنا ابنُ حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني ابنُ إسحاق. قال: والحديث في غزوة بني لحيان - عن عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر. عن عبيد الله بن كعب.

قال ابن إسحاق: ثم قدم رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة، فلم يُقِمْ إلا ليالي قلائل حتى أغار عُبَيْيْنَةُ بن حِصْن بن حذيفة بن بدر الفزاري في خيل لِعُظْفَان على لِقَاح رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالغابة؛ ١٥٠٢/١ وفيها رجلٌ من بني غفَّار وامرأته، فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة في اللقاح (٣).

• • •

(١) صفق: عدل. (٢) الخبر في سيرة ابن همام ٢: ٢١٢.

(٣) اللقاح: الإبل الحوامل ذوات الألبان.

غزوة ذى قرد

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ومن لا أنهم ، عن عبيد الله بن كعب بن مالك ، كل قد حدثت في غزوة ذى قرد بعض الحديث ، أنه أول من نذر^(١) بهم سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمي ، غدا يريد الغابة متوشحاً قوسه ونبله ، ومعه غلام لطلحة بن عبد الله .

• • •

وأما الرواية عن سلمة بن الأكوع بهذه الغزوة من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد مقدمه المدينة ، منصرفاً من مكة عام الحديبية ، فإن كان ذلك صحيحاً ، فينبغي أن يكون ما روى عن سلمة بن الأكوع كان إما في ذى الحجة من سنة ست من الهجرة ، وإما في أول سنة سبع ، وذلك أن انصراف رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة عام الحديبية كان في ذى الحجة من سنة ست من الهجرة ، وبين الوقت الذي وقتته ابن إسحاق لغزوة ذى قرد والوقت الذي روى عن سلمة بن الأكوع قريب من ستة أشهر . حدثنا حديث سلمة بن الأكوع الحسن بن يحيى ، قال : حدثنا أبو عامر العقدي ، قال : حدثنا عكرمة بن عمار اليمامي ، عن إياس بن سلمة ، عن أبيه ، قال : أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة - يعني بعد صلح الحديبية - فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهره^(٢) مع رباح غلام رسول الله ، وخرجت معه بفرس لطلحة بن عبيد الله . فلما أصبحنا إذا عبد الرحمن بن عبيدة قد أغار على ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستاقه أجمع ، وقتل راعيه . قلت : يا رباح ، خذ هذا الفرس وأبلغه طلحة . وأخبر رسول الله أن المشركين قد أغاروا على ستره . ثم فمت

١٥٠٣/١

(١) نذر : علم .

(٢) الظهر : الإبل تعد للركوب أو حمل الثقل .

على أكمة فاستقبلت المدينة، فنادت ثلاثة أصوات: يا صَبَاحاه ! ثم خرجت في آثار القوم أرميهم بالنَّبْل ، وأرتجز وأقول : « أنا^(١) ابن الأكوع ، واليوم يوم الرضع » .

قال : فوالله ما زلت أرميهم وأعقر بهم^(٢) ، فإذا رجع إلى فارس منهم أتيت شجرةً وقعدت في أصلها ، فرميتُ فَعقرت به ، وإذا تضايق الجبل فدخلوا في مُتَضايِق^(٣) علوت الجبل ، ثم أَرَدَ بهم بالحجارة ؛ فوالله ما زلت كذلك حتى ما خَلَقَ اللهُ بغيراً من ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا جعلته وراء ظهري ، وَخَلَّوْا بيني وبينه وحتى ألقوا أكثر من ثلاثين رُمْحاً وثلاثين بُرْدَةً^(٤) ، يستخفون^(٥) بها لا يُلْتَمُونَ^(٦) شيئاً إلا جعلت عليه آراماً^(٧) حتى يعرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، حتى إذا انتهوا إلى متضايق من ثنية^(٨) وإذا هم قد أتاهم عِيَيْنة بن حصن بن ١٥٠٤/١ بدر مُمِداً ، ففعدوا يَتَضَحَّوْنَ^(٩) ، وقعدت على قرن^(١٠) فوقهم ، فنظر

(١) كذا في صحيح مسلم ، وفي ط : « وأنا » .

(٢) في اللسان : « أصل العقر : ضرب قوائم البعير أو الشاة بالسيف وهو قائم . . . ومنه حديث ابن الأكوع « وما زلت أرميهم وأعقر بهم » ، أي أقتل مركوبهم ؛ يقال : عقرت به ؛ إذا قتلت مركوبه » .

(٣) صحيح مسلم : « فدخلوا في تضايقه » . والتضايق : ضد الاتساع .

(٤) صحيح مسلم : « ثم أتبعهم أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين بردة » .

(٥) يستخفون : أي يطلبون بإتقانها الخفة ؛ ليكونوا أقدر على الفرار .

(٦) صحيح مسلم : « لا يطرحون » .

(٧) الآرام : الأعلام .

(٨) الثنية : العقبة والطريق في الجبل ، وفي صحيح مسلم : « حتى أتوا متضايقا من

ثنية » .

(٩) في نهاية ابن الأثير : « بينما نحن نتضحى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ أي نتغدى ، والأصل فيه أن العرب كانوا يسرون في ظعنهم ، فإذا مروا ببغمة من الأرض فيها كلاً وعشب قال قائلهم : ألا ضحوا رويداً ! أي ارفقوا بالإبل حتى نتضحى أي نزال من هذا المرعى ، ثم وضعت التضحية مكان الرفق لتصل الإبل إلى المنزل وقد شبعت ، ثم اتسع فيه حتى قيل لكل من أكل في وقت الضحى : هو يتضحى ؛ أي يأكل في هذا الوقت ؛ كما يقال : يتغدى ويتعشى في الغداء والعشاء » .

(١٠) القرن : الجبل الصغير المنقطع عن الجبل الكبير ، وفي صحيح مسلم : « وجلست على رأس قرن » .

عِيَّيْنَةَ، فقال : ما الذى أرى^(١) ؟ قالوا : لقينا من هذا البرح^(٢) ، لا والله ما فارقنا هذا منذ غلَس ، برمينا حتى استنقذ^(٣) كل شيء فى أيدينا . قال : فليقسمْ إليهِ منكم أربعة . فعمد إلى أربعة^(٤) منهم . فلما أمكنوني من الكلام ، قلت : أتعرفونى ؟ قالوا : من أنت ؟ قلت : سلمة بن الأكوع ؛ والذى كرم وجهه محمد لا أطلبُ أحداً منكم إلا أدركته ، ولا يطلبني رجل منكم فيدركني . قال أحدهم : أنا^(٥) أظن ، قال : فرجعوا فما برحت مكاني ذاك حتى نظرت إلى فوارس رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخللون الشجر ؛ أولهم الأخرم الأسدي ، وعلى إثره أبو قتادة الأنصاري ، وعلى إثره المقداد بن الأسود الكندي ، فأخذت بعنان فرس الأخرم ، [فولتوا مدبرين]^(٦) ، فقلت : يا أخرم ؛ إن القوم قليل ، فاحذرهم لا يقتطعوك حتى يلحق بنا رسولُ الله وأصحابه . فقال : يا سلمة ، إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر ، وتعلم أن الجنة حق والنار حق ، فلا تحلُ بيني وبين الشهادة . قال : فحلبتُه ، فالتى هو وعبد الرحمن بن عيَّينة ، فعقر الأخرم بعبد الرحمن فرسه ، فطعنه عبدُ الرحمن فقتله ، وتحول عبد الرحمن على فرسه ، ولحق أبو قتادة عبد الرحمن فطعنه وقتله ، وعقر عبد الرحمن بأبي قتادة فرسه ، وتحول أبو قتادة على فرس الأخرم ؛ فانطلقوا هاربين . قال سلمة : فوالذى كرم وجهه محمد ، لتبعنهم أعدو على رجلى ؛ حتى ما أرى ورائي من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ولا غبارهم شيئاً .

قال : ويعدُّون قبل غروب الشمس إلى شِعْب فيه ماء يقال له ذو قرَد

(١) صحيح مسلم : « ما هذا الذى أرى ؟ » .

(٢) البرح : الشدة .

(٣) صحيح مسلم : « حتى انتزع » .

(٤) صحيح مسلم : « فصعد إلى أربعة منهم فى الجبل » .

(٥) ط : « إن » .

(٦) من صحيح مسلم .

يشربون منه وهم عطاش ؛ فنظروا إلى أعدو في آثارهم ؛ فَحَلَيْتُهُمْ^(١) ،
فما ذاقوا منه قطرة .

قال : وَيُسْتَدُونَ^(٢) في ثنية ذى أثير^(٣) ، ويعطف على واحد فأرشقه
بهم في نغض^(٤) كتفه ، فقلت :

خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضْعِ

فقال : أَكْوَعِي غُدْوَةَ^(٥) ! قلت : نعم يا عدو نفسه ؛^(٦) وإذا
فرسان على الثنية ، فجئت بهما أقودهما إلى رسول الله^(٧) . ونحيتني عامر عدي
بعد ما أظلمت بسطيحة^(٧) فيها مذقة من لبن . وسطيحة فيها ماء .
فتوضأت وصليت وشربت ، ثم جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
على الماء الذي حلبيتهم^(٨) عنه ، عند ذى قرد ، وإذا رسول الله قد أخذ تلك
الإبل التي استنقذت من العدو ، وكل رُمح . وكل بريدة ؛ وإذا بلال قد
نَحَرَ ناقة من الإبل التي استنقذت من العدو . فهو يشوي لرسول الله
صلى الله عليه وسلم من كبيدها وسنامها . فقلت : يا رسول الله . خلني
فلأنتخب^(٩) مائة رجل من القوم ، فأتبع القوم فلا يبقى^(١٠) منهم عين .
فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدا - - وقد بانث - نواجذُه .
[في ضوء النار]^(١١) . ثم قال : أَكُنْتَ فاعِلا ! فقلت : إِي وَالَّذِي أَكْرَمَكَ !

(١) فحليتهم ، أي طردتهم وأجليتهم .

(٢) أسدوا ، أي صدوا ، وفي صحيح مسلم : « ويخرجون فيشتدون في ثنية » .

(٣) كذا ذكر في ط ، ولم أجد هذا الموضع في ياقوت .

(٤) النغض : العظم الرقيق على طرف الكتف ؛ سمي بذلك لكثرة تحركه .

(٥) صحيح مسلم : « قال : يا ثكلته أمه ! أكوعه بكرة ! » .

(٦ - ٦) صحيح مسلم : « قال : وأردوا فرسين على ثنية ، قال : فجئت بهما أسوقهما إلى رسول

الله صلى الله عليه وسلم » .

(٧) السطيحة : إزاء من جلود ، سطح بعضها على بعض . وانذفة : قليل من لبن ممزوج بماء .

(٨) صحيح مسلم : « حلبيتهم » .

(٩) صحيح مسلم : « فانتخب » .

(١٠) صحيح مسلم : « فلا يبقى منهم مخبر إلا قتله » .

(١١) من صحيح مسلم .

فلما أصبحنا قال رسول الله إنهم ليُقرَّون^(١) بأرض غَطَفَان . قال ،
فجاء رجلٌ من غَطَفَان ، فقال : نحر لهم فلان جزورا ، فلما كشطوا^(٢)
عنها جلدها رأوا غُبَارًا ؛ فقالوا : أتيتم^(٣) ! فخرجوا هاربين ، فلما
أصبحنا قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : خيرُ فرساننا اليوم أبو قتادة ،
وخير رجالتنا سلمة بن الأكوع . ثم أعطاني رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وسَلَّمَ [سهمين]^(٤) سهم الفارس ، وسهم الراجل ؛ [فجمعهما لي
جمعياً]^(٥) ، ثم أردفني رسولُ الله وراءه على العَضْبَاء^(٥) ؛ [راجعين
إلى المدينة]^(٦) . فبينما نحن نسير ؛ وكان رجل من الأنصار لا يُسْبِقُ شِدًّا^(٦)
فجعل يقول : ألا من مسابق ! فقال ذلك مِرَارًا ؛ فلما سمعته قلتُ :
أما تُكْرَمُ كَرِيمًا ولا تهاب شريفًا ! فقال : لا ؛ إلا أن يكون رسول الله ،
فقلت : يا رسولَ الله ، بأبي أنت وأمي ! ائذَنْ لي^(٧) فلاُسبق الرجل ! قال :
إن شئت ، قال : فطفرت^(٨) فعدوتُ ، فربطتُ شرفًا أو شرفين فألحقت^(٨)
وأصكته بين كتفيه ، فقلت : سبقتك^(٩) والله ! فقال : إنني أظن^(١٠) ،
فسبقته إلى المدينة ، فلم نمكث بها إلا ثلاثًا حتى خرجنا إلى خيبر^(١١) .

١٥٠٧/١

• • •

- (١) يقرون : يضافون .
(٢) صحیح مسلم : « كشفوا جلدها » .
(٣) صحیح مسلم : « أناكم القوم » .
(٤) من صحیح مسلم .
(٥) العَضْبَاء : لقب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم .
(٦) شدًّا ، أى عدوا على الرجلين .
(٧) صحیح مسلم : « ذرفى » .
(٨ - ٨) صحیح مسلم : « فربطت عليه شرفاً أو شرفين أستبق لنفسي ، ثم عدوت في إثره ،
فربطت عليه شرفاً أو شرفين ؛ ثم إنني رفعت حتى ألحقت » . والشرف : ما ارتفع من الأرض ، ومعنى
ربطت ، حبست نفسي عن الجرى الشديد .
(٩) صحیح مسلم : « قد سبقت » .
(١٠) أى أظن ذلك ، وفى ط : « إن أظن » .
(١١) الخبر في صحیح مسلم ٣ : ١٤٣٣ - ١٤٤١ ؛ بسنده عن سلمة بن الأكوع ؛ مع
اختلاف في الرواية .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . ومع غلام لطلحة بن عبيد الله - يعني مع سلمة بن الأكوع - معه فرس له يقوده ، حتى إذا علا على ثنية الوداع نظر إلى بعض خيولهم ، فأشرف في ناحية سلتع ، ثم صرخ : واصبأحاه ! ثم خرج يشتد في آثار القوم - وكان مثل السبع - حتى لحق بالقوم ، فجعل يردُّهم بالنبيل ، ويقول إذا رمى : «خُذْهَا مِنِّي وَأَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ ، وَالْيَوْمَ يَوْمَ الرُّضْعِ» .

فإذا وُجِّهتُ الخيل نحوه ، انطلق هاربًا ، ثم عارضهم ؛ فإذا أمكنه الرمي رمى ، ثم قال :

خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ وَالْيَوْمَ يَوْمَ الرُّضْعِ (١)

قال : فيقول قائلهم : أويكعنا (٢) هو أول النهار .

قال : وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم صباح ابن الأكوع ؛ فصرخ بالمدينة : الفرع الفرع ! فتامت (٣) الخيول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فكان أول من انتهى إليه من الفرسان المقداد بن عمرو .

ثم كان أول فارس وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد المقباد من الأنصار ، عبَّاد بن بشر بن وقش بن زغبة بن زعورا ، أخو بني عبد الأشهل ، وسعد بن زيد ، أحد بني كعب بن عبد الأشهل ، وأسيد بن ظهير أخو بني حارثة بن الحارث - يشك فيه - وعكاشة بن محصن ، أخو بني أسد بن خزيمه ، ومحرز بن نضلة ، أخو بني أسد بن خزيمه ، وأبو قتادة الحارث بن ربیع ، أخو بني سلمة ، وأبو عيَّاش ؛ وهو عبَّيد بن زيد بن صامت ، أخو بني زريق .

فلما اجتمعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر عليهم سعد بن زيد .

ثم قال : اخرج في طلب القوم حتى ألحقك في الناس .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني عن رجال من بني زريق - لأبي عيَّاش : يا أبا عيَّاش ، لو أعطيت هذا الفرس رجلا هو أفرس منك فلحق بالقوم ! قال أبو عيَّاش : فقلت : يا رسول الله ، أنا

(١) الرضع : جمع راضع ، وهو اللثيم . (٢) كذا في ابن هشام ، وفي ط : « أكيما » .

(٣) ابن هشام : « فرامت » .

أفرس الناس ، ثم ضربت الفرس ، فوالله ما جرّى خمسين ذراعاً حتى طرحني ؛ فعجبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أو أعطيه أفرس منك ! وأقول : أنا أفرس الناس . فزعم رجال من بني زريق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى فرس أبي عيَّاش مُعَاذ بن ماعص - أو عائذ بن ماعص - ابن قيس بن خَلْدَةَ - وكان^(١) ثامناً - وبعض الناس يعدّ سلمة بن عمرو بن الأكوع أحدَ الثمانية ، ويطرحُ أسيد بن ظُهَيْر أخابني حارثة ، ولم يكن سلمة يومئذ فارساً ، وكان أول مَنْ لحق بالقوم على رجله ؛ فخرج الفرسانُ في طلب القوم ، حتى تلاحقوا^(٢) .

١٥٠٩/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : وحدّثني محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، أن أول فارسٍ لحقَ بالقوم مُحَرِّز بن نَضْلَةَ ، أخو بني أسد بن خزيمَةَ - ويقال لمحرز : الأخرم ، ويقال له : قمير - وأن الفرع لما كان ، جالَ فرسٌ لمحمود بن مسلمة في الحائط حين سمع صاهلة الخيل ، وكان فرساً صَنِيعاً^(٣) جاماً^(٤) ، فقال نساءٌ من نساء بني عبد الأشهل حين رأى الفرس يجول في الحائط بجذع من نخل هو مربوط به : يا قُمَيْر ، هل لك في أن تركبَ هذا الفرس - فإنه كما ترى - ثم تلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمسلمين ! قال : نعم ، فأعطنيه إياه . فخرج عليه ، فلم ينشَبْ أن يمدَّ الخيل بيجمامه^(٥) حتى أدرك القوم ، فوقف هم بين أيديهم ، ثم قال : قفوا معشر اللكيعة حتى يلحق بكم مَنْ وراءكم من أديباركم من المهاجرين والأنصار .

قال : وحَمَل عليه عليه رجلٌ منهم فقَتَله ، وجال الفرس فلم يقدرُوا عليه ؛

(١) كذا في ابن هشام ، وفي ط : « كان » ، بدون واو .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٣ ، ٢١٤ .

(٣) الفرس النصب : الذي يخدمه أهله ، ويقومون عليه .

(٤) يقال : حم الفرس ؛ إذا ترك ولم يركب .

(٥) الخمام كسحاب : الراحة ، والباء هنا للسبية .

حتى وقف على آريته^(١) في بني عبد الأشهل ، فلم يقتل من المسلمين غيره ، وكان اسم فرس محمود ذا اللمة^(٢) .

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن لا يتهم ، عن عبيد الله بن كعب بن مالك الأنصاري ، أن محرزاً إنما كان على فرس لعكاشة بن محصن يقال له^(٣) الجناح ، فقتل محرز ، واستئلب الجناح . ولما تلاحت الحيول قتلت أبو قتادة الحارث بن ربیع أخو بني سلمة ، حبيب بن عينة بن حصن ، وغشاه ببردته ، ثم نحق بالناس ، وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، فإذا حبيب مسجى^(٤) ببرة أبي قتادة ، فاسترجع^(٥) الناس ، وقالوا : قتيل أبو قتادة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس بأبي قتادة ، ولكنه قتيل لأبي قتادة ، وضع عليه برده ، لتعرفوا أنه صاحبه . وأدرك عكاشة ابن محصن أو باراً وابنه عمرو بن أو بار على بعير واحد ، فانتظهما بالرمح فقتلها جميعاً ، واستنقذوا بعض اللقاح . وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بالجبل من ذي قرد . وتلاحق به الناس . فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقام عليه يوماً وليلة . فقال له سلمة بن الأكوع : يا رسول الله ، لو سرحتني في مائة رجل لاستنقذت بقيمة السرح ، وأخذت بأعناق القوم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فيما بلغني : إنهم الآن ليغيبون^(٦) في غطفان .

وقسم^(٧) رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه في كل مائة جزوراً ،

(١) الآري : الحبل الذي تشد به الدابة ، وقد يسمى الموضع الذي تقف فيه الدابة آرياً أيضاً .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٣-٢١٤ .

(٣) س : « لها » .

(٤) مسجى : منطى .

(٥) استرجع الناس : قالوا : إن الله وإنا إليه راجعون .

(٦) يغيبون : يشربون اللبن وقت العشي .

(٧) ابن هشام : « قسم » .

فأقاموا عليها ، ثم رجع رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قافلاً سى قدم المدينة^(١) .

فأقام بها بعضُ جُمَادَى الآخِرَةِ وَرَجَبَ . ثم غزا بِلْمِصْطَلِقٍ من خُرَازْمِةٍ في شعبان سنة ست .

• • •

ذِكْرُ غَزْوَةِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ

١٥١١/١

حدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَامِعَةُ بِنْتُ الْفَضْلِ وَعَلِيُّ بْنُ مَجَاهِدٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ ، وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ . وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ حَبِيبَانَ . قَالَ : كُلُّ قَدْ حَدَّثَنِي بَعْضُ حَدِيثِ بَنِي الْمُصْطَلِقِ ، قَالُوا : بَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ بِلْمِصْطَلِقٍ^(٢) يَجْتَمِعُونَ لَهُ ، وَقَائِدُهُمُ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي ضِرَارٍ ؛ أَبُو جُوَيْرِيَةَ بِنْتُ الْحَارِثِ ، زَوْجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا سَمِعَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ إِلَيْهِمْ حَتَّى لَقِيَهُمْ عَلَى مَاءٍ^(٣) مِنْ مِيَاهِهِمْ ، يُقَالُ لَهُ : الْمُرَيْسِيعُ ، مِنْ نَاحِيَةِ قُدَيْدٍ إِلَى السَّاحِلِ ، فَتَرَاخَفَ النَّاسُ وَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، فَهَزَمَ اللَّهُ بَنِي الْمُصْطَلِقِ . وَقُتِلَ مَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ ، وَنَمَلَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ؛ فَأَفَاءَهُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ .

وقد أصيب رجلٌ من المسلمين من بني كلب بن عوف بن عامر بن إيث ابن بكر ، يقال له هشام بن صُبَابَةَ ، أصابه رجل من الأنصار من رهط عبادة ابن الصّامت ، وهو يرى أنه من العدو ، فقتله خطأ .

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٤ .
 (٢) ابن هشام : « بني المصطلق » .
 (٣) ابن هشام : « على ماء لهم » .
 (٤) س : « وأصيب » .

فبينما الناس على ذلك الماء وردت واردة الناس ، ومع عمر بن الخطاب أجيراً له من بني غفار يقال له جهنجاه بن سعيد^(١) ، يقود له فرسه ، فزدهم جهنجاه وسنان الجهني^(٢) حليف بني عوف بن الخزرج على الماء ، ١٥١٢/١ فاقنتلا ، فصرخ الجهني : يا معشر الأنصار ، وصرخ جهنجاه : يا معشر المهاجرين^(٣) ، فغضب عبد الله بن أبي بن سلول ، وعنده رهط من قومه^(٤) ، فيهم زيد بن أرقم غلام حديث السن ، فقال : أقدم^(٥) فعلوها ! قد نافرنا وكاثرونا في بلادنا ، والله ما عدونا^(٦) وجلايب^(٧) قريش ما قال القائل : « سَمَنْ كَلْبِكَ يَا كُلكَ » ؛ أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجن الأعرزُ منها الأذل ! ثم أقبل على من حضره من قومه ، فقال : هذا ما فعلتم بأنفسكم ! أحللتُمهم بلادكم ، وقاسمتُمهم أموالكم ! أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير بلادكم .

فسمع ذلك زيد بن أرقم ، فمشى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك عند فراغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوه . فأخبره الخبر

(١) ابن هشام : « جهجاه بن مسعود » . وفي الإصابة ١ : ٢٥٤ : « جهجاه بن سعيد ، وقيل : ابن قيس ، وقيل ابن مسعود الفغاري ؛ شهد بيعة الرضوان بالحدبية . . . » وذكر خبره في غزاة بني المصطلق .

(٢) في ابن هشام : « وسنان بن وبر الجهني » . وقال السهيلي : « وقال غيره : هو سنان ابن تميم - من جهينة - بن سود بن أسلم ، حليف الأنصار » .

(٣) قال السهيلي : « ولم يذكر ما قال النبي صلى الله عليه وسلم حين سمعها ؛ وفي الصحيح أنه عليه السلام قال : دعوها فإنها منتنة . يعنى أنها كلمة خبيثة ؛ لأنها من دعوى الجاهلية . وجعل الله المؤمنين إخوة وحزباً ؛ فإنما ينبغي أن تكون الدعوة للمسلمين ؛ فمن دعا في بدعى الجاهلية فيتوجه للفقهاء فيه ثلاثة أقوال : أحدها أن يجلد من استجاب له خمسين سوطاً ؛ اقتداءً بأبي موسى الأشعري في جلده النابغة الجعدي خمسين سوطاً ؛ حين سمع : « يا لعامر الإسلام ! » فأقبل يشتم بعصبة . والثاني أن فيها الجلد دون العشر لئيه عليه السلام أن يجلد أحد قومه العشرة إلا في حد . والقول الثالث اجتهاد الإمام في ذلك على حسب ما يراه من صد الذريعة وإغلاق باب الشر ، إما بالوعيد ، وإما بالسجن ، وإما بالجلد » .

(٤) س : « قومهم » .

(٥) ابن هشام : « أوقد » .

(٦) ابن هشام : « ما أعدنا » .

(٧) جلايب قريش ؛ كان المشركون يلقبون من يسلم من قريش بذلك . وأصل الجلايب

الأزر الفلاظ ؛ وكانوا يلتحفون بها ؛ فلقبهم بذلك .

وعنده عمر بن الخطاب ، فقال : يا رسول الله مرُّ به عَبَّاد بن بشر بن وقش فليقتله ، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فكيف يا عُمَرُ إذا تحدَّث الناس : أن محمداً يقتل أصحابه ! لا ، ولكن أذن بالرحيل - وذلك في ساعة لم يكن رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرتحل فيها - فارتحل الناس ، وقد مشى عبد الله بن أبي بن سؤل إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلغه ما سمع منه . فحلف بالله : ما قلت ما قال ، ولا تكلمت به - وكان عبدُ الله بن أبي في قومه شريفاً عظيماً - فقال مَنْ حضر رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أصحابه من الأنصار : يا رسولَ الله ، عسى أن يكون الغلام أوهم ^(١) في حديثه ولم يحفظ ما قال الرجل ! حدِّباً ^(٢) على عبد الله بن أبي ودفعاً عنه .

١٥١٣/١

فلما استقلَّ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسار ، لقيه أسيد بن حضير ، فحياه تَحِيَّةَ النبوَّة ، وسلم عليه ، ثم قال : يا رسولَ الله ، لقد رُحِتَ في ساعة منكِّرة ما كنت تروح فيها ! فقال له رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أو ما بلغك ^(٣) ما قال صاحبكم ! قال : وأىُّ صاحب يا رسولَ الله ! قال : عبد الله بن أبي ، قال : وما قال ؟ قال : زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعرضُ منها الأذلَّ ، قال أسيد : فأنت والله يا رسولَ الله تخرجه إن شئت ، هو والله الذليل وأنت العزيز ! ثم قال : يا رسولَ الله ، ارفقْ به فوالله لقد جاء الله بك ، وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه ؛ فإنه ليرى ^(٤) أنك قد استلبته ملكاً ^(٥) .

ثم متن ^(٦) رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالناس يومهم ذلك حتى أمسى ، وليلتهم حتى أصبح ، وصدرَ يومهم ذلك حتى آذنتهم الشمس .

(١) يقال : وهم في كذا ، إذا أسقط وأخطأ ، ومثله « أوهم » .

(٢) التفسير : « حدراً » .

(٣) التفسير : « أما » .

(٤) و : « يرى » .

(٥) س : « سلبته ملكه » .

(٦) و : « سار » . ابن هشام والتفسير : « مشى » . ومن ، أي سار بهم حتى أضعف

إبلهم ؛ يقال : متن بالإبل ؛ إذا أتبعها حتى أضعف .

ثم نزل بالناس ؛ فلم يكن إلا أن وجدوا مسس الأرض وقعوا نياما ؛ وإنما فعمل ذلك [رسول الله صلى الله عليه وسلم]^(١) ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس من حديث عبد الله بن أبي .

ثم راح بالناس ، وسلك الحجاز حتى نزل على ماء بالحجاز فويثق النقيع^(٢) . يقال له نقعاء ، فلما راح رسول الله صلى الله عليه وسلم هبت على الناس ريح شديدة آذتهم . وتخوفوها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تخافوا^(٣) ، وإنما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار ، فلما قدموا المدينة وجدوا رفاة بن زيد بن التائب ، أحد بني قينقاع — وكان من عظماء يهود . وكهفنا للمنافقين — قد مات في ذلك اليوم .

ونزلت السورة التي ذكر الله فيها المنافقين في عبد الله بن أبي بن سلول ومن كان [معه]^(٤) على مثل أمره ، فقال : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ ﴾ ، فلما نزلت هذه السورة أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأذن زيد بن أرقم فقال : هذا الذي أوفى الله بأذنه .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا يحيى بن آدم ، قال : حدثنا إسرائيل . عن أبي إسحاق ، عن زيد بن أرقم ، قال : خرجت مع عمي في غزاة ، فسمعت عبد الله بن أبي بن سلول يقول لأصحابه : ﴿ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﴾ والله ، ﴿ لَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ﴾^(٥) ، فذكرت ذلك لعمي ، فذكره عمي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل إلى

(١) من ابن هشام .

(٢) كذا في ط والتفسير ، بالنون ، وفي رواية ابن إسحاق بالياء ؛ وهما قولان ذكرهما ياقوت

في معجم البلدان ٨ : ٣٠٩ ، ٣١٢ ، ٣١٣ .

(٣) س : « لا تخافوهما » .

(٤) من التفسير .

(٥) سورة المنافقين ٧ : ٨ .

فحدثته ، فأرسل إلى عبدالله وأصحابه ، فحلفوا ما قالوا ؛ قال : فكذبني رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدقه ، فأصابني همٌّ لم يصبني مثله قط ، فجلست^(١) في البيت ، فقال لي عمي : ما أردت إلى^(٢) أن كذبتك رسول الله ومقتك ! قال : حتى أنزل الله عز وجل : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ ﴾ ، قال : فبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها ، ثم قال : إن الله صدقك^(٣) يا زيد^(٤) .

• • •

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبي الذي كان من أمر أبيه . فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ؛ أن عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله . إنه قد بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي - فيما بلغك عنه - فإن كنت فاعلا فرتني به ، فأنا أحمل إليك رأسه ؛ فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بهارجل أبر بوالده مني ؛ وإنني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله ، فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس فأقتله ؛ فأقتل مؤمنا بكافر فأدخل النار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل نرفق به ، ونحسين صحبتته ما بقي معنا . وجعل بعد ذلك إذا أحدثت الحديث ، كان قومه هم الذين يعاتونه ويأخذونه ، ويعنفونه ويتوعدون ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك عنهم من شأنهم : كيف ترى يا عمر ! أما والله لو قتلته يوم أمرتني بقتله ، لأرعدت له آنف لو امرتها اليوم

(١) التفسير : « فدخلت » .

(٢) س : « إلا » .

(٣) س : « صدقت يا زيد » .

(٤) الخبر في التفسير ٢٨ : ٧٠ ، ٧١ (بولاق) .

بقتله لقتلته. قال : فقال عمر : قد والله علمت ، لأمر رسول الله أعظم بركة من أمرى . (١)

قال : وقد مقيس بن صُبابَة من مكة مسلماً فيما يُظهر ، فقال : يا رسول الله ، جئتك مسلماً وجئت أطلب دية أخي قتل خطأ . فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بديّة أخيه هشام بن صُبابَة ، فأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم غير كثير ، ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ، ثم خرج إلى مكة مرتدّاً ، فقال في شعر :

شَقَى النَّفْسَ أَنْ قَدَّباتَ بِالْقَاعِ مُسْنَدًا تُضَرِّجُ ثَوْبِيهِ دِمَاءَ الْأَخَادِعِ (٢)
وَكَانَتْ هُمُومُ النَّفْسِ مِنْ قَبْلِ قَتْلِهِ تَلِمُ ، فَتَحْمِينِي وَطَاءَ الْمُضَاجِعِ (٣)
حَلَّتْ بِهِ وَتَرِي ، وَأَدْرَكَتُ نُورَتِي وَكُنْتُ إِلَى الْأَوْثَانِ أَوَّلَ رَاجِعِ (٤)
تَأْرَتْ بِهِ فَهْرًا وَحَمَلَتْ عَقْلَهُ سَرَاةَ بَنِي النَّجَارِ أَرْبَابَ فَارِعِ (٥)

وقال مقيس بن صُبابَة أيضاً :

جَلَّتْهُ ضَرْبَةٌ بَاءَتْ ، لَهَا وَشَلٌ مِنْ نَاقِعِ الْجَوْفِ يَمْلُوهُ وَيَنْصَرِمِ (٦)
فَقَلْتُ وَالْمَوْتُ تَغْشَاهُ أَسِرَّتُهُ لَا تَأْمَنَنَّ بَنِي بَكْرِ إِذَا ظَلِمُوا (٧)

وأصيب من بني المصطلق يومئذ ناسٌ كثيرٌ ، وقتل عليُّ بن أبي طالب منهم رجلين : مالكا وابنه ، وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم

(١) التفسير ٢٨ : ٧٥ ، ٧٦ (بولاق) ، وابن هشام ٢ : ٢١٧ ، ٢١٨ .

(٢) القاع : المنخفض من الأرض . وتضرج : تلتخ . والأخادع : عروق القفا ؛ وإنما هما أخدعان ؛ فجمعهما مع يليهما .

(٣) تلم : تحل بي . وتحميني : تمنعني . ووطاء المضاجع : ليناتها .

(٤) الوتر : طلب النار . والثورة : النار .

(٥) ط : « تأرت به قهراً !! » ، وما أثبتته من ابن هشام . العقيل : الدية . وسراة بني النجار : خيارهم . وفارع : حصن لهم .

(٦) جلته ضربة : علوته بها . وباءت : أخذت بالنار : يقال ؛ بؤت بفلان ؛ إذ أخذت بشأره . والشل : القطر ، ويريد بنافع الجوف الدم . ينصرم : ينقطع .

(٧) الأسرة : التكسر الذي يكون في جلد الوجه والجهة .

سبباً كثيراً ، ففشا قَسْمُهُ في المسلمين ؛ ومنهم جُوَيْرِيَّة بنت الحارث بن أبي ضرار زوج النبي صلى الله عليه وسلم ^(١) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عُرْوَةَ ، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت : لما قَسَمَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سبايا بني المصطلق ، وقعت جُوَيْرِيَّة بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس ابن الشماس - أو لابن عمِّ له - فكاتبته على نفسها - وكانت امرأة حُلْوَةَ مَلَاة ^(٢) ، لا يراها أحدٌ إلا أخذت بنفسه - فأتت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم تستعينه على كتابتها ، قالت : فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حُجْرَتِي كرهتها ، وعرفت أنه سيرتني منها مثل ما رأيت ، فدخلت عليه ، فقالت : يا رسول الله ، أنا جويرة بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قوم ، وقد أصابني من البلاء ما لم يتخفَ عليك ؛ ف وقعت في السهم لثابت بن قيس بن الشماس - أو لابن عمِّ له - فكاتبته على نفسي ، فجتتك أستعينك على كتابتي ، فقال لها : فهل لك في خير من ذلك ؟ قالت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : أفضى كتابتك وأتزوجك ، قالت : نعم يا رسول الله ، قال : قد فعلت ، قالت : وخرج الخبر إلى الناس أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج جويرة بنت الحارث ، فقال الناس : أصهارُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسلوا ما بأيديهم .

فالت : فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق ، فما أعلم امرأةً كانت أعظمَ بركة على قومها منها ^(٣) .

• • •

حديث الإفك

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ،

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٨ .

(٢) الملاحه : الشديدة الملاحه .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٨ ، ٢١٩ .

قال : وأقبل رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من سفره ذلك - كما حدثني أبي إسحاق ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة - حتى إذا كان قريباً من المدينة - وكانت [معه]^(١) عائشة في سفره ذلك - قال أهل الإفك فيها ما قالوا^(٢) .

١٥١٨/١

حدثنا ابنُ حميد قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن علقمة بن وقاص الليثي وعن سعيد بن المسيب^(٣) ، وعن عروة بن الزبير وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة [بن مسعود]^(٤) قال الزهري : كلُّ قد حدثني بعض هذا الحديث ، وبعضُ القوم كان أوعى له من بعض . قال : وقد جمعت لك كل الذي حدثني القوم .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة . قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عائشة : قال : وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري . عن عمرة بنت عبد الرحمن ، عن عائشة : قال : وكلُّ قد اجتمع حديثه في خبر قصة عائشة عن نفسها حين قال أهل الإفك فيها ما قالوا . فكلُّ قد دخل في حديثها عن هؤلاء جميعاً ، ويحدث بعضهم ما لم يحدث بعضٌ . وكلُّ كان عنها ثقة . وكلُّ قد حدث عنها^(٥) بما سمع .

١٥١٩/١

قالت عائشة : كان رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا أراد سفرًا أقرع بين نسائه . فأبتهنَّ خرج سهمها خرج بها معه ؛ فلما كانت غزوة بني المصطلق . أقرع بين نسائه كما كان يصنع ؛ فخرج سهمي عليهن ، فخرج بي رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قالت : وكان النساء إذ ذاك إنما يأكلن العلق^(٦) لم يسهجن^(٦) اللحم فيثقلن . قالت : وكنت إذا رحلت بعيري جلست في هودجتي . ثم يأتي القوم الذين يرحلون هودجتي في بعيري ،

(١) من سيرة ابن هشام . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٠ .

(٣) ابن هشام : « سعيد بن جبير » . (٤) من التفسير .

(٥) العلق : بضم ففتح ؛ وهي ما فيه بلغة من الطعام إلى وقت الغداء .

(٦) التهييج . كالورم في الجسم ؛ قد يكون من سمن وقد يكون من آفه

ويحملوني فيأخذون بأسفل الهودج ، فيرفعونه فيضعونه على ظهر البعير ، فيشدونه بحباله ، ثم يأخذون برأس البعير ، فينطلقون به . قالت : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك ، وجّه قافلاً ، حتى إذا كان قريباً من المدينة نزل منزلاً ، فبات فيه بعض الليل ، ثم أذن في الناس بالرحيل ، فلما ارتحل الناس خرجت لبعض حاجتي وفي عنق عقدة لي فيه جزع^(١) ظفار ، فلما فرغت انسلت من عنق ولا أدري . فلما رجعت إلى الرّحيل ذهبت ألتسه في عنق فلم أجده . وقد أخذ الناس في الرحيل . قالت : فرجعت عودى على بدئى إلى المكان الذى ذهبت إليه ، فالتسته حتى وجدته ، وجاء خلافي القوم الذين كانوا يرجلون لي البعير ، وقد فرغوا من رحلته ، فأخذوا الهودج ، وهم يظنون أنى فيه كما كنت أصنع ، فاحتملوه ، فشدوه على البعير ، ولم يشكروا أنى فيه . ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا به ، ورجعت إلى العسكر وما فيه داع ولا مجيب ، قد انطلق الناس . قالت : فتلفت بجلبابى ثم اضطجعت في مكانى الذى ذهبت إليه ، وعرفت أن لو قد افتقدوني قد رجعوا إلى . قالت : فوالله إنى لمضطجعة ، إذ مرّ بي صفوان بن المعطل السلمي^(٢) ، وقد كان تخلف عن العسكر لبعض حاجته ، فلم يبت مع الناس في العسكر ، فلما رأى سوادى أقبل حتى وقف على فعرّفتى - وقد كان يرانى قبل أن يضرب علينا الحجاب . فلما رآنى قال : إنّا لله وإنّا إليه راجعون ! أظعينة رسول الله ! وأنا متلففة في ثيابى . قال : ما خاتمتك رحمك الله ؟ قالت : فما كلمته ، ثم قرّب البعير فقال : اركبى رحمك الله ! واستأخر عنى . قالت : فركبت وجاء فأخذ برأس البعير ، فانطلق بي سريعاً يطلب الناس ، فوالله ما أدركنا الناس ، وما افتقدت حتى أصبحت ، ونزل الناس ، فلما اطمأنوا طلع الرجل يقودنى ، فقال أهل الإفك فيّ ما قالوا . فارتج^(٣)

١٥٢٠/١

(١) الجزع : الحرز . وظفار : مدينة باليمن قرب صنعاء ؛ ينسب إليها الجزع الظفارى .

(٢) قال السهيلي : « يكفى أبا عمرو ؛ وكان يكون على ساقه العسكر ، يلتقط ما يسقط

من متاع المسلمين حتى يأتيهم به ، ولذلك تحلف في هذا الحديث الذى قال فيه أهل الإفك ما قالوا .

وقد روى في تحلفه سب آخر ؛ وهو أنه كان ثقيل النوم لا يستيقظ حتى يرحل الناس .

(٣) ابن هشام : « ارتج العسكر » ، أى تحرك واضطرب .

العسكر ، ووالله ما أعلم بشيء من ذلك . ثم قدمنا المدينة ، فلم أمكث^(١) أن اشتكيت شكوى شديدة ، ولا يبلغني شيء من ذلك ؛ وقد انتهى الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أبوتى ، ولا يذكران لى من ذلك قليلاً ولا كثيراً^(٢) ، إلا أنى قد أنكرت من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض لطفه بى ؛ كنت إذا اشتكيت رحمى ولطف بى ؛ فلم يفعل ذلك فى ١/١٦٢١ شكواى^(٣) تلك ، فأنكرت منه ، وكان إذا دخل على أُمى تمرّضنى ، قال : كيف تبيكم ؟ لا يزيد على ذلك . قالت : حتى وجدت فى نفسى ممّا رأيت من جفائه عنى ، فقلت له : يا رسول الله ، لو أذنت لى فانتقلت إلى أُمى فمرّضتنى ! قال : لا علميك ! قالت : فانتقلت إلى أُمى ، ولا أعلم بشيء ممّا كان ، حتى نقيت من وجعى بعد بضع وعشرين ليلة . قالت : وكنا قومًا عربًا لا نتخذ فى بيوتنا هذه الكُنُف التى تتخذها الأعاجم ، نعافها ونكرها ؛ إنّما كنا نخرج فى فسح المدينة ؛ وإنّما كان النساء يخرجن كل ليلة فى حوائجهن ؛ فخرجت ليلة لبعض حاجتى ، ومعى أمّ مسطح بنت أبنى رهم بن المطّاب بن عبد مناف ، وكانت أمّها بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم ، خالة أبى بكر . قالت : فوالله إنّها لتمشى معى ، إذ عثرت فى مرطبيها^(٤) ، فقالت : تعيس مسطح^(٥) ! قالت : قلت : بشى لعمر الله ما قلت لرجل من المهاجرين قد شهد بدرًا ! قالت : أو ما بلغك الخبر يا بنت أبى بكر ! قالت : قلت : وما الخبر ؟ فأخبرتني بالذى كان من قول أهل الإفك . قالت : قلت وقد كان هذا ! قالت : نعم والله لقد كان . قالت : فوالله ما قدرت على أن أقضى حاجتى ، ورجعت فما زلت أبكى حتى ظننت أن البكاء سيصدع^(٦) كبدى . قالت : وقلت لأُمى :

(١) ابن هشام : « ألبث » .

(٢) و : « لا يذكر لى منه قليل ولا كثير » .

(٣) و : « شكائى » .

(٤) المرط : الكساء .

(٥) قال ابن هشام : « مسطح لقب ، واسم دعوف » .

(٦) سيصدع : سيثق .

يغفر الله لك ! تحدث الناس بما تحدثوا به وبلغك ما بلغك ؛ ولا تذكرين لي من ذلك شيئاً ! قالت : أى بُنيَّة خفِضِي الشأن (١) ؛ فوالله قلَّما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبُّها لها ضرائر إلا كثرن وكثر الناس عليها .

قالت : وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس يخطبهم (٢) ولا أعلم بذلك . ثم قال : أيتها الناس ، ما بال رجال يؤذونني في أهلي ، ويقولون عليهن غير الحق ! والله ما علمتُ منهن (٣) إلا خيراً ، ويقولون ذلك لرجل والله ما علمتُ منه إلا خيراً ! وما دخل (٤) بيتاً من بيوتى إلا وهو معي . قالت : وكان كُبيراً (٥) ذلك عند عبد الله بن أبي بن سلول في رجال من الخزرج ؛ مع الذي قال مسطح وحمنة بنت جحش - وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، [ولم تكن من نسائه امرأة تناصيني في المنزلة عنده غيرها ، فأما زينب فعصمها الله ، وأما حمنة بنت جحش] (٦) ، فأشاعت من ذلك ما أشاعت ، تضارتي (٧) لأختها زينب بنت جحش - فشقيتُ بذلك . فلما قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة ، قال أسيد بن حضير أخو بني عبد الأشهل : يا رسول الله ، إن يكونوا من الأوس نكفككتهم ، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج فرنا بأمرك ؛ فوالله إنهم لأهل أن تضرب (٨) أعناقهم . قالت : فقام سعد بن عباد - وكان قبل ذلك يرى رجلاً صالحاً - فقال : كذبت لعمر الله لا تضرب أعناقهم ! أما والله ما قلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج ، ولو كانوا من قومك ما قلت هذا ! قال أسيد : كذبت لعمر الله ! ولكنك منافق تجادل عن

(١) خفِضِي الشأن : هوديه عليك .

(٢) و : « فخطبهم » .

(٣) س : « عليهن » .

(٤) و : « ولا دخل » .

(٥) الكبير . بالنعم والكسر : الإثم ومعظم الشيء .

(٦) من سيرة ابن هشام .

(٧) ابن هشام : تضادني .

(٨) و : « تضرب » .

المنافقين ! قالت : وتناوره^(١) النَّاسَ حَتَّى كَادَ أَنْ يَكُونَ بَيْنَ هَذَيْنِ الْحَيِّينَ مِنَ الْأَوْسِ وَالخَزْرَجِ شَرًّا ، وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَدَخَلَ عَلَيَّ ، قَالَتْ : فَدَعَا عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ ؛ فَاسْتَشَارَهُمَا ، فَأَمَّا أُسَامَةُ فَأَنْبَى خَيْرًا وَقَالَ^(٢) ، ثُمَّ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَهْلُكَ ، وَلَا نَعْلَمُ عَلَيْهِنَّ إِلَّا خَيْرًا ؛ وَهَذَا الْكُذْبُ وَالْبَاطِلُ . وَأَمَّا عَلِيٌّ فَإِنَّهُ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ إِنَّ النِّسَاءَ لَكَثِيرٌ ؛ وَإِنَّكَ لِقَادِرٌ عَلَيَّ أَنْ تَسْتَخْلِفَ ؛ وَسِيلَ الْجَارِيَةِ فَإِنَّهَا تَصْدُقُكَ . فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرَبْرِيَّةَ يَسْأَلُهَا . قَالَتْ : فَقَامَ إِلَيْهَا عَلِيٌّ فَضَرَبَهَا ضَرْبًا شَدِيدًا^(٣) ؛ وَهُوَ يَقُولُ : اصْدُقِي رَسُولَ اللَّهِ ؛ قَالَتْ : فَتَقُولُ : وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا ، وَمَا كُنْتُ أُعِيبُ^(٤) عَلَيَّ عَائِشَةَ ؛ إِلَّا أَنِّي كُنْتُ أُعْجِبُ عَجِيبِي^(٥) فَأَمَرَهَا أَنْ تَحْفَظَهُ^(٦) فَتَنَامَ عَنْهُ ، فَيَأْتِي الدَّاجِنَ فَيَأْكُلُهُ^(٧) .

ثُمَّ دَخَلَ عَلِيٌّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدِي أَبُو آيٍ ، وَعِنْدِي امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ؛ وَأَنَا أَبْكِي وَهِيَ تَبْكِي مَعِي ؛ فَجَلَسَ فَحَمِيدَ اللَّهِ وَأَنْبَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا عَائِشَةُ ؛ إِنَّهُ قَدْ كَانَ مَا بَلَغَكَ مِنْ قَوْلِ النَّاسِ ، فَاتَّقِي اللَّهَ ؛ وَإِنْ كُنْتَ قَارِفَتِ سُوءًا^(٨) مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ فَتَوَبِي إِلَى اللَّهِ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ؛ قَالَتْ : فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ قَالَ ذَلِكَ ، تَقَلَّصَ^(٩) دَمْعِي ؛ حَتَّى مَا أَحْسَسُ مِنْهُ شَيْئًا ، وَانْتَضَرْتُ أَبُو آيٍ أَنْ يَجِيئَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَتَكَلَّمَا . قَالَتْ : وَابِسْمُ اللَّهِ لَأَنَا كُنْتُ أَحْقَرُ فِي نَفْسِي وَأَصْغَرُ شَأْنًا مِنْ أَنْ يَنْزَلَ اللَّهُ عِزًّا وَجَلًّا فِي قُرْآنًا يَقْرَأُ بِهِ فِي الْمَسَاجِدِ ،

(١) س : « وتنافر » . وفي ابن هشام : « وتناور الناس » ، أي قام بعضهم إلى بعض .

(٢) س : « وقال خيراً » .

(٣) قال السهيلي : « وأما ضرب علي للجارية وهي حرة ، ولم تستوجب ضرباً ، ولا استأذن رسول الله في ضربها ؛ فأرى معناه أنه أغلظ لها بالقول ، وتوعدها بالضرب ، واتهمها أن تكون خانت الله ورسوله ، فكتمت من الحديث ما لا يسعها كتبه » .

(٤) س : « أعتب » .

(٥) و : « عجبني » .

(٦) س : « بحفظه » .

(٧) ابن هشام : « فتأني الشاة فتأكله » .

(٨) قارفت سوءاً : دخلت فيه .

(٩) ابن هشام : « فقلص » ، وقلص وتقلص : ارتفع .

ووصلتني به ، ولكنني قد كنت أرجو أن يرى رسول الله في نومه شيئاً يكذب الله به عني ، لما يعلم من براءتي ، أو يخبر خيراً ؛ فأما قرآنٌ ينزل في ، فوالله لَنَفْسِي كَانَتْ أَحَقُّرَ عِنْدِي مِنْ ذَلِكَ . قَالَتْ : فَلَمَّا لَمْ أَرَ أَبَوِي يَتَكَلَّمَانِ . قَالَتْ : قُلْتُ أَلَا تَجِيبَانِ رَسُولَ اللَّهِ ! قَالَتْ : فَقَالَا لِي : وَاللَّهِ مَا نَدْرِي بِمَاذَا نَجِيبُهُ ! قَالَتْ : وَابِمُ اللَّهِ مَا أَعْلَمُ أَهْلَ بَيْتٍ دَخَلَ عَلَيْهِمْ مَا دَخَلَ عَلَى آلِ أَبِي بَكْرٍ (١) فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ ! قَالَتْ : فَلَمَّا اسْتَعْجَمَا عَلَيَّ اسْتَعْبَرْتُ فَبَكَيْتُ ثُمَّ قُلْتُ : وَاللَّهِ لَا أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مِمَّا ذَكَرْتُ أَبَدًا ، وَاللَّهِ لئن أَقْرَرْتُ بِمَا يَقُولُ النَّاسُ - وَاللَّهِ يَعْلَمُ أَنِّي مِنْهُ بَرِيئَةٌ - لَتَصَدَّقَنِي ؛ لِأَقُولَنَّ مَا لَمْ يَكُنْ ، وَلئن أَنَا أَنْكَرْتُ مَا تَقُولُونَ لَا تَصَدَّقُونِي . قَالَتْ : ثُمَّ التَّمَسْتُ اسْمَ يَعْقُوبَ فَمَا أَذْكَرُهُ ؛ وَلَكِنِّي أَقُولُ كَمَا قَالَ أَبُو يُوسُفَ : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ .

قَالَتْ : فَوَاللَّهِ مَا بَرِحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَجْلِسَهُ حَتَّى تَغْشَاهُ مِنْ اللَّهِ مَا كَانَ يَتَغَشَّاهُ ، فَسُجِّيَ بِثُوبِهِ ، وَوَضَعَتْ وَسَادَةً مِنْ أَدَمَ تَحْتَ رَأْسِهِ ؛ فَأَمَّا أَنَا حِينَ رَأَيْتُ مِنْ ذَلِكَ مَا رَأَيْتُ ؛ فَوَاللَّهِ مَا فَزَعَتْ كَثِيرًا وَلَا بِالْبَيْتِ ؛ قَدْ عَرَفْتُ أَنِّي بِرَيْئَةٌ ، وَأَنَّ اللَّهَ غَيْرَ ظَالِمِي . وَأَمَّا أَبَوَايَ ؛ فَوَالَّذِي نَفْسُ عَائِشَةَ بِيَدِهِ ، مَا سُرِّيَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى ظَنَنْتُ لَتُخْرِجَنِي أَنْفُسُهُمَا فَرَقًا أَنْ يَأْتِيَ مِنَ اللَّهِ تَحْقِيقُ مَا قَالَ النَّاسُ . قَالَتْ : ثُمَّ سُرِّيَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَجَلَسَ وَإِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ فِي يَوْمِ شَاتٍ . فَجَعَلَ يَمْسَحُ الْعَرَقَ عَنْ جَبِينِهِ ، وَيَقُولُ : أَبْشِرِي يَا عَائِشَةُ ، فَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ بَرَاءَتَكَ ، قَالَتْ : فَقُلْتُ : بِحَمْدِ اللَّهِ وَذِمَّتِكُمْ . ثُمَّ خَرَجَ إِلَى النَّاسِ فَخَفِضَهُمْ . وَتَلَا عَلَيْهِمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْقُرْآنِ فِيهِ . ثُمَّ أَمَرَ بِمَسْطَحِ بْنِ أَثَاثَةَ وَحَسَانَ بْنِ ثَابِتٍ وَحَمْنَةَ بِنْتِ جَعْفَرٍ - وَكَانُوا مِمَّنْ أَفْصَحَ بِالْفَاحِشَةِ فَضَرَبُوا (٢) حَدَّهَمْ (٣) .

١٥٢٥/١

(١) سر . أهل بيت .

(٢) سر .

(٣) سير . سير عام ٢ : ٢٢٠ - ٢٢٢ . تفسير ١٨ : ٧١ - ٧٤ (بوزان) مع

اخلاف و آخر الله .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق .
 عن أبيه ، عن بعض رجال بني النجار ، أن أبا أيوب خالد بن زيد ، قالت
 له امرأته أم أيوب : يا أبا أيوب ، أما تسمع ما يقول الناس في عائشة ؟ قال :
 بلأى ؛ وذلك الكذب ؛ أكنت يا أم أيوب فاعلةً ذلك ! قالت : لا والله
 ما كنت لأفعله (١) ، قال : فعائشة والله خيرٌ منك . قال : فلما نزل القرآن
 ذكر الله من قال من الفاحشة ما قال من أهل الإفك : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا
 بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ .. ﴾ (٢) الآية . وذلك حسان بن ثابت في أصحابه
 الذين قالوا ما قالوا (٣) .

ثم قال الله عز وجل : ﴿ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ
 بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا . ﴾ (٤) الآية ، أى كما قال أبو أيوب وصاحبه . ثم قال :
 ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ .. ﴾ (٥) الآية . فلما نزل هذا في عائشة وفيمن قال لها
 ما قال قال أبو بكر - وكان ينفق على مسطح لقربته منه وحاجته :
 والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً . ولا أنفعه بنفع أبداً بعد الذى قال ٥٢٦/١
 لعائشة . وأدخل علينا ما أدخل ! قالت : فأنزل الله عز وجل في ذلك :
 ﴿ وَلَا يَأْتِلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى .. ﴾ (٥) الآية .

(١) س : « فاعلة ولا أفعله » .

(٢) سورة النور ١١ ، ١٢ .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٢ .

(٤) سورة النور ١٥ .

(٥) سورة النور ٢٢ . قال ابن هشام : ولا يأتل أولو الفضل منكم ؛ منه قول امرئ القيس

ابن حجر الكندي :

أَلَرَبِّ خَضَمٍ فِيكَ أَلْوَى رَدَدْتُهُ نَصِيحٍ عَلَى تَعْدَالِهِ غَيْرِ مُؤْتَلٍ

وفى كتاب الله تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ يُؤْتُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ﴾ وهو من الآية ، والآية :

ابنمين ، قال حسان بن ثابت :

آلَيْتُ مَا فِي جَمِيعِ النَّاسِ مُجْتَهِدًا . مَنِيَّ أَلِيَّةٌ بَرٌّ غَيْرِ إِفْنَادٍ

فمعى « أن يؤتوا » فى هذا المذهب : « ألا يؤتوا » .

قالت : فقال أبو بكر : والله لأحبُّ أن يغفر الله لي فرجع إلى مسطح نفقته التي كان ينفق عليه ، وقال : والله لا أنزعها منه أبدا .

ثم إن صفوان بن المعطل اعترض حسان بن ثابت بالسيف حين بلغه ما يقول فيه ؛ وقد كان حسان قال شعراً مع ذلك يعرض بابن المعطل فيه وبمن أسلم من العرب من مضر ، فقال :

أَمْسَى الْجَلَابِيْبُ قَدْ عَزُّوا وَقَدْ كَثُرُوا وَابْنُ الْفَرِيعَةِ أَمْسَى بَيْضَةَ الْبَلَدِ^(١)

قَدْ تَكَلَّتْ أُمُّهُ مِنْ كُنْتِ صَاحِبَهُ أَوْ كَانَ مُنْتَشِبًا فِي بُرْثُنِ الْأَسَدِ^(٢)

مَا لَقَيْتِي الَّذِي أَغْدُو فَأَخُذُهُ مِنْ دِيَارٍ فِيهِ يُعْطَاهَا وَلَا قَوْدِ^(٣)

مَا الْبَحْرُ حِينَ تَهَبُ الرِّيحُ شَامِيَةً فَيَفْطِنُّ وَيَرْمِي الْعِبْرَ بِالزَّبْدِ^(٤)

يَوْمًا بِأَغْلَبَ مَنِّي حِينَ تُبْصِرِنِي مِلْفَيْظٍ أَفْرَى كَفَرَى الْعَارِضِ الْبَرْدِ^(٥)

١٥٢٧/١

فاعترضه صفوان بن المعطل بالسيف فضربه ثم قال - كما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق :

تَلَقَّ ذُبَابَ السَّيْفِ عَنِّي فَإِنِّي غَلَامٌ إِذَا هُوَ جِيتُ لَسْتُ بِشَاعِرِ^(٦)

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي ، أن ثابت بن قيس بن الشماس أخا

(١) ديوانه ١٠٤ . قال السهيلي : « يعني بإخلابيب الثغرياء . وبيضة البلد ، يعنى منفرداً ؛ وهي كلمة يتكلم بها في المدح تارة ، وفي معنى النفل أخرى ، يقال : فلان بيضة البلد ؛ أي أنه واحد في قومه عظيم فيهم . وفلان بيضة البلد ؛ يريد أنه ذليل ليس معه أحد . »

(٢) تكلمت أمه : فقدته . والبرثن : الكف مع الأصابع .

(٣) القود : قتل النفس .

(٤) يفتنل : يحول ويتحرك . والعبر : جانب البحر .

(٥) ملفيظ ، أي من الفيظ . أفرى : أقطع . والعارض : السحاب . والبرد ، بكسر الراء :

الذي فيه برد . وبعده في سيرة ابن هشام :

أَمَّا قَرِيْشٌ فَإِنِّي لَنْ أَسْأَلَهُمْ حَتَّى يَشِيْبُوا مِنَ الْغِيَاثِ لِلرَّشْدِ

وَيَتْرَكُوا اللَّاتَ وَالْمَرْيَ بِمَزَلَةٍ وَيَسْجُدُوا كُلَّهُمْ لِلوَاحِدِ الصَّمَدِ

وَيَشْهَدُوا أَنَّ مَا قَالَهُ الرَّسُولُ لَهُمْ حَقٌّ ، وَيُؤْفُوا بِمَهْدِ اللَّهِ وَالْوَكْدِ

(٦) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٢ ، ٢٢٣

بلحارث بن الخزرج ، وثب على صفوان بن المعطل في ضربه حسان ، فجمع يديته إلى عنقه ، فانطلق به إلى دار بني الحارث بن الخزرج ، فلقبه عبد الله بن رواحة ، فقال : ما هذا ؟ قال : ألا أعجبك^(١) ضرب حسان بن ثابت بالسيف ! والله ما أراه إلا قد قتله . قال : فقال له عبد الله ابن رواحة : هل علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء مما صنعت ؟ قال : لا والله ، قال : لقد اجترأت ! أطلق الرجل . فأطلقه . ثم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكروا له ذلك ؛ فدعا حسان و صفوان بن المعطل ، فقال ابن المعطل : يا رسول الله ، آذاني وهجاني ، فاحتلني الغضب فضربته . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان : يا حسان أتشوهت^(٢) على قومي أن هدام الله للإسلام ! ثم قال : أحسين يا حسان في الذي قد أصابك ، قال : هي لك يا رسول الله^(٣) .

١٥٢٨/١

وحدثنا ابن حميد . قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد ابن إبراهيم بن الحارث ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاه عيوضاً منها بيبرحاً - وهي قصر بني حذيلة اليوم بالمدينة - كانت مالا لأبي طلحة بن سهل ، تصدق بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأعطاها حسان في ضربته - وأعطاه سيرين : أمة قبطية ، فولدت له عبد الرحمن بن حسان . قال : وكانت عائشة تقول : لقد سئل عن صفوان بن المعطل فوجدوه رجلاً حصوراً ما يأتي النساء . ثم قتل بعد ذلك شهيداً^(٣) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الواحد ابن حمزة ، أن حديث عائشة كان في عسرة القضاء .

قال أبو جعفر : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة شهر رمضان وشوالاً ، وخرج في ذي القعدة من سنة ست معتمراً .

(١) : س «ألا أعجل» .

(٢) أتشوهت على قومي ، أي أقبحت ذلك من فعلهم حين سميتهم الجلابيب من أجل محرتهم إلى الله ورسوله !

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

ذكر الخبر عن عمرة النبي صلى الله عليه وسلم
التي صدّه المشركون فيها عن البيت ، وهي قصة الحديبية

حدثنا ابن حميد . قال : حدثنا الحكم بن بشير ، قال : حدثني عمر
ابن ذرّ الممداني . عن مجاهد . أن النبي صلى الله عليه وسلم اعتد ثلاث
عُمَرٍ . كلتها في ذي القعدة ، يرجع في كائنها إلى المدينة .

حدثنا ابن حميد . قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق^(١) . قال : خرج
النبي صلى الله عليه وسلم معتمراً في ذي القعدة لا يريد حرباً . وقد
استنصر^(٢) العرب ومن حوله من أهل البوادي من الأعراب أن يخرجوا معه . وهو
يخشى من قريش الذي صنعوا به أن يعرضوا له بحرب . أو يصدّوه عن
البيت . فأبطأ عليه كثير من الأعراب ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومن معه من المهاجرين والأنصار . ومن لحق به من العرب . وساق معه
الهدى ، وأحرم بالعمرة . ليأمن الناس من حربه . وليعلم الناس أنه إنما
جاء زائراً لهذا البيت ، مُعظماً له .

حدثنا ابن حميد . قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن
إسحاق . عن محمد بن مسلم الزهري ، عن عروة بن الزبير ، عن
المِسْوَر بن مَخْرَمَة ومروان بن الحكم . أنهما حدثاه قالا : خرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية . يريد زيارة البيت ، لا يريد قتالاً ،
وساق معه سبعين بدنة . وكان الناس سبعمائة رجل ، كانت كل بدنة
عن عشرة نفر .

وأما حديث ابن عبد الأعلى ، فحدثنا عن محمد بن ثور ، عن معمر ،
عن الزهري ، عن عروة بن الزبير ، عن المِسْوَر بن مَخْرَمَة .

(١) أخبار قصة الحديبية عن ابن إسحاق في سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٦ - ٢٢٣ .

(٢) س : « استنصر » .

وحدثني يعقوب ، قال : حدثني يحيى بن سعيد ، قال : حدثنا عبد الله بن مبارك ، قال : حدثني معمر ، عن الزهري ، عن عروة بن الزبير ، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم . قالوا : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية ، في بضعة عشر ومائة من أصحابه . . . ثم ذكر الحديث .

حدثنا الحسن بن يحيى ، حدثنا أبو عامر ، قال : حدثنا عكرمة بن عمار اليمامي ، عن إياس بن سلمة ، عن أبيه ، قال : قدمنا مع رسول الله ١٥٣٠/١ صلى الله عليه وسلم الحديبية . ونحن أربعة عشر (١) ومائة .

حدثنا يوسف بن موسى القَطَّان . قال : حدثنا هشام بن عبد الملك وسعيد بن شريحبيل المصري ، قالوا : حدثنا الليث بن سعد المصري . قال : حدثنا أبو الزبير . عن جابر ، قال : كنا يوم الحديبية ألفا وأربعمائة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : حدثني أبي . قال : حدثني عمي ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : كان أهل البيعة تحت الشجرة ألفا وخمسمائة وخمسة وعشرين .

حدثنا ابن المنني ، قال : حدثنا أبو داود ، قال : حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، قال : سمعتُ عبد الله بن أبي أوفى ، يقول : كنا يوم الشجرة ألفا وثلثمائة ، وكانت أسلمُ ثمن (٢) المهاجرين .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر بن عبد الله الأنصاري ، قال : كنا أصحاب الحديبية أربعة عشر ومائة .

• • •

قال الزهري : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كان بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبي ، فقال له : يا رسول الله ، هذه ١٥٣١/١

(١) و : « بضعة عشرة » .

(٢) س : « من المهاجرين » .

قريش قد سمعوا بمسيرك . فخرجوا معهم العوذ المَطَافِيلُ^(١) ، قد لبسوا جلود النمر ، وقد نزلوا بذي طوى ، يحلفون بالله^(٢) لا تدخلها عليهم أبدا ؛ وهذا خالد بن الوليد في خيَلهم ، قد قدموها إلى كُرَاعِ الغَمِيمِ .

• • •

قال أبو جعفر : وقد كان بعضهم يقول : إن خالد بن الوليد كان يومئذ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلماً .
• ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يعقوب القمّي ، عن جعفر - يعني ابن أبي المغيرة - عن ابن أبيزى ، قال : لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم بالهدى ، وانتهى إلى ذى الحليفة ، قال له عمر : يا رسول الله ، تدخل على قوم هم لك حربٌ بغير سلاح ولا كُرَاع ! قال : فبعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فلم يدع فيها^(٣) كُرَاعاً ولا سلاحاً إلا حمّله ، فلما دنا من مكة منعه أن يدخل ، فسار حتى أتى منى ، فنزل بمنى ، فأتاه عينه أن عكرمة بن أبي جهل قد خرج عليك في خمسمائة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد بن الوليد : يا خالد ، هذا ابن عمك ، قد أتاك في الخيل ، فقال خالد : أنا سيفُ الله وسيفُ رسوله - فيومئذ سُمّي سيفَ الله - : يا رسول الله ارمِ بي حيث شئت . فبعثه على خيل ، فلقى عكرمة في الشعب ، فهزمه حتى أدخله حيطان مكة ، ثم عاد في الثانية . فهزمه حتى أدخله حيطان مكة ، ثم عاد في الثالثة فهزمه حتى أدخله حيطان مكة ، فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾ - إلى قوله : ﴿ عَذَاباً أَلِيماً ﴾^(٤) قال : وكفَّ الله النبي صلى الله عليه

١٤٣٢/١

(١) العوذ : جمع عائد ؛ ومن من الإبل : الحديثه التاج . والمطافيل : التي معها أولادها ؛ يريد أنهم خرجوا ومعهم النساء والصبيان .

(٢) ابن هشام والتفسير : « يعاهدون الله » .

(٣) س : « منها » .

(٤) سورة الفتح ٢٤

وسلّم عنهم بعد أن أظفروهم عليهم لبقايا من المسلمين كانوا بقوا فيها من بعد أن أظفروهم عليهم كراهية أن تطأهم الخيل بغير علم^(١).

• • •

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . قال : فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : يا ويح قريش ! قد أكلتهم الحرب ، ماذا عليهم لو خلّوا بيني وبين سائر العرب ؛ فإن هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا ، وإن أظهروني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرّين ؛ وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوّة . فما تظنّ قريش ! فوالله لا أزالُ أجاهدكم على اللّذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة^(٢) .

ثم قال : من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها ؟ فحدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، أن رجلاً من أسلم قال : أنا يا رسولَ الله ، قال : فسلكك بهم على طريق وعبر حزن^(٣) بين شعاب ، فلما أن خرجوا منه - وقد شقّ ذلك على المسلمين ، وأفضوا إلى أرض سهلة عند منقطع الوادي - قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم للناس : قولوا : نستغفر الله ونتوب إليه . ففعلوا . فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : والله إنها للحيطّة^(٤) التي عرضت على بني إسرائيل فلم يقولوها^(٥) .

قال ابن شهاب : ثم أمر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم الناس فقال : اسلكوا ذات اليمين ، بين ظهري الحَمْض في طريق تُخرجه على^(٦) ثنية المرار على مهبّط الحديدية من أسفل مكة . قال : فسلك الجيش ذلك الطريق ،

(١) الخبر في التفسير ٢٦ : ٥٩ ، ٦٠ (بولاق) .

(٢) السالفة : صفحة العنق ؛ وهما سالفتان من جانبيه ؛ وكنتي بانفرادها عن الموت .

(٣) ابن هشام : « فسلك بهم طريقاً وعراً أجراً » ، والأجرل : الكثير الحجارة .

(٤) يريد قوله تعالى لبني إسرائيل : ﴿ وَقُولُوا حِطَّةً ﴾ ؛ ومعناه : اللهم حط عنا ذنوبنا .

(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٦ .

(٦) س : « إلى » .

فلما رأت خيل قريش قَتْرَةَ^(١) الجيش ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خالفهم عن طريقهم ، ركضوا راجعين إلى قريش ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم . حتى إذا سلك في ثنية المُرَارِ . برکت ناقته ، فقال الناس : خلأت^(٢) ! فقال : ما خلأت ، وما هو لها بخلق ؛ ولكن حبسها حابسُ الفيل عن مكة ؛ لا تدعوني قريش اليوم إلى حُطَّةٍ يسألوني صلوة الرَّحِيمِ إلا أعطيتهم إياها . ثم قال للناس : انزلوا ، فقبل : يا رسول الله ما بالوادي ماء نزل عليه ! فأخرج سهما من كنانته فأعطاه رجلاً من أصحابه ، فنزل في قلب من تلك القلب فغرز في جوفه ، فجاش^(٣) الماء بالرّی^(٤) حتى ضرب الناس عليه بعطن^(٥) .

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة . قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، أن رجلاً من أسلم حدثه ، أن الذي نزل في القلب بسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ناجية [بن جندب] بن عُمَيْرِ ابن يَعْمَرِ بن دارم ، وهو سائق بُدْنِ رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : وقد زعم لي بعض أهل العلم أن البراء بن عازب كان يقول : أنا الذي نزلت بسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : وأنشدت أسلم أبياتاً من شعر قاهنا ناجية . قد ظنننا أنه هو الذي نزل بسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فزعمت أسلم أن جارية من الأنصار أقبلت بدلوها ، وناجية في القلب يسمي على الناس^(٦) ، فقالت :

(١) قَتْرَةُ الجيش : ما يشبه من الغبار . وفي الفائق ١ : ٣٢٢ : « فلم يشمر خالد وأصحابه إلا وقد حللتهم . قَتْرَةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه » .

(٢) خلأت : برکت ، قال أبو ذر : « الخلاء في الإبل بمنزلة الحران في الدواب . وقال بعضهم : لا يقال إلا لدفه حاصة » .

(٣) جاش : ارتفع .

(٤) ابن هشام : « الرواء » .

(٥) ضرب الناس عليه بعطن : أصله في الإبل ، يقال : ضربت الإبل بعطن ؛ إذا رويت ثم برکت حول الماء أو عند الجياض لتماد إلى انشرب مرة أخرى لتشرب عللاً بعد نهل ؛ فإذا استوتت ردت في المراعى ؛ ضرب ذلك مثلاً لاتساع الناس . وانظر اللسان (عطن) .

(٦) يسمي على الناس : يملا الدلاء ليقتيهم .

يَأْتِيهَا الْمَائِحُ دَلْوِي دُونَكَا إِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ يَحْمَدُونَكَ
يُثْنُونَ خَيْرًا وَيُجَدُّونَكَ .

وقال ناجية ، وهو في القليب يَمِيحُ الناس :

قد علمتُ جاريةً يَمَانِيَةً أَنِّي أَنَا الْمَائِحُ وَأَسْمِي نَاجِيَةٌ
وَطَمَنَةٌ ذَاتِ رَشَائِشٍ وَاهِيَةٍ طَعَنَتْهَا تَحْتَ صَدُورِ الْعَادِيَةِ (١)

حدثنا محمد بن عبد الأعلى الصنعاني ، قال : حدثنا محمد بن ثور ، عن
معمر ، عن الزهري ، عن عروة ، عن المسور بن مخرمة .
وحدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا يحيى بن سعيد القطان ، قال :
حدثنا عبد الله بن المبارك ، قال : حدثنا معمر ، عن الزهري ، عن عروة ،
عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم ، قالوا : نزل رسول الله صلى الله
عليه وسلم بأقصى الحديبية على ثمد (٢) قليل الماء ؛ إنما يترضه الناس تبرضا (٣)
فلم يلبثه الناس أن نزحوه ، فشكى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
العطش ، فترع سهماً من كنانته ، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه ، فوالله ما زال
يجيش لهم بالرى حتى صدروا عنه ؛ فبيناهم كذلك جاء بديل بن ورقاء الخزاعي ١٥٣٥/١
في نفر من قومه من خزاعة - وكانوا عيبية نصح (٤) رسول الله صلى الله
عليه وسلم من أهل تهامة - فقال : إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن
لؤي قد نزلوا أعداد (٥) مياه الحديبية ؛ معهم العوذ المطافيل ؛ وهم مقاتلوك
وصادوك عن البيت . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إنا لم نأت لقتال أحد ،
ولكننا جئنا معتمرين ، وإن قريشا قد ذهبتهم الحرب وأضررت بهم ، فإن شاءوا
ماددناهم مدة ويؤخروا بيني وبين الناس ، فإن أظهروا ، فإن شاءوا أن يدخلوا

(١) الواهية : الواسعة الشق . والعاوية : القوم الذين يمدون ؛ أي يسرعون في العدو .

(٢) الثمد : موضع يجتمع فيه ماء السماء .

(٣) يقال : هو يترض الماء ؛ كلما اجتمع منه شيء في غره .

(٤) عيبة نصح رسول الله ؛ أي خاصته وأصحاب سره .

(٥) الأعداد : جمع عد ، بالكسر ، وهو الماء الدائم الذي له مادة لا انقطاع لها .

فما دخل فيه الناس فَعَلُوا وَإِلَّا فَقَدِ جَمُّوا ؛ وَإِنْ هُمْ أَبَوًا فَوَالَّذِي نَفْسِي
بِيَدِهِ لَأَقَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفِرَ سَالِفِي ^(١) ، أَوْ لِيُنْفِذَنَّ اللَّهُ
أَمْرَهُ . فَقَالَ بُدَيْلٌ : سَنَبْلِغُهُمْ مَا تَقُولُ .

فَانطَلَقَ حَتَّى أَتَى قَرِيشًا فَقَالَ : إِنَّا قَدْ جِئْنَاكُمْ مِنْ عِنْدِ هَذَا الرَّجُلِ ،
وَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ قَوْلًا ؛ فَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ نَعْرِضَهُ عَلَيْكُمْ فَعَلْنَا . فَقَالَ سَفَهَاؤُهُمْ : لَا حَاجَةَ
لَنَا أَنْ تَحْدِثْنَا عَنْهُ بِشَيْءٍ ، وَقَالَ ذُو الرَّأْيِ مِنْهُمْ : هَاتِ مَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ ،
قَالَ : سَمِعْتُهُ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا ، فَحَدَّثْتُهُمْ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
فَقَامَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ ، فَقَالَ : أَيُّ قَوْمٍ ؛ أَلَسْتُمْ بِالْوَالِدِ ! قَالُوا : بَلَى ، قَالَ :
أَوْ لَسْتُ بِالْوَالِدِ ! قَالُوا : بَلَى ، قَالَ : فَهَلْ تَتَّهَمُونَنِي ؟ قَالُوا : لَا ، قَالَ : أَلَسْتُمْ
تَعْلَمُونَ أَنِّي اسْتَنْفَرْتُ أَهْلَ عُكَاظٍ ؛ فَلَمَّا بَلَغُوا ^(٢) عَلَى جِئْتِكُمْ بِأَهْلِي وَوَلَدِي
وَمَنْ أَطَاعَنِي ! قَالُوا : بَلَى . ١٥٣٦/ ١

• • •

وَحَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ
الزَّهْرِيِّ ، فِي حَدِيثِهِ ، قَالَ : كَانَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ لِسَبِيْعَةَ بِنْتِ عَبْدِ شَمْسٍ .

• • •

رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ ابْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى وَيَعْقُوبَ . قَالَ : فَإِنَّ هَذَا
الرَّجُلَ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطْبَةً رُشِدًا فَاقْبَلُوهَا ، وَدَعُونِي آتِيهِ . فَقَالُوا :
أَيْتَهُ ، فَأَتَاهُ ، فَجَعَلَ يَكْتُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ نَحْوًا مِنْ مَقَالَتِهِ
لِبُدَيْلٍ ، فَقَالَ عُرْوَةُ عِنْدَ ذَلِكَ : أَيُّ مُحَمَّدٍ ، أَرَأَيْتَ إِنْ اسْتَأْصَلْتَ قَوْمَكَ ، فَهَلْ
سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ اجْتَنَحَ أَصْلَهُ قَبْلَكَ ! وَإِنْ تَكُنِ الْآخَرَى ، فَوَاللَّهِ إِنِّي
لَأُرَى وَجُوهًا وَأَوْشَابًا ^(٣) مِنَ النَّاسِ خَلُقًا أَنْ يَتَفَرُّوا وَيَدَّعُوكَ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ :
أَمْصَصْ بَطْنَةَ اللَّاتِ - وَاللَّاتُ طَاغِيَةٌ ثَقِيْفٌ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَ - أَنْحَنُ زَنْفِرًا
وَزَدَّعَهُ ! فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ فَقَالُوا : أَبُو بَكْرٍ ، فَقَالَ : أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ

(١) السالفة : صفحة العنق ، وهما سالفتان من جانبيه .

(٢) بلعوا ، أى أبوا .

(٣) الأوشاب : الأخطاط . وفي ط : « أشوابا » ، والتصويب من الفائت ١ : ٢٨٨

(طبع الهند) .

لولا يَدٌ كانت لك عندي لم أجزرك بها لأجبتك؛ وجعل يكلّم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فكلّما كلمه أخذ بلحيته - والمغيرةُ بن شعبة قائمٌ على رأس النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ومعه السيف وعليه المغفر؛ فكلّما (١) أهوى عروة بيده إلى لحية النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضرب بيده بنعل السيف، وقال: أخر يدك عن لحيته، فرفع عروة رأسه ، فقال : مَنْ هذا ؟ قالوا : المغيرةُ ١٥٣٧/١ ابن شعبة، قال : أي غدرٌ؛ أَلستُ (١) أسعى في غدرتكَ ! وكان المغيرةُ بن شعبة صحب قوماً في الجاهلية، فقتلهم ، وأخذ أموالهم ، ثم جاء فأسلم ، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أما الإسلام فقد قبلنا ، وأما المال فإنه مال غدر . لا حاجة لنا فيه .

وإن عروة جعل يرمق أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعينه . قال : فوالله إن يتنخّم النبي نُخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده؛ وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضعاً كادوا يقتتلون على وضوئه ؛ وإذا تكلموا عنده خفضوا أصواتهم وما يُحدّون النظر إليه تعظيماً له . فرجع عروة إلى أصحابه ، فقال : أي قوم ، والله لقد وفدتُ على الملوكِ ووفدت على كسرى وقصر النجاشي ؛ والله إن رأيتُ ملكاً قطّ يُعظّمه أصحابه ما يُعظّم أصحاب محمداً . والله إن يتنخّم نُخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده . وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضعاً كادوا يقتتلون على وضوئه . وإذا تكلموا عنده خفضوا أصواتهم ؛ وما يُحدّون النظر إليه ١٥٣٨/١ تعظيماً له . وإنه قد عرض عليكم خبطة رُشد فاقبلوها . فقال رجل من كنانة : دعوني آتيد ، فقالوا : ائنه . فلما أشرف على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه ، قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هذا فلان ، وهو من قوم يُعظّمون البُدن فابعثوها له ، فبعثت له ، واستقبله قومٌ يُلذّبون ، فلما رأى ذلك قال : سبحان الله ! ما ينبغي لهؤلاء أن يُصدّوا عن البيت !

• • •

وحدّثنا ابن حميد . قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن

(١) س : « فلما » .

(٢) س : « أولست » .

الزهرى؛ قال في حديثه: ثم بعثوا إليه الحلبي بن علقمة - أو ابن زبّان - وكان يومئذ سيّد الأحابيش؛ وهو أحد بلحارث بن عبد مناة بن كنانة، فلما رآه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم قال: إنّ هذا من قوم يتأهلون^(١)، فابعثوا الهدى في وجهه حتى يراه، فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض^(٢) الوادى في قلائده^(٣)، قد أكل أو باره من طول الحبس، رجع إلى قريش، ولم يصل إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلم إعظاماً لما رأى، فقال: يا معشر قريش، إننى قد رأيتُ مالا يحلّ صدّه: الهدى في قلائده، قد أكل أوباره من طول الحبس عن مَحِلِّه؛ قالوا له: اجلس، فإنما أنت رجل أعرابيٌّ لا علم لك.

وحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر؛ أنّ الحلبي غضب عند ذلك، وقال: يا معشر قريش، والله ما على هذا حالناكم، ولا على هذا عاقدناكم؛ أن تصدوا عن بيت الله من جاءه معظماً له؛ والذي نفس الحلبي بيده لتتخلن بين محمد وبين ما جاء له؛ أو لأنفرون بالأحابيش نفرة رجل واحد! قال: فقالوا له: مه! كُفّ عنا يا حلبي حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به.

• • •

رجع الحديث إلى حديث ابن عبد الأعلى ويعقوب. فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص، فقال لهم: دعوني آتية، قالوا: ائته، فلما أشرف عليهم قال النبي صلّى الله عليه وسلّم: هذا مكرز بن حفص؛ وهو رجل فاجر؛ فجاء فجعل يكلّم النبي صلّى الله عليه وسلّم؛ فبينما هو يكلّمه إذ جاء سهيل بن عمرو.

وقال أيوب عن عكرمة: إنّه لما جاء سهيل قال النبي صلّى الله عليه وسلّم: قد سهّل لكم من أمركم.

• • •

(١) يتأهلون: يتعبدون ويعظمون الإله.
 (٢) عرض الوادى: جانبه.
 (٣) القلائد: ما يعلق في أعناق الهدى ليعلم أنه هدى.

فحدثني محمد بن عُمارة الأَسَدِيّ ومحمد بن منصور - واللفظ لابن عُمارة -
 قالا : حدثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا موسى بن عبيدة عن إياس
 ابن سلّمة بن الأَكُوْع ، عن أبيه ، قال : بعثت قريش سهيل بن عمرو
 وحويتب بن عبد العزّي وحفص بن فلان ، إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم
 ليصالحوه ، فلما رأهم رسولُ الله فيهم سهيل بن عمرو ، قال : سهّل الله لكم
 من أمركم ؛ القوم ماتون إليكم بأرحامكم^(١) ، وسائلوكم الصلح ؛ فابعثوا الهدى ،
 وأظهروا التلبية ؛ لعلّ ذلك يلين قلوبهم . فلبّوا من نواحي العسكر حتى
 ارتجت أصواتهم بالتلبية . قال : فجاءوا فسألوا الصلح ، قال : فبينما الناس قد
 توادعوا ، وفي المسلمين ناس من المشركين ، وفي المشركين ناس من المسلمين ،
 قال : ففتك به أبو سفيان ، قال : فإذا الوادي يسيل بالرجال والسلاح . قال
 إياس : قال سلمة : فجئت بسة من المشركين متسلحين أسوقهم ، ما يملكون
 لأنفسهم نفعا ولا ضرا ؛ فأتيت بهم النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فلم يسلب
 ولم يقتل ، وعفا .

١٥٤٠/١

• • •

وأما الحسن بن يحيى فإنه حدثنا قال : حدثنا أبو عامر قال : حدثنا
 عكرمة بن عمار الهامّي ، عن إياس بن سلمة ، عن أبيه ، أنه قال : لما
 اصطلحنا نحن وأهل مكة ، أتيت الشجرة فكسحت شوكتها ، ثم اضطجعت في
 ظلّها ، فأتاني أربعة نفر من المشركين من أهل مكة ، فجعلوا يقعون في
 رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فأبغضتهم . قال : فتحوّلت إلى
 شجرة أخرى ، فعلقوا سلاحهم ، ثم اضطجعوا ؛ فبيناهم كذلك ؛
 إذ نادى مناد من أسفل الوادي : يا للمهاجرين ! قتل ابن زُنَيْم !
 فاخرطت سيني ، فشدت على أولئك الأربعة وهم رقود ؛ فأخذت سلاحهم
 فجعلته ضيفًا^(٢) في يدي ، ثم قلت : والذي كرم وجهه محمد صلّى الله عليه
 وسلّم ؛ لا يرفع أحدٌ منكم رأسه إلّا ضربت الذي فيه عيناه . قال : فجئت بهم

(١) و : « بأرحامهم » .

(٢) ضيفًا ، أي حزمة في يده .

١٥٤١/١ أقودهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجاء عمى عامر برجل من العبّلات، يقال له مكرز، يقوده مجففاً^(١)، حتى وقفنا بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين من المشركين، فنظر إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : دعوهم يكن فم بدء الفجور . فعفا عنهم . قال : فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ ﴾^(٢) .

• • •

رجع الحديث إلى حديث محمد بن عمارة ومحمد بن منصور . عن عبيد الله . قال سلمة : فشددنا على من في أيدي المشركين منا ، فما تركنا في أيديهم منا رجلا إلا استنقذناه . قال : وغلبنا على من في أيدينا منهم . ثم إن قريشاً بعثوا سهيل بن عمرو وحويظاً فواتوهم صلحتهم . وبعث النبي صلى الله عليه وسلم علياً عليه السلام في صلحهم .

حدثنا بشر بن معاذ : قال : حدثنا يزيد بن زريع ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أن رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقال له زعيم . اطلع الثنية من الحديبية . فراه المشركون فقتلوه . فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خيلاً ، فأتوه باثني عشر رجلاً فارساً من الكفار . فقال لهم نبي الله صلى الله عليه وسلم : هل لكم على عهد ؟ هل لكم على ذمة ؟ قالوا : لا . قال : فأرسلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم :

١٥٤٢/١ فأنزل الله في ذلك القرآن : ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ ﴾ - إلى قوله : ﴿ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ .

وأما ابن إسحاق ، فإنه ذكر أن قريشاً إنما بعثت سهيل بن عمرو بعد رسالة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلها إليهم مع عثمان بن عفان .

(١) مجففاً . أي لايبأ التحذف (بكسر التاء) ، وهو آلة للحرب يلبسه الفرس والإنسان ليفي في الحرب .

(٢) سورة الفتح ٢٤ . والخبر في التفسير ٢٦ : ٦٠ ، ٦١ (بولاق) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خيراً بن أمية الخزاعي ، فبعثه إلى قريش بمكة ، وحمله على جمل له يقال له الثعلب ؛ ليلتجأ أشرفهم عنه ما جاء له ، فعقروا به جمل رسول الله وأرادوا قتله ، فنعتته الأحابيش ، فخلتوا سبيله ؛ حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني من لا أنتم ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، أن قريشاً بعثوا أربعين رجلاً منهم - أو خمسين رجلاً - وأمرهم أن يطيفوا بعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصيبوا لهم من أصحابه ، فأخذوا أخذاً ، فأتى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعفا عنهم ، وختلى سبيلهم - وقد كانوا رموا

في عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجارة والنبل - ثم دعا النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب ليعثه (٢) إلى مكة . فبيلغ عنه أشرف قريش ما جاء له ؛ فقال : يا رسول الله ؛ إني أخاف قريشاً على نفسي ؛ وليس بمكة من بني عدى بن كعب أحد يمنعني ؛ وقد عرفت قريش عداوتي إياها ، وغلظتي عليها ، ولكنني أدلك على رجل هو أعزّ بها مني : عثمان بن عفان !

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان ، فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب ؛ وإنما جاء زائراً لهذا البيت ، معظماً لحرمة . ١٥٤٣/١
فخرج عثمان إلى مكة ، فلقية أبنان بن بهييد بن العاص حين دخل مكة - أو قبل أن يدخلها - فنزل عن دابته ، فحمله بين يديه ، ثم رده وأجاره ؛ حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش ؛ فبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسله به ، فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم : إن شئت أن تطوف بالبيت فطف به ؛ قال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فاحتبسته قريش عندها ،

(١) الخبر في التفسير ٢٦ : ٥٣ ، ٥٤ (ببلاق) .

(٢) مر : « لينفذه » .

فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين أن عثمان قد قُتل .

حدثنا ابن حميد، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق، قال :
فحدثني عبدُ الله بن أبي بكر ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه
أن عثمان قد قُتل ، قال : لا نبرح حتى نناجزَ القوم ؛ ودعا الناس إلى البيعة
فكانت بيعةُ الرضوان تحت الشجرة

• • •

حدثني ابنُ عمارة الأَسديّ ، قال : حدثني عبيد الله بن موسى ، عن
موسى بن عبيدة، عن إياس بن سلمة، قال : قال سلمة بن الأكوع : بينما نحن
قافلون من الحديبية، نادى منادى النبي صلى الله عليه وسلم : أيها الناس ؛ البيعة
البيعة! نزل رُوح القدس . قال : فسرنا إلى رسول الله وهو تحت شجرة سَمُرَة ،
قال : فبايعناه ، قال : وذلك قول الله تعالى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ

إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ (١) .

حدثنا عبد الحميد بن بيان : قال : أخبرنا محمد بن يزيد ، عن إسماعيل
ابن أبي خالد ، عن عامر ، قال : كان أول من بايع بيعة الرضوان رجلاً من
بنى أسد ، يقال له : أبو سنان بن وهب

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا
القاسم بن عبد الله بن عمر ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله ؛
أنهم كانوا يوم الحديبية أربعة عشر ومائة . قال : فبايعنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وعمرُ أخذ بيده تحت الشجرة ، وهي سَمُرَة ، فبايعناه غير الجَدِّ بن
قيس الأنصاري ، اختبأ تحت بطن بعيره .

قال جابر : بايعنا رسول الله على ألا نَنفِرَ ؛ ولم نبايعه على الموت (٢) .

(١) سورة الفتح ١٨ .

(٢) الخبر في التفسير ٢٦ : ٥٤ ، ٥٥ (بولاق)

وقد قيل في ذلك ما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبر أبو عامر ،
قال : أخبرنا عكرمة بن عمار اليماني ، عن إياس بن سلمة بن الأكوع ،
عن أبيه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا الناس للبيعة في أصل الشجرة ،
فبايعته في أول الناس ، ثم بايع وبايع ؛ حتى إذا كان في وسط من الناس ،
قال : بايع يا سلمة ، قال : قلت : قد بايعتكم يا رسول الله في أول الناس !
قال : وأيضاً ؛ وراى النبي صلى الله عليه وسلم أعزّل ، فأعطاني حَجَافَةً
أو دَرَقَةً . قال : ثم إن رسول الله بايع الناس ؛ حتى إذا كان في آخرهم ،
قال : ألا تباع يا سلمة ! قلت : يا رسول الله ، قد بايعتكم في أول الناس وأوسطهم !
قال : وأيضاً . قال : فبايعته الثالثة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
فأين الدَرَقَةُ ، والحَجَافَةُ التي أعطيتك ؟ قلت : لقيتني عمى عامر أعزّل
فأعطيته إياها ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : إنك كالذي
قال الأول : اللهم ابغني حبيباً هو أحب إلى من نفسي .

•••

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . قال : فبايع رسول الله صلى الله
عليه وسلم الناس ، ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها إلا الجَدُّ
ابن قيس ، أخو بني سلمة ، قال : كان جابر بن عبد الله يقول : لكأني أنظرُ
إليه لاصقاً بإبط ناقته ، قد ضَبَّأً^(١) إليها يستر بها من الناس . ثم أتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم أن الذي كان من أمر عثمان باطل .

قال ابن إسحاق : قال الزهري : ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو ،
أخا بني عامر بن لؤي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وقالوا له : ائت
محمدأ فصالحه ، ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا ، فوالله
لا تحدث العرب أنه دخل علينا عنوة أبداً .

قال : فأقبل سهيل بن عمرو ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم
مقبلاً ، قال : قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل . فلما انتهى سهيل

(١) ضبأ إليها : لصق بها واستر .

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم فاطال الكلام ، وتراجعا ، ثم جرى بينهما الصلح ، فلما التأم الأمر ، ولم يبق إلا الكتاب وثب عمر بن الخطاب ، فأتى أبا بكر ، فقال : يا أبا بكر ، أليس برسول الله ! قال : بلى ، قال : أو لسننا بالمسلمين ! قال : بلى ، قال : أو ليسوا بالمشركين ! قال : بلى ؛ قال : فعلام نعطي الدنية^(١) في ديننا ! قال أبو بكر : يا عمر الزم غرزَه^(٢) ؛ فإني أشهد أنه رسول الله ، قال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله . قال : ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، ألسنت برسول الله ! قال : بلى ، قال : أو لسننا بالمسلمين ! قال : بلى ، قال : أو ليسوا بالمشركين ! قال : بلى ، قال : فعلام نعطي الدنية في ديننا ! فقال : أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ، ولن يضيعني . قال : فكان عمر يقول : ما زلت أصوم وأتصدق وأصلي وأعتق من الذي صنعت يومئذ ، مخافة كلامي الذي تكلمت به ؛ حتى رجوت أن يكون خيراً .

١٥٤٦/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن بريدة بن سفيان بن فروة الأسلمي ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن علقمة ابن قيس النخعي ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال : ثم دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم . فقال سهيل : لا أعرف هذا ، ولكن اكتب : « باسمك اللهم » ، فقال رسول الله : اكتب « باسمك اللهم » ، فكتبتها . ثم قال : اكتب : « هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو » . فقال سهيل بن عمرو : لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ؛ ولكن اكتب اسمك واسم أبيك ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اكتب : « هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل ابن عمرو ؛ اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشرين ، يأمن فيهن الناس ، ويكف بعضهم عن بعض ، على أنه من أتى رسول الله من قريش بغير

(١) الدنية : الذل والأمر الخسيس .

(٢) الزم غرزَه ؛ أي ألزم أمره ، والفرز للرجل بمنزله الركاب للرجل .

إذن وليه رده عليهم، ومن جاء قريشاً ممن مع رسول الله لم تردّه عليه. وأنّ بيننا عيبه مكفوفة^(١)، وأنه لا إسلال^(٢) ولا إغلالات^(٣)؛ وأنه ممن أحب أن يدخل في عتق رسول الله وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عتق قريش وعهدهم، دخل فيه» - فتواثبت خزاعة فقالوا: نحن في عتق رسول الله وعهده، وتواثبت بنو بكر، فقالوا: نحن في عتق قريش وعهدها - «وأنتك ترجع عنا عامك هذا، فلا تدخل علينا مكة، وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك، فدخلتها بأصحابك، فأقمت بها ثلاثاً، وأن معك سلاح الراكب، السيوف في القرب لا تدخلها بغير هذا».

فبينما رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو، إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرأسف في الحديد. قد انقلت إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم - قال: وقد كان أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خرجوا وهم لا يشكون في الفتح، لرؤيا رآها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم؛ فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع، وما تحمّل عليه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في نفسه، دخل الناس من ذلك أمر عظيم حتى كادوا أن يهدكوا - فلما رأى سهيل أبا جندل، قام إليه فضرب وجهه، وأخذ بلبّيه^(٤)، فقال: يا محمد قد لجت^(٥) القضية بيني وبينك قبل أن يأتك هذا! قال: صدقت، قال: فجعل ينتره^(٦) بلبّيه، ويجرّه ليردّه إلى قريش، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته: يا معشر المسلمين، أردد إلى المشركين يفتنونني في ديني! فزاد الناس ذلك شراً^(٧) إلى ما بهم فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: يا أبا جندل، احتسب، فإن الله جاعل لك

(١) عيبه مكفوفة، أي لا تكون عداوة بيننا، على التمثيل.

(٢) الإسلال: السرقة الخفية.

(٣) الإغلالات: الحياة.

(٤) ابن هشام: «بتليبه».

(٥) لجت القضية: تمت.

(٦) ينتره، أي يجذبه جذباً شديداً من جفاء.

(٧) ساقطة من ابن هشام.

ولن معك من المستضعفين فَرَجًا ومُخْرَجًا ؛ إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم
عَقْدًا وصلحًا ، وأعطيناهم على ذلك عهدًا ، وأعطونا عهدًا ، وإنا لا نغدر
بهم .

قال : فوثب عمر بن الخطاب مع أبي جندل يمشي إلى جنبه ، ويقول :
اصبر يا أبا جندل ؛ فإنما هم المشركون ؛ وإنما دمُّ أحدكم دمُّ كلب !
قال : ويُدُّني قائم السيف منه ، قال : يقولُ عمر : رجوت أن يأخذَ
السيفَ فيضرب به أباه ، قال : فضنَّ الرجلُ بأبيه .

فلما فرغ من الكتاب أشهد على الصلح رجالا من المسلمين ، ورجالا
من المشركين : أبا بكر بن أبي قحافة ، وعمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن
عوف ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو ، وسعد بن أبي وقاص ، ومحمود بن مسلمة
أخا بني عبد الأشهل ، وميكيرز بن حفص بن الأخييف - وهو مشرك - أخوا
بني عامر بن لؤي ، وعلى بن أبي طالب ، وكتب^(١) وكان هو كاتب الصحيفة .

حدثنا هارون بن إسحاق ، قال : حدثنا مُصعب بن المقدم ، وحدثنا
سفيان بن وكيع ، قال : حدثنا أبي ، قال جميعاً : حدثنا إسرائيل ، قال : حدثنا
أبو إسحاق ، عن البراء ، قال : اعتمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في ذي
القعدة . فأبى أهلُ مكة أن يدعوه يدخل مكة ، حتى يقاضيتهم على أن
يقيم بها ثلاثة أيام . فلما كتب الكتاب كتب : « هذا ما تقاضى عليه
محمد رسول الله » ؛ فقالوا : لو نعلم أنك رسولُ الله ما منعناك ؛ ولكن أنت محمد بن
عبد الله ، قال : أنا رسول الله ، وأنا محمد بن عبد الله ، قال لعلِّي عليه السلام : امح
« رسول الله » ، قال : لا والله لا أمحاك أبداً ، فأخذ رسولُ الله صلى الله عليه
وسلم - وليس يُحسِن يكتب - فكتب مكان « رسول الله » « محمد » فكتب : « هذا
ما قاضى عليه محمد ، لا يدخل مكة بالسلاح إلا السيوف في القيراب ، ولا
يخرج من أهلها بأحد أراد أن يتبعه ، ولا يمنع أحداً من أصحابه أراد أن يقيم
بها » . فلما دخلها ومضى الأجل ، أتوا علياً عليه السلام ، فقالوا له^(٢) : قل

(٢) ساقطة من و .

(١) ساقطة من و .

لصاحبك: اخرجنا فقد مضى الأجل، فخرج رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهري ، عن عروة بن الزبير ، عن المسور بن مخرمة . وحدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا يحيى بن سعيد ، قال : حدثنا عبد الله بن المبارك ، قال : حدثنا معمر ، عن الزهري ، عن عروة ، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم في قصة الحديبية : فلما فرغ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قضيته^(١) قال لأصحابه : قوموا فانحروا ، ثم احلّقوا . قال : فوالله ما قام منهم رجلٌ حتى قال ذلك ثلاث مرّات^(٢) ؛ فلما لم يبق منهم أحد ، قام فدخل على أمّ سلمة ، فذكر لها ما لقي من الناس ، فقالت له أمّ سلمة : يا نبيّ الله ، أتحبّ ذلك ! اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنتك ؛ وتدعوا حالك فيحلقك ؛ فقام فخرج فلم يكلم أحداً منهم كلمة حتى فعل ذلك ؛ نحر بدنته ودعا حلقه فحلقه . فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا ؛ وجعل بعضهم يحلق بعضا ؛ حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غمّاً .

قال ابن حميد : قال سلمة : قال ابن إسحاق : وكان الذي حلقه - فيما بلغني ذلك اليوم - خراش بن أمية بن الفضل الخزاعي .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثني عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : حلق رجال يوم الحديبية ، وقصر آخرون ؛ فقال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يرحم الله المحلقين ، قالوا : والمقصرين يا رسول الله ؟ قال : يرحم الله المحلقين ، قالوا : والمقصرين يا رسول الله ؟ قال : يرحم الله المحلقين ، قالوا : يا رسول الله : والمقصرين ؟ قال : والمقصرين ؛ قالوا : يا رسول الله ؛ فلم تظاهرت الترحم للمحلقين دون المقصرين ؟ قال : لأنهم لم يشكوا .

(١) س : « قصته » . (٢) س : « ثلاثا » . (٣) س : « رحم » .

حدثنا ابن حميد قال : حدثنا سلمة ، عن أبان بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : أهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية في هداياه جملاً لأبي جهل ، في رأسه برة من فضة . ليغيظ المشركين بذلك .

• • •

رجع الحديث إلى حديث الزهري الذي ذكرنا قبل^(١) . ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة -- زاد ابن حميد عن سلمة في حديثه ، عن ابن إسحاق عن الزهري ، قال : يقول الزهري : فما فتَحَ في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه ؛ إنما كان القتال حيث اتقى الناس - فلما كانت الهدنة ، ووضعت الحرب أوزارها ، وأمن الناس كلُّهم بعضهم بعضاً فالتقوا ؛ وتفاوضوا في الحديث والمنازعة ، فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه ، فلقد دخل في تينك^(٢) السنتين في الإسلام مثل ما كان في الإسلام قبل ذلك وأكثر . وقالوا جميعاً في حديثهم عن الزهري ، عن عروة ، عن المسور ومروان : فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، جاءه أبو بصير ؛ رجل من قريش - قال ابن إسحاق في حديثه : أبو بصير عتبة بن أسيد ابن جارية - وهو مسلم ، وكان ممن حبس بمكة ، فلما قدم على رسول الله كتب فيه أزهري بن عبد عوف والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعث رجلاً من بني عامر بن لؤي ، ومعه مولى لهم . فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب الأزهري والأخنس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا بصير ؛ إننا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ؛ ولا يصلح لنا في ديننا الغدر ، وإن الله جاعل لك ولن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً .

قال : فانطلق معهما حتى إذا كان بذي الحليفة ، جلس إلى جدار وجلس معه صاحبه ، فقال أبو بصير : أصارم سيفك هذا يا أخابني عامر؟ قال : نعم ، قال : انظر إليه ؟ قال : إن شئت ! فاستله أبو بصير ، ثم علاه

(١) س : « في الذي ذكرناه » .

(٢) و : « ذينك » .

به حتى قتله ، وخرج المولى سريعاً حتى أتى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو جالس في المسجد ، فلما رآه رسول الله طالماً ، قال : إن هذا رجل قد رأى فزاعاً ، فلما انتهى إلى رسول الله قال : ويلك ! مالك ! قال : قتل صاحبكم صاحبي ، فوالله ما برح حتى طلع أبو بصير متوشحاً بالسيف ، حتى وقف على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فقال : يا رسول الله ، وقت ذمتك ، وأدى عنك ، أسلمتني ورددتني إليهم ثم أنجاني الله منهم . فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ويل أمه مسعر حرب ! - وقال ابن إسحاق في حديثه : محش حرب^(١) - لو كان معه رجال ! فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم . قال : فخرج أبو بصير حتى نزل بالعيص من ناحية ذي المروة على ساحل البحر بطريق قريش الذي كانوا يأخذون إلى الشام . وبلغ المسلمين الذين كانوا احتبسوا بمكة قول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي بصير : «ويل أمه محش حرب لو كان معه رجال» ، فخرجوا إلى أبي بصير بالعيص ، وينقلت أبو جندل بن سهيل بن عمرو ، فلحق بأبي بصير ، فاجتمع إليه قريب من سبعين رجلاً منهم ؛ فكانوا قد ضيقوا على قريش . فوالله ما يسعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لهم فقتلوه . وأخذوا أموالهم . فأرسلت قريش إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يناشدونه بالله وبالرحم^(٢) لما أرسل إليهم ! فمن أتاه فهو أمين ، فأواهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقدموا عليه المدينة .

زاد ابن إسحاق في حديثه : فلما بلغ سهيل بن عمرو قتل أبي بصير صاحبهم العامري أسند ظهره إلى الكعبة ، وقال : لا أؤخر ظهري عن الكعبة ؛ حتى يودوا هذا الرجل . فقال أبو سفيان بن حرب : والله إن هذا هو السفة ! والله لا يودى ! ثلاثاً .

• • •

(١) محش حرب : موقد حرب ومهيجها .

(٢) س : « الله والرحم » .

وقال ابن عبد الأعلى ويعقوب في حديثهما : ثم جاءه - يعنى رسول الله - نسوة مؤمنات ، فأنزل الله عز وجل عليه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ ﴾ - حتى بلغ : ﴿ بِبَعْضِ الْكُوفِرِ ﴾^(١) . قال : فطلق عمر بن الخطاب يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك . قال : فنهام أن يردوهن ، وأمرهم أن يردوا الصداق حينئذ .

قال رجل للزهري : أمين أجل الفروج ؟ قال : نعم ؛ فتزوج إحداهما معاوية بن أبي سفيان ، والأخرى صنفوان بن أمية .

زاد ابن إسحاق في حديثه : وهاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أم كلثوم بنت عتبة بن أبي مَيْيَطٍ في تلك المدة ؛ فخرج أخوها عُمارة والوليد ابنا عتبة ؛ حتى قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألانه أن يردّها عايشا بانعهد انذى كان بينه وبين قريش في الحديبية ؛ فلم يفعل ، أبى الله عز وجل ذلك .

وقال أيضا في حديثه : كان ممن طلق عمر بن الخطاب ؛ طلق امرأته قُرَيْبَةَ بنت أبي أمية بن المغيرة ؛ فتزوجها بعده معاوية بن أبي سفيان ؛ وهما على شركهما بمكة ، وأم كلثوم بنت عمرو بن جرّول الخزاعية أم عبيد الله بن عمر ؛ فتزوجها أبو جهنم بن حذافة بن غانم ، رجل من قومها ؛ وهما على شركهما بمكة .

• • •

وقال الواقدي : في هذه السنة - في شهر ربيع الآخر منها - بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عكاشة بن محصن في أربعين رجلا إلى الغممر ؛ فيهم ثابت بن أقرم وشجاع بن وهب ؛ فأغذ السير ، ونذر^(٢) القوم به يهربوا ؛ فنزل على مياهم وبعث الضلائع ؛ فأصابوا عينا فدلّتهم على بعض شيتهم ؛ فوجدوا مائتي بعير ، فحدرّوها إلى المدينة .

(٢) نذر : علم

قال : وفيها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة في عشرة نفر في ربيع الأول منها ، فكمن القوم لهم حتى نام هو وأصحابه ؛ فما شعروا إلا بالقوم ؛ فقتل أصحاب محمد بن مسلمة وأفلت محمد جريحا .

قال الواقدي : وفيها أسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية أبي عبيدة بن الجراح إلى ذي القصة في شهر ربيع الآخر في أربعين رجلاً ، فساروا ليلتهم مشاة ، ووافوا ذا القصة مع عمارة الصبح ، فأغاروا عليهم ، فأعجزوهم هرباً في الجبال ، وأصابوا نعماً ورثة^(١) ورجلاً واحداً ، فأسلم ، فتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : وفيها كانت سرية زيد بن حارثة بالجُموم ، فأصاب امرأة من مُزينة ؛ يقال لها حليلة ، فدلتهم على محلة من محال بني سليم ، فأصابوا بها نعمةً وشاء وأسراء ؛ وكان في أولئك الأسراء زوج حليلة ، فلما قفل بما أصاب وهب رسول الله صلى الله عليه وسلم للمزنية زوجها ونفسها .

قال : وفيها كانت سرية زيد بن حارثة إلى العيص في جمادى الأولى منها .

وفيها أخذت الأموال التي كانت مع أبي العاص بن الربيع ؛ فاستجار بزينة بنت النبي صلى الله عليه وسلم فأجارتها .

قال : وفيها كانت سرية زيد بن حارثة إلى الطرف ، في جمادى الآخرة ، إلى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلاً ؛ فهربت الأعراب وخافوا أن يكون رسول الله سار إليهم ، فأصاب من نعمةهم عشرين بعيراً . قال : وغاب أربع ليال .

قال : وفيها سرية زيد بن حارثة إلى حِسْمَى في جمادى الآخرة .

(١) و : « نعمة ورتاء » ، والرث والرثة : السقط من المتاع .

قال : وكان أول ذلك - فيما حدثني موسى بن محمد ، عن أبيه ، قال : أقبل دحية الكلبى من عند قيصر ؛ وقد أجاز دحية بمال ، وكساه كسى ؛ فأقبل حتى كان بحسنى ، فلقبه ناس من جذام ؛ فقطعوا عليه الطريق ، فلم يترك معه شيء ؛ فجاء إلى رسول الله قبل أن يدخل بيته فأخبره ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة إلى حسنى .

قال : وفيها تزوج عمر بن الخطاب جميلة بنت ثابت بن أبي الأفلح ؛ أخت عاصم بن ثابت ، فولدت له عاصم بن عمر ؛ فطلقها عمر فتزوجها^(١) بعده يزيد بن جارية ؛ فولدت له عبد الرحمن بن يزيد ؛ فهو أخو عاصم لأمه .

١٥٥٦/١

قال : وفيها سرية زيد بن حارثة إلى وادى القرى في رجب .

قال : وفيها سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل في شعبان ؛ وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أطاعوك فتزوج ابنة ملكهم ؛ فأسلم القوم ، فتزوج عبد الرحمن ثماضر بنت الأصبغ ؛ وهى أم أبي سلمة ؛ وكان أبوها رأسهم وملكهم .

قال : وفيها أجذب الناس جذبا شديدا ، فاستسقى رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان بالناس .

قال : وفيها سرية على بن أبي طالب عليه السلام إلى فدك في شعبان .

قال : وحدثني عبد الله بن جعفر ، عن يعقوب بن عتبة ، قال : خرج على بن أبي طالب في مائة رجل إلى فدك ، إلى حى من بنى سعد بن بكر ؛ وذلك أنه بلغ رسول الله أن لهم جمعا يريدون أن يمدوا يهود خيبر ؛ فسار إليهم الليل وكمن النهار ؛ وأصاب عينا ؛ فأقر لهم أنه بعث إلى خيبر يعرض عليهم نصرهم على أن يجعلوا لهم ثمر خيبر .

قال : وفيها سرية زيد بن حارثة إلى أم قرفة في شهر رمضان .

وفيها قتلت أم قرفة ؛ وهى فاطمة بنت ربيعة بن بدر ، قتلها قتلا

١٥٥٧/١

عنيفاً ؛ ربط برجليها حبلاً ثم ربطها بين بعيرين حتى شقها شقاً ؛ وكانت عجوزاً كبيرة .

وكان من قصتها ما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة إلى وادي القرى ؛ فلقى به بني فزارة ؛ فأصيب به أناس من أصحابه ، وارثت زيد من بين القتلى ، وأصيب فيها ورد ابن عمرو أحد بني سعد بن هذيم ، أصابه أحد بني بدر ؛ فلما قدم زيد نذر ألا يمسه رأسه غسل من جنابة حتى يتغزو فزارة ؛ فلما استبل من جراحه (١) ، بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في جيش إلى بني فزارة ، فلقبهم بوادي القرى ، فأصاب فيهم ؛ وقتل قيس بن المسحر اليغمري مسعدة بن حكمة بن مالك بن بدر ، وأسر أم قرفة - وهي فاطمة بنت ربيعة بن بدر ، وكانت عند مالك بن حذيفة بن بدر ، عجوزاً كبيرة - وبتاً لها ، وعبد الله بن مسعدة . فأمر زيد بن حارثة أن يقتل أم قرفة ؛

فقتلها قتلاً عنيفاً ، ربط برجليها حبلين ثم ربطهما (٢) إلى بعيرين حتى شقها . ١٥٥٨/١
ثم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بابنة أم قرفة وبعبد الله بن مسعدة ؛ وكانت ابنة أم قرفة لسلمة بن عمرو بن الأكوع ؛ كان هو الذي أصابها ؛ وكانت في بيت شرف من قومها ، كانت العرب تقول : لو كنت أعز من أم قرفة ما زدت . فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمة ، فوهبها له ، فأهداها لحاله حزن بن أبي وهب ؛ فولدت له عبد الرحمن بن حزن .

وأما الرواية الأخرى عن سلمة بن الأكوع في هذه السرية ، أن أميرها كان أبا بكر بن أبي قحافة ؛ حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا أبو عامر ، قال : حدثنا عكرمة بن عمار ، عن إياس بن سلمة ، عن أبيه ، قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا أبا بكر ؛ فغزونا ناساً من بني فزارة ، فلما دنونا من الماء أمرنا

(١) س : « جراحه » .

(٢) س : « ربطها » .

أبو بكر فعرّسنا ؛ فلما صلّينا الصبح ، أمرنا أبو بكر فشئتنا الغارة عليهم .
 قال : فوردنا الماء فقتلنا به من قتلنا . قال : فأبصرت عنقاً^(١) من الناس ؛
 وفيهم النساء والذراريُّ قد كادوا يسبقون إلى الجبل ، فطرحت سهماً بينهم
 وبين الجبل ، فلما رأوا السهم وقفوا ، فجئت بهم أسوقهم إلى أبي بكر ؛ وفيهم
 امرأة من بني فتزارة عليها قشع^(٢) آدم ، معها ابنة لها من أحسن العرب . قال :
 فنفلني أبو بكر ابنتها ، قال : فقدمت المدينة ، فلقيني رسولُ الله صلّى الله
 عليه وسلّم بالسوق ، فقال : يا سلّمة ، لله أبوك ! هب لي المرأة ! فقلت :
 يا رسولَ الله ؛ والله لقد أعجبتني وما كشفت لها ثوباً . قال : فسكت عني
 حتى إذا كان من الغد لقيتني في السوق ، فقال : يا سلّمة ، لله أبوك ! هب لي
 المرأة ، فقلت : يا رسولَ الله ؛ والله ما كشفت لها ثوباً ؛ وهي لك يا رسولَ
 الله . قال : فبعث بها رسول الله إلى مكّة ؛ ففادى بها أسارى من المسلمين
 كانوا في أيدي المشركين . فهذه الرواية عن سلّمة .

١٥٥٩/١

. . .

قال محمد بن عمر : وفيها سرية كرز بن جابر الفهريّ إلى العرّنيين
 الذين قتلوا راعي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، واستاقوا الإبل في شوال
 من سنة ست ؛ وبعثه رسول الله في عشرين فارساً .

. . .

[ذكر خروج رسل رسول الله إلى الملوك]

قال : وفيها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الرّسل ؛ فبعث في
 ذي الحجة ستّة نفر: ثلاثة مصطحين ؛ حاطب بن أبي بلتعة من لخم حليف بني
 أسد بن عبد العزى إلى المقوقس ، وشجاع بن وهب من بني أسد بن خزيمه -
 حليفاً لحرب بن أمية شهد بدرًا - إلى الحارث بن أبي شَمير الغساني ، ودحيّة
 ابن خليفة الكلبيّ إلى قيصر . وبعث سليط بن عمرو العامريّ عامر بن لؤي
 إلى هتوذة بن علي الحنفيّ . وبعث عبد الله بن حذافة السهميّ إلى كسرى .
 وعمرو بن أمية الضمريّ إلى النجاشيّ .

١٥٦٠/١

(٢) القشع : الفرو الخلق .

(١) عنقا : جماعة .

وأما ابنُ إسحاق ، فإنه - فيما زعم ، وحدثنا به ابنُ حميد - قال : حدثنا سلمة ، عنه قال : كان رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد فرَّق رجلاً من أصحابه إلى ملوك العرب والعجم ، دعاءً إلى الله عزَّ وجلَّ فيما بين الحديبية ووفاته .

وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني ابن إسحاق ، عن يزيد بن أبي حبيب المصري ، أنه وجد كتاباً فيه تسمية مَنْ بعث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى ملوك الخائبين ، وما قال لأصحابه حين بعثهم ، فبعث به إلى ابن شهاب الزُّهري ، مع ثقة من أهل بلدة فعرَّفه . وفي الكتاب أن رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خرج على أصحابه ذاتَ غداة ، فقال لهم : إني بُعِثْتُ رَحْمَةً وَكَافَّةً ؛ فَأَدِّوا عَنِّي بِرَحْمَتِ اللَّهِ (١) ؛ وَلَا تَخْتَلَفُوا عَلَيَّ كَاخْتِلَافِ الْخَوَارِئِينَ عَلَى عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَكَيْفَ كَانَ اخْتِلَافُهُمْ ؟ قَالَ : دَعَا إِلَى مِثْلِ مَا دَعَوْتُمْ إِلَيْهِ ؛ فَأَمَّا مَنْ قَرَّبَ بِهِ (٢) فَأَحَبَّ وَسَلِّمَ ، وَأَمَّا مَنْ بَعُدَ بِهِ فَكْرَهُ وَأَبَى ؛ فَشَكَا ذَلِكَ مِنْهُمْ عِيسَى إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَأَصْبَحُوا مِنْ لَيْلَتِهِمْ تَلْكَ ؛ وَكُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ يَتَكَلَّمُ بِلُغَةِ الْقَوْمِ الَّذِينَ بُعِثَ إِلَيْهِمْ . فَقَالَ عِيسَى : هَذَا أَمْرٌ قَدْ عَزَمَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِ ؛ فَاْمضُوا (٣) .

قال ابنُ إسحاق : ثم فرَّق رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين أصحابه ؛ فبعث سَلَيْطَ بْنَ عَمْرٍو بْنَ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ وَدِّ أَخَا بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ إِلَى ١٥٦١/١ هَوْدَةَ بْنَ عَلِيٍّ ، صَاحِبِ الْيَمَامَةِ . وَبَعَثَ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ إِلَى الْمَنْدَرِ بْنِ سَاوِيٍّ أَخِي بَنِي عَبْدِ الْقَيْسِ صَاحِبِ الْبَحْرَيْنِ ، وَعَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ إِلَى جَيْفَرِ بْنِ جُلَنْدَى وَعَبَادِ بْنِ جُلَنْدَى الْأَزْدِيِّينِ صَاحِبَيْ عُمَانَ . وَبَعَثَ حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى الْمُقَوْسِ صَاحِبِ الْإِسْكَندَرِيَّةِ ؛ فَأَدَّى إِلَيْهِ كِتَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَهْدَى الْمُقَوْسِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْبَعَ جَوَارٍ ، مِنْهُنَّ مَارِيَةُ أُمَّ إِبْرَاهِيمَ بْنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ

(١) س : « رَحِمَكُمُ اللَّهُ » .

(٢) و : « لَه » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٣ .

دحية بن خليفة الكلبي ثم الخزجي^(١) إلى قيصر ، وهو هيرقل ملك الروم ؛ فلما أتاه بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر فيه ثم جعله بين فخذيه وخصيرته^(٢) .

• • •

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن ابن شهاب الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن عبد الله بن عباس ، قال : حدثني أبو سفيان بن حرب ، قال^(٣) : كنا قوماً تجاراً ، وكانت الحرب بيننا وبين رسول الله قد حصرتنا حتى انتهكت أموالنا ؛ فلما كانت الهدنة بيننا وبين رسول الله ، لم نأمن إلا نجد أمناً ؛ فخرجت في نفر من قريش تجار إلى الشام ؛ وكان وجه متجرنا منها غزاة ، فقدمنا بها حين ظهر هيرقل على من كان بأرضه من فارس ؛ وأخرجهم منها ، وانزع له منهم صليبه الأعظم ؛ وكانوا قد استلبوه إياه ، فلما بلغ ذلك منهم ، وبلغه أن صليبه قد استنقذ له - وكانت حمص منزله - خرج منها يمشي على قدميه متشكراً لله حين ردت عليه ماردة ، ليصلني في بيت المقدس ، تبسط له البسط ، وتنفسي عليها الرياحين ، فلما انتهى إلى إيلياء وقضى فيها صلواته ، ومعه بطارقه وأشراف الروم ، أصبح كرات غداة مهموماً يقلب طرفه إلى السماء ، فقال له بطارقه : والله لقد أصبحت أيها الملك الغداة مهموماً ، قال : أجل ، أريت في هذه الليلة أن ملك الحتان ظاهر ؛ قالوا له : أيها الملك : ما نعلم أمة تختن إلا يهود ؛ وهم في ساطانك وتحت يدك ؛ فابعث إلى كل من لك عليه سلطان في بلادك ، فره فليضرب أعناق كل من تحت يديه من يهود ؛ واستريح من هذا المم ؛ فوالله إنهم لفي ذلك من رأيهم يديرونه ؛ إذ أتاه رسول صاحب بصرى برجل من العرب ، يقوده - وكانت الملوك تهتادي الأخبار بينها - فقال : أيها الملك ؛ إن

١٥٦٢/١

(١) ط : « الخزجي » . والتصويب من القاموس ، نسبة إلى الخزج بن عامر ، وهو جد دحية .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٢ ، ٣٥٣ .

(٣) الخبر في الأغاني ٦ : ٣٥٥ - ٣٥٩ (طبعة دار الكتب) .

هذا الرجل من العرب من أهل الشَّاءِ والإبل ؛ يحدث عن أمر حدث ببلادهِ
عجب ؛ فسأله عنه .

فلما انتهى به إلى هيرقل رسول صاحب بصرى ؛ قال هيرقل
لتَرْجُمَانِه : سلنه ، ما كان هذا الحدث الذي كان ببلادهِ ؟ فسأله فقال :
خرج بين أظهرنا رجلٌ يزعم أنه نبي ، قد أتبعه ناسٌ وصدقوه ، وخالفه
ناس ؛ وقد كانت بينهم ملاحم في مواطن كثيرة ؛ فتركتهم على ذلك .
قال : فلما أخبره الخبر قال : جردوه ، فجرّدوه ؛ فإذا هو محتون . فقال
هيرقل : هذا والله الذي أريت^(١) ؛ لا ما تقولون ؛ أعطوه ثوبه ؛ انطلق عنا . ثم
دعا صاحب شرطته ، فقال له : قلب لي الشام ظهرًا وبطنًا ؛ حتى تأتيني
برجل من قوم هذا الرجل - يعني النبي صلى الله عليه وسلم .

قال أبو سفيان : فوالله إننا لبغزة ، إذ هجم علينا صاحب شرطته ؛
فقال : أنتم من قوم هذا الرجل الذي بالحجاز ؟ قلنا : نعم ، قال : انطلقوا
بنا إلى الملك ؛ فانطلقنا ؛ فلما انتهينا إليه قال : أنتم من رهط هذا الرجل ؟
قلنا : نعم ؛ قال : فأيتكم أمس به رحيمًا ؟ قلت : أنا .

قال أبو سفيان : وايم الله ما رأيت من رجل أرى أنه كان أنكّر من
ذلك الأغلف - يعني هيرقل - فقال : أذنه فأقعدني بين يديه ، وأقعد
أصحابي خلفي ، ثم قال : إني سأسأله ؛ فإن كذّب فرددوا عليه ؛
فوالله لو كذبت ما ردوا علي ؛ ولكني كنت امرأ سيدًا أتكرّم عن الكذب ؛
وعرفت أن أيسر ما في ذلك إن أنا كذبتُه أن يحفظوا ذلك علي ؛ ثم يحدثوا به
عني ؛ فلم أكذبه ، فقال : أخبرني عن هذا الرجل الذي خرج بين أظهركم
يدعي ما يدعي ؛ قال : فجعلت أزهد له شأنه ؛ وأصغر له أمره ؛ وأقول له :
أيتها الملك ، ما يهملك من أمره ؛ إن شأنه دون ما يبلغك ؛ فجعل لا يلتفت إلى
ذلك ، ثم قال : أنبئني عمّا أسألك عنه من شأنه . قلت : سأل عمّا بدا
لك ؛ قال : كيف نسبه فيكم ؟ قلت : محض^(٢) ؛ أوسطنا نسبا . قال :

(١) الأغانى : « رأيت » .

(٢) محض : خالص .

فأخبرني هل كان أحد من أهل بيته يقول مثل ما يقول ، فهو يتشبه به ؟ قلت : لا : قال : فهل كان له فيكم مُلكٌ فاستلبتموه إياه ؛ فجاء بهذا الحديث لتردُّوا عليه ملكه ؟ قلت : لا ؛ قال : فأخبرني عن أتباعه منكم ، ممن هم ؟ قال : قلت الضعفاء والمساكين والأحداث والنساء ، وأما ذوو الأسنان والشرف من قومه ؛ فلم يتبعه منهم أحدٌ . قال : فأخبرني عَمَّنْ تَبِعَهُ ، أَيْحِبُّهُ وَيَلْزِمُهُ^(١) أم يقلبه ويفارقه ؟ قال : قلت : ما تبعه رجل ففارقه . قال : فأخبرني كيف الحرب بينكم وبينه ؟ قال : قلت : سِجَالٌ يُدَالُ عَلَيْنَا وَنَدَالُ عَلَيْهِ ؛ قال : فأخبرني هل يَغْدِرُ ؟ فلم أجد شيئاً مما سألتني عنه أغمزه فيه غيرها ، قلت : لا ، ونحن منه في هُدُنة ، ولا نأمن غَدْرَهُ . قال : فوالله ما التفت إليها مني ، ثم كرّ على الحديث . قال : سألتك كيف نسبه فيكم ، فزعمت أنه مَحْضٌ ، من أوسطكم نسباً ؛ وكذلك يأخذ الله النبي إذا أخذه ؛ لا يأخذه إلا من أوسط قومه نسباً . وسألتك : هل كان أحدٌ من أهل بيته يقول بقوله ؛ فهو يتشبه به ؛ فزعمت أن لا ؛ وسألتك : هل كان له فيكم مُلكٌ فاستلبتموه إياه ؛ فجاء بهذا الحديث يطلب به ملكه ؟ فزعمت أن لا . وسألتك عن أتباعه ، فزعمت أنهم الضعفاء والمساكين والأحداث والنساء ؛ وكذلك أتباع الأنبياء في كل زمان ، وسألتكُ عَمَّنْ يَتَّبِعُهُ ، أَيْحِبُّهُ وَيَلْزِمُهُ أم يَتَّقِلِيهِ ويفارقه ؟ فزعمت أنه لا يتبعه أحدٌ يفارقه ؛ وكذلك حلاوة الإيمان لا تدخل قلباً فتخرج منه . وسألتك : هل يغدر ؟ فزعمت أن لا ؛ فلئن كنت صدقتني عنه ليغلبتني^(٢) على ما تحت قدمي هاتين ؛ ولوددت أنني عنده فأغسل قدميه . انطلق لشأنك .

١٥٦٤/١

١٥٦٥/١

قال : فقامت من عنده وأنا أضرب إحدى يدي بالأخرى ؛ وأقول : أي عباد الله ؛ لقد أمرَ أمرٌ^(٣) ابن أبي كبششة ! أصبح ملوك بني الأصفر يهابونه في سلطانهم بالشام !

قال : وقدم عليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع دحية بن

(١) س : « ويكرمه » .

(٢) الأغاني : « فليظن » .

(٣) أمر أمره : قوى واشتد .

خليفة الكلبي : بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى هيرقل عظيم الروم . السلام على من اتبع الهدى . أمّا بعد : أسلم تسلم ، وأسليم يؤتيك الله أجرَك مرتين ؛ وإن تتول فإن إثم الأكارين عليك - يعنى نِحْمَالَه .

حدثنا سفيان بن وكيع ، قال : حدثنا يحيى بن آدم ، قال : حدثنا عبد الله بن إدريس ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس ، قال : أخبرني أبو سفيان ابن حرب ، قال : لما كانت الهدنة بيننا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية ، خرجتُ تاجراً إلى الشام . ثم ذكر نحو حديث ابن حميد ، عن سلمة ، إلا أنه زاد في آخره : قال : فأخذ الكتاب فجعله بين فخذيه وخاصرته .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني ابن إسحاق ، قال : قال ابن شهاب الزهري : حدثني أسقف للنصارى أدركته في زمان عبد الملك بن مروان ، أنه أدرك ذلك من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر هرقل وعقوله ، قال : فلما قدم عليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع دحية بن خليفة ، أخذه هيرقل ، فجعله بين فخذيه وخاصرته . ثم كتب إلى رجل برومية كان يقرأ من العبرانية ما يقرءونه ؛ يذكر له أمره ، ويصف له شأنه ، ويخبره بما جاء منه ؛ فكتب إليه صاحب رومية : إنه لئنسبى الذي كنا ننتظره^(١) ؛ لا شك فيه ؛ فاتبعه وصدقته .

١٥٦٦/١

فأمر هرقل ببطارقة الروم ؛ فجمعوا له في دسكرة^(٢) ، وأمر بها فأخرجت^(٣) أبوابها^(٤) عليهم ؛ ثم اطلع عليهم من عليته له ؛ وخافهم على نفسه ، وقال : يا معشر الروم ؛ إني قد جمعتمكم لخير ؛ إنه قد أتاني كتاب

(١) و : « ننتظره » .

(٢) الدسكرة : القرية ، والصومعة ، والأرض المستوية ، وبيوت الأعاجم يكون فيها الشراب والملاهي ، وبناء بالقصر حوله بيوت ، وهو المراد هنا .

(٣) أخرجت : سدت . (٤) و : « بأبوابها » .

هذا الرجل يدعوني إلى دينه ؛ وإنه والله لالنبى الذى كنا ننتظره ونجده فى كتبنا ؛ فهلموا فلنتبعه ونصدقّه ، فتسلم لنا ديانا وآخرتنا .

قال : فنَخَرُوا نَخْرَةَ رجل واحد ؛ ثم ابتدروا أبواب الدّسكرة ليخرجوا منها فوجدوها قد أغلقت ؛ فقال : كرّوهم علىّ - وخافهم على نفسه - فقال : يا معشر الرّوم ؛ إني قد قلت لكم المقالة التى قلت لأنظر كيف صلابتكم على دينكم لهذا الأمر الذى قد حدّث ؛ وقد رأيت منكم الذى أسرّ به ؛ فوقعوا له سُجْدًا ؛ وأمر بأبواب الدّسكرة ففتحت لهم ؛ فانطلقوا^(١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، أن هرقل قال لدحية بن خليفة حين قدم عليه بكتاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : ويحك ! والله إننى لأعلم أن صاحبك نبيّ مرسل ؛ وأنه الذى كنا ننتظره ونجده فى كتابنا ؛ ولكنى^(٢) أخاف الرّوم على نفسى ؛ ولو لا ذلك لاتبعته ؛ فاذهب إلى صغاطر الأسقف فاذا ذكر له أمر صاحبكم ؛ فهو والله أعظم فى الروم منى ، وأجوز^(٣) قولاً عندهم منى ؛ فانظر ما يقول لك . ١٥٦٧/١

قال : فجاءه دحية ؛ فأخبره بما جاء به من رسول الله صلّى الله عليه وسلم إلى هرقل ، وبما يدعو إليه ، فقال صغاطر : صاحبك والله نبيّ مرسل ؛ نعرفه بصفته ، ونجده فى كتبنا باسمه .

ثم دخل فالتى ثياباً كانت عليه سوداً ، ولبس ثياباً بيضا ، ثم أخذ عصاه ؛ فخرج على الرّوم وهم فى الكنيسة ، فقال : يا معشر الرّوم ؛ إنه قد جاءنا كتاب من أحمد ؛ يدعوننا فيه إلى الله عزّ وجلّ ؛ وإني أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنّ أحمد عبده ورسوله .

قال : فوثبوا عليه وثبّة رجل واحد ، فضربوه حتى قتلوه . فلما رجع

(١) الأغاني ٦ : ٣٤٨ ، ٣٤٩ .

(٢) و : ولكن .

(٣) ابن الأثير : « وأحور » .

دحية إلى هرقل فأخبره الخبر قال : قد قلت لك : إنا نخافهم على أنفسنا ؛ فصغاطر - والله - كان أعظم عندهم وأجوزَ قولاً مني .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، عن خالد بن يسار ، عن رجل من قدماء أهل الشام ، قال : لما أراد هرقل الخروج من أرض الشام إلى القسطنطينية ، لما بلغه من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جمع الروم ، فقال : يا معشر الروم ؛ إني عارضٌ عليكم أموراً ، فانظروا فيم قد أردتها ! قالوا : ما هي ؟ قال : تعلمون والله أن هذا الرجل لنبي مرسل ؛ إنا نجد في كتابنا نعرفه بصفته التي وصف لنا ، فهلستم فلتتبعه ، فتسلم لنا دينانا وآخرتنا ، فقالوا : نحن نكون تحت يدي العرب ؛ ونحن أعظم الناس ملكاً ، وأكثرهم رجالاً ، وأفضلهم بلداً !

قال : فهلستم فأعطيه الجزية في كل سنة ، اكسروا عني شوكته وأستريح من حربيه بما أعطيه إياه ، قالوا : نحن نعطي العرب الذل والصغار ، بخرج ١٥٦٨/١ يأخذونه منا ؛ ونحن أكثر الناس عدداً ، وأعظمهم ملكاً ، وأمنهم^(١) بلداً ؛ لا والله لا نفعل هذا أبداً .

قال : فهلستم فلأصلحه على أن أعطيه أرض^(٢) سورية ، ويبدعني وأرض الشام - قال : وكانت أرض سورية أرض فلسطين والأردن ودمشق وحمص ومادون الدرب من أرض سورية ؛ وكان ما وراء الدرب عندهم الشام - فقالوا له : نحن نعطي أرض سورية ؛ وقد بعرفت أنها سرّة الشام ؛ والله لا نفعل هذا أبداً .

فلما أبوا عليه ، قال : أما والله لترون أنكم قد ظفرتُم إذا امتنعتم منه في مدينتكم . ثم جلس على بغل له ؛ فانطلق حتى إذا أشرف على الدرب استقبل أرض الشام ، ثم قال : السلام عليكم أرض سورية تسليم الوداع ، ثم ركض حتى دخل القسطنطينية .

• • •

(١) س : « وأمنه » .

(٢) س : « على أن أصلحه بأرض » .

قال ابن إسحاق : وبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم شُجَاعَ بن وهب ، أخا بني أسد بن خزيمة إلى المنذر بن الحارث بن أبي شمير الغساني ؛ صاحب دمشق

وقال محمد بن عمر الواقدي : وكتب إليه معه : سلام على من اتبع الهدى . وآمن به . إنني أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يتي لك ملكك .

فقدم به شجاع بن وهب ، فقرأه عليهم ، فقال : من يتزع مني ملكي ! أنا سائر إليه ؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم : بادَ ملكه^(١) !

د د د

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة . قال : حدثنا ابن إسحاق ، قال : بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي في شأن جعفر بن أبي طالب وأصحابه ؛ وكتب معه كتاباً . ١٥٦٩/١

بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحح ملك الحبشة ، سلم^(٢) أنت ؛ فإني أحمد إليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن . وأشهد أن عيسى بن مريم روحُ الله وكلمته ، ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة ، فحملت بعيسى ؛ فخلقته الله من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه ، وإنني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له ؛ والموالاتة على طاعته ؛ وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني ؛ فإني رسول الله ، وقد بعثت إليك ابن عمي جعفرًا ونفراً^(٣) معه من المسلمين ؛ فإذا جاءك فأقرهم ، ودع التجبر ؛ فإني أدعوك وجنودك إلى الله ؛ فقد بلغت ونصحت ؛ فاقبلوا نصحي ؛ والسلام على من اتبع الهدى .

فكتب النجاشي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى محمد رسول الله ، من النجاشي الأصحح بن أبيجر . سلام عليك

(١) باد ملكه : ذهب .

(٢) س : « سلام » .

(٣) س : « معه نفر » .

يا نبي الله^(١) ورحمة الله وبركاته^(١)، من الله الذي لا إله إلا هو، الذي هداني إلى الإسلام. أما بعد؛ فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى، فورب السماء والأرض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت تُفسرُ وقتاً^(٢)؛ إنه كما قلت؛ وقد عرفنا ما بُعثت به إلينا؛ وقد قرئنا ابن عمك وأصحابه^(٣)؛ فأشهد أنك رسول الله صادقاً مصداقاً؛ وقد بايعتك وبايعت ابن عمك؛ ١٥٧٠/١ وأسلمت على يديه^(٤) لله رب العالمين؛ وقد بعثت إليك بابني أرها بن الأصحم ابن أبحر؛ فإني لا أملك إلا نفسي؛ وإن شئت أن آتيك فقلت يا رسول الله؛ فإنني أشهد أن ما تقول حق، والسلام عليك يا رسول الله.

قال ابن إسحاق: وذكر لي أن النجاشي بعث ابنه في ستين من الحبشة في سفينة؛ فإذا كانوا في وسط من البحر غرقت بهم سفينتهم، فهلكوا.

وحدثت عن محمد بن عمر، قال: أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي ليزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان؛ ويبعث بها إليه مع من عنده من المسلمين، فأرسل النجاشي إلى أم حبيبة يخبرها بخطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها جارية له يقال لها أبرهة؛ فأعطتها أوضاحاً^(٥) لها وفتخاً^(٦)؛ سروراً بذلك، وأمرها أن توكل من يزوجهها، فوكلت خالد بن سعيد بن العاص، فزوجها، فخطب النجاشي على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخطب خالد فأنكح أم حبيبة، ثم دعا النجاشي بأربعمائة دينار صداقها؛ فدفعتها إلى خالد بن سعيد؛ فلما جاءت أم حبيبة تلك الدنانير، قال: جاءت بها أبرهة فأعطتها خمسين مثقالاً، وقالت: كنت أعطيتك ذلك؛ وليس بيدي شيء، وقد جاء الله عز وجل بهذا.

(١-١) س: «من الله ورحمته».

(٢) يقال: ماله ثفروق، أي شيء وأصله قمع النمر، أو ما يلتزق به قمعها.

(٣) و: «وأصحابك».

(٤) س: «يله».

(٥) أوضاحاً، أي حلياً من فضة.

(٦) الفتحة: خاتم كبير يكون في اليد والرجل.

فقلت أبرهة : قد أمرني الملك ألا آخذ منك شيئاً ؛ وأن أردت إليك الذي أخذت منك ، فرددته وأنا صاحبة دهن الملك وثيابه ، وقد صدقتُ محمداً^(١) رسول الله وآمنتُ به ؛ وحاجتني إليك أن تقرئيه مني السلام .

قالت : نعم ؛ وقد أمر الملك نساءه أن يبعثن إليك بما عندهن من عود وعنبر ؛ فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يراه عليها وعندها فلا ينكره .
قالت أم حبيبة : فخرجنا في سفينتين ؛ وبعث معنا النواقي حتى قدمنا الجار ، ثم ركبنا الظههر إلى المدينة ؛ فوجدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر ، فخرج من خرج إليه ، وأقمت بالمدينة حتى قدم رسول الله ؛ فدخلت إليه ، فكان يسألني عن النجاشي ؛ وقرأت عليه من أبرهة السلام ، فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها ؛ ولما جاء أبا سفيان تزويج النبي صلى الله عليه وسلم أم حبيبة قال : ذلك الفحل لا يقدر أنفه .

• • •

وفيهما كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى كسرى ، وبعث الكتاب مع عبد الله بن حذافة السهمي ؛ فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ؛ من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس . سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله ؛ وشهد أن لا إله إلا الله ، وأنى رسول الله ، إلى الناس كافة ، لينذر من كان حياً ؛ أسلم تسلم ، فإن أبيت فعليك إثم المجوس .
ففرق كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله : مرق ملكه !

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن حبيب ، قال : وبعث عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ، إلى كسرى بن هرمز ملك فارس وكتب معه :

بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس ؛ سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله ، وشهد أن لا إله إلا الله وحده

لا شريك له ؛ وأن محمداً عبده ورسوله ؛ وأدعوك بدعاء الله ؛ فإني أنا رسول الله إلى الناس كافةً لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين ، فأسلم تسليماً ، فإن أبيت ؛ فإن إثم المجوس عليك .

فلما قرأه مزقه ، وقال : يكتب إلى هذا وهو عبدي !

حدثنا ابن حُمَيْد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن الزُّهري ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ؛ أن عبد الله بن حذافة قدِمَ بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على كسرى ، فلما قرأه شقته ، فقال رسول الله : مُزَّق ملكه ! حين بلغه أنه شق كتابه .

• • •

ثم رجع إلى حديث يزيد بن أبي حبيب . قال : ثم كتب كِسْرَى إلى باذان ؛ وهو على اليمن : أن ابعث إلى هذا الرجل الذي بالحجاز رجلين من عندك جَلْدَيْن ، فليأتياني به ؛ فبعث باذان قهرمانه وهو بابويته - وكان كاتباً حاسباً بكتاب فارس - وبعث معه رجلاً من الفُرس يقال له خِرْخُسره ، ١٥٧٣/١ وكتب معهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمره أن ينصرف معهما إلى كسرى ، وقال لبابويه : ائت بلد هذا الرجل ، وكلمه وأتني بخبره ، فخرجا حتى قدما الطائف فوجدا رجلاً من قريش بنسخب من أرض الطائف فسألهم عنه ، فقالوا : هو بالمدينة ، واستبشروا بهما وفرحوا ؛ وقال بعضهم لبعض : أبشروا فقد نصب^(١) له كسرى ملك الملوك ، كُفَيْتِمْ الرجل ! فخرجا حتى قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكلمه بابويه ، فقال : إن شاهانشاه ملك الملوك كِسْرَى ؛ قد كتب إلى الملك باذان ، يأمره أن يبعث إليك من يأتيه بك ؛ وقد بعثني إليك لتنطلق معي ؛ فإن فعلت كتب فيك إلى ملك الملوك ينفكك ويكفه عنك ؛ وإن أبيت فهو من قد علمت ! فهو مهلكك ومهلك قومك ، ومخرَّب بلادك ؛ ودخلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حلقا لحاهما ، وأعفيا شواربهما ؛ فكره النظر إليهما ، ثم

(١) نصب : جدواهم .

أقبل عليهما فقال: ويلكُما! مَنْ أمر كما بهذا؟ قالوا: أمرنا بهذا ربنا - يعنيان كسرى - فقال رسول الله: لكنّ ربّي قد أمرني بإعفاء لحيّتي وقصّ شاربِي. ثم قال لهما: ارجعا حتى تأتياي غداً، وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبرُ من السماء أن الله قد سلط على كسرى ابنه شيرويه؛ فقتله في شهر كذا وكذا ليلة كذا وكذا من الليل؛ بعد ما مضى من الليل؛ سلط عليه ابنه شيرويه فقتله.

١٥٧٤/١

- قال الواقدي: قَتَلَ شيرويه أباه كسرى ليلة الثلاثاء لعشر ليال مضين^(١) من جمادى الأولى من سنة سبع لست ساعات مضت منها -

رجع الحديث إلى حديث محمد بن إسحاق، عن يزيد بن أبي حبيب. فدعاها فأخبرها، فقالا: هل تدري ما تقول! إنا قد نَقِمْنَا عليك ما هو أيسرُ من هذا؛ أفنكتب هذا عنك، ونخبره الملك! قال: نعم، أخبراه ذلك عنّي، وقولا له: إنّ ديني وسلطاني سيبلغ ما بلغ ملك كسرى، وينتهي إلى منتهى الخُفِّ والحافر؛ وقولا له: إنك إن أسلمت أعطيتك ماتحت يدك؛ وملكتك على قومك من الأبناء؛ ثم أعطى خسرًا خسرته من منطقة فيها ذهب وفضة، كان أهداها له بعض الملوك.

فخرجنا من عنده حتى قدما على باذان، فأخبراه الخبر، فقال: والله ما هذا بكلام ملك، وإنّني لأرى الرجل نبيًّا كما يقول؛ ولننظرن ما قد قال؛ فلئن كان هذا حقًا ما فيه كلام؛ إنه لنبى مُرْسَلٌ؛ وإن لم يكن فسرى فيه رأينا.

فلم ينشب باذان أن قدم عليه كتابُ شيرويه؛ أما بعدُ فإنّي قد قتلت كسرى، ولم أقتله إلا غضبًا لفارس لما كان استحلّ من قتل أشرافهم وتجميرهم^(٢) في ثغورهم؛ فإذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة ممن قبلك؛ وانظر الرجل الذي كان كسرى كتب فيه إليك فلا تهيجنه حتى يأتيتك أمرى فيه.

فلما انتهى كتاب شيرويه إلى باذان قال: إنّ هذا الرجل لرسول. فأسلم وأسلمت الأبناء معه من فارس من كان منهم باليمن؛ فكانت حمير تقول

١٥٧٥/١

(١) و: «بقين».

(٢) التجمير: الحبس في الثغور.

لخرُخُسره : ذو المِعْجَزَة ، للمنطقة التي أعطاه إياها رسول الله صلى الله عليه وسلم والمنطقة بلسان حمير المِعْجَزَة^(١) - فَبَسُّوهُ اليوم ينسبون إليها خُرُخُسره ذو المِعْجَزَة .

وقد قال بابويه لباذان : ما كَلَمْت رجلاً قطَّ أهيبَ عندي منه ، فقال له باذان : هل معه شُرْطٌ ؟ قال : لا .

• • •

قال الواقدي : وفيها كتب إلى المقوقس عظيم القبط ، يدعو إلى الإسلام فلم يُسَلِّم .

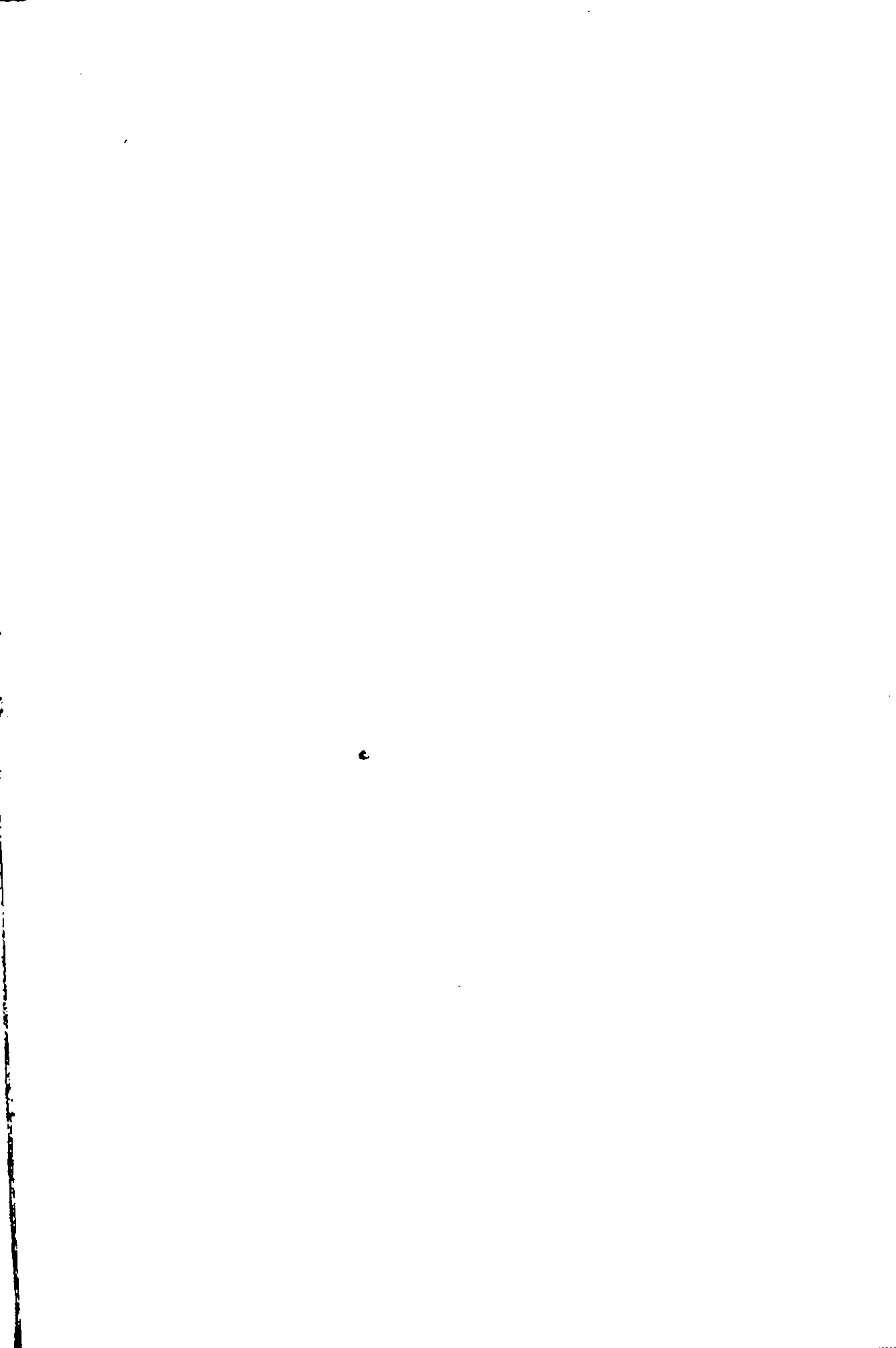
• • •

قال أبو جعفر : ولما رجع رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من غزوة الحديبية إلى المدينة أقام بها ذَا الْحِجَّةِ وبعضَ الْحَرَمِ - فيما حدثنا ابنُ حُمَيْدٍ قال : حدثنا سلمة ، عن ابن اسحاق .
قال : وولى الحجَّ في تلك السنة المشركون .

—————

تم الجزء الثاني من تاريخ الطبري ، ويليه
الجزء الثالث ، وأوله :
ذكر الأحداث الكائنة في سنة سبع .

(١) المعجزة : المنطقة : بالجمانية ، وفي و : « المعجزة » .



فهرس الموضوعات

صفحة	
١٠ - ٥	ذکر الخبر عن أصحاب أهل الكهف
١٧ - ١١	یونس بن متى
٢١ - ١٨	إرسال الله رسله الثلاثة
٢٣ - ٢٢	شمسون
٣٦ - ٢٤	ذکر خبر جرجیس
	• ذکر الخبر عن ملوك الفرس وسنی ملكهم
٤٣ - ٣٧	ذکر ملك أردشیر بن بابک
٥١ - ٤٤	ذکر الخبر عن القائم كان بملك فارس بعد أردشیر بن بابک
٥٣ - ٥١	ذکر ملك هرمز بن سابور
٥٣	ذکر ملك بهرام بن هرمز
٥٤	ذکر ملك بهرام بن بهرام بن هرمز
٥٤	ذکر ملك شاهنشاه بن بهرام
٥٤	ذکر ملك نرسی بن بهرام
٥٥ - ٥٤	ذکر ملك هرمز بن نرسی
٦٢ - ٥٥	ذکر ملك سابور ذی الأكتاف
٦٢	ذکر ملك أردشیر بن هرمز
٦٢	ذکر ملك سابور بن سابور
٦٣ - ٦٢	ذکر ملك بهرام بن سابور
٦٨ - ٦٣	ذکر ملك یزدجرد الأثیم
٨١ - ٦٨	ذکر ملك بهرام جور
٨٨ - ٨٢	ذکر ملك فیروز یزدجرد
	ذکر ما كان من الأحداث فی أيام یزدجرد بن بهرام وفیروز بن
٩٠ - ٨٨	عمالهما علی العرب وأهل اليمن

صفحة	
٩٠	ذکر ملك بلاش بن فيروز
٩٠ - ٩٤	ذکر ملك قباد بن فيروز
	ذکر ما كان من الحوادث التي كانت بين العرب في أيام
٩٥ - ٩٨	قياد في مملكته وبين عماله
٩٨ - ١٠٤	ذکر ملك كسرى أنو شروان
	ذکر بقية خبر تبع أيام قياد وزمن أنو شروان وتوجيه الفرس
١٠٥ - ١٥٤	الجيش إلى اليمن لقتال الحبشة
١٥٥ - ١٦٦	ذکر مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٦٦ - ١٧٢	رجع الحديث إلى تمام أمر كسرى بن قباد أنو شروان
١٧٢ - ١٧٦	ذکر ملك هرمز بن كسرى أنو شروان
١٧٦ - ١٨٧	ذکر ملك كسرى أبرويز بن هرمز
	ذکر الخبر عن الأسباب التي حدثت عند إرادة الله إزالة ملك
١٨٨ - ١٩٣	فارس عن أهل فارس
١٩٣ - ٢١٢	ذکر خبر يوم ذي قار
	ذکر من كان على ثغر العرب من قبل ملوك الفرس بالحيرة
٢١٣ - ٢١٨	بعث عمرو بن هند
٢١٨ - ٢٢٩	ذکر ملك شيرويه بن أبرويز
٢٣٠	ذکر ملك أردشير بن شيرويه
٢٣١	ذکر ملك شهر براز
٢٣١ - ٢٣٢	ذکر ملك بوران بنت كسرى أبرويز
٢٣٢	ذکر ملك جشنسده
٢٣٢ - ٢٣٣	ذکر ملك آزر ميدخت بنت كسرى أبرويز
٢٣٣	كسرى بن مهرا جشنس
٢٣٣	ذکر ملك خرزاسروا
٢٣٣	ذکر ملك فيروز بن مهرا جشنس

صفحة

٢٣٤	ذكر ملك فرّ خزاذ خسروا
٢٣٤	ذكر ملك يزدجرد بن شهریار
٢٣٨ - ٢٣٤	ذكر أقوال علماء المسلمين وغيرهم فيما كان بين هبوط آدم إلى الهجرة من السنين .
٢٧٦ - ٢٣٩	ذكر نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر بعض أخبار آباؤه وأجداده
٢٥١ - ٢٤٦	عبد المطلب .
٢٥٤ - ٢٥١	هاشم .
٢٥٤	عبد مناف .
٢٦٠ - ٢٥٤	قصي
٢٦٠	كلاب
٢٦١	مرّة
٢٦١	كعب
٢٦٢	لؤى .
٢٦٢	غالب .
٢٦٣ - ٢٦٢	فهر .
٢٦٥ - ٢٦٣	مالك .
٢٦٦ - ٢٦٥	بالنصر .
٢٦٦	كمانة
٢٦٦	خزيمه
٢٦٧ - ٢٦٦	مدركة
٢٦٨	إلياسر .
٢٧٠ - ٢٦٨	مضر .
٢٧٠	نزار .
٢٧١ - ٢٧٠	معدّ

صفحة	
٢٧٦ - ٢٧١	عدنان
٢٧٩ - ٢٧٧	ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسبابه
٢٨٢ - ٢٨٠	ذكر تزويج النبي صلى الله عليه وسلم خديجة رضي الله عنها
	ذكر باقى الأخبار عن الكائن من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يتنبأ وما كان بين مولده ووقت نبوته من الأحداث فى بلده
٢٩٢ - ٢٨٣	ذكر اليوم الذى نبي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشهر الذى نبي فيه وما جاء فى ذلك
٢٩٧ - ٢٩٣	ذكر الخبر عما كان من أمر نبي الله صلى الله عليه وسلم عند ابتداء الله تعالى ذكره إياه بإكرامه بإرسال جبريل عليه السلام بوحيه وما تلا ذلك من الأحداث إلى وقت الهجرة
٣٨٧ - ٢٩٨	ذكر الوقت الذى عمل فيه التاريخ
٣٩٣ - ٣٨٨	

.

ذكر ما كان من الأمور فى أول سنة من الهجرة .

٣٩٦ - ٣٩٥	خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أول جمعة بالمدينة
-----------	--

.

السنة الثانية

٤٠٩ - ٤٠٨	غزوة ذات العشيرة
٤١٠	سرية عبد الله بن جحش
٤٧٩ - ٤٢١	ذكر وقعة بدر الكبرى
٤٨٣ - ٤٧٩	غزوة بنى قينقاع
٤٨٥ - ٤٨٣	غزوة السويق

.

السنة الثالثة

٤١٧	غزوة ذي أقر
٤٩٢ - ٤١٧	خبر كعب بن الأشرف
٤٩٣ - ٤٩٢	غزوة القردة
٤٩٩ - ٤٩٣	مقتل أبي رافع اليهودي
٥٣٣ - ٤٩٩	غزوة أحد
٥٣٦ - ٥٣٤	غزوة حمراء الأسد

. . .

السنة الرابعة

٥٤٢ - ٥٣٨	غزوة الرجيع
٥٤٥ - ٥٤٢	ذكر الخبر عن عمرو بن أمية الضمري حين وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقتل أبي سفیان بن حرب
٥٥٥ - ٥٤٥	ذكر خبر بئر معونة
٥٥٩ - ٥٥٥	غزوة ذات الرقاع
٥٦١ - ٥٥٩	ذكر الخبر عن غزوة السويق

. . .

السنة الخامسة

٥٦٤ - ٥٦٣	زواج النبي صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش
٥٦٤	غزوة دومة الجندل
٥٨١ - ٥٦٤	ذكر الخبر عن غزوة الخندق
٥٩٤ - ٥٨١	غزوة بني قريظة

. . .

« هو غير الغزوة التي مر ذكرها بهذا الاسم في حوادث السنة الثانية .

صفحة	السنة السادسة
٥٩٥	غزوة بنى لحيان
٦٠٤ - ٥٩٦	غزوة ذى قرد
٦١٠ - ٦٠٤	غزوة بنى المنصطلق
٦١٩ - ٦١٠	حديث الإفك
	ذكر الخبر عن عمرة النبي صلى الله عليه وسلم التي صدره
٦٤٤ - ٦٢٠	المشركون فيها عن البيت ، وهي قصة الحديبية
٦٥٧ - ٦٤٤	ذكر خروج رسل رسول الله إلى الملوك



مطبعة دار الكتب المصرية

الاحكام

شرح الامم المسلمة

للكاتب المشرف

الجلد الثاني